المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات ابن جُزَيّ في التفسير

من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)

من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص

عرضاً ومناقشة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه)

إعداد الطالبة
هناء عبد الله سليمان أبوداود
الرقم الجامعي : ٤٢٧٧٠٠٧٤

إشراف فضيلة الشيخ : الأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت بن عبد الحكيم الوايلي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

العام الجامعي : ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

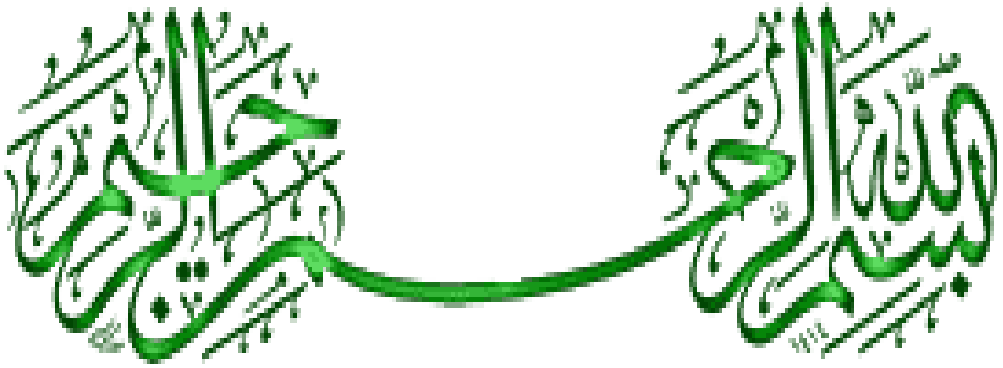
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسَّلام على سيِّد الخلق أجمعين ، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أمَّا بعد : فإنَّ رسالة : **ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل) من أول سورة الرعد إلى آخر سورة القصص ، عرضاً ومناقشة**

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسُّنة ، شعبة التفسير وعلوم القرآن ، من الباحثة : **هناء عبد الله سليمان أبو داود .**

إن هذه الرسالة حلقة من ضمن حلقات متصلة تناولت تفسير ابن جُزيّ رحمه الله (التسهيل لعلوم التنزيل) من حيث حصر الآيات التي تضمنت ترجيحاً لقول أو معنى اختلف أهل التفسير في بيانه ، ومن ثمَّ عرض الأدلة النقلية والعقلية لكل قول ومناقشته ، وترجيح القول الراجح بعد ذلك ، فهو بحث يضمُّ خلاصة ما اختلف فيه المفسرون بطريقة علمية تبين للقارئ مراد الله في الآية – بقدر الطاقة البشرية – ، وتوفر عليه عناء البحث في أمهات كتب التفاسير ليصل إليه معنى الآية بصورة موجزة مقننة تقوم على الأدلة الصحيحة بإذن الله ، وقد كان أملي أن أغوص في كتب التفاسير ؛ استروح من عبير شذى الآيات ، وأتنقل بين واحتها الغنَّاء فأقطف من ثمارها وأهتدي بهداها ، سائلة المولى القدير أن يفتح لي من أسراره ، وأن ينور به طريقي ، وأن أكون قد وُفِّقت لإنجاز ذلك ، ولا أدعي الكمال ، فالكمال لله ، ولكني حاولت جهدي ما استطعت .

وخطتي في البحث تشتمل على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس عامة ، ذكرت في المقدمة سبب اختياري للموضوع ، وأهميته ، ومنهجي الذي اتبعته في البحث .

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى قسمين رئيسين هما :

القسم الأول : التعريف بابن جُزيّ بإيجاز ، وكتابه : (التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح .

القسم الثاني : عرض ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير ومناقشتها بالتفصيل ؛ من أول سورة الرَّعد إلى نهاية سورة القصص ، حسب ترتيب المصحف .

هذا وقد اتضح لي من خلال هذا البحث عدة أمور ، من أبرزها :

١. ظهر لي من خلال البحث أن ابن جُزيّ رحمه الله تعالى يعتقد معتقد أهل السنة والجماعة في الغالب ، بل ويدافع عن بعض القضايا التي خالف فيها بعض الطوائف .
٢. تَقَدُّم ابن جُزيّ رحمه الله وتميزه في شتى الفنون والعلوم ، فقد كان إماماً في اللغة نحواً وصرفاً وإعراباً ، ملماً بأقوال أهل العلم من السلف في تأويل القرآن الكريم وبيان معانيه .

٣. إن كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ على صغر حجمه يعتبر كنزاً ثميناً جمع من الفوائد والنكات العلمية ما تكلُّ عنه الكتب الكبيرة ؛ فهو عصارة لأقوال المفسرين ، وفيه من فنون العلم ما تقرُّ به أعين القارئين والمطالعين ، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن والتمكن من المعارف المختلفة .

وأخيراً ذيَّلت الرسالة بأهم الفهارس العلمية ، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،،،

Thesis Summary

The thesis **"Preponderances of Ibn Juzai in the interpretation through his book (Al Tasheel Li Oloum Al Tanzeel) from the beginning of Sorat "Alraad" to end of Sorat "Alqasas" Tender & Discussion"** is a scientific Thesis that provided in order to obtain the Doctorate Degree in the Holy Quran and Al Sunna, Interpretation and Holy Quran Sciences Section, that introduced by the Researcher:
Hanaa Abdullah Suleiman Abo Dawoud.

This Thesis is a serial from a connecting serials that searched in Ibn Juzai Interpretation "Al Tasheel Li Oloum Al Tanzeel" in respect of computing the Verses that including a preponderance for a saying"or a meaning that interpreters differentiated in explaining it , thereupon providing the mental and material evidences for per saying and discussion overbalancing the preponderant saying after that, so it a search for what the interpreters differentiated in scientifically that declares to the reader what the Almighty Allah wants in the Verse – according to the human capacity – and that saves the searching efforts in the grand Interpretation books to get the meaning of the Verse briefly and exactly that based on the correct evidences, so my hoped to dig interpretation books so that pick the meanings and follow the straightway, asking Almighty Allah to help me in my Search, knowing that the Perfection is For Allah bur I did my best.
My Plan in Research includes Introduction, Two sections, Conclusion and Indexes. I mentioned in Introduction the cause of my choice of the Topic, its Importance and the method that I followed in this Research.
The nature of the Research includes Introduction,Two section, Conclusion and Indexes.
I mentioned in the Introduction the cause of my choice of the Topic,its Important and the method that I followed in the Research.
The nature of the Research required to divide it into two sections:
First Section: Definition of Ibn Juzai Briefly, his book "Al Tasheel" and his method in Preponderance.
Second Section: Providing the Preponderances of Ibn Juzai in the interpretation and discussing them in details, from the beginning of

Sorat "AlRaad" to the end of Sorat " Alqasas" according to the Holy Quran arrangement .

It is declared to me through this Research some points that are:

- ✍ Ibn Juzai often believes as the Sunnites, moreover, he defends some Causes that he infringes some people in.

- ✍ Mastering of Ibn Juzai in all arts and sciences, he was master in Language Sciences (Syntax, Morphology and Analysis) and he was conversant the sayings of scientist in Interpretation of the Holy Quran and Declaring its Meanings from the predecessors.

- ✍ In spite of the small size of " Al Tasheel Li Oloum Al Tanzeel" for Ibn Juzai, it is a valuable treasure that full of the scientific profits and advantages that may fill the huge books, it is the essence of Interpreters Saying, full of science arts that pleases every reader and it is distinguished with many features that showed its thorough study , diversity and command of various sciences.

  Finally, I indexed the Thesis with most important Scientific Indexes. And the Blessings and Prayers of Allah may upon the prophet Mohammed.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الكريم المنان ، ذي الطول والإنعام ، أحمده شاكر ةً طائعةً ، وأعبده صاغر ةً خاضعةً وأؤمن بربوبيته مخلصةً موحدةً ، وأوقن بالمعاد مصدق ةً معتقدةً ، وأشهد أن لا إله إلا الله أنشأ الإنسان من عدم ، وعلَّمه ما لم يعلم ، وجعل أمَّة حبيبه ﷺ خير الأمم ، من استقام على هدي كتابه أفلح وغنم ، ومن ضلَّ خسر وندم .. وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، خير البريَّة ، ومعلِّم البشرية ، نشهد أنك يا رسول الله قد أدَّيت الأمانة ووفَّيت ، ونصحت الأمَّة وبلَّغت ، وعلَّمت كل خير فالعلم سلاح ونور ، وهدى وبرهان .

وقد قيل [1] :

ما الفخرُ إلاّ لأهلِ العلمِ إنّهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدلاّءُ
وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يحسنُه ... والجاهلـــونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ
ففزْ بعلمٍ تعشْ حيـــاً به أبداً ... الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

أما بعد :

فإن خير الهدى هدى الله ، وخير جليس كتاب الله ، من تمسَّك به نجا وفاز ، ومن هجره ضلَّ وانحاز . قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [2] ؛ ومن رام الشرف والعزة والرفعة في الدنيا والآخرة فليقبل على كتاب الله تلاوة وتدبراً وفهماً وعملاً ، لأن العلم يشرف بشرف واضعه ، وواضع كتاب الله هو الخالق لكل شيء ، خالق الإنسان وخالق روحه ، والروح تحيا بذكر خالقها وموجدها ، وتسعد بالأوبة إلى منشيها ومبدعها ، فإن ابتغت العزة بغيره ذلَّت واستوحشت .

---

(١) نسبه محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في إحياء علوم الدين (١ / ٧) لعلي بن أبي طالب ﷺ .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٠ .

وإن العلوم وإن كانت تتعاظم شرفاً فلا مرية في أن علم التفسير رابط عقدها ، فهو أشرف العلوم ذكراً ، وأرفعها قدراً ، وأعظمها أجراً ، وأجلها خطراً ، ولا أبالغ إن قلت أن تعلم آية من كتاب الله قد يجمع فنوناً كثيرة وعلوماً متنوعة ، من الفقه ، والحديث ، والنحو ، والبلاغة ، والفلك وغيرها من العلوم .

إن تعلم كتاب الله غاية عظمى ؛ فمن وفقه الله لذلك كان من أعظم الخير . قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ [1] . وقال ﷺ : « خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » [2] . فالمقبل على كتاب الله كان من خير أمَّة محمَّد ﷺ ؛ أسأل الله أن يكرمني من فضله ويجعلني منهم ، وأن يرزقني الإخلاص والقبول .

وإن أفضل ما يتسابق إليه المتسابقون ، مدارسة كتاب الله ، فهو خير ما صرفت إليه الهمم ، وأعظم ما نطق به لسان ، ومُدَّ به قلم ، فقد أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بأحسن بيانٍ وأجمل عبارةٍ وأبلغ دلالةٍ وهدايةٍ ، غير أن الغاية العظمى من إنزاله هي تدبُّره ، والعمل بمقتضى أحكامه وشريعته والاعتبار بقصصه وأخباره ، والاستنارة بتوجيهاته وهداياته ، والتفكر في آياته ومعانيه ، فهو كتاب هذه الأمة المباركة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وهو السبيل إلى عزها ونصرها وسموها .

وقد ندب الله تعالى خلقه إلى فهمه وتدبر معانيه ، فقال عز من قائل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ اخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [3] .

وقد أدرك المسلمون كبير فضل الله عليهم ، فأفنوا الأعمار واجتهدوا في خدمة دين الله ، وتبليغ رسالته ، ودراسة كتابه المجيد .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ،بَاب خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (٤٧٣٩) : ٤ / ١٩١٩ .

(٣) سورة النساء : ٨٢ .

ولقد كانت أمنية في نفسي أن أغوص في تفاسير القرآن العظيم ، أفتح سِفْراً وأغلق آخر ، أطالع أقوال أئمة أهل التفسير ، وأتملل فرحاً بمعرفة مراد الله في كتابه – بقدر الطاقة البشرية في ذلك – ، وأعرف أصحَّ الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله تعالى ، واستقي من المعين الصافي شربة هنيئة تحيا بها روحي ، وأزداد علماً وأثري بذلك المكتبة التفسيرية بما تعلمت .

وكان أن يسَّر الله لي بفضله وجوده ما تمنيت ، وأثناء بحثي وسؤالي وجدت موضوعاً عن الترجيحات لمفسر من المفسرين فوقع اختياري عليه بعد أن استخرت الله تعالى ، واستشرت بعض المشائخ الفضلاء ، وكان الموضوع بعنوان :

ترجيحات ابن جُزيّ في التفسير

من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)

من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص

عرضاً ومناقشة

فالله ﷻ أسأل أن يوفقني ويسدد خطاي .

أسباب اختياري للموضوع :

أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع ، ومنها :

أولاً : الرغبة الملحة في قراءة هذا التفسير الصغير في حجمه ؛ الغني في نفعه ، المليء بالعلوم الكثيرة والنكت العجيبة والفوائد الغريبة – كما نصَّ على ذلك ابن جُزيّ في مقدمته [1] – ، الأمر الذي أكسبه مكانة علمية بين التفاسير .

ثانياً : أهمية الموضوع : لدراسة الترجيحات ومعرفة الأقوال الراجحة في تفسير الآيات أهمية في التفسير من وجوه :

---

(١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزيّ الكلبي : ١ / ٣ .

✓ **الوجه الأول** : أن تحقيق أقوال المفسرين ، والتمييز بينها ، ومعرفة مراتبها من مقاصد علم التفسير . وقد نص على ذلك بعض المفسرين ، ومنهم مفسِّرنا (ابن جُزيّ الكلبي) فقد وضحت فكرة الترجيح في ذهنه ، ووضع منهجاً للترجيح يرتسم في المصطلحات التي وضعها وأساليبه التي انتهجها في الترجيح [(١)] ، وذكر في مقدمة تفسيره أن من مقاصد تصنيفه : تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح . قال مبيِّناً وجه هذه المقصد : ((وذلك أن أقوال الناس على مراتب ، فمنها الصَّحيح الذي يعول عليه ، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد ، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً ، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً)) . اهـ [(٢)] .

وهذا الذي ذكره ابن جُزيّ لا يتحقق ولا يعلم إلا بدراسة مواضع الخلاف وتحقيق مراتب الأقوال ، وبيان مترلتها . وهذا من أهم مقاصد تحصيل العلم الشرعي ، لذا كان الاشتغال به من المهمات على طالب العلم .

✓ **الوجه الثاني** : أن دراسة الترجيحات وبيان الراجح من الأقوال والروايات يعدّ أحسن طرق حكاية الخلاف . قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** تعليقاً على قول الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[(٣)] ، بعد أن بيّن أنها اشتملت على الأدب في هذا المقام – – مقام حكاية الخلاف – :

" فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ؛ فيشتغل به عن الأهمِّ ، فأما من حكى خلافاً فى مسألة ، و لم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ؛ إذ قد يكون الصواب فى الذى تركه ، أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصَّحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً ، فإن صحَّح غير الصَّحيح عامداً فقد تعمَّد الكذب ، أو جاهلاً فقد أخطأ ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً

---

(١) سيأتي لاحقاً مبحث كامل في القسم الأول من هذا البحث يتحدث عن مصطلحات ابن جُزيّ وأساليبه في الترجيح .
(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .
(٣) سورة الكهف : ٢٢ .

ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح ؛ فهو كلابس ثوبي زور [1] " . اهـ [2] .

✓ **الوجه الثالث** : دراسة مواضع الخلاف في التفسير ، وبيان الصحيح من الأقوال وتحديد الراجح منها هو السبيل الأمثل لتنقية كتب التفسير من رديء الأقاويل ، وضعيف الروايات ، وشواذ المسائل . وهذه التنقية من أهم ما ينبغي أن يعتني به أهل العلم المتخصصون ؛ حتى يقوموا بواجب النصح للمسلمين ، بتعليمهم معاني كلام الله تعالى على الوجه الأكمل .

ولمـــّا كان أن ترجيح القول الأقوى معنى ، والأفصح لفظاً ، والأكثر دلالة على المقصود من الأقوال المقبولة في تفسير الآيات يفيد في حمل كلام الله ﷻ على أكمل الوجوه .

ومما للترجيح أهمية كبيرة فيه : تصنيف التفاسير المختصرة التي تدعو الحاجة والمصلحة إلى الاقتصار فيها على قول واحد ؛ فلا شك أن معرفة مراتب الأقوال تفيد في هذا الباب كثيراً لأنها تعين المصنف على ترجيح أفضل الأقوال في تفسيره .

✓ **الوجه الرابع** : من الفوائد المهمة لدراسة الترجيحات في التفسير أنها تُكسب الباحث خبرة بكتب التفسير ، وتعطيه قدرة على سبر أقوال أهل العلم ، وفهمها ومناقشتها ، ومن ثم الترجيح بينها ، كما يعطيه ملكة تفسيرية يكتسبها من خلال دراسته لأقوال العلماء وأدلتهم ؛ فيتعرف بذلك على قيمة كل كتاب ، وميزات كل تفسير . كما أن ذلك يفيد في معرفة مراتب المفسرين من حيث مكانتهم في التفسير ، وقيمة ترجيحاتهم .

---

(١) ثبت في صحيح البخاري في كتاب النِّكاح ، بَاب الْمُتَشَبِّعِ بِمَا لم يَنَلْ وما يُنْهَى من افْتِخَارِ الضَّرَّةِ (٤٩٢١) : ٥ / ٢٠٠١ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا (٢١٣٠) : ٣ / ١٦٨١ عن أسماء – رضي الله عنها – جواباً لامرأة سألت النبي ﷺ : إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ من مَالِ زَوْجِي بِمَا لم يُعْطِنِي ؟ فقال رسول اللَّهِ ﷺ : « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » .

(٢)كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس : ١٣ / ٣٦٨ .

وابن تيمية هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ، شيخ الإسلام ، أبو العباس ، إمام مجدد ، وعالم نحرير برع في شتى الفنون والعلوم ، كان ذكيا ، قوي الحفظ ، سريع الإدراك ، ت سنة ٧٢٨ هـــ . ينظر : تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـــ) : ٤ / ١٩٢ ، طبقات الحفاظ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـــ) : ٥١٦ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي العكري (ت ١٠٨٩ هـــ) : ٨ / ١٤٢ .

ثالثاً : يمثل هذا الموضوع لوناً من ألوان التفسير ، وهو المسمى بـــ (التفسير المقارن) الذي يعرض النصوص والآراء ، ويوازن بينها ، ويبين الراجح من المرجوح .

رابعاً : إن مما اعتنى العلماء ببيانه ، والتأليف فيه : تأصيل قواعد الترجيح [1] ، وهذه الدراسة تعتبر تطبيقاً لتلك القواعد .

خامساً : إن هذه الدراسة تتيح للباحث الوقوف على كثير من كتب التفسير ، والحديث ، والفقه والأصول ، واللغة تبعاً لتنوع المسائل التي يعرض لها ابن جُزيّ ، مما يكسب الطالب توسعاً في العلوم المتنوعة .

سادساً : لما كان ابن جُزيّ رحمه الله يعتبر من المفسرين المتأخرين نوعاً ما ؛ فإن هذا قد أتاح له فرصة اطلاعه على كتب سابقيه وسبرها وجمع أقوال المفسرين ؛ وهذا يعطي قارئ كتاب التسهيل فكرة عما سبق من أقوال كتب التفسير قبله .

سابعاً : بيان مدى موافقته أو مخالفته لمن سبقه من المفسرين في تفسيره للآيات .

وغيرها من الأسباب التي تظهر في ثنايا هذا البحث .

حدود البحث :

من خلال العنوان يتضح أن البحث حدد بستة حدود ، وهي :

---

(١) من ذلك : **مقدمة في أصول التفسير** لشيخ الإسلام **ابن تيمية** ، وشرحه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، و**القواعد الحسان لتفسير القرآن** للشيخ عبد الرحمن بن ناصر **السعدي** رحمه الله ، **وقواعد الترجيح** عند المفسرين (دراسة نظرية تطبيقية) للدكتور/ **حسين بن علي الحربي** (رئيس قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين في جازان) ، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج ٢ ، ط ١ ، عام ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٦م ، **وقواعد التفسير** جمعاً ودراسة للدكتور / **خالد بن عثمان السبت** ، ج ٢ ، ط . د ، **وقواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور** في تفسيره التحرير والتنوير للدكتورة / **عبير بن عبد الله النعيم** ، رسالة دكتوراه ، بجامعة الملك سعود ، عام ١٤٢٨ هـــ - ١٤٢٩ هـــ .

وقد استفدت من بعض هذه الكتب فائدة كبيرة في الترجيح .

الحد الأول : ترجيحات : فلا يدخل في هذا البحث إلا ما صرّح ابن جُزيّ بترجيحه ، إما بلفظ صريح ، أو بأسلوب يفهم منه الترجيح .

الحد الثاني : ابن جُزيّ : فلا يدخل في البحث ترجيحات غيره ، ما لم يكن لابن جُزيّ ترجيح .

الحد الثالث : في التفسير : فلا يدخل في صلب الموضوع ما اختلف فيه أهل العلم مما ليس له أثر في معنى الآية ، وإن رجح فيه ؛ كالخلاف في القراءات التي لا تؤثر في المعنى [(١)] ، والخلاف في اللغة والإعراب مما لا تأثير فيه في المعنى .. ونحو ذلك .

الحد الرابع : من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص : فلا يدخل فيه غيره من سور القرآن .

الحد الخامس : من خلال كتابه : (التسهيل في علوم التنزيل) : فلا يدخل في هذا البحث ما اختاره ابن جُزيّ في تفسير القرآن الكريم في كتبه الأخرى غير هذا الكتاب .

الحد السادس : عرضاً ومناقشة : يتمثل في عرض ترجيحات ابن جُزيّ ودراستها ومناقشتها مناقشة علمية ، مع بيان القول الراجح مدعماً بالأدلة النقلية والعقلية .

مصطلحات البحث :

اقتصرت في هذه الخطة على بعض المصطلحات البارزة ، مكتفية بالمعنى الاصطلاحي فقط .

القاعدة :

الأمرُ الكليُّ الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها [(٢)] .

---

(١) أشار العلماء أن للقراءات حالتين :
إحداهما : لا تعلق لها بالتفسير بحال ؛ كالاختلاف بينهم في وجوه النطق بالحروف والحركات ، كمقادير المد ، والإمالات ، والتخفيف ، والتسهيل ، والتحقيق ، والهمس .. ونحو ذلك .
والثانية : لها تعلق به من جهات متفاوتة ؛ كاختلاف القراء في حروف الكلمات ، واختلاف الحركات .. ونحو ذلك مما يؤثر في المعنى . ينظر : التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣ هـ) : ١ / ٥١ - ٥٥ .

(٢) شرح الكوكب المنير المسمَّى (مختصر التحرير) أو (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه) لمحمد بن أحمد بن

قواعد الترجيح :

ضـــوابط وأمور أغلبية يُتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله [١] .

القراءات المتواترة :

التواتر في اصطلاح القرَّاء : هي القراءة التي نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه [٢] .

السِّياق :

هو مجموع السِّباق واللِّحاق في الآية [٣] .

النظم :

هو تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات ، على حسب ما يقتضيه العقل . وقيل : الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل [٤] .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس :

عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢ هـــ) : ١ / ٣٠ .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣٩ . وينظر : فصول في أصول التفسير للدكتور / مساعد بن سليمان الطيار : ٩٨ .

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـــ) : ١ / ٢٠٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٢٦ .

(٤) ينظر : التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـــ) : ٣١٠ .

أما المقدمة : ففيها التنويه بالقرآن الكريم ، وبيان فضله ، وأسباب اختيار الموضوع ، وحدود البحث ، والتعريف ببعض المصطلحات الواردة في الرسالة ، وخطة البحث ، ومنهج كتابته ، ثم أخيراً شكر وتقدير ودعاء .

القسم الأول : التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه : (التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح .

وفيه بابان :

الباب الأول : التعريف بابن جُزيّ بإيجاز :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية بإيجاز : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته وشهرته .

المبحث الثاني : مولده ، ونشأته .

المبحث الثالث : معتقده ومذهبه .

الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية بإيجاز : وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية .

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : آثاره ، مصنفاته ، وفاته .

الباب الثاني : التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جُزيّ في الترجيح :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بكتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب .

المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته .

المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه .

الفصل الثاني : منهج ابن جُزيّ في الترجيح ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ .

المبحث الثاني : مصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ .

المبحث الثالث : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ .

القسم الثاني : عرض المسائل التي فيها ترجيح لابن جُزيّ في التفسير، مرتبة حسب سور القرآن الكريم ، من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص .

١. المسائل الترجيحية في سورة : الرعد .

٢. المسائل الترجيحية في سورة : إبراهيم عليه السلام .

٣. المسائل الترجيحية في سورة : الحجر .

٤. المسائل الترجيحية في سورة : النحل .

٥. المسائل الترجيحية في سورة : الإسراء .

٦. المسائل الترجيحية في سورة : الكهف .

٧. المسائل الترجيحية في سورة : مريم – عليها السَّلام – .

٨. المسائل الترجيحية في سورة : طه .

٩. المسائل الترجيحية في سورة : الأنبياء .

١٠. المسائل الترجيحية في سورة : الحج .

١١. المسائل الترجيحية في سورة : المؤمنون .

١٢. المسائل الترجيحية في سورة : النُّور .

١٣. المسائل الترجيحية في سورة : الفرقان .

١٤. المسائل الترجيحية في سورة : الشعراء .

١٥. المسائل الترجيحية في سورة : النَّمل .

١٦. المسائل الترجيحية في سورة : القصص .

الخاتمة : وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال البحث .

الفهارس : وإتماماً للفائدة ، ولتسهيل الاستفادة من محتويات الرسالة وضعت عدة فهارس عامة ، وهي :

١. فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
٢. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
٣. فهرس الآثار عن الصحابة ﷺ والتابعين .
٤. فهرس الأعلام المترجم لهم في الرسالة .
٥. فهرس الغريب والمصطلحات العلمية .
٦. فهرس الأماكن والبلدان .
٧. فهرس الشواهد الشعرية .
٨. فهرس المصادر والمراجع .
٩. فهرس الموضوعات .

منهج البحث :

أولاً : ما يتعلق بالقسم الأول – الترجمة ووجوه ومصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ – فمنهجي فيه كالتالي :

١. أورد ترجمة موجزة لابن جُزيّ الكلبي [١] .
٢. أذكر في أول ترجمته المصادر والمراجع التي رجعت إليها .
٣. أقوم باستقراء كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ الكلبي [٢] من أول سورة الرعد إلى

---

(١) لقد استطرد الباحث علي محمد الزبيري رحمه الله في ترجمة ابن جُزيّ وحياته في رسالته : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير) ، فكفّى ووفّى .

(٢) اطلعت على طبعتين عند هذا الاستقراء من كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ :
- الأولى : طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ط ٤ ، ج ٤ .
- الثانية : طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م ، ط ١ ، ج ٢ .

نهاية سورة القصص ، وحصر مصطلحات الترجيح وأساليبه ووجوهه عند ابن جُزيّ .

٤. عند بيان هذه المصطلحات والأساليب والوجوه عند ابن جُزيّ أذكر مثالاً واحداً في المتن على كل مصطلح أو أسلوب أو وجه ترجيح من كلام ابن جُزيّ رحمه الله [١] .

ثانياً : ما يتعلق بالقسم الثاني – وهو دراسة المسائل – فعملي فيه إن شاء الله تعالى على النحو التالي :

١. أقوم بقراءة كتاب : (التسهيل) قراءة متأنية ، وأستعرضها إجمالاً من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص ، ومن ثم أستخرج المسائل التي فيها ترجيح لابن جُزيّ رحمه الله .

٢. أقف عند كل آية فيها ترجيح لابن جُزيّ ، وأدون ما يتعلق بها ، مرتبة المسائل وفق ترتيب المصحف .

٣. أُصدِّر المسألة بكتابة الآية كاملة بالرسم العثماني ، برواية حفص عن عاصم ، أو أكتفي بموضع الشاهد فقط ، وأقوم بعزو الآيات القرآنية ، بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن لكيلا تثقل الحواشي ، وأجعلها بين معكوفتين بخط صغير هكذا مثلاً : . [سورة الرعد : ٧] . وإن كانت الآية ضمن قول أحد أئمة العلم أذكرهما في الحاشية غالباً .

٤. إذا كان في الآية مسألتان أحدد ذلك بقول : (وفي الآية مسألتان) وإن لم يوجد إلا مسألة واحدة فأقول : (مسألة) .

٥. ثم اثني بوضع عنوان مختصر لكل مسألة يدل على مضمونها .

٦. ثم أثلث بذكر النص الكامل لابن جُزيّ في المسألة وأميزه عن بقية الكلام بعلامتي التنصيص هكذا (( )) ، أو أكتفي بمحل الشاهد فقط من الترجيح ، حسب ما تقتضي الدراسة .

٧. أقوم بدراسة هذه المسألة ، مبتدئةً بجمع جميع الأقوال الواردة في تفسير الآية المختلف فيها من المصادر التي اعتمدتها ، وأحاول الاستقصاء في ذلك قدر الطاقة والجهد ، و لم أستثن من الأقوال إلا ما شذَّ أو بعُد ، مما نصَّ أهل العلم على شذوذه أو بعده .

---

(١) أخص بذكر الأمثلة والشواهد من القسم المخصص لي ، أي : من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص إلا ما ندر .

٨. أحياناً أُصدِّر الدراسة بذكر القول الذي رجَّحه ابن جُزيّ ، ثم أذكر أقوال السلف في ذلك من الصحابة والتابعين ، وحيناً آخر أؤخره حسب ما يقتضيه سياق المسألة وطريقة عرضها ومناقشتها ، ومن ثم أعقب ذلك بذكر الموافقين لابن جُزيّ ممن تقدمه أو تأخر عنه من المفسرين [١] .

٩. أذكر دليل القول الراجح عند ابن جُزيّ إن وجد .

١٠. أذكر بقية الأقوال الواردة في تفسير الآية ، بعزوها إلى قائليها من السَّلف ، ومن قال به من المفسرين – حسب الترتيب السابق – ، مع ذكر أدلة كل قول عقبه مباشرة ، إن وجدت .

١١. ألتزم في ترتيب الموافقين والمخالفين الترتيب الزمني للوفيات ، ولا أخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام .

١٢. أقوم بدراسة الأقوال وأدلتها ، وبيان أوجه القوة والضعف فيها ، مستفيدةً في ذلك من أقوال أهل العلم والإتقان .

١٣. قد أحتاج في ثنايا البحث إلى اقتباس نصوصٍ منقولةٍ عن أهل العلم ، وأميِّزها عن غيرها بوضعها بين قوسين ، هكذا " " ، وإن احتجت إلى إضافة تعليق ، أو تفسير كلمة في النص المقتبس فأضعه محصوراً بين فاصلتين هكذا – – ، وإن حذفت شيئاً من النص المنقول حرفياً ، أضع مكان المحذوف ثلاث نقط ، هكذا " ... " .

١٤. وأخيراً أختم المسألة ببيان ما ترجح لدي حسب القرائن والأدلة ، معتمدةً في ذلك على الأدلة ، وقواعد الترجيح التي ذكرها أهل العلم .

---

(١) ومنهجي في ذكر الموافقين لابن جُزيّ هو بحسب عددهم ، فإن كان من وافقه القليل أذكر أسماءهم في المتن ، وأضع لكل واحد منهم علامة ترقيم مستقلة أو مشتركة ، وأدون المصدر أو المرجع في الحاشية .
فإن كان الموافق متقدماً على ابن جُزيّ رحمه الله أقول : وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً فلان .. وفلان .
وإن كان الموافق متأخراً عنه أقول : ووافقه فلان .. وفلان .. وهكذا .
أما إذا كان من وافقه الأكثر من المفسرين فإنني أذكر أسماءهم ومصادرهم في الحاشية بعلامة ترقيم واحدة ، مستخدماً في ذلك إحدى العبارات التالية :
- موافقاً جمهور المفسرين .
- ووافقه كثير من المفسرين .
- ووافقه في ذلك أكثر المفسرين ، أو أهل التفسير ، أو عامة المفسرين .

ونحوها من العبارات الدالة على المقصود .

ثالثاً : وأما ما يتعلق بالحاشية ، فعملي فيها على النحو التالي :

١. بالنسبة لتخريج الأحاديث والآثار :

- أقوم بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في متن ابن جُزيّ أو في الدراسة ، وعزوها إلى مواضعها من كتب السنة المعتمدة ، وإن لم أجد من أخرج الأثر مسنداً ، أعزوه إلى من ذكره من المفسرين وغيرهم .
- إن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بالعزو إليهما ، أما إن كان في غيرهما فأعزوه إلى أحد أصحاب الصِّحاح أو السنن ، أو المسانيد أو المعاجم ونحوها .
- أكتفي بذكر من صحَّح الحديث أو ضعفه من المتقدمين أو المتأخرين أو منهما معاً ، إلا إذا كان الحديث أو الأثر يتعلق بالترجيح ، فاهتم ببيان صحَّة الحديث أو ضعفه ، بعد نقل أقوال أهل العلم .

٢. أوثق النصوص المنقولة عن أهل العلم توثيقاً علمياً دقيقاً من مصادرها الأصيلة – أمهات الكتب – ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

٣. أترجم لجميع الأعلام الوارد ذكرهم في المتن أو الدراسة أو الترجيح ، ترجمة موجزة مختصرة ، معقبةً ذلك بذكر مصادر للترجمة لا تقل عن ثلاثة – غالباً – .

٤. لم أترجم للصحابة ﷺ ، إلا لمن كان مبهماً منهم : كأن يذكر بكنيته أو لقبه ، أو جاء ذكره في متن حديث أو أثر ولم يكن معروفاً ، فأشير إلى اسمه ونسبه من خلال كتب تراجم الصحابة ﷺ .

٥. بالنسبة للشواهد الشعرية أقوم بعزوها إلى أصحابها ، من خلال الدواوين الشعرية ، والمصادر الشعرية المعتمدة ما استطعت .

٦. أقوم ببيان معاني الألفاظ الغريبة الواردة في البحث .

٧. أعرِّف بالمصطلحات الخاصة والأصولية الواردة في البحث .

٨. أعرِّف بالأماكن والبلدان من الكتب المعتمدة في ذلك .

٩. عند التعرض لمسألة فقهية أو عقدية أهتم ببيانها وبيان تفصيلاتها في الحاشية ، والرجوع في ذلك إلى المصادر الأصلية سواءً في الفقه والعقيدة ما استطعت إلى ذلك .

١٠. ألتزم الترتيب الزمني للوفيات في ذكر المفسرين والعلماء في المتن ، أو في الحاشية ، و لم أستثن ذلك إلا نادراً ، لأمر يقتضيه المقام .

١١. أذكر اسم المرجع أو المصدر في أول موضع يرد في الرسالة ؛ بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف كاملين وتاريخ وفاته غالباً ، وإن تكرر اسم المصدر أو المرجع ، أكتفي بذكر اسم الكتاب أو المؤلف مختصراً .

أخيراً أذيل الرسالة بعدة فهارس عامة ، تسهل للقارئ الرجوع إلى المطلوب ، من غير تكلُّف أو عناء ، ملتزمةً في ترتيبها حروف المعجم ، باعتبار الحرف الأول للكلمة ، عدا فهرس الآيات القرآنية فعلى حسب ترتيب سور القرآن الكريم ، وفهرس الشواهد الشعرية فعلى القافية ، وفهرس الموضوعات فعلى حسب ترتيبها في البحث .

مفتاح الرموز والمختصرات المستخدمة في البحث :

من باب الاختصار والإيجاز أستخدم في الرسالة عدة رموز ومختصرات متعلقة بالمصادر والمراجع ، وذلك بعد ذكر المصدر والمرجع كاملاً في أول ذكر له في الرسالة ، ومن المختصرات في الرسالة :

أولاً : أكتفي تارة أخرى بذكر المؤلف دون ذكر كتابه ، فأقول مثلاً :

السمرقندي أي : في تفسيره : (بحر العلوم) .

الثعالبي أي : في تفسيره : (الجواهر الحسان) .

الآلوسي أي : في تفسيره : (روح المعاني) .

وهكذا بقية أصحاب كتب التفسير .

وإن كان العزو من كتب أخرى لهم فأسميها ، فأقول مثلاً : البغوي في تفسيره ، والبغوي في شرح السنة ، والزمخشري في أساس البلاغة .. وهكذا .

ثانياً: أختصر كثيراً اسم المصدر أو المرجع ، فأقول مثلاً :

تفسير (فلان) ، فلا أذكر اسم الكتاب كاملاً ، بل أنسب التفسير إلى مؤلفه ، فأقول مثلاً : تفسير البغوي ، أو تفسير البيضاوي ، أو ابن أبي زمنين .. ونحو ذلك .

ثالثاً : أذكر أحياناً اسم الكتاب دون مؤلفه ، نظراً لاشتهاره به ، فأقول مثلاً :

المحرر الوجيز ، أي : لابن عطية .

الكشاف ، أي : للزمخشري .

التحرير والتنوير ، أي : للطاهر بن عاشور .

والبداية والنهاية ، أي : لابن كثير .

ولسان العرب أي : لابن منظور .

وتهذيب اللغة ، أي : للأزهري .

ومقاييس اللغة : أي : لابن فارس ... وهكذا .

رابعاً : أختصر أحياناً اسم الكتاب ، فأقول مثلاً :

السِّير ، أي : سير أعلام النبلاء .

التَّقريب ، أي : تقريب التهذيب .

تاريخ البخاري ، أي : التاريخ الكبير للبخاري ... وهكذا .

الدراسات السابقة:

لقد وصل ابن جُزيّ رحمه الله إلى مكانة علمية مرموقة ، وكان لكتابه قيمة علمية عالية جذبت أنظار طلبة العلم فتسابقوا في استخراج كنوز هذا العلم – وإن كان هذا متأخراً – ، والغوص في أعماقه لاستخراج كنوز العلم والمعرفة ، وفي خلال بحثي وجدت عدة موضوعات ورسائل وبحوث تتعلق بهذا الإمام العلم ، فكان من أبرزها وأشملها :

١. **ابن جُزيّ وجهوده في التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)** ، أعدَّها الباحث / **عبد الحميد محمد ندا** ، رسالة ماجستير [1] في جامعة الأزهر ، نوقشت في صيف

(١) ذكر الزُّبيري في رسالته : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير (١ / ١٩ – ٢٩) – التي سأذكرها بعد قليل – أن هذه الرسالة

١٤٠٠ هـ .

٢. **ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير** (دراسة مُسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جُزيّ ، وتوضيح مُفصَّل لمنهجه في تفسيره : التسهيل لعلوم التنزيل) : أعدها الباحث / علي محمد **الزُّبيري** رحمه الله ، وهي رسالة أعدها الباحث لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلية القرآن الكريم ، قسم التفسير ، نوقشت في ١٤٠٣ هـ ، هذه الرسالة مطبوعة (ط ١) في مجلدين ، عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ، دار القلم .

٣. **ابن جزئ ومنهجه فى التفسير من خلال كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل)** ، أعدَّها الباحث : **عبد الرحمن مسعد على بركة** ، جامعة سبها ، ليبيا ، 1994م .

٤. **ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير** ، للباحث / فراس يحيى عبد الجليل **الهيتي** ، رسالة ماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، العراق ، ١٩٩٥م .

٥. **ابن جُزيّ الكلبي ومنهجه في التفسير** ، للباحث / إقبال عمر **محجوب** ، رسالة ماجستير في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، كلية القرآن الكريم ، ٢٠٠١م .

٦. **قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره - دراسة تطبيقية -** ، أعدَّها الباحث : **عبد الله حمد الجمعان** ، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود ، إشراف : أ . د . : عبد الرحمن إبراهيم المطرودي ، نوقشت في عام ١٤٢١ هـ [1] .

✍ **وأول العقد المبارك من ترجيحات ابن جُزيّ في جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ، شعبة التفسير وعلوم القرآن - والتي تعتبر رسالتي هذه جزءً منه - كانت رسالة الدكتوراه للباحث : عبد الحي بن دخيل الله بن مسلم المحمَّدي ، إشراف : أ . د . عبد الله بن علي الغامدي ، نوقشت عام ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م . (من أول سورة العنكبوت وحتى آخر سورة غافر) .**

هي أول بحث ظهر يتناول ابن جُزيّ من خلال تفسيره في حدود علمه ، والله أعلم . وذكر عدَّة ملاحظات ومآخذ على هذه الرسالة شكلية وموضوعية .

(١) توجد نسخة من هذه الرسالة في مكتبة الملك فهد الوطنية .

وهناك موضوعات ورسائل جامعية أخرى لم تتعرض واحدة منها – حسب علمي – لجانب التفسير عند الإمام ابن جُزيّ [1] .

شكر وتقدير وعرفان :

وأنا على مشارف انتهاء رسالتي المتواضعة هذه أحمدُ من لا يكون الحمد الكامل إلا له ، الحمد على جميع نعمه ظاهرها وخفيها ، جليلها ودقيقها ، فما أصبح بنا من نعمة أو أحد من خلقه فمنه وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [2] أحمده ﷻ حمداً أورد

---

(١) ومن هذه الموضوعات والرسائل ما يلي :

١. **موقف ابن جُزيّ الكلبي الأندلسي من المعتزلة في تفسيره لكتاب التسهيل لعلوم التنزيل** ، **لعبد المجيد المحتسب** . مقال في مجلة دراسات (الجامعة الأردنية) ، علوم الشريعة والقانون، المجلد ١١ العدد ٤ تشرين الثاني ١٩٨٤ **م** .

٢. **ابن جُزيّ الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي** ، رسالة أعدها الباحث : **سليمان أبي الريش** ، لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر ، كلية الدعوة وأصول الدين بالقاهرة ، قدِّمت سنة ١٣٩٥ هـ . (ذكرها الزبيري في رسالته (١ / ١٨) .

٣. **البلاغة القرآنية في تفسير التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ محمد بن أحمد بن جُزيّء الكلبي** ، وهي رسالة أعدها الباحثة : **هدى أحمد محمد زين** ، لنيل درجة الدكتوراه في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة ، سنة ٢٠٠٧ م ، إشراف : أ . د / عبد الفتاح لاشين ، أ . د / محمد حسن شرشر .

٤. **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبي (المتوفى سنة ٧٤١ هـ) : دراسة نحوية** ، أعدها الباحث : **طاهر عبد الحي محمد شبانة** ، لنيل درجة الدكتوراه في جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، إشراف : أ . د : أحمد محمد عبد الدائم .

٥. **استدراكات الفقيه ابن جُزيّ على القاضي ابن عطية في تفسير القرآن** ، أعدها الباحث : **شايع بن عبده الأسمري** ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١١٢ .

٦. (**تخريج الأحاديث و الآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل**) **للدكتور سامي بن مساعد الجهني** ، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .

٧. **محمد بن أحمد جزى الكلبى وأثره فى الفقه والقضاء، من الموضوعات المسجلة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .**

٨. **رسالة مسجلة بعنوان : (جهود ابن جُزيّ الكلبي في التفسير والبلاغة واللغة من خلال التسهيل لعلوم التنزيل)** للباحث **محمد عينو** ، إشراف د . عز الدين المعيار لنيل الدكتوراه من كلية اللغة العربية بمراكش سجل الرسالة ١١ نوفمبر ٢٠٠٤ م ، وستتم مناقشته قريباً إن شاء الله .

(٢) سورة النحل : ٥٣ .

به موارد الفضل والإحسان ، وأشكره شكراً أستمطر به سحائب الكرم والامتنان .

ثم أثني بالشكر والامتنان إلى **الوالدين الحبيبين** ، من غمراني بحبهما وأغدقا علي من حنانهما ، ولا يكفان عن الدعاء لي ؛ وما بلغني ربي المنعم هذا المقام إلا ببركة دعائهما لي ، أسأل الله أن يعلي مقامهما في الدنيا والآخرة ، وأن يقر عيونهم بي وبإخوتي ، وأن يكرمهما ربي الكريم الحنان المنان .

وأثلث بالشكر **لزوجي الدكتور فاضل كمال** على وقوفه بجانبي ، يدعمني ويسندني ، وأن يسامحني عن أي تقصير في حقه كان رغماً عني ، وأدعو له بما يحب أن أدعو له دائما : أن يرزقه الله عيش السعداء في الدارين ، وله مني كل شكر وتقدير وعرفان .

ثم كل الشكر .. وكل التقدير .. وكل الثناء العطر ، والعرفان بالجميل ، للشيخ الفاضل الجليل **فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / عبد العزيز عزت** ، الذي وافق مشكوراً على أن يتولى الإشراف على هذه الرسالة ، ومن حسن حظي أنه أشرف على رسالتي للماجستير واليوم على رسالة الدكتوراه و لم أجد منه إلا كل حفاوة وتقدير ، سهل التعامل دؤوب حريص على عمله ، لا تقصده إلا وجدته في انشراح وارتياح وترحاب ، يشهد له بذلك كل طلابه وطالباته ، فيعطي ثمين وقته ، بل وقته كله لمن يسترشده ، ليس هذا فحسب ؛ بل ويقدم كل دعم نفسي ومعنوي ؛ يشحذ دائماً من همتي ويشد عضدي ، فأشكره جزيل الشكر .. وأسأله ﷻ أن يبارك في علمه وعمله ، ويخلفه خيراً في أبنائه وأحفاده ، وأن يجعل ما تعلمناه منه نوراً في صحائف أعماله يفرح بها يوم الدين .

كما لا يفوتني أن أشكر هذه الجامعة الغرَّاء ، التي فتحت ذراعيها لطلاب العلم وأخذت بأيدينا يداً بيد لننهض بأمتنا ، تلكم هي **جامعة أم القرى** ، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين ، عميداً ووكلاء وإداريين ، وقسم الكتاب والسُّنة رئيساً وأساتذة ، وأخص منهم : من قام بتعليمي وتدريسي في السنة المنهجية ، فجزى الله جميع معلميّ الخير خير الجزاء .

ولجامعتي الحبيبة **جامعة الملك عبد العزيز** التي ابتعثني لأطلب العلم ، وأخدم ديني وأنفع أمَّتي ؛ فجزى الله القائمين عليها ، وكل من كان له دورٌ في تيسير هذا الابتعاث .

والشكر الجُزيّل والثناء العاطر للشيخين الكريمين :

فضيلة أ . د / فهد بن عبد الرحمن الرومي ، فضيلة أ . د / ورداني عبد الراضي حمودة .

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتكبدا مشاقَّ قراءتها ، وإعطائها من وقتهما رغم انشغالهما وكثرة أعبائهما ، فجزاهما الله خيراً ، وجعل ذلك في ميزان حسناتهما وأجزل لهما المثوبة وأعظم لهما الأجر .

وإلى كلِّ الأهل والأحباب والأخوات في الله وكل من كان له عليَّ فضل ، ممن خصَّني بدعوةٍ في ظهر الغيب ، أو غمرني بجميل سؤال وحسن اهتمام ، أو أعانني برأي أو نصح أو إرشاد ، وإلى كلِّ الحضور الذين جاؤوا مشكورين لمشاركتي هذه المناسبة أقول لهم : جزاكم الله خيراً على قدومكم ومشاركتهم .

وفي ختام كلامي أود أن أقول : إن أصبت فبفضل من الله وتوفيق ومنة ، وإن أخطأت فحسبي أني بشر أجتهد فأخطأ وأصيب ، وأسأل الله الإخلاص والقبول ، وأن يعينني على الاهتداء بهدي كتابه ، واستخراج كنوزه ، وأن نكمل السَّير على الطريق ، فما بدأه أئمتنا الأفاضل من تفسير لكتاب الله بما يلائم عصرهم وزمانهم أن نكمله نحن بما يلائم عصرنا وزماننا فكتاب الله قائم إلى قيام الساعة ، وهو الصالح لكل زمان ومكان وهو السبيل لتجديد عزِّ الإسلام ومجده التليد .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ،،،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،

هناء عبد الله سليمان أبوداود

قسم الكتاب والسُّنة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

في : 12 / 4 / ١٤٣٠هـ

القسم الأول

التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه :
(التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح

قال **لسان الدين ابن الخطيب** : كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيهاً حافظاً ، قائماً على التدريس مشاركاً في فنون من العربية ، والفقه ، والأصول والقراءات ، والحديث ، والأدب ، حُفظَةً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جمَّاعة للكتب ، ملوكى الخزانة ، حسن المجلس ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن

الباب الأول

التعريف بابن جُزيّ بإيجاز

وفيه فصلان :

الفصل الأول
حياة ابن جُزيّ الشخصية

الفصل الثاني
حياة ابن جُزيّ العلمية

الفصل الأول

حياة ابن جُزيّ الشخصية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته ولقبه .

المبحث الثاني : مولده ، ونشأته .

المبحث الثالث : معتقده ومذهبه .

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته وشهرته

اسمه:

هو محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف [(١)] بن جُزيّ الكلبيُّ الأندلسيُّ [(٢)] .

وهو معروف بمحمد بن جُزيّ ، ويقال له : محمد الكلبيُّ ، ومن اللطائف أن ابنه (محمد) يشاركه في هذه التسمية ، وهو كاتب أديب ، كما يشاركه فيها جده العلاَّمة الوزير ، فكل منهم يعرف بمحمد بن جُزيّ [(٣)] .

ولكن إذا قيل : محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ . فإنه يتميز عن ابنه وجده بلا نزاع .

---

(١) وقيل : يوسف بن سعيد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي . ذكر ذلك **لسان الدين** ابن الخطيب (أبو عبد الله ابن سعد بن أحمد السلماني ت ٧٧٦ هـ) في ترجمة ولده أحمد في **الإحاطة في أخبار غرناطة** (١ / ٥١) ، وذكر إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣ / ٤٧) أن اسم أبيه (إبراهيم) وقد أبعد النجعة في ذلك .

(٢) ينظر ترجمة الإمام ابن جُزيّ رحمه الله في :
الإحاطة : ٣ / ١٠ - ١٣ ، **الديباج المذهب** في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد **بن فرحون** اليعمري المالكي (ت ٧٩٩ هـ) : ١ / ٢٩٢ ، غاية النهاية في **طبقات القراء** لأبي الخير ، محمد بن محمد بن محمد بن علي **ابن الجزري** الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) : ٢ / ٧٥ ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** للحافظ أحمد بن علي ، المشهور **بابن حجر** العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : ٥ / ٨٨ ، ٨٩ ، **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) : ٥ / ٥١٤ - ٥٤٠ **وشذرات الذهب** : ٦ / ٢٨٦ ، **وهدية العارفين** (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون) لإسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩ هـ) : ٦ /١٦٠ ، **فهرس الفهارس** والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير **الكتاني** (ت ١٣٨٣ هـ) : ١ / ٣٠٦ ، **معجم المؤلفين** لعمر رضا **كحالة** (ت ١٤٠٧ هـ) : ٩ / ١١ ، **الأعلام** لخير الدين الزِّركلي : ٥ / ٣٢٥ .
وفي الرسائل الجامعية : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير) للدكتور علي محمد الزُّبيري رحمه الله (١ / ١٣٩ وما بعدها) وهي دراسة مُسهبة تحليلية لابن جُزيّ وكتابه التسهيل ، وهي رسالة لنيل الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٣) كما سيأتي في ترجمة ولده محمد بن جُزيّ ، وأما جدُّه فقد ذكره لسان الدين ابن الخطيب ذكراً عابراً في ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم اللخمي الرندي (ت ٧٠٨ هـ) وهو يعدد مشايخ ابن الحكيم والمجيزين له في الإحاطة (٢ / ٣١٥) فقال : " ومنهم : الفقيه ، العلاَّمة الوزير ، أبو القاسم ، محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ين جُزيّ الكلبي " .

هل هو ابن جُزيّ أو ابن جُزيء ؟

ذكر **الوادي آشي** في برنامجه جدهُ (محمد) فجعله **ابن جُزيّ** ، بالجيم والزاي والياء مصغَّراً [(١)] . وترجمَ له **لسانُ الدين بنُ الخطيب والمقّري** وضبطوه **ابن جُزيّ** [(٢)] . وذكر **ابن حجر** أنه ابن **جُزيّ** .

وفي ترجمة ولده (أحمد) : قال **ابن حجر** : **جُريّ** – بالجيم والرّاء مصغّراً وآخره تحتانية ثقيلة – [(٣)]. وقال **السُّيوطي** : **ابن جُزيّء** – بضم الجيم وبالزاي ثم بالياء المشددة ، وبعدها همزة – [(٤)]، أما **البغدادي** فذكر أنّه **ابن جزى** ، و لم يضبطهُ [(٥)] .

---

(١) ينظر : برنامج الوادي آشي لمحمد بن جابر الوادي آشي (ت ٧٤٩ هـ) : ٩٩ .
والوادي آشي هو : محمد بن جابر بن محمد بن قاسم ، أبو عبد الله ، شمس الدين الوادي آشي : فاضل أندلسي نسبته إلى وادي آش Guidix ، ووفاته بغرناطة سنة ٧٤٦ هـ . ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٢٤ ، الديباج : ١ / ٣١١ ، غاية النهاية : ٢ / ٩٥ .

(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ ، نفخ الطيب : ٥ / ٥٤٠ .
ولسان الدين ابن الخطيب ستأتي ترجمته في تلاميذ ابن جُزيّ رحمه الله .
والمقري هو : أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى ، أبو العباس المقري التلمساني : المؤرخ الاديب الحافظ ، صاحب (نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب) في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي . ت سنة ١٠٤١ هـ . ينظر : تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) لأبي الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت ٧٩٣هـ) : ١ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، هدية العارفين : ٦ / ١٦٠ ، الأعلام : ١ / ٢٣٧ .

(٣) ينظر : الدرر الكامنة لابن حجر : ١ / ٣٤٧ ، ٥ / ٨٨ .
وابن حجر هو : أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حَجَر – وهو لقب لبعض آبائه– : من أئمة العلم والتاريخ ، وهو إمام منفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة . أصله من عسقلان (بفلسطين) ، وتصانيفه كثيرة جليلة . ت سنة ٨٥٢ هـ . ينظر : الدُّرر الكامنة : ٥ / ١ للناشر ، شذرات الذهب : ٤ / ٢٧٠ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني : ١ / ٨٧ .

(٤) ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : ١ / ٤٥٦ .
والسيوطي هو : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، أبو الفضل ، إمام محدث مؤرخ أديب برز في جميع الفنون وفاق الأقران ، صاحب التصانيف المشهورة ، ت سنة ٩١١ هـ . ينظر : شذرات الذهب : ٨ / ٥١، ٥٢ ، البدر الطالع : ٣٢٨ – ٣٣٥ ، الأعلام : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٥) ينظر : إيضاح المكنون للبغدادي : ٣ / ٤٧ .
والبغدادي هو : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي : عالم بالكتب ومؤلفيها ، باباني الأصل بغدادي المولد والمسكن . ت سنة ١٣٣٩ هـ . ينظر : الأعلام : ١ / ٣٢٦ .

وهو **ابنُ جُزيّ** عند كحالة [١] .

إنّ هذا الخلاف في نسب المؤلف يمكن حصرهُ في دائرة أضيق ليكون على النحو الآتي :

١. ابن جُزيّء ، كما في بغية الوعاة ، وبتسهيل الهمز يصبح ابن جُزيّ كما أورده الوادي آشي في برنامجه ، والمقري في نفح الطيب .
٢. ابن جُزيّ كما في معجم المؤلفين .
٣. ابن جُرَيّ كما ورد عند ابن حجر في الدُّرّر – وهو خطأ – [٢] .

- وذُكر في رسالة ماجستير [٣] أن **السُّبكي** ذكره في نيل الابتهاج مهموزاً (جُزيّء) – بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة – و لم يضبطه بهذا اللفظ إلا السُّبكي ، وأنه تبعه أحد الباحثين المعاصرين [٤] .

لكنني عند البحث في كتب التعريف بالكتب لم أقف على كتاب **للسُّبكي** باسم : (نيل الابتهاج) وما وقفت عليه هو كتاب : (نيل الابتهاج بتطريز الديباج في تراجم المالكية **للتنبكتي** [٥]) .

- وذُكر في هذه الرسالة أيضاً أن القول بأن : ابن جُزيّء هذا غير صحيح ؛ لأن (جُزيّ) تصغير لاسم (جز) وهو جز بن أبي بكر كما جاء في كتاب الأنساب **للسمعاني** ،

---

(١) ترجم له عمر رضا كحالة مرتين ، مرة باسم : محمد بن جُزيّ ، ومرة باسم محمد الكلبي ؛ وهما شخصية واحدة ينظر : معجم المؤلفين لكحالة : ٨ / ٢٨٥ ، ٩ / ١١ .

(٢) قاله الزُّبيري ، ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤٣ .

(٣) هي : (قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره – دراسة تطبيقية) لعبد الله حمد الجمعان ، وهي رسالة لنيل الماجستير من جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٢١ هـ : ١٤ .

(٤) ذكر صاحب الرسالة السابقة أنه : عبد الرحمن علي بركة في كتابه : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير) :٨٣ .

(٥) **السُّبكي** هو : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر : قاضي القضاة ، المؤرخ ، الباحث ، ولد في القاهرة ، وانتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها وتوفي بها ، نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) ، وكان طلق اللسان ، قوي الحجة ، ت بالطاعون سنة ٧٧١ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٣ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، شذرات الذهب : ٦ / ٢٢١ ، البدر الطالع : ١ / ٤١٠ .

و**التنبكتي** هو : أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني ، أبو العباس : مؤرخ ، من أهل تنبكت Tombouctou في إفريقية الغربية ، أصله من صنهاجة ، من بيت علم وصلاح ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، وكان شديدا في الحق لا يراعي أحدا . ت سنة ١٠٣٦ هـ . ينظر : الأعلام : ١ / ١٠٢ .

وأما ضبطه بالهمز فإنما هو تصغير (جزء) ..

- ووجدت السمعاني قد ذكر في إحدى تراجمه عن رجل بالأندلس ، فقال :

" الجَزِّيّ : - بفتح الجيم وكسر الزاي المشددة ، هذه النسبة إلى جز ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه ... كان **جده جز بن بكر** فيمن دخل الشام مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه " . اهـ [1] .

وعلى قول السمعاني يكون ابن (جَزيّ) - بالفتح - وليس (ابن جُزيّ) - بالضم - .

✌ واعتقد أن هذا ليس صواباً :

- **فالتسمية بـ (ابن جُزيّ) مشهورة عند العرب** [2] .
- **كما أن أغلب كتب التراجم خاصة من عاصروه وتلقوا عنه وهو لسان الدين بن الخطيب ترجموا له فقالوا : (ابن جُزيّ) وهو الراجح . والله أعلم .**

✍ نسبه [3] :

إن ابن جُزيّ ينحدر من أصل عربي قُحّ [4] ، من قبيلة كلب اليمانيَّة [5] ، وهذه النسبة إلى كلب بن وبَرَة بن تغلب ابن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، التي يرجع نسبها إلى حمير [6] .

---

(١) ينظر : الأنساب : ٢ / ٥٨ .

(٢) قاله الزُّبيري ، ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤٣ .

(٣) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤٤ .

(٤) **القحُّ** هو : المحض الخالص . ينظر (مادة : قحح) في : لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي : ٢ / ٥٥٣ ، تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي : ٧ / ٣٧ .

(٥) ينظر : **الأنساب** لعبد الكريم السمعاني : ٥ / ٨٥ .

والسمعاني هو : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي ، أبو سعد : مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث . ت سنة ٥٦٢هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٢٢ / ١٠٧ - ١٠٩ ، الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) : ١٩ / ٦٠ ٦١ ، طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) : ٢ / ١٢ ، ١٣ .

(٦) ينظر : جمهرة أنساب العرب لعلي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) : ٢ / ٤٤٠ ، الأعلام : ٥ / ١٩٩ .

ويعود تاريخ استقرار سلف ابن جُزيّ بالأندلس إلى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة حيث نزل أحد أجداده بثغر (ولبه) [١] ؛ جنوب غرب إشبيلية ، بين سنة ١٢٥ هـ وسنة ١٢٧هـ . ويظهر أن هذه الأسرة تنقلت بين عدة مدن أندلسية قبل استقرارها **بغرناطة** [٢] ، وأن مدينة (جيان) [٣] كانت إحدى محطاتها في منتصف القرن السادس للهجرة ، وذلك كما يشير هو نفسه في هذا الكتاب أن أحد أجداده ؛ أبا بكر يحيى بن عبد الرحمن كان قاضياً بتلك المدينة سنة ٥٤٠ هـ [٤] .

كنيته وشهرته :

يكنى أبا القاسم ، واشتهر بابن جُزَيّ – مصغراً – بضم الجيم المعجمة وفتح الزاي – ، ويبدو أنه اسم لأحد أجداده [٥] .

---

(١) **وَلْبَة** أو **أُولْبَة** أو **غَالِبَة** (من اللاتينية : أُولُوبَا ، من الفينيقية : أُولُوسْ بَعْل أي قلعة بعل ، وهي حاليًا بالأسبانية : (Huelva) هي مدينة تقع في جنوب غرب إسبانيا ، وعاصمة مقاطعة ولبة في منطقة الأندلس ذاتية الحكم . تقع على ساحل خليج قادس في المحيط الأطلسي ، عند التقاء نهري وديال ولبلة . كانت المدينة تعرف بـ (أونوبا) في فترة الحكم الروماني ، وبـ (أَوْنَبة) – بالفتح ثم السكون وفتح النون وباء موحدة – في فترة الحكم العربي . ينظر : الموسوعة الحرة . قال **أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الحموي** في **معجم البلدان** (١ / ٢٨٣) : " قرية في غربي الأندلس على خليج البحر المحيط ، بها توفي أبو محمد أحمد بن علي بن حزم الإمام الأندلسي الظاهري صاحب التصانيف " .

(٢) **غَرْناطة** هي : – بفتح أوله وسكون ثانيه ثم ونون بعد الألف طاء مهملة – (Granada بالأسبانية) . قيل : الصحيح أغرناطة بالألف في أوله أسقطها العامّة كما أسقطوها من البيرة فقالوا : لبيرة ، وقيل : غرناطة بغير ألف ومعنى غرناطة : رمانة بلسان عجم الأندلس ، سمي البلد لحسنه بذلك . وهي أقدمُ مدُن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها . ينظر : معجم البلدان : ٤ / ١٩٥ .

(٣) **جَيَّانُ** : – بالفتح ثم التشديد وآخره نون – (Jaén بالأسبانية) هي مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ، وهي مدينة وعاصمة مقاطعة تقع في جنوب أسبانيا وفي الشمال الغربي لإقليم الأندلس ذاتي الحكم . يبلغ عدد سكنها ١١٧.٥٤٠ نسمة ؛ إي : ما يعادل سدس سكان المقاطعة . تحمل جيَّان شعار العاصمة العالمية لزيت الزيتون وذلك لانتشار هذه الصناعة بها . ينظر : معجم البلدان : ٢ / ١٩٥ ، الموسوعة الحرة .

(٤) ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي الدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي ، أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا (عام ١٤٢٧ هـ) : ٢٠ .

(٥) ينظر : تاريخ مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) : ٢ / ٢٨٧ ، الأعلام : ٥ / ٢٣٠ ، ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٤١ ، ١٤٢ .

المبحث الثاني : مولده ونشأته

✍ مولده :

ولد محمد بن أحمد بن جُزيّ في يوم الخميس التاسع من ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة هجرية ، في مدينة غرناطة عاصمة الأندلس آنذاك [١] .

✍ نشأته :

نشأ ابن جُزيّ في غرناطة في بيت علم عريق في الأصالة ، والحسب ، والنسب ، والشرف ، والعلم ، قال **لسان الدين ابن الخطيب** : " من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها " [٢] ؛ إذ كان والده يعتبر من علماء الأندلس في ذلك الوقت ، ولعل ابن جُزيّ قد أخذ عن والده وذلك أن لوالده طلباً وسماعاً ، قال **ابن حجر** : " كان من أهل الأصالة والذكاء ... وكان محموداً ، وله طلب وسماع " [٣] .

وفي **نفح الطيب** : " وبيت بني جُزيّ بيت كبير ، مشهور بالمغرب والأندلس " [٤] .

فكانت لهذه البيئة العلمية الأصيلة أثر في عكوفه على طلب العلم منذ صباه ، حيث بدأ بتعلم القرآن الكريم في ما كان يسمى بالكتاتيب ؛ وتسمَّى في عرفهم بالمكاتب واحدها مكتب ، والتي كانت منتشرة في بلاد الأندلس ، وكان الأندلسيون يبدؤون بقراءة **ورش** عن **نافع** ويفردونها في القراءة ، حتى إذا انتهوا من القرآن كله انتقلوا إلى بقية القراءات السبع [٥] .

---

(١) ينظر : نفخ الطيب : ٥ / ٥١٦ . ولم يذكر في الإحاطة سنة مولده . والأندلس هي أسبانيا حالياً .
(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ .
(٣) ينظر : الدرر الكامنة : ١ / ٣٢٦ .
(٤) ينظر : نفح الطيب : ٧ / ٢٨٢ .
(٥) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٨٦ .
ونافع هو : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم ، أبو رويم المدني ، إمام أهل المدينة في القراءة ، من العباد الفقهاء ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، ت سنة ١٦٧ هـ . ينظر : المعارف لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) : ٥٨٢ ، الفهرست لمحمد بن إسحاق ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) : ٤٢ ، السِّير : ٧ / ٣٣٦ - ٣٣٨ . =

وتشير المصادر إلى أنه كان يملك مكتبة ضخمة متنوعة ، وأنه كان عاكفاً عليها مستفيداً منها حيث **تَضَلَّعَ** [1] من المعارف المختلفة كالقراءات ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، وأصول الدين ، وقد كان إضافة إلى ذلك شاعراً أديباً .

تولى الخطابة في ريعان شبابه بالجامع الأعظم بغرناطة ، فوفق في استمالة القلوب ، وتوجيه الناس بالأسلوب الحسن ، والبراعة والمنطق .

كان مشتغلاً بالعلم تحصيلاً وتأليفاً ، وبالعمل حتى بلغ الغاية القصوى في العلم والعمل . وأصبح بعد ذلك من مفتيي الأندلس ، ومن العلماء البارزين الذين لهم مكانة عالية ومقاماً محموداً وسيرة حسنة [2] .

= **وورش** هو : عثمان بن سعيد بن عدي المصري : من كبار القراء ، غلب عليه لقب (ورش) لشدة بياضه أصله من القيروان ، ومولده ووفاته بمصر سنة ١٩٧ هـ . ينظر : السِّير : ٩ / ٢٩٥ ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ١/ ٨٨ - ٩٤ ، غاية النهاية : ١ / ٤٤٦ .

(١) **تَضَلَّعَ** أي : امتلأ ما بينَ أضْلاعِه شِبَعاً وريَّاً ، أو تَضَلَّع : امتلأ رِيَّاً حتى بَلَغَ الماءُ أضْلاعَه فانْتَفخَتْ من كَثْرَةِ الشُّرْب . قال ابن فارس : " أي أن الشيء من كثرته ملأ أضلاعه " . فذلك كناية عن تكثره من العلوم المتنوعة . ينظر (مادة : ضلع) في : مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد **بن فارس** بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) : ٣ / ٣٦٩ ، لسان العرب : ٨ / ٢٢٥ ، تاج العروس : ٢١ / ٤٢٦ .

(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ - ١٣ ، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين ابن الخطيب أيضاً : ١ / ٤٦ .

المبحث الثالث : معتقده ومذهبه

احتلت العقيدة [1] الإسلامية أهمية عظمي في دين الله ؛ فالتمسُّك بالعقيدة السلفية الصحيحة الصافية النقية ، الموروثة عن سلفنا الأوائل ﷺ أجمعين ، العقيدة العظيمة القائمة على الكتاب والسنة واتباع سلف الأمَّة ، **هو غاية المسلم ؛ كيف لا ورأس أمرها التوحيد الذي لا يقبل الله تعالى عملا صالحاً من العبد إلا بعد أن توجد هذه العقيدة الصحيحة في قلبه وتستقر في نفسه ، وإلا ذهبت أعماله أدراج الرياح** . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ . [سورة النحل : ٩٧] . وهي عقيدة واضحة لا لبس فيه ولا غموض ولا صعوبة ولا فلسفة مضلة ، بل كانت تعرض على البدوي فيفهمها ويقتنع بها ثم ينطلق بها إلى قومه وعشيرته فيؤمنون بها ، ويضروون تحت لوائها .

ومعرفة عقيدة المفسِّر شيءٌ مهم جداً ؛ إذ هي في الغالب منطلق كل باحث وكاتب ، والعقيدة لأي مفسِّر هي القاعدة الفكرية التي على أساسها يبني المفسر ، وعلى ضوئها ينهج .

---

(١) قال الفيومي : " و (اعتقدت) كذا (عقدت) عليه القلب و الضمير ، حتى قيل : (العقيدة) ما يدين الإنسان به ، وله (عقيدة) حسنة سالمة من الشك . ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) (عقدت) : ٢ / ٤٢١ .

والعقيدة في الاصطلاح : هي جملة من الأمور التي تصدق بها النفوس ، وتطمئن إليها القلوب ، وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك . ولذا تدور مادة (عقد) في اللغة على اللزوم والتأكيد والاستيثاق قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ... ﴾ .[سورة المائدة : ٨٩] . والعقيدة ليست أموراً عملية بل هي أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه ؛ لأنها جاءت عن طريق الكتاب والسنة . وأصول العقائد التي أمرنا الله ﷻ باعتقادها هي التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأله عن الإيمان فقال ﷺ : « ... أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ... » . أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم . فهي – أي العقيدة – تدور حول قضايا معينة أخبرنا بها الله تعالى ورسوله عليه السلام . ولم يكن للعقيدة مصطلح مستقل عند الأولين . وقد أطبق علماء الإسلام قديماً وحديثاً على استعمال كلمة (عقيدة) و (اعتقاد) في المسائل العلمية التي صحَّ بها الخبر عن الله ورسوله ﷺ ، والتي يجب أن ينعقد عليها قلب المسلم . وعليه ، فلا مشاحة في الاصطلاح ، إذا المعنى متفق عليه .

معتقد ابن جُزيّ :

نهج ابن جُزيّ رحمه الله **منهج السَّلف الصَّالح** ، ونحا منحى **أهل السُّنة والجماعة** في تقرير الأمور العقدية ، فنراه يميل بالجملة إلى الإيمان بالأسماء والصفات بلا تكييف ، ولا تشبيه ولا تأويل ، ولا تعطيل ، ويرد علم حقيقتها إلى الله ، وقد يطلق عليها أنها من المتشابه الذي يجب الإيمان به ، ولا يعلم حقيقته إلاَّ الله ، وقد أورد في كتابه (القوانين الفقهية) ما يدل على ذلك حيث قال :

(((تنبيه) :

ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ...عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ ... بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ... ﴾ [2] ، وكحديث نزول الله كل ليلة إلى سماء الدنيا وغير ذلك ، وهي كثيرة تفرق الناس فيها ثلاث فرق : (الفرقة الأولى) : السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ؛ آمنوا بها و لم يبحثوا عن معانيها ، ولا تأولوها بل أنكروا على من تكلم فيها ﴿ ... وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ... ﴾ [3] ، وهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين ...)) . اهـ [4] .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] قال : ((وهذه الآية وأمثالها من المشكلات ؛ التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل)) . اهـ [6] .

---

(١) سورة طه : ٥ .
(٢) سورة المائدة : ٦٤ .
(٣) سورة آل عمران : ٧ .
(٤) القوانين الفقهية لابن جُزيّ : ١٣ .
(٥) سورة الفجر : ٢٢ .
(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٤ / ١٩٨ .

وردَّ على الفرق المخالفة في مجال العقيدة من : **المعتزلة** [1] وغيرهم ، منتصراً لمذهب أهل السُّنة والجماعة [2] ، ورجَّح مذهب السَّلف في كثير من المسائل ؛ منها :

١. صفتي الحياء والعجب [3] .

٢. خلق الجنة والنار [4] .

٣. ثبوت الشفاعة [5] .

---

(١) **المعتزلة** : فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (٨٠هـ - ١٣١هـ) في البصرة (في أواخر العصر الأموي) ، وقد ازدهرت في العصر العباسي ، اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم و قدموه على النقل ، و قالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي .
سبب التسمية : في اعتزال واصل بن عطاء مجلس شيخه الحسن البصري يقول : إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ويثبت المنزلة بين المنزلتين ، فقال الحسن البصري : (اعْتزِلنا واصل) ؛ فسمُّوا معتزلة . ولهم أصول خمسة اتفقوا عليها وهي : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة هي محل اختلاف بينهم ؛ منها : نفي رؤية اللهﷻ في الدنيا والآخرة .
والمعتزلة على تعدد فرقهم متفقون جميعاً على نفي صفات الله الأزلية ؛ فيقولون : إنه عالم بذاته ، قادر بذاته ... إلخ . ويزعمون أنه لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة ، وأنه يستحيل رؤيته ﷻ بالأبصار في الآخرة ، وأنه ﷻ لا يرى نفسه ، ولا يراه غيره ... إلخ . ينظر : الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) : ٩٣ ، الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) : ١ / ٤٥ ، المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) : ٣ / ٦٥٢ ، ٦٧٠ .

(٢) **أهل السُّنة والجماعة** : هُم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ ، وسمُّوا أهل السُّنة ، لأنهم متمسِّكون بها وسُمُّوا (الجماعة) لأنهم الذين اجتمعوا على الحق و لم يتفرقوا في الدين ، واجتمعوا على أئمة الحق ؛ و لم يخرجوا عليهم ، واتبعوا ما أجمعَ عليه سلف الأمة . وأهل السُّنة والجماعة انقسموا بالنسبة لصفات اللهﷻ إلى مذهبين :
١. مذهب السَّلف : وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه ، ووصف به نبيُّه دون تشبيه ، أو تكييف ، أو تعطيل أو تحريف .
٢. مذهب الخلف : - وهو في الأعم الأغلب - مذهب الأشعرية ومذهب الماتريدية ، وهما متقاربان ، وقد أثبتوا بعض الصفات للهﷻ ؛ صفات المعاني كالحياة والعلم والقدرة والإرادة ، وأوَّلوا الصفات الأخرى كالوجه واليد ... لأنها في نظرهم تستلزم التشبيه والتجسيم .
والجميع مقرُّون أن مذهب السَّلف أسلم طريقة ، وأقوم منهجاً ، وإن كان قد ادَّعى بعضهم أن طريقة الخلف أعلم . ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٥٥١ . وينظر : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي : ١ / ٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ .

(٣) ينظر : التسهيل (سورة البقرة : ٢٦ ، الصافات : ١٢) : ١ / ٤٢ ، ٣ / ١٦٩ .

(٤) ينظر : التسهيل (سورة البقرة : ٢٤) : ١ / ٤٢ .

(٥) ينظر : التسهيل (سورة البقرة : ٤٨) : ١ / ٤٧ .

٤. مآل عصاة المؤمنين يوم القيامة [١] .

٥. الاستواء [٢] .

٦. الرؤية [٣] .

ومع ذلك فقد أوَّل هو بعض الأسماء الحسنى كاسمه (النور) [٤] ، وبعض الصفات كقوله تعالى : ﴿ ... بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٦٤] . مغلباً جانب السِّياق والمعنى العام للآية غافلاً عما تنطوي عليه من تقرير الصفة للباري ﷻ كما تليق بجلاله ، و لم يقصد بتأويله نفي الصفة لأنه قرَّر في موضع آخر من تفسيره أن ذلك من المتشابه الذي يجب الإيمان به وردّ علم حقيقته إلى الله .

لقد عرض **ابن جُزيّ** أدلة الربوبية والألوهية [٥] كطريقة القرآن الكريم في أسلوب العرض وإقامة البراهين ، وذكر أنها الأصحُّ والأوضح مما جرى عليه المتكلمون ، ومن ذلك الاستدلال على الخالق ﷻ ؛ كما هو دأب القرآن في كثير من سوره وآياته .

✖ **وأُخذ عليه** [٦] تأثره بما قعده الصوفية من تقسيم التوحيد مثلاً إلى توحيد العامة ، وتوحيد الخاصة ، **ومقام الفناء** [٧] ؛ وجعله هو الغاية القصوى في التوحيد .

---

(١) ينظر : التسهيل (سورة النساء : ٤٨) : ١ / ١٤٤ .
(٢) ينظر : التسهيل (سورة الأعراف : ٥٤ ، سورة طه : ٥) : ٢ / ٣٤ .
(٣) ينظر : التسهيل (سورة القيامة : ٢٦) : ٤ / ١٦٥ .
(٤) ينظر : التسهيل (سورة النور : ٣٥) : ٣ / ٦٧ .
(٥) ينظر : التسهيل (مثلاً : تفسير سورة الإخلاص) : ٤ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٦) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٥٣٠ .
(٧) تكلم ابن القيِّم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي) في كتابه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ١ / ١٥٤ - ١٨٦) عن الفناء بتفصيل وإسهاب كما تعرض له في مواضع عديدة من الكتاب ؛ لأن صاحب المتن (منازل السائرين) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ أكثر من ذكره ، ومما قاله ابن القيم : " وهذا الإسم يطلق على ثلاثة معان : الفناء عن وجود السوى ، والفناء عن شهود السوى والفناء عن إرادة السوى ، فأما الفناء عن وجود السوى فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود ، وأنه ما ثم غير ، وأن غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة ونفى التكثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار ... وأما الفناء عن شهود السوى : فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ، ويعدونه غاية ، وهو الذي بنى عليه أبو إسماعيل الأنصاري كتابه ، وجعله الدرجة الثالثة في كل باب من أبوابه ، وليس مرادهم فناء =

وقد يكون هذا راجعاً إلى تأثره ببيئة الأندلس في عصره ؛ حيث انتشار الطرق الصوفية بين المجتمع الأندلسي ، ولا يعني هذا أننا نصف ابن جُزيّ بالتصوف .

وهكذا نرى أن معتقد ابن جُزيّ في الغالب هو معتقد أهل السُّنة والجماعة [1] .

مذهب ابن جُزيّ :

المعروف أن المذهب الفقهي السائد في المغرب والأندلس هو مذهب **الإمام مالك بن أنس** إمام دار الهجرة ، وكانت كتب المذهب المالكي حتى هذا العصر هي التي تتصدر قائمة الكتب التي تدرس والتي تقتنى ، وابن جُزيّ كواحد من طلاب العلم في عصره نهل مما ينهل

= وجود ما سوى الله في الخارج ؛ بل فناؤه عن شهودهم وحسهم فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده ؛ بل غيبته أيضاً عن شهوده ونفسه ، لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبموجوده عن وجوده ، وبمحبوبه عن حبه ، وبمشهوده عن شهوده وقد يسمى حال مثل هذا سكراً اصطلاحاً ... إلى أن قال (١ / ١٥٥ / ١٥٦) : " وهذا الفناء يحمد منه شيء ، ويذم منه شيء ويعفى منه عن شيء ، فيحمد منه فناؤه عن حب ما سوى الله ، وعن خوفه ورجائه والتوكل عليه والإستعانة به ، والالتفات إليه بحيث يبقى دين العبد ظاهراً وباطناً كله لله ، وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره ، ولا بين الرب والعبد مع اعتقاده الفرق ، ولا بين شهوده ومشهوده بل لا يرى السوى ولا الغير ؛ فهذا ليس بمحمود ، ولا هو وصف كمال ، ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به ؛ بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لعجزه ، وضعف قلبه وعقله عن احتمال التمييز والفرقان ... " وقال (١ / ١٥٧) : " فزوال العقل والتمييز والغيبة عن شهود نفسه وأفعالها لا يحمد فضلا عن أن يكون في أعلى مراتب الكمال ؛ بل يذم إذا تسبب إليه وباشر أسبابه ، وأعرض عن الأسباب التي توجب له التمييز والعقل ، ويعذر إذا ورد عليه ذلك بلا استدعاء بأن كان مغلوباً عليه كما يعذر النائم والمغمى عليه ... وليس أيضا هذه الحال بلازمة لجميع السالكين بل هي عارضة لبعضهم ، منهم من يبتلى بها كأبي يزيد وأمثاله ، ومنهم من لا يبتلى بها وهم أكمل وأقوى فإن الصحابة ﷺ وهم سادات العارفين وأئمة الواصلين المقربين وقدوة السالكين لم يكن منهم من ابتلى بذلك مع قوة إرادتهم وكثرة منازلاتهم ، ومعاينة ما لم يعاينه غيرهم ولا شم له رائحة و لم يخطر على قلبه فلو كان هذا الفناء كمالاً لكانوا هم أحق به وأهله وكان لهم منه ما لم يكن لغيرهم " . اهـ . ويقول (١ / ١٦٦ ، ١٦٧) عن الفناء عن إرادة السوء فهو أن يفنى " بمراد محبوبه منه على مراده هو من محبوبه فضلا عن إرادة غيره ، واتحد مراده بمراد محبوبه – أعني المراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري – فصار المرادان واحداً ... وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضى ربه وحقوقه " . اهـ .

(١) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (منهج ابن جُزيّ العقائدي في التفسير) : ١ / ٥١٧ – ٥٩٢ ، ٢ / ٩٣٣ ، عَقِيدَةُ الإمَامِ أبي القاسم ابنِ جُزيّ علق عليها جلال علي عامر ، وهي مقدمة في العقيدة الإسلامية كتبها ابن جُزيّ وضمنها كتابه المسمَّى بالقوانين الفقهية : ١ / ٥٣٠ ، قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٠ ، المفسرون بين التأويل والإثبات : ٢ / ٨٩٦ – ٩١٠ .

منه أقرانه ، فاستوعب الكثير من كتب الفقه المالكي على شيخه ؛ فهو مالكي المذهب ، ومن كبار المفتين في عصره من غير خلاف ، وقارب درجة الاجتهاد . لذا ترجم له **ابن فرحون** في طبقات المالكية في كتابه : (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)[1] . وابن جُزيّ وإن كان مالكي المذهب ؛ إلاَّ أنه لم يكن متعصباً لمذهب الإمام مالك ؛ فقد قال بعد أن ذكر المذاهب الفقهية والأئمة المجتهدين في كتابه (القوانين الفقهية) : ((فإنَّ كل واحد منهم مجتهدٌ في دين الله ، ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله)) . اهـ[2] .

كما كان ابن جُزيّ رحمه الله مضْطَلِعاً[3] متشبعاً من بقية المذاهب ، ويشهد على ذلك كتابه : (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية) ، فهو كتاب في الفقه المقارن ؛ وهو لا يكتفي بذكر المذاهب الأربعة المشهورة ؛ بل يستطرد إلى ذكر غيرهم من المذاهب الأخرى[4] ؛ كل ذلك بعبارة سهلة ، وألفاظ مختصرة مع عظم الفائدة ؛ مما يدل على سعة علمه واطلاعه[5] .

---

(١) ينظر : الديباج المذهب : ١ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
والإمام مالك هو : الإمام شيخ الإسلام مالك بن أنس الأصبحي ، أبو عبد الله المدني ، إمام دار الهجرة وعالمها ، صاحب المذهب المشهور ، وفضائله وأخلاقه وآدابه وعلمه يملأ الآفاق ، ت سنة ١٧٩هـ . ينظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) : ٦ / ٣١٦ - ٣٥٦ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) : ٤ / ١٣٥ ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد ابن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٢ / ٢٣٤ .
وابن فرحون هو : عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، أبو محمد : فقيه ، من العلماء بالحديث أصله من تونس ، ومولده ومنشأه في المدينة . ت سنة ٧٦٩ هـ . ينظر : الأعلام : ٤ / ١٢٦ .

(٢) ينظر : القوانين الفقهية لابن جُزيّ : ٧ .

(٣) قال ابن منظور : يقال : فلان **مضْطَلِعٌ** بهذا الأَمر ؛ أَي : قويٌّ عليه ، وهو مُفْتَعِلٌ من الضَّلاعةِ . ولا يقال : مُطَّلِعٌ بالإدغام . وقال أَبو نصر أَحمد بن حاتم : يقال : هو مُضْطلِعٌ بهذا الأَمر ومُطَّلِعٌ له ؛ فالاضْطلاعُ من الضَّلاعةِ وهي القوَّة ، والاطِّلاعُ من الفُلُوِّ من قولهم : اطَّلَعْتُ الثَّنِيَةَ ، أَي عَلَوْتُها ، أَي هو عالٍ لذلك الأَمرِ مالِكٌ له . ينظر : لسان العرب (مادة : ضلع) : ٨ / ٢٢٨ .

(٤) كمذهب الثوري ، وأبي ثور ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وغيرهم من علماء التابعين ، وأتباع التابعين . كما يذكر أحياناً المذهب الظاهري ، ويكاد يميل إليه ، أو يسكت عنه ، وأحياناً أخرى يهاجمه بشدة وينقده بعنف . ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ٢ / ٧١٠ ، ٧١١ .

(٥) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (الترعة الفقهية عند ابن جُزيّ) : ٢ / ٧٠٨ - ٧٢٩ ، تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل للدكتور الجهني : ١٤ ، قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ للجمعان : ٤٣ .

الفصل الثانـي

حياة ابن جُزيّ العلمية بإيجاز

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية .

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : آثاره ، مصنفاته ، وفاته .

المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية

ظهر نبوغ ابن جُزيّ رحمه الله منذ اليفاعة ؛ حيث قدِّم خطيباً على حداثة سنِّه في (الجامع الكبير) ببلده ، فأمتع القلوب بحسن أسلوبه ، وملك الأفئدة ببراعة منطقه ووعظه وإرشاده ، وبرع في مختلف العلوم الإسلامية ؛ ولا عجب فقد نشأ في عصر [(١)] كان للحضارة الإسلامية الأندلسية دور كبير في بروز النهضة العلمية في حقل الدراسات التفسيرية ، وعلوم القرآن بصفة خاصة .

كان ابن جُزيّ إماماً في التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول واللغة والكلام ، وكان أديباً ، فاضلاً ، عذب الشمائل ، متواضعاً ، عاكفاً على العلم ، مشتغلاً بالنظر والتقييد والتدوين ، والإفتاء ، والجهاد ، وكان صحيح المذهب ، نقي الصدر ، اشتغل بالتدريس فتتلمذ على يديه كثير من الناس [(٢)] .

✍ ثناء العلماء عليه :

ولقد أثنى على ابن جُزيّ كثير من العلماء :

قال **لسان الدين ابن الخطيب** : " كان رحمه الله ، على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصاد على الاقتيات من حُرِّ النَّشَب [(٣)] ، والاشتغال بالنظر ، والتقييد والتدوين فقيها حافظاً ، قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون من العربية ، والفقه ، والأصول ،

---

(١) أسهب الزُّبيري في رسالته : (ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير : ١ / ٤٧ - ١٢٣) في الحديث عن عصر ابن جزي والصورة السياسية للأندلس ودولة بني الأحمر ؛ وأمرائها الذين عاصرهم ابن جُزيّ وعلاقة هذه الدولة بجيرانها ، والحالة الدينية والإجتماعية والحركة العلمية والأدبية ؛ فلينظر هناك . وينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٩ - ٢٧ .

(٢) الإحاطة : ٣ / ١١ . وينظر : نفخ الطيب : ٥ / ٥١٤ ، ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (مكانة ابن جُزيّ في التفسير) : ٢ / ٨٢٥ - ٨٤٢ .

(٣) **النَّشَب** هو : المال الأصيل . ينظر (مادة : نشب) في : العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) : ٦ / ٢٦٩ ، لسان العرب : ١ / ٧٥٧ ، تاج العروس : ٤ / ٢٦٧ .

والقراءات ، والحديث ، والأدب ، حُفـَظَةً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جمَّاعة للكتب ، ملوكى الخزانة ، حسن المجلس ، ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن " . اهـ [1] .

وترجم له أيضاً في كتاب (ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب) ، فقال :

" مجتهد ، عاكف ، وروض فنون جاده من العلم كل واكف ، أقام رسم مجده ، ورفع عمد بيته في قبة العلم ونجده فأصبح صدر بلده ... فدوَّن الكثير ، وصنَّف ، وقرَّظ المسامع ، وشنَّف " . اهـ [2] .

وقال عنه **النباهي** : " محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ، ذو البيت الأصيل ، والمجد الرفيع الأثيل " . اهـ [3] .

وقال **ابن الجزري** : " إمام مقرئ ، عارف " [4] .

وأقوال أهل العلم فيه غير ما تقدم كثيرةٌ .

ولكنه مع ما قيل فيه من الثناء العطر الجميل ، لم ينل من الشهرة ما يناسب مكانته العلمية الرفيعة ونبوغه المتميز ، وتفننه في المعارف المختلفة ، ومنهجيته المحكمة ، وطريقته المتفردة بل ظلت ولفترة طويلة شهرته محدودة ، ويكفي في التدليل على ذلك أن علامة كالسيوطي لا يشير إليه في طبقات المفسرين .

---

(١) الإحاطة : ٣ / ١١ .

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب : ٢ / ٣٥٢ .

(٣) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي : ١ / ١٧٧ . والنباهي سيأتي ترجمته في شيوخ ابن جُزيّ .

(٤) غاية النهاية : ٢ / ٧٥ .

وابن الجزري هو : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، أبو الخير ، شمس الدين ، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي ، الشهير بابن الجزري : شيخ الإقراء في زمانه ، ومن حفاظ الحديث ، ت سنة ٨٣٣ هـ . ينظر : طبقات المفسرين لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي :٥٤٩ ، شذرات الذهب : ٧ / ٢٠٤ ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاشكبري زادة (ت ٩٦٨ هـ) : ١ / ٢٤ - ٢٩ .

ويتساءل البعض : هل يمكن أن يكون السبب في عدم اشتهاره هو أنه أندلسي نشأ بعيداً عن المشرق ؟ فأهل المغرب دائما يتهمون المشارقة بعدم الاهتمام اللازم بهم ، كما قال العلامة ابن حزم الأندلسي [1] :

أنا الشمس في جو العلوم منيرةٌ ولكن عيبي أن مطلعي الغـــــرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكري النهب [2]

" الحق أن الأمر ليس كذلك فعشرات ومئات الأعلام من الشرق والغرب من علماء الإسلام وقادته لا يزالون في طي النسيان " [3] .

---

(١) ينظر : الذخيرة في محاسن أهل الجُزيّرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـــ) : ١ / ١٧٣ ، تاريخ الإسلام لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـــ) : ٣٠ / ٤١٤ ، نفخ الطيب : ٢ / ٨١ .
وابن حزم هو : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أبو محمد الأندلسي الظاهري ، كان إليه المنتهى في الذكاة وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب ، وكان ضليعاً في اللغة والأدب ، ت سنة ٤٥٦ هـــ . ينظر : معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـــ) : ٣ / ٥٤٦ – ٥٤٨ ، العبر في خبر من غبر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : ٣ / ٢٤١ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـــ) : ١ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) **النهب** هو : ضرب من الركض . ينظر : لسان العرب (مادة : نهب) : ١ / ٧٧٤ .

(٣) قاله الزُّبيري في رسالته : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير : ١ / ١٥ .

المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه

أشهر شيوخه :

أقبل ابن جُزيّ رحمه الله على تلقي العلم والجد في طلبه ؛ وكان أبوه من أهل العلم مما جعله يكثر التلقي عن الشيوخ ويعرف قدر العلماء ومكانتهم ؛ هذا بالإضافة إلى نباهته وما أودعه الله في نفسه من الاهتمام في طلب بالعلم .

ولقد أخذ ابن جُزيّ عن جملة من أئمة علماء عصره ، ومن أشهرهم :

١. أبو جعفر ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، العاصمي ، الجياني ، الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) خاتمة المحدثين ، ورأس العلماء المقرئين [١] ، قال عنه ابن جُزيّ في مقدمة تفسيره :

((... ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ **أبو جعفر ابن الزبير** ، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن ، وآتاه الله بسطةً في علمه ، وقوة في فهمه ، وله فيه تحقيق ونظر دقيق)) . اهـ [٢] .

٢. أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي ، الأندلسي ، المعروف **بابن الكماد** (ت ٧١٢ هـ) ، من جلة الفقهاء فائقا في الزهد والقناعة ودماثة الخلق ولين الجانب إليه الرحلة في القراءات ، محدثٌ حافظٌ ضابطٌ ثبتٌ ، من تصانيفه : (الممتع في القراءات) وغيره [٣] .

قال ابن جزي في تفسيره : ((قال المؤلف : قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة ...)) . اهـ [٤] .

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ١ / ٧٢ ، الديباج : ١ / ٤٢ ، الدرر الكامنة : ١ / ٩٦ ، البدر الطالع : ١ / ٣٣ ٣٤ .

(٢) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ١٠ .

(٣) ينظر ترجمته في : الديباج : ١ / ٢٩٨ ، غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ٥٨ ، بغية الوعاة : ١ / ١٩٩ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل : ٤ / ١١٢ .

٣. أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري ، السبتي ، الغرناطي ، المعروف **بابن رشيد** (ت ٧٢١ هـ) ، كان بحراً في علوم الإسناد والرواية ؛ مع التمكن في الدراية ، حافظٌ نظارٌ ، رحالةٌ متحل بالوقار ، مضطلع من العربية واللغة والأخبار ، عرف بجمع الكتب وحسن الخلق والتواضع والوقار ، من مصنفاته : (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة) ، و (ترجمان التراجم) ومؤلفات أخرى [١] .

قال ابن جزي في تفسيره : ((حكى **شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد** عن شيخه إمام البلغاء...)) . اهـ [٢] .

٤. أبو القاسم ، قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري ، المعروف **بابن الشاط** (ت ٧٢٣ هـ) ، مؤلف : (إدرار الشروق على أنواء الفروق) ، وله كتب أخرى [٣] .

٥. أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي **الطنجالي** المالقي (ت ٧٢٤ هـ) ، خطيب متفق على صلاحه ورفقه بالناس وعطفه عليهم ، آخذا بسنن السلف سمتاً وهدياً وغضاً للبصر ، لا يتكلم إلا بذكر الله والعلم النافع ، كان مجاب الدعوة ، واستسقى ذات يوم ، فلم يبرحوا حتى سقوا ، وتذكر عنه كرامات كثيرة [٤] .

ذكر لسان الدين ابن الخطيب (ابن الشاط والطنجالي) عند ترجمة ابن جُزيّ من ضمن شيوخه ؛ فقال : " ... والخطيب الولى أبى عبد الله **الطنجالي** ، والأستاذ النظَّار المتفنن أبى القاسم ، قاسم بن عبد الله **بن الشاط** ... " . اهـ [٥] .

وسمع من مشايخ آخرين غير هؤلاء كثير . ومن الملاحظ في شيوخ ابن جُزيّ أنهم كانوا من ذوي الهمم العالية ، ومن المؤثرين في الحياة العامة ، وظهر تأثر ابن جُزيّ بهم واضحاً في مشاركته في الجهاد ، وانخراطه في صفوف المقاتلين .

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ١٠٢ ، الديباج : ١ / ٣١٠ ، غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ١٩٣ .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ١٩٥ .
(٣) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٤ / ٢١٧ ، الديباج : ١ / ٢٢٥ ، هدية العارفين : ٥ / ٨٢٩ .
(٤) ينظر ترجمته في : الإحاطة ٣ / ١٨٦ ، تاريخ قضاة الأندلس : ١٥٥ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٨٥ .
(٥) الإحاطة : ٣ / ١١ .

أشهر تلاميذه : أما تلاميذه فأهمهم أولاده الثلاثة :

١. أبو بكر ، **أحمد** بن محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي ، (ت ٧٨٥ هـ) الشاعر ، الفقيه القاضي ، الكاتب ، الخطيب ، من مؤلفاته : شرح على ألفية ابن مالك ، وتقييدات على القوانين الفقهية ، ولما حفظ القرآن الكريم ألف له والده كتاباً في الحديث ليحفظه [١] ، وسيأتي الحديث عن الكتاب ضمن مؤلفات ابن جُزيّ .

٢. أبو عبد الله ، **محمد** بن جُزيّ ، (ت ٧٥٧ هـ) الفقيه ، الأصولي ، الكاتب ، الأديب الشاعر ، والعالم بالتاريخ ، والحساب واللغة ، والنحو والبيان ، نشأ بغرناطة في كنف والده ، وكان يعيره العناية التامة من حيث التربية والتعليم ، فقد ألف كتابه (تقريب الوصول) من أجله ، وأبو عبد الله هذا هو الذي دون رحلة ابن بطوطة الشهيرة ، وله تقييدات في الحديث ، وفوائد لطيفة ، وأشعار رقيقة [٢] .

٣. القاضي أبو محمد ، **عبد الله** بن جُزيّ ، العلاَّمة المعمِّر ، الإمام في اللغة والشعر ، بحرٌ في البيان والقراءات ، ولم نعثر على تاريخ وفاته [٣] .

٤. أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦هـ) : وزير مؤرخ أديب نبيل . وكان يلقب بذي الوزارتين : القلم والسيف ، ويقال له (ذو العمرين) لاشتغاله بالتصنيف في ليله ، وبتدبير المملكة في نهاره . ومن مؤلفاته : (الإحاطة في أخبار غرناطة) ، و (حمل الجمهور على سنن المشهور) ، وغيرها مما يربو على الستين كتاباً في فنون متنوعة [٤] .

جاء في مشيخة لسان الدين ابن الخطيب : " ... **وقرأت** على الخطيب الحسيب الصدر أبي القاسم ابن جزي رحمه الله تعالى ... " . اهـ [٥] .

---

(١) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ١ / ٥٢ ، ونفح الطيب : ٥ / ٥١٧ – ٥٢٥ .
(٢) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٢ / ١٦٣ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٤٢٨ ، نفح الطيب : ٥ / ٥٢٦ .
(٣) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، نفح الطيب : ٥ / ٥٣٩ .
(٤) ينظر ترجمته في : الوفيات : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، نفح الطيب : ٥ / ٧٥ - ٨٠ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧ هـ) : ١ / ١٥ .
(٥) نفح الطيب : ٥ / ٦٠٤ .

٥. **أبو الحسن النباهي** ، علي بن عبد الله بن الحسن الخدامي ، القاضي الفقيه الحسيب ، الخطيب الكاتب (ت ٧٩٣ هـ) [١] .

وقد ذكر النباهي ذكر شيخه ابن جُزيّ عرضاً في آخر ترجمته للقاضي أبي القاسم الشريف الغرناطي ، وأنه خلفه بعد وفاته أحمد المكني أبا جعفر أو أبا بكر بن جُزيّ قال فيه : " ... **بن شيخنا** الأستاذ الحافظ الخطيب الشهير أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ، ذو البيت الأصيل ... " . اهـ [٢] .

٦. **عبد الحق بن عطية** ، هو الفقيه عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي (ت ٧٧٠ هـ) ، القاضي الخطيب ، من كبار أعيان الأندلس وسليل بيت العلماء [٣] .

جاء في الإحاطة تعريف ابن عطية لأشياخه فقال : " **وأما أشياخي** ، فإني قرأت بالحضرة (يقصد العاصمة غرناطة) على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القيجاطي ، والأستاذ الخطيب أبي القاسم **ابن جُزيّ** ... " . اهـ [٤] .

٧. أبو القاسم ، محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ، المعروف **بابن الخشاب** (ت ٧٧٤ هـ) علامة عالم بالفقه والقراءات [٥] . جاء في غاية النهاية في ترجمة ابن جُزيّ : : " **وقرأ عليه** أبو القاسم محمد بن محمد بن الخشاب " . اهـ [٦] .

٨. **أبو عبد الله الشّديِّد** ، محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري (ت٧٧٦ هـ) تقريباً [٧] قال لسان الدين ابن الخطيب عند ذكر مشيخته : " ... وجوَّد بحرف نافع على شيخنا أبي البركات ، وتلا على **شيخنا أبي القاسم بن جُزيّ**... " .

وتلاميذ الإمام ابن جُزيّ غير هؤلاء كثيرون .

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي : ١٧٧ .
(٢) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٤ / ٦٩ ، الأعلام : ٤ / ٣٠٦ .
(٣) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ٤٢٥ ، نفح الطيب : ٢ / ٥٢٦ .
(٤) الإحاطة (ترجمة عبد الحق بن عطية) : ٣ / ٤٣١ .
(٥) ينظر ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ٢٢٦ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٤٥٩ .
(٦) غاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ٧٥ .
(٧) ينظر ترجمته في : الإحاطة : ٣ / ١٤٨ ، وابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢١١ .

المبحث الثالث : آثاره ، مصنفاته ، وفاته

وعلى الرغم من ثناء العلماء على ابن جُزيّ إلاَّ أن مصنفاته لم تنل الشهرة المطلوبة ، و لم يذكر إقبالاً من قبل طلبة العلم عليها ، حتى أن تفسيره لم ينسب إليه حتى من قبل أقرب تلامذته كما سأذكر ذلك لاحقاً ، وكان هو الوحيد الذي اشتهر في بلاد المغرب ، ثم حين طبع اقتناه المشارقة واعتمد أهل العلم آراؤه مؤخراً [١] .

وإن الباحث ليجد لابن جُزيّ رحمه الله آثاراً خلدت له ذكراً في فنون متنوعة ، وعلوم شتى تشهد له بالعلم والفهم ونور البصيرة ، وهذه الآثار تتمثل في **مصنفاته** كما تتمثل في **شعره** [٢] .

ومن مصنفاته [٣] :

في التفسير وعلوم القرآن :

١. التسهيل في علوم التنزيل ، وهو تفسيره المطبوع : موضوع البحث [٤] .

٢. المختصر البارع في قراءة نافع .

٣. أصول القراءات الستة غير نافع .

وفي الحديث النبوي الشريف :

٤. الأنوار السنية في الألفاظ السنية .

---

(١) ينظر : علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير للدكتور محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي ، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ١ / ٤٦٣ .

(٢) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (آثار بن جُزيّ) : ١ / ٢١٥ – ٢٤٠ .

(٣) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١١ ، الديباج : ١ / ٢٩٥ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٨٩ ، برنامج المجاري : ١ / ٨٧ ، نفح الطيب : ٥ / ٥١٥ ، هدية العارفين : ٦ / ١٦٠ ، فهرس الفهارس والأثبات : ٣ / ٣٦٤ .

(٤) هذا التفسير هو الذي نحن بصدد جمع ترجيحات ابن جُزيّ فيه ؛ وعرضها ومناقشتها مناقشة علمية ، وتوضيح منهج ابن جُزيّ في الترجيح .

٥. وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

٦. الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار .

وفي الفقه وأصوله :

٧. القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ، طبع عدة مرات .

٨. تقريب الوصول إلى علم الأصول .

٩. الصلاة: كتاب في الفقه والترغيب .

وفي العقائد :

١٠. النور المبين في قواعد عقائد الدين .

١١. الضروري من علوم الدين .

وفي النحو :

١٢. الفوائد العامة في لحن العامة .

وفي علم التاريخ والتراجم :

١٣. فهرسة كبيرة اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب .

وقد نسب الأستاذ / **عبد الكريم الفضيلي** في مقدمة تحقيقه للقوانين لابن جُزيّ [١] كتاباً بعنوان : (الإشارات الصوفية) وذلك اعتماداً على نص محرف في هذا الكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) ، وهو :

---

(١) ينظر : القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لابن جُزيّ ، تحقيق : عبد الكريم الفضيلي ؛ وهو كاتب معاصر . ذكر هذا الدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي في تحقيقه لكتاب : (التسهيل) :٢٨ .

((وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية)) [1] .

والصواب الذي يوجد في المخطوطات الصحيحة ، هو كالتالي: ((وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما يستحسن من الإشارات الصوفية .....)) ثم بدأ يوضح ذلك .

شعره [2] :

كان الإمام ابن جُزيّ شاعراً مجيداً ، حسن الشعر قوي الأسلوب ، وكان دائماً ينسج الشعر في الأغراض النبيلة ، تمثَّل ذلك في الرقائق والمدائح النبوية ، وقد احتفظ تلميذه لسان الدين ابن الخطيب وغيره بجملة طيِّبة منها .

ومن شعره قوله في **مدح النبي ﷺ** :

أَرومُ امتداحَ المصطَفى فيردُّني ... قُصوري عن إدْراكِ تِلك المناقِبِ
وَمَنْ لي بحَصْرِ البَحْرِ والبَحرُ زَاخِرٌ ... ومن لي بإحصاء الحصىَ والكواكبِ
وَلَوْ أنَّ كُلَّ العَالمِيـنَ تَألَّفُوا ... على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجِبِ
فَأمْسَكْتُ عنْه هَيبةً وَتأدباً ... وخَوْفاً وإعظاماً لأرفع جانِبِ
ورُبَّ سُكُوتٍ كان فيه بلاغةٌ ... ورُبَّ كَلامٍ فيه عَتْبٌ لعاتِبِ

ومن شعره أيضاً قوله :

يا ربُّ إنَّ ذنوبي اليوم قد كَثُرَتْ ... فَمَا أطِيقُ لها حَصْرَاً وَلا عَدَداً
وَليسَ لي بعذابِ النَّارِ من قِبَلِ ... وَلا أطيقُ لها صَبْرَاً وَلا جَلَداً
فَانظرْ إلهي إلى ضَعْفِي وَمَسكَنتِي ... وَلا تذيقني حَرَّ الجَحِيمِ غَدَاً

---

(١) ينظر مثلا : التسهيل : ١ / ٨ . طبعة دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ط ٤ .
وقد وقع في هذا الوهم كل من الأستاذ / عبد الحميد محمد ندا في رسالته : (ابن جُزيّ وجهوده في التفسير من خلال التسهيل) : ٨٦ ، والدكتور / أبو الريش في رسالته : (عن ابن جُزيّ وأثره في الفقه الإسلامي) ، نقل ذلك كله الدكتور الزُّبيري في كتابه ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير : ١ / ٢٤ .

(٢) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٢ ، ١٣ ، الديباج : ١ / ٢٩٦ ، نفح الطيب : ٥ / ٥١٥ - ٥١٧ .

ومن شعره أيضاً قوله :

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عرضـــي وديني

ومن نظمه أيضاً :

أيا من كففت النفس عنه تعففا وفي النفس من شوقي إليه لهيـــب
ألا إنما صبري كصبر وإنمـــــا على النفس من تقوى الإله رقيب

✍ وفاته :

توفي – رحمه الله تعالى – يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ٧٤١هـــ ، في **موقعة (طريف)** [١] بين المسلمين والنصارى ، حيث قتل في ساحة الجهاد وهو يحرض المؤمنين ويشحذ هممهم ، وقد حقق الله له أمنية طالما تمناها ، وهي الشهادة في سبيل الله ، فمن آخر شعره يوم الوقيعة [٢] قوله :

قَصْدي المؤمل في جَهْري وإسْرَاري ومَطْلَبي من إلَهي الواحد البَاري
شهـــادةٌ في سَبيل الله خَالصـــةٌ تَمْحُو ذُنُوبي وتُنْجِيني مِنَ النَّارِ

---

(١) **طريف** هو : اسم جُزيرة في جنوب بلاد الأندلس (أسبانيا حالياً) ، في المثلث الذي في رأسه جبل طارق ، وهي تقابل مدينة سبتة المغربية ، كانت تسمى (جُزيّرة بالوما) في الجانب الأسباني ، وعرفت هذه الجُزيّرة فيما بعد باسم (طريف) على اسم (طريف بن مالك) أول قائد مسلم عبر البحر إلى أسبانيا أرسله موسى بن نصير قبل طارق بن زياد في رمضان عام ٩١ هـــ . ينظر : تاريخ ابن خلدون : ٤ / ١٥٠ ، معجم البلدان : ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
وموقعة طريف (أو موقعة سالادو) : موقعة شهيرة وقعت بين المسلمين بقيادة ابن سلطان المغرب أبي الحسن المريني (أبو مالك) ، فاخترق سهول الجُزيّرة الخضراء معلناً الجهاد ، فاجتاح أراضي النصارى وحصل على غنائم لا تحصى ، غير أن النصارى من قشتالة وأراجون والبرتغال كونوا أسطولاً بحرياً متحداً ليستقر بالمضيق ، فيمنع الإمدادات عن جيوش المغرب ، وسارت قوى النصارى المتحدة للقاء المسلمين ، وبارك البابا هذه الحملة ، فباغتوا أبا مالك عند عودته بالوادي الذي كان يقع بين حدود النصارى و أرض المسلمين ، فكانت موقعة عظيمة قتل فيها (أبو مالك) ، وهزم جيشه هزيمة منكرة ، وفقد خلالها السلطان أبو الحسن المريني أولاده وزوجاته وانتهب معسكره . قال المقري في وصف هذه الموقعة : " وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والأزراء ؛ التي = = تضعضع لها ركن الدين بالمغرب ، وقرت بذلك عيون الأعداء " . اهـــ . ينظر : نفح الطيب : ٥ / ١٥ . وينظر : شذرات الذهب : ٦ / ١٢٨ .
(٢) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ١٧٠ .

إنَّ المعَاصِـــي رجْسٌ لا يطهِّرُها إلا الصَّوَارِم في أيْمَان كفـَّارِ

ثم قال : في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات . وهكذا صدق ابن جُزيّ مع الله فصدقه الله .

وقد عاش ابن جُزيّ ٤٨ سنة فقط ، ولكن الله جعل له البركة في عمره ، فعمل أعمال المعمِّرين ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وغفر له ، وجعل ما قدَّمه علماً نافعاً لا ينقطع أجره عنه ، ويؤنس وحشته في قبره ، ويحشرنا وإيَّاه في زمرة سيِّد الخلق أجمعين ؛ نبيِّنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وآله وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الباب الثاني

التعريف بكتاب : (التسهيل)
ومنهج ابن جُـزيّ في الترجـيـح

وفيه فصلان :

الفصل الأول
التعريف بـكتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل)

الفصل الثاني
منهج ابن جُزيّ في الترجيح

الفصل الأول

التعريف بكتاب
(التسهيل لعلوم التنزيل)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب .

المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته .

المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه .

تمهيد

إنَّ أبا القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ رحمه الله مفسِّرٌ متبحرٌ في العلوم الشرعية ووسائلها ؛ من أدب ولغة ونحو ، ملماً بعلوم القرآن ، وبكل ما يحتاجه المفسر من مقومات التفسير ، حتى أصبح مفسراً لامعاً ساطعاً يشار إليه بالبنان .

✍ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم الكتاب بلا نزاع هو : (التسهيل لعلوم التنزيل) فقد أثبته المؤلف في مقدمة الكتاب ، ومن الغريب أن **ابن الخطيب** وهو أشهر من ترجم لابن **جُزيّ** وأقربهم إليه لم يصرح باسم التسهيل مكتفياً بقوله : - بعد أن سرد معظم مؤلفات ابن جُزيّ - " ..... إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقرءات وغير ذلك " [(١)] ، وكذلك لم يصرح به **ابن فرحون** في الديباج المذهب ، ولا **ابن حجر** في الدرر الكامنة ، ولا **المقري** في نفح الطيب [(٢)] .

والسبب في ذلك : كما يرى الزُّبيري هو أن (التسهيل) كما يبدو هو آخر كتب ابن جُزيّ تأليفاً فلم يشتهر اسمه ؛ و لم ينتشر كما انتشرت كتبه الأخرى التي أخذها عنه تلامذته ودرسوا عليه فيها [(٣)] .

وأوَّل من صرَّح بنسبته له هو : محمد بن عبد الملك بن علي **القيسي** ، **المنتوري** ، الغرناطي (ت ٨٣٤ هـ) في مقدمة كتابه : (مناهج العلماء الأخيار) ، وهو من تلاميذ أحمد وعبد الله ابني أبي القاسم بن جُزيّ صاحب التفسير [(٤)] ، ثم نقله عنه **سليمان الجمل** [(٥)] في

---

(١) ينظر : الإحاطة : ٣ / ١٠ - ١٣ .

(٢) ينظر : الديباج المذهب : ١ / ٢٩٢ ، الدرر الكامنة : ٥ / ٨٨ ، ٨٩ ، نفخ الطيب : ٥ / ٥١٤ - ٥٤٠ .

(٣) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢٢٠ .

(٤) ينظر : الأعلام : ٦ / ٢٥٠ .

(٥) **الجمل** هو : سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل : مفسرٌ محدثٌ ، من أهل منية عجيل (إحدى قرى الغربية بمصر) انتقل إلى القاهرة ، له مؤلفات ، منها : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، وهي حاشية على تفسير الجلالين . ت سنة ١٢٠٤ هـ . ينظر : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧ هـ) : ٢ / ٨٨ ، هدية العارفين : =

حاشيته على تفسير الجلالين ، وذكر (التسهيل) باسمه ثم توالى المترجمون له وخاصة في العصر الحديث [1] .

هكذا ذكر الزُّبيري ؛ لكنني عند الرجوع لكتاب الأعلام وترجمة (المنتوري) لم أجد له كتاباً باسم (مناهج العلماء الأخيار) ، وكذلك في كتب تراجم الرجال الأخرى ، وما وجدته له فهرسة تشتمل على رواياته .

ووجدت في ترجمة (القصَّار) محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي ، الأندلسي الأصل الفاسي ، أبو عبد الله المعروف بالقصَّار (ت ١٠١٢ هـ) : محدث المغرب في وقته ، أن له كتاب : (مناهج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار) [2] .

✌ **فلا أدري أيهما الذي صرَّح بنسبة التسهيل لابن جُزيّ ؛ هل هو القيسي المنتوري في فهرسته ، أو القيسي (القصار) في كتاب : (مناهج العلماء الأخيار) .. فلم أقف على كلا الكتابين .**

= ٥ / ٤٠٦ ، الأعلام : ٣ / ١٣١ .

(١) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢٢١ .

(٢) ينظر : الأعلام : ٦ / ٢٥٠ .

المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب

احتل تفسير ابن جُزيّ (التسهيل لعلوم التنزيل) مكانة مرموقة عند أهل المغرب العربي عامة ، واشتهر شهرة واسعة لديهم لعظيم ما تضمنه من الفوائد والمعاني ، غير أنه لم يشتهر عند المشارقة كما ذكرنا سلفاً تلك الشهرة التي تليق بسِفْرٍ عظيمٍ هكذا ؛ وذلك لأسباب ربما تعود للظروف التي تعرضت لها بلاد الأندلس ، أو ظهور تفاسير لأناس لهم مكانة مرموقة في المشرق في عصره [1] .

ويعد تفسير ابن جُزيّ آخر التفاسير الأندلسية التي تناولت القرآن بأكمله ، وهو آخر التفاسير التي وصلت إلينا من هذه الديار ، واستطاع المصنف أن يقدمه في أبهى صورة وأحلى حلة ، بجمل رصينة ، وعبارات قوية جمعت بين الإيجاز وحسن العرض دون أن يخل بالمعاني المراد بيانها [2] .

لقد تضمن تفسير ابن جُزيّ كثيراً من تفاسير السلف للقرآن الكريم في عبارة وجيزة ، وأسلوب مبسط ، وحوى عدداً كبيراً من الحديث النبوي الشريف ؛ حتى أنه ليعتبر أقرب إلى التفسير بالمأثور من التفسير بالرأي ؛ وإن كان لم يعتن بتصحيح الروايات وتضعيفها [3] وإن كان أسهم بجهد لا بأس به في ذلك .

ومما يزيد في قيمة تفسير ابن جُزيّ أنه ابتدأه بمقدمتين :

المقدمة الأولى : في أصول التفسير وقواعده وما يتعلق به من علوم القرآن ، وقد جعلها في اثني عشر باباً .

---

(١) أمثال أبو حيان النحوي ؛ تنقل إلى أن أقام **بالقاهرة** ، وتوفى فيها بعد أن كف بصره (سنة ٧٤٥ هـ) ، وابن كثير (ت بدمشق سنة ٧٧٤ هـ) وغيرهما . ينظر : الأعلام للزِّركلي : ١ / ٣٢٠ ، ٧ ، ١٥٢ .

(٢) ينظر : علوم القرآن من خلال مقدِّمات التفاسير للدكتور محمد صفاء حقِّي : ١ / ٤٦٥ .

(٣) قام **الدكتور سامي بن مساعد الجهني** بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب (التسهيل) لابن جُزيّ في رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، بعنو ان : (**تخريج الأحاديث والآثار في كناب : التسهيل لعلوم التنزيل**) . وحصل فيها على تقدير ممتاز ، مع التوصية بالطباعة .

المقدمة الثانية : وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن الكريم ، وهذه المقدمة بمثابة معجم مصغر لألفاظ القرآن .

وتفسير ابن جُزيّ ينفرد بهاتين المقدمتين عن بقية كتب التفسير ، وإن كان **ابن عطية** [1] قد سبقه إلى كثير مما ذكره في المقدمة الأولى ، غير أنه يتعرض لأمور لم يذكرها ابن عطية ولا **القرطبي**[2] في تفسيرهما ، وانفرد عنهما بمقدمته الثانية .

إن ابن جُزيّ مفسرٌ له مكانته العلمية الخاصة وشخصيته المستقلة التي تجمع بين الأصالة والتجديد ، وتؤهله لأن يناقش كبار المفسرين ويزاحمهم بآرائه لما يمتلك من معارف نقلية وعقلية ومن قواعد الترجيح ، فقد يورد أقوال المفسرين ويتعقبها بالنقد والملاحظة ؛ **كأقوال ابن جرير الطبري** [3] ، وابن عطية **والزمخشري** [4] وغيرهم ، مما يكشف لنا جانباً من الشخصية التفسيرية المستقلة له ؛ فقد احتوى كتابه : (التسهيل لعلوم التنزيل) على آراء جديدة بالنسبة لعصر المؤلف ، وبيئته ، وظهرت فيه جهود مؤلف في مجالات وقضايا عديدة في مجال العقيدة ، وفي مجال الأحكام ، وفي مجال القصص ، وكذا في مجال التصوف وإصلاح

---

(١) **ابن عطية** هو : عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، أبو محمد الأندلسي ، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث واللغة والنحو ، ت سنة ٥٤٦ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٥٨٦ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ٤ / ١٢٩٤ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ٦٠ .

(٢) **القرطبي** هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله ، القرطبي : من كبار المفسرين ، وكان صالحاً ورعاً متعبداً طارحاً للتكلف ، من كتبه : الجامع لأحكام القرآن ويعرف بـ (تفسير القرطبي) ، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة وغير ذلك . ت سنة ٦٧١ هـ . ينظر : الديباج : ١ / ٣١٧ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٩٢ ، نفح الطيب : ٢ / ٦٨٥ .

(٣) **الطبري** هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الشافعي ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الإمام . وهو أوثق من نقل التاريخ ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير ، وكان مجتهداً في أحكام الدين ولا يقلد أحداً . ت سنة ٣١٠ هـ . ينظر : طبقات الفقهاء لأبي إسحاق ، إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) : ١ / ١٠٢ ، السِّير : ١٤ ، ٢٦٧ ، البداية والنهاية لأبي الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : ١١ / ١٤٥ .

(٤) **الزَّمخشَري** هو : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم : النحوي ، اللغوي ، الحنفي ، المتكلم ، المفسِّر . أشهر كتبه : الكشاف : في تفسير القرآن ، وأساس البلاغة وغير ذلك . وكان معتزليّ المذهب ، مجاهراً ، شديد الإنكار على المتصوفة ، ت سنة ٥٣٨ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٥ / ١٦٨ ، البلغة : ١ / ٢٢٠ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي (٨٧٤ هـ) : ٥ / ٢٧٤ .

النفس وتقويمها وضرورة تخلصها من الآفات ، وأيضاً في مجال اللغة والنحو وعلم البيان ؛ فله إسهاماتٌ إيجابية وكثيرٌ من الفوائد [1] .

ولهذا فإن كتابه هذا على صغر حجمه يعتبر كنزاً ثميناً جمع من الفوائد والنكات العلمية ما تكل عنه الكتب الكبيرة فهو عصارة لأقوال المفسرين وفيه من فنون العلم ما تقر به أعين القارئين والمطالعين ، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن والتمكن من المعارف المختلفة فهو يهتم بالقراءات ، وبأسباب النزول ، وباللغة ، وبالأحكام الفقهية ، وبالتفسير بالأثر ، وبالاجتهاد الشخصي .. إلى غير ذلك .

وعلى كل حال ففي التسهيل إضافات تفسيرية كثيرة يدركها من لازم الكتاب وقارنه بكتب التفسير الأخرى .

---

(١) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ٢ / ٨٨٢ ، ٨٨٧ - ٨٨٩ ، تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للجهني : ٢٣ ، قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٨ .

المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته

إن كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) للإمام محمَّد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي كتابٌ مختصرٌ في تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلق به من العلوم ، وهو يحظى بعناية الكثيرين من طلاب العلم في العالم الإسلامي ، ووجوده مصحَّحاً ومدققاً يسدّ فراغاً في منظومة كتب التفسير المتنوعة .

طبعات كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) :

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة أوَّلها [1] :

- ❖ طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٣٥٥ هـ ، وعلى غلافها : " عني بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية ، وصحَّحها نخبة من العلماء " وهي في مجلدين . ثم توالت الطبعات بعد ذلك .

- ❖ فمنها : طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ، ١٣٩٣هـ ، وهذه الطبعة هي التي اعتمد عليها الدكتور/ علي محمد الزُّبيري رحمه الله في دراسته عن ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير ، والدكتور / سامي بن مساعد الجهني في تخريجه للأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لابن جُزيّ (رسالة ماجستير في جامعة أم القرى) .

- ❖ ومنها : طبعة دار الكتاب العربي أيضاً ، ١٤٠٣هـ ، بتحقيق : لجنة إحياء التراث في دار الكتاب العربي .

---

(١) قام الدكتور : **محمد بن سيدي محمد بن مولاي** ، بتحقيق جيد لكتاب (التسهيل) لابن جُزيّ ، **وقد اعتمد خمس نسخ خطية** ، ونبَّه على أخطاء قلّ من ينتبه لها ، كما انه أعاد ترتيب الكتاب وأثبته بقراءة نافع كما وضعه المؤلف ، مع تخريج الأحاديث ... وقد قدَّمه للطباعة في إحدى الدور البيروتية . ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي الدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي ، أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا (عام ١٤٢٧ هـ) : ٦ - ١٤ . وقد ذكر الدكتور محمد بن سيدي أنه كان يرجع إلى التسهيل من وقت لآخر لكثرة أخذ الشناقطة منه وذلك عند كتابته لأطروحته للدكتوراه والتي عنوانها : (التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط) ، وأزعجه ما وجد فيها من أخطاء كثيرة ، ولذلك صرف همته في الحصول نسخ خطية من هذا الكتاب للاعتماد عليها في تصحيحه حسب الإمكان ، وإخراجه على الحالة اللائقة به ، وقد وفقه الله في ذلك .

❖ ومنها : طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، تحقيق : محمد عبد المنعم اليونسي ، وإبراهيم عطوة عوض ، بدون تاريخ [١] . [٢]

❖ ومنها : طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، صحَّحه وخرج آياته : محمد سالم هاشم ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ، ج ٢ .

❖ ومنها : طبعة دار الأرقم ببيروت ، ١٤١٦هـ ، تحقيق : د. عبد الله الخالدي .

❖ وطبعات أخرى هي في الغالب مصورة من طبعة المكتبة التجارية المتقدمة الذكر ، وآخر طبعة لهذا الكتاب هي : طبعة المكتبة العصرية ببيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م [٣] ، تحقيق : رضا فرج الهمامي [٤] .

وكل هذه الطبعات مليئة بالأخطاء وينقصها الإشراف العلمي المطلوب .

ووُجد في المقدمتين في صدر الكتاب في آخر طبعة لهذا الكتاب - وهي طبعة المكتبة العصرية - مئات الأخطاء والكثير من هذه الأخطاء يغير المعنى .

ومن هذه الأخطاء التي وقعت فيهما كل المطابع التي طبعت الكتاب [٥] :

الخطأ الأول :

أن ابن جُزيّ صدر كتابه بمقدمتين إحداهما تتعلق بمعاني اللغات ورتَّبها على حروف المعجم وذلك حسب ترتيب المغاربة ، وهي طريقة ترتب الحروف كالتالي : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ كل من ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي ، وهذه الطريقة غير مجهولة في

---

(١) يوجد نسخة من هذه الطبعة في مكتبة جامعة الملك سعود . ينظر : فهرس مكتبات جامعة الملك سعود رقم : (ARA م ٢١٢ ج ق ت) .

(٢) ينظر : علوم القرآن من خلال مقدِّمات التفاسير للدكتور محمد صفاء حقّي : ١ / ٤٦٩ .

(٣) ذكر الدكتور / محمد بن سيدي محمد بن مولاي أغلب هذه الطبعات في تحقيقه لكتاب التسهيل لابن جُزيّ : ٧ .

(٤) يوجد في مكتبة الملك فهد الوطنية : طبعة المكتبة العصرية بتحقيق : رضا فرج الهمامي (رقم التسجيلة : ٣١٤٤٢٩) .

(٥) ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لابن جُزيّ للدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي : ٩ - ١٣ .

الغرب الإسلامي ووضعت عليها مؤلفات كثيرة [1] .

وكان من الأحرى بمن أراد أن يرتب هذه المقدمة على طريقة المشارقة في ترتيب الحروف أن يبين ذلك .

أما الذين قاموا بطباعة التسهيل فكلهم غيَّروا هذه المقدمة ، وجعلوها حسب ترتيب المشارقة ولم يذكروا ما حصل في ذلك من التغيير ، ويمكن أن يكون ما فعلوه عن غير عمد ، لأنهم اعتمدوا المطبوع وليست عندهم مخطوطات للكتاب ، يتبينون من خلالها الترتيب الصحيح .

كما أن بعض هذه الطبعات جعلت المقدِّمات ملحقاً في نهاية الكتاب ، وذلك تغيير لا مبرر له ، ومن هذه الطبعات طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ، ١٤٠٣هـ .

الخطأ الثاني :

أن المؤلف قال في مقدمته : ((وإنما بنينا هذا الكتاب على **قراءة نافع** لوجهين :

أحدهما : أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب .

الأخرى : اقتداء بالمدينة شرفها الله ... إلخ)) . اهـ [2] .

ولم تلتزم أي طبعة بهذا بل إنها كلها غيرت القراءة إلى **قراءة عاصم** من رواية **حفص** [3] ولم

---

(١) من هذه المؤلفات : **التمهيد** لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، للفقيه العلامة الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي (ت ٤٦٣هـ) . ومنها : **معجم ما استعجم** من أسماء البلاد والمواضع للوزير الفقيه أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) . ومنها : **المحتوى الجامع في رسم الصحابة** وضبط التابع للطالب عبد الله ابن الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي . ومنها : **الحملة في رسم القرآن** لسيدي عبد الرحمن بن سيدي أبي بكر الشنقيطي المسومي . ومنها : **كشف العمى في رسم القرآن وضبطه** للشيخ محمد العاقب الجكني الشنقيطي . ومؤلفات أخرى كثيرة . ولقد أوضح الإمام الداني في كتابه القيم : (**المحكم في نقط المصاحف**) : طريقة المغاربة في ترتيب الحروف ، كما أوضح طريقة المشارقة – التي هي السائدة الآن – بشكل مفصل . ينظر : المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو ، عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ٧ .

(٣) **عاصم** هو : عاصم بن أبي النجود – بهدلة – الأسدي مولاهم ، أبو بكر الكوفي ، معدود في صغار التابعين ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، نحوي فصيح ، صاحب نسك وأدب وفصاحة وحسن صوت بالقرآن ، ت سنة ١٢٧ هـ . ينظر : مشاهير علماء الأمصار لمح مد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) : =

تعتذر عن ذلك .

هذا بالإضافة إلى الأخطاء المنتشرة التي تشوه جمال هذا الكتاب وتكدر صفاءه ورونقه وتنقص من مكانته .

وإن رغبة قرَّاء كتاب : (التسهيل) أكيدة في أن يروه صحيحاً منقى من التحريف والتصحيف ، فكثيراً ما يُثنى على هذا التفسير ثناءً عطراً ، ثم يُضاف أن مما يُزهَّد فيه ما فيه من الأخطاء ، والبعض يتمنى أن يجد هذا الكتاب من يعتني به ويخرجه في ثوب أنيق ، وحلة قشيبة ، ومن هؤلاء **الدكتور/ علي محمد الزُّبيري رحمه الله** الذي قدم دراسة مُسهبة عن ابن جُزيّ في مجلدين كبيرين يقول :

" وأقترح بالنسبة للتسهيل بصفة خاصة أن يعاد طبعه ، وأن يحقق تحقيقاً علمياً نافعاً يبرزه للناس عموماً ، ولطلبة العلم خصوصاً في ثوب قشيب ، بعد الرجوع إلى مخطوطاته الأصلية ومقارنتها ببعض ، وذلك لأن الطبعات الموجودة كلها مليئة بأخطاء فاحشة تحيل المعنى ، وبعض المواضع منه تلاحظ فيها أن النص مبتور ، كما أن بعض المواضع منه تحتاج إلى تعليق وتوضيح أو استدلال أو توجيه أو مقاربة ومقابلة ، ولا تجد شيئاً من ذلك في عمل من نشر الكتاب وزعم تحقيقه " . اهـ [1] .

وصف النسخ المخطوطة من هذا الكتاب :

١. نسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (الخزانة الحسنية) : (رقم المخطوطة : ٢٣٩٠) عدد الأوراق : ٢١٤ ورقة ، كتبت بتاريخ ١٠٢٤هـ ، الناسخ لم يعرف ، لأن مكان الاسم فيه انطماس ومحو .

= ١٦٥ ، معرفة القراء الكبار : ١/ ٨٨ - ٩٤ ، تهذيب الكمال لأبي الحجاج ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢ هـ) : ١٣ / ٤٧٣ - ٤٧٩ .

و**حفص** هو : حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء ، أبو عمر ، ويعرف بحفيص : قارئ أهل الكوفة بزاز نزل بغداد ، وجاور بمكة . وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، وهو ابن امرأته وربيبه ، ومن طريقه قراءة أهل المشرق . ت سنة ١٨٠ هـ . ينظر : تاريخ بغداد لأبي بكر ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : ٨ / ١٨٦ ، معجم الأدباء : ٣ / ٢٢٥ ٢٢٦ ، غاية النهاية : ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(١) ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ٢ / ٩٤٦ .

٢. نسخة الخزانة الحسنية : (رقم : IIIII ز) ، وهذه النسخة تبدأ من سورة مريم إلى نهاية الكتاب ، عدد الأوراق : ١١٥ ورقة .

٣. نسخة الخزانة العامة بالمغرب : (الرقم د / ٦٢٧) ، عدد الأوراق ٢٨١ ورقة ، الناسخ : يحيى عزوزي ، تاريخ النسخ محله غير واضح ؛ لأن فيه انطماساً وعليه أثر الرطوبة ، ويبدو أن هذه النسخة قديمة جداً .

٤. نسخة الخزانة العامة بالمغرب (رقم د / ٦٨٠) ، من بداية الكتاب إلى سورة التوبة عدد الصفحات : ١٠٠ صفحة .

٥. نسخة الخزانة الملكية : (رقمها ١١١٩٧) ، وهي في الأصل من مكتبة **مكناس** . وعدد لوحاتها : ١٩٥ لوحة ، وهي بخط مغربي جميل وواضح ، الناسخ لم يذكر اسمه ولا تاريخ النسخ [١] .

٦. نسخة خزانة ابن يوسف **بمراكش** (رقم ٣٢٣ / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ، وصف الكتاب : ٢٠٣٤٣ .

٧. نسخة برقم (٣٤ ق) في خزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان ، ورقمها الترتيبي : (٣١) في دليل مخطوطات الخزانات الحبسية ، وصف الكتاب : ٤٨٣٧ .

٨. نسخة برقم (٣١٥ / ١ ، ٥٦٩) في مؤسسة الملك عبد العزيز **بالدار البيضاء** ، ورقمها الترتيبي : (١٩ ، ٢٠) في فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية ، وصف الكتاب : ٥١٥٥ [٢] .

---

(١) ينظر : تحقيق ودراسة كتاب التسهيل لابن جُزيّ للدكتور/ **محمد بن سيدي محمد بن مولاي** : ١٤ .

(٢) ينظر : **موسوعة المخطوطات المغربية في الخزانات العامة والخاصة والحبسية** ، إصدار مركز نجيبويه للمخطوطات وحفظ التراث ، برمجة : هند حسين قنديل ، إشراف الدكتور : **أحمد بن عبد الكريم نجيب** .
ومَرَّاكُشُ : - بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمه - أعظم مدينة بالمغرب وأجلها ، وبها سرير ملك بني عبد المؤمن ، وهي في البرّ الأعظم ، بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر ، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة ٤٧٠ هـ ، وبينها وبين جبل درَن الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ثلاثة فراسخ ، وهو في جنوبيها . ينظر : معجم البلدان : ٥ / ٩٤ .
ومكناس والدار البيضاء مدن مغربية ، وكانت الدار البيضاء عاصمة المغرب قديماً ، وهي أكبر مدينة فيها . و لم أقف عليهما في معجم البلدان للحموي . **والأمازيغية** هي : إحدى اللغات في شمال أفريقيا الغربي .

المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه

نستطيع أن نجمل المنهج الذي اتبعه ابن جُزيّ في تفسيره كالآتي :

١. رتب ابن جُزيّ تفسيره – كغيره من المفسرين المشهورين – حسب ترتيب المصحف الشريف ابتداءً بسورة الفاتحة ، وانتهاءً بسورة الناس .

٢. لم يفسر القرآن كله وإنما يختار الكلمات التي تحتاج إلى تفسير ويترك الباقي ؛ ولذا يعتبر تفسيره من التفسير الجملي ؛ فهو يجزئ الآية منذ البداية حسب جملها المتعددة ويفسر أهم الجمل فيها ؛ بل إنه قد يترك في تفسيره الآية والآيتين ؛ وليس الجملة والجملتين فقط بدون تفسير ، إمَّا لأنه قد فسرت آيات شبيهة بها ، أو لأنها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تفسير .

٣. يحيل ابن جُزيّ عند تفسيره – لبعض الآيات – خاصة إذا تكررت الألفاظ المتشابهة أو تعددت القضية الواحدة – على مواضع أخرى من تفسيره ، وأحيانا لا يحيل .

٤. السِّمة البارزة في تفسير ابن جُزيّ هي الميل إلى الاختصار بقدر الإمكان مع التلخيص والجمع للأقوال ، لهذا فهو يبتعد عن الاسترسال في القصص ويشير إليها إشارة ، و لم يستطرد في الشواهد النحوية و لم يستوف القراءات ، و لم يستطرد في فروع الفقه .

٥. لم يسْر ابن جُزيّ على طريقة واحدة في التفسير ، فنجده مرَّة يقدم تفسير المفردات ، وقد يقدَّم سبب النزول ، ومرَّة يقدِّم المعنى العام ، ومرَّة يبدأ بذكر الإعراب ، ومرَّة بذكر الاشقاق ... وهكذا ، فهو ينوِّع فيما يبدأ به بحسب وضوح معنى الآية وغموضه وبحسب أهميته عنده .

٦. ومما هو جدير بالذكر كثرة ورود السؤال والجواب في تفسير ابن جُزيّ ، وغالباً ما يكون ذلك إيضاحاً لغموض ، أو دفعاً لإشكال ، أو إبرازاً لنكتة في السِّياق ، أو لطيفة في المعنى .

وقد استهل ابن جُزيّ كتابه : (التسهيل) بمقدمة أوضح فيها منهجه بشكل لا لبس فيه ، وحاول أن يرسم صورة لعمله في التأليف المبارك إذ يقول :

((قصدت به أربع مقاصد ، تتضمن أربع فوائد : الفائدة الأولى : جمع كثير من مسائل العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلاً على الطالبين وتقريباً على الراغبين . الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة ... الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات ... الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين ثم بين مراتب هم... إلخ)) .
اهـ [1] .

ثم أتبعها بمقدمتين مفيدتين :

إحداهما : تضمنت أبواباً متنوعة متعلقة بالقرآن .
والثانية : في تفسير معاني اللغات وقد رتبها على الحروف الأبجدية حسب الطريقة المغربية ، ولكنه راعى الحرف الأول فقط دون الذي يليه .

فنجده مثلاً : يقدم (أتى) قبل (أبى) ، و (إياب) قبل (إفك) ، و (أكل) قبل (أثاث) ، بينما الطريقة المستعملة حالياً في المعاجم هي مراعاة الحرف الأول ثم ما يليه ، وهكذا [2] .

وبالعموم فإن منهج ابن جُزيّ في جميع كتبه التي بأيدينا ؛ كالقوانين الفقهية ، وتقريب الوصول ، والتسهيل ، منهج فريد في الجمع والعرض والتنسيق والتبويب ، والوضوح ، فهذه الكتب صالحة لأن توضع كمناهج دراسية ، ولعله أرادها أن تكون كذلك ، وقد صرَّح في بعض كتبه بهذا المعنى ، لهذا لا نستغرب اهتمام الجماهير من العلماء المعاصرين بتدريس كتب ابن جُزيّ لطلابهم وحرصهم على ذلك [3] .

✍ مدى التزام ابن جُزيّ بمنهجه الذي خطَّه لنفسه في تفسيره :

قد نجح ابن جُزيّ إلى حد كبير في تطبيق منهجه على هذا الكتاب فهو ملتزم بما ألزم به نفسه من الإيجاز وعدم التطويل .

غير أنه في بعض الحالات النادرة القليلة يأتي بما يعتبر إخلالاً بهذا المنهج ، كما أنه قد يبالغ

---

(١) مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٣ .
(٢) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ١٥ .
(٣) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١/ ٣٤٠ - ٣٤٧ .

في الإيجاز حتى يجاوز الحد الذي يمكن القارئ من فهم المراد .

فمن ذلك مثلاً :

١. أنه أطال الكلام في بعض الحالات بشكل كبير فانظر :

- عند قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٥٧] . فقد أطال جداً [(١)] .
- وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾ . [سورة البروج : ٣] . فذكر هنا ستة عشر قولاً [(٢)] لا داعي لذكر أكثرها .
- وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ . [سورة ص : ٢١] . ذكر عندها قصصاً واهية [(٣)] .

٢. أهم ملحوظة في مقدمة ابن جُزيّ في تفسيره هو كلام ابن جُزيّ عن النَّسْخ ، فقد اهتم بموضوع النسخ اهتماماً كبيراً فتعرض له في المقدمة وفي أثناء الشرح ، ولكنه في المقدمة تناول ما نسخته آية السيف ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ... ﴾ . [سورة التوبة : ٥] . بإيجاز شديد وبعبارة مختصرة جداً تكاد تصل إلى حد الإخلال ، ويصعب معها فهم المراد [(٤)] .

ويظهر للدارس أن ابن جُزيّ من العلماء القائلين بوقوع النسخ بكثرة في القرآن الكريم ، والآيات المنسوخة عنده تبلغ ٢١٤ آية ، فآية السيف وحدها نسخت ١١٤ آية [(٥)] ، ولا يكلف نفسه الإتيان بدليل ولا برهان على النسخ ، ودعوى النسخ في كثير مما أورده غير مسلم بها ، وتحتاج إلى دليل ، فالنسخ ليس مجرد دعوى تقال ، وإنما هو النقل الصحيح ، ووجود التعارض الحقيقي الذي يتعذَّر معه الجمع بين الحكمين الشرعيين في الآية .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ٤٧ - ٥١ (خمس صفحات) .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ٧٤٥ ، ٧٤٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٨١ - ١٨٣ .

(٤) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ١٠ ، ١١ .

(٥) ينظر : المرجع السابق : ١ / ١١ .

والمحققون من العلماء لا يكاد المكثر منهم تتجاوز آيات النسخ عنده العشرين آية ، والمقل منهم جعلها خمس آيات .

قال الإمام السيوطي :

قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد وأدخلوا فيه آيا ليست تنحصر
فهـــاك تحرير آي لا مزيـــد لـــها عشرين حرَّرها الحـــذاق والكبر

وساق في نظمه هذه العشرين مع مناقشة الأقوال في ذلك [1] .

٣. ومما يؤخذ عليه مروره ببعض الموضوعات التي كثر فيها الجدل وتشعب الخلاف واختلط فيها الخطأ بالصواب و لم يبد رأيه فيها ؛ وذلك مثل تعيين الذبيح في قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] . [سورة الصافات : ١٠١ ، ١٠٢] . فقيل : إسحاق ؛ قاله جماعة منهم كعب الأحبار ، وقيل : إسماعيل ، قاله ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وجماعة ، وهو الصواب [3] .

٤. وفي أسباب النزول ذكر الصحيح ، وقد يذكر غير الصحيح .

✍ مصادره[4] :

لقد أورد ابن جُزيّ في مقدمته باباً خاصاً بذكر المفسرين وطبقاتهم ابتداء بعهد الصحابة ﷺ وانتهاء بشيخه أبي جعفر بن الزُّبير [5] .

---

(١) ينظر : إتقان السيوطي : ٣ / ٦٠ - ٦٦ ، وينظر : الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) : ١ / ٤٢ وما بعدها .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٧٤ .

(٣) ينظر : النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ) : ٥ / ٦٢ ، تفسير ابن كثير لأبي الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) : ٤ / ١٥ .

(٤) ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري : ١ / ٢٦٧ - ٣٣٣ .

(٥) ينظر : مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٩ ، ١٠ .

ويظهر للمتبع انه اعتمد بشكل أكبر على تفسيرين ، هما :

المحرر الوجيز لابن عطية ، **والكشاف للزمخشري** ، وتفسير ابن عطية هو أهم مرجع له ، فقد قال عنه أنه : ((أحسن التآليف وأعدلها)) [1] . وقد تأثر به كثيراً من بداية الكتاب إلى نهايته ، وربما يتكرر ذكره في الصفحة الواحدة ، وذلك التأثر ظاهر في مجالات عدة ؛ كالتفسير بالمأثور واللغة .

كما تأثر بالكشاف للزمخشري ، ونقل عنه نقولات كثيرة واستفاد منه واصطحبه من بداية الكتاب إلى نهايته ، وخاصة في الإعراب واللغة والبلاغة ، كما تأثر به في طريقة العرض وإيراد السؤال والجواب ، وقد يقارن بين الاثنين ويرجح بينهما في بعض الأحيان .

وقد استفاد من **السهيلي** [2] كثيراً في مبهمات القرآن ، وذلك في كتابه : (التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام) وقد اعتمد على مراجع أخرى من كتب التفسير وعلوم القرآن ؛ كتفسير **مجاهد** [3] ، والطبري ، و**النقاش** [4] ، والماوردي ، **ومكي ابن أبي طالب** [5] وغيرهم .

---

(١) مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ١٠ .

(٢) **السهيلي** هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي : حافظ ، عالم باللغة والسير ، ضرير . ولد في مالقة ، وعمي وعمره ١٧ سنة . ونبغ ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه ، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١ هـ . ينظر : التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله ، محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) : ٣ / ٣٢ ، السِّير : ٢١ / ١٥٧ ، البلغة : ١٣١ .

(٣) **مجاهد** هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم : تابعي ، مفسر من أهل مكة . قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير من ابن عباس ﷺ ، ت وهو ساجد سنة ١٠٤ هـ . ينظر : الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠ هـ) : ٥ / ٤٦٦ ، حلية الأولياء : ٣ / ٢٧٩ = = صفة الصفوة لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٢ / ٢٠٨ .

(٤) تفسير النقاش هو : (شفاء الصدور) .
والنقاش هو : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر النقاش : عالم بالقرآن وتفسيره ، أصله من الموصل ، ومنشأه ببغداد ، وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش ، من تصانيفه : (شفاء الصدور) في التفسير ، و (الاشارة) في غريب القرآن ، ت سنة ٣١٥ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٢ / ٢٠١ – ٢٠٥ ، تاريخ الإسلام : ٢٦ / ٦١ – ٦٤ ، البداية والنهاية : ١١ / ٢٤٢ .

(٥) تفسير مكي هو : (الهداية في تفسير القرآن) .
ومكي : هو مكي بن أبي طالب محمد بن حموش بن محمد بن مختار القيسي ؛ أبو محمد ، ولد بالقيروان ، ورحل إلى مصر ومكة ، وأمضى بقية عمره في الأندلس ، له : الهداية إلى بلوغ النهاية ، والكشف عن وجوه =

وذكر ابن جُزيّ في مقدمته [1] تفسير **ابن الخطيب (الفخر الرازي)** [2] وغيره ، واستفاد من كتب القراءات وعللها ، واستفاد كذلك من كتب السُّنة والسِّيرة ، وكتب الفقه الأصول والعقائد ، وكتب النحو واللغة وغير ذلك [3] .

= القراءات السبع وعللها وحججها ، والتبصرة ، والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة . ت سنة ٤٣٧هـ . ينظر : وفيات الأعيان ٤ / ٣٦١ ، السِّير : ١٧ / ٥٩١ ، البلغة : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(١) ينظر : مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ١٠ .

(٢) **الفخر الرازي** هو : الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الرازي ، كان إمام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية ، صاحب التفسير الكبير والمؤلفات العديدة ، ت سنة٦٠٦هـ . ينظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأبي العباس ، أحمد بن القاسم السعدي (المعروف بابن أصيبعة) (ت ٦٦٨ هـ) : ١ / ٤٦٢ ، طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب بن علي السُّبكي (ت ٧٧١ هـ) : ٨ / ٩٤ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٥٥ .

(٣) أكتفي بما ذكرت من مصادر لابن جُزيّ من غير تفصيل ، وللمزيد ينظر : ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير للزُّبيري (١ / ٢٦٧ - ٣٣٣) فقد كتب عنها الزُّبيري في هذه الرسالة كتابة مُسْهبة ، وذكر كل مجموعة من هذه الكتب في مبحث مستقل .

الفصل الثاني

منهج ابن جُزيّ في الترجيح

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ

المبحث الثاني

صيغ الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ

المبحث الثالث

وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ

تمهيد

الناظر في أقوال السلف في تفسير القرآن ؛ والقارئ لكتب التفسير يجد أن الكثير من الآيات تحتمل أكثر من قول ، وهذه الأقوال التي ترد في التفسير متفاوتة في القوة ، ومختلفة في المعنى .

والكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغثِّ والسَّمين ، والباطل الواضح والحقِّ المبين ، والعلم إما نقل مُصدَّق عن معصوم ، وإما قولٌ عليه دليلٌ معلوم [1] .

والدَّارس للتَّفسير يحتاج للتَّمييز بين هذه الأقوال ، ويحرص على معرفة الصَّحيح من الضَّعيف والرَّاجح من المرجوح ، كما أنه يبحث عن الأقوى من الأقوال ، والأقرب إلى المراد ليقدمه على غيره . وبهذا تتفاوت منازل أهل العلم بالتفسير ؛ فكما قيل : ليس الفقه أن تعلم الخير من الشر ، وإنما الفقه أن **تعلم خير الخيرين ، وشر الشرَّين** [2] . وتلك مرتبة عالية من مراتب العلم ، يوفق الله لها من شاء من عباده .

ومن هنا كانت الحاجة ماسَّة للترجيح بين الأقوال ، والاختيار للأقوى منها حتى يقدم على غيره ، ويوضع في مترلته .

---

(١) ينظر : شرح (مقدمة في أصول التفسير) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية لكل من : الشيخ محمد بن صالح العثيمين : ٩ ، الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول : ١٤ ، والدكتور مساعد بن سليمان الطيار : ٢٤ .

(٢) ينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية : ١٤ / ٤٣٤ .

المبحث الأول
تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ

الترجيح في اللغة[1] :

مصدر رجَّح يرجِّح ترجيحاً ، وتدور مادة (رَجَحَ) حول : الثقل ، والميل ، والرزانة ، والزيادة .

قال **ابن فارس** : " الراء والجيم والحاء : أصل واحد ، يدل على رزانة وزيادة ، يقال : رجح الشيء وهو راجح إذا رزن ، وهو من الرجحان "[2] .

ورَجَح الشيءُ ، وهو راجح ؛ إذا رَزَن ، ومنه قولهم : قوم مراجيح في الحِلْم .

ورجَح الميزان يَرْجحُ – بتثليث الجيم – رجحاناً ، إذا زاد جانب الموزون حتى مالت كفته . ونخلٌ مراجيحٌ ، أي : ثقال الأحمال . ويقال مجازاً لاعتقاد الرُّجْحان[3] ، ومنه : ترجَّحَ الرأي عنده ، أي : غلب على غيره .

ورجَّحْتُ الشيء – بتشديد الجيم – فضَّلته وقوَّيته[4] .

---

(١) ينظر (مادة : رجح) في : **كتاب العين** للفراهيدي : ٣ / ٧٨ ، **تهذيب اللغة** لأبي منصور ، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) : ٤ / ٨٧ ، **المحكم والمحيط الأعظم** لأبي الحسن ، علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ) : ٣ / ٧٥ ، ٧٦ ، **أساس البلاغة** لأبي القاسم ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : ٢٢١ ، **النهاية** في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ؛ المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) (ت ٦٠٦ هـ) : ٢ / ١٩٨ ، **لسان العرب** لابن منظور : ٢ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، **القاموس المحيط** لمجدد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) : ٢٧٩ **تاج العروس** للزبيدي : ٦ / ٣٨٣ – ٣٨٦ . **وينظر** : **غريب الحديث** لأبي إسحاق ، إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥ هـ) : ٢٤٥ .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس : ٢ / ٤٨٩ .

وابن فارس هو : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، أبو الحسن الرازي ، إمام من أئمة اللغة والنحو والأدب ، وكان مع ذلك فقيهاً شافعياً ، مفسراً ، صاحب مصنفات كثيرة جليلة ، ت سنة ٣٩٥ هـ . ينظر : معجم الأدباء : ١ / ٥٣٣ – ٥٤٥ ، البلغة : ٦١ ، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الداودي (ت ٩٤٥ هـ) : ٩٢ . ٩٣ .

(٣) ينظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : ١ / ٤٥٥ .

(٤) ينظر : المصباح المنير للفيومي : ١ / ٢١٩ .

ومنه جاء الحديث الصحيح عَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : « كان اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرَّةَ ، فكأن النبي ﷺ كَرِهَ ذلك ؛ فَسَمَّاهَا جُوَيْرِيَةَ كَرَاهَةَ أن يُقَالَ : خَرَجَ من عِنْدِ بَرَّةَ ، قال : وَخَرَجَ بعدما صلى فَجَاءَهَا ؛ فقالت : ما زِلْتُ بَعْدَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ دَائِبَةً . قال : فقال لها : لقد قلت بَعْدَكِ كَلِمَاتٍ لو وُزِنَّ لَرَجَحْنَ بِمَا قُلْتِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ ما خَلَقَ الله ، سُبْحَانَ اللَّهِ رضاء نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ » [(١)] .

وعليه ؛ فإن التَّرجيح في اللغة يطلق على مطلق الزيادة والفضل ؛ بأي شيء كان حسياً أو معنوياً .

✍ تعريف الترجيح في الاصطلاح:

تباين المتقدمون والمتأخرون من علماء الأصول في تعريف (الترجيح) ؛ وذلك لتباين مواقفهم من الترجيح من حيث كون الترجيح من فعل المُرَجِّح أو هو وصف قائم بالدليل أو مضاف إليه [(٢)] .

تعريف الترجيح في الاصطلاح : " هو إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر " [(٣)] .

وفي اصطلاحات الأصولين المتقدِّمين ؛ كما يلي :

" تقوية أحد الطريقين على الآخر ، ليعلم الأقوى فيعمل به ، ويطرح الآخر " [(٤)] .

وقيل : " هو عبارة عن وفاء أحد الظنين على الآخر " [(٥)] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده في مسند ابن عباس ﷺ (٣٣٠٨) : ١ / ٣٥٣ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . وله أصل عند مسلم في صحيحه بلفظ : « لقد قلت بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ لو وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » .

(٢) ينظر : التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الاسلامي لمحمد إبراهيم الحفناوي : ٤١٥ .

(٣) ينظر : التعريفات للجرجاني : ٧٨ ، قواعد الفقه لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي (ت ١٤٠٢ هـ) : ٢٢٦ .

(٤) قاله محمد بن عمر **فخر الدين الرازي** (ت ٦٠٦ هـ) في كتابه (المحصول في علم الأصول : ٥ / ٥٢٩) .

(٥) قاله القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله الشهير **بابن العربي** (ت ٥٤٣هـ) في كتابه (المحصول في أصول

وقيل : " إثبات الفضل في أحد جانبي المتقابلين " [١] .

وقيل : " بيان القوة لأحد المتعارضين على الآخر ، أو تغليب أحد المتقابلين " [٢] .

ومن **تعاريف المتأخرين** ما يلي :

هو " بيان قوة زيادة إحدى الإمارتين على الأخرى بدليل صحيح ليعمل بها " [٣] .

وقيل : " تقديم المجتهد بالقول أو بالفعل أحد الطريقين المتعارضين لما فيه من مزية معتبرة تجعل العمل به أولى من الآخر " [٤] .

وأما **المفسرون** فليس للترجيح عندهم حدّ أو تعريف متفق عليه ، واستعمالهم للترجيح في تفاسيرهم يدل على توسعهم في إطلاقه ، فهو عندهم يشمل كلّ تقديم لقول على آخر ، سواء كان تقديماً يلزم منه ردّ الأقوال الأخرى ، أم كان تقديماً لا يلزم منه ذلك .

والتَّرجيح الذي سرت عليه في هذا البحث فهو : تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل ، أو لتضعيف وردِّ ما سواه [٥] .

وعليه ؛ فإن الترجيح بين المسائل هو تقديم أحد الأقوال المحتملة في تفسير الآية على غيره لما فيه من مزية معتبرة تجعل تقديمه أولى من غيره ، ولا يكون ذلك إلا في حال التقابل والتعارض ؛ لأن :

الفقه : ١٤٩) .

(١) قاله الشوكاني في إرشاد الفحول : ٤٥٥ .

(٢) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ) : ١٧٠ ، والكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء ، أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) : ٣١٥ .

(٣) ينظر : التعارض والترجيح للحفناوى : ٤١٢ .

(٤) التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية لعبد اللطيف عبد الله عزيز البرزنجى : ١ / ٨٩ .

(٥) ذكره الدكتور حسين الحربي في كتابه قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣٥) بلفظ : " تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه ، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه " .

" من المعلوم أنه عند تنازع الخصمين تتخالف مزاعمهما نفياً وإثباتاً ، فيحتاج في فصل الخصومة إلى مرجِّح يرجَّح به في مبدأ الأمر زعم أحدهما على زعم الآخر ... " [1] .

وعليه ؛ فإن التَّرجيح يكون في الآيات التي وقع فيها الخلاف بين المفسرين في تفسيرها وبيانها ، فما لم يقع فيه خلاف فهو خارج عن موضوع البحث والدراسة .

✍ موجبات الترجيح عند ابن جُزيّ :

لقد حصر ابن جُزيّ رحمه الله موجبات الترجيح فذكر في أسباب الخلاف بين المفسرين اثني عشر سبباً هي :

١. اختلاف القراءات [2] .

٢. اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات .

٣. اختلاف اللغويين في معنى الكلمة .

٤. اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر .

٥. احتمال العموم والخصوص .

٦. احتمال الإطلاق أو التقييد .

٧. احتمال الحقيقة أو المجاز .

٨. احتمال الإضمار أو الاستقلال .

٩. احتمال الكلمة زائدة .

---

(١) قاله أحمد الزرقا في كتابه (شرح القواعد الفقهية : ١٠٥) . وينظر : اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق = = الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) : ١١٨ .

(٢) هذه اللفظة جاءت **محرفة في التسهيل بلفظ** : ((**اختلاف القرآن**)) في طبعة دار الكتاب العربي ، لبنان ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ط ٤ (ص ٩) ، وفي طبعة دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م ط ١ (ص ١٥) . وقد صحَّحها الدكتور : **محمد بن سيدي محمد بن مولاي** في تحقيقه لكتاب (التسهيل) لابن جُزيّ (ص ٧) إلى ((اختلاف القراءات)) .

١٠. احتمال حمل الكلام على الترتيب ، وعلى التقديم والتأخير .

١١. احتمال أن يكون الحكم منسوخاً [١] أو محكماً .

١٢. اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السَّلف [٢] .

---

(١) **النَّسخ في اللغة** يطلق على معنيين :

= أحدهما : الرفع والإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظلّ : أزالته ، والمعنى : أذهبت الظل وحلت محله .

وثانيهما : النقل والتصوير وتحويل شيء إلى شيء ، يقال : نسخت الكتاب ، أي : نقلته وصورته . ينظر (مادة : نسخ) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٧ / ٨٤ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٥ / ٤٢٤ ، المفردات في غريب القرآن للحسن بن محمد الرَّاغب (ت ٥٠٢ هـ) : ٤٩٠ ، لسان العرب : ٣ / ٦١ ، تاج العروس : ٧ / ٣٥٥ ، ٣٥٦ . وفي كتب الغريب : غريب الحديث للحربي : ٣ / ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، غريب القرآن لأبي بكر ، محمد بن عزيز السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) : ٤٥٩ ، التبيان في غريب القرآن لابن الهائم المصري : ١٠٢ .

أما في الاصطلاح فمن أشهر التعاريف عند الأصوليين والمفسرين للنسخ هو : رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه . ينظر : الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ) : ٣ / ١١٤ ، ١١٥ ، روضة الناظر وجنة المناظر لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) : ٦٩ ، مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) : ٢ / ١٢٦ ، ١٢٧ ، مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) : ٦٦ ، مباحث في علوم القرآن لمناع خليل القطان : ٢٣٢ ، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح : ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ . وسيأتي إيراد أمثلة تطبيقية على ذلك لاحقاً بإذن الله .

المبحث الثاني
صيغ الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ

لقد رسم ابن جُزيّ رحمه الله لنفسه منهجاً في الترجيح بين الأقوال ؛ وهي التي نصَّ عليها في مقدمة كتابه : (التسهيل) ؛ وقد ذكر فيها أسباب تصنيفه لهذا السِّفر الجليل ومقاصده التي قصدها من تأليفه ؛ ومنها :

((تحقيق أقوال المفسرين السَّقيم منها والصَّحيح ، وتمييز الرَّاجح من المرجوح ، وذلك أن أقوال الناس على مراتب ؛ فمنها الصحيح الذي يعول عليه ، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد ، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيراً)) . اهـ [1] .

صيغ الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ :

أولاً : الترجيح بصيغة (أفعل) التفضيل [2] : وهذه الصيغة من أكثر الصيغ التي استخدمها ابن جُزيّ رحمه الله في تفسيره ، وله في ذلك عدة عبارات وصيغ ؛ مثل : **أرجح** أو **أقوى** ، أو **أظهر** ، أو **أشهر أو أصح** ، **أو أحسن** ، **أو أولى** ، **أو أليق وأبلغ** ، **وأفصح وأبرع** [3] .

جعل ابن جُزيّ هذه الصيغة من صيغ الترجيح ، وثلَّث بها عند ذكره صيغ الترجيح عنده حيث قال : : ((**ثمَّ** ما أقول إن غيره أرجح ، أو أقوى ، أو أظهر ، أو أشهر)) [4] .

---

(١) مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٣ .

(٢) **اسم التفضيل** هو : ما اشتق لما زاد على غيره في الفعل . ينظر : كليات الكفوي : ٩٥ . فكلمة (زاد على غيره) تفيد أن هذا الشيء اكتسب وصفاً زائداً على الأول ، وهذه الزيادة هي التي رجَحَ بها الفعل الثاني ، ومن هنا جُعل (أفعل التفضيل) من ألفاظ الترجيح عند المفسرين .

(٣) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في استخدامه لصيغ (أفعل) التفضيل ومدى التزامه بهذه الصيغة ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٠٦ – ١١٩ .

(٤) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

ومعنى قوله هذا : أنه إذا ذكر قولين وأحدهما أرجح ، أو أقوى ، أو أظهر ، أو أشهر فهذا دليلٌ على أن القول الآخر مرجوحاً ؛ فإن الحكم على أحد القولين بأنه أرجح أو أظهر وغير ذلك لا يدل على فساد القول الآخر أو بطلانه ؛ بل يحتمل الصحَّة ؛ ولكن القول الآخر أصحُّ أو أظهر ، وهذا ما يسمَّى عند المفسرين بـــ (تقديم الأولى) ، فإذا كانت الأقوال المختلفة في الآية محتملة ، وليس بينهما تعارض واضح ، وكان أحدهما أقوى في الدلالة سواءً في لفظ الآية ، أو دليل من السُّنة ، أو لغة العرب ، أو السِّياق أو غير ذلك فإنه يقدَّم على غيره من الأقوال .

قال **العز بن عبد السلام** : " وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر أو السُّنة أو سياق الكلام ، وإذا احتمل الكلام معنيين ؛ وكان حمله على أحدهما أوضح وأشدُّ موافقة للسِّياق كان العمل عليه أوْلى " . اهـــ [1] .

وذكر **الماوردي** قبله من ضربي الدليل الذي يرجح به ، فقال : " ... والضرب الثاني : أن يكون دليلاً على صحة أحد المعنيين فيثبت حكمه ، ويكون مراداً ولا يقتضي سقوط المعنى الآخر ، ويجوز أن يكون مراداً " . اهـــ [2] .

وقد أشار ابن جُزيّ إلى هذا القول حيث قال في الترجيح بين الأقيسة بأنه يقدَّم : ((الأجلى على ما هو أقل جلاءً منه)) . اهـــ [3] .

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن الكريم للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـــ) : ٢٢٠ .

والعزُّ بن عبد السلام هو : عز الدين عبد العزيز بن عبد السَّلام الدمشقي السلمي ، لقب بشيخ الإسلام ، **وبسلطان العلماء** ، كان عالماً ورعاً زاهداً ، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، ت سنة ٦٦٠ هـــ . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى للسُّبكي : ٨ / ٢٠٩ - ٢٥٥ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٢ / ١٠٩ .

(٢) النكت والعيون : ١ / ٤٠ .

والماوردي هو : علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، أبو الحسن الماوردي : من العلماء االباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال ، من كتبه : أدب الدنيا والدِّين ، والأحكام السُّلطانية ، والنكت والعيون وغير ذلك . ت ببغداد سنة ٤٥٠ هـــ . ينظر : وفيات الأعيان : ١ / ٣٢٦ ، السِّير : ١٨ / ٦٤ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٥ / ٢٦٧ .

(٣) تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جُزيّ الكلبي ، اعتناء : جلال علي الجهاني : ١٢١ .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [1] : ((يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر بالإيمان ، **والأوَّل أرجح** لمقابلته بالشكر)) . اهـ [2] .

ثانياً : الحكم على القول بخطأ ، أو **باطل** ، أو **ضعيف** ، أو **بعيد** [3] ترجيح للقول الآخر .

وهذه الصيغة من الترجيح تشتمل على مرتبتين من مراتب الترجيح التي ذكرها ابن جُزيّ في مقدمة التسهيل ، وهي أدنى المراتب في الحكم على الأقوال حيث قال : ((فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ، **ثم** ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد)) [4] .

فإذا كان في المسألة قولان أو أكثر وحكم على أحدها بأنه خطأ أو باطل أو ضعيف أو بعيد فإنه يعتبر ترجيحاً للقول الأوَّل . ومما يدلُّ على ذلك قوله في آخر سياقه لصيغ الترجيح عنده – ومن ضمنها هاتان الصيغتان – ؛ قال : ((وهذا التَّرجيح والتَّصحيح مبني على القواعد العلمية ...)) [5] .

وهذا الأسلوب يحصر الصواب والراجح فيما عدا الأوجه التي ضعَّفها أو خطَّأها ، وهذا معروف عند المفسرين [6] ، وقد استعملوه في الترجيح .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [7] : ((والوراء هنا : بمعنى ما يستقبل من الزمان ، **وقيل** : معناه

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام : ٧ .

(٢) التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٣) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في استخدامه لهذه الصيغ الأربعة ومجالات استخدامها ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٢٥ – ١٣٥ .

(٤) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

(٥) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

(٦) ذكر ذلك مثلاً ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ٨٠) في سياق ترجيحه لأحد الأقوال في تفسيره ؛ حيث قال : " وإذا فسد هذان الوجهان صحَّ الثالث وهو ما قلنا " . اهـ .

(٧) سورة إبراهيم عليه السلام : ١٦ .

هنا أمامه ، **وهو بعيد**)) . اهـ [1] .

وفي هذا المثال يتضح ترجيح ابن جُزيّ من خلال حكمه على القول الثاني بأنه بعيد ، وسياقه بصيغة التضعيف ، وذكره القول بصيغة الجزم ، وتقديمه على القول الآخر .

ثالثاً : ذكر قولين أو أكثر وتقديم أحدهما بالذكر ترجيحٌ للمتقدم منهما .

نصَّ ابن جُزيّ رحمه الله على هذه الصيغة في الدلالة على الترجيح حيث قال : ((ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم)) [2] ، ويقصد بذلك أنه إذا ذكر قولين في المسألة دون أن ينص على الترجيح بأحد الصيغ لصريحة (كأشهر ، أو أحسن أو غيرهما) فإن المذكور أولاً هو الراجح عنده ، ولابدَّ أن يكون سياقه للقولين متساوياً وفي درجة واحدة ، كأن يصدر القولين بقوله : قال فلان ، أو قيل كذا . وصنيعه هذا إشعارٌ منه كما قال بترجيح المتقدِّم ، وكلمة (إشعار) معناها : الإعلام [3] ، أي هذا الأسلوب من أساليبه إعلامٌ وإخبارٌ بترجيح بترجيح المتقدِّم ، **وأسلوب من أساليب الترجيح** عند المؤلف إذا لم ينص كما قلنا على ترجيح قول ، **والأمثلة على ذلك** كثيرة جداً ، منها :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ... ﴾ [4] قال ابن جُزيّ : ((﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ قيل : يعني القيامة . وقيل : النصر على الكفار . وقيل : عذاب الكفار في الدنيا)) . اهـ [5] .

فهنا ذكر الأقوال بدرجة واحدة ، وقدَّم القول بأن المراد بأمر الله (القيامة) للدلالة على ترجيحه لهذا القول .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

(٣) ينظر (مادة : شعر) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١ / ٢٦٦ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ٤١٤ .

(٤) سورة النحل : ١ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٩ .

رابعاً : ذكر القول الراجح بصيغة الجزم وتقديمه ، وذكر القول المرجوح بصيغة التضعيف [1] .

ذكر ابن جُزيّ رحمه الله على الصيغة ضمن صيغ الترجيح عنده حيث قال : ((ثم ما أقدم غيره عليه ... أو بالقول فيه قيل كذا)) [2] ، أي : إذا ذكر قولين أو أكثر وقدم أحد القولين بصيغة الجزم ، ثم ذكر القول الثاني بصيغة التضعيف وهي : (قيل : كذا) ؛ فهذا **أسلوب من أساليب ابن جُزيّ في الترجيح** ، وقد أكثر ابن جُزيّ من هذا الأسلوب في ترجيحه في ثنايا تفسيره ، ومن **الأمثلة على ذلك** :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [3] : ((﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى : **أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله** ؛ لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، **وقيل** : الحق هنا العذاب)) . اهـ [4] .

خامساً : ذكر القول الراجح فقط بدون حكايته عن أحد ، والسكوت عما عداه من الأقوال يعتبر ترجيحاً لهذا القول .

نصَّ ابن جُزيّ رحمه الله على هذا الأسلوب من أساليب الترجيح عنده حيث قال : ((وأما إذا ذكرت شيئاً دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه ؛ سواء كان من تلقاء نفسي ، أو مما أختاره من كلام غيري)) [5] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في استخدامه لهذا الأسلوب وأغراض استخداماته ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٤٧ - ١٤٩ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

(٣) سورة الحجر : ٨ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٤ .

(٥) مقدمة التسهيل : ١ / ٣ .

إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [1] : ((﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ... ﴾ هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، **فدلوك الشمس زوالها** ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته ، وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح)) . اهـ [2] .

فقد اختلف أهل العلم والمفسرون في المراد بدلوك الشمس ؛ ولكننا نجد ابن جُزيّ يذكر القول الراجح في المراد بدلوك الشمس (زوالها) دون حكايته عن أحد ، وسكت عما عداه من الأقوال ترجيحاً له . ووجدت هذا القول الذي رجَّحه هو قول أكثر السلف ، وهو الصواب [3] .

سادساً : التصريح باسم قائل القول يعتبر ترجيحاً لهذا القول إذا كان قائله ممن يقتدى به .

والقائل الذي يقتدى به يكون في التفسير أو اللغة أو غير ذلك ، وقد ذكر في مقدمته طبقات المفسرين وترتيبهم عنده ؛ قدم المفسرون من الصحابة ﷺ ورتبهم حسب علمهم ومكانتهم في التفسير ؛ فأفضلهم ابن عباس ﷺ ، ثم المفسرون من التابعين وقدمَّ الحسن البصري ، ثم ذكر مفسرين آخرين [4] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ [5] : ((﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم

---

(١) سورة الإسراء : ٧٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٧ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ك د ل) : ١٠ / ٦٩ ، و (مادة : دلك) في : لسان العرب : ١٠ / ٤٢٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ١٥٥ . وينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الفقه : ٢١ / ٤٣٥ ، ٢٢ / ٥٥١ ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي لعبد الوهاب بن علي السُّبكي (ت ٧٥٦ هـ) : ١ / ٤٢ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٨٢ .

(٤) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ٩ ، ١٠ .

(٥) سورة النور : ٦٠ .

يبح لغيرهن من وضع الثياب . **قال ابن مسعود : إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء** . وقال بعضهم : إنما ذلك في مترلها الذي يراها فيه ذوو محارمها)) . اهـ [1] .

فالمعنى الأول المأثور عن **عبد الله بن مسعود** ﷺ هو الراجح عنده ، ولذلك نصَّ على ذكر صاحبه فهو ممن يقتدى به ، وقدَّمه على القول الآخر إشعاراً بترجيحه ؛ **وهذا أسلوب من أساليب الترجيح عنده** .

من منهج ابن جُزيّ في ذكر الأقوال :

- لا ينسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً ، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم .
- وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم يذكره تنزيهاً لكتابه ، وربما ذكره تحذيراً منه [2] .

بعض الجوانب المهمة في منهج ابن جُزيّ في استخدام صيغ الترجيح :

١. قد يذكر ابن جُزيّ عدة أقوال ويسوقها على سبيل التخيير ؛ مستخدماً كلمة (أو) التي تجعل الأقوال كلها محتملة ؛ **فهذا لا يعتبر أسلوباً من أساليب الترجيح عند ابن جُزيّ** ، وهو كثير في تفسيره .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [3] : ((﴿ أَتَهْتَدِيٓ ﴾ **يحتمل** أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها ، **أو** للجواب عنه إذا سئلت ، **أو** للإيمان)) . اهـ [4] .

٢. أورد ابن جُزيّ رحمه الله كثيراً من صيغ الترجيح في ثنايا تفسيره و لم يذكرها في مقدمته

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٢ .
(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .
(٣) سورة النمل : ٤١ .
(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .

ومن ذلك قوله : (فيه نظر) ، و (**والصَّحيح عندي**) ، و (والصواب كذا) ، و (وهذا القول يضعِّفه) ، وغير ذلك من الصيغ والتي يمكن إضافتها للصيغ المذكورة ؛ حيث تشاركها في المعنى ، مثل : (**والصَّحيح عندي**) تضاف لـــ (وهذا أصح) ... وهكذا .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [1] : ((﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ قيل : المعنى : لا يحيطون بمعلوماته ، كقوله : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... ﴾ [2] ، **والصَّحيح عندي** : أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته ؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال : ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ هناك ، ولم يستثن هنا)) . اهـــ [3] .

٣. إذا احتمل عدة أقوال فلا يكون قد رجَّح فيها قولاً أو ارتضى بأي منها ؛ **فلا يعتبر هذا أسلوباً من أساليب الترجيح عند ابن جُزيّ** أيضاً .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ... ﴾ [4] : ((﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ **يحتمل** أن يريد ما قدر لها من الماء ، **ويحتمل** أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها)) . اهـــ [5] .

إلاَّ إذا ذكر القولين بصيغة التخيير (أو) ثم ينص على ترجيح إحداهما ؛ عند ذلك **يعتبر هذا أسلوباً من أساليب الترجيح عند ابن جُزيّ** .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [6] : ((يحتمل أن

---

(١) سورة طه : ١١٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٣ .

(٤) سورة الرعد : ١٧ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٤ .

(٦) سورة إبراهيم عليه السلام : ٧ .

يريد كفر النعم **أو** الكفر بالإيمان ، **والأول أرجح** لمقابلته بالشكر)) . اهـ [1] .

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

المبحث الثالث
وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ

لقد بنى ابن جُزيّ رحمه الله على أسباب الخلاف بين المفسرين وجوه الترجيح عنده [(١)] ؛ وهي كما يلي :

✓ أولاً : وجوه الترجيح [(٢)] المتعلقة بالقرآن الكريم :

الوجه الأول : **تفسير بعض القرآن ببعض** . وهو على ضربين :

الضرب الأول : الترجيح بدلالة الآية نفسها [(٣)] :

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٤)] : ((اللهو في لغة اليمن : الولد . وقيل : المرأة . و ﴿ مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي : من الملائكة ، فالمعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم ؛ فهو ردٌّ على من قال : إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، **والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب ؛ لاتصاله بقوله** : ﴿ ... لَٰعِبِينَ ﴾ [(٥)] ...)) . اهـ [(٦)] .

---

(١) لقد حصر ابن جُزيّ رحمه الله في مقدمته (١ / ٩) وجوه الترجيح عنده في اثني عشر وجهاً ، ولكنني عند استقراء تفسيره (التسهيل) وجدته في مقدمته يعقد لوجوه أخرى من الترجيح فصولاً ، كالقراءات ، ودلالة الإجماع وأسباب النزول ، والمكي والمدني ، والنسخ وعدمه ، والناحية البلاغية ، ومرجع الضمير ؛ ولم ينص على أنها من وجوه الترجيح عنده ولكنني وجدته يرجح بها في ثنايا تفسيره .

(٢) اختار المؤلف للترجيح بين الأقوال عبارة (الوجوه) ، ولم يذكر لفظة القواعد ، وتلك لفظة مليحة تحتاج إلى بحث وتحليل يكون فيها موازنة بين العبارتين للنظر في أيهما أولى بالمقام في باب الترجيح بين أقوال المفسرين ؛ هل يقال : قواعد الترجيح ، أو يقال : وجوه الترجيح ؟ قاله الدكتور مساعد الطيار .

(٣) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة الآية نفسها** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٧٢ – ١٨٥ .

(٤) سورة الأنبياء : ١٧ .

(٥) سورة الأنبياء : ١٦ .

(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

الضرب الثاني : الترجيح بدلالة آية أخرى [١] ، وهذا الضرب يعتبر من **التفسير بالمأثور** ، وهو يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وهو أشرف أنواع التفسير وأجلها حيث لا أحد أعلم بمراد كلام الله منه جل وعلا ، ويحتل المكانة الأولى في الترجيح عند المفسرين . وقد نصَّ ابن جُزيّ عند ذكره لأوجه الترجيح عنده فقال : ((تفسير بعض القرآن ببعض ؛ فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال)) [٢] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾ [٣] : ((قيل : يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله ، وقيل : يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن ، **والأظهر** يفعلون الحسنات فيدرؤ ون بها السيئات ، **كقوله** : **﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾** [٤])) . اهـ [٥] .

الوجه الثاني : الترجيح **بالمعنى المتبادر إلى الذهن** ؛ أو بظاهر لفظ الآية [٦] .

المراد بالظاهر هنا : هو الذي يغلب على الظن فهم معنى منه من غير قطع [٧] ، أو : ما سبق مراده إلى فهم سامعه [٨] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة آية أخرى** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ١٨٧ – ٢٠٠ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الرعد : ٢٢ .

(٤) سورة هود عليه السلام : ١١٤ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٤ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بظاهر اللفظ** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٠٤ – ٢١٧ .

(٧) ينظر : المستصفى من علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) : ١ / ١٩٦ ، الإحكام للآمدي : ٣ / ٥٨ .

(٨) ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّركشي (ت ٧٩٤ هـ) : ١ / ٣٧٥ .

فظاهر القرآن ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني ، وهو يختلف بحسب السِّياق وما يضاف إليه الكلام [١] ، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ، وآخر في سياق آخر .

وهذه القاعدة من القواعد التي اعتمدها أهل العلم في الترجيح ، فقد نُقل عن الشافعي رحمه الله أنه قال : " فسنّ رسول الله ﷺ الوضوء مرة ، فوافق ذلك **ظاهر القرآن** ، وذلك أقل ما يقع عليه اسم الغسل " . اهـ [٢].

فالأصل في نصوص القرآن الكريم أن تفسر على ظاهر معناها الذي يجرى على ما اقتضته النصوص ، وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة ، وهذه هي طريقة سلف الأمَّة في فهم نصوص الكتاب والسُّنة [٣] .

لذا فإنه لا يجوز أن يعدل عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه [٤] ، فمن خالف ظاهر القرآن فقوله مرجوح ، يقول الإمام **الطبري** رحمه الله عند بيانه لمرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [٥] : " وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام ، إلى باطن باطن لا دلالة على صحته " . اهـ [٦] .

ويقول **الشنقيطي** [٧] رحمه الله مبيناً إجماع أهل العلم على ذلك : " وقد أجمع جميع المسلمين على على

---

(١) ينظر : المجلى في شرح القواعد المثلى لكاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري (أول شرح لمتن القواعد المثلى للشيخ العثيمين رحمه الله) : 274 .

(٢) كتاب الرِّسالة لأبي عبد الله ، محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) : ١٦٤ ، وينظر أيضاً : ٣٤١ من الرسالة ، البحر المحيط للزَّركشي : ٢ / ١١٨ ، ١١٩ .

والإمام الشافعي هو : الإمام الكبير محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي ، أبو عبد الله الشافعي المكي الإمام في العلم ، الفقيه المحدث الأصولي المجدد ، صاحب المناقب والفضائل ، ت سنة٢٠٤هـ . ينظر : الثقات لمحمد ابن حبان بن أحمد التميمي البستي : ٩ / ٣٠ ، ٣١ ، تهذيب الكمال : ٢٤ / ٣٥٥ - ٣٨٠ ، تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر : ٤٦٧ .

(٣) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير : ١٣ / ٣٨٠ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٣٧ .

(٥) سورة البقرة : ٤٥ .

(٦) تفسير الطبري : ١ / ٢٦١ .

(٧) **الشنقيطي** هو : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، مفسرٌ ، لغويٌ ، فقيهٌ ، أصولي ، من أكابر علماء

أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح وعلى هذا كل من تكلم في الأصول " . اهـ [1] .

وقد قرَّر ابن جُزيّ هذا الوجه من وجوه الترجيح ، واستعمله في تفسيره مرجِّحاً به ؛ وقال في سياق ذكره لوجوه الترجيح : ((أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن ؛ فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه)) . اهـ [2] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [3] : ((... وقال كثير من الناس في معنى الآية : إنها دليل على التمانع الذي أورده الأصوليون ، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما ؛ وذلك محال ؛ لأن النقيضين لا يجتمعان وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما ، وذلك أيضاً محال ؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معا ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما فلا يكونان إلهين ، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر ؛ فالذي تنفذ إرادته هو الإله ، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله ؛ فالإله واحد ، وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه ؛ **بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصحُّ من دليل التمانع** ، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة ؛ ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة ، ولا وليان لخطة واحدة !)) . اهـ [4] .

الوجه الثالث : **الترجيح بناء على الحقيقة والمجاز** [5] ، فالأصل أن تحمل نصوص الوحي على الحقيقة .

فمن القواعد التي نصَّ عليها أهل العلم : وجوب حمل نصوص الوحي على الحقيقة .

يقول **ابن عبد البرِّ** : " وحمل كلام الله تعالى ، وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الديـــن

موريتانيا ، ت سنة ١٣٩٣هـ . ينظر : الأعلام : ٦ / ٤٥ .

(١) أضواء البيان : ٧ / ٢٦٩ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على الحقيقة والمجاز** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٢٣ - ٢٣٦ .

والحق ؛ لأنه يقص الحق ، وقوله الحق ، تبارك وتعالى علواً كبيراً " . اهـ [1] .

ويقول **ابن العربي** في أحكامه عند تأويل قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ ﴾ :

" قيل : هو حقيقة ، وقيل : عبر به عن دمشق أو جبلها ، أو مسجدها ، **ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل** " . اهـ [2] .

وقد استعمل جماعة من العلماء هذه القاعدة في الترجيح [3] ، ومنهم : النحاس رحمه الله تعالى ، فقد كان حريصاً على استعمال الكلمات والتراكيب في معانيها الحقيقية ، وعدم صرفها عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل قوي ، أو قرينة واضحة .

وقال ابن جُزيّ مرجحاً الحقيقة على المجاز :

((تقديم الحقيقة على المجاز ، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين ، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة . ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة)) [1] .

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ليوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النمري (ت ٤٦٣ هـ) : ٥ / ١٦ .
وابن عبد البرِّ هو : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرِّ النمري القرطبي المالكي ، أبو عمر : من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ ، أديب ، بحاثة . من كتبه : الاستيعاب ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء . ت سنة ٤٦٣ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٧ / ٦٦ ، العبر في خبر من غبر : ٣ / ٢٥٧ ، الديباج المذهب : ٣٥٧ وسمَّاه ابن فرحون في الديباج : يوسف بن عمر بن عبد البرّ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٤ / ٤١٣ .
وابن العربي هو : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي ، أبو بكر ، ابن العربي : قاض ، من حفاظ الحديث ، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها ، وهو غير محيي الدين ابن عربي ، ت سنة ٥٤٣ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٤ / ٢٩٦ ، العبر للذهبي : ٤ / ١٢٥ ، الوفيات : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٣) **وقد أنكر جماعة من العلماء أصل وجود المجاز في القرآن الكريم** ، ومنهم : **شيخ الإسلام ابن تيمية** في عدة مواضع من كتبه ، بل ألف رسالة في الحقيقة والمجاز يبين فيها عدم صحة وقوع المجاز في القرآن ، وهي ضمن مجموع الفتاوى : ٢٠ / ٤٠٠ وما بعدها ، وألف الشيخ الشنقيطي رسالة سماها : (منع جواز المجاز ، في المتنزل للتعبد والإعجاز) . وينظر تقرير هذه القاعدة في : المحصول للفخر الرازي : ١ / ٥٧٦ ، البحر المحيط للزَّركشي : ٢ / ١٩١ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٢] : ((﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ المعنى : أن يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال ﷺ : « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم . وذلك خمسمائة سنة » . وقيل : المعنى إن يوماً واحداً من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة ، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ؛ **إلاَّ أنَّ الأوَّل أرجح ؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة** . وقيل : إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض)) . اهـ [٣] .

الوجه الرابع : الترجيح بناءً على دلالة سياق الآية [٤] .

المقصود بدلالة السِّياق : دلالة سابق النص القرآني ولاحقه على المعنى المراد [٥] .

وهذا الوجه من أوجه الترجيح اعتمده أئمة التفسير وغيرهم من أهل العلم ، ورجحوا به ، وقرروا أن " دلالة السِّياق محكمة ، وهي قاضية عند من له أدنى ذوق " [٦] .

وذكروا أن دلالة السِّياق " متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى " [٧] .

رُوي عن **مسلم بن يسار** [٨] أنه قال : إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده [٩] .

---

(١) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٢) سورة الحج : ٤٧ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالسِّياق** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٤٣ – ٢٥٦ .

(٥) ينظر : مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ٩ .

(٦) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن أحمد بن حمزة الرملي (ت ١٠٠٤هـ) : ٦ / ١٥١ .

(٧) البحر المحيط للزَّركشي : ٤ / ٣٥٧ ، ذكر ذلك في رده على من أنكر دلالة السِّياق ، ونسب الإنكار إلى الجهل ، وذكر أنه قد احتج بهذه الدلالة أحمد رحمه الله على الشافعي رحمه الله في مسألة : الواهب ليس له الرجوع في هبته .

(٨) **مسلم بن يسار** هو : مسلم بن يسار البصري ، أبو عبد الله المكي ، الإمام القدوة ، الثقة الفقيه ، العابد الزاهد ، ت سنة ١٠٠ هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٢٧ / ٥٥١ – ٥٥٤ ، السِّير : ٤ / ٥١٠ – ٥١٤ ، الكاشف : ٢ / ٢٦١ .

(٩) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن : ٢٢٩ ، ونقله عنه ابن تيمية في المجموع : ١٣ / ٣٧٤ .

وذكر **الزَّركشي** رحمه الله عدة أمور تعين على المعنى عند الإشكال ، ومنها :

" الرابع : دلالة السِّياق ، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظيره ، وغالط في مناظراته " . اهـ [1] .

وذكره ابن جُزيّ من ضمن وجوه ترجيحه فقال :

((أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده)) [2] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [3] : ((﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : له ما قدامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن ؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله . وقيل : ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور وما خلفنا الآخرة ، وما بين ذلك ما بين النفختين . وقيل : ما مضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها ، **والأوَّل أكثر مناسبة لسياق الآية**)) . اهـ [4] .

الوجه الخامس : الترجيح بناء على **قراءة أخرى** [5] ، وقد تكلَّم ابن جُزيّ في مقدمته عن القراءات ؛ وأقسامها من مشهورة وشاذة [6] ، ورجَّح بها عند تفسيره لبعض الآيات .

---

(١) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزَّركشي (ت ٧٩٤ هـ) : ٢ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .
والزَّركشي هو : محمد بن عبد الله بن بهادر الزَّركشي ، أبو عبد الله المصري ، الإمام العالم العلامة ، صاحب التصانيف النافعة المشهورة ، وكان عالماً بالحديث والتفسير وعامة العلوم والفنون ، ت سنة ٧٩٤ هـ . ينظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٣ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، الدرر الكامنة : ٥ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٣٠٢ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة مريم عليها السَّلام : ٦٤ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على قراءة أخرى** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٦١ – ٢٧٩ .

(٦) ينظر : مقدمة التسهيل : ١ / ٧ .

وقد تقرر عند أهل العلم أن تنوع القراءات وتعددها بمنزلة تعدد الآيات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مقرراً هذه القاعدة :

" وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة تعدد الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها كلها ، **واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً** ، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ، ظناً أن ذلك تعارض " . اهـ [1] .

ويقول الشنقيطي رحمه الله :

" اعلم أولاً أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة ، لهما حكم الآيتين ، كما هو معروف عند العلماء " [2].

بل إن بعض أهل العلم ذهب إلى أن القراءة الشاذة قد يتوصل بها إلى تفسير القراءة المشهورة والمتواترة ، وتبيين معانيها [3] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [4] : (((وسيعلم الكافر) [5] ، والمراد بالكافر الجنس ، بدليل قراءة الكفار بالجمع)) . اهـ [6] .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١٣ / ٣٩١ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) : ١ / ٣٣٠ . وقد أشار إلى هذه القاعدة التفسيرية جماعة من أهل العلم ، وينظر على سبيل المثال : **برهان** الزَّركشي : ١ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، **وإتقان** السيوطي : ١ / ٢١٧ - ٢١٩ ، **وكليات** الكفوي : ٧٢٢ ، ٧٢٣ .

(٣) ينظر : فضائل القرآن لأبي عبيد : ١٩٥ ، وإتقان السيوطي : ١ / ٢١٩ .

(٤) سورة الرعد : ٤٢ .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وسيعلم الكافر) على الإفراد ، وقرأ الباقون على الجمع ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ ﴾ . فالحجة لمن وحد أنه أراد به أبا جهل فقط ، والحجة لمن جمع أنه أراد كل الكفار . ينظر : السبعة في القراءات لأبي بكر ، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ) : ٣٥٩ ، الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) : ٢٠٢ ، حجة القراءات لأبي زرعة ، عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة (ت ٤٠٣ هـ) : ٣٧٥ .

(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٧ .

✓ ثانياً : وجوه الترجيح المتعلقة بالسُّنة النبوية الشريفة :

الوجه الأول : الترجيح بدلالة حديث النبي ﷺ [1] ؛ وهو نوع من أنواع التفسير بالمأثور .

والسنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام بعد القرآن الكريم ، ولا شك أن أعلم الناس بتفسير كلام الله تعالى وبيانه : رسول الله ﷺ ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ... ﴾ [3] .

وبناءً عليه فإن تفسير النبي ﷺ لكلام الله سبحانه وتعالى أجل تفسير ، وقد نبّه أهل العلم على ذلك ، وبينوه ووضحوه غاية التوضيح والبيان ، وقد نصوا على جملة من القواعد التفسيرية التي تعين المفسر على تفسير القرآن الكريم ، والتي تتعلق بهذا الوجه المهم من أوجه الترجيح ، ومن القواعد التي ذكروها واستعملوها في الترجيح :

- إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره ، وإذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده [4] .
- إذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ استغني به عمن سواه [5] .
- إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [6].
- كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو ردّ [7] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة حديث النبي ﷺ** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٢٨٥ – ٣٠٧ .

(٢) سورة النحل : ٤٤ .

(٣) سورة الحشر : ٧ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ ، قواعد التفسير لخالد السبت : ١ / ١٤٩ .

(٥) قاله الشافعي رحمه الله في كتابه : الأم (٧ / ١٩٢) ، وينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ .

(٦) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ .

(٧) ينظر : مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٣ / ١٤٥ ، ١٤٦ ، قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢١٤ .

وقد اعتمد ابن جُزيّ هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره ، موافقاً في ذلك عامة أهل العلم [1] ، فممَّا قاله مقرراً لهذا الوجه : ((حديث النبي ﷺ ؛ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوَّلنا عليه ؛ لا سيَّما إن ورد في الحديث الصحيح)) [2] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [3] : ((يعني أم القرآن ؛ لأنها سبع آيات ، وقيل : يعني السور السبع الطوال ، وهي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ؛ والأول أرجح ؛ **لوروده في الحديث**)) . اهـ [4] .

الوجه الثاني : الترجيح بقول الصحابي وبقول من يقتدى به [5] ؛ ويعتبر من التفسير بالمأثور .

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال للخوارج عندما ناظرهم : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، عليهم نزل الوحي ، **وهم أعلم بتأويله** [6] .

وقد قرر أهل العلم أن فهم السلف للقرآن الكريم حجة يحتكم إليه ، فكل قول اعتمده سلف الأمة من الصحابة والتابعين لا يحاكم إلى قول من هو دونهم [7] .

---

(١) قرر هذا الوجه واعتمده كثير من العلماء المحققين ، ومنهم : الطبري فكثيراً ما كان يرجح بهذا الوجه فيقول : " وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحَّ به الخبر عن رسول الله ﷺ " ، وينظر مثالاً على ذلك في **تفسيره** : (٣ / ٥٠ ، ٥ / ٤٣ ، ٧ / ٢٥٩ ، ١٥ / ١٤٥) .
وذكر الزَّركشي في **البرهان** (٢ / ١٥٦) أن لطالب التفسير مآخذ كثيرة ، أمهاتها أربعة ، أولها : النقل عن النبي ﷺ ، وبنحوهما ذكر محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) في مقدمة **تفسيره** (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) (١ / ١٢) .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الحجر : ٨٧ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٨ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بقول لصحابي ومن يقتدى به** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣١١ - ٣٣٠ .

(٦) أخرجه أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) في مصنفه (١٨٦٧٨) : ١٠ / ١٥٧ ، ١٥٨ ، والطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)في المعجم الكبير (١٠٥٩٨) : ١٠ / ٢٥٧ ، وغيرهم .

(٧) ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٣ / ٣٦١ ، ٣٦٢ ، وإعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الزرعي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، عقد فصلاً بعنوان : (تفسير الصحابي للقرآن كفتواه) قرر فيها هذه القاعدة ، وبيان خلاف العلماء في المسألة . وينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٦ .

بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسير الصحابة في حكم المرفوع [1]، قال أبو عبد الله الحاكم [2] : " وتفسير الصحابي مسند " . اهـ [3] .

ونصَّ ابن جُزيّ على ذلك فذكره من ضمن وجوه ترجيحه فقال :

((أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة ﷺ ، كالخلفاء الأربعة ، **وعبد الله بن عباس** ﷺ لقول رسول الله ﷺ : « اللهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » [4])) [5] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾ [6] : ((﴿ وَحَفَدَة ﴾ جمع حافد . **قال ابن عباس : هم أولاد البنين** . وقيل : الأصهار . وقيل : الخدم . وقيل : البنات ؛ إلا أن لفظ الذكور لا يدل عليهم . والحفدة في اللغة : الخدمة)) . اهـ [7] .

---

(١) **هذا ليس على إطلاقه** ، فإن قول الصحابي لا يعتبر مسنداً وله حكم الرفع إلاَّ إذا كان قوله فيما لا مجال للاجتهاد والرأي فيه ، ولم يكن الصحابي معروفاً بالأخذ عن بني إسرائيل . ينظر : معرفة علوم الحديث لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) : ٢٠ ، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر لأبي الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي المعروف " بملا علي القاري " (ت ١٠١٤هـ) : ١ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨ هـ) : ١ / ٣٩٧ .

(٢) **الحاكم** هو : محمد بن عبد الله بن حمدويه الطهماني ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، الإمام الحافظ الثقة ، وكان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ ، وله مصنفات عديدة ، ت سنة ٤٠٥هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٥ / ٤٧٣ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ١ / ١٩٣ ، ١٩٤ ، النجوم الزاهرة : ٤ / ٢٣٨ .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري : ٤ / ٦١٩ ، وذكر الحاكم أيضاً أن هذا هو مذهب الشيخين البخاري ومسلم ، فقال مثلاً (١ / ٧٢٦) : " وقد اتفقا [أي الشيخين] على أن تفسير الصحابي حديث مسند " ، وهذه العبارة تكررت في مستدركه كثيراً . ونقل ابن القيم في إعلام الموقعين (٤ / ١٥٣) كلام الحاكم بلفظ : " وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع " مبيناً مراده بقوله : " ومراده : انه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج ، لا أنه إذا قال الصحابي في الآية قولاً فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله ﷺ ، أو قال رسول الله ﷺ . وله وجه آخر ، وهو : أن يكون في حكم المرفوع ، بمعنى : أن رسول الله ﷺ بيّن لهم معاني القرآن وفسره لهم ، كما وصفه تعالى بقوله : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ . [سورة النحل : ٤٤] . فبين لهم القرآن بياناً شافياً كافياً ، وكان إذا أشكل على أحد منهم معنى سأله عنه ، فأوضحه له ..)) إلى آخر كلامه رحمه الله .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده في مسند ابن عباس ﷺ (٣١٠٢) : ١ / ٣٣٥ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٥) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٦) سورة النحل : ٧٢ .

(٧) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٨ .

الوجه الثالث : الترجيح بدلالة قول الجمهور وأكثر المفسرين [١] .

وإذا انفرد مفسِّرٌ في تفسير آية من كتاب الله ﷻ بقول خالف فيه عامة المفسرين من السلف ، و لم يكن لقوله دلالة واضحة قوية فهو قول شاذ ؛ لأنه خارج عن قول أهل التفسير ، فقولهم أولى بالصواب ؛ لأنهم إلى الحق أقرب ، ومن الخطأ أبعد [٢] .

ولقد نصَّ ابن جُزيّ على ذلك ، واعتمده في تفسيره فقال : ((أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه)) [٣] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... ﴾ [٤] : ((﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه وجه الله . وقيل : الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة ، والأوَّل أصحُّ ؛ لوروده في الحديث ، **وكثرة القائلين به**)) . اهـ [٥] .

✓ ثالثاً : وجوه الترجيح المتعلقة بالقواعد التفسيرية والأصولية :

الوجه الأول : الترجيح بأسباب النزول [٦] .

أسباب نزول القرآن الكريم وجه من أوجه الترجيح كما قرر ذلك أهل العلم ، فقد نصّ بعض أهل العلم على أن كل قول يؤيده سبب النزول مقدَّمٌ على ما ليس كذلك ؛ لأن سبب النزول الصريح الصحيح له حكم الرفع [٧] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بدلالة قول الجمهور وأكثر المفسرين** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٣٤ – ٣٥٠ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٨٨ .

(٣) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٤) سورة هود عليه السلام : ٢٦ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ٩٢ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بأسباب النزول** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٧٤ – ٣٩١ .

(٧) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٤١ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٥٤ .

وقد أفرد ابن جُزيّ باباً مستقلاً في مقدمته في نزول القرآن على رسول الله ﷺ [1]، ولم ينص على ترجيحه بصحة سبب نزول الآيات ؛ لكنه اعتمد هذا الوجه من أوجه الترجيح ، واستدل به على الترجيح .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ... ﴾ [2] : ((والمعنى : إن كان الخطاب لأهل الكتاب يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ ؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شئ من فضل الله الذي وعد من آمن منكم ؛ وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة لأنهم لم يسلموا فلم ينالوا شيئاً من ذلك ، وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روى في **سبب نزول الآية** : أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية في الرد عليهم ، **وهو يقوى هذا القول** ...)) . اهـ [3] .

الوجه الثاني : الترجيح بالمكي والمدني ، أو تاريخ ثبوت نزول الآية [4] .

إن تاريخ نزول الآية وجهٌ معتمدٌ من أوجه الترجيح عند أهل العلم ، واحتج به السلف رحمهم الله ، وقد نصّ أهل العلم أنه متى ما ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير [5] .

وقد أفرد ابن جُزيّ أيضاً باباً مستقلاً في مقدمته في السور المكية والمدنية [6]، ولم ينص على ترجيحه بتاريخ ثبوت نزول الآية أيضاً ؛ لكنه قد رجَّح به عند تفسيره لبعض الآيات .

---

(١) مقدمة التسهيل : ١ / ٤ .

(٢) سورة الحديد : ٢٩ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٤ / ١٠١ .

(٤) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالمكي والمدني** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٣٩٦ – ٤١٣ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٥٨ .

(٦) مقدمة التسهيل : ١ / ٥ .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [1] : ((﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ ﴾ استثناء منقطع معناه : لكن من تولَّى ﴿ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ﴾ ، وقيل : هو استثناء من مفعول ﴿ فَذَكِّرْ ... ﴾ [2] والمعنى : ذكر كل أحد إلا من تولَّى حتى يئست منه فهو على هذا متصل ، وقيل : هو استثناء من قوله : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [3] أي : لا تسلط إلا على من تولَّى وكفر ، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه **وهذا بعيد ؛ لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة**)) . اهـ [4] .

ففي هذه الآية رجَّح ابن جُزيّ المعنى بالمكيّ والمدنيّ ؛ لأن سورة الغاشية مكيَّة [5] كما هو ثابت ، ، والموادعة بمكة ثابتة .

الوجه الثالث : الترجيح بناءً على العموم والخصوص [6] .

تقرر عند أهل العلم أن النص إذا كان دالاً على العموم [7] فإنه يجب حمله عليه في المعنى ، ولا يجوز يجوز أن يخصَّص إلا إذا ورد دليلٌ صحيحٌ على تخصيصه [1] ، فإذا لم يثبت تخصيص اللفظ العام ، أو تقييده فإن الأولى بقاء اللفظ على عمومه .

---

(١) سورة الغاشية : ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة الغاشية : 21 .
(٣) سورة الغاشية : ٢٢ .
(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٤ / ١٩٦ .
(٥) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٧٧ ، ٧٨ .
(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على العموم والخصوص** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤١٨ – ٤٢٩ .
(٧) **العام** هو : اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضعٍ واحدٍ دفعة واحدة بلا حصر . وللعموم صيغ كثيرة ذكرها أهل العلم ، بعضها متفق عليه ، وبعضها مختلف فيه ، تكلم عنها عامة علماء الأصول وغيرهم ، ومن أشهر صيغ العموم : (كل) ، و (مَن) الموصولة والاستفهامية والشرطية ، و (ما) ، و (جميع) ، و (عامة) و (كافة) ، و (قاطبة) ، و (إذا الشرطية) ، والجمع المعرف بلام الجنس ، واسم الجنس المحلى بلام الجنس ، والأسماء الموصولة ، والنكرة في سياق النفي ، أو النهي ، أو الشرط ، أو الاستفهام ... وغيرها . وليس هذا مقام الاستطراد في بيان هذه الألفاظ ودلالتها ، وخلاف العلماء فيها .
وللمزيد حول تعريف العام وصيغه ينظر : الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) : ٣ / ٣٧٩ وما بعدها ، البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي ، عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨ هـ) : ١ / ٢٤٣ وما بعدها ، المحصول لابن العربي : ١ / ٧٣ وما بعدها ، الإحكام للآمدي : ٢ / ٢١٧ –

يقول **الشافعي** رحمه الله : " ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنةٍ رسوله إلا بدلالة فيهما أو في واحدٍ منهما ، ولا يقال بخاص حتى تكون الآية تحتمل أن يكون أريد بهذا ذلك الخاص ، فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لم تحتمل الآية " . اهـ [٢] .

ويقول أيضاً : " فكل كلام كان عاماً ظاهراً في سنة رسول الله ﷺ فهو على ظهوره وعمومه ، حتى يُعلم حديث ثابت عن رسول الله ﷺ – بأبي هو وأمي – يدلُّ على أنه إنما أريد بالجملة العامة في الظاهر بعض الجملة دون بعض " . اهـ [٣] .

وذكر ابن جُزيّ العموم والخصوص في أسباب الترجيح عنده حيث قال في معرض سياقه لأسباب الترجيح :

((تقديم العمومي على الخصوصي ؛ فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص)) [٤] .

مثال ذلك : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٥] : ((﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ يريد أهل القرية . وقال ابن عباس : هي قرية باليمن يقال لها : (حضور) ؛ بعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم

---

٢٤٢ ، المسودة في أصول الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية وأبيه وجده ، جمعها وبيضها : شهاب الدين أبو العباس أحمد = = ابن محمد الحراني الحنبلي (ت ٧٤٥ هـ) : ٩١ ، وإرشاد الفحول للشوكاني : ٢٠٤ – ٢١٣ .

والخاص اصطلاحاً هو : اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر . ينظر : دراسات في علوم القرآن الكريم للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي (أستاذ الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض) : ٥٢٧ ، ٥٣٦ مباحث في علوم القرآن للقطان : ٢٢١ ، ٢٢٦ .

(١) ينظر تقرير هذه القاعدة وتأكيدها – إضافة إلى المراجع السابقة – في : المستصفى للغزالي (٢٤٤ ، ٢٤٥) ، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول لأبي محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي (ت ٧٧٢ هـ) : (٢٨٠) ومذكرة الشنقيطي (٢١٧ ، ٢١٨) ، وقواعد الترجيح للحربي (٢ / ٥٢٧ وما بعدها) ، وفصول في أصول التفسير للطيار (١٠٢) ، وقواعد التفسير للسبت (٢ / ٥٩٩) .

(٢)كتاب الرسالة للإمام الشافعي : ٢٠٧ .

(٣) الرسالة : ٣٤١ ، وينظر : البحر المحيط للزَّركشي : ٢ / ١٩١ ، ومذكرة الشنقيطي : ٢١٧ .

(٤) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٥) سورة الأنبياء : ١١ .

بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل . **وظاهر اللفظ أنه على العموم** ؛ لأن ﴿ كَمْ ﴾ للتكثير فلا يريد قرية معينة)) . اهـ [1] .

الوجه الرابع : الترجيح بناءً على النسخ وعدمه ، وقد أفرد ابن جُزيّ أيضاً باباً مستقلاً في مقدمته في الناسخ والمنسوخ [2] ، ولم ينص على ترجيحه بناءً على النسخ وعدمه ؛ لكنه عند تفسيره أحياناً لبعض الآيات يرجح المعنى مستنداً على إحكام الآية أو نسخها [3] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [4] :

((﴿ سَكَرًا ﴾ : يعني الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها ؛ فهي **منسوخة بالتحريم** . وقيل : إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ؛ فلا نسخ)) . اهـ [5] .

الوجه الخامس : الترجيح بالإظهار والإضمار [6] ، نصَّ ابن جُزيّ على ذلك فقال : ((تقديم **الاستقلال** على الإضمار ؛ إلا أن يدل دليلٌ على الإضمار)) [7] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [8] :

((ونصب ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٣ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ١٠ ، ١١ .

(٣) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على النسخ وعدمه** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٣٣ – ٤٤٨ .

(٤) سورة النحل : ٦٧ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٧ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالإظهار والإضمار** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٥١ – ٤٥٩ .

(٧) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٨) سورة مريم عليها السَّلام : ٢ .

المفعول . وقيل : هو مفعول بفعل **مضمر تقديره** : **رحمة عبده** وعلى هذا يوقف على ما قبله ، **وهذا ضعيف** ؛ وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه ؛ وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له)) . اهـ [1] .

ورجح ابن جُزيّ هنا القول بالإظهار على القول بالإضمار .

الوجه السادس : الترجيح بناءً على الترتيب في الكلام [2] .

الأصل في كلام الله تعالى أن يوضع كل لفظ في موضعه تقديماً وتأخيراً ، وكل تقديم وتأخير في الكلام هو خلاف الأصل ، وإن كان أسلوب التقديم والتأخير أسلوب فصيح مستعمل عند العرب [3] ، إلا أن الأصل بقاء النص على ترتيبه ، فمتى ما أمكن تفسير النص القرآني على الترتيب الترتيب الموضوع له لا يلجأ إلى التقديم والتأخير ، يقول **الطبري** رحمه الله : " ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه ، أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة " . اهـ [4] .

ويقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** مقرراً هذه القاعدة : " والتقديم والتأخير على خلاف الأصل ، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه ، لا تغيير ترتيبه " . اهـ [5] .

ونصَّ ابن جُزيّ على ذلك فقال : ((حمل **الكلام على ترتيبه** ؛ إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير)) [6] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .

(٢) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالترتيب في الكلام** (**التقديم والتأخير**) وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٦٣ – ٤٧٨ .

(٣) التقديم والتأخير في الكلام أحد أساليب البلاغة عند العرب ، وأحد الدلائل على التمكن في الفصاحة ، والملكة في الكلام وقد قالوا قديماً : إن أسلوب التقديم والتأخير له في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق .
إلا أن المحققين من أهل العلم **منعوا القول بالتقديم والتأخير وله وجه ظاهر صحيح بغيره** . وللمزيد حول هذه المسألة . ينظر : المحصول للرازي : ١ / ٥٧٢ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٣ .

(٤) تفسير الطبري : ١٣/ ٦٦ .

(٥) مجموع الفتاوى : ١٦ / ٢١٨ .

(٦) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

ويقول **الشنقيطي** رحمه الله :

" لما تقرر في الأصول من وجوب الحمل على بقاء الترتيب إلا لدليل " . اهـ [1] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ... ﴾ [2] : ((وتنوء معناه : تثقل ؛ يقال : ناء به الحمل إذا أثقله وقيل : معنى تنوء : تنهض بتحامل وتكلف ، والوجه على هذا أن يقال : إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيراً ، **ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول**)) . اهـ [3] .

ويظهر أن ابن جُزيّ هنا رجَّح القول الأول حيث فسَّره به ونصَّ على ذلك ، وساق القول الآخر على صيغة التضعيف (قيل) ، ثم ساق أنه يوافق قاعدته في الترجيح بترتيب الكلام ، وعدم اللجوء للتقديم والتأخير إلا بسبب .

✍ **مثال آخر** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [4] :

((﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي : تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروي أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب ، وتوارى في الكوة . وقيل : إن التقدير : انظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ **فهو من المقلوب ، والأوَّل أحسن**)) . اهـ [5] .

وفي هذا المثال أيضاً رجَّح القول بترتيب الكلام وعدم القول بالقلب ؛ متمشياً مع ما وضعه لنفسه من وجوه الترجيح .

---

(١) أضواء البيان : ٦ / ١٩٠ .
(٢) سورة القصص : ٧٦ .
(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .
(٤) سورة النمل : ٢٨ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٥ .

الوجه السَّابع : الترجيح بناءً على المطلق والمقيَّد [1] ؛ نصَّ ابن جُزيّ على ذلك فقال : ((تقديم الإطلاق على التقييد ؛ إلا أن يدل دليل على التقييد)) [2] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [3] : ((﴿ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾ أي : جعلناه غافلاً ؛ أو وجدناه غافلاً . وقيل : يعني أنه عيينة بن حصين الفزاري ، **والأظهر أنها مطلقة من غير تقييد**)) . اهـ [4] .

✓ رابعاً : وجوه الترجيح المتعلقة باللغة :

الوجه الأول : الترجيح بناءً **على المعنى الذي تدل عليه لغة العرب** .

الوجه الثاني : الترجيح بناءً **على الإعراب** .

الوجه الثالث : الترجيح بناءً على **التصريف والاشتقاق** [5] .

نصَّ ابن جُزيّ على هذه الأوجه الثلاثة فقال : ((أن يدل على صحة القول **كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق**)) [6] .

---

(١) **المطلق اصطلاحاً** هو : ما دل على الماهية بلا قيد من حيث هي هي .
والمقيد اصطلاحاً هو : ما دل على الحقيقة بقيد . ينظر : البحر المحيط للزَّركشي : ٣ / ٣ ، إرشاد الفحول للشوكاني : ٢٧٨ ، ٢٧٩ . وللمزيد من تعريفات المطلق عند الأولين ينظر : دراسات في علوم القرآن الكريم للأستاذ الدكتور فهد الرومي : ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، مباحث في علوم القرآن للقطان : ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على المطلق والمقيَّد** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٤٨٢ – ٤٩٥ .

(٢) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٧ .

(٥) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بلغة وكلام العرب** ، **والترجيح بناءً على الإعراب** ، **والترجيح بناء على التصريف والاشتقاق** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٥٠٠ – ٥١٣ ، ٥١٨ – ٥٣٠ ، ٥٣٣ – ٥٤٥ .

(٦) مقدمة التسهيل : ١ / ٩ .

وذلك لأن القرآن الكريم لما كان نزوله بلغة العرب كان لا بد أن يُسلك في فهمه واستنباط المعاني منه مسلك العرب في فهمهم واستنباطهم .

✍ **الأمثلة على ذلك** :

١. الترجيح بناء على المعنى الذي تدل عليه لغة العرب :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [١] : ((﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ اضطرب الناس في معناه ، فقيل : أخفيها بمعنى أظهرها ، وأخفيت هذا من الأضداد . وقال ابن عطية : هذا قول مختل . وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال : أخفى بالألف من الإخفاء ، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر ، فلو كان بمعنى الظهور لقال : أخفيها – بفتح همزة المضارع – ، وقد قرىء بذلك في الشاذ ، وقال الزمخشري : قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي : أي أظهر ، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة ، وقيل : أكاد بمعنى أريد فالمعنى : أريد إخفاءها . وقيل : إن المعنى إن الساعة آتية أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها ، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها ، وقيل : المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم ، وهذه الأقوال ضعيفة ، وإنما الصحيح : أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحداً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، **فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه** ، وهذا المعنى هو اختيار المحققين)) . اهـ [٢] .

٢. الترجيح بناء على الإعراب :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [٣] : ((الظهير : المعين ، والباء سببية ، والمعنى : بسبب إنعامك علي لا أكون

---

(١) سورة طه : ١٥ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ ، ١٢ .

(٣) سورة القصص : ١٧ .

ظهيرا للمجرمين ؛ فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه . وقيل : الباء باء القسم ؛ **وهذا ضعيف** ؛ لأن قوله : ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ﴾ لا يصلح لجواب القسم . وقيل : جواب القسم محذوف ؛ تقديره : وحق نعمتك لأتوبن ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ وقيل : الباء للتحليف ؛ أي : اعصمني بحق نعمتك عليَّ ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾)) . اهـ [1] .

٣. الترجيح بناء على التصريف والاشتقاق :

قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾ [2] : ((و ﴿ أَحۡصَىٰ ﴾ فعل ماض ، و ﴿ أَمَدًا ﴾ مفعول به . وقيل : ﴿ أَحۡصَىٰ ﴾ اسم للتفضيل ، و ﴿ أَمَدًا ﴾ تمييز ، وهذا ضعيف ؛ **لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ**)) . اهـ [3] .

بنى هنا ابن جُزيّ ترجيحه على أن (أفعل) **لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ** ، وهذا ترجيح بناء على التصريف والاشتقاق .

الوجه الرابع : الترجيح بناءً على الناحية البلاغية .

وقد أفرد ابن جُزيّ أيضاً باباً مستقلاً في مقدمته في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ؛ وذكر شروط الفصاحة ؛ وعرف البلاغة فقال : ((وأما البلاغة فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال ؛ من الإيجاز والإطناب ، ومن التهويل والتعظيم والتحقير ، ومن التصريح والكناية والإشارة ، وشبه ذلك بحيث يهز النفوس ويؤثر في القلوب ، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد)) . ثم ذكر بعد ذلك أدوات البيان كالمجاز ، والكناية ، والالتفات إلى غير ذلك من الأدوات [4] ، و لم

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٣ .
(٢) سورة الكهف : ١٢ .
(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٣ .
(٤) مقدمة التسهيل : ١ / ١٢ - ١٤ .

ينص في مقدمته على ترجيحه بالبلاغة ؛ لكنه عند تفسيره أحياناً لبعض الآيات يرجح القول الذي يفيد معنى بلاغياً قوياً على غيره [1] .

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [2] : ((﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ المعنى : إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ، ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية ، وسميت الأولى عقوبة **لمشاكلة اللفظ** ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى : أصبتم ؛ كقوله في الممتحنة ﴿ ... فَعَاقَبْتُمْ ... ﴾ [3] بمعنى : غنمتم ، **فيكون في الكلام تجنيس**)) . اهـ [4] .

وهنا رجَّح ابن جُزيّ القول الأول وأن المراد بالعقوبة الأولى الصنيع ؛ وسمِّي عقوبة لمشاكلة اللفظ **والمشاكلة** من أنواع البديع في علم البلاغة ، واحتمل القول الثاني معتمداً على **التجنيس** وهو من أنواع البديع أيضاً [5] .

الوجه الخامس : **الترجيح بناءً على مرجع الضمير** ، ولم ينص ابن جُزيّ في مقدمته على ترجيحه بمرجع الضمير ؛ وإن كان قد ذكره في ثنايا تفسيره في غير موضع عندما تكلَّم عن مرجع الضمير ورجَّح به [6] .

---

(١) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بالبلاغة** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٥٤٩ – ٥٦٢ .

(٢) سورة النحل : 126 .

(٣) سورة الممتحنة : 11 .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٥ .

(٥) **المشاكلة** هي : أن تذكر الشيء بلفظ آخر لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً .
والتجنيس هو : اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً بل يكونان حقيقتين ، ثم الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة أو في الحروف خاصة أو في أكثر الحروف لا في جميعها أو في الخط لا في اللفظ وهو تجنيس التصحيف .
ينظر : شرح نهج البلاغة لأبي حامد ، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٥ هـ) : ٨ / ١٦٢ ، الإيضاح في علوم البلاغة لأبي عبد الله ، محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) : ٣٢٧ ، مقدمة التسهيل لابن جُزيّ : ١ / ١٣ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٤٥٠ ، ٤٥١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٢٥٢ ، ٢٤٤ .

(٦) وللمزيد في معرفة منهج ابن جُزيّ في **الترجيح بناءً على مرجع الضمير** وأمثلة على ذلك ؛ ينظر : قواعد الترجيح عند

✍ **مثال ذلك** : قال ابن جُزيّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ... ﴾ [1] : ((﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ الضمير عائد على موسى ، ومعنى الذرية : شبان وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون ، وقيل : إن الضمير عائد على فرعون فالذرية على هذا من قوم فرعون ، وروي في هذا أنها امرأة فرعون ، وخازنته ، وامرأة خازنه ، **وهذا بعيد** ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، **ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور**)) . اهـ [2] .

فهنا رجَّح ابن جُزيّ أن الضمير عائد على موسى عليه السلام ؛ لأن الضمير ينبغي أن يعود لأقرب مذكور ، فهو وجه من وجوه الترجيح عنده .

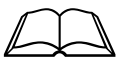

ابن جُزيّ في تفسيره للجمعان : ٥٦٦ - ٥٨٠ .

(١) سورة يونس عليه السلام : ٨٣ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ٩٧ .

القسم الثاني

عرض المسائل ومناقشتها

من أول سورة الرعد

إلى نهاية سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

سـورة الرعـد

قوله تعالى : ﴿ الٓمٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في المراد بالكتاب في قوله : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالكتاب السورة ، فقال : ((أي آيات هذه السورة)) . اهـ [(١)] .

الـدراسـة :

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من **التوراة والإنجيل** ، قاله **مجاهد** [(٢)] ، وبنحوه قال **قتادة** [(٣)] .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٢٩ .

(٢) أخرجه أبو جعفر ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره المسمَّى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : ١٣ / ٩٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧ هـ) في تفسيره (٧ / ٢٢١٥) . وينظر : الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٤ / ٦٠٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٩٢) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢١٥) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٠) أيضاً إلى أبي الشيخ .

وقتادة هو : قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب : تابعي ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين =

وذهب إليه **الزَّجَّاج** [١] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٢].

فيكون المعنى : هذه الأقاصيص التي تسمعونها وما ذكر قبل هذه الآية من أخبار الرسل في آخر السورة المتقدمة قبلها ، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل ؛ فأراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك ، ولذلك قال ﴿ تِلْكَ ﴾ و (تلك) إشارة إلى غائب مؤنث [٣] .

واستبعد **ابن كثير** [٤] هذا القول .

القول الثاني : إشارة إلى **آيات السورة** ، والمراد بالكتاب : السورة ، أي : تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

= البصري ، الضرير ، الأكمه مفسر الكلبي ، آية في الحفظ ، إماماً في النسب ، رأساً في العربية واللغة وأيام العرب ، وهو حجَّة بالإجماع إذا بيَّن السماع فإنه مدلسٌ معروفٌ بذلك ، وكان يرى القدر – نسأل الله العفو – ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه ، وكان لا يدعو إليه ولا يتكلم فيه . ت سنة ١١٨ هـ . ينظر : طبقات الفقهاء للشيرازي : ١ / ٩٤ ، صفة الصفوة : ٣ / ٢٥٩ ، السِّير : ٥ / ٢٦٩ .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق ، إبراهيم بن السري الزَّجَّاج(ت ٣١١ هـ) : ٣ / ١٣٥ .
والزَّجَّاج هو : إبراهيم بن محمد بن السري (الزَّجَّاج) البغدادي ، أبو إسحاق : الإمام نحوي زمانه ، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، من أشهر تلاميذ المُبَرِّد ، وكان مع ذلك عالماً بالتفسير وعلوم القرآن ، صاحب كتاب : معاني القرآن ، وله كتاب الاشتقاق ، وكتاب العروض وغيرها . ت سنة ٣١١ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٦ / ٨٩ ، وفيات الأعيان : ١ / ٤٩ ، السِّير : ١٤ / ٣٦٠ .

(٢) منهم : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي . ينظر : تفسير الثعلبي المسمَّى (الكشف والبيان) لأبي إسحاق ، أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ) : ٥ / ٢٦٧ ، تفسير السمعاني المسمَّى (تفسير القرآن) لأبي المظفر ، منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) : ٣ / ٦ ، تفسير البغوي للحسين بن مسعود بن الفَرَّاء البغوي (ت ٥١٦ هـ) : ٣ / ٥ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ١١٦ ، تفسير البغوي : ٢ / ٣٤٢ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٩٩ .
وابن كثير هو : الإمام العالم الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء : إسماعيل بن كثير القرشي ، الدمشقي ، أبدع في التفسير والتأريخ والفقه ، له مؤلفات عدة في مجالات متنوعة ، ت سنة ٧٧٤ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ١ / ٤٥٤ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢٣١ ، البدر الطالع : ١ / ١٥٣ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٦) ومنهم : السمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي =

القول الثالث : أن المراد بالآيات جميع **القرآن** ، أو القرآن المنزل حينئذ ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [١] ، وقاله جماعة من المفسرين [٢] .

وقد استبعد **ابن جُزيّ** [٣] أن يكون المراد بالكتاب القرآن على الإطلاق ؛ لتكرار القرآن بعد

= وابن عادل الحنبلي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٦ ، ٧٥ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) : ٢ / ٤٨٢ ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) : ١٨ / ١٨٤ ، تفسير النسفي لأبي البركات ، عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفى (ت ٧١٠ هـ) : ٢ / ٢٠٩ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) : ٤ / ١٣٦ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسَّمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) : ٤ / ٢٢٢ ، تفسير الخازن المسمَّى (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت ٧٢٥ هـ) : ٣ / ٣٢٠ ، تفسير ابن عادل الحنبلي المسمَّى (اللباب في علوم الكتاب) لأبي حفص ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد ٨٨٠ هـ) : ١١ / ٢٣٤ .

(١) ينظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لمحمد بن يعقوب بن محمد الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـ) : ٢٠٥ .

(٢) ومنهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والقشيري ، والواحدي ، والقرطبي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٩١ ، تفسير ابن أبي زمنين المسمَّى (تفسير القرآن العزيز) لمحمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ) : ٢ / ٣٤٤ ، تفسير القشيري المسمى : (لطائف الإشارات) لأبي القاسم ، عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥ هـ) : ٢ / ٩٩ ، تفسير الواحدي المسمَّى (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) : ١ / ٥٦٤ ، تفسير القرطبي المسمَّى (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) : ٩ / ١١٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٩٩ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٥٥ هـ) : ٤ / ١١٤ ، تفسير الجلالين لمحمد بن أحمد المحلى وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٣٢١ ، تفسير أبي السعود المسمَّى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود ، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١ هـ) : ٥ / ٢ ، تفسير الخطيب الشربيني المسمَّى (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير) لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري (ت ٩٧٧ هـ) : ٢ / ١٦١ ، فتح القدير للشوكاني : ٢ / ٤٢١ ، ٣ / ٦٦ ، تفسير القاسمي المسمَّى (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) : ٩ / ٣٢٢ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) : ١٣ / ٨٥ ، تفسير السعدي المسمَّى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن ابن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) : ٤١٢ ، في ظلال القرآن لسيِّد قطب (ت ١٣٨٧ هـ) : ٤ / ٢٠٤٣ ، التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) : ١٢ / ١٣٥ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٧ / ٤٣٨ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

ذلك في قوله تعالى بعدها : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴾ .

وردُّ عليه بما يلي :

١. بأن قوله تعالى بعدها : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ... ﴾ ليس تكراراً ؛ بل عطف صفات فالواو عاطفة صفة على صفة ، فيكون قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ .... ﴾ إظهار في مقام الإضمار ، فلم يعطف خبراً على اسم الإشارة فحسب ؛ بل أتى بجملة كاملة مبتدئة بالموصول ﴿ وَٱلَّذِىٓ ﴾ للتقرير والتأكيد بأن آيات الكتاب هي منزلة من عند الله لا كما يقول المشركون أن محمَّداً يأتي به من تلقاء نفسه .

٢. و ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ : القرآن ؛ فالتعريف فيه للعهد ، ويكون التعريف دالاً على معنى الكمال في الجنس ، فهو الكتاب الكامل العجيب الغني عن الوصف المستحق باختصاص اسم الكتاب به ، وأنه هو الحق لأن أخباره صدق ، وأوامره ونواهيه عدل مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة [١] ، وأخبر عن الذي أنزل بأنه الحق بصيغة القصر ، أي هو الحق لا غيره من الكتب ، فالقصر :

- " إمَّا **قصر إضافي** بالنسبة إلى كتب معلومة عندهم ، مثل : قصة رستم وإسفَنْديار اللتين عرفهما **النَّضر بن الحارث** ، فالمقصود : الرد على المشركين الذين زعموه كأساطير الأولين .
- أو **القصر حقيقي** إدعائي مبالغة لعدم الاعتداد بغيره من الكتب السابقة ، أي هو الحقُّ الكامل ، فكلُّ كتابٍ جاء قبله نسخ العمل به أو عين لأمَّة خاصة " [٢] .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٢٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٩٩ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٣٢٢ ، تفسير السعدي : ٤١٢ ، التحرير والتنوير : ١٢ / ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢ / ١٣٥ ، ١٣٦ .

والنَّضر بن الحارث هو : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ، من بني عبد الدار ، من قريش صاحب لواء المشركين ببدر ، كان من شجعان قريش ووجوهها ، ومن شياطينها (كما يقول ابن إسحاق) =

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثالث ، وأن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ جميع القرآن ، أو القرآن المنزل حينئذ ؛ وهو خلاف ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

فالمراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ آيات القرآن قبل هذه السورة ، و لم يجر للكُتبِ المتقدِّمة ذِكْرٌ في هذا الموضع [1] .

ثانياً : النظائر القرآنية والدالة على أن معنى ﴿ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ هو : القرآن ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٥٢] .
- قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ١] .
- قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١] .
- قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة الحجر : ١] .
- قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢] .

= له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم ، قرأ تاريخهم في " الحيرة " . وقيل : هو أول من غنى على العود بألحان الفرس وهو ابن خالة النبي ﷺ ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله ﷺ كثيراً ، وكان إذا جلس النبي ﷺ مجلسا للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله ، جلس النضر بعده فحدث قريشاً **بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار** ، ويقول : أنا أحسن منه حديثاً ! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين ! . وشهد وقعة " بدر " مع مشركي قريش ، فأسره المسلمون ، وقتلوه صبراً بأمر رسول الله ﷺ بعد انصرافهم من الوقعة سنة ٢ هـــ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٤٨ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف ابن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـــ) : ٤ / ١٥٢٦ ، الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـــ) : ٦ / ٤٣٠ .

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ٨ / ٣٠٥ ، ٩ / ١١٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٢ / ٤٢١ .

- قوله تعالى : ﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة النمل : ١] . وغير ذلك من الأدلة .

ثالثاً : معنى قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي : هذه الآيات ، أي القرآن [١] .

فإن ﴿ تِلۡكَ ﴾ وردت بمعنى : (هذه) بغير الغائب .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ . [سورة الأنعام : ٨٣] . أي : هذه ؛ لكنها لما انقضت صارت كأنها بعدت ، فقيل : ﴿ تِلۡكَ ﴾ [٢] ، وعبَّر باسم الإشارة الذي للبعيد للدلالة على بعد المكانة ورفعة المنزلة ، وسموّ الآيات .

إذا تقرر هذا فإن القول بأن المراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ القرآن هو الأصحُّ في تفسير الآية ؛ لأن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ١٦١ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١ / ١٥٧ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَاۖ ... ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة: في المراد من قوله تعالى : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَاۖ ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن السموات مرفوعة بعمد غير مرئية ، فهي بغير شيء تقف إلاَّ قدرة الله ، فقال : ((﴿ بِغَيۡرِ عَمَدٍ ﴾ أي : بغير شيء تقف إلاَّ قدرة الله)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **بيان معنى قوله** : ﴿ **تَرَوۡنَهَا** ﴾ ، وذلك على قولين :

القول الأول : أن في الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : رفع السموات ترونها بغير عمد وهذا ما يشير إليه ظاهر الآية ، وأن **السموات لا عمد لها** ، وإلى هذا ذهب **مقاتل** [(٢)] ، و**جمهور** [(٣)] المفسرين [(٤)] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٦٧ .

ومقاتل هو : مقاتل بن سليمان البلخي ، أبو الحسن ، كبير المفسرين ، إلا أنه متروك الحديث ، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، ت سنة ١٥٠هـ . ينظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ٣٧٣ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ١٦٠ ، وفيات الأعيان : ٥ / ٢٥٥ .

(٣) نسبه إلى الجمهور : عبد الحق بن غالب بن عطية في تفسيره المسمَّى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (ت ٥٤٦ هـ) : ٣ / ٢٩١ ، وعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي المالكي في تفسيره المسمَّى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) (ت ٨٧٥ هـ) : ٣ / ٣٥٨ .

(٤) في تفاسيرهم ، منهم : أبو جعفر ، أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) في معاني القرآن (٣ / ٤٦٧) ، والطبري (١٣ / ٩٤) ، والثعلبي (٥ / ٢٦٨) ، والسمعاني (٣ / ٧٥) ، والبغوي (٣ / ٥) ، والزمخشري (٢ / ٤٨٢) ، وابن عطية (٣ / ٢٩١) ، وأبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في زاد المسير (٤ / ٣٠٠) ، والقرطبي (٩ / ٢٧٩) ، وعبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في تفسيره المسمَّى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٣ / ٣١٦) ، والخازن (٣ / ٣) =

قال **ابن عطية** : " وقال جمهور الناس : لا عمد للسموات البتَّة " . اهـ [١] .

الأدلة على ذلك :

١. **السِّياق القرآني** : السماء على الأرض مثل القبة ، يعني بلا عمد ، وهذا هو اللائق بالسِّياق .

٢. **النظائر القرآنية** : هذا المعنى هو الظاهر من قوله تعالى : ﴿ ... وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ... ﴾ . [سورة الحج : ٦٥] . فعلى هذا يكون قوله : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ تأكيداً لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها ، وهذا الأكمل في القدرة [٢] .

✖ **واعتُرض** : بأنه إذا أمكن حمل الكلام على ظاهره فلا داعي إلى التقديم والتأخير [٣] ، ولا حاجة إلى مثل هذا التكلف [٤] .

القول الثاني : أن **السموات مرفوعة بعمد غير مرئية** ، فهي **بغير شيء تقف إلاَّ قدرة الله** ، وإليه ذهب **ابن عباس** ﷺ [٥] ، ومجاهد [٦] ، والحسن ، وقتادة [٧] ، **وجوَّزه** الزَّجَّاج

= وابن كثير (٢ / ٥٠٠) ، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) في البحر المحيط (٥ / ٣٥٤) ، والخطيب الشربيني (٢ / ١٦٢) ، والجلالين (٣٢١) ، وأبو السعود (٥ / ٣) ، والطاهر ابن عاشور (١٢ / ١٣٧) والشنقيطي (٢ / ٢٢٢) والسعدي (٤١٢) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٤٣٩) .

(١) المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩١ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠٠ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٨ / ١٨٦ .

(٤) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٦٤ .

(٥) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٣١) ، وابن جرير في تفسيره (١٣ / ٩٤) ، ونسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسيره (٢ / ٣٤٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٠ ، ٦٠١) إلى ابن جرير وابن المنذر .

(٦) ينظر : تفسير مجاهد لأبي الحجاج ، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي (ت ١٠٤ هـ) : ١ / ٣٢٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٩٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢١٦) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٠١ .

(٧) أخرجه ابن جرير عن الحسن وقتادة في تفسيره (١٣ / ٩٤) ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢١٦) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٠) إلى عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن الحسن وقتادة . ونسبه إليهما غير واحد من المفسرين . =

والنحاس [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قال **الفخر الرازي** :

" إنه رفع السماء بغير عمد ترونها ، أي : لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي ، وأنهم لا يرون ذلك التدبير ، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك " . اهـ [٤] .

✍ وهنا بيَّن الفخر الرزي أن هذه العمد غير المرئية هي : قدرة الله تعالى التي تمسك السموات والأرض .

قال **النحاس** :

" والقولان يرجعان إلى معنى واحد ؛ لأن من قال : إنها بعمد ؛ إنما يريد بالعمد قدرة الله جل وعز التي يمسك بها السموات والأرض " . اهـ [٥] .

= **والحسن** هو : الحسن بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن يسار ، البصري ، أبو سعيد : تابعي ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة ، وهو أحد العلماء الفقهاء العظماء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ ، وشب في كنف علي بن أبي طالب ﷺ ، ت بالبصرة سنة ١١٠هـ . ينظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ١٥٦ ، حلية الأولياء : ٢ / ١٣١ ، صفة الصفوة : ٣ / ٢٣٣ .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٣٦ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٦٧ .

والنحاس هو : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر النَّحَّاس : مفسر ، أديب .كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري . وصنف : تفسير القرآن ، وإعراب القرآن ، وتفسير أبيات سيبويه ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، ومعاني القرآن : الجزء الأول منه وغيرها . ت سنة ٣٣٨ هـ . ينظر : العبر : ٢ / ٢٥٢ ، البداية والنهاية : ١١ / ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة : ٣ / ٣٠٠ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٣) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (١٣ / ٩٤) ، والصنعاني (٢ / ٣٣١) ، والفخر الرازي (١٨ / ١٨٦) ، والشوكاني (٣ / ٦٤) ، والآلوسي (١٣ / ٨٧) ، والقاسمي (٩ / ٣٢٣) .

(٤) التفسير الكبير : ١٨ / ١٨٦ .

(٥) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٢٨١ . وينظر قبله : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٣٦ . وينظر : تفسير السمر قندي المسمَّى (بحر العلوم) لعلي بن يحيى، علاء الدين السمرقندي (ت ٣٦٧ هـ) : ٢ / ٢١٥ .

الترجيح :

الذي أراه – والله أعلم – أن **القول الثاني هو الأرجح ، فالسموات مرفوعة على عمد غير مرئية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما تقدم ولما يلي :

أولاً : من اللغة : العرب قد تقدم الحجَّة من آخر الكلمة إلى أوّلها ، ويكون يكون ذلك جائزاً . كما في الآية التي معنا : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾ .

قال الشاعر [١] :

إذا أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرى ... فدَعْهُ وواكِل حالَه والليالِيا

يجيءُن على ما كان من صالحٍ به ... وإن كان فيما لا يرى الناس آليا

معناه : وإن كان (فيما يرى) الناس لا يألو [٢] .

ثانياً : هذا القول هو قول **ابن عباس** ﷺ ؛ حبر هذه الأمة وهو قول جماعة من السَّلف .
من المقرر عند العلماء أن :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٣] .

ثالثاً : **العلم الحديث** : عرف علماء الفلك كيفية رفع السموات على عمد غير مرئية عن طريق تلك السُّنة الكونية العجيبة المذهلة ؛ وهي سنة الجاذبية العامة [٤] التي قامت وتقوم

---

(١) ذكر البيتين أبو زكريا ، يحيى بن زياد الفَرَّاء (ت ٢٠٧ هـ) في معاني القرآن (٢ / ٤٩) من غير عزو ، وعزاه عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٨ / ٤٩٣) إلى زهير بن أبي سلمى ؛ و لم أقف عليه في ديوان زهير .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٤٩ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

(٤) العمد غير المرئية في العلوم الكونية : =

بها السموات والأرض بأمر الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ .... ﴾ . [سورة الروم : ٢٥] .

وهذه الحقائق العلمية عن رفع السموات بغير عمد مرئية والتي توصل إليها علماء الفلك في عصرنا الحاضر ، وأثبتوها من خلال دراساتهم الجادة وأبحاثهم الطويلة ؛ نجد أن القرآن الكريم الذي نزل على نبي أمي ﷺ وعلى أمة أمية في واد غير ذي زرعٍ بين الجبال ، قد سبق العلماء في إثبات هذه الحقيقة العلمية ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ لتكون سراجاً مضيئاً ، وليعلم الجميع أن هذا الكتاب حق ، وأنه تنزيل العزيز الحميد . وهذا ما قررته سورة الرعد في ابتدائها : ﴿ .... وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

=

١. القوة النووية الشديدة .
٢. القوة النووية الضعيفة .
٣. القوة الكهرومغناطيسية .
٤. قوة الجاذبية .

ينظر : مقال للدكتور زغلول النجار عن قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .... ﴾ . [سورة الرعد : ٢] . نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ / ٩ / ٢٠٠١ م . موقع : www.eagaz.com. وينظر : مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء : ٢٦ / ١٩٣ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ... ﴾ . [آية : ٣] .

مسألة : في المراد من قوله تعالى : ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ يعني صنفين من الثمر ، فقال :

((﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ يعني صنفين من الثمر : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، فإن قيل : تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين ، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة ، والجواب : أن ذلك زيادة في الاعتبار ، وأعظم في الدلالة على القدرة ، فذكر الاثنين لأن دلالة غيرهما من باب أولى ، وقيل : إن الكلام تم في قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ثم ابتدأ بقوله : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ﴾ يعني الذكر والأنثى ، **والأول أحسن**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **بيان معنى قوله : ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾** على قولين :

القول الأول : أن **معنى ﴿ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ صنفين** ؛ حيث جعل ﷻ كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين [(٢)] ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [(١)] ، والزَّجَّاج [(٢)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٣)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٤)] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٢) أي : جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا بين صنفين : إما في اللون : كالأبيض والأسود ، أو في الطعم : كالحلو والحامض ، أو في القدر : كالصغير والكبير ، أو في الكيفية : كالحار والبارد وما أشبه ذلك . ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٥٥ .

واستدل له بأدلة منها :

١. نص الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ؛ فهي جملة ابتداء كلام تتعلق بالفعل الذي بعده : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ .

٢. **النظائر القرآنية** : ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة يس : ٣٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ . [سورة ق : ٧] . (٥)

٣. أن كل ثمرة موجود منها نوعان .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٥ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ١٣٧ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

(٤) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير والثعالبي ، وابن عادل الحنبلي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي والآلوسي ، والسعدي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٦٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٤٥ ، الكشف والبيان : ٥ / ٢٦٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٧٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦ ، الكشاف : ٢ / ٤٨٢ المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩١ ، زاد المسير : ٤ / ٣٠٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٥ ، تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن / اختصار النكت والعيون للماوردي) لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي (ت ٦٦٠ هـ) : ٢ / ١٤٣ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٢٨٠ ، ٢٨١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣١٧ تفسير النسفي : ٢ / ٢٠٩ تفسير الخازن : ٣ / ٣ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠١ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٥٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٤٣ ، تفسير الجلالين : ٣٢١ ، تفسير أبو السعود : ٥ / ٤ ، السراج المنير : ٢ / ١٦٣ ، فتح القدير : ٣ / ٦٤ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٣٢٦ ، روح المعاني : ١٣ / ١٠٠ ، ١٠١ ، تفسير السعدي : ٤١٣ .

(٥) ينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٥٩ .

الرد على الأدلة :

١. الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [١] في هذا المعنى ضعيف لأن إطلاق الزوج على الصنف بناءً على شيوع إطلاقه على صنف الذكر وصنف الأنثى ، فأطلق مجازاً على مطلق صنف من غير ما يتصف بالذكورة والأنوثة بعلاقة الإطلاق ، والقرينة قوله : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا ﴾ مع عدم التثنية ، كذلك قوله تعـــالى : ﴿ ... فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾ [٢] .

٢. الاستدلال بأن المراد بالزوجين الاثنين في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ الصنفين مرجوح ؛ لأن تنكير ﴿ زَوۡجَيۡنِ ﴾ في الآية للتنويع ، أي : جعل زوجين من كل نوع . والتثنية في زوجين أن كل فرد من الزوج يطلق عليه زوج ؛ كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ ... ﴾ [٣] . والوصف بقوله : ﴿ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ للتأكيد تحقيقاً للامتنان [٤] .

٣. أما القول بأن كل ثمرة موجود منها نوعان ؛ فإن الله خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة .

✓ **وأجيب على ذلك :**

بأن ذلك زيادة في الاعتبار ، وأعظم في الدلالة على القدرة ، وهذا غير ضار في معنى الآية [٥] .

---

(١) سورة ق : ٧ .

(٢) سورة طه : ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام : ١٤٣ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٢٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٥٩ .

القول الثاني : أن المراد بالزوجين في الآية : **الذكر والأنثى** ، وبه قال مجاهد [١] ، وذهب إليه **الفَرَّاء** [٢] ، ورجَّحه **الطبري** [٣] ، وقاله جماعة من المفسرين [٤] .

واستدل له بأدلة منها :

١. **النظائر القرآنية** : ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ . [سورة النجم : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ . [سورة القيامة : ٣٩] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٣٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ... ﴾ . [سورة النساء : ١] .

٢. **أدلة من اللغة** : الزوج في اللغة : الواحد الذي معه آخر نظير له . يقال : عنده زوجا نعال ، زوجا حمام . يعني : ذكرين أو أنثيين . وقيل : يعني ذكراً وأنثى . والعرب تسمي الاثنين زوجين ، والواحد من الذكور زوجاً لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة زوجاً وزوجةً لذكرها ، وكل اثنين زوج [٥] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٢) إلى أبي الشيخ .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٥٠ .

والفَرَّاء هو : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، أبو زكريا ، المعروف بالفَرَّاء : الإمام النحوي المفسر . له مصنفات منها : معاني القرآن . ت سنة ٢٠٧ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٤ / ١٤٩ - ١٥٥ ، وفيات الأعيان : ٦ / ١٧٦ ، السِّير : ١٠ / ١١٨ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٩٦ ، ٢٧ / ٨ .

(٤) في تفاسيرهم ؛ منهم : السمر قندي (٢ / ٢١٦) ، والماوردي (٣ / ٩٣) ، وابن عبد السلام (٢ / ١٤٤) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٤٦) ، وابن عاشور (١٢ / ١٣٩ ، ١٤٠) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٤٤١) . قال بالزوجية **في النبات** : الماوردي ، والعز بن عبد السلام ، وخص بالزوجية **بالحيوان** : الطاهر بن عاشور ، وأن جملة : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ مستأنفة للاهتمام بهذا الجنس من المخلوقات ، وقال **بالزوجية في كل شيء** : السمر قندي ، وسيد قطب .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٩٦ ، جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، باب الجيم والزاي : ١ / ٤٧٣ ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم لمعجد بن أبي نصر الحميدي =

٣. العلم الحديث : أثبت علم النبات في آخر أبحاثه الزوجية في النبات وجود عضو ذكري وعضو أنثوي في تركيب الزهرة [١] .

الترجيح :

الذي أراه – والله أعلم – أن **القول الثاني هو الراجح ، وأن المراد بالزوجين في الآية الذكر والأنثى ، وهذا خلاف ما ذهب إليه ابن جزي ومن وافقه ، يؤيد القول الراجح النظائر القرآنية واللغة والعلم الحديث كما ذكرنا ، ولقد تقرر عند العلماء أن : القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

بل وأبعد من هذا بأن يكون كل شيء خلقه الله منه زوجين ذكر وأنثى ، أي طرفين متقابلين ، فقد أثبت العلم الحديث أن كل شيء خلقه الله منه زوجين اثنين ، **فالزوجية قاعدة الخلق في الكون كله** ، فالأشياء زوجية والأحياء زوجية (النبات والحيوان) ، حتى تركيب النـــواة في الذرة من زوجين من الالكترونات ؛ بروتونات موجبة ونيوترونات سالبة [٣] . **وهكذا نجد العلم الحديث يتوصل لحقائق أخبرنا عنها القرآن الكريم وأومأ إليها قبل ما يقارب أربعة عشر قرناً من الزمان ، فالقرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي أعجز خلقه فكل ما جاء به هو الحق .**

والله تعالى أعلم بالصواب .

= (ت ٤٨٨ هـــ) : ٣٠١ . وينظر : (مادة : زوج) في كل من : تهذيب اللغة للأزهري : ١١ / ١٠٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٢ / ٢٩١ ، تاج العروس للزبيدي : ٦ / ٢٢ .

(١) ينظر : مقال (الزوجية في الكائنات الحية) للدكتور ميسرة نصوح السعدي ، والدكتور توفيق التميمي . موقع : www.islamset.com . وقد عرض البحث أمثلة للزوجية في النبات .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

(٣) ينظر : مقال (الزوجية في الكائنات الحية) موقع : www.islamset.com . وقد عرض البحث أمثلة للزوجية في النبات والحيوان وتركيب الذرة أيضاً . والغاية من هذا البحث تعريف ما توصل إليه العلم من أن كل شيء زوجي . وينظر : مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء : ٢٦ / ١٩٢ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ... ﴾ . [آية : ٦] .

مسألة : في المراد بمغفرة الله للناس على ظلمهم :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالمغفرة الستر والإمهال ، فقال : ((يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة ، وقيل : يريد مغفرته لمن تاب ، **والأول أظهر**)) . اهـ[1] .

الدراسة :

بعدما بين الله ﷻ في الآية المتقدمة استعجال الكفار بالعقوبة والعذاب وسؤالهم رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم به ؛ وقد حلت عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ؟ وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ... ﴾ . [سورة الرعد : ٦] . قرر ﷻ غفرانه للناس على ظلمهم ، و ﴿ عَلَىٰ ﴾ بمعنى المصاحبة أي : مع ظلمهم[2] ، وظهر في الآية عدة مسائل :

١. هل الآية منسوخة ؟

٢. هل يراد بالمغفرة المتعارف منها أو المعنى اللغوي ؟

٣. ومن المراد بـ ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ الكفار والمشركون أو العصاة من الموحدين ؟

٤. وهل هذه المغفرة في الدنيا أو في الآخرة ؟

وقد أجاب أهل العلم عن هذه المسائل كالتالي :

المسألة الأولى : هل الآية منسوخة ؟ اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : منسوخة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ... ﴾ . [سورة النساء : ٤٨] . قاله **الضحاك**[3] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٢) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) : ٣ / ٤٢ .

(٣) **الضحاك** هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم ، وقيل : أبو محمد الخراساني ، كان من أوعية العلم وليس بالجود لحديثه ، ولم يلق ابن عباس ﷺ ، ولم يشافه أحداً من صحابة رسول الله ﷺ ، كما قال أبو حاتم =

القول الثاني : الآية **محكمة** ، وهو الذي عليه الأكثر ، قاله مجاهد [١] .

وأشار **ابن الجوزي** إلى فساد توهم من قال بأن الآية منسوخة بالآية السابقة الذكر ؛ لأن الظلم عام وتخصيصه بالشرك هاهنا يحتاج إلى دليل [٢] .

✓ **المسألة الثانية : هل يراد بالمغفرة المتعارف منها أو المعنى اللغوي ؟**

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : حمل المغفرة على المتعارف منها ، وهو مغفرة الذنوب [٣] وإلا حيث دلَّ

= ت سنة ١٠٢ هـ ، وقيل بعد ذلك . ينظر : التاريخ الكبير لأبي عبد الله ؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ) : ٤ / ٣٣٢ ، السِّير : ٤ / ٥٩٨ - ٦٠٠ ، البداية والنهاية : ٩ / ٢٢٣ .

(١) ينظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة المقري (ت ٤١٠ هـ) : ١ / ٣٤٢ ، الناسخ والمنسوخ لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) : ١ / ٨٩ ، ناسخ القرآن ومنسوخه لهبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي (ت ٧٣٨ هـ) : ١ / ٣٧ ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن لمرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣ هـ) : ١ / ١٢٦ .

(٢) ينظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي : ١ / ١٨٣ .

وابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، الحنبلي ، من ولد الإمام أبي بكر الصديق ﷺ ، ابن الجوزي ، أبو الفرج : الواعظ ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك ، له ثلاث مائة مصنف منها : تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار ، وتلبيس إبليس ، وزاد المسير في علم التفسير ، وصفة الصفوة ، وغيرها ، ت سنة ٥٩٧ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ / ١٤٠ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٢٩ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ٦١ .

(٣) **مسألة : هل يعفو الله عن الكبائر ؟**

- قالت **الأشاعرة** :

بجواز مغفرة الكبائر والصغائر بدون توبة ؛ لأنه سبحانه ذكر المغفرة مع الظلم ؛ أي : الذنب ولا يكون معه إلا قبل التوبة ؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له . قاله من المفسرين : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي والنيسابوري ، والبقاعي ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ١٨ / ١٨٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣١٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٠ ، ٢١١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٤١ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٥٦ .

- وقالت **المعتزلة** :

هو عفو عن الصغائر قبل التوبة وعن الكبائر بعدها . قاله الزمخشري في الكشاف (٢ / ٤٨٤) .

- وقالت **المرجئة** : هو عفو عن الصغائر والكبائر مطلقاً لما عرف من مذهبهم . =

الدليل على التقييد في غير الموحد فإن ظلمه – أي شركه – لا يغفر ، وما عدا الشرك فهو داخل تحت مشيئة الله [١] .

القول الثاني : المراد بالمغفرة معناها **اللغوي** : وهو **الستر بالإمهال** وتأخير العقاب إلى الآخرة كأنه قيل : أنه تعالى لا يعجل للناس العقوبة و إن كانوا ظالمين ؛ بل يستر عليهم بتأخيرها . لأن القوم لما طلبوا تعجيل العقاب ، فالجواب المذكور فيه يجب أن يكون محمولاً على تأخير العقاب حتى ينطبق الجواب على السؤال . وهذا القول **هو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

✖ **واعتُرض بما يلي :**

أولاً : إن تأخير العقاب لا يسمى مغفرة ، وإلا لوجب أن يقال : الكفار كلهم مغفور لهم لأجل أن الله تعالى أخر عقابهم إلى الآخرة ، وأن ذلك مخالف للظاهر ولاستعمال القرآن .

ثانياً : أنَّ الله تمدَّح بهذا ، والتَّمدُّح إنما يحصل بالتفضيل ، أما أداء الواجب ، فلا تمدح فيه ، وإن الله يغفر الصغائر لمجتنب الكبائر .

ثالثاً: أن ظاهر الآية يقتضي حصول المغفرة حال الظلم ، وأن حال حصول الظلم يمنع حصول التوبة ، قاله غير واحد من المفسرين [٤] .

= والإجماع منعقد على أنه تعالى عفو ، وأن عفوه ليس في حق الكافر بل في حق المؤمن .

والذي عليه أهل السُّنة والجماعة أن الله يعفو عن بعض الكبائر مطلقاً ويعذب ببعضها ؛ إلا أنه لا علم الآن بشيء من هذين البعضين بعينه . ينظر : اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل (ذيل طبقات الحنابلة) لمحمد بن أبي يعلى أبو الحسين : ٣٠٣ ، المواقف لعضد الدين الإيجي : ٣ / ٥٠٦ .

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ... ﴾ . [سورة النساء : ٤٨] .

(٢) التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٣) منهم : مقاتل ، والطبري ، وابن عطية ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير مقاتل لأبي الحسن ، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠ هـ) : ٢ / ١٦٩ تفسير الطبري : ١٣ / ١٠٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٩٣ .

(٤) منهم : الفخر الرازي ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١١ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٥٢ .

رابعاً : قالوا : إذا تحقق الوعيد فلو تحقق العفو وترك العقوبة بالنار لزم الخلف في الوعيد والكذب في الأخبار ، واللازم باطل فكذا الملزوم [١] ، وتكون الآية بظاهرها كالحث على الظلم لأنه سبحانه وعد المغفرة البالغة مع وجود الظلم .

✓ **وأجيب بما يلي :**

أولاً : أن المغفرة حقيقتها في اللغة : الستر ، وكونهم مغفورين بمعنى : مؤخر عذابهم إلى الآخرة لا محذور فيه ، وهو المناسب لاستعجالهم العذاب .

ثانياً : أن دعوى أن ذلك مخالف للظاهر ولاستعمال القرآن تحكم بحت على أسلوب القرآن بإرجاعه إلى ما أصَّلوه ، مع أن التحاكم إليه في الفروع والأصول ، وهو الحجة في اللغة والاستعمال .

ثالثاً: إن الكفار داخلون في عمومات الوعد بالثواب ودخول الجنة ، والخلف في الوعد لوم لا يليق بالكريم وفاقاً ؛ بخلاف الخلف في الوعيد فإنه ربما يعد كرماً ، والقول بالإحباط وبطلان استحقاق الثواب بالمعصية فاسد فكيف كان ترك عقابهم بالنار خلفا مذموماً و لم يكن ترك ثوابهم بالجنة كذلك ؟! [٢] ..

وإن " دعوى فساد اللزوم وتهويل خطبه فارغة ، لأنه لا محذور في ذلك ، لاسيما وهو المناسب لاستعجالهم العذاب المذكور قبل ، فالتلازم صحيح " [٣] . وأما وعده سبحانه وعد المغفرة البالغة مع وجود الظلم فيراد به المغفرة بالستر والإمهال ، ويكون قوله تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ . [سورة الرعد : ٦] . لتحقيق الوعيد بهم وإن كانوا تحت ستره وإمهاله ، ففيه اشارة إلى أن ذلك إمهال لا إهمال [٤] .

---

(١) ينظر : شرح المقاصد في علم الكلام لمسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) : ٢ / ٢٣٦ .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) قاله القاسمي ، ينظر تفسيره : ٩ / ٣٣١ .

(٤) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٣ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

✓ **المسألة الثالثة : ومن المراد بـــ ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ الكفار والمشركون أو العصاة من الموحدين ؟**

اختلف المفسرون **في المراد بالناس** على أربعة أقوال :

القول الأول : المراد بالناس **المعهودون ، وهم المستعجلون** المذكورون قبل ، وهم كفار أهل مكة ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، ومجاهد [٢] ، وقاله **الواحدي** [٣] ، **وابن عطية ، وابن الجوزي ، والبقاعي** من المفسرين [٤] .

✗ **واعتُرض على هذا :**

حيث قال **الآلوسي** [٥] : " والتخصيص بالكفار غير مختار " [٦] .

ويؤيد ذلك : ما روي عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ... ﴾ قال رسول الله ﷺ : « لولا عفو الله تعالى وتجاوزه ما هنأ أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد » [٧] .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٥ .

(٢) نسبه إليه ابن الجوزي والخازن . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣٠٦ ، تفسير الخازن : ٣ / ٦ .

(٣) **الواحدي** هو : علي بن أحمد الواحدي ، أبو الحسن ، المفسر العلامة ، صاحب التفاسير الثلاثة المشهورة : (البسيط ، الوسيط ، الوجيز) ، ت سنة ٤٦٨هـــ . ينظر : معجم الأدباء : ٣ / ٥٥٦ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٣٠٣ ، السِّير : ١٨ / ٣٣٩ .

(٤) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ ، زاد المسير : ٤ / ٣٠٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٩ .
والبقاعي هو : إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر برهان الدين ، وكنيَّ نفسه : بأبي الحسن الخرباوي البقاعي : مفسر ، له كتاب : " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " ؛ وهو مؤلف لم يسبقه إليه أحد . ت سنة ٨٨٥ هـــ . ينظر : طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ٣٤٨ ، كشف الظنون : ٢ / ١٩٦١ ، شذرات الذهب : ٤ / ٣٣٩ .

(٥) **الآلوسي** هو : محمود بن عبد الله أفندي الحسيني ، أبو الفضل ، أو أبو الثناء ، كان فقيهاً محدثاً مفسراً ، وكان على اطلاع واسع بالشعر والأدب والأديان والفرق ، ت سنة ١٢٧٠هـــ . ينظر : الأعلام : ٧ / ١٧٦ .

(٦) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٣ / ١٠٧ .

(٧) أورد هذا الأثر أغلب المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية . قال الزيلعي : رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (وذكر الأثر) ، ثم قال : كذلك رواه الثعلبي في تفسيره **وهو مرسل** . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في =

القول الثاني : أصحاب الكبائر ، قاله **الفخر الرازي** ، **والنيسابوري** ، **وابن عادل** [١] من المفسرين .

قال **الفخر الرازي** : " ترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر ، فوجب أن يبقى معمولاً به في حق أهل الكبيرة وهو المطلوب " . اهـ [٢] .

القول الثالث : المؤمنون ، قاله **النسفي** [٣] .

قال ابن عباس ﷺ : ليس في القرآن آية أرجى من هذه [٤].

القول الرابع : الجنس ، أي عموم الناس من الكفار والعصاة من الموحدين ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

= تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) : ٢ / ١٨٣ .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٥٢ .

والنيسابوري هو : الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، نظام الدين ، ويقال له الأعرج : مفسر ، له اشتغال بالحكمة والرياضيات . أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور . له كتب ، منها : غرائب القرآن ورغائب الفرقان يعرف بتفسير النيسابوري ، ولب التأويل ، وشرح الشافية في الصرف ، يعرف بشرح النظام . ت سنة ٧٢٨ هـ . ينظر : السِّير : ١٤ / ٢٣٦ ، طبقات المفسرين للداودي : ٤٢٠ ، كشف الظنون : ٢ / ١١٩٥ .

وابن عادل هو : سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي ، أبو حفص الحنبلي ، الإمام الفقيه المفسر ، صاحب التفسير الكبير ، توفي بعد سنة ٨٨٠ هـ . ينظر : الأعلام : ٥ / ٥٨ ، هدية العارفين : ٥ / ٧٩٤ .

(٢) التفسير الكبير : ١٩ / ١١ .

(٣) ينظر : تفسير النسفي : ٢ / ٢١٠ .

والنسفي هو : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، أبو البركات ، مفسر فقيه حنفي المذهب ، له مصنفات عديدة في الفقه والأصول ، ت سنة ٧١٠هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٢٦٣ ، الأعلام : ٤ / ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) نسبه إليه : النسفي في تفسيره (٢ / ٢١٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٣٥٩) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٦) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (١٣ / ١٠٦) ، وابن أبي زمنين (٢ / ٣٤٦) ، والماوردي (٣ / ٨٩) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ١٤٥) ، والقرطبي (٩ / ٢٨٥) ، وأبو السعود (٥ / ٧) ، والآلوسي (١٣ / ١٠٦ ، ١٠٧) .

✓ **المسألة الرابعة : وهل هذه المغفرة في الدنيا أو في الآخرة ؟**

اختلف علماء التفسير على أقوال :

القول الأول : في الآخرة ، قاله الطبري [١] .

القول الثاني : في الدنيا ، قاله ابن عطية ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] .

الترجيح :

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **أن الظاهر من معنى المغفرة هنا إنما هو ستره في الدنيا وإمهاله للكفرة والعصاة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدم ما يلي :

أولاً : أن قرينة تأخير العذاب إلى أجل جارٍ على عذاب الدنيا وهو الذي يقبل التأخير كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [٣] . أي : عذاب الدنيا ، وهو ما أصاب قريش من جوع بعد أن كان يطعمهم من جوع [٤] .

ثانياً : دلالة الأسلوب القرآني :

وذلك في التيسير في لفظ ﴿ مَغْفِرَةٍ ﴾ وأنها منكرة مقللة ، وليس فيها مبالغة كما في قوله : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ... ﴾ [٥] . ونمط الآية يعطي هذا ، فالله ﷻ قد حكم عليهم بالنار وذلك في قوله تعالى قبلها : ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٠٦ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ ، التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٣) سورة الدخان : ١٥ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٩٣ .

(٥) سورة طه : ٨٢ .

جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ ﴾ [١] .

ثم قال : ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ ... ﴾ [٢] ؛ فلما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فأخبر بسيرته في الأمم ، وأنه يمهل مع ظلم الكفر [٣] .

وكذلك فإن التعبير عنه تعالى بقوله ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ ﴾ إنما هو للدلالة على كونهم مشركين وثنيين لا يأخذونه تعالى رباً ؛ بل النبي ﷺ هو الذي يأخذه رباً من بين قومه .

ثالثاً : دلالة السِّياق :

قال **الطاهر بن عاشور** [٤] : " سياق الآية يدل على أن المراد بالمغفرة هنا التجاوز عن **المشركين** في الدنيا بتأخير العقاب لهم إلى أجل أراده الله أو إلى يوم الحساب وأن المراد بالعقاب في قوله : ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [٥] ضد تلك المغفرة وهو العقاب المؤجل في الدنيا أو عقاب يوم الحساب ، فمحمل الظلم على ما هو المشهور في اصطلاح القرآن من إطلاقه على الشرك .

ويجوز أن يحمل الظلم على **ارتكاب الذنوب بقرينة السِّياق** ؛ كإطلاقه في قوله تعالى : ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ... ﴾ [٦] ؛ فلا تعارض أصلاً بين هذا المحمل وبين قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١)سورة الرعد : ٥ .

(٢) سورة الرعد : ٦ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٢٩٦ . وينظر : تفسير ابن عرفة لأبي عبد الله ، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت ٨٢٧ هـ) : ٢ / ٢٢٢٤ .

(٤) **الطاهر بن عاشور** هو : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ، كان ذا ذاكرة قوية نادرة ، وذلاقة في اللسان ، وحلاوة في التعبير ، رئيس المفتين المالكيين بتونس ، شيخ جامع الزيتونة ، ت سنة ١٣٩٣ هـ . ينظر : الأعلام : ٦ / ١٧٤ .

(٥) سورة الرعد : ٦ .

(٦) سورة النساء : ١٦٠ .

لِمَن يَشَآءُ ... ﴾ [١] كما هو ظاهر " . اهـ [٢] .

رابعاً : إن العفو والمغفرة لا يختصان بما بعد الموت أو بيوم القيامة ولا أن آثارهما تختص بذلك ، فله تعالى أن يبسط مغفرته على كل من شاء حتى على الظالم حين هو ظالم فيغفر له مظلمته إن اقتضته الحكمة ، وله أن يعاقب ، قال تعالى :

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [٣] .

ولهذه النكتة عبر تعالى عن مورد المغفرة بقوله : ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ ولم يقل للمؤمنين أو للتائبين ونحو ذلك ، فلو التجأ أي واحد من الناس إلى رحمته وسأله المغفرة كان له أن يغفر له سواء في ذلك الكافر والمؤمن ، والمعاصي الكبيرة والصغيرة ، غير أن المشرك لو سأله أن يغفر له شركه انقلب بذلك مؤمناً غير مشرك .

خامساً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة النساء : ٤٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٣ / ٩٣ .

(٣) سورة المائدة : ١١٨ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ . [آية : ١٠] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ و ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد في أن ﴿ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ و ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ اثنان : فقال :

((والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما ، مع تباين حالهما وقيل : إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار : صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار ، ويعضد هذا كونه قال : ﴿ وَسَارِبٌۢ ﴾ فعطفه عطف الصفات و لم يقل : ومن هو سارب بتكرار ﴿ مَّنْ ﴾ كما قال : ﴿ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ إلا **أن جعلهما اثنين أرجح** ليقابل من أسر القول ومن جهر به فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا ويكون قوله : ﴿ وَسَارِبٌۢ ﴾ عطف على الجملة ، وهو قوله : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ ﴾ لا على مستخف وحده)) . اهـ[1] .

الدراســـة :

بين ﷻ في هذه الآية الكريمة أن المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء سواء عند الله مع السارب بالنهار ، وذلك كاستواء السر والجهر في علم الله . وأظهر القولين [2] **في معنى المستخفي بالليل والسارب بالنهار** : أن المستخفي هو المختفي المستتر عن الأعين ،

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٢) أما القول الآخر هو : أن المستخفي الظاهر ، والسارب المتواري ، وهو قول الأخفش وقطرب ، ووافقهم القرطبي في هذا مخالفاً جمهور المفسرين . قال الأزهري : وقول الأخفش : (المُستَخْفي : الظاهرُ) خطأٌ عند اللُّغويِّن . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : سرب) : ٧ / ٢٤٢ ، معاني القرآن لسعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (الأخفش الأوسط) (ت ٢١٥ هـ) : ٢ / ٥٩٥ ، (مادة : سرب) في لسان العرب : ١ / ٤٦٢ ، تاج العروس : ٣ / ٥٤ ، وينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩٠ . وهذا القول وإن كان له وجه في اللغة إلا أنه ضعيف ؛ لأن اقتران الليل بالمستخفي والنهار بالسارب يرد على هذا القول ، كما أن الليل يدل على الاستتار ، والنهار على الظهور والانتشار . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٥ .

والسارب هو الظاهر البارز الذاهب حيث يشاء [(١)]، قال به **ابن عباس** رضي الله عنه [(٢)] وغيره ، وذهب إليه **الفَرَّاء والزَّجَّاج** [(٣)] ، وهو الذي **أجمع** عليه المفسرون [(٤)] .

وقد استشكل على أهل العلم : هل المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار أو هما اثنان ؟ وحاصل اختلافهم يرجع إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار : **صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار** ، قاله **ابن عطية** [(٥)] ، **وأبو حيان** [(٦)] ، **وابن عادل** [(٧)] من المفسرين .

قالوا : إن (سواء) يقتضي ذكر شيئين ، فإذا كان ﴿ وَسَارِبٌ ﴾ معطوفاً على جزء الصلة

---

(١) قال النحاس : " هذا القول أولى لجلالة من قال به ، وأشبه بالمعنى ؛ لأن المعنى : والله أعلم سواء منكم من أسر منطقه أو أعلنه ، واستتر بالليل أو ظهر بالنهار ، وكل ذلك في علم الله سواء ، وهو في اللغة أشهر وأكثر " . اهـ . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٧٧ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٦ . وعزاه إليه السيوطي . ينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٥١ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٤١ .

(٤) ومنهم : الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١١٣ ، ١١٤ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٧٦ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٤٧ ، الكشف والبيان : ٥ / ٢٧٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٠٩ ، ٣١٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ /٣٢٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٤٣ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠٤ ، نظم الدرر : ٤ / ١٣٠ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٤ ، تفسير الجلالين : ٣٢٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨ ، فتح القدير : ٣ / ٦٩ ، روح المعاني : ١٣ / ١١١ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٣٦ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٠ .

(٦) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٥ / ٣٦٢ .

وأبو حيان هو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الأندلسي ، أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث ، صاحب البحر المحيط ، ت سنة ٧٤٥هـ . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٩ / ٢٧٦ بغية الوعاة : ١ / ٢٨٠ ، شذرات الذهب : ٦ / ١٤٥ .

(٧) ينظر : تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٤ .

أو الصفة لايكون هناك إلا شيء واحد ، فيكون المستخفي بالليل والسارب بالنهار هما صفتان لشخص واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار ، ليرى تصرفه بين الناس .

واستدل على ذلك : بأن قوله تعالى : ﴿ وَسَارِبٌ ﴾ يعضده ؛ فعطفه عطف الصفات ، و لم يقل : ومن هو سارب بتكرار ﴿ مَّنْ ﴾ كما قال : ﴿ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ ، ولا يأتي حذفها إلا في الشعر [١] .

وتحتمل الآية [٢] أن تتضمن ثلاثة أصناف : فالذي يسر طرف ، والذي يجهر طرف مضاد للأول ، والثالث متوسط متلون يعصي بالليل مستخفياً ويظهر البراءة بالنهار .

القول الثاني : أن المستخفي بالليل والسارب بالنهار هما **اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما ، مع تباين حالهما** ، وهو مذهب **ابن عباس** ﷺ ومجاهد [٣] ، وهو **ما رجّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

و ﴿ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

قال **الزّمخشري** : " فإن قلت : كان حق العبارة أن يقال : ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار ، حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب ؛ وإلا فقد تناول واحداً هو مستخف وسارب قلت : فيه وجهان :

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٠٠ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٢ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٤ .

(٢) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز (٣ / ٣٠٠) .

(٣) نسب السمين الحلبي هذا القول إلى ابن عباس ﷺ ومجاهد . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٣١ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣١ .

(٥) في تفاسيرهم ؛ منهم : الزمخشري (٢ / ٤٨٦) ، والبيضاوي (٣ / ٣٢٠) ، والنسفي (٣ / ٢١١) ، والنيسابوري (٤ / ١٤٢) ، والسمين الحلبي (٤ / ٢٣١) ، وأبو السعود (٥ / ٨) ، والآلوسي (١٣ / ١١١) .

أحدهما : أن يكون : ﴿ وَسَارِبُۢ ﴾ معطوفاً على ﴿ مَّنْ ﴾ ، لا على ﴿ مُسْتَخْفٍۭ ﴾ وحده فيصح التقسيم ؛ كأنه قيل : سواء شخص هو مستخف بالليل ، وشخص هو سارب بالنهار .

والثاني : أنه عطف على ﴿ مُسْتَخْفٍۭ ﴾ على أن ﴿ مَّنْ ﴾ في معنى الاثنين كقوله :

.... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

كأنه قال : سواء منكم اثنين مستخف بالليل وسارب بالنهار " . اهـ [1] .

وتُعقِّب بأن :

" في عبارته بقوله : " كان حق العبارة كذا " سوء أدب ، وقوله : " كقوله : نَكُنْ مِثلَ مَنْ يا ذئب " يشير إلى البيت المشهور في قصة بعضهم مع ذئب يخاطبه :

تَعَشَّ فإنْ عَاهَدْتَنِي لا تَخُونُني نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئبُ يَصْطحِبَانِ

وليس في البيت حملٌ على اللفظ والمعنى ، وإنَّما فيه حملٌ على المعنى فقط ، وهو مقصوده " [2] .

والثالث : أن يكون على حذف (مَنْ) الموصولة للعلم به ، أي : ومن هو سارب [3] ، إذ تقدم قوله : ﴿ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ .

---

(١) الكشاف : ٢ / ٤٨٦ .

(٢) الدر المصون : ٤ / ٢٣١ . والبيت لم أهتد لقائله .

(٣)كقول أبي فراس :

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

وقول حسان :

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وهو ضعيف جداً لما فيه من حذف الموصول مع صدر الصلة ، وقد ادعى الزمخشري أن أحد الحذفين سائغ ؛ لكن اجتماعهما منكر من المنكرات بخلاف البيتين . ينظر : روح المعاني : ١٣ / ١١١ .

وهذا إنَّما يتمشى عند الكوفيين ، فإنهم يجيزون حذف الموصول ، بخلاف البصريين [١] .

<u>القول الثالث</u> : زعم بعضهم أن المقصود استواء الحالتين سواء كانتا لواحد أو لاثنين ، والمعنى : سواء استخفاؤه وسروبه بالنسبة إلى علم الله تعالى ؛ فلا حاجة إلى توجيه الآية بما مرَّ ، وكذا حال ماتقدمه فعبر بأسلوبين والمقصود واحد .

✖ **وتعقِّب بأنه** : لا تساعده العربية لأن ﴿ مَّنْ ﴾ لا تكون مصدرية ، ولا سابك في الكلام [٢] .

الترجيح :

بعد عرض أجوبة علماء التفسير وأهل اللغة يظهر لي – والله أعلم – **أن المستخفي بالليل والسارب بالنهار اثنان** ، **<u>وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه</u>** ، إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : السِّياق القرآني :

يدل سياق الآية الكريمة على وجود تقابل بين من أسر القول ومن جهر به ، فكذلك بين من هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار .

ثانياً : إن لفظ ﴿ سَوَآءٌ ﴾ يقتضي ذكر شيئين ، وعطف ﴿ وَسَارِبٌۢ ﴾ على ﴿ مَّنْ ﴾ ، لا على﴿ مُسْتَخْفٍۭ ﴾ وحده يقتضي وجود شخصين اثنين ، فيصح التقسيم ؛ كأنه قيل : سواء شخص هو مستخف بالليل ، وشخص هو سارب بالنهار .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٣١ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٦٢ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٤ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٣ / ١١١ .

قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ... ﴾ . [آية : ١١] .

في الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى : في ضمير ﴿ لَهُۥ ﴾ علام يعود ، وفي المراد بـ ﴿ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ ؟

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **الضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ يعود على ﴿ مَّنۡ ﴾ المتقدمة** ، فقال : ((والضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ يعود على ﴿ مَّنۡ ﴾ المتقدمة ؛ كأنه قال : لمن أسر ومن جهر ، ولمن استخفى ومن ظهر له معقبات ، وقيل : يعود على الله ، **وهو قول ضعيف** ، لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بـ ﴿ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾** [(٢)] **في قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن **المعقِّبات هم الملائكة** ، وسمِّيت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضاً ، وإنما

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٢ .

(٢) **المعقِّبات** هي : جمع معَقّبة – بفتح العين وتشديد القاف مكسورة – اسم فاعل عَقّبه إذا تبعه . وصيغة التفعيل فيه للمبالغة في العقب . يقال : عقبه إذا اتبعه واشتقاته من العقب ، وهو اسم لمؤخّر الرجل فهو فَعِل مشتق من الاسم الجامد لأنّ الّذي يتبع غيره كأنّه يطأ على عقبه ، والمراد : ملائكة معقّبات . والواحد معقب . وإنما جمع جمع مؤنث بتأويل الجماعات . ينظر (مادة : عقب) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١ / ١٨٠ ، لسان العرب لابن منظور : ١ / ٦٢٠ ، تاج العروس للزبيدي : ٣ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

وقرأ زياد بن أبي سفيان (له معاقيب) قال أبو الفتح : هو تكسير معقب ، **وهي قراءة بالغة الشذوذ** . ينظر : مختصر في شواذ القرآن للحسين بن أحمد بن خالويه (من كتاب البديع) (ت ٣٧٠ هـ) : ٧١ ، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح ، عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) : ١ / ٣٥٥ ، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبنّاء (ت ١١١٧ هـ) : ٣٣٨ ، ٣٣٩ . ووردت في بعض التفاسير . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٨٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠١ ، روح المعاني : ١٣ / ١١٢ تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٠ .

صحَّ وصف الملائكة بالمعقِّبات لأن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس ، وكل من عمل عملاً ثم عاد إليه **فقد** عقب ، فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة الليل وملائكة النهار [١] ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٢] ، والحسن [٣] ، ومجاهد [٤] ، وقتادة [٥] ، ومقاتل [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه عامة المفسرين [٨] .

للأدلة التالية :

١. **من السُّنة :** جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ – وهو أَعْلَمُ بِكُمْ – فيقول : كَيْفَ تَرَكْتُمْ

---

(١) **هل الملائكة الذين يتعاقبون فينا هم الحفظة ؟**

نقل القاضي عياض وغيره عن الجمهور : أنهم الحفظة .

وقال القرطبي : الأظهر عندي أنهم غيرهم . وقوَّاه الحافظ ابن حجر بأنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد ، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار ، وبأنه لو كانوا هم الحفظة لم يقع الاكتفاء في السؤال منهم عن حالة التَّرك دون غيرها في قوله : « كيف تركتم عبادي ؟ » . ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) : ٢ / ٣٥ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٦ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٥) ، وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١٢ .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٣٢٦ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٥) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٦) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧٠ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٨) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، ابن كثير ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقاسمي ، وابن عاشور ، والسعدي . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٣٢ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٧٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٤٨ ، النكت والعيون : ٣ / ٩٩ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٠١ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٩ ، الكشاف : ٢ / ٤٨٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠١ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٦ ، القرطبي : ٩ / ٢٩٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧ ، التسهيل : ٢ / ١٣٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠٤ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٨ ، تفسير الجلالين : ٣٢٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨ ، فتح القدير : ٣ / ٦٩ ، روح المعاني : ١٣ / ١١١ ، تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٠ ، تفسير السعدي : ٤١٤ . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٣١٦ .

عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » (١) .

٢ . أدلة من المأثور :

- قال ابن عباس رضي الله عنه : والمعقبات من الله هي الملائكة (٢) .
- وقال أيضاً : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه (٣) .
- وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملك موكَّل ، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه إلاَّ قال له الملك : وراءك ، إلاَّ شيء أذن الله فيه فيصيبه (٤) .
- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٥) قال : تدور كالحرس ملائكة الليل وملائكة النهار (٦) .
- روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ : (معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه من أمر الله يحفظونه) (٧) .

القول الثاني : الآية في **الأمراء ، وحرسهم يحفظوهم** من بين أيديهم ومن خلفهم ، وهو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (٦٩٩٢) : ٦ / ٢٧٠٢ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٢) : ١ / ٤٣٩ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٥) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦١٣) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٣٠ ، ٢٢٣٢) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٥ ، ١١٦) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦١٤) إلى عبد الرزاق ، والفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٩) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١٤ .

(٥) سورة الإسراء : ٧٨ .

(٦) أورده النحاس في معانيه (٣ / ٤٧٩) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦١٤) إلى سعيد بن منصور ، وابن جرير (١٣ / ١١٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٧ / ٢٢٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنه . وأورد هذه القراءة جماعة من المفسرين . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٨٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٢ ، القرطبي : ٩ / ٢٩٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٦٤ ، روح المعاني : ١٣ / ١١٢ . وينظر : الفتاوى الحديثية لأحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٣ هـ) : ١ / ٢٤ . وتحمل على التفسير لا أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون .

قول عكرمة [(١)] وجماعة ، **ورجَّحه** الطبري [(٢)] .

أي : يحفظونه من قضاء الله تعالى وقدره ويدفعون عنه ذلك في ظنه وزعمه لجهله بالله سبحانه وتعالى [(٣)] .

ويجوز أن يكون من باب الاستعارة التهكمية على حد ما اشتهر في قوله تعالى : ﴿... فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [(٤)] ، فهو مستعار لضده ، إلاَّ أنَّ **الماوردي** ذكر على هذا التأويل : أنَّ في الكلام نفي ، والتقدير : لا يحفظونه [(٥)] ، وهذا ينبغي ألاّ يسمع ألبتَّة ، كيف يبرز كلام موجب ويراد به نفي ؟ وحذف (لا) إنما يجوز إذا كان المنفي مضارعاً في جواب قسم ، نحو : ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ ﴾ [(٦)] . [(٧)]

القول الثالث : الآية في **الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال** ؛ يكتبان الحسنات والسيئات ، وهو قول **ابن جريج** [(٨)] .

كما قال تعالى : ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ . [سورة ق : ١٧] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧) .
وعكرمة هو : عكرمة بن عبد الله ، أبو عبد الله القرشي مولاهم ، البربري الأصل ، الإمام الحافظ المفسر ، مولى ابن عباس رضي الله عنه ، ت سنة ١٠٤ هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : حلية الأولياء : ٣ / ٣٢٦ - ٣٤٧ ، صفة الصفوة : ٢ / ١٠٣ ، السِّير : ٥ / ١٢ — ٣٧ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١١٧ .

(٣) قاله المهدوي ، والزمخشري ، والبقاعي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٨٧ ، نظم الدرر : ٤ / ١٣٠ .

(٤) سورة آل عمران : ٢١ .

(٥) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٩٨ .

(٦) سورة يوسف عليه السلام : ٨٥ .

(٧) ينظر : مغني اللبيب لابن هشام : ٨٣٤ .

(٨) نسبه إليه جماعة من المفسرين . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٩٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٩ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
وابن جريج هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم ، أبو الوليد المكي ، إمام فقيه مفسر ، ثقة فاضل ، صاحب تصانيف ، وأول من دوّن العلم بمكة ، ت سنة ١٥٠ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٥ / ٤٢٢ ، تاريخ بغداد : ١٠ / ٤٠٠ ، السِّير : ٦ / ٣٢٥ - ٣٣٦ .

✍ **وفي عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰت ﴾ له أربعة أوجه :**

✓ **الوجه الأول** : أنه عائد على ﴿ مَّنۡ ﴾ المكررة ، أي : لمن أسرّ القول ، ولمن جهر به ولمن استخفى ، ولمن ظهر جماعات من الملائكة تتعاقب في حفظه ، أي يعود الضمير إلى العبد ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (١) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٢) .

✓ **الوجه الثاني** : أنه يعود على (مِنْ) الأخيرة ﴿ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ ﴾ ، وهو قول ابن عبَّاسٍ ﷺ ، **ورجَّحه** الطبري (٣) .

للأدلة التالية :

١. قوله : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ أقرب إلى قوله : ﴿ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ ﴾ (٤) منه إلى إلى ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ (٥) ؛ فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنى بذلك .

٢. دلالة السِّياق : وهو قول الله تعالى : ﴿ ... وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ (٦) ؛ على أنهم المعنيون بذلك ، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوماً أهل معصية له وأهل وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم **بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم** من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله ﷻ إذا أراد بهم سوءً لم ينفعهم حرسهم ولا يدفع عنهم حفظهم (٧) .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٢) منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والجلالين ، والطاهر بن عاشور ، والسعدي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٨٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠١ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١١ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨ ، فتح القدير : ٣ / ٦٩ ، تفسير الجلالين : ٣٢٣ ، تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٠ ، تفسير السعدي : ٤١٤ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١١٧ .

(٤) سورة الرعد : ١٠ .

(٥) سورة الرعد : ٩ .

(٦) سورة الرعد : ١١ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١١٧ .

✓ **الوجه الثالث** : أن الضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ **يعود على الله تعالى** ، أي : لله ملائكة يحفظون العبد من الآفات ، ويحفظون عليه أعماله ، ذهب إليه جماعة من المفسرين [(١)] .

✗ **وضعَّفه ابن جُزيّ** [(٢)] ؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق .

✓ **الوجه الرابع** : عود الضمير **على النبيِّ** ﷺ .

قال ابن عباس رضي الله عنه في معنى هذه الآية : لمحمد ﷺ حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن ، وطوارق الليل والنهار [(٣)] .

وقيل : نزلت هذه الآية [(٤)] في عامر بن الطفيل وإربد بن ربيعة اللذين تآمرا على قتل النبي ﷺ .

ويُردُّ على هذا القول بما يلي :

- عند التأكد من صحَّة قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل ظهر أن **إسناد الخبر ضعيف** ولا يعول عليه [(٥)] .

---

(١) في تفاسيرهم ؛ منهم : الواحدي في الوجيز (١ / ٥٦٧) ، والبغوي (٣ / ٩) ، والقرطبي (٩ / ٢٩١) ، والخازن (٤ / ٧) .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٣) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٩) ، والخازن في تفسيره (٤ / ٨) .

(٤) أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه : « أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ فقال عامر : يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ؟ قال : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم . قال : أتجعل لي الأمر من بعدك ؟ قال : ليس ذلك لك ولا لقومك . فخرجا ، فقال عامر لأربد : إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف فرجعا ، فقال عامر : يا محمد قم معي أكلمك . فقام معه ، ووقف يكلمه ، وسل أربد السيف ، فلما وضع يده على قائم السيف يبست ، والتفت رسول الله ﷺ فرآه فانصرف عنهما ، فخرجا ، حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته ، فأنزل الله : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ . [سورة الرعد : ٨ – ١٣] . » . ينظر : لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ١٣٠ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٧٦٠) : ١٠ / ٣١٢ ، وفي الأحاديث الطوال (٣٧) : ٢٧٨ . من حديث ابن عباس مطولاً . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ... وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو **ضعيف** . ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) : ٧ / ٤٢ . **فالرواية ضعيفة جداً** . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل) للدكتور سامي الجهني : ٦٩٢ .

- هذه الآية وإن كانت بألفاظها تنطبق على معنى القصة ، فيضعف القول بأن الضمير عائد على النبيِّ ﷺ أن النبي ﷺ لم يتقدم له ذكر ، فيعود الضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ عليه [١] .

الترجيح :

بعد عرض أقوال علماء التفسير في المراد بالمعقبات ، وأوجه عود الضمير في ﴿ له ﴾ يظهر لي – والله أعلم – **أن المعقبات هم الملائكة ؛ وهو أظهر الأقوال لعلو إسناده وصحَّته ، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿ له ﴾ على ﴿ مَّنۢ ﴾ المكررة ، أي : لمن أسرّ القول ، ولمن جهر به ولمن استخفى ، ولمن ظهر ، أي للعبد ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك أيضا إضافة لما تقدم من الأدلة ما يلي :

أولاً : أن غرض الآية : " إنما هو التنبيه على قدرة الله تعالى ، فذكر استواء ﴿ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ ﴾ ومن هو ﴿ وَسَارِبُۢ ﴾ ، وأن ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ ﴾ من الله تحفظه في كل حال ، ثمَّ ذكر أن الله تعالى لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير ما بنفسه " [٢] .

ثانياً : ترجيح جماعة من المفسرين لهذا الوجه لصحة إسناد ما جاء عن الملائكة التي تتعاقب على العبد بالليل والنهار .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : هل حفظ الملائكة للعبد بأمر الله أو من عذاب الله ؟

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح **ابن جُزيّ** أن **حفظ الملائكة للعبد بأمر الله** ، فقال : ((﴿ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ صفة

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠١ .

(٢) المرجع السابق .

للمعقبات ، أي معقبات من أجل أمر الله ، أي أمرهم بحفظه وقرئ : (بأمر الله) وهذه القراءة تعضد ذلك ، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظونه ، وقيل : يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم)) . اهـ [١] .

الـدراســـة :

الله ﷻ وَكَلَ بكلِّ إنسان معقباتٍ ؛ وهم الملائكة – على القول الراجح – الذين يعقب بعضهم بعضاً بالليل والنهار يحفظونه من أمر الله .

واختلف المفسرون في هذا الحفظ **هل هو من أجل أمر الله أو من عذاب الله ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى معنى ﴿ مِنۡ ﴾ في قوله تعالى :** ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ [٢] مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾ [٣] .

وقد ذكر أهل العلم [٤] لـــ ﴿ مِنۡ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن تكون ﴿ مِنۡ ﴾ للسببية ، أي : بسبب أمر الله . أي أن حفظهم له من أمر الله ، فتكون ﴿ مِنۡ ﴾ معناها الباء ، وحروف المعاني يقوم بعضها مقام بعض ، والتقدير : يحفظونه بأمر الله وب إعانته ، في رواية عن ابن عباس ﷺ [٥] ، وإليه ذهب مجاهد [٦] ، وسعيد بن جبير ، وقتادة [٧] وغيرهم ، وذكره **ابن الأنباري** [٨] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٢) يجوز أن يكون ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ : صفة لمعقبات ، وأن يكون حالاً مما يتعلق به الظرف . ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبي البقاء ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦ هـ) : ٢ / ٦٢ .

(٣) سورة الرعد : ١١ .

(٤) ذكر جميع أوجه ﴿مِنۡ﴾ في الآية السمين الحلبي . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٣٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦١٢) إلى أبي الشيخ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٠٦ .

(٦) ينظر تفسيره : ١ / ٣٢٦ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١٢ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧ ، ١١٨) عن سعيد بن جبير وقتادة . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦١٢ .

(٨) نسبه إليه ابن عادل في تفسيره (١١ / ٢٦٨) . – ولم أقف عليه في أي من كتبه في حدود ما اطلعت – .
وابن الأنباري هو : محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري المقري النحوي ، أبو بكر ، من كتبه : المشكل والغريب ، والوقف والابتداء وغيرها . ت سنة ٣٠٤ هـ ، وقيل : ت سنة ٣٢٧ هـ . ينظر : معجم =

ويؤيد ذلك :

١. أن عليا كرَّم الله تعالى وجهه ، وابن عباس ﷺ ، وعكرمة وغيرهم قرؤوا : (بأمر الله) بالباء [١] ، وهي ظاهرة في السببية .

٢. أنه لا قدرة للملائكة ولا لأحد من الخلق على أن يحفظوا أحداً من أمر الله ومما قضاه عليه [٢] .

الوجه الثاني : أن تكون ﴿ مِنۡ ﴾ بمعنى (عن) ، أي : يحفظونه عن أمر الله ، وهذا قريب من الأول ، أي : حفظهم عن أمر الله لا من عند أنفسهم ، وهذا **قول الحسن** ، تقول : كسوته عن عري ، ومن عري . ومنه قوله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ ... ﴾ . [سورة قريش : ٤] . [٣]

الوجه الثالث : أن تكون ﴿ مِنۡ ﴾ على بابها ، قاله العكبري .

" ﴿ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ من الجنِّ ، والإنس ، فتكون ﴿ مِنۡ ﴾ على بابها " [٤] .

وأن يراد بأمر الله : نفس ما يحفظ منه كمردة الإنس ، والجن ، فتكون ﴿ مِنۡ ﴾ لابتداء الغاية [٥] .

= الأدباء : ٥ / ٤١٠ وما بعدها ، السِّير : ١٥ / ٢٧٤ ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله ، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت بعد ٨٦٦ هـ) : ٣٧ وما بعدها .

(١) هذه القراءة **بالغة الشذوذ** ؛ وهي تحمل على التفسير ؛ وقد أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : المحتسب لابن جني : ١ / ٣٥٥ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٣٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٨ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩٢ .

(٤) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : ٢ / ٦٢ .
والعكبري هو : عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري ، أبو البقاء البغدادي ، الإمام الفقيه المفسر اللغوي الفرضي صاحب المصنفات العديدة النافعة ، ت سنة ٦١٦ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ /١٠٠ - ١٠٢ ، تاريخ الإسلام : ٤٤ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، طبقات المفسرين للداودي : ٢١٩ .

(٥) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١١٠ .

✍ وعلى هذا اختلف المفسرون في هذا الحفظ **هل هو من أجل أمر الله ، أو من عذاب الله** على قولين :

القول الأول : حفظ الملائكة للعبد **من أجل أمر الله ، أي : من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه ، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [١] ، وذهب إليه مجاهد [٢] ، ومقاتل [٣] ، وعليه جماعة من أهل اللغة [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

قال **الفَرَّاء** :

﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾ ذلك الحفظ من أمر الله وبأمره وبإذنه عز وجل ،كما تقول للرجل : أجيئك مِنْ دعائِك إِيَّاى ، وبدعائِك إِيَّاى " . اهـــ [٧] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ قال : يحفظونه حتى إذا جاء القدر خلوا عنه . وعنه رضي الله عنه أيضاً قال : ذلك الحفظ من أمر الله بأمر الله . عزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦١٢) إلى أبي الشيخ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٢٦ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ /١٧٠ .

(٤) ومنهم : الفراهيدي ، والفَرَّاء ، وأبو عبيدة ، والمُبَرِّد ، وابن سيده ، والكفوي . ينظر : العين للخليل بن أحمد (مادة : عقب) : ١ / ١٨٠ ، معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٥١ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ، معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـــ) : ١ / ٣٢٤ ، المقتضب لمحمد بن يزيد المُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـــ) : ٢ / ٣١٩ ، المحكم لابن سيده (مادة : عقب) : ١ / ٢٤١ ، كليات الكفوي : ٨٣٢ . وينظر : فهم القرآن ومعانيه للحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـــ) : ٤٨٩ ، حروف المعاني لأبي القاسم ، عبد الرحمن الزَّجَّاجي (ت ٣٤٠ هـــ) : ٥٠ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـــ) : ١ / ٢٧١ ، تاج العروس (مادة : حفظ) : ٢٠ / ٢١٩ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٦) منهم : الصنعاني ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والثعلبي والبغوي ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، والجلالين ، والشوكاني ، والسعدي . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٣٢ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٨٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢١٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٤٨ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٠١ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨١ ، الكشف والبيان : ٥ / ٢٧٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٨ ، تفسير غرايب القرآن : ٤ / ١٤٥ ، تفسير الجلالين : ٣٢٣ ، فتح القدير : ٣ / ٦٩ ، تفسير السعدي : ٤١٤ .

(٧) معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٥١ .

القول الثاني : حفظ الملائكة للعبد **من عذاب الله** . يجوز أن يتعلق ﴿ يَحْفَظُونَه ﴾ بالظرف ﴿ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ أيضاً لكن على معنى : يحفظونه من بأسه تعالى متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له ؛ احتمله غير واحد من المفسرين .[١]

الدليل على ذلك :

نظيره من القرآن الكريم : وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾[٢] .

أي : يحفظونه باستدعائهم من الله تعالى أن يمهله ويؤخر عقابه ليتوب[٣] .

قال **أبو حيان** : " يصير معنى الكلام إلى **التضمين** ، أي : يدعون له بالحفظ من نقمات الله رجاء توبته "[٤] .

وإن ﴿ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ على التقديم والتأخير ، والتقدير : له معقبات من أمر الله يحفظونه[٥] ، روي هذا عن مجاهد ، والنخعي ، وابن جريج[٦] .

✖ **واعتُرِض عليه :**

١. بأن ليس في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ ، وأن الأصلَ : له مُعَقِّبات مِنْ أَمْرِ الله يحفظونه مِنْ بينِ يديْهِ ، لأنَّ الأصلَ عدمُه مع الاستغناءِ عنه[٧] .

---

(١) احتمل الوجهين الأول والثاني من المفسرين : البيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٨٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٢ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٦٤ ، تفسير أبو السعود : ٥ / ٨ ، ٩ ، روح المعاني : ١٣ / ١١٢ .

(٢) سورة الأنبياء : ٤٢ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٨٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٦٤ .

(٤) البحر المحيط : ٥ / ٣٦٤ .

(٥) نسبه إلى الفراء غير واحد من المفسرين . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣١٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٦٨ ، فتح القدير : ٣ / ٦٩ ، روح المعاني : ١٣ / ١١٢ . ولم أجد الفراء قال به في معانيه .

(٦) نسبه أبو حيان إلى مجاهد والنخعي وابن جريج . ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ .

(٧) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٣٣ .

٢. " لا يحتاج في هذا المعنى إلى تقدير تقديم وتأخير ، بل وصفت المعقبات بثلاث صفات في الظاهر :

أحدها : ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ ، أي : كائنة من بين يديه .

والثانية : ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾ أي : حافظات له .

والثالثة : كونها من أمر الله .

وإن جعلنا ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ يتعلق بقوله : ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾ فيكون إذ ذاك ﴿ مُعَقِّبَٰتٞ ﴾ وصفت بصفتين :

إحداهما : يحفظونه من بين يديه ومن خلفه .

والثانية : قوله : ﴿ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ أي : كائنة من أمر الله .

غاية ما في ذلك أنه بدىء بالوصف بالجملة قبل الوصف بالجار والمجرور ، وذلك شائع فصيح ، وكان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة ، في الحفظ آكد ، فلذلك قدم الوصف بها " [1] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – أن **حفظ الملائكة للعبد يحتمل الوجهين ، فهم يحفظونه من أجل أمر الله ومن عذاب الله** ، أي : بأمر الله وإعانته ، ومن عذاب الله باستغفارهم له ودعائهم له بالحفظ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ . [آية : ١٣] .

في الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى : فيمن نزل قوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ (١) :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن اللفظ عام ؛ فقال : ((﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ قيل : إنه إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أربد الكافر وقتله حين هم بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل ، **واللفظ أعم من ذلك**)) . اهـ (٢) .

الـدراســـة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **فيمن نزل قوله تعالى** : ﴿ **وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ** (٣) ﴾ على قولين :

القول الأول : نزلت في أَرْبَدَ بن قيس أخي لبيد بن ربيعة ، حين همَّ بقتـل النبي ﷺ هو

---

(١) ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ : أي يرسلها نقمة بها ممن يشاء ، ولهذا تكثر في آخر الزمان كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ ؛ حتى يأتي الرَّجُلُ الْقَوْمَ فيقول : من صَعِقَ تلكم الْغَدَاةَ ؟ فَيَقُولُونَ : صَعِقَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ » . أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١١٦٣٨) : ٣ / ٦٤ . قال الهيثمي : رواه أحمد عن محمد بن مصعب ، وهو ضعيف . ينظر : مجمع الزوائد : ٨ / ٩ . و قال أبو جعفر الباقر : الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذاكراً . ينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٥ / ٢٨٠ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٢ .

(٣) **الصواعق** هي : جمع صاعقة ، وقيل : هي كُلُّ عَذاب مُهلِكٍ . وفيها ثلاثُ لُغاتٍ : صاعِقَة ، وصَعْقَة ، وصاقِعَة . وقيلَ : الصّاعِقَة : صَيْحَةُ العَذاب . وقيلَ : هو الصّوتُ الشّديدُ من الرّعْدَةِ يسْقُط معها قِطْعَةُ نار . وقال عَمْرو الجاحِظ : الإنسانُ يكْره صوْتَ الصاعِقَة وإن كان على ثِقَة من السّلامَةِ من الإحْراق ، قال : والّذي نُشاهِد اليَوْمَ الأمر عليه أنّه متَى قَرُب من الإنسان قتَلَه ، قال : ولعلّ ذلك إنّما هو لأنّ الشيءَ إذا اشتدّ صَدْمُه فسخَ القوّة ، أو لعلّ الهَواءَ الذي في الإنْسانِ والمُحيطَ به إنه يحْمَى ويسْتَحيلُ ناراً قد شارَكَ ذلِك الصّوت من النّار قال : وهم لا يجدون الصّوت شَديداً جيّداً إلا ما خالَطَ منه النّار . وقال الرَّاغب : الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو ، ثم يكون منه نار فقط أو عذاب أو موت ، وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الأشياء تأثيرات منها . ينظر : (مادة : صعق) في : مفردات الرَّاغب : ٢٨١ ، تاج العروس للزبيدي : ٢٦ / ٢١ .

وعامر بن الطفيل [(١)] ، قاله ابن عباس ﷺ [(٢)] ، وقتادة [(٣)] ، ومقاتل [(٤)] ، وذهب إليه **عامة** [(٥)] المفسرين [(٦)] .

واستدلوا : بقول لبيد بن ربيعة أخو أَرْبَدَ يرثيه :

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أَرْهَبُ **نَوْءَ السِّمَاكِ** والأَسَدِ

---

(١) سبق تخريجه في ص : ١٤١ . أخرجه الطبراني وهو **حديث ضعيف** .

ولبيد بن ربيعة هو : لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي ، أبو عقيل الجعفري ، الشاعر المشهور ، وكان فارساً شجاعاً سخياً ، قدم على رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم رجع إلى بلاد قومه ، ولم يقل شعراً بعد إسلامه ، وهو صاحب البيت المشهور الذي قال عنه النبي ﷺ : « أصدق كلمة قالها شاعر :

ألا كل ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل » .

عمَّر طويلاً ، ت سنة ٤١ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٦ / ٣٣ ، الاستيعاب : ٣ / ١٣٣٥ – ١٣٣٨ ، الإصابة : ٥ / ٦٧٥ – ٦٧٩ .

وأَرْبَدَ بن قيس هو : أربد بن قيس بن جزء بن خالد الأصبغ ، أخو لبيد الشاعر لأ مِّه ، وهو الذي أراد قتل رسول الله ﷺ مع عامر بن الطفيل ، وقتل بصاعقة . ينظر : جمهرة أنساب العرب : ٢ / ٢٨٥ ، اللآلي في شرح أمالي القالي لعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٩٦ هـ) : ١ / ٢٩٣ ، البداية والنهاية : ٥ / ٥٩ .

وعامر بن الطفيل هو : عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري ، من بني عامر بن صعصعة : فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية ، خاض المعارك الكثيرة ، وأدرك الاسلام شيخاً ، واختلف في إسلامه ؛ والأصح أنه مات كافراً . قال **ابن الأثير** : " عامراً لم يختلف أهل النقل من المتقدمين أنه مات كافراً وهو الذي قال لّما عاد من عند رسول الله ﷺ كافراً ، هو وأربد بن قيس ، أخو لبيد لأمِّه ، وقد دعا رسول الله ﷺ عليهما ، وقال : « اللهمّ اكفِنيهما بما شئت » . فأنزل الله تعالى على أربد **صاعقة** ، وأخذت عامراً الغُدَّة فكان يقول : غُدَّةٌ كغُدَّة البَعِير ومَوتٌ في بيت سَلولِيّة " وقال **ابن حجر** : " ذكره جعفر المستغفري في الصحابة وهو غلط " . ت سنة ١١ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ١ / ٣١٠ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير أبي الحسن ، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ) : ٣ / ١٢٤ ، الإصابة : ٥ / ١٧٢ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٦ .

(٣) نسبه السمر قندي إليه في تفسيره (٢ / ٢٣٠) .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧١ .

(٥) نسب الفخر الرازي وابن عادل هذا القول إلى المفسرين . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٢٢ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٧٦ .

(٦) منهم : النحاس ، والثعلبي ، الواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٨٣ ، الكشف والبيان : ٥ / ٢٨٠ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨٤ ، الكشاف : ٢ / ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٢٢ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠ ، ١١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٤٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٧٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠ ، روح المعاني : ١٣ / ١٢١ .

فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بالْ　　فارِسِ الكَرِيهَةِ النَّجُـــدِ [١]

✖ ويُعترض على هذا :

بأن عامر بن الطفيل إنما جاء المدينة بعد الهجرة ، ولم يثبت في ذلك خبر صحيح صريح فلا اعتداد بما قالوه فيها ، ولا يخرج السورة عن عداد السور المكية [٢] .

القول الثاني : نزلت في رجلٍ من طواغيت العرب ؛ فبعث النبي ﷺ نفراً من أصحابه يدعونه إلى الله ﷻ ، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه [٣] ، وقاله **الحسن** [٤] ، **ورجّحه جلال الدين المحلى والسيوطي** [٥] .

واستدل له بالحديث التالي :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « بعث النبي ﷺ مرة رجلاً إلى رجلٌ من فراعنة العرب أن ادعه لي ، قال : يا رسول الله ، إنه أعتى من ذلك ! قال : اذهب إليه ؛ فادعه . قال : فأتاه فقال : رسول الله ﷺ يدعوك . قال : أرسول الله ؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضة هو أمن نحاس هو ؟ فرجع إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك ! وأخبر النبي ﷺ بما قال . قال : فارجع إليه فادعه . فرجع فأعاد عليه المقالة الأولى ، فردَّ عليه مثل الجواب ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : ارجع إليه ، فادعه . فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ؛ إذ بعث الله سحابة حيال رأسه ، فرعدت ووقعت منها صاعقة ، فذهبت بقحف رأسه وأنزل الله ﷻ : ﴿ ... وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ

---

(١) ينظر : ديوان لبيد : ٢٠ . **ونوء السِّماك** هو : أحد أنواء الكواكب التي هي منازل القمر . ينظر : صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندي ؛ أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١ هـــ) : ٢ / ١٨٨ .

(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٧ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٢٥) إلى النسائي ، والبزار ، وأبو يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والطبراني في الأوسط ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٢٥) .

(٥) ينظر : تفسير الجلالين : ٣٢٣ .

وجلال الدين المحلي هو : محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي المصري ، الفقيه الأصولي النحوي ، صاحب التصانيف العديدة ، منها : التفسير الذي لم يكمله ، كتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن ، وأكمله السيوطي على نمطه ومنواله ، ت سنة ٨٦٤ هـــ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : ٣٣٦ ، البدر الطالع : ٢ / ١١٥ ، الأعلام : ٥ / ٣٣٣ .

تُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ [(١)] .

القول الثالث : **نزلت في يهودي** جاء فقال : يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو ؟ من نحاس هو أم من لؤلؤ هو أو ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته ، وأنزل الله : ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ . الآية . روي عن مجاهد [(٢)] ، ورجَّحه **القرطبي** [(٣)] .

✖ **واعتُرض** :

بأن جدال اليهود لم يكن إلا بعد الهجرة ، و**الراجح** أن سورة الرعد سورة مكية إلا آيات منها [(٤)] ، فإما أن تكون هذه الآية مدنية فلا إشكال ، وأما وأنها لم تثبت فلا يعتد بهذا القول .

القول الرابع : **نزلت في رجلٍ أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ** ؛ فأرسل الله صاعقة فأهلكته وأنزل الله : ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ . الآية . روي عن **قتادة** [(٥)] .

القول الخامس : **الآية عامة في بيان دلائل قدرة الله في الكون** ؛ **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) أخرجه أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـــ) في السنن الكبرى ، تفسير سورة الرعد (١١٢٥٩) : ٦ / ٣٧٠ . وينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٣٠ . وفيه **علي بن أبي سارة** ، قال ابن حجر في التهذيب : " قال أبو حاتم : شيخ ضعيف الحديث . وقال البخاري : في حديثه نظر . وقال الآجري عن أبي داود : ترك الناس حديثه . وقال ابن حبان : غلب على روايته المناكير ؛ فاستحق الترك . وقال العقيلي : علي بن أبي سارة عن ثابت لا يتابع عليه ، ثم روى له عن ثابت عن أنس في قوله تعالى : ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ ثم قال : ولا يتابعه إلا من هو مثله أو قريب منه . وروى له أبو أحمد بن عدي أحاديث ؛ ثم قال : وهذه الأحاديث كلها غير محفوظة ، وله غير ذلك عن ثابت مناكير أيضاً ؛ روى له النسائي هذا الحديث الواحد الذي ذكره العقيلي " . اهـــ . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط عن علي بن أبي سارة وهو ضعيف . ينظر : الضعفاء الكبير لمحمد بن عمر العقيلي (ت ٣٢٢ هـــ) : ٣ / ٢٣٢ ، الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـــ) : ٦ / ١٨٤ ، مجمع الزوائد : ٧ / ٤٢ ، تهذيب التهذيب لأحمد بن علي ابن حجر (ت ٨٥٢ هـــ) : ٧ / ٢٨٥ . **فالحديث ضعيف** .

(٢) أخرجه ابن جرير عن المثنى عن إسحاق بن سليمان عن أبي بكر بن عياش عن ليث عن مجاهد به . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٢٥ . ولم أقف عليه في كتب المتون .

(٣) ينظر تفسيره : ٩ / ٢٩٧ .

(٤) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٢٦) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٢٦) إلى الخرائطي .

جُزيّ [١] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٢] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **الآية عامة في بيان دلائل قدرة الله في الكون** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : لم يثبت للقصص المذكورة سندٌ يصحُّ حتى تكون سبباً لنزول الآية ؛ ف هي أخبار ترجع إلى قول بعض الناس بالرأي في أسباب النزول [٣] .

ثانياً : السِّياق القرآني :

سياق هذه الأمور هنا للغرض الذى سيقت له الآيات التى قبلها وهى الدلالة على كمال قدرة الله ﷻ [٤] ، وقد ذكر قبلها البرق والرعد والسحاب الثقال ، ثم ذكرت الصواعق التي يرسلها الله فيصيب بها من يشاء ، والصواعق ظاهرة طبيعية ناشئة من تركيب الكون على هذا المنوال ؛ والله يصيب بها أحياناً من غيروا ما بأنفسهم واقتضت حكمته ألا يمهلهم ، لعلمه أن لا خير في إمهالهم ، فاستحقوا الهلاك [٥] .

قال تعالى : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ** ﴿١٢﴾ **وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ** ﴿١٣﴾ ﴾ . [سورة الرعد : ١٢ ، ١٣] .

واحتمل ابن عطية – وإن لم يصرح – كون الآية على غير سبب نزول ، فقال :

" ويجوز إن كانت الآية على غير سبب أن يكون قوله : ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى جميع الكفرة من العرب وغيرهم الذين جلبت لهم هذه التنبيهات " . اهـ [٦] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٢) منهم : الشوكاني ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب فلم يذكروا سبباً لنزول الآية ، والآية عامة . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٧٢ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٣٤٤ ، تفسير السعدي : ٤١٤ ، ٤١٥ ، الظلال : ٤ / ٢٠٥١ .

(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٧ .

(٤) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٧٢ .

(٥) ينظر : الظلال : ٤ / ٣٥٨ .

(٦) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٤ .

وظاهر الآية يبين أن الله يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، كما أصاب بها أربد بن قيس (١) ، إن سلّمنا بحدوث الواقعة لإيراد أغلب المفسرين لها ؛ ولكنها على الأرجح ليست سبباً لنزول الآية .

والله تعالى أعلم بالصواب .

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

المسألة الثانية : في معنى قوله تعالى : ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ : شديد القوة ؛ فقال : ((﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ أي : شديد القوة ، و ﴿ ٱلْمِحَالِ ﴾ : مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنه : (مفعل) . وقيل : معناه شديد المكر ؛ من قولك : مُحل بالرجل ؛ إذا مكر به ، فالميم على هذا أصلية ، ووزنه : (فعال))) . اهـ (٢) .

الدراسة :

للصحابة والتابعين (٣) في تفسير ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ هنا أقوال تسعة :

- أحدها : يعني شديد العداوة ، قاله ابن عباس ﷺ .
- الثاني : شديد الحقد ، قاله الحسن .

---

(١) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ١٣٢ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٢ .

(٣) ينظر أقوال السلف في : تفسير الطبري (١٣ / ١٢٦) ، النكت والعيون (٣ / ١٠٢) ، تفسير البغوي (٣ / ١١) ، الدر المنثور (٤ / ٦٢٧ ، ٦٢٨) .

- الثالث : شديد القوة ، قاله مجاهد .
- الرابع : شديد الغضب ، قاله وهب بن منبه [١] .
- الخامس : شديد الحيلة ، قاله قتادة ، والسدي [٢] .
- السادس : شديد الحَوْل ، قاله ابن عباس أيضاً رضي الله عنه [٣] .
- السابع : شديد الإهلاك بالمحل وهو القحط ، قاله الحسن أيضاً .
- الثامن : شديد الأخذ ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٤] .
- التاسع : شديد الانتقام والعقوبة ، قاله **أبو عبيدة** [٥] .

✖ أما القول بأن معنى ﴿ **شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ** ﴾ : شديد الحقد فهذا لا يجوز في صفات الله تعالى . فهذا قول منكر عند أهل الخبر والنظر في اللغة ؛ فلا يجوز أن تكون هذه صفة

(١) **وهب بن منبه** هو : وهب بن منبه اليماني الصنعاني ، من التابعين الثقات العباد ، وكان على قضاء صنعاء ت سنة ١١٤هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٨ / ١٦٤ ، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأبي الحسن ، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (نزيل طرابلس الغرب) (ت ٢٦١هـ) : ٢ / ٣٤٥ ، الكاشف : ٢ / ٣٥٨ .

(٢) **السدي** هو : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، أبو محمد الكوفي ، صاحب التفسير والمغازي والسير ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس ، ت سنة ١٢٧هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ٣٦٠ ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى لعلي بن هبة الله بن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) : ٤ / ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، التقريب : ١٠٨ .

(٣) في تنوير المقباس قال : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ شديد العقاب ، ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٦ . ومعناها : شديد القوة والحَوْل .

(٤) رجّح قول علي رضي الله عنه ابن الجوزي ، والخازن من المفسرين . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣١٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١١ .

(٥) ينظر مجازه : ١ / ٣٢٥ . ونسبه إليه غير واحد من المفسرين ، منهم : الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٠٢) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ١١) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٣٦٧) .

وأبو عبيدة هو : معمر بن المثنى التيمي مولاهم ، البصري ، النحوي ، أبو عبيدة : صاحب التصانيف ، وكان يبغض العرب وألّف في مثالبها كتباً ، له ما يقارب مئتي مصنف منها : كتاب مجاز القرآن ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب مقتل عثمان ، قيل : ت سنة ٢٠٩ هـ ، وقيل : سنة ٢١٠ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٥ / ٢٣٥ ، السِّير : ٩ / ٤٤٥ ، شذرات الذهب : ١ / ٢٤ .

من صفات الله ﷻ [١] .

إلاَّ أنَّ أمثال هذه الكلمات إذا وردت في حقِّ الله تعالى فإنَّها تحمل على نهايات الأغراض لا على مبادي الأعراض ، فيكون المراد بالحقد ههنا : هو أنه تعالى يريد إيصال الشَّر إليه ، مع أنه أخفى عنه تلك الإرادة [٢] .

واختلف المفسرون في معنى ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ بناء على اختلافهم في اشتقاقه وفي (ميمه) ، وحاصل اختلافهم على قولين :

القول الأول : أي : **شديد القوة** ، و ﴿ ٱلْمِحَالِ ﴾ : مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنه : (مِفْعَل) ، قاله **ابن قتيبة** [٣] ، والزَّجَّاج [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

وتفسيره عن ابن عباس ﷺ يدل على الفَتْح (مِفْعَل) ، لأنه قال : المعنى : وهو شديد العقوبة ، أي القوة والحَوْل ، من قولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله [٧] .

✖ واعتُرض على هذا :

بأن مِحالة - بكسر الميم - لا تكون إلا مصدراً من : ماحلت فلاناً ، أماحله محالاً ، والمماحلة بعيدة المعنى من الحيلة .

---

(١) ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣١٦ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٢٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٣) نسبه إليه الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : محل) : ٥ / ٦٢ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : محل) : ٣٠ / ٣٩٥ . - ولم أقف عليه في أي من كتبه في حدود ما اطلعت - .
وابن قتيبة ويقال : القتبي ، وهو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل : المروزي ، العلامة الكبير ، ذو الفنون ، أبو محمد الكاتب ، صاحب تأليف وتصنيف ، ت سنة ٢٧٦ هـ . ينظر : الفهرست : ١١٥ ، تاريخ بغداد : ١٠ / ١٧٠ ، ١٧١ ، السِّير : ١٣ / ٢٩٦ - ٣٠٢ .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ١٤٣ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٢ .

(٦) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٢٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٠ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٦٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٨٥ ، تفسير السعدي : ٤١٥ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٠٤ .

✓ **وأُجيب :**

بإن الحيلة لا يأتي مصدرها مِحالا – بكسر الميم – ؛ ولكن قد يأتي على تقدير (الْمَفْعَلة) منها فيكون مَحالة ، وميمه مزيدة كميم (مكان) .

ويؤيد ذلك :

١. قولهم : المرء يعجز لا مَحالة . والمحالة في هذا الموضع (الْمَفْعَلة) من الحيلة .
٢. قرئ بفتح الميم (شديد الـــمَحال) .

✗ **واعترض على هذا :**

بأن هذه قراءة بالغة الشذوذ [(١)] ، وقراءة الجمهور : بكسر الميم ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ .

قال **السمين الحلبي** :

" والظاهر أنه لغةٌ في المكسورِ " [(٢)] .

القول الثاني : أي : **شديد المكر والكيد** ؛ و ﴿ ٱلْمِحَالِ ﴾ : مشتق من المماحلة ؛ من قولك : مُحل بالرجل ؛ إذا مكر به ، **فالميم على هذا أصلية** ، ووزنه : (فعال) كمِهَاد ، قاله **جمهور** [(٣)] أهل اللغة ، وجماعة من المفسرين [(٤)] .

---

(١) هذه قراءة الأعرج والضحاك أوردها السمين الحلبي في الدر المصون (٤ / ٢٣٥) وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ٧١ ، المحتسب لابن جني : ١ / ٣٥٦ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٣٩ . وقد أوردها أيضاً غير واحد من المفسرين عند تفسير هذه الآية .

(٢) الدر المصون : ٤ / ٢٣٥ .
والسَّمين الحلبي هو : أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي ، أبو العباس الشافعي ، إمام مفسر فقيه أصولي ، عالم بالعربية والقراءات ، ت سنة ٧٥٦هـ . ينظر : طبقات المفسرين للداودي : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، هدية العارفين : ٥ / ١١١ ، الأعلام للزِّركلي : ١ / ٢٧٤ .

(٣) نسب السمين الحلبي وابن عادل هذا القول إلى جمهور أهل اللغة . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٧٨ .

(٤) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والقاسمي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٢٦ ، الكشاف : ٢ / ٤٩٠ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٤٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٣٤٤ .

واستدل له بأدلة منها :

١. **من السُّنة** : قال ﷺ : « ... وليسعكم القرآن وما فيه من البيان ؛ فإنه شافعٌ مشفع ، وماحلٌ مصدق ... » [١] .

٢. **من اللغة** [٢] : قال أهل اللغة : المماحلة ، هي شدّة المماكرة والمكايدة . ومنه : تمحل لكذا ، إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ، ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان .

✖ **وغلَّط الأزهري ابن قتيبة** في قوله : أن الميم فيه زائدة ؛ واعتبره غلط فاحش .

وقال : " بل هى أصلية ، وإذا رأيت الحرف على مثال : (فعال) أوله ميم مكسورة فهى أصلية مثل : مهاد ، وملاك ، ومراس وغير ذلك من الحروف ، لو كان : (مِفْعَلاً) من الحيلة لظهرت الواو ، مثل : مرودةٍ ، ومحولٍ ، ومحودٍ " . اهـ [٣] .

٣. **من كلام العرب** : قال **الأعشى** [٤] :

فَرْعُ نَبْعٍ يَهَشُّ فِي غُصُنِ الْمَجْ ... دِ غَزِيرُ النّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ

---

(١) جزء من حديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٩٤٩٠) : ١٠ / ٩ . قال العجلوني : رواه ابن حبان والبيهقي عن جابر ﷺ ، والطبراني والبيهقي عن ابن مسعود ﷺ ، وزاد : « أو ماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار » . وقوله : « وماحل مصدق » أي : خصم عادل أو ساع . ورواه أحمد وابن الأنباري والطبراني والحاكم عن ابن عمرو ﷺ بلفظ : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ؛ يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم في الليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان » . " . اهـ . ينظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السُّنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢ هـ) : ٢ / ١٢٤ .

(٢) ينظر (مادة : محل) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٥ / ٦٢ . و ينظر (مادة : محل) في :المحكم لابن سيده : ٣ / ٣٧٤ ، لسان العرب لابن منظور : ١١ / ٦١٦ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٠ / ٢٩١ .

(٣) ينظر (مادة : محل) في :تهذيب اللغة للأزهري : ٥ / ٦٢ . وينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٣٥ .

(٤) هذا بيت من أبياتهيخاطب ناقته بها ، ونسب إليه هذا البيت جماعة ، و لم أقف عليه في ديوانه . ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) : ١ / ٩ ، خزانة الأدب للبغدادي : ٩ / ٥٦٩ .

والأعشى هو : ميمون بن قيس بن جندل الوائلي ، أبو بَصير ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، والمعروف بالشاعر الأكبر ، وأحد أصحاب المعلقات ، ت سنة ٧هـ . ينظر : طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلاّم الجمحي (ت ٢٣١ هـ) : ١ / ٥٢ ، الأغاني لعلي بن الحسين الأموي ، أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ) : ٩ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، وهدية العارفين : ٦ / ٤٨٧ .

والمعنى : أنه شديد المكر والكيد لأعدائه ، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون .

وقال **ذو الرمَّة** :

وَلَبْسٍ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلٌّ أعدَّ لهُ السِّفارةَ والمحالا [(١)]

يعني : الكيد والمكر .

قال **ابن الأعرابي** [(٢)] : المحال المكر ، والمكر من الله التدبير بالحق .

وقال **النحاس** : " المكر من الله إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر " [(٣)] .

وقد فصل القول **الطاهر بن عاشور** في هذه المسألة فقال : " إن المِحال : - بكسر الميم - يحتمل هنا معنيين :

لأنه إن كانت الميم فيه أصلية فهو (فِعال) بمعنى الكيد ، وفعله : مَحَل ، ومنه قولهم : تمحل ، إذا تحيل . جعل جدالهم في الله جدال كيد ، لأنهم يبرزونه في صورة الاستفهام في نحو قولهم : ﴿ ... مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [(٤)] ، فقوبل بـ ﴿ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ على طريقة المشاكلة ، أي وهو شديد المحال لا يغلبونه ، ونظيره : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَـٰكِرِينَ ﴾ [(٥)] ....

وإن كانت الميم زائدة فهو (مفعل) من الحول ؛ بمعنى : القوة ، وعلى هذا فإبدال الواو ألفاً على غير قياس ، لأنه لا موجب للقلب لأن ما قبل الواو ساكن سكوناً حياً ؛ فلعلهم

---

(١) ينظر : ديوان ذي الرمَّة : ١٦٢ .

وذو الرمَّة هو : غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، من مضر ، أبو الحارث ، ذو الرمَّة : شاعر ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . ت ١١٧ هــ . ينظر : الأغاني : ٩ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لعبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هــ) : ٧ / ٧٢ ، تاريخ الإسلام للذهبي : ٧ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٢) نسبه الشوكاني إليه في فتح القدير (٣ / ٧٣) .

وابن الأعرابي هو : محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي : راوية ، ناسب ، علامة باللغة ، له تصانيف كثيرة منها : (أسماء الخيل وفرسانها ، وتاريخ القبائل ، والنوادر . ت سنة ٢٣١ هــ . ينظر : فهرسة ابن خير الإشبيلي لأبي بكر ، محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت ٥٧٥ هــ) : ٣٣١ ، تاريخ الإسلام للذهبي : ١٧ / ٣٢٠ ، السِّير : ١٠ / ٦٨٧ .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٠٤ .

(٤) سورة يس : ٧٨ .

(٥) سورة آل عمران : ٥٤ .

قلبوها ألفاً للتفرقة بينه وبين (مِحول) بمعنى : صبي ذي حول ، أي سنة " . اهـ [١] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – أن **المِحال يشمل جميع ما قاله جماعة السلف وأهل اللغة والمفسرين من المكر ، والحيلة ، والقوة ، والأخذ وغيرها** لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : أصل المحل : الشدة [٢] ، ولذا فكل ما نقل عن الصحابة والتابعين من الاختلاف في تفسير ﴿ ٱلۡمِحَالِ ﴾ هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، لأنه يصدق معناه عليها جميعاً [٣] **فالمحال** – ككتاب – : الكيد ، وروم الأمر بالحيل ، والتدبير ، والمكر ، والقدرة والجدال ، والعذاب ، والعقاب ، والعداوة ، والمعاداة ، والقوة ، والشدة ، والهلاك ، والإهلاك ، يأتي أعداءه بما يريد من إنزال العذاب بهم من حيث لا يحتسبون [٤] .

ثانياً : يؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٥] .

ثالثاً : **الأصل توافق القراءات في الآية** [٦] ، فالقراءة بفتح الميم لـ (المَحال) وإن كانت شاذة فهي تحمل على التفسير ، ولذا نقول باحتمال جميع ما ورد في تفسير ﴿ ٱلۡمِحَالِ ﴾ من أقوال .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٦ .

(٢) ينظر (مادة : محل) في : المحكم لابن سيده : ٣ / ٣٧٤ ، لسان العرب لابن منظور : ١١ / ٦١٦ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٠ / ٢٩١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٠٤ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٤٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ١٣٢ .

(٥) ينظر : الموافقات في أصول الفقه لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) : ٤ / ٢١٤ – ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسَّبت : ١ / ٢٠٨ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ١٠٧ . وينظر قبله : روح المعاني : ١٣ / ١٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾ . [آية : ٢٢] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **المراد بقوله تعالى** : ﴿ **وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ** ... ﴾ **يفعلون الحسنات فيدرؤون بها السيئات** ؛ فقال : ((قيل : يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله ، وقيل : يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن ، **والأظهر** يفعلون الحسنات فيدرؤون بها السيئات ، كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [١])) . اهـ [٢] .

الدراسة :

من صفات أولي الألباب الذين امتدحهم الله في سورة الرعد أنهم : ﴿ يَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[٣] واختلف السلف وأهل العلم **في المراد بالحسنة والسيئة** على أقوال :

القول الأول : يدفعون الشرك بقول : لا إله إلا الله ، قاله ابن عطية ، وأبو حيان ، والآلوسي [٤] .

القول الثاني : معناه إذا سفه عليهم حلموا ، فالسفه : السيئة ، والحلم : الحسنة ، قاله **ابن قتيبة**[٥] .

القول الثالث : يدفعون المنكر بالمعروف ، أي : ردوا عليهم معروفاً .

---

(١) سورة هود عليه السلام : ١١٤ .

(٢) التسهيل : ٢ / ١٣٤ .

(٣) **يدرؤون** : من (درأ) أي : دفع . ينظر : (مادة : درأ) في كل من : مقاييس اللغة لابن فارس : ٢ / ٢٧١ ، مفردات الرَّاغب : ١ / ١٦٩ ، لسان العرب لابن منظور : ١ / ٧١ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٩ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٧٧ ، روح المعاني : ١٣ / ١٤٢ .

(٥) نسبه إليه ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣٢٥ . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .

نظيره قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [١] ، قاله **سعيد بن جبير** [٢] .

القول الرابع : لا يكافئون الشر بالشر ، ولكن يدفعونه بالخير ، قاله **ابن زيد** [٣] .

القول الخامس : إذا حرموا أعطوا ، وإذا ظلموا عفوا ، وإذا قطعوا وصلوا ، قاله **الحسن** [٤] .

القول السادس : إذا أذنبوا تابوا ، قاله **ابن كيسان** [٥] ، ورجَّحه **الواحدي** [٦] .

وزاد بعضهم : إذا هربوا أنابوا ، وإذا رأوا منكرا أمروا بتغييره [٧] .

القول السابع : **على العموم ؛ أي يفعلون الحسنات فيدرؤ ون بها السيئات** ، وهو **قول ابن عباس** ﷺ في رواية الضحاك عنه [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٩] ، ووافقه **جماعة من**

---

(١) سورة القرقان : ٦٣ .

(٢) نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ١٠٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣١١ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٧٧ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٤١) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٣٨ .
وابن زيد هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، كان صاحب قرآن وتفسير ، جمع علم أبيه وجده وضع تفسيراً في مجلد ، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ ، ت سنة ١٨٢هـ . ينظر : الفهرست : ٣١٥ ، السِّير : ٨ / ٣٤٩ ، التَّقريب : ٣٤٠ .

(٤) نسبه إليه : الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٩ / ٣٥) ، وأبو السعود في تفسيره (٥ / ١٧) " ويروى أن شقيق بن إبراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكراً ، فقال من أين أنت ؟ فقال : من بلخ ، فقال : وهل تعرف شقيقاً ؟ قال : نعم ، فقال : كيف طريقة أصحابه ؟ فقال : إذا منعوا صبروا ، وإن أعطوا شكروا ، فقال عبد الله : طريقة كلابنا هكذا ! . فقال : وكيف ينبغي أن يكون ؟ فقال : الكاملون هم الذين إذا منعوا شكروا وإذا أعطوا آثروا " . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٣٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٥٤ .

(٥) نسبه إليه : الزمخشري في الكشاف (٢ / ٤٩٥) ، وأبو حيان في البحر (٥ / ٣٧٧) ، وأبو السعود في تفسيره (٥ / ١٧) .

(٦) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٠ ، ٥٧١ .
واستدلوا بالخبر : « لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنبٍ قديمٍ » . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ١٧٤) .

(٧) ذكره النسفي في تفسيره (٢ / ٢١٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٣٧٧) .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك . ينظر : الدر المنثور :٤ / ٦٣٨ .

(٩) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٤ .

من المفسرين [١] .

واستدلوا بما يلي :

١. النظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ . [سورة هود : ١١٤] . [٢]

٢. أدلة من السُّنة :

- عن أبي ذَرٍّ ﷺ قال : قال لي رسول اللَّهِ ﷺ : « اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ الناس بِخُلُقٍ حَسَنٍ » [٣] .
- وقال ﷺ : « إن مَثَلَ الذي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ كانت عليه دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قد خَنَقَتْهُ ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَى فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ أُخْرَى ؛ حتى يَخْرُجَ إلى الأَرْضِ » [٤] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بقوله تعالى :** ﴿يَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ

---

(١) في تفاسيرهم ؛ منهم : ابن أبي زمنين (٢ / ٣٥٤) ، و الثعلبي (٥ / ٢٨٦) ، والقشيري (٢ / ١٠٧) والسمعاني (٣ / ٩٠) ، والبغوي (٣ / ١٦) ، والزمخشري (٢ / ٤٩٥) ، وابن عطية (٣ / ٣٠٩) والقرطبي (٩ / ٣١١) ، والبيضاوي (٣ / ٣٢٧) ، والنسفي (٢ / ٢١٦) ، والخازن (٤ / ١٨) ، والنيسابوري (٤ / ١٥٤) ، وابن كثير (٢ / ٥١١) ، وابن عادل (١١ / ٢٩٥) ، والجلالين (٣٢٥) والخطيب الشربيني (٢ / ١٧٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٤٢) ، والسعدي (٤١٧) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ١٢٩ ، ١٣٠) .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٤ .

(٣) أخرجه أبو عيسى ، محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩ هـ) في سننه في كتاب البر والصلة ، بَاب ما جاء في مُعَاشَرَةِ الناس (١٩٨٧) : ٤ / ٣٥٥ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، **وحسَّنه** الألباني .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده في مسند عقبة بن عامر ﷺ (١٧٣٤٥) : ٤ / ١٤٥ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : **إسناده حسن** ، لأنه من رواية عبد الله بن المبارك ، وسماعه من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير علي بن إسحاق .

ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ يفعلون الحسنات فيدرؤون بها السيئات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : كل ما ذكره المفسرون وما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، لأنه يصدق عليها جميعاً معنى دفع الحسنة بالسيئة .

ثانياً : هذا القول أعمُّ وأشمل من الأقوال الأخرى ؛ بل يتناولها بالعموم .

ثالثاً : الدليل من اللغة :

١. الدرء هو : الدفع والطرد ؛ وهو هنا مستعار لإزالة أثر الشيء فيكون :

✓ بعد حصول المدفُوع ، وذلك في حالة :

- إن صدرت منه سيئة أتبعها بحسنة ، وذلك طرد للسيئة ، خاصة فيما بينه وبين ربه .
- إن عامله أحد بإساءة لا يعامله بمثل معاملته ، بل يقابل ذلك بالإحسان [(١)] .

✓ وقبلَ حصوله : بأن يُعِدّ ما يمنع حصوله ، وذلك بالعدول عن فعل السيئة بعد العزم عليها ، فإن ذلك العدول حسنة [(٢)] . عن ابن عَبَّاس ﷺ عن النبي ﷺ فِيمَا يَرْوِي عن رَبِّهِ ﷻ قال : « ... وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ... » [(٣)] .

٢. جمع ﴿ وَيَدْرَءُونَ ﴾ جميعَ هذه المعاني ، ولهذا لم يعقب بما يقتضي أن المراد معاملة المُسيء بالإحسان كما أُتبع في :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾ . [سورة فصلت : ٣٤] .
- وقوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٩٦] .

---

(١) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٧٩ ، روح المعاني : ١٣ / ١٤٢ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٣٧٧ ، روح المعاني : ١٣ / ١٤٢ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، بَاب من هَمَّ بِحَسَنَةٍ أو بِسَيِّئَةٍ (٦١٢٦) : ٥ / ٢٣٨٠ .

قال **ابن عطية** :

" وبالجملة فإنهم لا يكافئون الشر بالشر وهذا بخلاف خلق الجاهلية " . اهـ [١] .

رابعاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ؛ منها :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** .
- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [٢] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٩ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٧٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥٢٧ .

(٣) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ . [آية : ٢٥] .

مسألة : من هم المعنيون بالصفات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الصفات في الآية للكفار ، فقال : ((وقيل : إنها في الخوارج ، **والأظهر** أنها في الكفار)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **فيمن هم المعنيون بالصفات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ... ﴾** على قولين :

القول الأول : هم الخوارج (الحرورية [٢]) ، قاله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [٣] .

واستدلوا :

١ . بما أخرجه **الإمام البخاري** عن **مُصْعَب بن سَعْدٍ** قال : « سَأَلْتُ أبي ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ [٤] هُمْ الْحَرُورِيَّةُ ؟ قال : لَا . هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ أَمَّا

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٤ .

(٢) **الحَرُورية** : – بفتح المهملة وضم الراء – نسبة إلى حروراء – بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة – قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها . نزل بها الخوارج الذين خالفوا عليًا رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين على إثر وقعة الصفين، ونسبوا إليها . فيقال : لمن يعتقد مذهب الخوارج حروري ؛ لأن أول فرقة منهم خرجوا على عليّ رضي الله عنه بهذه البلدة فاشتهروا بالنسبة إليها، وهم فرق كثيرة ، لكن من أصولهم المتفق عليها بينهم : الأخذ بما دلّ عليه القرآن وردّ ما زاد عليه من الحديث مطلقاً . ينظر : الأنساب للسمعاني : ٢ / ٢٠٧ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٧٢ معجم البلدان للحموي : ٢ / ٢٤٥ ، فتح الباري لابن حجر : ١ / ٤٢٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٤٣) . ونسبه إليه الثعلبي ، وابن عطية ، والقرطبي . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٢٨٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣١١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣١٤ .

(٤) سورة الكهف : ١٠٣ .

الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ ، وَأَمَّا النَّصَارَى كفروا بِالْجَنَّةِ ، وَقَالُوا : لَا طَعَامَ فيها ولا شَرَابَ ، وَالْحَرُورِيَّةُ ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ ... ﴾ (١) . وكان سَعْدٌ يُسَمِّيهِمْ : الْفَاسِقِينَ » (٢) .

٢. وعلى هذا **نظير هذه الآية** قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٧] .

قال الضحاك عن **ابن عباس** رضي الله عنه (٣) :

كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل : (خاسر) فإنما يعني به الكفر ، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب .

القول الثاني : هذه صفات **المنافقين** ، قاله **ابن كثير** (٤) .

قال **أبو العالية** (٥) في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ... ﴾ . الآية . قال : هي ست خصال في المنافقين : إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال : إذا

---

(١) سورة البقرة : ٢٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴾ (٤٤٥١) : ٤ / ١٧٥٨ .

و**البخاري** هو : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة الجعفي مولاهم ، أبو عبد الله البخاري ، كان إماماً حافظاً حجة ، رأسا في الفقه والحديث ، مجتهداً في الدين والورع ، ت سنة ٢٥٦هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٢ / ٤ - ٣٦ ، تهذيب الكمال : ٢٤ / ٤٣٠ - ٤٦٨ ، الكاشف : ٢ / ١٥٦ .

ومصعب بن سعد هو : مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، أبو زرارة المدني . ثقة أخرج له الشيخان وأصحاب السنن . ت سنة ١٠٣هـ . ينظر : الكامل في التاريخ لأبي الحسن ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني (ابن الأثير المؤرخ) (ت ٦٣٠ هـ) : ٤ / ٣٥٧ ، العبر للذهبي : ١ / ١٢٥ ، التقريب : ٥٣٣ .

(٣) نسبه إليه : الطبري في تفسيره (١ / ١٨٥) ، وابن كثير في تفسيره (١ / ٦٧) .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٢ .

(٥) نسبه إليه ابن كثير في تفسيره (٢ / ٥١٢) .

و**أبو العالية** هو : رفيع بن مهران الرياحي البصري ، المقرئ ، المفسر ، أبو العالية : تابعي ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين . قال أبو بكر بن أبي داود : ليس بعد الصحابة أحد أعلم بالقرآن من أبي العالية وبعده سعيد بن جبير ، ت سنة ٩٠ هـ . ينظر : طبقات المحدثين بأصبهان لعبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ) : ١ / ٣١٣ ، تهذيب الكمال : ٩ / ٢١٤ ، السِّير : ٤ / ٢٠٧ .

حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا ائتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض . وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث الخصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا ائتمنوا خانوا .

القول الثالث : يعني **كفار أهل الكتاب** ، قاله **مقاتل** (١) .

القول الرابع : الصفات في **الكفار** ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (٢) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٣) .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن قوله تعالى** : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ** ... ﴾ **في الكفار** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** لما يلي :

أولاً : جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ ... فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٤) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أيضاً أن المراد بهم الخوارج (٥) .

وسئل سعد رضي الله عنه عن قوله عز وجل : ﴿ ... يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (٦) : « أهم الخوارج ؟ قال : لا ، ولكنهم أصحاب الصوامع ، والخوارج الذين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم » (٧) .

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧٥ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٤ .

(٣) في تفاسيرهم ، منهم : السمعاني (٣ / ١٧) ، والبغوي (٣ / ١٧) ، والخازن (٤ / ٢٠) ، والطاهر بن عاشور (١ / ٣٧٠ ، ١٣ / ١٣٣) . وذكر غير واحد من المفسرين أنهم (**الأشقياء**) بلا تفصيل ؛ ومنهم : الفخر الرازي ، وأبو حيان ، والبقاعي (وقال : صفات **الهالكين**) ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والسعدي (وقال : صفات أهل **النار**) . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٣٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٧٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٢٩٨ ، السراج المنير : ٢ / ١٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ٧٩ ، تفسير السعدي : ٤١٧ .

(٤) سورة الصف : ٥ .

(٥) وذلك في رواية سعيد بن منصور كما ذكر أبو إسحاق ، إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) في الاعتصام (١ / ٦٥) . ولم أقف على هذه الرواية في سنن سعيد بن منصور .

(٦) سورة الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٧) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الكهف (٣٤٠٠) : ٢ / ٤٠١ ، وعبد الله بن =

فإنه أدخل ﷺ الحرورية في الآيتين :

- بالمعنى ، وهو الزيغ في إحداهما ؛ وهي آية الصف .
- والأوصاف المذكورة في الأخرى لأنها فيهم موجود ة ، في الآية التي معنا من سورة الرعد .

فآية الرعد تشمل بلفظها ؛ لأن اللفظ فيها يقتضي العموم لغة ؛ وإن حملناها على الكفار خصوصاً فهي تعطى أيضاً فيهم حكماً من جهة ترتيب الجزاء على الأوصاف المذكورة حسبما هو مبين في الأصول .

وكذلك آية الصف لأنها خاصة بقوم موسى ﷺ ، فأول آية الصف : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ . [سورة الصف : ٥] .

ومن هنا كان سعد ﷺ يسمِّيهم الفاسقين – أعني الحرورية – ؛ لأن معنى الآيتي واقع عليهم وقد جاء فيها : ﴿ ... وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ . والزيغ أيضاً كان موجوداً فيهم فدخلوا في معنى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ .

ثانياً : من هنا يفهم أن الآية لا تختص بالحرورية من أهل البدعة ؛ بل تعم كل من اتصف بتلك الأوصاف ، وإنما فسَّرها سعد ﷺ بالحرورية لأنه إنما سئل عنهم علىٰ وجه الخصوص ؛ لأنهم – والله اعلم – أول من ابتدع في دين الله ؛ فلا يقتضي ذلك تخصيصاً [١] .

ثالثاً : الآية الكريمة نزلت قبل ظهور الحرورية والخوارج لأن السورة مكية [٢] ، فكيف تكون الآية نازلة فهم ، وأنهم المعنيون بالصفات التي ذكرت في الآية ؟! .

= أحمد في السُّنة (١٥٣٤) : ٢ / ٦٤١ . **بإسناد صحيح** . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(١) ينظر : الاعتصام لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ،أبو إسحاق (ت ٧٩٠ هـ) : ١ / ٦٥ .

(٢) تعد سورة الرعد من القسم المختلف فيه ، ورجح السيوطي أنها مكية إلا آيات منها ، وهو الراجح . ولم تعد =

رابعاً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [١] .

وعلى هذا لا تكون رواية الإمام البخاري – وهي رواية صحيحة – مخصِّصة للآية .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= هذه الآية من الآيات المدنية فهي مكية بالإجماع . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(١) ينظر : القواعد الحسان لتفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ... ﴾ . [آية : ٣٠] .

مسألة : فيمن نزل قوله تعالى : ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن هذه الآية نزلت في أبي جهل ؛ فقال : ((قيل : إنها نزلت في أبي جهل . وقيل : نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال قائلهم : نحن لا نعرف الرحمن . **وهذا ضعيف** ؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك ، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط ، ومعنى الآية : أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **في سبب نزول هذه الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن النبي ﷺ لما قال لكفار قريش [٢] : اسجدوا للرحمن . قالوا : وما الرحمن . فنزلت هذه الآية ، وقيل لهم : إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي ، هذا قول الضحاك عن **ابن عباس** رضي الله عنه [٣] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٤] .

القول الثاني : أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية [٥] كتب علي رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة . فنزلت هذه الآية .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٥ .

(٢) قيل : هو عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٢٧ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٤١ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٨ .

(٤) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٢٧ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٢ .

(٥) حديث يوم الحديبية حديث صحيح طويل جامع أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٥٨١ ، ٢٥٨٢) : ٢ / ٩٧٤ - ٩٨٠ . ولكنه ليس سبباً في النزول .

وقد رُوي هذا القول عن قتادة [١] ، وابن جريج [٢] ، وقاله مقاتل [٣] ، والماوردي [٤] من المفسرين .

✘ **وضعَّف** هذا القول **ابن جُزيّ** وجماعة من المفسرين لأن :

١. الآية نزلت قبل ذلك ؛ لأن السورة مكيَّة [٥] .

٢. ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط [٦] .

القول الثالث : أن رسول الله ﷺ كان يوماً في الحجر يدعو وأبو جهل يستمع إليه ، وهو يقول : يا رحمن . فولى مدبراً إلى المشركين ، فقال : إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين . فنزلت هذه الآية ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٨] .

الترجيح :

والحقُّ : أن جميع الروايات المتقدمة ليست سبباً للنزول ؛ فلم يثبت بطريق صحيـــح أن أيّا

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٠) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦٥٠) إلى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ . **والحديث ضعيف** . أخرجه الطبري (٢٠٣٩٦) عن قتادة مرسلاً .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٠) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦٥٠ ، ٦٥١) إلى ابن المنذر . **والحديث ضعيف** ؛ أخرجه الطبري (٢٠٣٩٧) عن ابن جريج عن مجاهد **مرسلاً** .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧٦ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١١١ . وينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٥٣ .

(٥) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨ ، التسهيل : ٢ / ١٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٠٤ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٤١ . وتعد سورة الرعد من القسم المختلف فيه ، ورجح السيوطي أنها مكية إلا آيات منها ، وهو الراجح . و لم تعد هذه الآية من الآيات المدنية فهي مكية بالإجماع . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٥ .

(٧) ينظر : المرجع السابق .

(٨) منهم : السمعاني ، والبغوي ، والفخر الرازي ، والخازن ، وابن عادل الحنبلي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٩٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٦ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٤١ ، ٤٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٠٤ .

منها سبب نزول الآية [١] .

واختلف المفسرون في تخصيص لفظ ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ بالمقام على ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء [٢] ، وما بهم من نعمة فمنه ، فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال مثل هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٠٧] . ولم يشكروا نعمة هذا الوحي الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم ، قاله جماعة من المفسرين [٣] .

القول الثاني : المراد بـــ ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾ الكفر بإطلاق هذا الاسم ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ على الله تعالى لا على جحودهم أو إشراكهم ، قاله **النيسابوري** [٤] من المفسرين .

القول الثالث : المراد بـــ ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾ الكفر به ﷻ على الإطلاق ، قاله ابن عطية [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه الآلوسي [٧] .

الترجيح :

بعدما تبين أن جميع الروايات السابقة لا تصلح أن تكون سبباً للنزول يظهر لي – والله أعلم – أن المراد بـــ **﴿ يَكْفُرُونَ ﴾ في الآية ليس يكفرون بهذا الاسم ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ ، ولكن الكفر به على الإطلاق** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، واختيار اسم (الرحمن) من بين أسمائه تعالى لما يلي :

---

(١) وذلك بالرجوع إلى كتب أسباب النزول فلم يثبت أي من هذه الروايات .

(٢) بنيت صفة ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ على (فعلان) لأن معناه الكثرة ، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين . ينظر (مادة : رحم) في : العين للفراهيدي : ٣ / ٢٢٤ ، لسان العرب : ١٢ / ٢٣٠ .

(٣) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٩٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٨ ، تفسير أبو السعود : ٥ / ٢١ ، فتح القدير : ٣ / ٨٢ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٣٦٢ .

(٤) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٠ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٢ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٥ .

(٧) ينظر : روح المعاني : ١٣ / ١٥٣ .

أولاً : " لأن كفرهم بهذا الاسم أشد لأنهم أنكروا أن يكون اللّهُ (رحمن) .
قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ... ﴾ . [سورة الفرقان : ٦٠] . فأشارت الآية إلى كفرين من كفرهم : جحد الوحدانية ، وجحد اسم الرحمن .

ثانياً : ولأن صفة الرحمة مزيد اختصاص بتكذيبهم الرسول عليه السلام ، وتأييده بالقرآن لأن القرآن هُدًى ورحمة للناس " [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) التحرير والتنوير : ١٣ / ١٤١ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ . [آية : ٣١] .

مسألة : في فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾ ضمير القارعة ؛ فقال : ((﴿ أَو تَحُلُّ ﴾ الفاعل ضمير القارعة ، والمعنى : إما أن تصيبهم ، وإما أن تقرب منهم . وقيل : التاء للخطاب ، والفاعل ضمير المخاطب ، وهو النبي ﷺ ، **والأول أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراســـة :

القارعة في اللغة : نازلة شديدة تنزل بأمر عظيم ، وأصل القرع الضرب .

واختلف السَّلف والمفسرون في **فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾** بناء على اختلافهم في المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الكفار على العموم ، وعلى هذا فإ ن **فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾ ضمير القارعة** [٢] ، وذلك الأمر مستمر فيهم إلى يوم القيامة ، قاله الحسن [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه العكبري [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٥ .

(٢) ينظر (مادة : قرع) في : لسان العرب لابن منظور : ٨ / ٢٦٥ ، تاج العروس للزبيدي : ٢١ / ٥٤٤ . وجاء عن ابن عباس وأبي سعيد ﷺ ، ومجاهد وعكرمة : القارعة السرايا . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٥٦ ، الدر المنثور : ٤ / ٦٥٤ ٦٥٥ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٣٧) ، وابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٧) ، وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٥٥ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٥ .

(٥) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : ٢ / ٦٢ .

(٦) منهم : الزمخشري ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، وابن عادل =

قال ابن كثير : " وهذا هو الظاهر من السِّياق " . اهـ [١] .

القول الثاني : **المراد** بـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ كفار قريش على الخصوص ، وعلى هذا فإن **فاعل** ﴿ تَحُلُّ ﴾ **ضمير المخاطب** ، **وهو النبي** ﷺ ؛ مرادا به حلوله الحديبية ، ووعد الله فتح مكة ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٢] ، ومجاهد [٣] ، وقتادة [٤] ، وعكرمة [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٧] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٨] . [٩]

ويؤيد ذلك : أن سورة الرعد مكية إلا آيات منها [١٠] ، ومن هذه الآيات هذه الآية ؛ فقد أجمع أهل العلم أن هذه الآية مدنية [١١] ؛ مما يرجِّح أن يكون فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾ هو النبي ﷺ ،

= والشوكاني ، والسعدي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٩٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٣ ، ٢٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٢ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٤ تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٧ ، نظم الدرر : ٤ / ١٥٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٠٩ ، فتح القدير : ٣ / ٨٤ ، تفسير السعدي : ٤١٨ ، الظلال : ٤ / ٢٠٥٩ ، الوسيط : ٧ / ٤٨٣ .

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٧ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦٥٥) إلى ابن مردويه من طريق العوفي . وينظر : تنوير المقباس : ٢٠٨ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٢٩ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٦) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٤ / ٦٥٥) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، والبيهقي في الدلائل .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٣٧) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٥٦) . وينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٥٥ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧٨ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٥٤ .

(٨) منهم : الثوري (ونسبه إلى مجاهد) ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، الواحدي ، والسمعاني ، والجلالين . ينظر : تفسير الثوري لأبي عبد الله ، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١ هـ) : ١ / ١٥٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٢٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٩٥ ، تفسير الجلالين : ٣٢٧ .

(٩) جوَّز الوجهين من المفسرين : الطبري ، الثعلبي ، والبغوي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والسمين الحلبي ، وأبو السعود ، والآلوسي ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٥٥ ، الكشف والبيان : ٥ / ٢٩٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٤٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢١٩ ، الدر المصون : ٤ / ٢٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣ ، روح المعاني : ١٣ / ١٥٩ ، تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١٠) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(١١) ينظر : البيان في عدّ آي القرآن لأبي عمرو ، عثمان بن سعيد الأموي الداني (ت ٤٤٤هـ) : ١٩ ، برهان الزَّركشي : ١ / ٢٠٢ ، إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا ، محمد =

والمراد حلوله يوم الحديبية .

الترجيح :

يظهر لي – **والله** أعلم – أن **فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾ ضمير القارعة** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : إن جميع الكفار لايزالون تصيبهم القوارع في الدنيا ، أو تصيب من حولهم ليعتبروا ؛ وهذا مستمرٌّ فيهم إلى يوم القيامة بسبب كفرهم وتكذيبهم .

ثانياً : **النظائر القرآنية** : ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . [سورة الأحقاف : ٢٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٤] .

ثالثاً : **دلالة السِّياق القرآني** : الآية في سياق الحديث عن الكفار عموماً ؛ والذي سيصيبهم بسبب كفرهم من القوارع ؛ فهي بمثابة الزجر والتهديد لهم على وجه العموم .

رابعاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ، ومنها :

- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** (١) .
- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** (٢) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ) : ٨ / ٤٣٠ .

(١) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٢٧ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ... ﴾ . [آية : ٣٦] .

في الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : **﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ من أسلم من اليهود والنصارى** ؛ فقال : ((يعني : من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه ، وقيل : يعني المؤمنين ؛ والكتاب على هذا هو القرآن)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾** بناء على اختلافهم في تفسير ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، ويمكن حصر اختلافهم في ذلك في قولين :

القول الأول : ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هو **القرآن** ، والمراد أن أهل القرآن يفرحون بما أنزل على محمد ﷺ من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والأحكام والقصص ، مدحهم الله تعالى بأنهم يسرون بما أنزل إليك من أمر الدين ، وهو قول الحسن [٢] ، قتادة [٣] ، ورجَّحه **ابن أبي**

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

(٢) نسب هذا القول للحسن من المفسرين : الخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٥ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٦٤) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٥٨) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ . وذكر هذا القول ونسبه لقتادة من المفسرين : الماوردي (ونسبه إلى ابن زيد أيضاً) والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي (ونسبه إلى مجاهد وابن زيد أيضاً) والخازن وأبو حيان ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والشوكاني ، ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١١٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٦ ، زاد المسير : ٤ / ٣٣٥ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٥ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ . وذكره من غير أن ينسبه لقائله : العز بن عبد السلام في تفسيره (٢ / ١٥٥) .

زمنين [١] من المفسرين .

الرد على ذلك :

١. هذا بعيد جدّاً ، لأنّ هذا الوصف ليس معهوداً بالنسبة للمسلمين .
٢. بالإضافة إلى ذلك فإنّها غير موافقة مع جملة ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ لأنّه يلازم هذا الحديث أن يكون ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ هو نفس ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ فالإثنان يشيران إلى القرآن ، في الوقت الذي نرى فيه من قرينة المقابلة أنّ المقصود من ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ غير ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ .
٣. كما أن فرح المسلمين بنزول القرآن معلوم فلا فائدة فى ذكره [٢] .

وأُجيب عنه :

بأن المراد زيادة الفرح والاستبشار [٣] .

✓ **القول الثاني** : إن المراد بالكتاب **التوراة والإنجيل** ؛ قاله جمهور المفسرين .

❖ لكنهم اختلفوا في **المراد بـــ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾** على قولين :

القول الأول : الذين آتيناهم الكتاب هم **الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب** ؛ كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى [٤] ، وهو قول ابن عباس

---

(١) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٨ .
ابن أبي زمنين هو : محمد بن عبد الله بن عيسى المري ، أبو عبد الله ، المعروف بابن أبي زمنين : فقيه مالكي ، من الوعاظ الادباء ، من أهل إلبيرة ، له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ ، منها : أصول السُّنة ، وتفسير القرآن وغيرها . ت سنة ٣٩٩ هـــ . ينظر : العبر في خبر من غبر : ٣ / ٧٣ ، طبقات المفسرين للداودي : ٩٣، ٩٤ طبقات المفسرين للسيوطي : ١٠٤ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٨٧ .

(٣) ينظر : تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ .

(٤) وهم ثمانون رجلاً : أربعون من نجران ، وثمانية من اليمن ، وإثنان وثلاثون من الحبشة ، وفرحوا بالقرآن ، لأنهم آمنوا به وصدقوه والأحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ تفسير أبو السعود : ٥ / ٢٥ ، روح =

ﷺ [١] ، وابن زيد [٢] ، ومقاتل [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

قال **القرطبي** :

" فاللفظ عام ، والمراد الخصوص " . اهـ [٦] .

وقال **كثير** [٧] من المفسرين :

كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء ، فلما أسلم عبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثر ذكره في التوراة ، فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به ؛ فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾ [٨] .

" والمعنى : مدحهم بأنهم لشدة إيمانهم يسرون بجميع ما يرد على النبي ﷺ من زيادات الشرع " [٩] .

= المعاني : ١٣ / ١٦٥ .

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٠٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٦٤ . وعزاه السيوطي أيضاً إلي أبي الشيخ . ينظر : الدر المنثور : ٤ / ٦٥٨ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ١٧٩ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٣ / ١٦٤) ، والسمر قندي (٢ / ٢٣٠) ، والقشيري (٢ / ١١١) ، والواحدي (١ / ٥٧٤) ، والسمعاني (٣ / ٩٨) ، والبغوي (٣ / ٢٢) ، والزمخشري (٢ / ٥٠١) ، والبيضاوي (٣ / ٣٣٣) ، والنسفي (٢ / ٢٢٠) ، والبقاعي (٤ / ١٥٨) ، والثعالبي (٣ / ٣٧٢) ، والجلالين (٣٢٨) ، وأبو السعود (٥ / ٢٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٥٦) ، والسعدي (٤١٩) ، وابن عاشور (١٣ / ١٥٦) .

(٦) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٥ .

(٧) نسبه إلى أكثر المفسرين القرطبي والشوكاني . ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٦ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ .

(٨) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٩٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٢ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، تفسير السراج المنير : ٢ / ١٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٨٧ .

(٩) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٣ / ٣١٥) .

القول الثاني : المراد بـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ **اليهود أعطوا التوارة ، والنصارى أعطوا الإنجيل** ، يفرحون بما أنزل في هذا القرآن ، لأنه مصدق لما معهم في الجملة ، وهو قول مجاهد ، والحسن ، وقتادة [١] ؛ وقاله ابن كثير [٢] .

✖ **وضُعِّف هذا القول بما يلي :**

١. أنّ همهم به أكثر من فرحهم ، فلا يعتد بفرحهم .
٢. وأيضاً فإنّ اليهود والنصارى ينكرون بعضه ، وقد فرق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب [٣] .
٣. هذا القول لا يصح ؛ لأ ن قوله : ﴿ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ يعم جميع ما أنزل إليه ، ومعلوم أنهم لا يفرحون بكل ما أنزل إليه [٤] .

✓ **ويمكن أن يجاب على ذلك :**

بأن قوله : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ لا يفيد العموم ؛ بدليل جواز إدخال لفظتي الكل والبعض عليه ، ولو كانت كلمة (ما) للعموم لكان إدخال لفظ الكل عليه تكريراً ، وإدخال لفظ البعض عليه نقصاً [٥] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة والإنجيل ، ويكون المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ هم الفريق الصادق من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في الاستمساك بدينه ، فمنهم من يفرح بما أنزل إلى رسول الله ﷺ من القرآن لمجرد تصديقه لما بين يديه وتعظيمه له وإن لم يؤمنوا** ؛ يدل على ذلك ما يلي :

---

(١) نسبه إلى الحسن وقتادة : الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٩ / ٤٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط – وزاد مجاهد – (٥ / ٣٨٧) ، وابن عادل في تفسيره (١١ / ٣١٥) .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٩ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٧ ، روح المعاني : ١٣ / ١٦٥ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ .

أولاً : سورة الرعد الراجح أنها مكية إلا آيات منها [١] ، فإما أن تكون هذه الآية مدنية فلا إشكال ، وأما وأنها لم تثبت أنها مدنية بل مكية ، وكان نزولها قبل أن يُسلم عبد الله بن سلام [٢] وأصحابه ؛ فلا يكون هو المراد بالآية .

ويكون المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هم اليهود والنصارى ممن لهم كتاب سماوي . مع أنّ المركز الأصلي لليهود في الجُزيّرة العربية كان المدينة وخيبر ، والمركز الأصلي للمسيحيين هو نجران وأمثالها ، ولكنّهم كانوا يتردّدون على مكّة ويعكسون أفكارهم ومعتقداتهم فيها ، ولهذا السبب كان أهل مكّة يعرفون علامات آخر نبي مرسل وكانوا ينتظرونه .

ثانياً : أهل الكتاب في تلقي القرآن ينقسمون فرقتين :

- فالفريق الأول : صدّقوا بالقرآن وفرحوا به ، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ . [سورة المائدة : ٨٣] . وكلهم من النصارى مثل ورقة بن نوفل ، وكذلك غيره ممن بلغهم القرآن أيام مُقام النبي ﷺ بمكة قبل أن تبلغهم دعوة النبي ﷺ ، فإن اليهود كانوا قد سُرُّوا بنزول القرآن مصدّقاً للتوراة ، وكانوا يحسبون دعوة النبي مقصورة على العرب فكان اليهود يستظهرون بالقرآن على المشركين ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٨٩] . وكان النصارى يستظهرون به على اليهود .

- الفريق الثاني : لم يثبت لهم الفرحُ بالقرآن ، وهم نفس جماعة اليهود والنصارى الذين غلبهم التعصّب الطائفي وأمثاله، ولذلك لم يعبّر القرآن الكريم عنهم بأهل الكتاب ، لأنّهم لم يتّبعوا كتبهم السّماوية ؛ بل كانوا في الحقيقة أحزاباً [٣] .

---

(١) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(٢) أسلم عبد الله بن سلام وقت مقدم النبي ﷺ المدينة . ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٢٦ .

(٣) ذكر الأحزاب بهذا التعبير لأنهم في الحقيقة ليس لهم دين ولا مذهب ، بل كانوا على شكل أحزاب وكتل =

وبهذا التفسير تظهر بلاغة التعبير عنهم بـ : ﴿ يَفْرَحُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مََٔابِ ﴾ دون (يؤمنون) . فالمراد بـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : الذين أوتوه إيتاء كاملاً ، وهو المجرد عن العصبية لما كانوا عليه وعن الحسد ، فهو كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٢١] . (١)

قال **سيد قطب** : " والتعبير بالفرح هنا حقيقة نفسية في القلوب الصافية ؛ وهو فرح الالتقاء على الحق ، وزيادة اليقين بصحة ما لديهم ومؤازرة الكتاب الجديد له " . اهـ (٢) .

ثالثاً : إن فرح أهل الكتاب بالقرآن لموافقته ما في كتبهم ؛ لأن كلام الله كله من مشكاة واحدة ، وتخصيصهم لأنهم هم المنتفعون بالكتاب دون غيرهم ، فكأنه ما أنزل إلا إليهم (٣) .

رابعاً : يكون قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ تتمة بمنزلة أن يقال : ومنهم من ينكر بعضه ، (قل) إلزاماً لهم ورداً لإنكارهم (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= متفرقة اتحدوا في مخالفتهم للقرآن والإسلام .

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٩ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) الظلال : ٤ / ٢٠٦٤ .

وسيد قطب هو : سيد قطب بن إبراهيم : مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية " موشا " في أسيوط بمصر ، من جماعة الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر الدعوة ، وتولى تحرير جريدتهم ، وسجن معهم ، فعكف على تأليف الكتب وهو في سجنه ، إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم سنة ١٣٨٧ هـ . له كتب كثيرة منها : تفسير : في ظلال القرآن ، و التصوير الفني في القرآن ، ومعالم في الطريق . ينظر : الأعلام :٣ / ١٤٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ١٥٨ .

(٤) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥ .

المسألة الثانية : في المراد بالأحزاب :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالأحزاب سائر كفار العرب ؛ فقال : ((قيل : هم بنو أمية وبنو المغيرة من قريش ، **والأظهر** أنها في سائر كفار العرب . وقيل : هم اليهود والنصارى ؛ لأنهم لا ينكروا القصاص والأشياء التي في كتبهم وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرفوه)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الأحْزاب : جمع حزب ، والطائفة المتحزبة : أي المجتمعة لأمر ما ، كعداوة وحرب وغير ذلك ، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب ؛ وإن لم يلق بعضهم بعضاً [٢] .

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرين **في المراد بـ ﴿ ٱلْأَحْزَابِ ﴾** على أقوال :

القول الأول : من قال أن المراد بـ ﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ **القرآن** ، وأن الذين آتيناهم الكتاب هم **أهل القرآن يفرحون بما أنزل على محمد ﷺ من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والأحكام والقصص** ، قال : المراد بـ **﴿ ٱلْأَحْزَابِ ﴾** الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن ينكر [٣] بعضه ، وهو قول مجاهد ، والحسن ، وقتادة [٤] .

✍ **ومن المفسرين** [٥] من قال المراد بـ **﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ التوراة والإنجيل** ، وأن الذين آتيناهم

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

(٢) ينظر : لسان العرب (مادة حزب) : ١ / ٣٠٨ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٧ .

(٣) قال سيد قطب : " ولم يذكر السِّياق هذا البعض الذي ينكرونه ، لأن الغرض هو ذلك الإنكار للرد عليه " . اهـ . ينظر : الظلال : ٤ / ٢٠٦٤ .

(٤) نسبه إلى الحسن وقتادة : الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٩ / ٤٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط – وزاد مجاهد – (٥ / ٣٨٧) ، وابن عادل في تفسيره (١١ / ٣١٥) .

(٥) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٩٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٠١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٧ ، نظم الدرر : ٤ / ١٥٨ تفسير الجلالين : ٣٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥ ، روح المعاني : ١٣ / ١٦٥ .

الكتاب : المراد بهم من أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ؛ **لكنهم قالوا** : المراد بـــ ﴿ **ٱلْأَحْزَابِ** ﴾ **المتحزبون على رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى بالعداوة** ، وهم كفرتهم ؛ ككعب بن الأشرف و أصحابه ، والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما ؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم ، وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه السلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع ، والمراد بالبعض الذى أنكروه من خالف ما يعتقدونه على اختلاف اعتقادهم ، **واستظهره الطاهر بن عاشور** [١] .

✖ **واعتُرض** : بأن الأحزاب ينكرون كل القرآن .

✓ **وأُجيب** :

بأن الأحزاب لا ينكرون كل ما في القرآن ، لأنه ورد فيه إثبات الله تعالى وإثبات علمه وقدرته وحكمته وأقاصيص الأنبياء ، والأحزاب ما كانوا ينكرون كل هذه الأشياء [٢] .

القول الثاني : من قال أن المراد بـــ ﴿ **ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ **التوراة والإنجيل** ، وأن الذين آتيناهم الكتاب هم **من أسلم من أهل الكتاب ، أو اليهود والنصارى** ، قال : المراد بـــ ﴿ **ٱلْأَحْزَابِ** ﴾ الذين ينكرون بعضه هم **بقية أهل الكتاب وسائر المشركين** ، قاله جماعة من المفسرين [٣] . [٤]

وقال **ابن جُزيّ** [٥] :

المراد بـــ ﴿ **ٱلْأَحْزَابِ** ﴾ الذين ينكرون بعضه هم سائر كفار العرب .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٧ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٤٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥ ، نظم الدرر : ٤ / ١٥٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣١٦ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٢ .

(٣) في تفاسيرهم ؛ منهم : الفخر الرازي (١٩ / ٤٨) ، وابن عادل (١١ / ٣١٦) ، والقاسمي (٩ / ٣٧٠) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٦٤) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٤٩٢) .

(٤) ذكر القولين و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الخازن (٤ / ٢٥) ، والنيسابوري (٤ / ١٦٣) ، والخطيب الشربيني في السراج (٢ / ١٨٢) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٦ .

الترجيح:

بناء على ما ترجَّح من أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ هم الفريق الصادق من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في الاستمساك بدينه ..

يظهر لي – والله أعلم – **أن ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه هو الصواب ، وأن المراد بـــ ﴿ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ سائر كفار العرب الذين أشركوا مع الله إلهاً آخر ؛ المنكرين لما فيه من التوحيد** ؛ لما يلي :

أولاً : سورة الرعد سورة مكية [(١)] فهي تخاطب المشركين ، وهذا يظهر بوضوح في السورة سواء في موضوعاتها أو أسلوب معانيها من الاستدلال على الوحدانية وقضايا العقيدة وتبكيت المشركين . و لم يكن هناك خطاب لأهل الكتاب حتى ينكروا بعض ما في القرآن .

ثانياً : أمر الله رسوله ﷺ برد إنكار المشركين بقوله تعالى : ﴿ ... قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓ ... ﴾ بعد جملة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ... ﴾ [(٢)] .

✓ **ولا يمنع أن يكون المراد بـــ ﴿ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ بقية أهل الكتاب** الذين لم يفرحوا بما أنزل على رسول الله ﷺ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ... ﴾ [(٣)] ؛ فمن أحزابهم من ينكر بعض القرآن .

" ولعل هؤلاء هم خبثاؤهم ودُهاتهم الذين توسموا أن القرآن يبطل شرائعهم فأنكروا بعضه وهو ما فيه من الإيماء إلى ذلك من إبطال أصول عقائدهم ، مثل عُبودية عيسى عليه السلام بالنسبة للنصارى ، ونبوءته بالنسبة لليهود .

أمر النبي ﷺ أن يعلن للفريقين بأنه ما أمر إلا بتوحيد الله ، فمن فرح بالقرآن فليزدد فرحاً ومن أنكر بعضه فليأخذ بما لا ينكره وهو عدم الإشراك . وقد كان النصارى يتبرؤون من

---

(١) سبق بيان ذلك . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .

(٢) ينظر : تفسير القاسمي : ٩ / ٣٧٠ .

(٣) سورة مريم – عليها السلام – : ٣٧ .

الشرك ويعُدّون اعتقاد بُنوة عيسى عليه السلام غير شرك . وهذه الآية من مجاراة الخصم واستنزال طائر نفسه كيلا ينفر من النظر " [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ١٥٧ . بتصرف .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ . [آية : ٤١] .

مسألة : في المراد بالأرض هنا وكيف يكون نقصها ؟

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن المراد بالأرض : أرض الكفار ، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها ؛ فقال : ((والأرض أرض الكفار ، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها ، والمعنى : أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم . وقيل : الأرض جنس ونقصها بموت الناس ، وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في المراد **بنقصان الأرض** ، بناءً على اختلافهم في المراد بـ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ والمراد بالأطراف في هذه الآية الكريمة ، ويمكن حصر اختلافهم في قولين :

القول الأول : المراد بالأرض **أرض الكفار** ، وعلى هذا يكون **نقصها بما يفتح الله على المسلمين منها** ، وهو قول **ابن عباس** رضي الله عنه [٢] ، وقتادة [٣] ، والحسن ، والضحاك [٤] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة المفسرين [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٧ .

(٢) أخرجه عنه ابن جرير وابن مردويه ، ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٧٢ ، الدر المنثور ٤ / ٦٦٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٠ .

(٣) نسبه إليه السمعاني ، والبغوي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤ .

(٤) نسبه إلى **الحسن** : الصنعاني وابن أبي زمنين . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٣٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٩ . قال يوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النمري (ت ٤٦٣ هـ) في جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٥٥) : وقول الحسن أيضاً حسن المعنى جداً . ونسبه إلى **الضحاك** : النحاس في معانيه (٣ / ٥٠٥) . وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٦٦) إلى سعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) في سننه (٢) : ٥ / ٤٤١) ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٥٦ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٧ .

(٧) منهم : مقاتل ، والطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي =

استدل له من اللغة :

المراد بطرف الشيء هنا : جانبه ، وأطراف الأرض نواحيها [١] .

قال **ابن فارس** : " الطاء والراء والفاء أصلان ، فالأول يدل على حد الشيء وحرفه ، والثاني يدل على حركة في بعض الأعضاء " . اهـ [٢] .

والمعنى الأول هو المراد هنا .

وقال الرَّاغب : " وتنقيص طرف الشيء يدل على توهينه وإزالته ، ولذلك قال ﷻ : ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ " . اهـ [٣] .

والمعنى : أو لم ير كفار مكة أنا نفتح لمحمدٍ ﷺ الأرض بعد الأرض من حولهم ، فكيف لا يعتبرون ؟

القول الثاني : الأرض جنس ، وتنوعت أقوال السَّلف في معنى نقصها من أطرافها كما يلي :

- **بخراب الأرض وقبض أهلها** ، قاله مجاهد .

= والنسفي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ١٨٠ ، تفسير الطبري : ١٣ / ١٧٤ معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٠٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٥٩ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٧٦ ، الكشاف : ٢ / ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢١ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٨٩ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥١٩ ، نظم الدرر : ٤ / ١٦٢ ، تفسير الجلالين : ٣٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨ ، فتح القدير : ٣ / ٩٠ ، روح المعاني : ١٣ / ١٧٣ ، تفسير السعدي : ٤٢٠ ، أضواء البيان : ٤ / ١٥٧ ، الوسيط : ٧ / ٤٩٦ .

(١) ينظر (مادة : طرف) في : تهذيب اللغة للأزهري :١٣ / ٢١٨ ، لسان العرب : ٩ / ٢١٦ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة (مادة : طرف) : ٣ / ٤٤٧ .

(٣) مفردات الرَّاغب (مادة : طرف) : ١ / ٣٠٢ .

والرَّاغب هو : الحسين بن محمد بن المفضَّل ، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالرَّاغب : أديب من الحكماء العلماء ، من كتبه : محاضرات الأدباء ، والأخلاق ويسمَّى : أخلاق الرَّاغب ، وجامع التفاسير ، والمفردات في غريب القرآن وغير ذلك . ت سنة ٥٠٢ هـ . ينظر : السِّير : ١٨ /١٢٠ ، البلغة : ١ / ٩١ ، الأعلام : ٢ / ٢٥٥ .

- **بنقص البركة** ، ونقص الأنفس والثمرات .
- **بقبض الناس** ، وهو قول **عكرمة والشعبي** [١] .
- **بجور ولاتها** ، **رجّحه القرطبي** حيث قال :

" وهذا صحيح معنى ، فإن الجور والظلم يخرب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم عنها ، وترفع من الأرض البركة " [٢] .

- **بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها** ، وهو مرويٌّ عن أبي هريرة ﷺ [٣] ، وابن عباس ﷺ [٤] أيضاً ، **وعطاء** [٥] .

قال **ابن عطية** : " وكل ما ذكر يدخل في لفظ الآية " . وقاله **الثعالبي** أيضاً [٦] .

واستدل للقول الأخير (وهو موت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها) بأدلة منها :

---

(١) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٣٠ ، مصنف ابن أبي شيبة : ٧ / ٢١٤ ، تفسير الطبري : ١٣ / ١٧٢ ، ١٧٣ ، النكت والعيون : ٣ / ١٧٣ ، زاد المسير : ٤ / ٣٣٩ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩ ، تفسير الثعالبي : ٢ / ٢٧٣ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٢٢ ، الدر المنثور : ٤ / ٦٦٦ ، فتح القدير : ٣ / ٩٠ .

(٢) تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٤ .

(٣) أخرجه الديلمي عنه . ينظر : كشف الخفاء (٢٨٦٣) : ٢ / ٤٣٧ . **وهو حديث ضعيف** .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١٧٤) . ونسبه السيوطي في الدر (٤ / ٦٦٥) إلى : عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، ونعيم بن حماد في الفتن ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٥) نسبه إليه البغوي ، والقرطبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٤ ، السراج المنير : ٢ / ١٨٥ . قال ابن عبد البر : وقول عطاء في تأويل الآية حسنٌ جداً ، تلقاه أهل العلم بالقبول . ينظر : جامع بيان العلم وفضله : ١ / ١٥٥ .
وعطاء هو : عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي ، من التابعين الثقات الأثبات الفضلاء ، وكان مفتي أهل مكة في زمانه ، ت سنة ١١٤هـ على الصحيح . ينظر : تاريخ البخاري : ٦ / ٤٦٣ ، ومعرفة الثقات : ٢ / ١٣٥ ، والتقريب : ٣٩١ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٧٣ .
والثّعالبي هو : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، أبو زيد الجزائري المالكي ، مفسرٌ فقيهٌ ، عاملٌ زاهدٌ ورع ، ت سنة ٨٧٥ هـ . ينظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) : ٤ / ١٥٢ ، نفح الطيب : ٥ / ٢٧٩ ، ٤٢٥ ، الأعلام : ٣ / ٣٣١ .

١. من السُّنة : ماروي عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ ﷺ قال : سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ من الْعِبَادِ ؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ؛ حتى إذا لم يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ الناس رؤوسا جُهَّالًا ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (١) .

٢. من الأثر : عن ابن عباس ﷺ « في قوله ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ قال : موت علمائها وفقهائها » (٢) .

٣. اللغة :

قال **ابن الأعرابي** : والطرف الرجل الكريم ، وقول بعضهم : طرف كل شيء خياره . وجعلوا من هذا قول **علي** ﷺ : العلوم أودية في أي واد أخذت منها خسرت ، فخذوا من كل شيء طرفا . قال ابن عطية : يعني خياراً (٣) .

٤. من كلام العرب :

استشهد له بقول الفرزدق :

واسْأَلْ بِنا وبِكُم إِذا وَرَدَتْ مِنىً أَطْرافُ كُلِّ قبيلَةٍ مَنْ يَمْنَعُ (٤)

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – في كتاب العلم ، بَاب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ (١٠٠) : ١ / ٤٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب العلم ، بابَ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ (٢٦٧٣) : ٤ / ٢٠٥٨ .

(٢) أخرجه الحاكم وصحَّحه . ينظر : المستدرك على الصحيحين : ٢ / ٣٨١ . قال الذهبي في التلخيص : طلحة بن عمرو قال أحمد : متروك . **فالحديث ضعيف** .

(٣) ينظر (مادة : طرف) في : تهذيب اللغة : ١٣ / ٢١٨ ، لسان العرب : ٩ / ٢١٦ . وينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٩ .

(٤) نسبه إليه غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلا : روح المعاني : ١٣ / ١٧٣ . ولم أقف عليه في ديوانه .

والفرزدق هو : همام بن غالب التميمي ، أبو فراس البصري ، له رواية للحديث لكنه ضعيف لفسقه ، قال ابن حبان : ((وكان الفرزدق هتاكاً للحرمات ، وقذافاً للمحصنات ، ومن كان فيه خصلة من هذه الخصال استحق مجانبة روايته على الأحوال)) ، إلا أنه شاعر فحل من فحول الشعراء ، ت سنة ١١٠هـ . ينظر : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لمحمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) : ٢ / ٢٠٤ طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٢٩٨ ، الأغاني : ١٠ / ٢٧٨ – ٢٨٠ .

وتُعقِّب بما يلي :

١. استدلالهم بحديث عمرو بن العاص ﷺ ليس نصاً في المعنى الذي ذهبوا إليه ، فهو معنى عام .
٢. استدلالهم بما روي عن ابن عباس ﷺ لا يصحُّ ؛ لأن الحديث ضعيف كما ذكرت آنفاً .
٣. هذا القول بعيد ، لأن مقصود الآية : أنا أريناهم النقصان في أمورهم ، ليعلموا أن تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز ، إلا أن يحمل قول ابن عباس ﷺ على موت أحبار اليهود والنصارى [١] .
٤. هذا القول بعيد أيضاً ؛ لكونه بعيداً عن ظاهر القرآن بحسب دلالة السِّياق [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **المراد بالأرض أرض الكفار ، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين من بلادهم** ، فنقص دار الحرب وتزيد في دار الإسلام ، وذلك من آيات النصرة والغلبة ، والمعنى : أولم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : هذا القول يتعين إن كانت سورة الرعد سورة مدنية [٣] ، وقد سبق بيان أن السورة مكية إلا آيات منها [٤] ، أو تكون هذه الآية مدنية .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني [٥] : يمكن القول بأن هذه الآية من تباشير الظفر والنصر [٦] ، فلما وعد ﷻ رسوله ﷺ بأن يريه بعض ما وعده أو يتوفاه في الآية التي تسبقها وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٣ .
(٢) ينظر : أضواء البيان : ٤ / ١٥٧ . وسيتم شرح ذلك مفصَّلاً في الترجيح بإذن الله .
(٣) نص النحاس على مدنية سورة الرعد ، ينظر معانيه : ٣ / ٤٦٥ .
(٤) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٢ .
(٥) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ١٦٢ .
(٦) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٣ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٥٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٦٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٢٢ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٧١ .

وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ . [سورة الرعد : ٤٠] . وأن عليه البلاغ ، طيب نفسه ﷺ بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ، وأن انتقاص أرض الكفار وازدياد قوة المسلمين من أقوى العلامات على أنه تعالى ينجز وعده ، فالسِّياق أظهر أن الله قادر على الجزاء لمن أراد .

ثالثاً : القرينة القرآنية في نظير هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ ... أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٤] .

فمعنى ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ هنا أي : ننقص أرض الكفر ودار الحرب ، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها ، وردها دار إسلام ﷺ بدليل القرينة الدالة على هذا المعنى ، وهي قوله بعده : ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ والاستفهام لإنكار غلبتهم . وقيل : لتقريرهم بأنهم مغلوبون لا غالبون ، فقوله : ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ دليل على أن نقص الأرض من أطرافها سبب لغلبة المسلمين للكفار ، وذلك إنما يحصل بالمعنى المذكور [١] .

ويؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية :

القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه [٢] .

رابعاً : نظير آية سورة الرعد أيضاً قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ ... ﴾ . [سورة فصلت : ٥٣] . [٣]

خامساً : قد حسَّن **ابن عبد البرِّ** (قول الحسن) وتفسيره للآية وهو : ظهور المسلمين على المشركين ، وكذلك تلقى أهل العلم (تفسير عطاء) لنقصان الأرض من أطرافها بموت علمائها وفقهائها ؛ ولكن السَّلف لا يذكرون قول عطاء تفسيراً للآية على أنه المراد منها ، وإنما يذكرونه تهويلاً لخطب موت العلماء فهم من أسباب صلاح الأمة وكمالها ، وموهم نقص لها وخرابها [٤] .

---

(١) أضواء البيان : ٤ / ١٥٧ . بتصرف يسير .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٣ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٥٤ ، تفسير القاسمي : ٩ / ٢٧٥ .

(٤) ينظر : تفسير القاسمي : ٩ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

كما قال الشاعر [١] :

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمـها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف

ولذا قال **الأزهري** : " وأطرافُ الأرض : نواحيها ، الواحد طَرَف ، ومنه قول الله ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ . [آية : ٤١] . أي : من نواحيها ناحيةً ناحيةً ، وهذا على من فسّر نقصَها من أطرافها فتوح الأرضين . وأما من جعل نقصَها من أطرافها موتَ علمائها فهو من غير هذا ، والتفسير على القول الأول " . اهـ [٢] .

✌ **وهذا الترجيح يكون في عصر هؤلاء المفسرين الأخيار ؛ وقد كانوا يرون عز الإسلام وفتوحات المسلمين توغل في أرض الكفار وتفتح بلاد المشرق والمغرب ..**

✌ **أما في عصرنا هذا عصر اندحار قوة المسلمين – مع الأسف الشديد – ؛ وعصر الاكتشافات وعصر العلم ؛ فالمراد بنقصان الأرض من أطرافها هو نقصان طرفيها عند القطبين** ؛ وذلك لما يلي :

أولاً : توصل علماء الفلك من أن الكرة الأرضية تفلطحت عند القطبين وانبعجت عند خط الاستواء نتيجة سرعة دورانها حول نفسها التي تبلغ سرعتها نحو ألف ميل في الساعة وأن جزئيات من الغازات والعناصر المحيطة بوسط الكرة الارضية تنطلق بقوة الطرد المركزية إلى الخارج حول خط الاستواء مما يساعد على الانبعاج ، أي : **زيادة في شكلها عند خط الاستواء ونقص في طرفي القطبين** [٣] ، وأن هذا هو تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا

---

(١) نسب ابن عساكر هذين البيتين لأحمد بن غزال . ينظر : تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل لعلي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) (في ترجمة عبد الواحد بن عبد العزيز أبو القاسم المصري الواعظ : ٣٧ / ٢٥٦ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : طرف) : ١٣ / ٢١٩ .

والأزهري هو : محمد بن أحمد بن الأزهر ، أبو منصور الأزهري ، اللغوي الأديب الفقيه الورع العابد، كان شافعي المذهب ، منافحاً عنه ، إلا أنه غلب عليه علم اللغة فصنف فيه وأبدع ، ت سنة ٣٧٠هـ . ينظر : معجم الأدباء : ٥ / ١١٢ ، ١٣ ، العبر في خبر من غبر : ٢ / ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ١ / ١٤٤ .

(٣) للمزيد ينظر : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، إنقاص الأرض من أطرافها للدكتور زغلول النجار =

نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ وأنه من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة ، هذه الإشارة العلمية الدقيقة إلى حقيقة إنقاص الأرض من أطرافها ، وهي حقيقة لم يدرك الإنسان شيئاً من دلالاتها العلمية إلا منذ عقود قليلة ، لتظل الآيات الكونية شاهدة باستمرار على أنه كلام الله الخالق ، وشاهدة للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه بأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي .

ثانياً : الآية الكريمة تدعونا **للنظر** ، والرؤية هنا رؤية ليست بصرية ولكن علمية .. فأين نحن اليوم من رؤية فتوح الأرضين وانتصارات الإسلام ؟! والقرآن صالح لكل زمان ومكان ، **ولذا نرجح تفسير الآية اليوم بما ثبت علمياً من حقيقة إنقاص الأرض من أطرافها .**

ثالثاً : كما أن تخصيص الأرض في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴾ . بأنها أرض الكفار لا دليل عليه .

رابعاً : **السِّياق القرآني** : يدل سياق الآية على أنها تهديد للكفار ؛ فهو القادر على أن يميتهم ثم يحييهم للثواب والعقاب .

هذا التفسير العلمي لنقصان الأرض أوفق ؛ تنتظم معه كل العصور والأزمان ، فهو كتاب الله ، وخير مفسر للقرآن هو الزمن وأحداث الزمن ؛ فهو صالح لجميع البشر في كل العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفيه الإشارة إلى حقائق الكون والكائنات وحقائق العلم ، وتفسير جماعة معينة حسب حدود علمهم عرضة للأخذ والرد .

والله تعالى أعلم بالصواب .

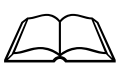

= القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم : ٨٠ ، ٨١ ، مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء : ٢٦ / ١٩٣ .

سـورة إبراهيم عليه السلام

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ... ﴾ . [آية : ٥] .

مسألة : في المراد بأيام الله :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن المراد ﴿ بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ نعمه ونقمه ؛ فقال :

((﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ أي : عقوباته للأمم المتقدمة . وقيل : إنعامه على بني إسرائيل . **واللفظ يعم النعم والنقم** ، وعبر عنها بالأيام لأنها كانت في أيام ، وفي ذلك تعظيم لها ؛ كقولهم : يوم كذا ، ويوم كذا)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الأيام : جمع : يوم ، و اليَوْمُ : مَعْرُوفٌ ، مِقْدَارُهُ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا ، أَوْ مِنْ طُلُوعِ الفَجْرِ الصَّادِقِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، والأَخِيرُ : تَعْرِيفٌ شَرْعِيٌّ عند الأَكْثَرِ [٢] .

واختلف **أهل العلم في المراد ﴿ بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾** في الآية الكريمة هنا ، وسبب اختلافهم يرجع إلى مراد العرب بالأيام ، وحاصل اختلافهم يعود إلى ثلاثة أقوال هي :

القول الأول : **المراد ﴿ بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ نعم الله** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، وهو قول مجاهد [٤] ، وقتادة [١] ، وقاله الجلالين [٢] من المفسرين .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٧ .

(٢) ينظر (مادة : يوم) في : لسان العرب لابن منظور : ١٢ / ٦٤٩ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٤ / ١٤٣ .

(٣) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٨٣ ، ١٨٤ ، تفسير ابن أبي حاتم : ٩ / ١٦ وكذا ذكره السيوطي في الدر : ٥ / ٦ ، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر . ونسبه إليه جماعة من المفسرين منهم : الثعلبي (٥ / ٣٠٥) ، والبغوي (٣ / ٢٦) ، وابن كثير (٢ / ٥٢٤) ، والخازن (٤ / ٣٣) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، وابن عادل الحنبلي (١١ / ٣٤١) ، والخطيب الشربيني (٢ / ١٩١) ، والشوكاني (٣ / ٩٤) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٣٣٣ . ونسبه إليه أكثر المفسرين في تفاسيرهم منهم : ابن جرير (١٣ / ١٨٣ ، ١٨٤) =

ودليلهم :

١. ما روي عن ابن عباس ﷺ عن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ قال : « بنعم الله تبارك وتعالى » [٣] .

٢. قالوا : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهداً في كلام العرب ، واستشهدوا لذلك بقول الشاعر [٤] :

وأيام لنا غُرٍّ طِوالٍ عصينا المَلْك فيها أن نَدِينا

وقالوا : فقد يكون إنما جعلها (غراً طوالاً) لإنعامهم على الناس فيها ، وقد يكون تسميتها (غراً) لعلوهم على الملك وامتناعهم منه ، فأيامهم غر لهم وطوال على أعدائهم [٥] .

✖ وردَّ عليه :

بأنه ليس للذي قال هذا القول من أن في هذا البيت دليلاً على أن الأيام معناها النعم وجه ؛ لأن الشاعر إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غر لعز عشيرته فيها ، وامتناعهم على الملك من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : ما كان لفلان قط يوم أبيض . يعنون بذلك أنه لم يكن له يوم مذكور بخير ، وأما وصفه إيَّاها بالطول فإنها لا توصف بالطـــول إلاَّ في حال شدة ؛ كما قـال **النابغـــة الذبياني** :

= والماوردي (٣ / ١٢٢) ، والثعلبي (٥ / ٣٠٥) ، والبغوي (٣ / ٢٦) ، وابن الجوزي (٤ / ٣٤٦) ، والخازن (٤ / ٣٣) ، وابن كثير (٢ / ٥٢٤) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، وابن عادل الحنبلي (١١ / ٣٤١) ، والسيوطي (٥ / ٦) ، والشوكاني (٣ / ٩٤) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) .

(١) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : ابن جرير (١٣ / ١٨٣ - ١٨٥) ، والماوردي (٣ / ١٢٢) ، والثعلبي (٥ / ٣٠٥) ، والبغوي (٣ / ٢٦) ، وابن الجوزي (٤ / ٣٤٦) ، والخازن (٤ / ٣٣) ، وابن كثير (٢ / ٥٢٤) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، وابن عادل الحنبلي (١١ / ٣٤١) .

(٢) ينظر : الجلالين : ٣٣٠ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في حديث ابن عباس ﷺ عن أبي بن كعب ﷺ (٢١١٦٦) : ٥ / ١٢٢ . **قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف .**

(٤) هو عمرو بن كلثوم ، ينظر : معلقته في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد ، محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠ هـ) : ١١٩ .

(٥) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٢٢ ، الدر المصون : ٤ / ٢٥١ ، ٢٥٢ .

كليني لهمٍ ، يا أميمةَ ، ناصبِ   وليلٍ أقاسيهِ ، بطيءِ الكواكبِ [١]

فإنما وصفها الشاعر بالطول لشدة مكروهها على أعداء قومه [٢] .

القول الثاني : أنها **وقائع الله** في الأمم قبلهم ، كما وقع على قوم نوح وعاد وثمود ، ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها ، كيوم ذي قار ، ويوم الفجار ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] أيضاً ، وابن زيد [٤] وغيرهما ، ومقاتل [٥] ، **واستظهره** غير واحد من المفسرين [٦] .

واستدل له من اللغة [٧] :

قَالَ **ابنُ السِّكِّيت** [٨] : العَرَبُ تَقُولُ : الأَيَّام في معنَى الوَقَائِعِ ، يقُولُونَ : هُوَ عَالِمٌ بَأَيَّامِ العَرَب ، أَيْ : وَقَائِعِهَا ، وَقَالَ شَمِرٌ : إِنَّمَا خَصُّوا الأَيَّامَ بِالوَقَائِعِ دُونَ ذِكْرِ اللَّيَالي ؛ لأَنَّ حُرُوبَهُمْ كَانَتْ نَهَارًا ، وإِذَا كَانَتْ لَيلاً ذَكَرُوهَا كَقَوْلِهِ :

لَيْلَةَ العُرْقُوبِ حَتَّى غَامَرَتْ   جَعْفَرٌ يُدْعَى وَرَهْطُ ابْنِ شَكَلْ [٩]

وربما عبر العرب عن الشدة باليوم ، يقال : يوم أيوم ، كما يقال : ليلة ليلاء .

---

(١) ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ١ .
والنابغة الذبياني هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى . ت نحو ١٨ قبل الهجرة . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥١ ، الأغاني : ١٠ / ٥ ، جمهرة أنساب العرب : ١ / ٢٥٣ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٨٣ . بتصرف يسير .

(٣) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : أبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) .

(٤) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : الماوردي (٣ / ١٢٢) ، وابن الجوزي (٤ / ٣٤٦) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٣ .

(٦) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي (واحتمل القول الأول أيضاً) ، والقاسمي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٣٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٣ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٨ .

(٧) ينظر (مادة : وقع) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٤٦٣ ، لسان العرب لابن منظور : ١٢ / ٦٥١ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٤ / ١٤٥ .

(٨) **ابن السِّكِّيت** هو : يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف ، ابن السِّكيت البغدادي النحوي : إمام في اللغة والأدب . من كتبه : إصلاح المنطق ، مات ببغداد سنة ٢٤٤هـ . ينظر : الفهرست : ١ / ١٠٧ ، وفيات الأعيان : ٦ / ٣٩٥ ، السِّير : ١٢ / ١٦ .

(٩) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، ينظر ديوانه : ٨٥ .

ولذا استظهره الزمخشري [١] للغلبة العرفية ، وأن العرب استعملته للوقائع .

القول الثالث : أنها **نعماؤه وبلاؤه** ، قاله ابن عباس [٢] ﷺ أيضاً ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٣] ، والفَرَّاء [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه **ابن القيم** [٦] ، **وجماعة** المفسرين [٧] .

والمعنى : عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد [٨] ، والترغيب والوعد : أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل في سائر ما سلف من الأيام ، والترهيب والوعيد : أن يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل ممن سلف من الأمم فيما سلف من الأيام ، مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم من العذاب ، ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب ، واجتزأ عنها بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٠٨ .

(٢) نسبه إليه من المفسرين في تفاسيرهم : الزمخشري (٢ / ٥٠٨) ، والنيسابوري (٤ / ١٧٣) . وينظر : تنوير المقباس : ٢١١ .

(٣) ينظر معانيه : ٣ / ١٥٥ .

(٤) ينظر معانيه : ٢ / ٥٨ . وعبارته : " وهو فى المعنى كقولك : خذهم بالشدّة واللين " .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٦) ينظر : مدارج السالكين لابن القيِّم : ١ / ٤٤٩ .

وابن القيِّم هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، الحنبلي ، أبو عبد الله ، شمس الدين : الفقيه بل المجتهد المطلق ، المفسر النحوي ، الأصولي ، المتكلم ، الشهير بابن قيِّم الجوزية ، ألف تصانيف كثيرة منها : إعلام الموقعين ، والفوائد ، ومدارج السالكين وغير ذلك . ت سنة ٧٥١ هـ . ينظر : البداية والنهاية : ١٤ / ٢٣٤ ، الدرر الكامنة : ٥ / ١٣٧ ، النجوم الزاهرة : ١٠ / ٢٤٩ .

(٧) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٣ / ١٨٢) ، وابن أبي زمنين (٢ / ٣٦٢) ، والواحدي (١ / ٥٧٨) ، والبغوي (٣ / ٢٦) ، وابن عطية (٣ / ٣٢٤) ، والفخر الرازي (١٩ / ٦٦) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ١٥٩) ، والخازن (٤ / ٣٣) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٥) ، والسمين الحلبي (٤ / ٢٥١ ، ٢٥٢) ، والبقاعي (٤ / ١٧٠) ، وابن عادل (١١ / ٣٤١) ، وأبو السعود (٥ / ٣٣) ، والخطيب الشربيني (٢ / ١٩١) ، والآلوسي (١٣ / ١٨٨) ، والسعدي (٤٢٢) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٨٨) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ١٩٠) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٥١٧ ، ٥١٨) .

(٨) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٤١ ، السراج المنير : ٢ / ١٩١ .

ودليلهم :

ما رواه **الإمام مسلم** [١] عن أُبَيُّ بن كَعْب ﷺ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « أنه بَيْنَمَا مُوسَى عليه السلام فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَأَيَّامُ اللَّهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ .... » [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح هو القول الثالث ، فأيام الله تعمُّ النعم والنقم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : صحة الحديث المستدل به لهذا القول والذي أخرجه **الإمام مسلم** في صحيحه ، ويقدم على الحديث المستدل به للقول الأول والذي أخرجه **الإمام أحمد** [٣] في مسنده ؛ فمعناه صحيح لكن إسناده ضعيف ؛ كما ذُكر .

ثانياً : الحديث المستدل به للقول الأول صحيح ، وإن صحَّ الحديث فعليه الفتوى ، لكن الآية هنا بصدد الاعتبار من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى بعد ، وهو يبعد صحة الحديث [٤] .

ثالثاً : لفظة (الأيام) تعم المعنيين (النعم والنقم) لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً [٥] .

---

(١) **الإمام مسلم** هو : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري ، أبو الحسين : حافظ ، من أئمة المحدثين . ولد بنيسابور ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وتوفي بظاهر نيسابور . أشهر كتبه : صحيح مسلم ، جمع فيه اثني عشر ألف حديث ، كتبها في خمسة عشر سنة ، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السُّنة في الحديث ، وقد شرحه كثيرون . ت سنة ٢٦١ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٣ / ١٠٠ – ١٠٣ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ٥٨ / ٨٥ – ٩٥ ، المنتظم : ١٢ / ١٧١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠) : ٤ / ١٨٥٠ .

(٣) **الإمام أحمد بن حنبل** هو : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبد الله المروزي البغدادي ، إمام أهل السُّنة والجماعة ، وإمام أهل الحديث في زمانه، امتحن بخلق القرآن فثبت ، صاحب المناقب والفضائل ، ت سنة ٢٤١ هـ . ينظر : الحلية : ٩ / ١٦١ – ٢٣٣ ، الوافي بالوفيات : ٦ / ٢٢٥ – ٢٢٨ ، السِّير : ١١ / ١٧٧ – ٣٥٨ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ١٣ / ١٨٨ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٥ .

رابعاً : التفسير بواقع الحال : وذلك أن أيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان أيام المحنة والبلاء ؛ وهي الأيام التي كانت بنو إسرائيل فيها تحت قهر فرعون ، ومنها ما كان أيام الراحة والنعماء ، مثل : إنزال المن والسلوى ، وانفلاق البحر ، وتظليل الغمام [١] .

خامساً : القرينة القرآنية :

وهي قوله تعالى في ختام الآية : ﴿ ... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ وصبار ، وشكور ، صفتا مبالغة ، وهما مشعرتان بأنّ أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعماؤه ، أي : صبار على بلائه ، شكور لنعمائه . فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم ، أو بما أفاض عليهم من النعم ، تنبه على ما يجب عليه من الصبر إذا أصابه بلاء ، من والشكر إذا أصابته نعماء [٢] .

سادساً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٩٠ ، ١٩١ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ . [آية : ٧] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ كفر النعم ؛ فقال : ((يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر بالإيمان ، **والأول أرجح** لمقابلته بالشكر)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف **المفسرون في المراد بالكفر** [٢] هنا على قولين :

القول الأول : المراد **كفران النعم** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٢) **الكُفْرُ في اللغة** ، بالضَّمِّ : **ضِدُّ الإيمان** ، ويُفتَحُ ، وأَصلُ الكُفْرِ من الكَفْرِ بالفتح مَصدَر كَفَرَ بمعنى السَّتْر ، كالكُفور والكُفران بضَمِّهما ، والكُفْرُ : **كفر النعمة** ، وهو نقيض الشكر . ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص ، والزراع لستره البذر في الأرض ، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٩٤] . والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها ، وقد يقال كفر لمن أخل بالشريعة وترك ما لزمه من شر الله عليه ، ومن ذلك سمي الكافر كافرا لأنه ستر نعم الله ﷻ . قال الأزهري : ونعمه آياته الدالة على توحيده ، والنعم التي سترها الكافر هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة والكتب المترلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة ، فمن لم يصدق بها وردها فقد كفر نعمة الله أي سترها وحجبها عن نفسه . والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا ، والكفر في الدين أكثر ، والكفور فيهما جميعا . ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود ، قال : ﴿ ... وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٤١] . أي جاحد له وساتر ، والكفور المبالغ في كفران النعمة وقوله : ﴿ ... إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ . [سورة الحج : ٦٦] . والكفار في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً كقوله : ﴿ ... أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ... ﴾ . [سورة الفتح : ٢٩] . وقوله في نفس الآية : ﴿ ... لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ... ﴾ . والكفرة في جمع كافر النعمة أشد استعمالاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ . [سورة عبس : ٤٢] . ينظر (مادة : كفر) في : مفردات الرَّاغب : ٤٣٣ - ٤٣٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٥ / ١٤٤ - ١٤٧ ، تاج العروس للزبيدي : ١٤ / ٥٠ - ٥٣ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٤) منهم : الطبري (١٣ / ١٨٦) ، والثعلبي (٥ / ٣٠٦) ، والقشيري (٢ / ١١٧) ، والبغوي (٣ / ٢٧) =

لأن الكفر هنا مذكور في مقابلة الشكر [١] .

ووجه كون كفران النعم [٢] سبباً للعذاب : أنه لا يحصل الكفران إلاَّ عند الجهل بكون تلك النعمة من الله تعالى ، والجاهل بذلك جاهل بالله تعالى ، والجهل به سبحانه من أعظم أنواع العذاب [٣] .

القول الثاني : المراد الكفر بالإيمان ، قاله مقاتل [٤] ، والواحدي [٥] ، والقرطبي [٦] .

واحتمل **ابن عطية** و**الثعالبي** [٧] القولين .

قال **ابن عطية** :

" ومما يقضي بأن الشكر متضمن الإيمان أنه عادله بالكفر " . اهـ [٨] .

لكن بالرجوع للمعنى اللغوي للكفر ؛ فالكفر نقيض الإيمان ؛ لكنه يراد به أيضاً كفر النعمة وهو الأرجح لمقابلته الشكر كما ذكرنا .

= والزمخشري (٢ / ٥٠٩) ، والفخر الرازي (١٩ / ٦٨) ، والبيضاوي (٣ / ٣٣٩) ، والنسفي (٢ / ٢٢٤) ، والخازن (٤ / ٣٤) ، والنيسابوري (٤ / ١٧٣) ، وابن كثير (٢ / ٥٢٤) ، وأبو حيان (٥ / ٣٩٦) ، والبقاعي (٤ / ١٧٢) ، وابن عادل (١١ / ٣٤٣) ، والجلالين (٣٣٠) ، وأبو السعود (٥ / ٣٥) ، والخطيب الشربيني (٢ / ١٩٢) ، والشوكاني (٣ / ٩٤) ، والآلوسي (١٣ / ١٩١) ، والسعدي (٤٢٢) ، وسيد قطب (٤ / ٢٠٨٩) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ١٩٤) ، وطنطاوي (٢٤٠٨) .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٤ ، التسهيل : ٢ / ١٣٨ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٩٦ روح المعاني : ١٣ / ١٩١ .

(٢) قال سيد قطب : " والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها . أو بإنكار أن الله واهبها ، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي ! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله ! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد . وكله كفر بنعمة الله .. " . اهـ . الظلال : ٤ / ٢٠٨٩ . وقال الحرالي قبله : " شكر كل نعمة إظهارها على حدها من جاه أو مال أو علم أو طعام أو شراب أو غيره وإنفاق فضلها والقناعة منها بالأدنى " . اهـ . ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ) : ٦ / ١٦ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٦٨ ، روح المعاني : ١٣ / ١٩١ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٤ .

(٥) ينظر تفسيره : ١ / ٥٧٨ .

(٦) ينظر تفسيره : ٩ / ٣٤٣ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٧٥ .

(٨) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٤ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ كفر النعم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدَّم ولما يلي :

أولاً : كثرة القائلين به .

ثانياً : النظائر القرآنية :

- وقوله تعالى : ﴿ ... وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٥٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ . [سورة لقمان : ١٢] .
- كقوله تعالى : ﴿ ... وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ . [سورة النمل : ٤٠] .

ثالثاً : يؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ . [آية : ١٠] .

في الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى: في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ أفي وجود الله شك ، أو في إلهيته شك ؛ فقال :

((المعنى أفي وجود الله شك ، أو في إلهيته شك ، وقيل : في وحدانيته)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : **﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ مقدر فيه ضمير ، واختلف المفسرون في تقديره** على قولين :

القول الأول : أفي وجود الله شك أو في إلهيته شك ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه غير واحد من المفسرين [٣] .

القول الثاني : أفي وحدانيته شك [٤] للدلائل الظاهرة عليه ، قاله ابن عباس ﷺ [٥] ،

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٨ .

(٣) منهم : الطبري ، وابن عطية ، والنيسابوري . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٩٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٧٥ .

(٤) قال ابن عطية : " وقال أبو علي الفارسي تقديره : أفي وحدانية الله شك . وزعم بعض الناس أن أبا علي إنما فزع إلى هذه العبارة حفظاً للاعتزال ، وزوالاً عما تحتمله لفظة الألوهية من الصفات بحسب عمومها ، ولفظة الوحدانية مخلصة من هذا الاحتمال " . اهـ . ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٣٢٧ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢١١ .

ومقاتل [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

واحتمل القرطبي **وجهاً ثالثاً** : أفي **قدرة الله** شك ؛ لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها يدل عليه قوله : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ خالقها ، ومخترعها ، ومنشئها وموجدها بعد العدم ؛ لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة إلا له [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **المقدر في قوله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾ : أفي وجوده ووحدانيته والإيمان به وحده شك** ، وهو يجمع بين القولين الأول والثاني ، قال بذلك جماعة من المفسرين [٤] .

فمراد الرسل تنزيهه ﷻ عن شائبة الشك ، وتسجيلاً على أقوامهم بسخافة العقول ، وهو سبحانه أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب فمقصد الرسل الأقصى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر تفسيره : ١ / ٥٧٨ .

(٢) منهم : الواحدي ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والخطيب الشربيني ، والجلالين المحلى والسيوطي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ١٨٥ ، زاد المسير : ٤ / ٣٥٠ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٤٦ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٣ ، تفسير الجلالين : ٣٣٠ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٤٦ .

(٤) منهم : أبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٦ ، فتح القدير : ٣ / ٩٧ ، روح المعاني : ١٣ / ١٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ١٩٤ ، الوسيط : ٧ / ٥٢٨ .

(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٦ .

المسألة الثانية : في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ **أن المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ استبعاداً لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة** ؛ فقال : ((يحتمل أن يكون قولهم استبعاداً لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة ، أو يكون إحالة لنبوة البشر ، **والأول أظهر** ؛ لطلبهم البرهان في قولهم : ﴿ فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ ولقول الرسل : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ... ﴾ [١] أي : بالتفضيل والنبوة)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **في مراد الأقوام من قولهم لرسلهم : ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾** على قولين :

القول الأول : أن يكون قولهم **استبعاداً لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

قالوا لرسلهم : أنتم بشر في الهيئة والصورة ، تأكلون مما نأكل ، وتشربون مما نشرب ، وليستم ملائكة [٥] ، فلم تخصون بالنبوة دوننا ؟! ..

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام : ١١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٣٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٤) منهم : مقاتل ، الطبري ، والثعلبي ، البغوي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل الحنبلي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقاسمي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ١٨٥ ، تفسير الطبري : ١٣ / ١٩٠ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٠٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٨ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٧٥ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٨٠ ، ١٨١ ، البحر المحيط : ٥ / ٣٩٩ ، نظم الدرر : ٤ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٥٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٧ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٤ ، فتح القدير : ٣ / ٩٨ ، روح المعاني : ١٣ / ١٩٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٦ ، تفسير السعدي : ٤٢٢ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٠٠ ، الوسيط : ٧ / ٥٣٠ .

(٥) قال الزمخشري : " ولو أرسل الله إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة " . اهـ . =

القول الثاني : أن يكون قولهم **إحالة لنبوة البشر** [١] .

أي : أن نبوة البشر **مستحيلة** .

وظاهر القول الثاني لا يقتضي أنهم أغمضوا هذا الإغماض ، فأقوام الرسل يعلمون أنهم أنبياء ولكنهم يكابرون .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الأول ، وأن يكون مراد قول الأقوام لرسلهم : ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ استبعاداً لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : كثرة القائلين به .

ثانياً : إن الكفرة طلبوا من رسلهم الإتيان بآية فقالوا : ﴿ فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ ولو كانت بعثتهم عندهم محالاً لما طلبوا منهم حجَّة [٢] .

ثالثاً : **القرينة القرآنية** : قول الرسل لأقوامهم في الآية التي بعدها : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ... ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ١١] . أي : بالتفضيل والنبوة [٣] .

- ويحتمل أن طلبهم منهم السلطان إنما هو على جهة التعجيز ، أي : بعثتكم محال وإلا

= ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١١ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤١ . وقال الآلوسي : " والزمخشري تمالك في مذهبه حتى اعتقد أن الكفار كانوا يعتقدون تفضيل الملك " . اهـ . ينظر : روح المعاني : ١٣ / ١٩٧ . وينظر قبله السراج المنير : ٢ / ١٩٤ . ولكننا نجد القرآن الكريم يقص لنا في غير موضع تفضيل الأقوام نزول الملائكة عليهم ولكن نزول الملائكة يقتضي نزول العذاب ، كما أنه لو أنزل ملكاً لأنزله على هيئة بشر ليستطيعوا أن يخاطبوه وأن يفهموه .

(١) قال بعض الناس : قد ذهبوا بذلك مذهب البراهمة ، أو من يقول من الفلاسفة أن الأجناس لا يقع فيها هذا القياس . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٨ ، التسهيل : ٢ / ١٣٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٩ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٨ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ .

أي : إنكم لا تفعلون ذلك أبداً . فتقوى بهذا الاحتمال منحاهم إلى مذهب الفلاسفة [١] .

رابعاً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٢٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٣٩٩ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ[(١)] وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ . [آية : ١٢] .

مسألة : لم كرَّر الأمر [(٢)] بالتوكل في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن سبب تكرار الأمر بالتوكل راجع إلى قولهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ ﴾ أي : نتوكل على الله في دفع أذاكم ؛ فقال :

((إن قيل : لم كرَّر الأمر ؟ **فالجواب عندي** : أن قوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [(٣)] راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار بسلطان مبين ؛ أي : حجة ظاهرة ، فتوكل الرسل في ورودها على الله ، وأما قوله : ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فهو راجع إلى قولهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ ﴾ أي : نتوكل على الله في دفع أذاكم . وقال الزمخشري : إن هذا الثاني في معنى الثبوت على التوكل)) . اهـ [(٤)] .

الدراسة :

حقيقة التَّوَكُّل في اللغة [(٥)] : إِظْهارُ العَجْزِ وَالاعْتِمادُ عَلَى الغَيْرِ ، وَعِنْدَ أَهْلِ الحَقِيقَة ، هُوَ :

---

(١) أخرج المستغفري في الدعوات عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « وإذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ... ﴾ . الآية . فإن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا . ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمنا من شرها » . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٢ .

(٢) قال تعالى في الآية التي قبلها : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ١١] .

(٣) سورة إبراهيم عليه السلام : ١١ .

(٤) التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٥) ينظر : التعريفات للجرجاني : ٩٧ ، التعاريف للمناوي : ٢١٧ تاج العروس للزبيدي (مادة : وكل) : ٣١ / ١١٧ . وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدينا والآخرة كلها ووكلت الأمور كلها إليه ، ولا ينافي الأخذ بالأسباب . ينظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ت ٧٩٥ هـ) : ٤٣٦ ، ٤٣٧ . " و للتوكل مقامات : فتوكل المبتدىء قطع النظر عن الأسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب ، وتوكل المتوسط قطع تعلق الأسباب عن الأسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب ، وتوكل المتوسط قطع تعلق =

= الأسباب بالمسبب ، وتوكل المنتهي قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام ببابه " . اهـ . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٨٤ .

الثِّقَةُ بِمَا عِنْد اللهِ تَعالَى وَاليَأْسُ مِمَّا في أَيْدِي النَّاسِ . وقد ذكر المفسرون في **تكرار الأمر بالتوكل** قولين :

القول الأول : الأمر الأول **بالتوكل في ورود الرسل على الله** ، والثاني في **دفع أذى الكفار** وشرورهم ؛ **وهو ما رجّحه ابن جُزيّ** (١) ، ووافقه الفخر الرازي ، وابن عادل (٢) من المفسرين .

القول الثاني : الأمر الأول **لاستحداث التوكل** ، والثاني **للسعي في إدامته** وإبقائه وثبوته قاله **الزمخشري** (٣) ، وجماعة من المفسرين (٤) .

الـترجيح :

يظهر لي – **والله** أعلم – **أن تكرار الأمر بالتوكل في دفع أذى الكفار** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** وذلك لما يلي :

أولاً : قرينة السِّياق القرآني .

إن الأمر الثاني بالتوكل في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فهو راجع إلى قولهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ في نفس الآية ؛ أي : نتوكل على الله في دفع أذاكم (٥) .

قال **القاسمي** : " وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل ولذا قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ أي من الكلام السيء والأفعال السخيفة . وقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٧٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٥٤

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١١ .

(٤) منهم : البيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٥ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٨ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٥ ، روح المعاني : ١٣ / ١٩٩ . وكذلك صاحب الكليات ، ينظر : كليات الكفوي : ٦٣٠ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فيه اهتمام بالتوكل عليه سبحانه ، لأن مقام الدعوة تقتضيه . ولذا أعيد ذكره " . اهـ [١] .

ثانياً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير القاسمي : ١٠ / ١٧ .

والقاسمي هو : جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، من سلالة الحسين السبط : إمام الشام في عصره علماً بالدِّين وتضلعاً في فنون الأدب ، اطلع له الزِّركلي على ٧٢ مصنفاً ، منها : دلائل التوحيد ، والفتوى في الإسلام ، ومحاسن التأويل . ت سنة ١٣٣٢ هـ . ينظر : الأعلام للزِّركلي : ٢ / ١٣٥ ، مقدمة محاسن التأويل ، للقاسمي .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ . [آية : ١٦] .

مسألة : في معنى الوراء في قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن معنى الوراء ما يستقبل من الزمان ؛ فقال : ((والوراء هنا : بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل : معناه هنا أمامه ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل اللغة والمفسرون في **معنى (الوراء) هنا** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : (**الوراء**) هنا على بابه : **بمعنى ما يستقبل من الزمان** ، قاله مقاتل [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **السمين الحلبي** [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

ودليل هذا القول : إطلاق (**وراء**) بمعنى : بعد في القرآن ، وفي كلام العرب :

- **فمنه في القرآن** : قوله تعالى : ﴿ ... وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [٦] . أي : من بعده [٧] .
- ومنه **في كلام العرب** : قول النابغة الذبياني [٨] :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس **وراء** الله للمرء مذهب

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٣٩ .

(٤) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٥٧ .

(٥) منهم : ابن أبي زمنين ، وابن عطية ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٠ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٠ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٩ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٠ .

(٦) سورة إبراهيم عليه السلام : ١٧ .

(٧) ينظر : فتح القدير : ٣ / ١٠٠ .

(٨) ينظر ديوانه : ٦ .

أي : ليس بعد الله مذهب [١] .

قال **ابن عطية** : " وذلك أن التقدير في هذه الحوادث بالأمام والوراء **إنما هو بالزمان** ، وما تقدم فهو أمام ، وهو بين اليد ؛ كما تقول في التوراة والإنجيل : إنها بين يدي القرآن والقرآن وراءهما على هذا ، وما تأخر في الزمان فهو وراء المتقدم ، ومنه قولهم لولد الولد : الوراء . وهذا الجبار العنيد وجوده وكفره وأعماله في وقت ما ؛ ثم بعد ذلك في الزمان يأتيه أمر جهنم .

وتلخيص هذا : أن يشبه الزمان بطريق تأتي الحوادث من جهته الواحدة متتابعة ، فما تقدم فهو أمام ، وما تأخر فهو وراء المتقدم ، وكذلك قوله : ﴿ ... **وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾ . [سورة الكهف : ٧٩] . أي : غصبه وتغلبه يأتي بعد حذرهم وتحفظهم " . اهـ [٢] .

القول الثاني : (**الوراء**) هنا بمعنى : **أمام** [٣] ، أي : أمامه جهنم وهو صائر إليها ، قاله ابن عباس ﷺ [٤] ، وذهب إليه النحاس [٥] ، والفَرَّاء [٦] ، و**الأخفش** [٧] .

---

(١) ينظر : فتح القدير : ٣ / ١٠٠ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٤٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) وهو معنى قول الزمخشري وغيره : " من بين يديه ، وأنشد :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله في الدنيا ، لأنه مرصد لجهنم ، فكأنها بين يديه وهو على شفيرها ، أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف " . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٣ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠١ .

(٤) ولفظه : " من قدام هذا الجبار بعد الموت " . ينظر : تنوير المقباس : ٢١٢ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٥٢٢ .

(٦) قال الفَرَّاء : ولا يجوز أن تقول لرجل وراءكَ : هو بين يديك ، ولا لرجل بين يديك : هو وراءك ، إنما يجوز ذلك فى المواقيت من الأيّام والليالى والدهر أن تقول : وراءك بَرْد شديد ، وبين يديك بَرْد شديد ؛ لأنك أنت وراءهُ فجاز لأنه شيء يأتى ، فكأنه إذا لحقك صَار من ورائِك ، وكأنك إذا بلغته صَار بين يديك . فلذلك جاز الوجهان . ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء ، عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ : ٢ / ١٣١ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٥٩٨ .

والأخفش هو : سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي ، أبو الحسن البصري ، **الأخفش الأوسط** ، إمام في النحو ، عالم باللغة والأدب ، وهو صاحب المعاني ، ت سنة ٢١٥ هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : المعارف : ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، السِّير :١٠ / ٢٠٦ - ٢٠٨ ، البلغة : ١٠٤ ، ١٠٥ .

وذهب إليه **أكثر** [١] المفسرين [٢] .

ودليل هذا القول : إطلاق (وراء) بمعنى : أمام **في القرآن** ، **وفي كلام العرب** :

- **فمنه في القرآن** : قوله تعالى : ﴿ ... وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ . [سورة الكهف : ٧٩] . أي : أمامهم ملك . وكان ابن عباس رضي الله عنه يقرؤها : (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) [٣] .

- ومن إطلاق (وراء) بمعنى أمام **في كلام العرب** قول لبيد [٤] :

أليس ورائي إن تراخت منيتي   لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

وقول الفرزدق :

جو بنو مروانَ سَمْعي وطاعتي   وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا [٥]

وقوله الآخر [٦] :

---

(١) نسب السمعاني هذا القول إلى أكثر المفسرين ، ينظر تفسيره : ٣ / ١٠٩ .

(٢) منهم : الطبري ، الثعلبي ، الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والقمي النيسابوري ، وابن كثير ، وابن عادل الحنبلي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٩٤ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٠٩ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٠٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩ ، الكشاف : ٢ / ٥١٣ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٨١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٨٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٢٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٥٨ ، تفسير الجلالين : ٣٢٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٩ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٦ ، روح المعاني : ١٣ / ٢٠١ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٤٥ ، الوسيط : ٧ / ٥٣٧ . وينظر : خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي : ٢ / ٣٧٣ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٩٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٢٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٤٥ . وقراءة ابن عباس رضي الله عنه قراءة بالغة الشذوذ تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٤٢ ، ولم أقف عليها في محتسب ابن جني ولا مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن . وقد أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسير هذه الآية .

(٤) ينظر ديوانه : ٤٦ .

(٥) نسبه ابن دريد في جمهرة اللغة (٢ / ١٠٦٩) إلى الفرزدق ؛ ولم أقف عليه في ديوانه .

(٦) البيت لم أهتد لقائله ، وذكره غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٠ .

ومن ورائك يوم أنت بالغه لا حاضر معجز عنه ولا باد

فوراء بمعنى : أمام في الأبيات .

القول الثالث : الوراء **من الأضداد** لأن أحدهما ينقلب إلى الآخر ، **ويقع على الخلف والقدَّام** ، قاله جماعة من أهل اللغة [١] ، **والعز بن عبد السلام** [٢] .

وأنكره ثعلب والزَّجَّاج [٣] . قالوا : ليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة ، ولكنه اسم لما توارى عنك ؛ سواء كان أمامك أو خلفك .

أى : استتر فصارت جهنم من ورائه لأنها لا ترى [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **معنى (الوراء) هنا في قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ يقع على ما يستقبل من الزمان وعلى الأمام جميعاً** ، فلكل من القولين أدلته من القرآن ومن كلام العرب ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ؛ ما يلي :

أولاً : أن كل ما يستقبل من الزمان فهو أمام الإنسان سواء كان قريباً أو بعيداً ، ولا يشترط أن يكون حاضرا أمامه في الزمن القريب ، **فلا داعي لتضعيف ابن جُزيّ**

---

(١) منهم : أبو عبيدة ، وابن السِّكيت ، وقطرب ، وابن دريد ، والأزهري ، وابن منظور . ينظر : مجاز القرآن : ١ / ٣٣٧ . وينظر (مادة : وراء) في كل من : جمهرة اللغة : ٢ / ١٠٦٩ ، تهذيب اللغة : ١٥ / ٢١٩ ، لسان العرب : ١ / ١٩٣ ، تاج العروس : ١ / ٤٨٧ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٦١ .

(٣) نسب هذا الإنكار إلى ثعلب : أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤٠٢) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٤ / ٢٥٧) . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ١٥٧ .

وثعلب هو : أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي ، العلامة المحدث ، إمام النحو ، أبو العباس ، صاحب " الفصيح والتصانيف " ، ت سنة ٢٩١ هـ . ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : ٢ / ٦٦٦ ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح (ت ٨٨٤ هـ) : ١ / ٢٠٥ – ٢٠٨ ، طبقات الحفاظ للسيوطي : ٢٩٤ .

(٤) هذا قول النحاس والزَّجَّاج . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٥٧ . وينظر (مادة : وراء) في : لسان العرب لابن منظور : ١ / ١٩٣ تاج العروس للزبيدي : ١ / ٤٨٧ .

لـــ (**الأمام**) ؛ لأن ما يستقبل من الزمان يشمل أمامه أيضاً .

ثانياً : السِّياق القرآني : دلت الآية الكريمة على أن جهنم تنتظر هذا الجبار العنيد [(١)] ، وتترصد له ، بحيث لا يستطيع الفرار منها ، أو الهرب عنها ، إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد في الدنيا ، وهو يقف هذا الموقف ، ومن ورائه تخايل جهنم وصورته فيها ، فالمراد من الآية التنبيه من الغفلة فجهنم تترصد لكل جبار عنيد .. وهذا يتماشى مع كلا المعنيين للوراء [(٢)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) والذي جاء ذكره في الآية قبلها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ١٥] .

(٢) ينظر : الظلال لسيِّد قطب : ٤ / ٢٠٩٣ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٣ / ٢١٠ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٧ / ٥٣٧ .

قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ . [آية : ٢١] .

في الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا[١] **لِلَّهِ ﴾ خروجهم من قبورهم** ؛ فقال : ((أي : ظهروا ، ومعنى الظهور هنا : خروجهم من القبور وقيل : معناه صاروا بالبراز ، وهي الأرض المتسعة)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

برز في اللغة [٣] : الباء والراء والزاء أصل واحد ، وهو ظهور الشيء بعد خفاء .

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **وَبَرَزُواْ لِلَّهِ** ﴾ على قولين :

القول الأول : **معنى برزوا** : خروجوا من قبورهم إلى المحشر ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٤] ، ومقاتل [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

---

(١) الفائدة في الفعل الماضي إذا أخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقعا لتتريله مترلة الواقع ، وللإشعار بتحقيق الوقوع وثبوته وأنه كائن لا محالة . وهذا من أقسام المجاز في المفرد ، ويسمى اللغوي ، وهو : إستعمال اللفظ في غير ما وضع له أولا . ينظر : برهان الزَّركشي : ٣ / ٣٣٧ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٩٨ .

(٢) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة (مادة : برز) : ١٥ / ١٩ .

(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٢ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٧ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٧) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٩٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٣٩ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣١٢ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١١١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٠ ، زاد المسير : ٤ / ٣٥٦ =

القول الثاني : معنى برزوا : أي صاروا بالبُراز ، وهي الأرض المتسعة ، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً ، قاله غير واحد من المفسرين [١] . [٢]

قال أهل اللغة [٣] : يقال للمكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع : البُراز – وقيل بالفتح أيضاً – لظهوره .

القول الثالث : المعنى : بروزهم لله ، والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ، ويظنون أنّ ذلك خاف على الله ، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم ، وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية برزوا أو لم يبرزوا قاله غير واحد من المفسرين [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ﴾ يحتمل الأقوال الثلاثة** ؛ قاله **محمَّد سيِّد طنطاوي** [٥] ، فهي متلازمة يترتب بعضها على بعض ،

= تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٨ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤١ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٣ ، روح المعاني : ١٣ / ٢٠٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٦ .

(١) منهم : ابن عطية ، وابن كثير ، والثعالبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ١٠٣ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٢٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٧٩ .

(٢) قال أبو حيان : " وقال أبو عبد الله الرازي : تأويل الحكماء أنّ النفس إذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها ، وذلك هو البروز لله تعالى . وهذا الرجل كثيراً ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب ، والعرب لا تفهم شيئاً من مفاهيم أهل الفلسفة ، فتفسيرهم كاللغز والأحاجي ، ويسميهم هذا الرجل حكماء ، وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه " . اهـ . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٦ .

(٣) ينظر (مادة : برز) في كل من : العين للخليل بن أحمد : ٧ / ٣٦٤ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١٣ / ١٣٨ ، النهاية لابن الأثير : ١ / ١١٨ ، لسان العرب لابن منظور : ٥ / ٣٠٩ ، تاج العروس للزبيدي : ١٥ / ١٩ .

(٤) منهم : النيسابوري ، والبقاعي ، والشوكاني . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٨٧ ، نظم الدرر : ٤ / ١٨٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٣ .

(٥) ينظر : الوسيط : ٧ / ٥٤٢ ، ٥٤٣ .

ومحمَّد سيِّد طنطاوي هو : شيخ الأزهر الشريف . وُلد الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى بقرية سليم الشرقية مركز طما محافظة سوهاج ، عُين مدرسا بكلية أصول الدين ، ثم عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط ، ثم عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، ثم مفتياً لجمهورية مصر العربية ، ثم عُين شيخاً للأزهر الشريف في ٢٧ مارس ١٩٩٦ م . ينظر : موقع : أعلام وشخصيات مصرية .

فالبروز في اللغة : الظهور بعد الاستتار ، والخلق لم يكونوا عن الحقِّ ﷻ متسترين حتى يظهروا له ، **فيكون معنى البروز لله إما :**

١. صاروا بالبراز ، وهي الأرض المتسعة ، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً واستعير ذلك لجمع يوم القيامة [١] . **وهذا المعنى تؤيده اللغة كما سبق وبيَّنت .**

٢. خروج الناس من قبورهم لحساب الله وحكمه [٢] . **وهذا المعنى يؤيده السِّياق القرآني** قال تعالى في تتمة الآية يحكي تخاصم الأتباع الضعفاء والمستكبرين القادة وأهل الرأي سواء في الموقف أو في النار [٣] . وهذا لن يكون إلا بعد خروج الناس من قبورهم : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ . [آية : ٢١] . مما يدل على أن بروزهم هذا يوم القيامة [٤] للحساب .

٣. الانكشاف عند الله تعالى [٥] ؛ فالخلق كانوا يستترون من الغير عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا عند الله تعالى ، وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية ، فصاروا كأنهم ظهروا لله [٦] . [٧]

وذلك كما ذكره بعض أهل اللغة : أن البروز : الخروج من كل شيء يواري في براز من الأرض ، وهو الذي لا يكون فيه ما يتوارى فيه عن عين الناظر . وبرز : حصل في براز ، وذلك إما :

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ١٠٣ .

(٢) قال القاسمي بالقول الأول والثاني . ينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) اختلف المفسرون هل هذا التخاصم يوم الحشر في موقف العرض أو في النار مما لا مجال لتفصيله هنا .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٧ ، الكشاف : ٢ / ٥١٥ .

(٥) ينظر (مادة : برز) في كل من : مفردات للرَّاغب :٤٣ ، التعاريف للمناوي : ١ / ١٢٧ .

(٦) ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٢١ ، الظلال : ٤ / ٣٩٧ .

(٧) قال بالقولين الأخيرين كل من : الفخر الرازي ، والنسفي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٨٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٦٦ ، السراج المنير : ٢ / ١٩٩ ، ٤٢٢ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢ ، ٢٣ .

- أن يظهر بذاته : نحو : ﴿ ... وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ... ﴾ [١] . ومنه المبارزة للقتال : وهو الظهور من الصف .
- وإما أن يظهر بفضله : وهو أن يسبق في فعل محمود .
- وإما أن ينكشف عنه ما كان مستوراً منه ، ومنه هذه الآية ، قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ... ﴾ [٢] .

فالأقوال الثلاثة محتملة ؛ فهي متلازمة يترتب بعضها على بعض ؛ فهم يخرجون من قبورهم ، ثم يحشرون للحساب في الموقف ، وينكشف أمرهم الذي كانوا عليه في الدنيا ويتخاصم الضعفاء مع المستكبرين . والمعاني الثلاثة تتلاقى .

والله تعالى أعلم بالصواب .

المسألة الثانية : في معنى ﴿ مِن ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ ... فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية زائدة ؛ فقال : ((﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية للتبعيض ، ويجوز أن يكونا للتبعيض معاً ، قاله الزمخشري . **والأظهر** أن الأولى للبيان ، والثانية زائدة . والمعنى : هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئاً من عذاب الله)) . اهـ [٣] .

---

(١) سورة الكهف : ٤٧ .

(٢) ينظر (مادة : برز) في كل من : مفردات الرَّاغب :٤٣ ، التعاريف للمناوي : ١ / ١٢٧ .

(٣) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

الدراسة:

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مِن ﴾** في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۚ ﴾ على قولين :

القول الأول : ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية للتبعيض [١] ، كأنه قيل : فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ، **أو يكونا للتبعيض معاً** [٢] ، أي : فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ، أي : بعض بعض عذاب الله ، قاله **الزمخشري** [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

✖ **واعتُرض بأن :**

" هذا يقتضي التقديم في قوله : ﴿ مِن شَيۡءٍ ﴾ على قوله : ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ لأنه جعل ﴿ مِن شَيۡءٍ ﴾ هو المبين بقوله : ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ . و (من) التبيينية مقدم عليها ما تبيِّنه ولا يتأخر " [٥] .

✓ **وتعقَّبه السمين الحلبي** فقال :

" كلام الزمخشري صحيح من حيث المعنى ؛ فإن ﴿ مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ لو تأخر عن ﴿ شَيۡءٍ ﴾ كان صفة له ، ومبيناً ، فلما تقدم انقلب إعرابه من الصفة إلى الحال ، وأما معناه وهو البيان فباق لم يتغير " . اهـ [٦] .

---

(١) قال بهذا القول كل من الخازن (و لم يحدد أهي (من) الأولى أم الثانية) ، والجلالين . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٣٨ ، تفسير الجلالين : ٣٣٣ .

(٢) قال بكونهما للتبعيض معاً : الفخر الرازي ، والخازن . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٨٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٨ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٥ .

(٤) منهم : البيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والجلالين ، والشوكاني ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول الزمخشري . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤١ ، تفسير الجلالين : ٣٣٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٣ ، الوسيط : ٧ / ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

(٥) البحر المحيط : ٥ / ٤٠٧ .

(٦) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٠ . قال الآلوسي : " وقد أجاز جماعة تقديم (من) البيانية ، وصُحِّح ذلك ؛ لأنه إنما يفوت بالتقديم الوصفية لا البيانية ، وكذا أجاز كثير كابن كيسان وغيره تقديم الحال على صاحبها المجرور ، فلعل الذاهب إلى هذا الوجه في الآية يرى رأي المجوزين لكل من التقديمين " . اهـ . ينظر : روح المعاني : =

وأما قول الزمخشري : **ويجوز أن يكونا للتبعيض معاً** ، بمعنى : هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ؛ أي : بعض بعض عذاب الله .

فأجيب عليه بما يلي :

١. " وهذا يقتضى أن يكون بدلاً ، فيكون بدل عام من خاص ، وهذا لا يقال ؛ فإن بعضيه الشيء مطلقة ، فلا يكون لها بعض " [١] .

٢. " ولا معنى له ، وفيه أنه يفيد المبالغة في عدم الغناء كقولهم : أقل من القليل ، فنفى المعنى لا معنى له " [٢] .

✓ وردَّ السمين الحلبي فقال : " لا نزاع أنه يقال : بعض البعض ، وهي عبارة متداولة ، وذلك البعض المتبعض هو كل لأبعاضه بعض لكله ، وهذا كالجنس المتوسط ، هو نوع لما فوقه جنس لما تحته " . اهـ [٣] .

القول الثاني : ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية زائدة .

والمعنى : هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئاً من عذاب الله ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه أبو حيان ، والطاهر بن عاشور من المفسرين [٥] .

و ﴿ مِن ﴾ في ﴿ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : أن تتعلق بمحذوف ؛ لأنها في الأصل صفة لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ فلما تقدمت نصبت على الحال .

والثاني : أنها تتعلق بـ ﴿مُّغْنُون ﴾ على أن يكون ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ واقعاً موقع المصدر ، أي

= ١٣ / ٢٠٦ .

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٧ .

(٢) روح المعاني : ١٣ / ٢٠٦ .

(٣) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٠ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٥) وقال الطاهر بن عاشور : " (من) الأولى بدلية ، أي غناء بدلا من عذاب الله ، والثانية مزيدة " . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٦ ، ٢١٧ .

: غراء . و ﴿ مِن ﴾ في ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ لاستغراق الجنس ، صلة للتوكيد [١] .

ويوضح هذا **ما قاله أبو البقاء** حيث قال :

" و ﴿ مِن ﴾ زائدة أي شيئاً كائناً من عذاب الله ، ويكون محمولاً على المعنى ، تقديره : هل تمنعون عنا شيئاً ؟ ويجوز أن يكون ﴿ شَيْءٍ ﴾ واقعاً موقع المصدر ، أي : غراء ، فيكون ﴿ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ متعلقاً بـ ﴿مُّغْنُون ﴾ " . اهـ [٢] .

ومسوغ الزيادة كون الخبر في سياق الاستفهام ، فك أن الاستفهام دخل عليه وباشره ، وصارت الزيادة هنا كالزيادة في تركيب : فهل تغنون [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ مِن ﴾ الأولى للبيان ، والثانية استغراقية** لتأكيد المعنى ، ومعنى الاستغراق أنها تستغرق جميع أفراد النكرة ، ولا داعي للقول بالزيادة ، وتكون أعمق في المعنى المراد وهو التأكيد ، تنزيها للقرآن عن القول بالزيادة ، فلا زائد في القرآن ، ويتجنب القول بالزائد في القرآن الكريم [٤] .

---

(١) الوجه الثاني هو قول الحوفي نقله عنه السمين الحلبي . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٠ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء ، عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ) : ٢ / ٧٦٧ .

(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٧ .

(٤) مَسْأَلَةٌ لا زَائِدَ فِي الْقُرْآنِ :
قال الزركشي : " وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فيه زَائِدٌ إلَّا بِتَأْوِيلٍ ، لِأَنَّ يقول إنَّ وَاضِعَ اللُّغَةِ لَا يَجُوزُ عليه الْعَبَثُ ؛ فَلَيْسَ فيها لَفْظٌ زَائِدٌ لَا لِفَائِدَةٍ . وَقَوْلُ الْعُلَمَاءِ : (ما) زَائِدَةٌ و (الباء) زَائِدَةٌ وَنَحْوَهَا ؛ فَمُرَادُهُمْ : أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَخْتَلُّ مَعْنَاهُ بِحَذْفِهَا ؛ أَيْ : لَا تَتَوَقَّفُ دَلَالَتُهُ على مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ على ذِكْرِ ذلك الزَّائِدِ ؛ لَا أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فيه أَصْلًا ، فإن ذلك لَا يَجُوزُ من وَاضِعِ اللُّغَةِ فَضْلًا عن كَلَامِ الْحَكِيمِ ، وَجَمِيعُ ما قِيلَ فيه زَائِدٌ فَفَائِدَتُهُ التَّوْكِيدُ ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ في الْكَلَامِ تَقْتَضِي أَنَّ ذلك لم يَصْدُرْ عن غَفْلَةٍ ، وَإِنَّمَا صَدَرَ عن قَصْدٍ وَتَأَمُّلٍ ، وَذَلِكَ من فَوَائِدِ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ .
وقال ابن الْخَشَّاب في (الْمُعْتَمَدِ) : اُخْتُلِفَ في هذه الْمُسَاوَاةِ ، فَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إلَى جَوَازِ إطْلَاقِ الزَّائِدِ في الْقُرْآنِ نَظَرًا إلَى أَنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ الْقَوْمِ وَبِمُتَعَارَفِهِمْ ، وهو في كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ ، وَلِأَنَّ الزِّيَادَةَ بِإِزَاءِ الْحَذْفِ هذا لِلِاخْتِصَارِ وَالتَّخْفِيفِ ، **وَذَلِكَ لِلتَّوْكِيدِ وَالتَّوْطِئَةِ** ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ في التَّنْزِيلِ مَحْذُوفَاتٍ جَاءَتْ لِلِاخْتِصَارِ لِمَعَانٍ رَائِقَةٍ فَكَذَلِكَ تَقُولُ في الزِّيَادَةِ ، وَمِنْهُمْ من لَا يَرَى الزِّيَادَةَ في شَيْءٍ من الْكَلَامِ ، وَيَقُولُ هذه الْأَلْفَاظُ التي يَحْمِلُونَهَا على الزِّيَادَةِ جَاءَتْ لِفَوَائِدَ وَمَعَانٍ تَخُصُّهَا ؛ فَلَا أَقْضِي عليها بِالزِّيَادَةِ ، وَمِمَّنْ كان يَرَى هذا **أبو مُحَمَّدٍ عبد اللَّهِ بن دُرُسْتَوَيْهِ** وكان عَالِيًا في هذا الْبَابِ مُغَالِيًا في عِلْمِ الِاشْتِقَاقِ ، وكان يُزَاحِمُ الزَّجَّاجَ فيه بِمَنْكِبِهِ ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ نَاظَرَهُ فيه .
قال ابن الْخَشَّابِ : وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ إنْ أَرَادَ الْقَائِلُ بِالزِّيَادَةِ إثْبَاتَ مَعْنًى لَا حَاجَةَ إلَيْهِ فَهَذَا بَاطِلٌ ، وَلَا يَقُولُهُ أَحَدٌ لِأَنَّهُ =

فالضعفاء يخاصمون المستكبرين قائلين : هل أنتم مغنون عنَّا أي شيء من عذاب الله .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= عَبَثٌ ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ إِلَيْنَا بِهِ حَاجَةً ؛ لَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَشْيَاءِ قد تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَقْصِدِ ؛ فَلَيْسَتْ الْحَاجَةُ إلَى اللَّفْظِ الذي عَدَّ هَؤُلَاءِ زِيَادَةً كَالْحَاجَةِ إلَى اللَّفْظِ الذي رَأَوْهَا مَزِيدَةً عليه ؛ لِأَنَّ هذا بِالِاتِّفَاقِ مِنَّا وَمِنْهُمْ إنْ اخْتَلَّ اخْتَلَفَتْ بِهِ الْفَائِدَةُ فلم يَكُنْ الْكَلَامُ دُونَهُ كَلَامًا ، وَالَّذِي سَمَّوْهُ زَائِدًا إنْ اخْتَلَّ بِهِ كانت الْفَائِدَةُ دُونَهُ ، وَالْجُمْلَةُ مُقْتَصَرًا بها على ما يُمَيِّزُهُ أَكْثَرِيَّةُ فَائِدَةٍ وَأَقْرَبُ ، وَعَلَى هذا يَرْتَفِعُ الْخِلَافُ " . اهـ . ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزَّركشي : ١ / ٣٧١ . وللمزيد ينظر : (زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم) ، رسالة دكتوراه في جامعة أمّ القرى ؛ للدكتورة : هيفاء عثمان عباس فدا ، ناقشت الرسالة ١٤١٦ هـ .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ .[آية : ٢٢] .

مسألة : في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجح ابن جُزيّ أن ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ ؛ فقال : ((﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ ، ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿ كَفَرْتُ ﴾ ، **والأول أظهر وأرجح**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف السلف وأهل اللغة والمفسرون **في متعلق ﴿ مِن قَبْلُ ﴾** على قولين :

القول الأول : (ما) مصدرية ، و **﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾** ؛ أي : كفرت اليوم بإشراككم إيايَّ مع الله من قبل هذا اليوم ، أي : في الدنيا [(٢)] ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٣)] ، والحسن [(٤)] ، ومقاتل [(٥)] ، **والثَّوري** [(٦)] ، وذهب إليه الزَّجَّاج والنحاس [(١)] ، **وهو**

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٢٠٢) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ١٩) إلى ابن أبي حاتم . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٣ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٢٠٢) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ١٩) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٨ .

(٦) نسبه إليه القرطبي . ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٨ . ولم أقف عليه في تفسيره .

والثَّوري هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله : أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى . ت سنة ١٦١ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٤ / ٩٢ ، تاريخ بغداد : ٩ / ١٥١ ، ١٥٢ ، الأنساب للسمعاني : ١ / ٥١٧ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ (٢) ، ووافقه جماعة المفسرين (٣) .

القول الثاني : (ما) في ﴿ بِمَآ ﴾ موصولة بمعنى (من) ، و ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ ﴿ كَفَرْتُ ﴾ ، أي : كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم عليه السلام بالذي أشركتمونيه (٤) وهو الله عز وجل ، أي : كفرت قبل كفركم (٥) ، قاله قتادة (٦) ، وذهب إليه الفَرَّاء (٧) ، والعز بن عبد السلام (٨) من المفسرين (٩) .

✖ **واعتُرض بأن :**

١ . هذا القول بعيد ؛ لأن قصة السجود لآدم ليست في هذا السِّياق .

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٦٠ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٥ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٣) منهم : الطبري ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي والفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢٠٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٤٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٧ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣١٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٢ ، الكشاف : ٢ / ٥١٨ ، زاد المسير : ٤ / ٣٥٧ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٩١ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٩ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٠٩ ، نظم الدرر : ٤ / ١٨٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٠١ ، تفسير الجلالين : ٣٣٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٤ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٥ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١١ ، تفسير السعدي : ٤٢٥ ، الظلال : ٤ / ٢٠٩٧ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢١ ، الوسيط : ٧ / ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

(٤) تقول : أشركني فلان ، أي : جعلني له شريكاً ، ومعنى إشراكهم الشيطان بالله : طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠٩ .

(٥) قال الفخر الرازي : " ووجه نظم الكلام على هذا التفسير أن إبليس كأنه يقول : لا تأثير لوسوستي في كفركم بدليل أني كفرت بالله قبل أن كفرتم ، وما كان كفري بسبب وسوسة أخرى وإلا لزم التسلسل فثبت بهذا أن سبب الوقوع في الكفر شيء آخر سوى ال وسوسة " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٩١ . قال النيسابوري : " وهذا التقرير يناسب أصول الأشاعرة " . اهـ . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ /١٩٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٢٠٢) .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٦٣ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ١٦٣ .

(٩) قال بجواز القولين كل من : الماوردي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي النيسابوري ، والسمين الحلبي ، وأبو السعود . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٣١ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٤ التفسير الكبير : ١٩ / ٩١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ /١٩٠ ، الدر المصون : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤٣ .

٢. إن في هذا القول ضعْف ، لأن فيه إطلاق (ما) على الله تعالى ، و (ما) الأصح فيها أنها لا تطلق على آحاد من يعلم [١] .

✓ **وأجيب بأن :**

" نحو (ما) هذه – يعني في إطلاقها على الله – (ما) في قولهم : سبحان ما سخركن لنا " [٢] .

" فيكون تعليلاً لعدم إصراخه ، فإن الكافر بالله سبحانه بمعزل من الإغاثة والإعانة ؛ سواء كان بالمدافعة أو الشفاعة ، وأما جعله تعليلاً لعدم إصراخهم إياه فلا وجه له ؛ إذ لا احتمال له حتى يحتاج إلى التعليل ، ولأن تعليل عدم إصراخهم بكفره يوهم أنهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته " [٣] .

✗ **وقد منع بعضهم** إطلاق (ما) على الله تعالى : فجعل (سبحان) علماً على معنى التسبيح كما جعل (برة) علماً للمبرة . و (ما) مصدرية ظرفية ، ويكون ذلك من إبليس إقراراً على نفسه بكفره الأقدم [٤] .

✓ **وجوَّز أبو البقاء** [٥] القولين .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن القول الأول هو الراجح ؛ فيكون ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾** ، أي : كفرت اليوم بإشراككم إياىَّ مع الله من قبل هذا اليوم ، أي : في الدنيا ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة على ما تقدم لما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : هذا القول أوفق بسياق الآية ، فقد حكى الله ﷻ ما سيقوله

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٠٩ .

(٢) الكشاف : ٢ / ٥١٨ .

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٤٣ .

(٤) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٠٩ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٧٦٨ .

الشيطان يوم القيامة لمن جعله شريكاً لله في عبادته في الدنيا ، وتبرؤه منهم لينظر السامعين في عاقبتهم ويستعدوا لما لا بدّ لهم من الوصول إليه ، وأن يتصوّروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول ، فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم [1] .

ثانياً : من اللغة :

١. قال أهل اللغة : أن معنى : ﴿ كَفَرْتُ ﴾ : تبرأت [2] . ولو قلنا بالقول الثاني فإن (تبرأت) مع القول الثاني لا يصح ولا يستقيم بها المعنى .

٢. لقرب الجار والمجرور ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من الفعل ﴿ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ أكثر من الفعل ﴿ كَفَرْتُ ﴾ ، والجار والمجرور يتعلقان دائماً بالفعل الأقرب .

ثالثاً : النظائر القرآنية : كقوله تعالى : ﴿ ... وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ . [سورة فاطر : ١٤] . ومعنى كفره باشراكهم اياه : تبرؤه منه واستنكاره له .

رابعاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

حمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً [3] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الكشاف : ٢ / ٥١٨ . بتصرف يسير .

(٢) قاله مقاتل في تفسيره (٢ / ١٨٨) ، ونسبه إلى القتبي السمر قندي في تفسيره (٢ / ٢٤٠) . وينظر (مادة : كفر) في كل من : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لأبي منصور ، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) : ٣٧٣ ، لسان العرب لابن منظور : ٥ / ١٤٥ ، تاج العروس للزبيدي : ١٤ / ٦٣ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسّبت : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . [آية : ٢٣] .

مسألة: في متعلق قوله تعالى : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أُدۡخِلِ ﴾ ؛ فقال : ((﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أُدۡخِلِ ﴾ ، أو بـ ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ ، **والأول أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة:

اختلف أهل اللغة والمفسرون في متعلق **﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾** على قولين :

القول الأول : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ **يتعلق بـ ﴿ أُدۡخِلِ ﴾** [٢] . أي : أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

القول الثاني : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ **يتعلق بـ ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾** ، حكاه ابن جُزيّ [٥] وغيره .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) قرأ الحسن ، وعمرو بن عبيد : (وأَدخل) بهمزة المتكلم مضارع ، أي : وأدخل أنا . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : المحتسب لابن جني : ١ / ٣٦١ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٧٦٨ ، اتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٤٢ . وعلى هذه القراءة فقوله : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ متعلق بما بعده ، أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم . يعني : أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٩٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤١٠ . قال السمين الحلبي : " وقد عَلَّقه غيرُ الزمخشري بأُدْخِلُ ، ولا تنافرَ في ذلك ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يعلم أن المتكلم – في قوله : وأُدْخِلُ أنا – هو الربُّ تعالى . وأحسنُ من هذين أن تتعلَّقَ في هذه القراءة بمحذوفٍ على أنه حالٌ " اهـ . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٢٦٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٤) منهم : الزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٨ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٢٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ١٩٠ ، البحر المحيط : ٥ /٤١٠ ، الدر المصون : ٤ / ٢٦٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٧٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٤٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٠٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٦ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١٢ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

✓ قال السمين الحلبي : " وليس بممتنع " . اهـ [١] .

وهذ القول له نظير في القرآن :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ . [سورة هود : ١٠٨] .

فعلق ﷻ الخلود بالمشيئة في هذه الآية .

✍ **وجوَّز العكبري** [٢] القولين .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن قوله تعالى : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ يتعلق بـ ﴿ أُدْخِلِ ﴾ أي : أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة على ما تقدم لما يلي :

أولاً : لا خلود إلا بدخول الجنة أولاً ، فدخول الجنة هو الأصل وهو الذي لا يكون إلا بإذن الله وأمره ، وبفضله ورحمته ، فبعد دخول الجنة بإذن الله ورحمته يكون الخلود فيها .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

حمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الدر المصون : ٤ / ٢٦٦ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ٧٦٨ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ . [آية : ٢٤] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن المراد بالكلمة الطيبة : لا إله إلا الله ؛ فقال : ((قال ابن عباس وغيره هي : لا إله إلا الله . وقيل : كل حسنة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالكلمة الطيبة** [٢] على أقوال منها :

القول الأول : هي : لا إله إلا الله ، وهي كلمة التوحيد ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، ومقاتل [٤] ، وجماعة [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جمهور** [١] المفسرين [٢] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) الطيبة : النافعة . استعير الطيب للنفع لحُسن وقعه في النفوس كوقع الروائح الذكية . ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٢٠٣) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٠) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات عنه . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٣ . وهو **أثر حسن** . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني : ٦٩٨ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٩ .

(٥) قاله أيضاً : الحكيم الترمذي ، والطبراني ، وابن مندة ، وأبو طالب المكي ، وابن تيمية ، وزين الدين العراقي ، والمباركفوري ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب . ينظر : الأمثال من الكتاب والسُّنة لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠ هـ) : ١ / ٣٢ ، الدعاء لأبي القاسم ، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) : ٤٥٩ ، الإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥ هـ) : ١ / ٣٥٠ ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لمحمد بن علي بن عطية الحارثي (المشهور بأبي طالب المكي) (ت ٢٨٦ هـ) : ٢ / ٢٩١ ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٥ / ٤٤١ ، طرح التثريب في شرح التقريب لزين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي (ت ٨٠٦ هـ) : ٢ / ٢٦٧ تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٣٣ ، مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) : ٦٧ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

القول الثاني : هي الإيمان ، قاله مجاهد ، وابن جريج [٣] ، وجوَّزه القرطبي [٤] .

واستدل له من السُّنة :

بحديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « إن مثل الإيمان كمثل شجرة ثابتة ، الإيمان عروقها والصلاة أصلها ، والزكاة فروعها ، والصيام أغصانها ، والتأذي في الله نباتها ، وحسن الخلق ورقها ، والكف عن محارم الله ثمرتها » [٥] .

القول الثالث : هي المؤمن نفسه ، قاله عطية العوفي ، والربيع [٦] . [٧]

---

(١) نسب هذا القول إلى جمهور المفسرين : السمعاني في تفسيره (٣ / ١١٣) ، والخازن في تفسيره (٤ / ٤٠) ، وابن القيِّم في التفسير القيِّم (٣٢٧) ، والخطيب الشربيني في السراج (٢ / ٢٠٢) .

(٢) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والجلالين ، والآلوسي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٤١ تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٨ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٢ ، الكشاف : ٢ / ٥١٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٥٨ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٩٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٤٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٣١ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٧٩ ، السراج المنير : ٢ / ٢٠٢ تفسير الجلالين : ٣٣٣ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١٣ ، تفسير السعدي : ٤٢٥ ، الوسيط : ٧ / ٥٥٠ . وذكره القرطبي في تفسيره (٩ / ٣٥٩) .

(٣) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جريج في تفسيره (١٣ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٠ .

(٤) ينظر تفسيره : ٩ / ٣٥٩ .

(٥) استشهد به القرطبي . ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٩ . **ولم أقف له على سند** .

(٦) أخرجه ابن جرير عن عطية والربيع في تفسيره (١٣ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٠ .

وعطيَّة العوفي هو : عطية بن سعد بن جنادة ، أبو الحسن الجدلي الكوفي ، ضعيف ومدلس ، فقد ضعَّفه ابن حنبل ، وهشيم ، والثوري ، وابن معين ، وعدَّه ابن حجر في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين ، وهم الذين أكثروا من التدليس فلم يحتج الأئمة إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، وقد قيل : إنه كان يجالس أبا سعيد الخدري ﷺ ، فلما مات جالس الكلبي فيروي عنه ويكنيه بأبي سعيد ، ت سنة ١٢٧هـ . ينظر : ضعفاء العقيلي : ٣ / ٣٥٩ ، الكامل في ضعفاء الرجال لعبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) : ٥ / ٣٦٩ ، التقريب : ٣٩٣ .

والرَّبيع هو : الربيع بن أنس بن زياد البكري ، وثقه العجلي ، وذكره ابن حبان في ثقاته ، إلا أن رواية أبي جعفر الرازي عنه فيها اضطراب كثير ، وقال ابن حجر : "صدوق له أوهام ، ورمي بالتشيع" ، ت سنة ١٣٩هـ . ينظر : الثقات : ٦ /٣٠٠ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٢٦ ، التقريب : ٢٠٥ .

(٧) ذكر القولين الثاني والثالث ولم يرجح كل من : الطبري ، والماوردي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢٠٤ ، النكت والعيون : ٣ / ١٣٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦٣ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٥٩ .

✖ **وتُعقِّب :**

بأنه خلاف الظاهر ، وكأن إطلاق الكلمة عليه نظير إطلاقها على عيسى عليه السلام [١] .

القول الرابع : هي جميع **طاعاته** ، **أو القرآن** ، قاله الأصم [٢] ، وذهب إليه الطاهر بن عاشور [٣] .

القول الخامس : هي **الثناء على الله** ، أو التسبيح والتتريه ، حكاه أبو حيان [٤] . [٥]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الكلمة الطيبة هي : شهادة أن لا إله إلا الله** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما يلي :

أولاً : هذا القول هو قول ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمَّة ، وهو حديث حسن .

ثانياً : (لا إله إلا الله) هي التي تثمر كل عمل صالح ، ويترتب عليها كل حسنة .

" **يقول جمهور المفسرون** :

الكلمة الطيبة هي : شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة " [٦] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٣ / ٢١٣ .

(٢) نسبه إليه أبو حيان في البحر (٥ / ٤١٠) .

والأصم هو : حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم : زاهد ، اشتهر بالورع والتقشف ، له كلام مدون في الزهد والحكم ، من أهل بلخ ، زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل . ت ٢٣٧ هـ . ينظر : حلية الأولياء : ٨ / ٧٣ – ٨٣ ، تاريخ بغداد : ٨ / ٢٤١ ، السِّير : ١١ / ٤٨٤ – ٤٨٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢٥ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤١٠ .

(٥) ذكر جميع الأقوال أو بعضها أبو حيان في البحر (٥ / ٤١٠) ، والآلوسي في روح المعاني (١٣ / ٢١٣) .

(٦) نسب هذا القول ابن القيم إلى جمهور المفسرين . ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ٣٢٧ .

قال ابن القيِّم :

" وَالْمَقْصُودُ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ إذَا شَهِدَ بها الْمُؤْمِنُ عَارِفًا بِمَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا ، مُتَّصِفًا بِمُوجِبِهَا ، قَائِمًا قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ بِشَهَادَتِهِ ؛ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ التي رَفَعَتْ هذا الْعَمَلَ من هذا الشَّاهِدِ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ رَاسِخٌ في قَلْبِهِ وَفُرُوعُهَا مُتَّصِلَةٌ بِالسَّمَاءِ ، وَهِيَ مُخْرِجَةٌ لِثَمَرَتِهَا كُلَّ وَقْتٍ " . اهـ [١] .

ثالثاً : كلمة التوحيد هي أساس كل خير ، وكل ما ذكره المفسرون لا يخرج عن هذا المعنى العام ، واختلافهم هنا من باب اختلاف التنوع لا التضاد ؛ لأنه يصدق عليها جميعاً معنى الخير و (لا إله إلا الله) هي التي تثمر كل عمل صالح ، وما ذكروه إنما هو من باب التمثيل .

رابعاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ؛ منها :

- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٢] .
- **حمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٢) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسَّبت : ١ / ٢٠٨ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ . [آية : ٢٦] .

مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن المراد بالكلمة الخبيثة : كلمة الكفر ؛ فقال : ((هي كلمة الكفر . وقيل : كل كلمة قبيحة)) . اهـ [١] .

الدراسة:

اختلف المفسرون في **المراد بالكلمة الخبيثة** [٢] على قولين :

القول الأول : هي : **كلمة الشرك** [٣] ، قاله ابن عباس ﷺ [٤] ، والضحاك [٥] ، ومقاتل [٦] ، وجماعة [٧] .

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) قال قتادة : إن رجلاً لقي رجلاً من أهل العلم ، فقال : ما تقول في الكلمة الخبيثة ؟ فقال : ما أعلم لها في الأرض مستقراً ولا في السماء مصعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢١٢ .

(٣) قال الماوردي والقرطبي : الكلمة الخبيثة : كلمة الكفر أو الكافر نفسه . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٣٤ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٦١ . وقال ابن عطية : والكلمة الخبيثة هي : كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء في الظلم ونحوه . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٣٦ .

(٤) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ﷺ قال : " ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ وهي الشرك ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ يعني الكافر . قال : ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملاً " . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢١٣ . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات عنه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٠ . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير بسنده عن الضحاك قال : ضرب الله مثل الكافر ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ . قال : ليس لها أصل ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليس فيها منفعة ؛ كذلك الكافر ليس يعمل خيراً ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢١٣ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ١٨٩ .

(٧) منهم : الطبراني ، وابن تيمية ، وابن القيِّم ، والمباركفوري . ينظر : الدعاء للطبراني : ٤٦٠ ، مجموع =

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] .

القول الثاني : هي : **الدعاء إلى الكفر** .

القول الثالث : هي : **تكذيب الحق** [٤] .

القول الرابع : هي : **ما يعمُ : الشرك بالله تعالى ، والدعاء إلى الكفر ، وتكذيب الحق** ، رجَّحه **البيضاوي** ، والآلوسي [٥] .

القول الخامس : هي : **كل كلمة قبيحة** ، قاله الرَّاغب [٦] .

القول السادس : هي : **الكذب** ، قاله **مسروق** [١] .

= الفتاوي لابن تيمية : ٤ / ٧٤ ، التفسير القيِّم : ٣٣٢ ، تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٣٣ .

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٠ .

(٢) نسب هذا القول إلى الجمهور : أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤١١) .

(٣) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي والزمخشري ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل الحنبلي ، والخطيب الشربيني ، والجلالين ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٢٧ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٤٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٦٨ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣١٦ تفسير القشيري : ٢ / ١٢٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١١٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٣ ، الكشاف : ٢ / ٥١٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٦٠ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦٤ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٦١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٤١ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٣١ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٣٨١ ، السراج المنير : ٢ / ٢٠٣ ، تفسير الجلالين : ٣٣٤ ، تفسير السعدي : ٤٢٥ الوسيط : ٧ / ٥٥٢ .

(٤) حكى أبو السعود في تفسيره (٥ / ٤٤) القولين الثاني والثالث وزاد : "أو ما يعم الكل أو كل كلمة قبيحة" .

والبيضاوي هو : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، أبو سعيد ، ناصر الدين البيضاوي ، كان إماما عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق ، شافعي المذهب ، ت سنة ٦٨٥ هـ . ينظر: طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٧ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٣٠٩ ، وطبقات المفسرين للداودي : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٧ ، روح المعاني : ١٣ / ٢١٤ . وزاد الآلوسي : " أو كل كلمة لايرضاها الله تعالى " . وقال الشوكاني : " وذكر مثلاً للكلمة الخبيثة ، وهى كلمة الشرك ، أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الشر " . ينظر : فتح القدير : ٣ / ١٠٦ .

والبيضاوي هو : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، أبو سعيد ، ناصر الدين البيضاوي ، كان إماما عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق ، شافعي المذهب ، ت سنة ٦٨٥ هـ . ينظر: طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٧ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٣٠٩ ، وطبقات المفسرين للداودي : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٦) قال الرَّاغب : هي إشارة إلى كل كلمة قبيحة من كفر وكذب ، ونميمة وغير ذلك . ينظر : مفردات الرَّاغب : ١٤١ .

القول السابع : هي : **كل كلام لا يرضاه الله تعالى** [٢] .

القول الثامن : المراد بالكلمة الخبيثة **تعاليم أهل الشرك وعقائدهم** ، قاله الطاهر بن عاشور[٣] ؛ حيث ذكر أن ﴿ **كَلِمَةٍ** ﴾ مطلقة على القول والكلام ، كما دل عليه قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ... ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ٢٧] . والمقصود مَعَ التمثيل إظهارُ المقابلة بين الحالين ، إلا أن الغرض في هذا المقام بتمثيل كل حالة على حدة .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالكلمة الخبيثة هي : كلمة الشرك ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما يلي :

أولاً : كلمة الشرك هي أساس كل شر ، ولا يرجى بعدها أي خير أو منفعة ، وكل ما ذكره المفسرون لا يخرج عن هذا المعنى العام ، واختلافهم هنا من باب اختلاف التنوع ؛ لأنه يصدق عليها جميعاً معنى الخبث ، فكلمة الشرك مصدر كل خبيث ، وما ذكروه إنما هو من باب التمثيل .

ثانياً : قد تقرر عند أهل العلم أن : **حمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه أبو حيان في البحر (٥ / ٤١١) .
ومسروق هو : مسروق بن الأجدع الوادعي ، أبو عائشة الهمداني ، أحد الأعلام العلماء العباد الثقات ، كان أعلم بالفتيا من شريح ، وحج مرة فما نام إلا ساجداً . ت سنة ٦٣هـ . ينظر : معرفة الثقات : ٢ / ٢٧٣ ، تهذيب الكمال : ٢٧ / ٤٥١ – ٤٥٦ ، الكاشف : ٢ / ٢٥٦ .

(٢) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤١١) ، وأبو السعود في تفسيره (٥ / ٤٤) .

(٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢٥ .

(٤) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ . [آية : ٤١] .

مسألة : متى دعا إبراهيم عليه السلام لأبويه الكافرين بالمغفرة ؟ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن إبراهيم عليه السلام دعا لأبويه الكافرين بالمغفرة قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله ؛ فقال : ((قيل : إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما . **والصَّحيح** : أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله ؛ حسبما ورد في براءة)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في الوقت الذي دعا إبراهيم عليه السلام لأبويه الكافرين بالمغفرة** على قولين :

القول الأول : أن إبراهيم عليه السلام دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين **بشرط إسلامهما** ، قاله غير واحد من المفسرين [(٢)] .

✖ **واعتُرض** : بأن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ [(٣)] لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ . [سورة

---

(١) التسهيل : ٢ / ١٤٢ .

(٢) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، والخازن . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٢٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥٠ .

(٣) أجمع أهل الكتاب على أن آزر كان عمَّه ، والعرب تسمِّى العمَّ أباً كما تسمِّى الخالة أمًّا ، فقد حكى الله ﷻ عن يعقوب عليه السلام أنه قال : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ... ﴾ . [سورة البقرة : ١٣٣] . ومعلوم أن إسماعيل إنما هو عمه ويدل لذلك أن أبا إبراهيم كان اسمه تارخ – بالمثناة فوق المعجمة – كما عليه جمهور أهل النسب ، وقيل : المهملة . وعليه اقتصر الحافظ في الفتح ، لكن ادعى بعضهم أنه لقب له ؛ لأن آزر اسم صنم كان يعبده فصار له أسمان آزر وتارخ كيعقوب وإسرائيل . ينظر : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي (١٠٤٤ هـ) : ١ / ٤٨ . وقال السيوطي : يستنبط من قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ ، وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة أن المذكور في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له هو عمه لا أبوه الحقيق ي . ينظر : الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٢ / ٢٠٣ .

الممتحنة : ٤] . مستثنى من الأشياء التي يقتدى فيها بإبراهيم عليه السلام ، ولو كان استغفاره مشروطاً بإسلام أبيه لكان استغفاراً صحيحاً فلم يحتج إلى الاستثناء [١] .

القول الثاني : أن إبراهيم عليه السلام دعا لأبويه الكافرين بالمغفرة [٢] **قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله** [٣] ، حسبما جاء في براءة وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ... ﴾ [٤] ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٣ ، تفسير ابن عادل الحنبلي : ١١ / ٤٠٤ .

(٢) **فإن قيل : كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين ؟**

أجيب بوجوه :

الأول : أنّ المنع منه لا يعلم إلا بتوقيف ، فلعله لم يجد منه منعاً ، وظنّ كونه جائزاً .

الثاني : أراد بوالديه آدم وحواء .

الثالث : كان ذلك بشرط الإسلام .

الرابع : كانت أمه مؤمنة ، ولهذا خص أباه بالذكر في قوله : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ .[التوبة : ١١٤] .

الخامس : قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه ، وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لأبيه في سورة التوبة .

ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٣٧ ، النكت والعيون : ٣ / ١٣٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٢١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٢٧ ، زاد المسير : ٤ / ٣٦٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٢٣ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٨٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٢١١ .

(٣) **متى تبين لإبراهيم عليه السلام أن أباه عدو له ؟**

القول الأول : لما مات على الكفر تبين له أنه عدو لله .

أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له . وأخرج عن محمد بن كعب ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وغيرهم قالوا : كان يرجوه في حياته فلما مات على شركه تبرأ منه . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٧٣ ، الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي : ٢ / ٢٠٣ .

القول الثاني : أوحي إليه أنه لن يؤمن .

قال البيضاوي : بأن مات على الكفر ، أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ١٧٦ . وينظر قبله : التفسير الكبير : ١٦ / ١٦٧ .

(٤) سورة التوبة : ١١٤ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ١٦٧ .

لقد وعد نبي الله إبراهيم ﷺ أباه باستغفاره له ، قال تعالى على لسان إبراهيم ﷺ : ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ . [سورة مريم : ٤٧] . وقد وفَّى بذلك الوعد ، كما قال تعالى عنه : ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٦] . وكما قال تعالى عنه : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ . في الآية التي معنا .

ولكن الله عندما بيَّن لإبراهيم ﷺ أن أباه عدوٌّ لله تبرأ منه ، و لم يستغفر له بعد ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ ... ﴾ . [سورة التوبة : ١١٤] . وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ... ﴾ . [سورة التوبة : ١١٤] . والموعدة المذكورة هي قوله هنا : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ... ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٤٧] . (٣)

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن إبراهيم ﷺ دعا لأبيه الكافر بالمغفرة قبل أن يتبين له أنه عدوٌّ لله ؛ وكانت أمه على ما روى عن الحسن (٤) مؤمنة فلا إشكال في الاستغفار لها ؛ ولم يذكر القرآن حال أمه ودينها ، وهذا القول قريب مما**

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٢ .

(٢) منهم : الطبري ، والسمعاني ، والقمي النيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والجلالين ، والسعدي = = والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ٢٣٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٢٣ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٢ ، تفسير الجلالين : ٣٣٦ ، تفسير السعدي : ٤٢٧ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٤٩ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٤٥ ، الوسيط : ٧ / ٥٧١ .

(٣) ينظر : توحيد الألوهية لابن تيمية : ١٤٥ ، ١٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٤ ، ١٢٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٢٨ .

(٤) نسبه إليه الآلوسي في روح المعاني (١٣ / ٢٤٣) .

رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ **إلا أن ابن جزي قد جزم بكفر أبويه معاً** ؛ يدل على هذا القول ما يلي :

أولاً : النظائر القرآنية :

- لما اقتدى المؤمنون بإبراهيم عليه السلام فاستغفروا لموتاهم المشركين ، واستغفر النَّبي ﷺ لعمه أبي طالب أنزل الله فيهم : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ . [سورة التوبة : ١١٣ ، ١١٤] .

- وكذلك سيد الشفعاء محمَّد ﷺ لما استأذن ربه عز وجل أن يستغفر لأمِّه .

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : « زَارَ النبي ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى من حَوْلَهُ ، فقال : اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي في أَنْ أَسْتَغْفِرَ لها فلم يُؤْذَنْ لي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ في أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » (١) .

- وبيَّن سبحانه وتعالى في سورة (الممتحنة) أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الأسوة بإبراهيم عليه السلام ، والأسوة الاقتداء ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة الممتحنة : ٤] . إلى قوله : ﴿ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ ... ﴾ . أي فلا أسوة لكم في إبراهيم عليه السلام في ذلك (٢) .

ثانياً : يتأيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك (٣)** .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز ، بَاب اسْتِئْذَانِ النبي ﷺ رَبَّهُ عز وجل في زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٩٧٦) : ٢ / ٦٧١ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٤ ، ١٢٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٢٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ... ﴾ .[آية : ٤٢] .

مسألة: لمن الوعيد في الآية ؟ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله:

رجَّح ابن جُزيّ أن الوعيد في هذه الآية الكريمة للكفار ؛ فقال : ((هذا وعيدٌ للظالمين ، وهم الكفَّار على **الأظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة:

اختلف المفسرون **لمن الوعيد في الآية** على قولين :

القول الأول : الوعيد للظالمين ، قاله جماعة من المفسرين [(٢)] .

ولكنهم **لم يحددوا معنى الظلم هنا** ، فتركوه على إطلاقه .

القول الثاني : الوعيد للكفار ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٤)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٥)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٢ .

(٢) منهم : الثعلبي ، والقشيري ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والسعدي . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٢٤ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٢٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٢٨ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١١ تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٥٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٠١ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٢٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٨٨ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٢ ، تفسير السعدي : ٤٢٧ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٥ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٢ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٣ / ٢٣٦) ، وابن أبي زمنين (٢ / ٣٧٣) ، والسمرقندي (٢ / ٢٤٧) والواحدي (١ / ٥٨٥) ، والقرطبي (٩ / ٣٧٦) ، والجلالين (٣٣٦) ، وأبو السعود (٥ / ٥٥) ، والطاهر بن عاشور (١٣ / ٢٤٦) وقال محمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٥٧٢) : كل من انحرف عن طريق الحق واتبع طريق الباطل .

قال الطاهر بن عاشور : " والمراد بالظلم هنا الشرك ، لأنه ظلم للنفس بإيقاعها في سبب العذاب المؤلم ، وظلم لله بالاعتداء على ما يجب له من الاعتراف بالوحدانية . ويشمل ذلك ما كان من الظلم دون الشرك مثل ظلم الناس بالاعتداء عليهم أو حرمانهم حقوقهم ؛ فإن الله غير غافل عن ذلك " . اهـ [1] .

واستدلوا على ذلك :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ .[سورة آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧] .

٢. من السُّنة :

عن عبد اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال : « لَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ... ﴾ [2] شَقَّ ذلك على أَصْحَابِ النبي ﷺ ، وَقَالُوا : أَيُّنَا لم يَظْلِمْ نَفْسَهُ ؟! فقال رسول اللَّهِ ﷺ : ليس كما تَظُنُّونَ ، إنما هو كما قال لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ﴿ ... يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [3] » [4] .

والحق : أن الظلم [5] نوعان :

١ – ظلم يخرج من الملة ، ويراد به الشرك : كقوله تعالى : ﴿ ... وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ

---

(١) التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٤٦ .

(٢) سورة الأنعام : ٨٢ .

(٣) سورة لقمان : ١٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، بَاب ما جاء في الْمُتَأَوِّلِينَ (٦٥٣٨) : ٦ / ٢٥٤٢ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، بَبَ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَإِخْلَاصِهِ (١٢٤) : ١ / ١١٤ .

(٥) أصل الظلم عند أكثر أهل اللغة : وضع الشيء في غير موضعه . ينظر (مادة : ظلم) : تهذيب اللغة للأزهري : ١٤ / ٢٧٤ ، مفردات الرَّاغب : ٣١٥ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٣ / ٣٣ .

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٥٤] .

وأعظم ذلك : أن يوضع المخلوق في مقام الخالق ويجعل شريكاً له في الربوبية وفي الإلهية ﷻ عما يشركون .

٢- وظلم لا يخرج من الملة :

- كقوله تعالى : ﴿ ... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ... ﴾ . [سورة فاطر : ٣٢] . والآية تبين أقسام المصطفين من عباد الله ، فالظالم لنفسه ليس كافراً .
- وقوله : ﴿ ... وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٢٩] . (١)

والآية الأخيرة في سياق الحديث عن أحكام الطلاق ؛ ومن تعداها من المسلمين فهو ظالم ولا يصبح كافراً .

إذن .. فالذي يحدد معنى الظلم في الآية السِّياق القرآني .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الوعيد للكفار ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لما تقدم ؛ إضافة لما يلي :

أولاً : إن أكثر ما يرد في القرآن من وعيد للظالمين يراد به الكفار :

- كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ... ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٢] . وهي الآية التي معنا .
- وقوله : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ . [سورة الشورى : ٤٤] . ومثل هذا

(١) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفرج ، عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي (الشهير بابن رجب) (ت ٧٩٥ هـ) : ١ / ١٣٢ .

كثير [١] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني :

فالسِّياق يبيّن إمهال الله للظالم ، والتهديد والوعيد للظالمين ، وهذا يوحي بأن الوعيد للكفار الذين كذبوا الرسل ، أما المسلم الظالم لنفسه أو لغيره فإن الله ﷻ دائماً يفتح له باب التوبة والرحمة . وذلك كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ . [سورة النحل : ١١٩] .

ثالثاً : يدخل مشركو مكة في هذه الآية دخولا أولياً [٢] ، وعلى هذا فالآية تسلية لرسول الله ﷺ ، ووعد له أكيد ، ووعيد للكفر وسائر الظالمين شديد .

❖ وقد أورد أغلب المفسرين قول **ميمون بن مهران** في قوله : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ... ﴾ قال : هي تعزية للمظلوم ، ووعيد للظالم [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٧ / ٥٧٢ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٤٩) إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والخرائطي في مساوئ الأخلاق .

وميمون بن مهران هو : ميمون بن مهران الرقى ، أبو أيوب : فقيه من القضاة ، كان مولى لامرأة بالكوفة ، وأعتقته ، فنشأ فيها ، ثم استوطن الرقة (من بلاد الجُزيّرة الفراتية) فكان عالم الجُزيّرة ، وسيدها . وكان ثقة في الحديث ، كثير العبادة . ت سنة ١١٧ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٨ / ٢٣٣ ، العبر في خبر من غبر : ١ / ١٤٧ ، طبقات الحفاظ للسيوطي : ٤٦ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ... ﴾ . [آية : ٤٨] .

مسألة : في كيفية تبديل الأرض والسموات :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجَّح ابن جُزيّ أن تبديل الأرض : بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي ، و ﴿ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ تبديلها : بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها

فقال :

((وتبديل الأرض : بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي ، هكذا ورد في الحديث الصحيح ، ﴿ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ تبديلها : بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها . وقيل : تبدل أرضا من فضة ، وسماء من ذهب ، **وهذا ضعيف**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

قال أهل اللغة [2] : **التبديل : التغيير** ، وقد يكون:

١. **في الذوات ؛ أي تبدل بغيرها** : وذلك : كقولك : بدلت الدراهم دنانير ؛ ومنه :
   - قوله تعالى : ﴿ ... بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ... ﴾ . [سورة النساء : ٥٦] .
   - وقوله تعالى : ﴿ ... وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ... ﴾ . [سورة سبأ : ١٦] .
٢. **وفي الأوصاف** : وذلك : كقولك : بدلت الحلقة خاتماً ؛ إذا أذبتها وسويتها خاتماً ، فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه : قوله تعالى : ﴿ ... فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ... ﴾ . [سورة الفرقان : ٧٠] . ويقال : تبدل زيد ؛ إذا تغيرت أحواله .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٣ .

(٢) ينظر : (مادة : بدل) في كل من : لسان العرب لابن منظور : ١١ / ٤٨ ، تاج العروس للزبيدي : ٢٨ / ٦٤ .

✓ **ولذا اختلف السلف والمفسرون في معنى تبديل الأرض على قولين :**

القول الأول : أنه تبدل صفاتها وأحوالها ، تذهب آكامها وجبالها وأوديتها وأشجارها ، وتمد مد الأديم ، روي عن ابن عباس ﷺ [١] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٢] .

واستدل له :

بما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « ... وتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ ... » [٣] .

القول الثاني : أنها تبدل ذاتها ؛ أي تبدل بغيرها ، ثم في ذلك عدة أقوال ؛ منها :

الأول : أنها تبدل **أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي** ، قاله عبد الله بن مسعود ﷺ [٤] وذهب إليه مقاتل [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جماعة** [٧] من المفسرين [٨] .

---

(١) رواه شهر بن حوشب عن ابن عباس ﷺ . **وهو ضعيف** ؛ لضعف شهر بن حوشب . ينظر : بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للحافظ نور الدين علي بن سليمان الهيثمي (زوائد الهيثمي) (ت ٢٨٢ هـ) : ٢ / ١٠٠١ . وينظر : تنوير المقباس : ٢١٥ .

(٢) منهم : السمعاني ، والقاسمي ، والسعدي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٢٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣٩ تفسير السعدي : ٤٢٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ، بَاب فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَخُرُوجِ عِيسَى (٤٠٨١) : ٢ / ١٣٦٥ . وأخرج الحاكم بنحوه في المستدرك : ٤ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، والإمام أحمد في مسنده : ١ / ٣٧٥ . عن مؤثر بن عفازة عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، ثم البوصيري وفيه نظر ؛ لأن مؤثر بن عفازة ؛ لم يوثقه غير ابن حبان ، ولذلك قال الحافظ : " مقبول " . يعني عند المتابعة ، ولا يوجد له متابعاً فالحديث ضعيف غير مقبول بهذا السِّياق ، وبعضه في مسلم . ولذا **ضعَّفه** ناصر الدين الألباني بهذا السِّياق .

(٤) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه جرير بن أيوب البجلي وهو متروك ، ورواه في الكبير **موقوفا على عبد الله وإسناده جيد** . ينظر : مجمع الزوائد : ٧ / ٤٥ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ١٩٦ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٣ .

(٧) نسبه ابن عطية إلى الأكثرية . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٤٧ .

(٨) منهم : الثوري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والقرطبي ، وابن كثير ، والجلالين . ينظر : تفسير الثوري : ١٥٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٤٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٧٦ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٤ ، تفسير الجلالين : ٣٣٧ . وينظر : شرح سنن ابن ماجه للسيوطي : ٣١٦ .

واستدل له :

بما أخرجه **الشيخان** عن سهل بن سعد ﷺ سمعت النبي ﷺ قال : « يُحْشَرُ الناس يوم الْقِيَامَةِ على أَرْضٍ بَيْضَاءَ **عَفْرَاءَ** [(١)] **كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ** [(٢)] » [(٣)] .

الثاني : تبدل **بأرض من فضة** ، قاله أنس بن مالك ﷺ ، وعلي بن أبي طالب ﷺ [(٤)] ، وقاله وقاله الواحدي [(٥)] من المفسرين .

✓ **واختلف المفسرون أيضاً في معنى تبديل السموات على قولين :**

القول الأول : تبدل **سماء من ذهب** ، قاله علي بن أبي طالب ﷺ [(٦)] ، وقاله الواحدي [(٧)] من المفسرين .

✗ وقد **ضعَّف ابن جُزيّ** [(٨)] قول علي بن أبي طالب ﷺ في الآية : تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب .

---

(١) **العفراء** – بالعين المهملة – : أي خالصة البياض ، وقيل : التي يعلوها مع بياضها حمرة . ينظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي : ١٣٦ .

(٢) **قرصة النقي** : – بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء – وهو الدقيق المنخول المنظف الذي يتخذ منه الحواري والقرصة – بالضم – الرغيف ، والتاء للوحدة ، والتشبيه بها في اللون والشكل دون القدر . ينظر : معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول للمبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) : ١٠ / ٤٢٤ ، شرح السُّنة للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) : ١٥ / ١١٣ ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان القاري (١٠١٤ هـ) : ١٠ / ١٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري – واللفظ له – في كتاب الرقاق ، بَاب يَقْبِضُ الله الْأَرْضَ يوم الْقِيَامَةِ (٦١٥٦) : ٥ / ٢٣٨٩ وأخرج مسلم بنحوه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، بَاب في الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَصِفَةِ الأرض يوم الْقِيَامَةِ (٢٧٩٠) : ٤ / ٢١٥٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣ / ٢٥١) عن أنس بن مالك ﷺ وعلي ﷺ ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٥٧) إلى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . **وأورد قول علي ﷺ هذا أغلب المفسرين** .

(٥) ينظر تفسيره : ١ / ٥٨٦ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره – بلفظ الجنة من ذهب – (١٣ / ٢٥١) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٥٧) إلى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٧) ينظر تفسيره : ١ / ٥٨٦ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٣ .

ولا داعي لتضعيفه ؛ وقد أورده جمهور المفسرين عند تفسير هذه الآية ، وكذلك شراح الحديث كالحافظ **ابن حجر** [١] وغيره ؛ ولم يتعرض له أحد منهم بتضعيف أو ردّ – في حدود ما وقفت عليه من تفاسير وكتب – . والله أعلم .

القول الثاني : تبديل ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ : **بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

ويؤيد هذا القول النظائر القرآنية :

فقد ورد في كثير من السور المكية من المفصل هذه العلامات ؛ وهي من أهوال يوم القيامة ومنها :

قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ . [سورة الانفطار : ١ ، ٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ . [سورة التكوير : ١ ، ٢] .

❖ **وقال جماعة من المفسرين** [٤] : **بجواز تبديل الأرض في الذات وفي الصفات .**

الـترجيح :

---

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٧٥ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٣ .

(٣) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والبقاعي ، والقاسمي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٥٤٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٧٦ ، نظم الدرر : ٤ / ١٩٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٤٠ .

(٤) منهم : العز بن عبد السلام ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١١٥ ، ١١٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٦٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٤ ، فتح القدير : ٣ / ١١٨ ، روح المعاني : ١٣ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، الوسيط : ٧ / ٥٧٨ .

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن تبديل الأرض والسموات يكون في الذات وذلك بتبديل الأرض بأرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ، وتبدل السموات بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، لما تقدم ؛ إضافة لما يلي :

أولاً : أدلة هذا القول أقوى ؛ فالحديث أخرجه الشيخان ؛ وهو مقدم على غيره .

ثانياً : يقوي هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه .**
- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [1] .

❖ وإن كان تبديل الأرض لصفاتها وأحوالها تحتمله الآية لوجود النظائر القرآنية ، وقد قال بذلك جماعة من المفسرين كما ذكرت :

فيكون **التبديل للأرض في الذات وفي الصفات** .

ولكن : إذا فسرنا بجواز التبديل الأرض للذات وللصفات ؛ فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ . [سورة الزلزلة : ٤] . وهو أن تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها ؟

✓ **الجواب** : وجه الجمع بين الآيتين :

- أن الأرض تبدل أولاً : (صفتها مع بقاء ذاتها) كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها .
- ثم بعد ذلك تبدل تبديلاً ثانياً : وهو أن تبدل (ذاتها بغيرها) كما تقدم أيضاً .

ويدل على صحة هذا التأويل :

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٧١ .

ما أخرجه الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ... ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ الناس يَوْمَئِذٍ يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فقال : على الصِّرَاطِ » [١] .

١. حديث ثوبان ﷺ عندما جاء حبرٌ من أحبار اليهود يسأل رسول الله ﷺ فقال اليهودي : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ... ﴾ ؟ قال : « هم في الظلمة دون الجسر .... » [٢] . [٣]

ففي هذين الحديثين دليل على أن تبديل الأرض ثاني مرة يكون بعد الحساب ، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، بَاب فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَصِفَةِ الأرض يوم الْقِيَامَةِ (٢٧٩١) : ٤ / ٢١٥٠ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض ، بَاب بَيَانِ صِفَةِ مَنِيِّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ (٨) : ١ / ٢٥٢ .

(٣) جمع البيهقي بين الحديثين بأن قال : المراد بالجسر : الصراط . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٧٦ .

(٤) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٥٤ .

ســـــورة الحجــــر

قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالكتاب القرآن ، فقال : ((يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة ، وعطف القرآن عليها ، **والظَّاهر** أنه القرآن ، وعطفه عطف الصفات)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السلف والمفسرون في **المراد بالكتاب في قوله** : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ [٢] ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : أن المراد بـ ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الكتب المتقدمة : **التوراة والإنجيل** ، وعطف القرآن عليها ، قاله مجاهد [٣] ، وقتادة [٤] ، **ورجَّحه** الطبري [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٣ .

(٢) هنا في سورة الحجر قدم الكتاب على القرآن في الذكر ؛ لأن سياق الكلام توبيخ الكافرين وتهديدهم بأنهم سيجيء وقت يتمنون فيه أن لو كانوا مؤمنين ، فلما كان الكلام موجهاً إلى المنكرين ناسب أن يستحضر المنزّل على محمد ﷺ بعنوانه الأعم ؛ وهو كونه كتاباً ، لأنهم حين جادلوا ما جالوا إلا في كتاب فقالوا : ﴿ ... لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ١٥٧] . ولأنهم يعرفون ما عند الأمم الآخرين بعنوان كتاب ، ويعرفونهم بعنوان أهل الكتاب . فأما عنوان القرآن فهو مناسب لكون الكتاب مقروءاً مدروساً وإنما يقرأه ويدرسه المؤمنون به . ولذلك قدم عنوان القرآن في سورة النمل قال تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾ . [سورة النمل : ١] . ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ٩ ، ١٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦١) أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٥) ينظر تفسيره : ١٤ / ١ .

✖ **وضُعِّف هذا القول** لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما [١] .

القول الثاني : المراد به **القرآن** ، وعطفه عطف الصفات ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

قال **أبو السعود** [٥] : " ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية والقرآنية على الطريقتين :

إحداهما : اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الإلهية ؛ فكأنه كلها .

والثانية : طريقة كونه ممتازاً عن غيره نسيج وحده ، بديعاً في بابه ، خارجاً عن دائرة البيان . وأخرت الطريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ؛ أدخل في المدح كيلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة " . اهـ [٦] .

✖ **واعتُرض : بأنه إذا كان القرآن هو الكتاب ، والكتاب هو القرآن ، فأي فائدة في**

---

(١) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٥٥ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٣ .

(٤) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥٠ الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٠ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٣٢ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٢٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٢٠ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٧ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٠٩ ، تفسير الجلالين : ٣٣٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٣ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٤٦، روح المعاني : ١٤ / ٢ ، ٣ ، تفسير السعدي : ٤٢٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٢٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩ ، الوسيط : ٨ / ١٠ .

(٥) **أبو السُّعود** هو : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، أبو السعود ، مفسرٌ شاعر، من علماء الترك المستعربين ، ت سنة ٩٥١ هـ . ينظر : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ العيدروسي (ت ١٠٣٧ هـ) : ١ / ٢١٥ ، شذرات الذهب : ١٠ / ٥٨٤ ، الأعلام : ٧ / ٥٩ .

(٦) تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٣ . وينظر قبله : تفسير الخازن : ٤ / ٥٥ . وينظر : روح المعاني : ١٤ / ٢ ، ٣ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩ .

الجمع بينهما ؟

✓ **وأُجيب** : أن كل واحد منهما يفيد معنى لا يفيده الآخر ، فإن الكتاب هو ما يكتب ، والقرآن هو ما يجمع بعضه إلى بعض [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالكتاب القرآن ، وعطفه عطف الصفات ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** لما تقدم ؛ إضافة لما يلي :

أولاً : السِّياق القرآني :

لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما ؛ كما ذكرت آنفاً .

ثانياً : تفسير جمهور المفسرين له بذلك .

ثالثاً : النظير القرآني :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ . [سورة **النمل** : ١] .

وهنا في **سورة النمل** تقدم وصف المنزل على رسول الله ﷺ **بالقرآنية** على **الكتابية** لكونه أوفق لسياق الآية ، وفي **سورة الحجر** تقدم وصف **القرآنية** على **الكتابية** ، فيرجح كون هذا من باب عطف الصفات .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٢٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في الوقت الذي يود فيه الكفار لو كانوا مسلمين :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الوقت الذي يود فيه الكفار لو كانوا مسلمين إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، فقال : ((قيل : إن ذلك عند الموت . وقيل : في القيامة . وقيل : إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، **وهذا هو الأرجح** لحديث روي في ذلك)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون **في الوقت الذي يود فيه الكفار لو كانوا مسلمين** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : **في الدنيا** ، وذلك إما على :

١. ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [(٢)] : هم كفار قريش ودّوا ذلك في يوم بدر حين رأوا الغلبة للمسلمين .

٢. وما قاله الضحاك [(٣)] ، هو : عند معاينة الموت حين يتبين لهم الهدى من الضلالة .

وتعقَّبه ابن عطية فقال :

" وفيه نظر ؛ إذ لا يقين للكافر حينئذ بحال المسلمين " [(٤)] .

وقيل : حين حل بهم ما حل من تملك المسلمين أرضهم وأموالهم ونساءهم ، ودُّوا ذلك

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) نسبه أبو حيان إليه في البحر المحيط (٥ / ٤٣٣) . ولم أقف عليه مسنداً .

(٣) نسبه إليه الزمخشري وابن عطية ، وزاد الزمخشري : " أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين " . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٣٣ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٠ . ولم أقف عليه مسنداً .

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية : ٣ / ٣٥٠ .

قبل أن يحل بهم ما حل [١] .

القول الثاني : في الآخرة ، قاله مقاتل [٢] .

وذلك إمَّا :

١. يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ، ذهب إليه الجلالين [٣] ، و**الخطيب الشربيني** [٤] .

٢. أو إذا رأوا المسلمين دخلوا الجنة تمنوا أن يكونوا أسلموا ، قاله العز بن عبد السلام [٥] روى مجاهد عن ابن عباس ﷺ قال : ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحم ، ويشفع ؛ حتى يقول لمن كان من المسلمين : ادخلوا الجنة ؛ فحينئذ ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [٦] .

١. أو إذا خرج عصاة المسلمين من النار ؛ قاله ابن عباس [٧] ، وأنس بن مالك [٨] ، وابن وابن مسعود أيضاً [٩] ﷺ أجمعين ، ومجاهد [١٠] ، والنخعي [١١] ، **وهذا هو المشهور** [١٢] [١٢] ، وهو ما **صحَّحه النحاس** [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٣٣ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ١٩٨ .

(٣) ينظر : تفسير الجلالين : ٣٣٨ .

(٤) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٢١٧ .

والخطيب الشِّربيني هو : محمد بن أحمد الشربيني ، شمس الدين : فقيه شافعي ، مفسر . من أهل القاهرة ، له تصانيف ، منها : (السراج المنير) في تفسير القرآن ، ت سنة ٩٧٧ هـ . ينظر : هدية العارفين : ٦ / ٢٥٠ ، الأعلام : ٦ / ٦ .

(٥) ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) .

(٧) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٦ .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢ .

(١٠) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٤٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٤ / ٣) .

(١١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٤٥) .

والنخعي هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، أبو عمران الكوفي ، إمام حافظ ، فقيه محدث ، ت سنة ١٩٦هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ٣٣٣ ، الحلية : ٤ / ٢١٩ ، وطبقات الحفاظ : ٢٥ .

(١٢) قال بأن هذا القول هو المشهور : السمعاني ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : تفسير السمعاني :

المفسرين [٣] .

واستدل له بالحديث التالي :

عن **أبي هريرة** ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « إذا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ؛ قَالَ الْكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ : أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالُوا : فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلاَمُكُمْ وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ؟ قَالوا : كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا . فَسَمِعَ اللَّهُ مَا قَالُوا ؛ فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَاخرِجُوا ؛ فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْكُفَّارِ قَالُوا : يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ فَنَخْرُجَ كَمَا خَرَجُوا ، فَذلِكَ قوله : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ » [٤] .

القول الثالث : القول بالعموم ؛ أي يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين عند كل حالة يعذب فيها الكافر ويسلم المؤمن ، ذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، **وصحَّحه الفخر الرازي** [٦] ،

---

٣ / ١٢٨ ، تفسير البغوي : ١٣ / ٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٥٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٢٦ .

(١) ينظر معانيه : ٤ / ٧ – ٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٤ .

(٣) منهم : ابن أبي زمنين (٢ / ٣٧٩) ، والواحدي (١ / ٥٨٨) ، والسمعاني (٣ / ١٢٨ ، ١٢٩) ، والخازن (٤ / ٥٦) ، وابن كثير (٢ / ٥٤٧ ، ٥٤٨) ، وابن عادل (١١ / ٤٢٦) .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي عاصم (٢ / ٤٠٥ ، رقم ٨٤٣) ، وابن جرير فى التفسير (١٤ / ٢) ، والحاكم (٢ / ٢٦٥ ، رقم ٢٩٥٤) ، وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبى . والبيهقى فى البعث والنشور (٩١ ، رقم ٧٩) . وعزاه ابن كثير فى التفسير (٢ / ٥٤٧) للطبرانى وابن أبى حاتم . وذكره السيوطي فى الدر (٥ / ٦٢) وعزاه لابن أبى عاصم فى السُّنة ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث والنشور عن **أبى موسى الأشعرى** . قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه خالد بن نافع الأشعرى . قال أبو داود : متروك . قال الذهبى : هذا تجاوز فى الحد فلا يستحق الترك ، فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره وبقية رجاله ثقات . ينظر : جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٢ / ١٨٠ ، ١٨١ ، مجمع الزوائد : ٧ / ٤٥ . والحديث له طرق كثيرة مرويَّة عن غير واحد من الصحابة ؛ كابن عباس ، وعلي ، وابن مسعود ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو سعيد الخدري ﷺ . **وصحَّحه الألباني** (صحيح لغيره) بمجموع طرقه . ينظر : ظلال الجنة في تخريج السُّنة لابن أبي عاصم (أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني ت ٢٨٧ هـ) لمحمد ناصر الدين الألباني : ٢ / ١٠٠ ، تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني : ٧٠١ ، ٧٠٢ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ١٧٢ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٢٢ .

وذكره ابن الأنباري [١] ، وقاله جماعة من المفسرين [٢] .

وهو أن الكفار إذا عرفوا حقيقة الأمر تمنوا أنهم كانوا في دار الدنيا مسلمين ، وندموا على كفرهم ، وتلك الودادة من الكفار يوم القيامة ، أو عند موتهم ، أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين ، أو عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار ، وهذه الأحوال كلها تحتملها الآية .

قال أبو السعود : " والحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم ؛ وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت ؛ بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم " . اهـ [٣] .

واستدل على ذلك بالنظائر القرآنية :

دلت غير هذه الآية من الآيات الكريمة على أن الكافرين يودون أموراً أخرى في الآخرة ؛ منها :

- قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ . [سورة النساء : ٤١ ، ٤٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . [سورة الأنعام : ٢٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ... ﴾ . [سورة الأنعام : ٣١] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ . [سورة الفرقان : ٢٧] .

---

(١) نسبه إليه أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤٣٣) . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .

(٢) منهم : مقاتل ، والسمر قندي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والسعدي والشنقيطي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ١٩٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥٠ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٤ ، فتح القدير : ٣ / ١٢١ ، تفسير السعدي : ٤٢٩ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٥٢ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١١ ، الوسيط : ٨ / ١٢ ، ١٣ .

(٣) تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٤ .

- وقوله تعالى : ﴿ ... يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ . [سورة النبأ : ٤٠] . إلى غير ذلك من الآيات .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح القول بالعموم لتعدد ما يوده الكفار في الآخرة ، وهو ما صحَّحه الرازي وجماعة من المفسرين** ؛ **وهو يشمل ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ؛ منها :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(١)] .
- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [(٢)] .

ثانياً : الحديث المستدل به على أن ودادة الكفار لو كانوا مسلمين **إذا خرج عصاة المسلمين من النار** صحيح ؛ لكنه لم يخصص ودادتهم في هذا الموطن وحسب ؛ فكان الأخذ بالعموم أولى من التخصيص ، ويشهد لهذا أيضاً ما أخرجه الطبري عن ابن عباس ﷺ في إحدى الروايات عنه أن ذلك يكون يوم القيامة دون تقييد [(٣)] .

ثالثاً : قد تقرر عند أهل العلم أنه إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [(٤)] ؛ لكن القول بالعموم لم يخالف هذا الحديث الصحيح المستدل به ، بل معناه مندرجٌ تحت القول بالعموم .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .
(٢) ينظر : المرجع نفسه : ٢ / ٥٢٧ .
(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٣ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ . [آية : ٨] .

مسألة : في معنى الحق هنا في قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى الحق هنا : الحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله ، فقال : ((﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى : أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله ؛ لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، وقيل : الحق هنا العذاب)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى الحق هنا في قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **الوحي والمصالح التي يريدها الله** ، لا باقتراح مقترح واختيار كافر **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واعتُرض :

بأن الأوفق بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٤] أن يكون الوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به لمثل غرضهم كونهم بصور

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٤ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٤ .

(٣) منهم : ابن عطية ، والقرطبي ، والثعالبي ، والشنقيطي . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٥٥ . وقال غير واحد من المفسرين : ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ أى : تنزيلاً متلبساً بالحق الذى يحق عنده تنزيلنا لهم فيما تقتضيه الحكمة الإلهية والمشيئة الربانية . ومنهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، و أبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، وسيد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٣٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٦٨ ، السراج المنير : ٢ / ٢١٩ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٢ ، الوسيط : ٨ / ١٨ .

(٤) سورة الأنعام : ٩ .

الرجال ، وذلك ليس من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يكون لهم أصلا [١] .

القول الثاني : المراد بالحق هنا **الموت** ، أي : لا ينزلون إلا بالموتِ ، أو **بعذاب الاستئصال** قاله الحسن [٢] ، ومقاتل [٣] ، وذهب إليه **أكثر** [٤] المفسرين [٥] .

القول الثالث : الحق هنا **الرسالة والعذاب** ؛ قاله مجاهد [٦] ، وغير واحد من المفسرين [٧] . [٧] .

قال البقاعي :

" أي بسبب عمل الأمر الثابت ، وهو معنى ما قال الإمام البخاري في كتاب التوحيد : قال مجاهد : بالرسالة والعذاب ، وأما على **الرسل** فبالحق من الأقوال ، وأما على **المنذرين** فبالحق من الأفعال من الهلاك والنجاة " . اهـ [٨] .

الـترجيح :

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٤ .

(٢) نسبه إليه الماوردي وابن الجوزي . ينظر : النكت والعيون :٣ / ١٤٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٨٤ .

(٣) ينظر : تفسيره : ٢ / ١٩٩ .

(٤) نسبه ابن عادل إلى المفسرين . ينظر : تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣١ .

(٥) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والفخر الرازي ، والخازن ، وابن عادل ، والجلالين ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٣١ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٤ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٢٦ تفسير الخازن : ٤ / ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣١ ، تفسير الجلالين : ٣٣٨ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٤٨ ، روح المعاني : ١٤ / ١٤ ، تفسير السعدي : ٤٢٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٢٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩ .

(٦) ينظر تفسيره : ١ / ٣٣٩ . وأخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٨ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٧ . وسمي البخاري بقول مجاهد في الآية باباً من أبواب كتاب التوحيد . ينظر : صحيح البخاري : ٦ / ٢٧٣٤ .

(٧) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والسمعاني ، والعز بن عبد السلام ، والبقاعي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١١ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٠ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧١ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٠٦ .

(٨) نظم الدرر : ٤ / ٢٠٦ .

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن معنى الحق هنا العذاب** ، **خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : النظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ ﴾ . [سورة الأنعام : ٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٢٢ ﴾ . [سورة الفرقان : ٢٢] .

ثانياً : القرينة القرآنية :

قوله تعالى في ختام الآية : ﴿ ... وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ .

أي : لا تنزل الملائكة للناس غير الرسل والأنبياء عليهم السلام إلا مصاحبين للعذاب الحاقّ على الناس كما تنزلت الملائكة على قوم لوط عليه السلام ؛ وهو عذاب الاستئصال ، ولو تنزلت الملائكة لعجل للمنزل عليهم ولما أمهلوا (١) .

ثالثاً : معنى الآية : أن نزول الملائكة لا يكون إلا بعذاب الاستئصال ، ولا يكون لهم بعد ذلك إنظار ولا إمهال ، والله لا يريد عذاب الاستئصال بهذه الأمة ؛ فلهذا السبب ما أنزل الله الملائكة . وإن كان المراد استعجالهم بنزول العذاب فتقرير الجواب : أنَّ الملائكة لا تنزل إلاَّ بعذاب الاستئصال ، ولا تفعل بأمَّة محمد ﷺ ذلك ؛ بل يمهلهم الله لما علم من إيمان بعضهم ، ومن إيمان أولاد الباقين (٢) .

رابعاً : من اللغة : ﴿ إِذًا ﴾ حرف جواب وجزاء (٣) . وقد وسطت هنا بين جزاءي جوابها

---

(١) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٥٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٩ .

(٢) ينظر : تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣١ .

(٣) وقيل : لفظ ﴿ إِذًا ﴾ مركبة من : (إذ) بمعنى (حين) ، ومن (أن) الدالة على مجيء فعل بعده فخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكأنه قيل : وما كانوا منظرين إذ كان ما طلبوا . وذكر الجلال السيوطي أن الإجماع في القرآن على كتابتها بالألف ، والوقف عليه دليلٌ على أنها اسم منون لا حرف آخره نون خصوصاً إذا لم تقع ناصبة للمضارع فالصواب إثبات هذا المعنى لها . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١١ ، روح المعاني : ١٤ / ١٥ .

جوابها مراعاة لمناسبة عطف جوابها على قول : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ وكان شأن ﴿ إِذًا ﴾ أن تكون في صدر جوابها ؛ وجملتها هي الجواب المقصود لقولهم : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ... ﴾ . [سورة الحجر : ٧] .

وجملة : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ مقدمة من تأخير لأنها تعليل للجواب ، فقُدِّم لأنه أوقع في الرد ، ولأنه أسعد بإيجاز الجواب ، وتقدير الكلام : لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ؛ إذن ما كنتم مُنظرين بالحياة ولعجل لكم الاستئصال ؛ إذ ما تنزل الملائكة إلا مصحوبين بالعذاب الحاقّ . وهذا المعنى وارد في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ... ﴾ . [سورة العنكبوت : ٥٣] .[١]

خامساً : هذا القول تؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٩ . وينظر قبله : الكشاف : ٢ / ٥٣٥ .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ... ﴾ . [آية : ١٤ ، ١٥] .

مسألة: في عود الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر** ، فقال : ((الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر . وقيل : الضمير في (**ظلوا**) وفي ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ للملائكة ؛ وفي (**قالوا**) للكفار)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **عود الضمائر في قوله تعالى :** ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ... ﴾ على قولين :

القول الأوّل : الضمير في ﴿ فَظَلُّواْ ﴾ وفي ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ **للملائكة** ؛ وفي ﴿ لَقَالُوٓاْ ﴾ للكفار ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٢)] ، والضحاك [(٣)] ، ومقاتل [(٤)] ، وقاله **جماعة** [(٥)] من المفسرين [(٦)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٤ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٧ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٠ ، ١١ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ١٩٩ .

(٥) نسب الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي هذا القول إلى أكثر المفسرين . ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٥ . وبعد البحث وجدت كل قول قاله جماعة من المفسرين .

(٦) منهم : الصنعاني ، والنحاس ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٤٦ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٣ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥٢ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣٦ ، السراج المنير : ٢ / ٢٢٠ .

قال ابن عباس ﷺ : لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة تعرج فيه ، يقول : يختلفون فيه جائين وذاهبين ، ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا ... ﴾ [١] .

ويؤيد ذلك :

السِّياق القرآني : وفيه القرينة بقول الكفار : ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ ﴾ . [سورة الحجر : ٧] .

القول الثاني : الضمائر **لكفار قريش** المعاندين المحتوم عليهم بالكفر ، قاله الحسن [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٤٦ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٠ ، ١١ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨ . وسلسة إسناد عبد الرزاق : عن معمر عن قتادة عن ابن عباس ﷺ . وسلسة إسناد الطبري : حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس ﷺ . قال الحافظ في تهذيب التهذيب : قال الحاكم في علوم الحديث : **لم يسمع قتادة من صحابي غير أنس ﷺ** . اهـ . ينظر : تهذيب التهذيب : ٨ / ٣١٨ . **فالأثر فيه انقطاع** ؛ لأن قتادة لم يسمع من ابن عباس ﷺ .

(٢) أخرجه ابن جرير رواه عنه قتادة ، ونسبه البغوي وابن عادل إلى الحسن أيضاً . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٠ ، ١١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٣٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٤ .

(٤) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٨٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٦ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٢١٠ ، تفسير الجلالين : ٣٣٩ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٣ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٥٠ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩ ، تفسير السعدي : ٤٣٠ ، الظلال : ٤ / ٢١٢٩ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٦ ، الوسيط : ٨ / ٢٥ .

(٥) قال بجواز القولين جماعة من المفسرين ؛ منهم : ابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والبيضاوي ، والنسفي ، والثعالبي ، وأبو السعود . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٣ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٠ .

أَبْصَـرُنَا ... ﴾ لكفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : أن الضمير في ﴿ فَظَلُّواْ ﴾ **يعود على أقرب مذكور** ، ولذا فهو عائد على من عاد عليه في قوله : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ وهم كفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر .

ثانياً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** عند المفسرين ، منها :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ . [آية : ١٩] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ مقدَّر بقدر ، فقال : ((أي : مقدَّر بقدر ؛ فالوزن على هذا استعارة . وقيل : المراد ما يوزن حقيقة ؛ كالذهب والأطعمة ، **والأوَّل أعمُّ وأحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف جماعة السلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى** : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ أي : **مقدَّر بقدر** ؛ فالوزن على هذا استعارة ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومجاهد [٣] ، وسعيد بن جبير [٤] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جمهور** [٧] المفسرين [٨] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٧ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٤٠ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٧٠) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٦) .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ١٧٦ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٥ .

(٧) نسب ابن عطية والثعالبي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٧ .

(٨) منهم : الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنيسابوري ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٥ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٨٢ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٥ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٧ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير القرطبي : =

وعلى هذا يكون المعنى مقدر عند الله تعالى ؛ لأن الله ﷻ يعلم القدر الذي يحتاج إليه الناس في معايشهم وأرزاقهم ، فيكون إطلاق الوزن عليه مجازاً ، لأن الناس لا يعرفون مقادير الأشياء إلا بالوزن [١] .

واستدل له :

١. بالنظائر القرآنية : ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ . [سورة الرعد : ٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ . [سورة الحجر : ٢١] .

٢. بكلام العرب : ومنه :

قول الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مخاصم ميزانه [٢]

القول الثاني : المراد **ما يوزن حقيقة** ؛ كالذهب والأطعمة ؛ وهو قول ابن زيد [٣] ، والثوري [٤] ، ورجَّحه الفَرَّاء [٥] . [٦]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بـــ ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ مقدَّر بقدر ؛ وهو**

= ١٠ / ١٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٢١٣ ، تفسير الجلالين : ٣٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧١ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٥٢ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٥ ، الوسيط : ٨ / ٣٠ .

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦١ .

(٢) لم أهتد لقائله . وأورده جماعة من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ . **والميزان** : المقدار . ينظر (مادة : وزن) في : المحكم لابن سيده : ٩ / ١٠٩ ، لسان العرب : ١٣ / ٤٤٧ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٧) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٧٠ .

(٤) ينظر تفسيره : ١٥٩ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٧٢ .

(٦) قال بجواز القولين من المفسرين : البيضاوي ، والنسفي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٩ .

أعمُّ وأحسن ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ . [آية : ٢٠] .

مسألة : علام عطفت ﴿ مَن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ ؟ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ مَن ﴾ عطفت على ﴿ مَعَايِشَ ﴾ ، فقال : ((و﴿ مَن ﴾ معطوف على ﴿ مَعَايِشَ ﴾ . وقيل : على الضمير في ﴿ لَكُمْ ﴾ ، **وهذا ضعيف في النحو** ؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ، **وهو قوي في المعنى** ؛ أي : جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

ترتب على اختلاف المفسرين في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ واختلافهم في معنى ﴿ مَن ﴾ ومعنى الآية ، **اختلافهم في علام عطفت ﴿ مَن ﴾** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

✓ **القول الأوّل** : المراد بقوله تعالى : ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ **الدواب والأنعام** ؛ قاله مجاهد [(٢)] .

وقال آخرون : عنى بذلك الوحش خاصة [(٣)].

وعلى هذا يكون معنى الآية :

وجعلنا فيها معايش لمن لستم له برازقين من الدوابِّ والأنعام أي : جعلناها لكم وكفيناكم رزقها .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٢) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٤٠ ، وأخرجه ابن جرير ، ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن شعبة عن منصور ، ومنصور الذي يروي عنه شعبة بن الحجاج : هو منصور بن عبد الرحمن التميمي الغداني (بضم الغين) عن الشعبي ، وعنه وشعبة وابن علية ، وثقه ابن معين وأحمد وأبو داود ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال النسائي : ليس بقوي ، ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٧٠ .

ويجوز في ﴿ مَن ﴾ وجهان :

الأوَّل : **أن تكون ﴿ مَن ﴾ منصوبة بفعلٍ مقدرٍ** ، تقديره : وأغنينا من لستم له برازقين .

تكون ﴿ مَن ﴾ على هذا التفسير بمعنى (ما) ، قاله الواحدي ، و**البغوي** [(١)] .

✖ **واعتُرض** : بأن النحويين يذهبون إلى أن ﴿ مَن ﴾ تكون لمن يعقل .

✔ **وأُجيب** :

١. قد وردت صيغة ﴿ مَن ﴾ في غير العقلاء . والدليل عليه قول الله ﷻ : ﴿ ... وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ ... ﴾ . [سورة النور : ٤٥] . [(٢)]

٢. أنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقاً على الله حيث قال : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ ... ﴾ . [سورة هود ﵇ : ٦] . فكأنها عند الحاجة تطلب أرزاقها من خالقها فصارت شبيهة بمن يعقل من هذه الجهة ، فلم يبعد ذكرها بصيغة من يعقل ، كقوله : ﴿ ... قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ... ﴾ . [سورة النمل : ١٨] . فذكرها بصيغة جمع العقلاء [(٣)] .

الثاني : **تكون ﴿ مَن ﴾ في موضع جر عطفاً على الضمير المجرور في ﴿ لَكُمۡ ﴾** ، قاله **الثعلبي** [(٤)] ، والطاهر بن عاشور [(٥)] .

أي : جعلنا لكم في الأرض معايش ، وجعلنا في الأرض معايش لمن لستم له برازقين .

---

(١) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٧ .
و**البَغَوي** هو : الحسين بن مسعود بن الفَرَّاء البغوي ، أبو محمد ، العلامة القدوة الحافظ ، شيخ الإسلام ومحيي السُّنة ، صاحب القدم الراسخ في الفقه والتفسير والحديث ، ت سنة ٥١٥ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٢ / ١٣٦ ، ١٣٧ ، البداية والنهاية : ١٢ / ١٩٣ ، النجوم الزاهرة : ٥ / ٢٢٣ .

(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٧ .

(٣) ينظر : زاد المسير : ٤ / ٣٩٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٣٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٦ .

(٤) **الثَّعلبي** هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم التعلبي ، أبو إسحاق النيسابوري ، صاحب التفسير ، وكان عالم زمانه في علم القرآن ، المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ ، ت في المحرم سنة ٤٢٧هـ . ينظر : معجم الأدباء : ٢ / ١٩ – ٢١ ، وفيات الأعيان : ١ / ٨٠ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٤ / ٥٨ .

(٥) ينظر : الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٥ .

وهو مذهب الكوفيِّين ، وفيه قبح عند البصريِّين [١] ، فإنه لا يجوز عندهم عطف الظاهر على المضمر إلا بإعادة حرف الجر ، مثل : مررت به وبزيد ، ولا يجوز : مررت به وزيد إلا في الشعر .

✖ وأما **سيبويه** فهي عنده قبيحة لا تجوز إلا في الشعر [٢] ، كما قال :

فاليومَ قرَّبْتَ تَهْجُونا وتَشْتِمُنا فاذهب فما بك والأيَّامِ من عَجَبِ

✖ **وضعَّفه ابن جُزيّ وغيره** [٣] **فقال** : " **وهذا ضعيف في النحو** ؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ، **وهو قوي في المعنى** " [٤] .

✓ **ويرد على ذلك** :

بأن **هذا القول ليس ضعيفاً في النحو** ؛ بل الضَّعف على مذهب البصريين ولسنا ملزمين بمذهبهم النحوي ، وقد صحَّح جماعة من علماء العربية [٥] جواز العطف من غير إعادة الخافض ، وقد ورد ذلك في كلام العرب نثراً ونظماً ، وإلى ذلك ذهب **ابن مالك** حيث قال :

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرِ خَفْضٍ لاَزِمَا قَدْ جُعِــلاَ
وَلَيْسَ عِنْدِي لازِما إِذْ قَــدْ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا [٦]

---

(١) استنصر الأنباري لمذهب البصريين ، وللمزيد من الرد على الكوفيين ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) (مسألة هل يجوز العطف على الضمير المخفوض) : ٢ / ٤٦٣ .

(٢) ينظر : كتاب سيبويه لعمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : ٢ / ٣٨٣ . والبيت من شواهد سيبويه ذكره في كتابه من غير عزو .

وسيبويه هو : عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري ، أبو بشر ، إمام النحو وحجة العرب ، سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين ، وهو أول من بسط علم النحو ، ت سنة ١٨٠ على الأصح . ينظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ١٩٥ ، الإكمال لابن ماكولا : ٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠ ، معجم الأدباء : ٤ / ٤٩٩ - ٥٠٦ .

(٣) وممن **ضعَّفه** أيضاً : الطبري ، والزمخشري ، وابن عطية ، والنيسابوري ، والشوكاني . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٥) منهم أبو حيان ، ينظر : البحر المحيط : ٢ / ١٥٦ .

(٦) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري =

واستدل له من القرآن :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ... ﴾ . [سورة النساء : ١] . (١)

✌ **فالقول بأن ﴿ مَن ﴾ في موضع جر عطفاً على الضمير المجرور في ﴿ لَكُمْ ﴾ صحيح نحواً ، قوي في المعنى .**

✓ **القول الثاني** : المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ **العبيد والإماء والأنعام والدواب** ؛ قاله الفَرَّاء (٢) ، والزَّجَّاج (٣) .

ومعنى الآية : وجعلنا لكم فيها معايش ؛ وجعلنا لكم العبيدَ والإماء والدوابَّ والأنعام ، وكفيتم مؤونة أرزاقها ، و ﴿مَن﴾ لمن يعقل دخل معهم من لا يعقل بحكم التغليب .

❖ **وعلى هذا : تكون ﴿مَن﴾ في موضع نصب عطفاً به على ﴿ مَعَٰيِشَ ﴾** ؛ ذهب إليه الأنباري (٤) ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (٥) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٦) .

= الهمداني (ت ٧٦٩هـ) : ٣ / ٢٣٩ .

وابن مالك هو : جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الأندلسي النحوي الجياني ، العالم المشهور صاحب التصانيف في النحو والعربية نزيل دمشق ، صاحب التسهيل والألفية . ت سنة ٦٧١ هـ . ينظر : فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) : ٢ / ٣٧٦ ، النجوم الزاهرة : ٧ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، نفح الطيب : ٢ / ٢٢٢ .

(١) هذا المعنى على قراءة حمزة بالخفض لـ (الأرحامِ) من غير إعادة حرف الجر ، وهي قراءة متواترة . ينظر : اتحاف فضلاء البشر : ٢٣٦ .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٧٢ .

(٣) ينظر معانيه : ٣ / ١٧٧ .

(٤) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات لأنباري : ٢ / ٤٧٢ .

والأنباري هو : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أبو البركات ، كمال الدين الأنباري : من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال . له عدة كتب منها : (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) ، و (الانصاف في مسائل الخلاف) في نحو الكوفيين والبصريين ، و (الميزان) في النحو ، سكن بغداد وت فيها سنة ٥٧٧ هـ . ينظر : الوفيات لأحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٨٠٩ هـ) : ٢٩٠ ، بغية الوعاة : ٢ / ٨٦ ، هدية العارفين : ١ / ٥١٩ .

(٥) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٦) منهم : الطبري ، النحاس ، والسمر قندي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، واحتمله =

كأن الله تعالى عدد النعم في المعايش وهي ما يؤكل ويلبس ، ثم عدد النعم في الحيوان والعبيد والصناع وغير ذلك مما ينتفع به الناس وليس عليهم رزقهم .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز الوجهين** ، وتكون ﴿مَن﴾ في ﴿ وَ مَنِ لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ :

- في موضع نصب عطفاً به على ﴿ مَعَٰيِشَ ﴾ .
- أو في موضع جر عطفاً على الضمير المجرور في ﴿ لَكُمْ ﴾ .

كأنه قيل : جعلنا لكم معايش ، وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب .

✓ **وقد أجاز الوجهين جماعة من المفسرين** [1] ، ولكل قول أدلته .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= الثعالبي ، والآلوسي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٨ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٥٣ ، زاد المسير : ٤ / ٣٩٢ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٧ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٩ تفسير السعدي : ٤٣٠ ، الوسيط : ٨ / ٣١ .

(١) منهم : السمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والشوكاني .
ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٤ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٧ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٣٧ ، ١٣٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧١ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ . [آية : ٢١] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد خزائن الأشياء من جميع الصنوف ؛ والخزائن على حقيقتها ، فقال : ((﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ . قيل : يعني المطر . **واللفظ أعم من ذلك** ، والخزائن : المواضع الخازنة ، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت . وقيل : ذلك تمثيل ، والمعنى : وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى** : ﴿ **وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ** [(٢)] ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : المراد **خزائن الأشياء** [(٣)] **من جميع الصنوف ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٤)] ووافقه جماعة من المفسرين [(٥)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٢) **الخزائن** : جمع خزانة ، وهى اسم الموضع الذى يحفظ فيه الشيء . ينظر (مادة : خزن) : المحكم لابن سيده : ٥ / ٩٧ ، لسان العرب : ١٣ / ١٣٩ .

(٣) وقيل : الخزائن المفاتيح ، أي : ما من شيء في السماء إلا عندنا مفاتيحه . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٧ ، تنوير المقباس : ٢١٧ ، تفسير الجلالين : ٣٤٠ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٥ .

(٥) منهم : النحاس ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، ونقل الثعالبي قول ابن عطية ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٩ المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ ، زاد المسير : ٤ / ٣٩٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٣٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٩ ، نظم الدرر : ٤ / ٢١٣ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٢٣ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٥٣ ، روح المعاني : ١٤ / ٣٠ ، تفسير السعدي : ٤٣٠ ، الظلال : ٤ / ٢١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٦ ، الوسيط : ٨ / ٣١ .

قال سيد قطب : " ومدلول ﴿ خَزَآئِنُهُۥ ﴾ يتجلى في صورة أقرب بعدما كشف الإنسان طبيعة العناصر التي يتألف منها الكون المادي ؛ وطبيعة تركيبها وتحليلها إلى حد ما ، وعرف مثلاً : أن خزائن الماء الأساسية هي ذرات الايدروجين والأكسوجين ! وأن من خزائن الرزق المتمثل في النبات الأخضر كله ذلك الآزوت الذي في الهواء ! وذلك الكربون وذلك الأكسجين المركب في ثاني أكسيد الكربون ! وتلك الأشعة التي ترسل بها الشمس أيضاً ! ومثل هذا كثير يوضح دلالة خزائن الله التي توصل الإنسان إلى معرفة شيء منها .. وهو شيء على كثرته قليل قليل .. " . اهـ [١] .

القول الثاني : المراد بالخزائن **المطر** ؛ لأنه هو السبب للأرزاق ولمعايش بني آدم وغيرهم من الطيور والوحوش ، وهو قول عبد الله بن مسعود ﷺ [٢] ، والحسن [٣] ، وقاله ابن جريج [٤] ، ومجاهد [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه جماعة [٧] من المفسرين [٨] .

✖ **واعتُرِض :**

١. إن تخصيص قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ بالمطر تحكم محض

---

(١) الظلال : ٤ / 2134 .

(٢) عن **عبد الله بن مسعود** ﷺ قال : « ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يقسمه حيث شاء ، عاماً ها هنا وعاماً ها هنا . ثم قرأ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ » . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٩) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٧٠) إلى ابن مردويه . ينظر : وأخرج الحاكم عن ابن عباس ﷺ قال : « ما من عام أمطر من عام ، ولكن الله يصرفه حيث يشاء . ثم قرأ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ . الآية . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه . قال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم . ينظر : المستدرك على الصحيحين في كتاب التفسير ، من تفسير سورة الفرقان (٣٥٢٠) : ٢ / ٤٣٧ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤ .

(٤) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ ، الدر المنثور : ٥ / ٧٠ .

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٧٠ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٠١ .

(٧) نسب هذا القول الفخر الرازي والشوكاني إلى جمهور المفسرين . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٣٨ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ . ولكني وجدت جمهور المفسرين مع القول الأوَّل .

(٨) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والخازن . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٨٢ الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٠ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٢ .

لأن قوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ ﴾ يتناول جميع الأشياء [١] إلاَّ ما خصَّه الدليل .

٢. إن لفظ الآية لا يدل على أن تخصيص ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ بالمطر ، فلو ساعده نقل صحيح أمكن أن يقبلهما العقل ، والظاهر عموم الحكم .

٣. قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ لا يدلُّ على أنه تعالى ينزله في جميع الأعوامِ على قدر واحد .

٤. وقوله : ﴿ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ إشارة إلى كون تلك الأشياء مقدورة له تعالى ومملوكة يخرجها من العدم إلى الوجود كيف شاء [٢] .

✍ **ثم اختلف المفسرون في الخزائن ؛ هل هي على حقيقتها أم على سبيل التمثيل ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :**

القول الأوَّل : ذلك **تمثيل** ، والمعنى : وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه ؛ والإنعام به ، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور ؛ قاله جماعة من المفسرين [٣] .

قال ابن عطية : " وهذا أيضاً ظاهر في أشياء كثيرة . وهو لازم في الأعراض إذا عممنا لفظة ﴿ شَيْءٍ ﴾ وكيفما كان الأمر فالقدرة تسعه وتتقنه " . اهـ [٤] .

قالوا : أن (عند) في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ أنسب بالعلم لأن المقدور ليس عنده إلاَّ بعد الوجود .

---

(١) النكرة في سياق النفي من صيغ العموم . ينظر : الإتقان للسيوطي : ٣ / ٤٢ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٣٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٤٤ .

(٣) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، و أبوالسعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٣٨ تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٢١٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٢٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٢٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٥٣ ، روح المعاني : ١٤ / ٣٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٦ ، الوسيط : ٨ / ٣١ .

(٤) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٥ . وعلى هذا جوز ابن عطية القولين .

✖ **وتُعقِّب** : بأن كون المقدورات في خزائن القدرة ليس باعتبار الوجود الخارجي ؛ بل الوجود العلمي (١) .

القول الثاني : **الخزائن على حقيقتها** ، وهي الأماكن التي تحفظ فيها الأشياء ، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (٢) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٣) .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد خزائن الأشياء من جميع الصنوف ؛ وأن الخزائن على حقيقتها ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ؛ ما يلي :

أولاً : قول ابن مسعود ﷺ ليس نصاً في تفسير الآية ؛ فلا يوجد نص صحيح يدل على تخصيص الخزائن بالمطر ؛ مما يجعل اللفظ عاماً في جميع الأشياء .

ثانياً : اكتشافات العصر الحديث تبين أن لكل شيء مخزناً ؛ كما ذكر سيد قطب في تفسير الآية ؛ وتكون الخزائن على حقيقتها ، وأن الأشياء موجودة قد خلقت .

ثالثاً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** .
- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٣٠ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٥ .

(٣) منهم : الطبري ، النحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، و الواحدي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والخازن ، وابن كثير ، والسعدي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٥٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٨٢ الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٠ ، زاد المسير : ٤ / ٣٩٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٣٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٢ تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٤٩ ، تفسير السعدي :٤٣٠ ، الظلال : ٤ / ٢١٣٤ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ ، ٥٢٧ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ .[آية : ٢٤] .

مسألة: في المراد بالمستقدمين والمستأخرين :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالمستقدمين والمستأخرين الأوَّلين والآخرين من الناس ، فقال : ((يعني : الأوَّلين والآخرين من الناس ، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ... ﴾ [١] ؛ لأنه إذا أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم . وقيل : يعني من استقدم ولادةً وموتاً ومن تأخر . وقيل : من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه)) . اهـــ [٢] .

الدراسة :

هذه الآية تبين كمال علمه ﷻ بعد الاحتجاج على كمال قدرته [٣] ، وللمفسرين في معنى المستقدمين والمستأخرين ثمانية أقوال :

القول الأوَّل : التقدم في الصف الأوَّل والتأخر عنه ، وهو سبب نزول الآية ، وقاله الواحدي [٤] ، **ورجَّحه** القرطبي [٥] .

جاء في سبب نزول الآية عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : « كانت امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رسول اللَّهِ ﷺ حَسْنَاءَ من أَحْسَنِ الناس ، فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَتَقَدَّمُ حتى يَكُونَ في الصَّفِّ الأوَّل ؛ لِئَلَّا يَرَاهَا ، وَيَسْتَأْخِرُ بَعْضُهُمْ حتى يَكُونَ في الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ ؛ فإذا رَكَعَ نَظَرَ من تَحْتِ أبطيه فَأَنْزَلَ الله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ » [٦] .

---

(١) سورة الحجر : ٢٥ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٣) الاحتجاج على كمال قدرته في قوله تعالى قبل الآية التي معنا : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ . [آية : ٢٣] .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٥٩١ .

(٥) ينظر تفسيره : ١٠ / ١٩ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْحِجْرِ (٣١٢٢) : ٥ / ٢٩٦ . قال أبو =

القول الثاني : المستقدمون **كل من هلك من لدن آدم** عليه السلام ، والمستأخرون **من هو حي ومن سيأتي إلى يوم القيامة** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(١)] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [(٢)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٣)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٤)] .

القول الثالث : أن المستقدمين **آدم** عليه السلام **ومن مضى من ذريته** ، والمستأخرين **الذين في أصلاب الرجال** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٥)] أيضاً ، وبه قال عكرمة [(٦)] ، وذكره ابن أبي زمنين [(٧)] .

القول الرابع : أن المستقدمين **من مضى من الأمم** ، والمستأخرين **أمَّة محمَّد** صلى الله عليه وسلم ، قاله مجاهد [(٨)] .

القول الخامس : أن المستقدمين **في الطاعة والبدار إلى الإيمان والخيرات** ، والمستأخرين **بالمعاصي** ، قاله قتادة [(٩)] ، وذهب إليه ابن عطية [(١)] .

= عِيسَى : وَرَوَى جَعْفَرُ بن سُلَيْمَانَ هذا الحديث عن عَمْرِو بن مَالِكٍ عن أبي الْجَوْزَاءِ نَحْوَهُ ، ولم يذكر فيه عن ابن عَبَّاسٍ وَهَذَا أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ أَصَحَّ من حديث نُوحٍ . **وصحَّحه الألباني** . وينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٣١ . لكننا نجد **ابن كثير** يضعف هذا الحديث ؛ ويقول : وهذا **الحديث فيه نكارة شديدة** . والظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذِكر ، فلا اعتماد إلا على حديث جعفر بن سليمان وه و مقطوع . ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٠ . وقد **ضعَّف الطاهر بن عاشور** أيضاً هذا الحديث وقال : وهو **خبر واهٍ** لا يلاقي انتظام هذه الآيات ولا يكون إلا من التفاسير الضعيفة . وكذلك **ضعَّفه الثعالبي** . ينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٨ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٤٠ .

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٧ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ١٧٨ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٥ .

(٤) منهم : الطبري ، وابن كثير ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، وسيد قطب ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الطبري : ١٣ / ٢٦ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٠ ، تفسير الجلالين : ٣٤٠ ، السراج المنير : ٢ / ٢٢٤ ، تفسير السعدي :٤٣٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٤٠ ، الظلال : ٤ / ٢١٣٥ ، الوسيط : ٨ / ٣٥ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٧٥) إلى ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٢٤) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٤٨) ، وابن جرير في تفسيره (١٤ / ٢٤) .

(٧) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٨٣ .

(٨) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٤١ . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٤٨) ، وابن جرير في تفسيره (١٤ / ٢٥) .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٢٥) .

القول السادس : أن المستقدمين **من بني آدم من مات منكم** ؛ والمستأخرينَ **من بقي منكم فلم يمت** ، قاله مقاتل [٢] .

القول السابع : أن المستقدمين **من قتل في الجهاد** ، والمستأخرين **من لم يقتل** ، قاله **القرظي** [٣] .

القول الثامن : أن المستقدمين **أول الخلق** ، والمستأخرين **آخر الخلق** ، قاله الشعبي [٤] .

الـترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الأوَّلى حمل الآية على العموم** [٥] ، **وحمل جميع أقوال السَّلف على التمثيل لا على الحصر ، فيكون معنى الآية : علمنا من اتصف بالتقدم والتأخر في الولادة ، والموت ، والإسلام ، وصفوف الصلاة ، والطاعة وغير ذلك** ؛ يدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ؛ ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : لما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ نبَّه على أنه لا يخفى على الله شيء من أحوالهم ؛ فيدخل فيه **علمه تعالى** بتقدمهم وتأخرهم في الحدوث والوجود ، وبتقدمهم وتأخرهم في أنواع الطاعات والخيرات ، ولا ينبغي أن نخص الآية بحالة دون حالة .

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٨ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٠١ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٢٣) .
والقرظي هو : محمد بن كعب القرظي المدني ، أبو حمزة ، تابعي ثقة ، رجل صالح ، كان من عباد أهل المدينة وعلمائهم بالقرآن ، ت سنة ١٠٨هـ . ينظر : معرفة الثقات : ٢ / ٢٥١ ، مشاهير علماء الأمصار : ٦٥ ، الإصابة : ٦ / ٣٤٥ .

(٤) نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٥٦) .

(٥) قال **بالعموم** من المفسرين : ابن عطية ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والقاسمي والطاهر بن عاشور . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٣٨ – ٥٤٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٤٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٧٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٧ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٨ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٣ ، تفسير القاسمي :١٠ / ٥٤ ، روح المعاني : ١٤ / ٣٣ .

ثم تبع هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ... ﴾ . [سورة الحجر : ٢٥] . على وجه الاستدلال على الحشر ؛ لأنه إذا **أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم** [١] .

ثانياً : الحديث الوارد في سبب النزول في القول الأوَّل ضعَّفه غير واحد من المفسرين كما ذكرت ؛ وإن صحَّ فلا بدَّ من تأويله ؛ فإن الصَّحابة ﷺ يتزهون عن فعل ما ذكر فيه ، فيؤوَّل :

- بأن ذلك صدر من بعض المنافقين ، أو بعض الأعراب الذين قرب عهدهم بالإسلام ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم .
- وأما ابن عباس ﷺ راوي الحديث فإنه كان يومئذ صغيراً بلا شكٍّ ؛ هذا إن كانت الآية مدنية [٢] ؛ فإن كانت مكية فهو يومئذ في سن الطفولة .

وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه [٣] ؛ ولو حكمنا بصحته لكان مخصصاً للآية ؛ وعلى كلٍّ فالعبرة بعموم اللفظ .

ثالثاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ؛ منها :

- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [٤] .
- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** [٥] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٦] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٤٢ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٣ .

(٢) ذكر السيوطي في الإتقان الإتفاق على مكية سورة الحجر ، ثم قال : وينبغي استثناء قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ... ﴾ . الآية . لما أخرجه الترمذي وغيره في سبب نزولها ، وأنها في صفوف الصلاة . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤١ ، ٤٩ . وقد تبيَّن **ضعف** رواية الترمذي .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٨ ، تفسير التحرير والتنوير : ١٤ / ٤٠ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٢٧ .

(٥) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

(٦) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ . [آية : ٢٧] .

مسألة : في المراد بالجان في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالجان إبليس الأوَّل ، فقال : ((يراد به جنس الشياطين ، وقيل : إبليس الأوَّل ، **وهذا أرجح** ، لقوله : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ وتناسلت الجن من إبليس ، وهو للجن كآدم للناس)) . اهـ (١) .

الدراسة :

اختلف المفسرون في المراد **بالجان** على قولين :

القول الأوَّل : أن المراد بالجان (٢) **إبليس الأوَّل** (٣) ، هو أبو الجن (٤) ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه (٥) ، وقتادة (٦) ، والحسن (٧) .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٥ .

(٢) الجان : من جن الشيء إذا ستره ، سمى جاناً لتواريه عن الأعين ؛ فالجان يستر نفسه عن أعين بني آدم . ينظر (مادة جن) : مفردات الرَّاغب : ٩٨ ، تاج العروس : ٢٤ / ٣٦٧ .

(٣) اختلفت أقوال السلف في المراد بالجان على هذا القول كما يلي :

- قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه : الجان هو إبليس ، وهو أبو الشياطين ، وهو قول الحسن ومقاتل وقتادة .
- وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية أخرى : الجان هو أبو الجن ، ونسب الفخر الرازي هذا القول إلى الأكثرين .

ويرد على هذا : أليس أبو الجن هو إبليس ؟ إذن إبليس هو أبو الجن وهو المراد بالجان . والله أعلم . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٤٩ ، زاد المسير : ٤ / ٣٩٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٤٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٥ .

(٤) اختلف أهل العلم في الجن فقال بعضهم : إنهم جنس غير الشياطين ؛ والأصح أن الشياطين قسم من الجن ، فكل من كان منهم مؤمناً فإنه لا يسمى بالشيطان ، وكل من كان منهم كافراً يسمى بهذا الاسم . وسمُّوا جنًّا ؛ لاستتارهم عن الأعين ، ومنه يسمَّى الجنينُ ؛ لاستتاره عن الأعين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٤٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٥٤ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢١٧ .

(٦) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٣٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٧٨ .

(٧) نسبه إليه القرطبي في تفسيره (١٠ / ٢٣) .

وقاله مقاتل [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه **جمهور** [٣] المفسرين [٤] .

واستدل له بما يلي :

١. قوله : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي : من قبل خلق آدم عليه السلام ، وهو إبليس ، وتناسلت الجن من إبليس ، وهو للجن كآدم للناس [٥] .

٢. **من السُّنة** : ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ ما شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ ؛ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ ما هو ، فلما رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ [٦] » [٧] .

القول الثاني : المراد بالجان **جنس الشياطين** ، وذهب إليه ابن عطية ، والثعالبي [٨] ، وجوَّزه

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٠٢ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٥ .

(٣) نسب الشوكاني هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : فتح القدير :٣ / ١٣٠ .

(٤) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٣٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٨٤ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٣٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٤٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٤٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢١٩ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٤٠ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٢٠ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٥٤ ، تفسير الجلالين : ٣٤٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٤ ، السراج المنير : ٢ / ٢٢٥ ، فتح القدير : ٣ / ١٣٠ ، روح المعاني : ١٤ / ٣٤ ، تفسير السعدي : ٤٣١ ، الوسيط : ٨ / ٤٢ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٣ ، التسهيل : ٢ / ١٤٥ ، فتح القدير : ٣ / ١٣٠ .

(٦) **معنى « لا يتمالك »** : لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات . وقيل : لا يملك دفع الوسواس عنه . وقيل : لا يملك نفسه عند الغضب . ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي لأبي زكريا ، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) : ١٦ / ١٦٤ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، بَاب خَلْقِ الْإِنْسَانِ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ (٢٦١١) : ٤ / ٢٠١٦ .

(٨) قالوا : والجان يراد به جنس الشياطين ، والمراد بهذه الخلقة إبليس أبو الجن . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٣٩٨ . **فعادوا بذلك للقول الأوَّل** .

وجوَّزه البيضاوي ، وأبو السعود [١] .

قالوا : لما كان الجن مخلوقاً من مادة واحدة ؛ وهي النار ؛ كان الجنس بأسره مخلوقاً منها ؛ كما هو الحال من الإنسان ؛ فآدم عليه السلام خلق من تراب ؛ وكذلك جنس بني آدم بأسره [٢] .

.

الـترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن يراد بالجان : إبليس الأوَّل ؛ وهو أبو الجن وتناسلت الجن من إبليس ، وهو للجن كآدم للناس ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك ما تقدم ؛ إضافة ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

يظهر من سياق الآية أن الله أراد بيان المادة التي خلق منها كل من الجن والإنس ، والمراد بذلك بيان بدء خلق آدم أبي البشر ، وإبليس أبي الجن .

قال أبو السعود : " ومساق الآية الكريمة ؛ كما هو ، للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين ، فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر ، وهو قبول المواد للجمع والإحياء " . اهـ .

ثانياً : تفسير السلف بذلك ؛ وإجماع أهل الحجة من المفسرين عليه .

ثالثاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** عند المفسرين ؛ منها :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٣] .

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٤ .

(٢) ينظر : المرجعين السابقين .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٩ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . [آية : ٣٩] .

مسألة : في معنى الباء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى الباء السببية ، فقال : ((الباء للسببية ، أي : لأغوينهم بسبب إغوائك لي . وقيل : للقسم ، كأنه قال : بقدرتك على إغوائي لأغوينهم)) . اهـــ [(١)] .

الدراسة :

أصل الإغواء في كلام العرب : تزيين الرجل للرجل الشيء حتّى يحسنه عنده غاراً له .

وقالَ **ابنُ الأثيرِ** : " الغَيُّ الضّلالُ والانْهِماكُ في الباطِلِ " .

وقالَ **الرَّاغب** : " الغَيُّ جَهْلٌ مِن اعْتِقادٍ فاسِدٍ ؛ وذلكَ لأنَّ الجَهْلَ قد يكونُ مِن كوْنِ الإنْسان غَيْر مُعْتَقدٍ اعْتِقاداً لا صالِحاً ولا فاسِداً " .

وقال **ابن منظور** : " الغي : الضلال والخيبة " [(٢)] .

واختلف أهل العلم والمفســرون في **معنى البـــاء في قوله تعالى** : ﴿ **بِمَآ أَغْوَيْتَنِى** ﴾ علـــى

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٦ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ٨ / ١٣٤ . وينظر (مادة : غوى) في : مفردات الرَّاغب : ٣٦٩ ، النهاية لابن الأثير : ٣ / ٣٩٧ ، لسان العرب : ١٥ /١٤٠ ، تاج العروس : ٣٩ / ١٩٧ .

وابن الأثير هو : المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، أبو السعادات ، مجد الدين المعروف بابن الأثير : المحدث اللغوي الأصولي . من كتبه : جامع الأصول في أحاديث الرسول ، و النهاية في غريب الحديث والأثر ، وغير ذلك من التصانيف ، ت سنة ٦٠٦ هـــ . ينظر : وفيات الأعيان : ٤ / ١٤١ ، الكامل في التاريخ : ١٠ /٣٥٠ ، طبقات الشافعية : ٢ / ٦٠ .

وابن منظور هو : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي : الإمام اللغوي الحجَّة ، وعنده تشيع بلا رفض . أشهر كتبه : (لسان العرب) في اللغة الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية . ت سنة ٧١١ هـــ . ينظر : الدرر الكامنة : ٦ / ١٥ أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧ هـــ) : ٣ / ١٠ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢٦ .

قولين :

القول الأوَّل : أن الباء **للسببية** ، أي : لأغوينهم بسبب إغوائك لي ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى** ﴾ أي : كما أضللتني [٣] ، وقاله جمهور [٤] المفسرين .

✖ **والمعتزلة** أوَّلوا الإغواء [٥] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٦ .

(٢) منهم : الواحدي ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٢ ، روح المعاني : ١٤ / ٥٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٤٩ . واحتمله غير واحد من المفسرين ؛ منهم : ابن عطية ، وابن كثير ، ونقل الثعالبي قول ابن عطية ، وأبو السعود . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٦٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٠١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٨ .

(٣) وعلى هذا المعنى قال محمد بن كعب القرظي فيما حكى الطبري : (قاتل الله القدرية لإبليس أعلم بالله منهم) . يريد أنه علم أن الله يهدي ويضل . وجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر ، فجلس إلى طاووس في المسجد الحرام ، فقال له طاووس : تقوم أو تقام ؟ فقام الرّجل . فقيل له : أتقول هذا الرجل فقيه ، فقال : إبليس أفقه منه . قال : ربّ بما أغويتني ، وهذا يقول أنا أغوي نفسي . وقال الحسن : ﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾ لعنتني . وقيل : بما خيبتني من رحمتك ، وقيل : بما أهلكتني . وقالت فرقة ﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾ معناه : أهلكتني ، حكى ذلك الطبري وقال هو من قولك : غوى الفصيل ، ويغوي غوى : إذا انقطع عنه اللبن فمات . وقد حكي عن بعض طيىء : أصبح فلان غاوياً ؛ أي : مريضاً . قال ابن عطية : وهذا كله تفسير بأشياء لزمت إغواءه . اهـ . ينظر : تفسير الطبري : ٨ / ١٣٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٠ ، المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٠ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٢٧٦ ، روح المعاني : ٨ / ٩٤ .

(٤) نسب ابن عطية هذا المعنى إلى الجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٠ .

(٥) تأول المعتزلة : ﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾ أي : نسبتني إلى الغواية ، أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام ، فالمعتزلة يقولون : إن الإغواء شر ، والله عز وجل منزه عن فعل الشر ، ونسبته إلى الله على الحقيقة قبح .
وتمسك بعض المعتزلة في تأويل ما تقدم بقوله : ﴿ ... لَأُغْوِيَنَّهُمْ ... ﴾ . [سورة ص : ٨٢] . حيث أفاد أن الإغواء فعله فلا ينبغي أن ينسب إلى الله تعالى . **وهو تأويل باطل عند أهل السُّنة** . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٠ **وأجيب** : بأن المراد به هنا الحمل على الغواية لا إيجادها ، وتأويل اللاحق للسابق أولى من العكس ، وبالجملة ضعف الإستدلال ظاهر فلا يصلح ذلك متمسكاً لهم .
ومعتقد أهل السُّنة والجماعة : أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد : أي أن الله خلق أفعال العباد ، والعباد باشروها مختارين ، فصاروا بها عصاة ومطيعين ، فإذن أفعال العباد من الله خلقا وتقديراً ، ومن العبد فعلاً وتسبباً وكسباً ومباشرة ، وأن الله أراد بالإنظار إضلال بعض الناس ؛ فسبحانه من إله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلاّ ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن . ينظر : درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لتقي الدين أحمد بن =

وعبر **ابن عطية** عنها بأن يراد بها معنى المجازاة ؛ كأن معناه : فلأنك أغويتني ؛ أو فبأنك أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . كما تقول : فبإكرامك لي يا زيد لأكرمنك . وقال : " هذا أليق المعاني بالقصة " [١] . ومراده بهذا الإغواء الذي جعله سبباً لما سيفعله مع العباد : هو ترك السجود منه ، وأن ذلك كان بإغواء الله له ، حتى اختار الضلالة على الهدى ، وقيل : أراد به اللعنة التي لعنه الله ؛ أي : فبما لعنتني فأهلكتني . ومنه قوله تعالى : ﴿ ... فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ .[سورة مريم – عليها السَّلام – : ٥٩] . [٢]

القول الثاني : أن الباء **للقسم**[٣] ، كأنه قال : بقدرتك على إغوائي لأغوينهم ، قاله أبو عبيدة [٤] ، والأخفش [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] .

= عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : ١٠ / ١٠٩ ، مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة لعبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) : ١٧٠ ، شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي ، المعروف بابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢ هـ) : ١ / ١٥٣ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٢٧٦ ، روح المعاني : ٨ / ٩٤ .

(١) المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٠ .

(٢) ينظر : فتح القدير : ٢ / ١٩٢ .

(٣) في انعقاد القسم بصفات الله تعالى خلاف بين المذاهب كما يلي :

- قالت **الحنفية** : ينعقد الحلف بكل اسم من أسماء الله تعالى وكل صفة تعورف الحلف بها ؛ فالأيمان مبنية على العرف ، فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا . ينظر : حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة (المعروفة حاشية ابن عابدين) لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت ١٢٥٢ هـ) : ٧ / ٤٥٤ .
- وقالت **المالكية** : ينعقد القسم بصفات الذات ، وصفات الأفعال ، أما الصفات السلبية كقدمه وبقائه ووحدانيته ففيها خلاف . ينظر : منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل لمحمد عليش (ت ١٢٩٩ هـ) : ٣ / ٤ .
- وقالت **الشافعية** : ينعقد الحلف بصفات الذات ، واختلفوا في صفات الأفعال ، قال : الغزالي لا يكون يميناً لأن اليمين إنما تنعقد بلسم معظم ، وقال النووي : والأصحُّ أنه يمين ؛ وكذا قال الخطيب الشربيني . وهذا هو الرَّاجح في المذهب . ينظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبي زكريا ، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) : ١١ / ٤ ، السراج المنير : ٢ / ٢٢٧ .
- وقال **الحنابلة** : ينعقد القسم بصفات الذات ، وصفات الأفعال . ينظر : الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد ابن حنبل لعبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) : ٤ / ٣٧٨ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٧٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٢ ، روح المعاني : ١٤ / ٥٠ .

(٤) ينظر مجازه : ١ / ٣٥١ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٦٠٢ .

(٦) منهم : الطبري ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٣٣ ، الكشاف : =

وجواب القسم محذوف ، وتعلقت الباء به ، تقديره : ﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ أقسم بالله ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ ﴾ أي : أقسم بإغوائك .

واستدل على ذلك بما يلي :

١. **النظير القرآني** : إبليس أقسم بعزته ﷻ على غواية بني آدم في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . [سورة ص : ٨٢] .

٢. إقسامه ها هنا (بإغواء الله له) لا ينافى إقسامه بعزة الله ؛ التى هى سلطانه وقهره ؛ لأن الإغواء له هو من جملة ما تصدق عليه العزة [(١)] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الباء للسببية ، أي : لأغوينهم بسبب إغوائك لي ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : السببية أوْلى ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ . [سورة ص : ٨٢] . جاء **بصيغة القسم** بصفة من صفات الله ؛ وهي عزة الله ، وهي يمين شرعاً ؛ لكن السِّياق هنا في سورة الحجر في قوله ﷻ على لسان إبليس : ﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ ليس فيه دلالة القسم ؛ بل الأظهر أن **الباء في هذه الآية للسببية** .

ثانياً : القسم بالإغواء غير متعارف ، وفيه عدم الإشعار بالتعظيم ؛ فلا يعد القسم بها يميناً شرعاً ، فإن القائلين بانعقاد القسم بصفة له تعالى يشترطون أن تشعر بتعظيم ويتعارف مثلها [(٢)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= ٢ / ٥٤١ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٧٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٦٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٢٧٥ ، ٤٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٥٨ ، تفسير الجلالين : ٣٤١ ، السراج المنير : ٢ / ٢٢٧ ، فتح القدير : ٣ / ١٣١ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٧٦ .

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٧٨ ، فتح القدير : ٣ / ١٣١ ، روح المعاني : ١٤ / ٥٠ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٧٦ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٥٠ .

قوله تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ . [آية : ٧٩] .

مسألة : في عود الضمير في ﴿ إِنَّهُمَآ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ وما يترتب عليه من معنى (الإمام) :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في ﴿ إِنَّهُمَآ ﴾ إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب ؛ فالإمام على هذا الطريق ، فقال : ((الضمير في ﴿ إِنَّهُمَآ ﴾ قيل : إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب فالإمام على هذا الطريق ؛ أي : إنهما بطريق واضح يراه الناس . وقيل : الضمير للوط وشعيب ؛ أي : إنهما على طريق من الشرع واضح ؛ **والأوَّل أظهر**)) . اهـ (1) .

الدراسة :

ترتب على اختلاف المفسرين في **معنى (الإمام)** اختلافهم في **عود الضمير في ﴿ إِنَّهُمَآ ﴾ في قوله تعالى** : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأوَّل : الإمام هو الطريق ، وعليه فالضمير **في ﴿ إِنَّهُمَآ ﴾** يعود إلى مدينة قوم لوط وقوم شعيب – عليهما السَّلام – ؛ أي : إنهما بطريق واضح يراه الناس ، قاله ابن عباس رضي الله عنه (2) ، ومجاهد (3) ، وقتادة (4) ، والضحاك (5) ، وذهب إليه جماعة من أهل اللغة (6) .

---

(1) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٨ .

(2) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٩٣ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٢٠ .

(3) قال مجاهد : يعني بطريق معلم . ينظر تفسيره : ١ / ٣٤٣ . وأخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٩٣ .

(4) ذكره عنه الصنعاني . ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤٩ . وأخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٩٣ .

(5) قال الضحاك : بطريق مستبين . أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٩٣ .

(6) منهم : الخليل بن أحمد ، والفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وابن قتيبة ، وغلام ثعلب ، وابن منظور ، والكفوي ، والزبيدي ينظر : العين للخليل بن أحمد (مادة : موم) : ٨ / ٤٢٩ ، معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٧٦ ، معاني القرآن للزَّجَّاج : ٣ / ١٨٥ ، ياقوتة الصرط لمحمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ) : ٢٩١ ، لسان العرب (مادة : أمم) : ١٢ / ٢٦ ، كليات الكفوي : ١٨٦ تاج العروس =

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ (١) ، ووافقه **جمهور** (٢) المفسرين (٣) .

قال **الفَرَّاء والزَّجَّاج** : سمى الطريق إماماً لأنه يؤتم ويتبع (٤). وقال **ابن قتيبة** : لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى الموضع الذى يريده ؛ فسمَّى به الطريق ومطمر البناء لأنهما مما يؤتم به (٥) .

واستدل على ذلك بما يلي :

١. مدينة قوم لوط وقوم شعيب – عليهما السَّلام – بين الحجاز والشام ، وقد كانت قريش يمرون عليه ما في أسفارهم (٦) . قال تعالى في مدينة قوم لوط عليه السلام : ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ . [سورة الصافات :

= (مادة : أم م) : ٣١ / ٢٤٤ . ومن **كتب الغريب** ، ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٩٩ ، التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري : ٢٥٧ .

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٨ .

(٢) نسب الآلوسي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٧٥ .

(٣) منهم : مقاتل ، والطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وابن تيمية ، والخازن ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن كثير ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٠٨ ، تفسير الطبري : ١٤ / ٤٩ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ /٣٩٠ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٤٧ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٤٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٥٥ ، الكشاف : ٢ / ٥٤٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٦٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٨٠ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٤٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣١ ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٧ / ١١٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧١ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٥١ ، الدر المصون : ٤ / ٣٠٦ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٢ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٨٢ ، تفسير الجلالين : ٣٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٧ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٠ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٦٦ ، روح المعاني : ١٤ / ٧٥ ، تفسير السعدي : ٤٣٤ ، الظلال : ٤ / ٢١٥١ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٢٨ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٧١ ، ٧٢ ، الوسيط : ٨ / ٧١ . وينظر تغليق التعليق لابن حجر ، من سورة الحجر : ٤ / ٢٣٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٧٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ١٨٥ .

(٥) نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٧ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٠ . ولم أقف عليه في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٦) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٨ ، الظلال : ٤ / ٢١٥١ ، أضواء البيان : ٢ / ٢٨٨ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٧٢ .

١٣٧ ، ١٣٨] . [1] .

٢. مدينة قوم شعيب عليه السلام قريبة من قوم لوط عليه السلام ، بعدهم في الزمان ، ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا لما أنذر شعيب عليه السلام قومه قال في إنذاره لهم : ﴿ ... وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٨٩] .

٣. الضمير لمدينة قوم لوط وقوم شعيب – عليهما السَّلام – **لتقدُّمها ذكراً** ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ... ﴾ إلى أن قال تعالى فيهم : ﴿ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ . [سورة الحجر : ٦١ – ٧٩] . فألف التثنية في ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ ﴾ تعود على مدينة قوم لوط عليه السلام وأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام [2] .

القول الثاني : الإمام **هو الرجل المقتدى به** ؛ وعليه فإن الضمير يعود للوط وشعيب – عليهما السَّلام – ، أي : إنهما على طريق من الشرع واضح يؤتم به ، قاله ابن الأنباري [3] ، واحتمله ابن عطية ، والثعالبي [4] .

واستدل له من اللغة : الإمام في كلام العرب : الشيء الذي يهتدي به ويؤتم به :

- فقد يكون الطريق .
- وقد يكون الكتاب : لأنه يؤتم بما أحصاه الكتاب . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٧١] . أي : بكتابهم . وقال تعالى : ﴿ ... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ . [سورة يس : ١٢] . أي : في اللوح المحفوظ ، وهو الكتاب .
- وقد يكون الرجل المقتدى به : قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .

---

(١) ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ٣٢٩ .
(٢) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٣٠٦ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٨٢ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٦٦ .
(٣) نقله عنه ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤١١ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٠٦ . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .

[سورة البقرة : ١٢٤] . أي يؤتم ويقتدى بك [١] .

✖ **واعتُرض عليه** : بأن شعيب عليه السلام لم يجر له ذكر [٢] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، وأن الراجح أن الإمام هو الطريق ؛ وعليه فإن الضمير يعود لمدينة قوم لوط وقوم شعيب – عليهما السَّلام – ؛ أي : إنهما بطريق واضح يراه الناس ؛ وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : – كما سبق وذكرت آنفاً – من تقدم ذكر مدينة قوم لوط وشعيب – عليهما السَّلام – فيما قبلها من الآيات ، كما أن الآية جاءت **تنبيهاً لقريش** ليتعظوا ويعتبروا من إهلاك الله سبحانه وتعالى لمن سبقهم من الأقوام عندما كذبوا رسولهم .

قال سيد قطب : " جمعهما لأنهما في طريق واحد بين الحجاز والشام . ووقوع القرى الداثرة على الطريق المطروق أدعى إلى العبرة ، فهي شاهد حاضر يراه الرائح والغادي " . اهـ [٣] .

ثانياً : من اللغة : قول أكثر أهل اللغة أن المراد بالإمام هنا الطريق .

ثالثاً : إجماع الحجة من المفسرين عليه .

رابعاً : قال بهذا القول جماعة من السلف ؛ وعلى هذا يتأيد **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه السمر قندي إلى القتبي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦١ . وينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٠٦ .
(٢) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٣٠٦ .
(٣) الظلال : ٤ / ٢١٥١ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ . [آية : ٨٢] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ آمنين من هدم بيوتهم لوثاقتها ، فقال : ((﴿ ءَامِنِينَ ﴾ يعني آمنين من هدم بيوتهم لوثاقتها . وقيل : آمنين من عذاب الله)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد** بـ ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : يعني : **آمنين من هدم بيوتهم لوثاقتها** ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٢)] ، ومقاتل [(٣)] وذهب إليه الفَرَّاء [(٤)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٥)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٦)] .

قال ابن كثير : " ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ أي : من غير خوف ولا احتياج إليها ؛ بل أشراً وبطراً وعبثاً ، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر " . اهـ [(٧)] .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٤٩] . أي : حاذقين في نحتها ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٨)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٨ .
(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٠ .
(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٠٩ .
(٤) ينظر معانيه : ٢ / ٧٦ .
(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٨ .
(٦) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والخازن ، والبقاعي والخطيب الشربيني ، والشوكاني . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٧ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٦١ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٤٧ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٥٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٥٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧٢ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٣ ، السراج المنير : ٢ / ٢٣٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٠ .
(٧) تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٧ . ورجَّح قول ابن كثير هذا محمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (٨ / ٧٢ ، ٧٣) .
(٨) ينظر : تنوير المقباس : ٣١٢ . وسيأتي تفسير معنى ﴿ فَرِهِينَ ﴾ مفصلاً في مسائل سورة الشعراء لاحقاً بإذن الله .

- وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٧٤] .

القول الثاني : المراد : **آمنين من عذاب الله** ، قاله جماعة من المفسرين (١) . (٢)

القول الثالث : يعني : **آمنين من عواقب الآخرة** ؛ فكانوا لا يعملون بحسبها ؛ بل يعملون بحسب الأمن منها ، **صحَّحه** ابن عطية وضعَّف باقي الأقوال (٣) ، **ورجَّحه** الثعالبي (٤) .

الترجيح:

يظهر لي - والله أعلم - **احتمال الأقوال الثلاثة ؛ فأصحاب الحجر كانوا ينحتون بيوقم ليكونوا** :

- آمنين من **هدم بيوتهم** لوثاقتها .
- وآمنين لم يكونوا خائفين ولا محتاجين إليها ؛ بل **أشراً وبطراً وعبثاً** ، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر .
- وآمنين من **عذاب الله** - في زعمهم - .
- وآمنين من **عواقب الآخرة** ؛ فكانوا لا يعملون بحسبها ؛ بل يعملون بحسب الأمن منها – على ظنهم - .

يدل على ذلك ما يلي :

.

(١) منهم : الطبري ، والفخر الرازي ، وابن عادل ، والآلوسي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٥٠ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٦٣ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٨٤ ، روح المعاني : ١٤ / ٧٦ .

(٢) احتمل القولين الأوَّل والثاني جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، والعز بن عبد السلام ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٤٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٨٠ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٧ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٢ .

(٤) ينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٠٦ .

أولاً : لم يرد نص في تفسير الآية ، ولذا فكل ما ذكر من باب الاجتهاد للمفسرين .

ثانياً : تجويز جماعة من المفسرين لبعض الأقوال ؛ فجميعها محتملة في تفسير معنى الآية .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ . [آية : ٨٧] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بـ ﴿ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ أم القرآن ؛ وهي سورة الفاتحة ، فقال : ((يعني أم القرآن ؛ لأنها سبع آيات ، وقيل : يعني السور السبع الطوال ، وهي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ؛ **والأوَّل أرجح** ؛ لوروده في الحديث)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد** بـ ﴿ سَبْعًا [2] مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : أنها أم القرآن [3] ؛ أي : **سورة الفاتحة** لأنها سبع آيات ، قاله ابن عباس رضي الله عنه في رواية الأكثرين عنه [4] ، وعليه جماعة السَّلف [1] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٨ .

(٢) قال أبو حيان : وتقول : سبعاً من المثاني مفهوم سبعة أشياء من جنس الأشياء التي تثني ، وهذا مجمل ، ولا سبيل إلى تعيينه إلا بدليل منفصل . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٥٢ .

(٣) **لم سميت سورة الفاتحة بأم الكتاب ؟**

قال الإمام البخاري في صحيحه : باب ما جاء في فاتحة الكتاب ، وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وقال أبو عبيدة في أول مجاز القرآن : ولسور القرآن أسماء منها أن الحمد لله تسمى أم الكتاب لأنه يبدأ بها في أول القرآن ، وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة ، ويقال لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل الجميع . انتهى . وقال غيره : سميت أم الكتاب لأن أم الشيء ابتداؤه وأصله ... وقال بعض الشراح التعليل بأنها يبدأ بها : يناسب تسميتها فاتحة الكتاب لا أم للكتاب . والجواب أنه يتجه ما قال بالنظر إلى أن اللام مبدأ الولد . وقيل : سميت أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد ، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل واشتمالها على ذكر المبدأ أو المعاد والمعاش . انتهى . ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٥ ، ٦ ، صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، مقدمة الباب الأوَّل : ٤ / ١٦٢٣ ، تحفة الأحوذي : ٨ / ٢٤٥ .

(٤) قال ابن عبد البرِّ في التمهيد (٢٠ / ٢٢١) : هذا القول – أي عن ابن عباس رضي الله عنه – أثبت عنه ، وهو الصحيح في تأويل الآية . وينظر : تنوير المقباس : ٢٢٠ .

وقاله مقاتل [٢] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **جمهور** [٥] المفسرين [٦] .

واستدل لهذا القول من السنة بالأحاديث التالية :

الحديث الأوَّل : عن **أبي سَعِيدِ بن الْمُعَلَّى** ﷺ قال : مَرَّ بِيَ النبي ﷺ وأنا أُصَلِّي ، فَدَعَانِي ، فلم آتِهِ حتى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ ، فقال : « ما مَنَعَكَ أَنْ تأتي ؟ فقلت : كنت أُصَلِّي . فقال : أَلَمْ يَقُلْ الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ... ﴾ [٧] . ثُمَّ قال : ألا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ قبل أَنْ أَخْرُجَ من الْمَسْجِدِ ؟ فَذَهَبَ النبي ﷺ لِيَخْرُجَ من الْمَسْجِدِ ، فَذَكَّرْتُهُ ، فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ **السَّبْعُ الْمَثَانِي** وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ » [٨] .

---

(١) روي عن عمر وعلي وابن مسعود وأبو هريرة ﷺ ، والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى . نسب هذا القول لهؤلاء الصحابة والتابعين الأجلاء : الطبري ، الثعلبي ، والبغوي والقرطبي ، وأبو السعود . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٥٤ - ٥٧ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٥٦ تفسير القرطبي : ١٠ / ٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٨ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٢١٠ .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٧٦ .

(٤) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٨ .

(٥) نسبه إلى الأكثرية : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٦٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٣٧ ، فتح القدير : ٣ / ١٤١ .

(٦) منهم : الصنعاني ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، وأبو حيان ، والبقاعي ، **وصحَّحه** الثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩١ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٤٩ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٥٦ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ١ / ٢٧٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٥٢ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٠٧ ، تفسير الجلالين : ٣٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٨ ، السراج المنير : ٢ / ٢٣٧ فتح القدير : ٣ / ١٤١ ، روح المعاني : ١٤ / ٧٨ ، الظلال : ٤ / ٢١٣٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٨٠ ، الوسيط : ٨ / ٧٦ .

(٧) سورة الأنفال : ٢٤ .

(٨) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (٤٤٢٦) : ٤ / ١٧٣٨ .

وأبو سعيد بن المعلى هو : الأصح أن اسمه الحارث بن نفيع المعلى ، وقيل : رافع ؛ وهو ممن اشتهر بكنيته ، **صحابي جليل** ، ت سنة ٧٤ هـ . وقيل : ٧٣ هـ . ينظر : معرفة الصحابة لأحمد بن عبد الله ، أبي =

الحديث الثاني : عن **أبي هُرَيْرَةَ** ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ : السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » [١] .

الحديث الثالث : عن **أُبَيِّ بن كَعْب** ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « ما أَنْزَلَ الله في التَّوْرَاةِ ولا في الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ » [٢] .

قال **أبو العالية** عن هذا القول : " إنه لا ينبغي العدول عنه ؛ بل لا يجوز ذلك " [٣] .

✘ **واعتُرض عليه : بأنه كيف يصح عطف القرآن العظيم على السبع ، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه ؟**

✔ **وأجيب** : السبع المثاني الفاتحة ، فما وراءه ا يطلق عليه اسم القرآن ، لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ، أو من باب عطف العام على الخاص [٤] .

القول الثاني : أنها السور **السبع الطِّوَل** ، وهي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة والأنعام ، والأعراف ، واختلفوا في السابعة [٥] ، وهو قول ابن عباس ﷺ في رواية سعيد بن جبير عنه [٦] ، ومجاهد [٧] ، ورجَّحه **السعدي** [٨] .

= نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) : ٥ / ٢٩١٠ ، الكاشف : ٢ / ٤٢٨ ، الإصابة : ٧ / ١٧٥ .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (٤٤٢٧) : ٤ / ١٧٣٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، بَاب ومن سورة الحجر (٣١٢٥) : ٥ / ٢٩٧ . قال أبو عِيسَى : حَدِيثُ عبد الْعَزِيزِ بن مُحَمَّدٍ أَطْوَلُ وَأَتَمُّ ؛ وَهَذَا أَصَحُّ من حديث عبد الْحَمِيدِ بن جَعْفَرٍ هَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ عن الْعَلَاءِ بن عبد الرحمن . (يريد : أن ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أصح من هذا الحديث) .

(٣) نسبه إليه أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤٥٢) .

(٤) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٤٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٧ ، تفسير السعدي : ٤٣٤ .

(٥) قيل : الأنفال مع براءة لأنهما كالسورة الواحدة ، ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) . وقيل : السابعة هي سورة يونس . ينظر : تفسير القرطبي : ١ / ١١٤ .

(٦) ينظر : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف لأبي الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الحافظ المزي (ت ٧٤٢ هـ) : ٤ / ٤٣٦ . قال ابن حجر : وقد أسنده النسائي والطبري والحاكم عن ابن عباس أيضا **بإسناد قوي** . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٣٨٢ .

(٧) ينظر تفسيره : ١ / ٣٤٣ ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٥٢) .

(٨) حيث قال : وهن على الصحيح السور السبع الطوال ....ثم قال : أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات . ينظر : تفسير السعدي : ٤٣٤ . وجوَّز القول الأوَّل والثاني أيضاً : الزمخشري ، والنسفي . ينظر : الكشاف : =

قال **ابن العربي** : " يحتمل أن يكون السبع من السور ويحتمل أن يكون من الآيات ؛ لكن النبي قد كشف قناع الإشكال وأوضح شعاع البيان ؛ ففي الصحيح عند كل فريق ومن كل طريق أنها أم الكتاب والقرآن العظيم ...

وبعد هذا فالسبع المثاني كثير ، والكل محتمل ، والنص قاطع بالمراد ، قاطع بمن أراد التكليف والعناد ، وبعد تفسير النبي فلا تفسير ، وليس للمتعرض إلى غيره إلا النكير ، وقد كان يمكن لولا تفسير النبي أن أحرر في ذلك مقالاً وجيزاً ، وأسبك من سنام المعارف إبريزاً ؛ إلاَّ أن الجوهر الأغلى من عند النبي أولى وأعلى " . اهـــ [١] .

✘ **ويضعِّف هذا القول** : أن آية الحجر هذه مكية [٢] ، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة [٣] .

القول الثالث : أنها هي **السور التي هي دون الطوال والمئين وفوق المفصل** ، واختار هذا القول قوم [٤] .

واستدل له من السُّنة : بحديث رسول الله ﷺ قال : « أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ المثاني ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ » [٥] .

✘ **واعتُرض عليه بأنه** : " إن صح هذا التفسير عن رسول الله ﷺ فلا غبار عليه وإن لم يصح فهذا القول مشكل ، لأن المسمَّى بـــ (السبع المثاني) يجب أن يكون أفضل من سائر السور ، وأجمعوا على أن هذه السور التي سموها بالمثاني ليست أفضل من غيرها ، فيمتنع حمل السبع المثاني على تلك السور " [٦] .

= ٢ / ٥٤٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٧ .

(١) أحكام القرآن لأبي بكر ، محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـــ) : ٣ / ١١٣ ، وينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٢ / ٣١٥ .

(٢) ذكر السيوطي في الإتقان (١ / ٤٩) الإتفاق على مكية سورة الحجر .

(٣) هذا قول أبو العالية ، ونسبه بعضهم إلى الربيع . ينظر : السمرقندي : ٢ / ٢٦٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٦٥ تفسير القرطبي : ١٠ / ٥٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ : ٤٥٢ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٢ / ٣١٥ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٦٦ .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ (١٧٠٢٣) : ٤ / ١٠٧ . قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن .

(٦) التفسير الكبير : ١٩ / ١٦٦ .

القول الرابع : أن السبع المثاني هو **القرآن كله** ، وهو منقولٌ عن ابن عباس ﷺ في بعض الروايات ، وهو قول **طاووس** (١) ، وجوَّده **أبو عبيد** (٢) ، **ورجَّحه** غير واحد من المفسرين (٣) .

وتكون آي القرآن موصوفة بذلك ؛ لأن بعضها يثني بعضاً ، وبعضها يتلو بعضاً بفصول تفصل بينها ؛ فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها (٤) .

واستدلوا :

بقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ... ﴾ . [سورة الزمر : ٢٣] . فوصف كل القرآن بكونه مثاني : لأن الأخبار والقصص والأمثال ثنيت فيه .

✍ **ثم اختلف القائلون بهذا القول في أنه ما المراد بالسبع ؟**

أما السبع فذكر فيه وجوهاً :

أحدها : أن القرآن سبعة أسباع .

وثانيها : أن القرآن مشتمل على سبعة أنواع من العلوم : التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، والقضاء ، والقدر ، وأحوال العالم ، والقصص ، والتكاليف .

---

(١) نسبه إلى ابن عباس ﷺ وطاووس الفخر الرازي في تفسيره (١٩ / ١٦٦) .
وطاووس هو : طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني ، بالولاء ، عبد الرحمن : من أكابر التابعين ، تفقهاً في الدين ورواية للحديث ، وتقشفاً في العيش ، وجرأة في وعظ الخلفاء والملوك ، ت سنة ١٠٦ هـ . ينظر : حلية الأوَّلياء : ٤ / ٣ ، صفة الصفوة : ٢ / ٢٨٤ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٥٠٩ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) : ٣ / ١٤٥ .
وأبو عبيد هو : القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء ، الخراساني البغدادي ، أبو عبيد : من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ، من أهل هراة . من كتبه : الغريب المصنف ، وهو أول من صنف في هذا الفن ، والناسخ والمنسوخ ، والأموال وغير ذلك . ت بمكة سنة ٢٢٤ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ٤٠٣ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٦٠ ، طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى (ت ٥٢١ هـ) : ١ / ٢٥٩ .

(٣) منهم : الطبري ، والنحاس ، والقاسمي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٥٩ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٠ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٦٨ . وجوَّزه البيضاوي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨١ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٥٩ .

وثالثها : أنه مشتمل على الأمر والنهي ، والخبر والاستخبار ، والنداء ، والقسم ، والأمثال .

✖ **وهذا القول ضعيف** ؛ لأنه :

لو كان المراد بالسَّبع المثاني القرآن لكان قوله : ﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ عطفاً على نفسه وذلك غير جائزٍ .

✓ **وأُجيب عنه** : بأنه إنَّما حسن العطف فيه لاختلاف اللفظين ؛ كقول الشاعر :

إلى المْلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمامِ   وليْثِ الكَتِيبَةِ في المُزدحَم [(١)]

ورُدَّ على هذا :

١. بأنه وإن كان جائزاً إلا أنَّهم أجمعوا على أن الأصل خلافه [(٢)] .

٢. ومعنى المثاني : أنها تثني في كل ركعة ، وذلك من سنتها ، وليس من سنة سائر القرآن إعادته في كل ركعة [(٣)] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، وأن الراجح أن المراد بـــ ﴿ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ أم القرآن ؛ أي سورة الفاتحة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : **صحة الحديث الذي فسر به رسول الله ﷺ السبع المثاني وأنها أم القرآن** : فالحديث المستدل به على القول الأوَّل **أخرجه الإمام البخاري** ، وهو الأصح إسناداً على الإطلاق . :

ثانياً : يوجه القول بأن المراد بالسبع المثاني القرآن بما ذكره الحافظ **ابن كثير** وغيره ؛ حيث قال :

---

(١) البيت لم أهتد لقائله ، وأورده عند تفسير الآية جماعة من المفسرين . وينظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـــ) : ٣ / ١٨٤ .

(٢) نقل هذا التضعيف والإجابة عليه : الفخر الرازي ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير :١٩ / ١٦٦ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٨٨ .

(٣) ينظر : أحكام القرآن لأبي بكر ، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـــ) : ١ / ٢٨ .

" فهذا نصٌّ في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ؛ ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطِّوَل بذلك لما فيها من هذه الصفة ؛ كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ... ﴾ . [سورة الزمر : ٢٣] . فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضاً . كما أنه ﷺ لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فأشار إلى مسجده ، والآية نزلت في مسجد قباء فلا تنافي ؛ فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة ، والله أعلم " . اهـ (١) .

وقال **أبو عبيد** : " المثاني من كتاب الله ثلاثة أشياء :

- سمَّى الله ﷻ القرآن كله مثاني في قوله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ... ﴾ . [سورة الزمر : ٢٣] .
- وسمَّى فاتحة الكتاب مثاني في قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ .
- وسمَّي القرآن مثاني لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه " (٢) .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** (٣) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡

(١) تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٨ ، وينظر قبله : تفسير القرطبي : ١٠ / ٥٥ . وينظر : فتح القدير : ٣ / ١٤٢ .
(٢) ينظر : غريب الحديث للقاسم بن سلام : ٣ / ١٤٥ ، (مادة : ثني) في تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ١٠٠ ، لسان العرب : ١٤ / ١١٩ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٨٠٤ .

المسألة الثانية : في اشتقاق لفظ ﴿ ٱلۡمَثَانِي ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ ٱلۡمَثَانِي ﴾ مشتق من التثنية ؛ وهي التكرير ، فقال : ((والمثاني : مشتق من التثنية ؛ وهي التكرير ؛ لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة ، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها . وقيل : هي مشتقة من الثناء ؛ لأن فيها ثناء على الله)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **اشتقاق لفظ ﴿ ٱلۡمَثَانِي ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : المثاني : **مشتق من التثنية** ؛ لأنها تثنى في كل ركعة ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] والحسن ، وقتادة [٣] ، وقاله الزَّجَّاج [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

القول الثاني : هي **مشتقة من الثناء** [٧] ؛ لاشتمالها على الثناء على الله تعالى ، وهو حمد الله وتوحيده ، جوَّزه الزَّجَّاج [٨] . [٩]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٨ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٥٦) عن الحسن وقتادة ، ونسبه إليهما ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٤١٣) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٩٥ ، ففيه تفصيل هذه الأقوال ونسبتها لأصحابها .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ١٨٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٨ .

(٦) منهم : ابن أبي زمنين ، والواحدي ، وابن عطية ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، وابن عاشور . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩١ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٢ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٥٢ ، تفسير الجلالين : ٣٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٢ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٨٠ .

(٧) يمكن أن تكون المثاني : جَمْعُ مُثْنَيَةٍ (مفعلة) من الثني بمعنى التثنية ، فِإِنَّهَا تُثْنِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٤٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٢ ، مرقاة المفاتيح للقاري : ٥ / ١٦ ، تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٣٩ .

(٨) ينظر معانيه : ٣ / ١٨٥ .

(٩) وجوَّز القولين الأوَّل والثاني جماعة من المفسرين ، منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود =

القول الثالث : سميت مثاني **لأنها يثنى بعدها ما يقرأ معها** .

القول الرابع : سميت آيات الفاتحة مثاني ، **لأنها قسمت قسمين اثنين** .

والدليل عليه : ما روي أن النبي ﷺ قال : « ... قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ ... » (١) .

القول الخامس : سميت مثاني **لأنها قسمان ثناء ودعاء** ، وأيضاً النصف الأوَّل منها حق الربوبية وهو الثناء ، والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء .

القول السادس : سميت الفاتحة بالمثاني ، لأنها **نزلت مرتين** مرة بمكة في أوائل ما نزل من القرآن ومرة بالمدينة .

✖ وذكر **السيوطي** في الإتقان : أنه ذهب بعضهم أن سورة الفاتحة نزلت مرتين الأوَّلى بمكة والثانية بالمدينة ، والأكثرون على أنها مكية ؛ بل ورد أنها أول ما نزل (٢) .

القول السابع : سميت بالمثاني ، لأن كلماتها مثناة مثل : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ... ﴾ . [سورة الفاتحة : ٢ ، ٧] . (٣)

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن لفظ ﴿ ٱلۡمَثَانِي ﴾ مشتق من التثنية ؛ لأنها تثنى في كل ركعة وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : **من اللغة** : أجمعت أغلب كتب اللغة أن المثاني جمع مثناة ، والمثنى كل شيء يثني ؛ أي : يجعل اثنين ، من قولك : ثنيت الشيء ثنياً ؛ الثاء والنون والياء أصل واحد ، وهو

= والشوكاني . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٤٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٢ .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، بَاب وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ في كل رَكْعَةٍ (٣٩٥) : ١ / ٢٩٦ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ينظر : إتقان السيوطي (١ / ٤١) . وينظر : روح المعاني : ١٤ / ٧٩ .

(٣) ينظر جميع هذه الأقوال في : التفسير الكبير : ١٩ / ١٦٤ ، روح المعاني : ١٤ / ٧٩ .

تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متواليين أو متباينين ، والمَثْناة : ما قُرِئ من الكتاب وكرِّر .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ أراد أنّ قراءَها تثنَّى وتُكَرَّرُ . ومنه يقال لركبتي الدابة ومرفقيه ا : مثاني ، لأنه يثني بالفخذ والعضد . ومثاني الوادي معاطفه . والمثاني من القرآن : ما ثني مرة بعد مرة .

ولذلك فإن سورة الفاتحة تسمى السبع المثاني ؛ لأنها تكرر في كل صلاة [١] .

ثانياً : ويؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٢] .
- **معرفة تصريف اللفظة وإرجاعها إلى أصلها يعين في بيان المعنى الراجح من الأقوال ورد المرجوح** [٣] .

✍ وهذا لا يعني أن باقي الأقوال لا تحتملها الآية فلا تعارض بينها ، وقد جوَّز بعضهم جميع الأقوال [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر (مادة : ثني) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ١٠٠ ، مقاييس اللغة لابن فارس : ١ / ٣٩١ ، ٣٩٢ ، الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزَّمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : ١ / ١٧٧ ، لسان العرب لابن منظور : ١٤ / ١١٥ ، تاج العروس للزبيدي : ٣٨ / ٢٨٨ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٣٧ .

(٤) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٢٣٥ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ . [آية : ٩١] .

مسألة : في معنى ﴿ عِضِين ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ عِضِين ﴾ أجزاء ، فقال : ((أي : أجزاء . وقالوا فيه أقوالاً مختلفة ، وواحد عضين : عضة . وقيل : هو من العضه ؛ وهو السحر ، والعاضه : الساحر والمعنى على هذا أنه سحر ، والكلمة محذوفة اللام ، ولامها على القول الأوَّل واو ، وعلى الثاني هاء)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ عِضِين ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : **معنى ﴿ عِضِين ﴾** [(٢)] **أجزاء** ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [(٣)] ، ومقاتل [(٤)] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٩ .

(٢) اختلف أهل العربية في اشتقاق أصله وتفسيره :

قال الفريق الأوَّل : **عضين** : واحدها عضة ، وأصلها (عضو) من : عضيت الشيء : إذا فرقته ، وكل قطعة عضة . وهي مما نقص منها واو هي لام الفعل ، وهو قول الخليل بن أحمد وابن سيده ، والتعضية التجزئة والتفريق ، يقال : عضيت الجزور والشاة تعضية إذا جعلتها أعضاء وقسمتها ، وفي الحديث : « لا تعضية في ميراث إلا فيما احتمل القسمة » . أي : لا تجزئه فيما لا يحتمل القسمة كالجوهرة والسيف . فقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ يريد جزَّؤوه أجزاء ، فقالوا : سحر وشعر وأساطير الأوَّلين ومفترى .

وقال الفريق الثاني : **عضين** : واحدها عضة ، وأصلها (عضهة) ، فاستثقلوا الجمع بين هاءين ، فقالوا : عضة كما قالوا شفة ، والأصل شفهة بدليل قولهم : شافهت مشافهة ، وسنة وأصلها سنهة في بعض الأقوال . ينظر : جمهرة اللغة (مادة : عضه) : ٢ / ٩٠٥ ، تهذيب اللغة (مادة : عضه ، عضا) : ١ / ٩٥ ، ٣ / ٤٣ ، ٤٤ المحكم لابن سيده (مادة : عضو) : ٢ / ٢٨٤ ، لسان العرب (مادة : عضه ، عضا) : ١٣ / ٥١٦ ، ١٥ / ٦٨ ، اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (في حذف الهاء) : ٢ / ٣٨٠ . وذكر الجوهري أن : (عضين) واحدها : عضة ، ونقصانها الواو (وأصلة : عِضْوة) والهاء (وأصله : عِضَهة) أي : هما لغتان ، فمن قال : أصلها الواو استدل بأن جمعه عضوات ، ومن قال الهاء : استدل بقولهم عضيهة . والمعنى واحد . ينظر (مادة : عضه) في : الصِّحاح لأبي نصر ، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٨ هـ) : ٥ / ١٧٩٣ ، تاج العروس : ٣٩ / ٦٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٦٤) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٩٨ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٢١٠ .

وذهب إليه جماعة من أهل اللغة [(١)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٢)] ، ووافقه جماعة المفسرين [(٣)] .

ومما يؤيد أن معنى : ﴿ عِضِين ﴾ التفريق قول **رؤبة بن العجاج** [(٤)] :

وليس دينُ الله بالمُعَضَّى

يعني : بالمفرَّق [(٥)] .

✍ **وقالوا في القرآن أقوالاً مختلفة :**

الأوَّل : أنهم عضوه أعضاء ؛ فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

والدليل على ذلك حديث الإمام البخاري : عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ قال : « هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ جزَّؤوه أَجْزَاءً ؛ فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا

---

(١) منهم : الخليل بن أحمد ، وأبو عبيدة ، وأبو عبيد ، والزَّجَّاج ، وابن فارس ، والرَّاغب . ينظر : العين للخليل بن أحمد (مادة : عضو) : ٢ / ١٩٣ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٥٥ ، غريب الحديث لابن سلام : ٢ / ٧ معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ١٨٦ ، مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : عضه) : ٤ / ٣٤٧ ، مفردات الرَّاغب (مادة : عضو) : ٣٣٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٩ .

(٣) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٣ ، ٤٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٢ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٥٢ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٤٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٥٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٥١ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٥٩ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٣٧ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٠٨ ، تفسير الجلالين : ٣٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٩٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٣٩ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٣ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٧٠ ، روح المعاني : ١٤ / ٨٤ ، تفسير السعدي : ٤٣٥ ، الظلال : ٤ / ٢١٥٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٨٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٣١٨ ، الوسيط : ٨ / ٨٠ .

(٤) نسبه هذا البيت إلى رؤبة جماعة من أهل اللغة والمفسرين . ينظر مثلاً : تفسير الطبري : ١٤ / ٦٥ .
ورؤبة بن العجاج هو : رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، أبو الجحاف ، أو أبو محمد : راجز من الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية .كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة ، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة ، مات في البادية ، وقد أسن سنة ١٤٥ هـ . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٧٦١ ، الثقات : ٦ / ٣١٠ ، معجم الأدباء : ٣ / ٣٤١ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٦٥ .

بِبَعْضِهِ » [(١)] .

ويستدل على ذلك بالنظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ ... تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ... ﴾ [(٢)] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ... ﴾ [(٣)] .

الثاني : أنهم عضوا القول فيه ؛ أي : فرَّقوا ، فقالوا : شعر . وقالوا سحر . وقالوا : كهانة وقالوا : أساطير الأوَّلين . وقال بعضهم : كذب يختلقه من تلقاء نفسه [(٤)] . [(٥)]

الثالث : قسموا كتاب الله ففرقوه وبدّدوه ، قاله مجاهد [(٦)] .

الرابع : كانوا يستهزؤون به ؛ فيقول بعضهم : سورة البقرة لي ، ويقول بعضهم : سورة آل عمران لي [(٧)] .

القول الثاني : ﴿ عِضِينَ ﴾ من **العضه** ؛ **وهو النميمة** ، والعضيهة : البهتان والكذب ، قاله قتادة [(٨)] ، وهو قول **الكسائي** [(٩)] . [(١٠)]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (٤٤٢٨) : ٤ / ١٧٣٨ .

(٢) سورة الأنعام : ٩١ . ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ٨٦ .

(٣) سورة البقرة : ٨٥ . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٩٨ .

(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٠ .

(٥) ينظر : كليات الكفوي : ٦٦٠ .

(٦) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٤٣ .

(٧) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٥٣ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٢٣٩ .

(٨) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٣ / ٣٧٤) .

(٩) نسبه إليه ابن جني ، وابن عطية . ينظر : سر صناعة الإعراب لأبي الفتح ، عثمان ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) : ٢ / ٦٠٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٤ .

و**الكسائي** هو : علي بن حمزة بن فيروز الأسدي مولاهم ، أبو الحسن الكوفي ، الإمام المقرئ ، النحوي اللغوي أحد القراء السبعة ، وصاحب المؤلفات في علوم القرآن واللغة ، ت سنة ١٨٢هـ ، وقيل بعد ذلك . ينظر : تاريخ بغداد : ١١ / ٤٠٣ – ٤١٤ ، معجم الأدباء : ٤ / ٨٧ – ١٠٥ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ١٢٠ – ١٢٨ .

(١٠) احتمل القول الأوَّل والثاني النيسابوري من المفسرين . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٥ .

واستدل له من السُّنة بأدلة منها :

- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال ﷺ : « ألا أُنَبِّئُكُمْ ما العضة ؟ هِيَ : النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بين الناس ... » [١] .
- حَدِيثُ عُبَادَةَ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ : « ... ولاَ يَعْضَه بَعْضُناً بَعْضاً ... » [٢] .

أي : لا يرميه بالعضيهة ، وهي البهتان والكذب ، معناه : أن يقول فيه ما ليس فيه ويعضهه [٣] .

القول الثالث : ﴿ عِضِين ﴾ من العضه ؛ وهو السحر والكهانة في كلام العرب [٤] ، والعاضه : الساحر ، والمعنى على هذا أنه سحر ، وهو قول عكرمة [٥] ، ورواية لمجاهد [٦] .

.

واستدل له :

١. **من السُّنة** : بحديث : « لَعَنَ الله الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ » [٧] .

.

وفي رواية : « ... والعاضهة والمستعضهة » [٨] . وفسر بالساحر والمستسحرة ، فأصله الهاء [١] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، بَاب تحريم النميمة (٢٦٠٦) : ٤ / ٢٠١٢ .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود ، بَاب الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِهَا (١٧٠٩) : ٣ / ١٣٣٣ .
(٣) ينظر : لسان العرب (مادة : عضه) : ١٣ / ٥١٥ .
(٤) قاله الفَرَّاء : العِضُونَ في كلام العرب : السحر بعينه . ينظر معانيه : ٢ / ٧٧ .
(٥) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٦٦ . ونسبه السيوطي أيضاً إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وعبد الرزاق في مصنفه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٩٩ ، ١٠٢ .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ٦٦) .
(٧) أخرجه البخاري في كتاب اللباس ، بابَ الوصل في الشعر (٥٥٨٩) : ٥ / ٢٢١٦ عن أبي هريرة ﷺ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب اللباس والزينة ، بَاب تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ (٢١٢٤) : ٣ / ١٦٧٦ . عن ابن عمر ﷺ .
(٨) ينظر : كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ) (٤٦٠٢٥) : ١٦ / ٢٥٥ . عن ابن عباس ﷺ . وسمي السحر عضهاً لأنه كذب وتخييل لا حقيقة له . وأخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة سلمة بن وهرام ؛ وقد روى عنه زمعة أحاديث مناكير وبذلك يكون

٢. من كلام العرب : قول الشاعر :

أعوذ بربي من النافثات في عقد العاضه المعضه [٢]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ عِضِين ﴾ واحدها : عضة ، ونقصانها الواو والهاء ، أي : هما لغتان ، والمعنى واحد ، وأنها تحتمل الأقوال الثلاثة** ، فمعنى ﴿ عِضِين ﴾ :

الأجزاء والأعضاء ، والبهتان والكذب ، والسحر .

ولكل قول أدلته ؛ سواء من النظائر القرآنية أو من السُّنة الصحيحة ، أو من كلام العرب ؛ إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : الذي عليه أكثر أهل التفسير أن المقتسمين سواء كانوا أهل الكتاب أو مشركي مكة فرَّقوا القول في القرآن وجزَّؤوه أجزاء ، وبهتوه ورموه بما ليس فيه ، لأن معنى التعضية التفريق ، والعضه البهت ورميه بالباطل من القول ؛ فهما متقاربان في المعنى [٣] .

وقد أخبرنا الله في كتابه بأنهم وصفوا رسول الله ﷺ بأنه شاعر وكاهن وساحر ، وأن قوله شعر وسحر وكهانة ؛ فهم بذلك قد **جزؤوه أجزاء ، وبهتوه ، ورموه بالسحر** على الوجه الأخص ؛ وأنبأنا به القرآن الكريم ؛ قال تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ . [سورة المدثر : ٢٤] . فردَّ الله عليهم ونفى ذلك عنه ، قال ﷻ : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ . [سورة الحاقة : ٤١ – ٤٣] .

فالمعاني الثلاثة متوافقة وليست متعارضة .

حديثه حديث ضعيف . ينظر : الكامل في ضعفاء الرجال : ٣ / ٣٣٤ . وأورد هذه الآية جماعة من المفسرين في تفاسيرهم ، وأهل اللغة في كتبهم عند تفسير الآية .

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٤٤ .

(٢) أورده غير واحد من أهل اللغة والمفسرين عند تفسير الآية ؛ ولم أهتد لقائله .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٦٦ .

ثانياً : يؤيد ذلك قول القاضي عياض في شرح قول عُبَادَةَ ﷺ فِي حديث الْبَيْعَةِ : « ... ولاَ يَعْضَه بَعْضُناً بَعْضاً ... » : " أي لا يسحر - بفتح الياء والضاد - والعضيهة والعضه السحر ، وتكون أيضاً النميمة ، وتكون أيضاً الرمي بالبهتان ، والعضيهة : الإفك والبهتان . وكله مما يصح أن يشتمل النهي عليه ، والله أعلم بمراد نبيِّه من ذلك " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبي الفضل ، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) : ٢ / ٩٦ ، ٩٧ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ . [آية : ٩٥] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ قوماً من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ ، فقال : ((يعني قوماً من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ ؛ وكانوا خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، وعدي بن قيس [١] ، وقصة هلاكهم مذكورة في السير وقيل : الذين قتلوا ببدر ؛ كأبي جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف وعقبة بن معيط ، أي : وغيرهم ؛ **والأوَّل أرجح** ؛ لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد** بـ ﴿ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : المستهزؤون هم قومٌ من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ ، وكانوا خمسة [٣] : الوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن قيس بن عدي ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٤] ،

---

(١) اختلف في اسمه ، والراجح أنه الحارث بن قيس ، ويقال : ابن عيطل ، وهو اسم أمّه دُعِي لها ، واسم أبيه قيس . وفي الكشاف ، وتفسير القرطبي : أنه ابن الطُلاَطِلَة ، ومثله في (القاموس) ، وهي بضم الطاء الأوَّلى وكسر الطاء الثّانية ، ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ٩٠ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٤٩ .

(٣) قال الفخر الرازي : " واعلم أن المفسرين قد اختلفوا في عدد هؤلاء المستهزئين ، وفي أسمائهم ، وفي كيفية طريق استهزائهم ، ولا حاجة إلى شيء من ذلك ، والقدر المعلوم أنهم كانوا طائفة لهم قوة وشوكة لأن أمثالهم هم الذين يقدرون على مثل هذه السفاهة مع رسول الله ﷺ في علو قدره وعظم منصبه ، ودل القرآن على أن الله سبحانه أفناهم وأبادهم وأزال كيدهم ، والله أعلم . " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٧١ . وينظر : روح المعاني : ١٤ / ٨٦ . وينظر الروايات عن السلف في : تفسير الطبري : ١٤ / ٧١ – ٧٣ ، الدر المنثور : ١٠٠ – ١٠٢ .

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ قال : « المستهزئون : **الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب ، وأبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى ، والحارث =**

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة المفسرين [٢] .

= **ابن عيطل السهمي** ، **والعاص بن وائل** ، فأتاه جبريل عليه السلام شكاهم إلى رسول الله ﷺ ، فأراه الوليد أبا عمرو بن المغيرة ، فأومأ جبريل إلى أبجله ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته . ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومئ جبريل إلى عينيه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته . ثم أراه الأسود بن عبد يغوث الزهري ، فأومأ إلى رأسه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته . ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته . فأما **الوليد بن المغيرة** فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له ؛ فأصاب أبجله فقطعها ، وأما **الأسود بن المطلب** فعمي ، فمنهم من يقول : عمي هكذا ، ومنهم من يقول : نزل تحت سمرة ، فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني ؟ قد قتلت . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . وجعل يقول : يا بني ألا تمنعون عني ؟ قد هلكت ، ها هو ذا أطعن بالشوك في عيني ، فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه ، وأما **الأسود بن عبد يغوث الزهري** فخرج في رأسه قروح ؛ فمات منها ، وأما **الحارث بن عيطل** فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه ، فمات منها ، وأما **العاص بن وائل** فبينما هو كذلك يوما إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فمات منها ، وقال غيره : فركب إلى الطائف على حمار ، فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته » . والشبرقة : شوك فإذا يبس سمي الضريع . أخرجه الطبري عن ابن إسحاق به مع اختلاف يسير ، وهذا معضل ، وكرره عن سعيد بن جبير مرسلاً ، وكرره من مرسل قتادة ، وورد بنحوه عن قتادة ومقسم ، أخرجه الطبري أيضاً . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٧١ – ٧٣ ، الدر المنثور : ٥ / ١٠١ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٢٠ . وورد بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٣) : ٢٦١ ، وفي الأوسط (٤٩٨٦) : ٥ / ١٧٣ ، وأحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة بسند صحيح : ٢ / ٣١٦ – ٣١٨ ، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة بسند ضعيف (٤٤) : ٦٣ ، وضياء الدين المقدسي (أبو عبد الله ، محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) في الأحاديث المختارة (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما) وصحَّحه (٩٤) : ١٠ / ٩٦ – ٩٨ ، وقال الهيثمي : " رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري و لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات " . اهـ . ينظر : مجمع الزوائد : ٧ / ٤٧ . وقال السيوطي : " أخرجه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل ، وابن مردويه **بسند حسن** ، والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما " . اهـ . وينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٣٢ .

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٤٩ .

(٢) منهم : مقاتل ، والثوري ، والطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، وابن عادل ، والجلالين وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١١ ، ٢١٢ ، تفسير الثوري : ١٦٢ ، تفسير الطبري : ١٤ / ٧١ معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٢ ، الكشف والبيان : ٥ / ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، النكت والعيون : ٣ / ١٧٥ ، تفسير الواحدي : ١ / ٥٩٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٤ ، ١٥٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٥٩ ، الكشاف : ٢ / ٥٥٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٥ التفسير الكبير : ١٩ / ١٧١ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٨٤ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٦٢ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٥٥ تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٠ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٤٩٦ ، تفسير =

وهو **القول المشهور** [١] ، وقصة هلاكهم مذكورة في السير [٢] .

القول الثاني : يعني الذين قتلوا ببدر ؛ كأبي جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف وعقبة بن معيط ، وغيرهم ، قاله **ابن عبد البر** [٣] ، **وابن بطال** [٤] .

واستدلوا :

بما أخرجه **الشيخان عن عَبْدَ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ** رضي الله عنه « أَنَّ النبي ﷺ كان يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ ، وأبو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ له جُلُوسٌ ؛ إِذْ قال بَعْضُهُمْ لِبَعْض : أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ [٥] بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ على ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إذا سَجَدَ ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ ، فَجَاءَ بِهِ فَنَظَرَ حتى سَجَدَ النبي ﷺ وَضَعَهُ على ظَهْرِهِ بين كَتِفَيْهِ ، وأنا أَنْظُرُ لَا أغير شيئاً لو كان لي مَنَعَةٌ ، قال : فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ؛ حتى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عن ظَهْرِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قال : « اللهم عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ » . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَشَقَّ عليهم إِذْ دَعَا عليهم ، قال : وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ في ذلك الْبَلَدِ

= الجلالين : ٣٤٥ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٩٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٤ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٧٢ ، روح المعاني : ١٤ / ٨٦ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٢١ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩٠ ، الوسيط : ٨ / ٨٣ .

(١) قال النيسابوري أنه الأشهر . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٣٦ .

(٢) ينظر : سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ) : ٥ / ٢٥٤ ، السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري (٢١٣ هـ) : ٢ / ٢٥٦ ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ) : ٢ / ٤٦٠ ، ١٠ / ٢٥٤ ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ) : ١ / ٥١٢ .

(٣) نسبه إليه علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية ؛ و لم أقف عليه في أي من كتبه . ينظر : السيرة الحلبية : ١ / ٥٠٨ . وقيل في رواية : كانوا ثمانية ، وجزم به أبو عمرو العراقي في الدرر ؛ وعد منهم الخمسة المذكورين في القول الأوَّل ؛ وزاد عليهم المذكورين في القول الثاني : أبو لهب ، وأبو جهل ، وعقبة بن أبي معيط ... ينظر : سبل الهدى والرشاد : ٢ / ٤٦٠ – ٤٧٠ .

(٤) ينظر : شرح صحيح البخاري لعلي بن خلف بن عبد الملك **بن بطال** البكري القرطبي (ت ٤٤٩هـ) : ٢ / ١٤٧ .

وابن بطال هو : علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، أبو الحسن (المعروف بابن اللجام) : عالم بالحديث ، من أهل قرطبة ، شرح صحيح البخاري . ت سنة ٤٩٩ هـ . ينظر : العبر في خبر من غبر : ٣ / ٢٢١ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢٨٣ ، هدية العارفين : ٥ / ٦٨٧ .

(٥) **سلى الجزور** هي : الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد يكون ذلك للناس والخيل والإبل . وقيل هو في الماشية السلى ، وفي الناس المشيمة . ينظر : لسان العرب (مادة : سلا) : ١٤ / ٣٩٦ .

مُسْتَجَابَةٌ ، ثُمَّ سَمَّى : « اللهم عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بن رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بن عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بن خَلَفٍ ، وَعُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَدَّ السَّابِعَ فلم نحفظه . قال : فَوَالَّذِي نَفْسِي بيده لقد رأيت الَّذِينَ عَدَّ رسول اللَّهِ ﷺ صَرْعَى في الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ » [(١)] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، فالراجح أن المستهزئين هم قومٌ من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ ، وكانوا خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن قيس ؛ وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : سورة الحجر مكية [(٢)] ، وهؤلاء القوم ثبت أنهم هلكوا في مكة قبل الهجرة ، أما على القول الثاني وأنهم الذين قتلوا ببدر فلا يناسب هذا كون السورة مكية .

وقيل : **قد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [(٣)] وهذه السورة مكية ؟**

وأجاب ابن أبي ذئب وغيره [(٤)] عن هذا ؛ فقالوا : كفاه إياهم فبعضهم عمي ، وبعضهم مات فشغل عنه ، وبعضهم كفاه إياه إذ هيأ الله له من أسباب مفارقته بالهجرة ما هيأه له .

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – في كتاب الوضوء ، بابَ إذا أُلْقِيَ على ظَهْرِ الْمُصَلِّي قَذَرٌ أو جيفَةٌ لم تَفْسُدْ عليه صَلَاتُهُ (٢٣٧) : ١ / ٩٤ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الجهاد والسير ، بَاب ما لَقِيَ النبي ﷺ من أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ (١٧٩٤) : ٣ / ١٤١٨ .

(٢) ذكر السيوطي في الإتقان (١ / ٤١) الإتفاق على مكية سورة الحجر .

(٣) سورة الحجر : ٩٥ .

(٤) نقله عنهم محمد الصالحي الشامي . ينظر : سبل الهدى والرشاد : ٢ / ٤٦٩ .

وابن أبي ذئب هو : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، من بني عامر بن لؤي ، من قريش أبو الحارث : تابعي ، من رواة الحديث ، من أهل المدينة ، يشبه بسعيد بن المسيب ، ومن أورع الناس وأفضلهم في عصره . ت سنة ١٥٨ هـ . ينظر : التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي (ت ٤٧٤ هـ) : ٢ / ٦٦٠ ، التقريب : ٤٩٣ ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) : ٢ / ٥١٧ .

ثانياً : حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أصحّ ، لكنه ليس نصاً في تفسير الآية .

ثالثاً : إجماع الحجَّة من المفسرين عليه .

رابعاً : قال بهذا القول جماعة من السَّلف ؛ وعلى هذا يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه**.
- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [(١)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢ / ١٩١ ، ٢٠٦ .

ســـــورة النحـل

قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ . [آية : 2] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ بالنبوة ، فقال : ((أي بالنبوة . وقيل : بالوحي)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف السلف والمفسرون في **المراد بـ ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ هنا** على قولين [2] :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٠ .

(٢) هناك أقوال أخرى للسلف غير هذين القولين وهي :

قال **الربيع بن أنس** : هو القرآن ، وعن **الضحاك** : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ قال : الروح القرآن . ينظر : العظمة لعبد الله بن محمد بن حيّان ، الشهير بأبي الشيخ الأصبهاني ، أبو محمد (ت ٣٦٩ هـ) : ٣ / ٨٧٦ .

وقال **مجاهد** : المراد ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ أرواح الخلق ، لا ينزل ملك إلا ومعه روح . ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٤٥ ، العظمة : ٣ / ٨٨١ .

وقال **قتادة** : ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ بالوحي والرحمة . عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٣ تفسير الطبري : ١٤ / ٧٧ الدر المنثور : ٥ / ١٠٩ . **وحسّنه النحاس** . ينظر معانيه : ٤ / ٥٣ .

وقال **الزَّجّاج** : ما معناه الروح الهداية لأنها تحيا بها القلوب ، كما تحيا الأبدان بالأرواح . **وحسّنه ابن عطية** ، ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٩٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٨ .

وقال **أبو عبيدة** : الروح جبريل عليه السلام ، ويدل عليه : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٩٣] . وتكون الباء للحال أي : ملتبسة بالروح . وقيل : بمعنى مع .

وقيل : الروح حفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة ، كما الملائكة حفظة علينا لا نراهم .

وقال **مجاهد** أيضاً : الروح اسم ملك ، ومنه : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ... ﴾ . [سورة النبأ : ٣٨] .

وعن **ابن عباس** رضي الله عنهما : أنّ الروح خلق من خلق الله كصور ابن آدم ، لا ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم وقال نحوه ابن جريج . قال ابن عطية : وهذا قول ضعيف لم يأت به سند . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٨ ، وللنظر في أقوال السلف بأسانيدها ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٧٧ ، الدر المنثور : ٥ / ١٠٩ .

القول الأوَّل : أي **بالنبوة** ، وهو قول عطاء [١] ، والثوري [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] .

القول الثاني : أي **بالوحي** [٤] ، سمَّاه روحاً لأنه تحيا به القلوب والحق ، ويموت به الكفر والباطل ، وهو قول ابن عباس ﷺ [٥] ، ومقاتل [٦] ، ورجَّحه جماعة من المفسرين [٧] .

واستدل على هذا بما يلي :

١. النظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ... ﴾ . [سورة الشورى : ٥٢] . [٨]
- وقوله : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ

---

(١)نسبه إليه الثعلبي والبغوي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦١ .

(٢) ينظر تفسيره : ١٦٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٠ .

(٤) قال السمر قندي : ﴿ بِٱلرُّوحُ ﴾ أي : بالوحي والنبوة والقرآن . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٥ . وجمع القرطبي بين القولين فقال : ﴿ بِٱلرُّوحُ ﴾ أي : بالوحي ، وهو النبوة . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٦٧ . وذكر القشيري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخطيب الشربيني : أن المراد بالروح الوحي أو القرآن . ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٤٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٧٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٩ ، السراج المنير : ٢ / ٢٤٣ . أما الآلوسي فقال : ﴿ بِٱلرُّوحُ ﴾ أي : الوحي ... ويدخل في ذلك القرآن . ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٩٣ . وينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ٧٨ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢١ .

(٦) ينظر : تفسيره : ٢ / ٢١٣ . وعزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٠٩ .

(٧) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل الحنبلي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والسعدي ، وابن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٧٦ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٥ ، الكشف والبيان : ٦ / ٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦١ ، الكشاف : ٢ / ٥٥٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧٩ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ ، تفسير ابن عادل : ١١ / ٦ ، تفسير الجلالين : ٣٤٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٩٥ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٧ ، تفسير السعدي : ٤٣٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٩٨ ، أضواء البيان : ٢ / ٤١٤ ، الوسيط : ٨ / ١٠١ . وينظر (مادة : روح) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٥ / ١٤٥ ، الصحاح للجوهري : ١ / ٣٢٣ ، لسان العرب : ٢ / ٤٦٣ . وينظر : مدارج السالكين لابن القيِّم : ٣ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب : ٦٦ .

(٨) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ .

﴿ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ . [سورة غافر : ١٥ ، ١٦] .

٢. ومما يدل على أن المراد بالروح (الوحي) إتيانه بعد قوله : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ بقوله : ﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ ﴾ لأن الإنذار إنما يكون بالوحي [١] أو القرآن ، بدليل قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٥] . وكذلك إتيانه بعد قوله : ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ بقوله : ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ . لأن الإنذار إنما يكون بالوحي أيضاً [٢] .

٣. ومما يقوى ذلك أنه تعالى أطلق لفظ الروح على جبريل عليه السلام في قوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ... ﴾ . [سورة الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤] .

قال الفخر الرازي : " وإنما حسن هذا الإطلاق ، لأنه حصل بسبب وجوده حياة القلب وهي الهداية والمعارف ، فلما حسن إطلاق اسم الروح عليه لهذا المعنى ، فلأن يحسن إطلاق لفظ الروح على الوحي والتنزيل كان ذلك أولى " . اهـ [٣] .

✍ لكن **الثعالبي توقف عن جميع تلك الأقوال** وقال : " والله أعلم بحقيقة ذلك ، وهذا أمر لا يقال بالرأي ؛ فإن صحَّ فيه شيء عن النبي ﷺ وجب الوقوف عنده " . اهـ [٤] .

و لم يثبت في معنى ذلك شيءٌ عن الرسول ﷺ .

الترجيح :

يعتبر لفظ (الروح) من الألفاظ التي تحمل معاني متعددة ، فهذا من باب الوجوه والنظائر [٥] ، ولقد ذكر أهل التفسير أن الروح في القرآن على ثمانية أوجه : -

---

(١) في معنى ﴿ أَنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها المفسرة لأنّ الوحي فيه ضرب من القول ، والإنزال بالروح عبارة عن الوحي قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ... ﴾ . [سورة الشورى : ٥٢] .

الثاني : أنها المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف .

الثالث : أنها المصدرية التي من شأنها نصب المضارع ووصلت بالأمر كقولهم : كتبت إليه بأن قم ، والآية تدل على أنّ نزول الوحي بواسطة الملائكة وأنّ النبوّة عطاءة . ينظر : السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٢٤٣ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤١٤ .

(٣) التفسير الكبير : ١٩ / ١٧٥ .

(٤) تفسير الثعالبي : ٣ / ٤١١ .

(٥) **معنى الوجوه والنظائر** : أن تكون الكلمة واحدة ، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد ، وحركة =

أحدها : روح الحيوان ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ... ﴾ . [سورة السجدة : ٩] .

والثاني : جبرائيل عليه السلام ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ . [سورة النحل : ١٠٢].
- وقوله تعالى : ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾ . [سورة مريم : ١٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٩٣] .

والثالث : ملك عظيم من الملائكة ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ... ﴾ . [سورة النبأ : ٣٨] .

والرابع : الوحي ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ . [سورة النحل : ٢] .

والخامس : الرحمة ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ... ﴾ . [سورة المجادلة : ٢٢] .

والسادس : الأمر ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ ... أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ... ﴾ . [سورة النساء : ١٧١] .

والسابع : الريح التي تكون عن النفخ ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ ... ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ۖ ... ﴾ . [سورة التحريم : ١٢] . وهي نفخة جبرائيل في درعها .

والثامن : الحياة ، ومنه :

= واحدة ، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر ، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر ، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه . فإذن النظائر : اسم للألفاظ ، والوجوه : اسم للمعاني . ينظر : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٨٣ . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٤١٤ .

▪ قوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ... ﴾ . [سورة الواقعة : ٨٩] . على قراءة من ضمَّ الراء [١] . قال أبو عبيدة : فروح ، أي : حياة وبقاء لا موت فيه . وقال ابن قتيبة : فروح ، أي : فرحمة [٢] .

وبناء على ما تقدم يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـ ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ الوحي أو القرآن ، قال بذلك جماعة من المفسرين** [٣] ؛ **خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أطلق ﷻ على وحيه اسم الروح ، على سبيل التشبيه ، ووجه الشبه : أن بسببهما تكون الحياة الحقة ، فكما أن بالروح تحيا الأبدان والأجساد ، فكذلك بالوحى والقرآن تحيا القلوب والنفوس وتؤدى رسالتها فى هذه الحياة .

ثانياً : نص غير واحد العلماء على **تفسير الروح بالوحي** ؛ كابن القيِّم [٤] ، إضافة لكثرة من فسره بذلك من المفسرين كما تقدم .

ثالثاً : **السِّياق القرآني** : لأن الإنذار يكون **بالوحي وبالقرآن** ، وهو أبلغ من أي شيء آخر ، قال تعالى : ﴿ ... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٥] .

رابعاً : النظائر القرآنية لهذا القول ، ويؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

▪ **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) قرأ رويس بضم الراء ، وانفرد بها ابن مهران . والباقون بفتح الراء . ينظر : المحتسب لابن جني : ٢ / ٣١٠ إتحاف فضلاء البشر : ٥٣١ .

(٢) ينظر : نزهة الأعين النواظر : ٣٢٢ – ٣٢٤ . وينظر : كليات الكفوي : ٤٧٠ ، ٤٧١ ، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير : ١٢ / ٢٤٨ .

(٣) قال بذلك : القشيري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٤٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٧٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٤ ، تفسير ا لنسفي : ٢ / ٢٤٩ ، السراج المنير : ٢ / ٢٤٣ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٣ .

(٤) ينظر : الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسُّنة لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، ابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ . [آية : ٤] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ خَصِيم ﴾ متكلم يخاصم عن نفسه ، فقال : ((فيه وجهان : أحدهما : أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه . والثاني : يخاصم في ربه ودينه ، وهذا في الكفار . **والأوَّل أعمّ**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى ﴿ خَصِيم [٢] ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه ، منازع للخصوم بعد أن كان نطفة قذرة ، وجماداً لا حس له ولا حركة ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

ومعنى الآية : أن الله أنشأ الآدمي من نطفة ، ثم لم يزل ينقله من طور إلى طور ، حتى صار عاقلا متكلماً ، ذا ذهن ورأي ، يخاصم ويجادل ، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال ، التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها ، وذلك إشارة إلى أعلى ما حصل عليه الآن ، لأن أعلى أحوال الناطق أن يقدر على المخاصمة والذب عن نفسه بالكلام الفصيح [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٠ .

(٢) **الخصيم** هو : (فعيلٌ) صيغة مبالغة من خَصِمَ ؛ بمعنى اخْتَصَمَ ، ويجوز أن يكون بمعنى مخاصم ؛ كالنسيب بمعنى المناسب ، والعشير بمعنى المعاشر ، ورجّحه ابن منظور . وقال الرَّاغب : الكثير الخصومة ، والخصم المختص بالخصومة . وقال أهل اللغة : خصيمك الذي يخاصمك . ينظر : (مادة : خصم) في : مفردات الرَّاغب : ١٤٩ ، لسان العرب : ١٢ / ١٨٢ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٠ .

(٤) منهم : القشيري ، والسمعاني ، والفخر الرازي ، والبقاعي ، وابن عادل الحنبلي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير القشيري : ٢ / ١٤٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٩ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٠٣ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .

قال **السمعاني** : " مخاصم مفصح عما في ضميره بالخصومة ، والخصومة : قد تكون حسنة ، وقد تكون قبيحة ؛ فالحسن منها ما كان لإظهار الحق ، والقبيح ما كان لدفع الحق ، ومعنى الآية بيان القدرة ، وهي أن الله تعالى خلق النطفة من كائن بهذه الحالة " . اهـ [١] .

وسياق الآية **سياق المدح** ، لأنه تعالى قواه على منازعة الخصوم ، وجعله مبين الحق من الباطل ، ونقله من حالة الضعف والامتهان وهو كونه نطفة إلى الحالة العالية الشريفة وهي : حالة النطق والإبانة ، وإذا هنا للمفاجأة ، وبعد خلقه من النطفة لم تقع المفاجأة بالمخاطبة إلا بعد أحوال تطور فيها ، فتلك الأحوال محذوفة ، وتقع المفاجأة بعدها [٢] .

القول الثاني : يخاصم في ربه ودينه ، وهذا في الكفار ، قاله الحسن البصري [٣] ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

ذكر ﷻ أنه خلق جنس الإنسان من نطفة مهينة ضعيفة ؛ فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ، ويكذبه ويحارب رسله ، وهو إنما خلق ليكون عبداً لا ضداً ، والغرض منه وصف الإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل ، والتمادي في كفران النعمة [٦] .

قال **الواحدي** : " نزلت الآية في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله

---

(١) تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٩ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .

(٣) قال الحسن : يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع النعمة بالخصومة في الكفر . نقله عنه الماوردي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ١٧٩ .

(٤) منهم : مقاتل ، والطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١٤ ، تفسير الطبري : ١٤ / ٧٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٦ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٥ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦٣ ، زاد المسير : ٤ / ٤٢٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٦٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٨٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٤٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٧٩ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٦٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ ، تفسير الجلالين : ٣٤٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٤٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٧٩ ، الظلال : ٤ / ٢١٦٠ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٣١ ، الوسيط : ٨ / ١٠٤ .

(٥) واحتمل القولين جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والسعدي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٥٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٨٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤١١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٣٤ .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٦٢ .

ﷺ فقال : يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رمّ ؟ نظيرة هذه الآية قوله تعالى في سورة يس : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ . [سورة يس : ٧٨] . إلى آخر السورة ، نازلة في هذه القصة " . اهـ [1] .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١. دلالة السِّياق القرآني :

الظاهر أنّ سياق هذين الوصفين **سياق ذم** [2] . والمعنى : خلقناه ليعبدنا ويخضع لنا ففاجأ بالخصومة والتكذيب ، كما تدل عليه (إذا) الفجائية ؛ والتي يؤتى بها لمعنى ترتب الشئ على غير ما يظن أن يترتب عليه .

وجئ بها هنا لزيادة التعجيب من حال الإنسان ، لأنه كان المنتظر منه بعد أن خلقه الله ﷻ بقدرته ، ورباه برحمته ورعايته ، أن يشكر خالقه على ذلك ، وأن يخلص العبادة له ، لكنه لم يفعل ما كان منتظراً منه ، بل فعل ما يناقض ذلك من الإشراك والمجادلة فى أمر البعث وغيره [3] .

- لما تقدم من قوله : ﴿ ... سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . [سورة النحل : ١] .
- وقوله : ﴿ ... أَنْ أَنذِرُوٓاْ ... ﴾ . الآية . [سورة النحل : ٢] .
- ولتكرير : ﴿ ... تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٣] .

٢. النظير القرآني :

- قوله تعالى في سورة يس بعد ما ذكر مثله : ﴿ ... قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ . [سورة يس : ٧٨] . فإنه نص فيما ذكر ؛ فيكون صدر الآية للاستدلال وعجزها لتقرير الوقاحة ، والتمادي في كفر النعمة .
- وقوله سبحانه : ﴿ ... بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . [سورة الزخرف : ٥٨] . وعنى به مخاصمتهم لأنبياء الله وأوليائه بالحجج الداحضة ، وأكثر ما ذكر الإنسان في القرآن في

---

(١) أسباب النزول لأبي الحسن ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) : ٢٨٥ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٦٠ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٢ / ٣٣١ .

(٣) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٣١ .

معرض الذم ، أو مردفاً بالذم [١] .

- وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ . [سورة الكهف : ٥٤] .
- وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ . [سورة الفرقان : ٥٤ ، ٥٥] .
- وقوله سبحانه : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ . [سورة مريم : ٦٦ ، ٦٧] . إلى غير ذلك من الآيات [٢] .

٣. **جاء معنى هذه الآية من السُّنة :** ما روى **بُسْرِ بن جَحَّاش** القرشي ﷺ « أن النبي ﷺ بَزَقَ يَوْماً في كَفِّهِ ، فَوَضَعَ عليها إصبعه ، ثُمَّ قال : قال اللهُ : ابن آدَمَ أنى تعجزني وقَدْ خَلَقْتُكَ من مِثْلِ هذه ؛ حتى إذا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بين بُرْدَيْنِ ، وَلِلأَرْضِ مِنْكَ **وَئِيدٌ** [٣] ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ ؛ حتى إذا بَلَغَتِ التراقي ؛ قُلْتَ : أَتَصَدَّقُ . وأنَّى أوان الصَّدَقَةِ » [٤] .

✘ وتُعقِّب :

١. بأن الاستدلال بالنظير القرآني ليس بشيء ؛ لأن مدار ما قبلها من الآيات في تلك السورة – أي سورة يس – على ذكر الحشر والنشر ومكابرتهم فيه ؛ بخلاف هذه ولكل مقام مقال .

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٦٠ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٣١ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ١٠٥ .

(٣) **الوئيد** هو : شِدَّةُ الوطءِ على الأَرض يسمع كالدَّوِيّ من بُعد . ينظر : لسان العرب (مادة : وأد) : ٢ / ٣٣١ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده من حديث بُسْرِ بن جَحَّاشٍ عَنِ النبي ﷺ (١٧٨٧٦) : ٤ / ٢١٠ ، والحديث له طرق كثيرة ، أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحَّحه ، والطبراني في المعجم الكبير وغيرهم ، **وحسَّنه الألباني** .
وبُسْرِ بن جَحَّاشٍ (أو جِحاش) هو : وبُسْرِ بن جَحَّاشٍ القرشي ، ويقال : بشر ، ولم يرتضيه ابن ماكولا ، له صحبة عداده في الشاميين . ت سنة . ينظر : أسد الغابة : ١ / ٢٦٧ ، الإكمال لابن ماكولا : ١ / ٢٦٨ ، تهذيب التهذيب : ١ / ٣٨٢ .

٢. المشهور أن آية سورة يس هي النازلة في تلك القصة [١] ، والصحيح أن الآية التي معنا عامة في الكلّ [٢] .

٣. القول الأوَّل أوفق ، لأن هذه الآيات مذكورة لتقرير وجه الاستدلال على وجود الصانع الحكيم ، لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر والكفران [٣] .

٤. إن معنى ترتّب الشيء على غير ما يظن أن يترتبَ عليه لم يُوضع له حرف ؛ ولذا فالإتيان بحرف (إذا) المفاجأة **استعارةٌ تبعية** ؛ استعير الحرف الدال على معنى المفاجأة لمعنى ترتّب الشيء على غير ما يظن أن يترتبَ عليه [٤] .

قال الطاهر بن عاشور : " ولا مفاجأةَ بالحقيقة هنا لأن الله لم يفجأه ذلك ولا فَجَأ أحداً ، ولكن المعنى أنّه بحيث لو تدبر النّاظر في خلق الإنسان لترقب منه الاعتراف بوحدانية خالقه وبقدرته على إعادة خلقه ، فإذا سمع منه الإشراك والمجادلة في إبطال الوحدانية وفي إنكار البعث كان كمن فجأه ذلك . ولما كان حرف المفاجأة يدل على حصول الفَجْأة للمتكلم به تعيّن أن تكون المفاجأة استعارة تبعية . فإقحام حرف المفاجأة جعل الكلام مفهماً أمرين هما :

- التعجيب من تطوّر الإنسان من أمهن حالة إلى أبدع حالة ، وهي حالة الخصومة والإبانة الناشئتين عن التفكير والتعقل .
- والدلالة على كفرانه النعمة وصرفه ما أنعم به عليه في عصيان المنعِم عليه .

فالجملة في حدّ ذاتها تنويه ، ووجود حرف المفاجأة أدمج مع التنويه التعجيب . ولو قيل : فهو خصيم أو فكان خصيماً لم يحصل هذا المعنى البليغ " . اهـ [٥] .

---

(١) روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .
(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٥٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٦٢ ، التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٠٣ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٨٠ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١ ، روح المعاني : ١٤ / ٩٦ .
(٤) التحرير والتنوير : ١٤ / ١٠٣ . بتصرف يسير .
(٥) المرجع السابق .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ خَصِيم ﴾ يحتمل القولين** ؛ فالإنسان يخاصم عن نفسه وكذلك مخاصم لخالقه .

- فهو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم ، وهذا أنسب بمقام الامتنان بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته .
- أو مخاصم لخالقه منكر له ، وهذا أنسب بمقام تقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر [١] .

✌ فللمعنيان ملائمان للمقام ؛ إلا أن في الثاني زيادة ملائمة مع قوله : ﴿ ... تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٣] . ثم أنه أدمج فيه المعنى الأوَّل [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٥٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٣٤ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٩٧ .

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ . [آية : ١٦] .

مسألة : في المراد بالنجم [١] هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن النجم هنا جنس ، فقال : ((والنجم هنا جنس ، وقيل : المراد الثريا والفرقدان . فإن قيل : قوله : ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ مخرج عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كأنه يقول : وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون ؛ فمن المراد بهم ؟ فالجواب : أنه أراد قريشاً لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجم في سيرهم علم لمن يكن لغيرهم وكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا ، قال ذلك الزمخشري)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بالنجم** [٣] **هنا** على قولين :

القول الأوَّل : أن **النجم هنا جنس** ؛ **فالمراد جميع النجوم** ، وهو قول أهل اللغة[٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ؛ موافقاً **جمهور** [١] المفسرين [٢] .

---

(١) أخبر الله تعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك لولاها لم يهتد الناس إلى استقبال الكعبة . روي عن عمر ﷺ أنه قال : « تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا » . رواه أبوداود وابن ماجه . ينظر : مرقاة المفاتيح للقاري : ٨ / ٤١٣ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥١ .

(٣) ذكر أهل التفسير أن النجم في القرآن على ثلاثة أوجه :
أحدها : الكوكب . ومنه قوله تعالى في النحل : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ وهي الآية التي معنا .
والثاني : النبت الذي لا ساق له . ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ . [سورة الرحمن : ٦] . فالنجم ما لا ساق له ، والشجر كل نبت له ساق .
والثالث : ما كان يتزل من القرآن متفرقاً . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ . [سورة النجم : ١] . وقوله تعالى : ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ . [سورة الواقعة : ٧٥] . ينظر : نزهة الأعين النواظر : ٥٨١ .
وقال الرافعي : النجم في الأصل الوقت ، ويقال : كانت العرب لا تعرف الحساب ، ويبنون أمورهم على طلوع النجم والمنازل ؛ فيقول أحدهم : إذا طلع نجم الثريا أديت حقك ، فسميت الأوقات نجوماً ، ثم سمِّي المؤدي في الوقت نجماً . ينظر : تهذيب الأسماء واللغات ليحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) : ٣ / ٣٣٧ .

(٤) نسب هذا القول إلى أهل اللغة ابن منظور والزبيدي . ينظر : لسان العرب (مادة : نجم) : ١٢ / ٢٦٨ ، تاج العروس (فصل النوم والميم) : ٣٣ / ٤٧٦ . وينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٧٩٢ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥١ .

ويدل عليه :

١. النظير القرآني : وهو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٧] . (٣)

٢. القراءة الشاذة : بضمتين (وبالنُّجُم) ، وضمة وسكون (وبالنُّجْم) (٤) .

✖ واعتُرض : بأن جميع النجوم لا يهتدي بها إلا العارف بمطالعها ومغاربها ، والمفرق بين الجنوبي والشمالي منها ؛ وذلك قليل في الآخرين (٥) .

✓ وأجيب عليه : بأن الله أطلق ذلك في القرآن ، فكان القول به أوْلى ، ولا دليل على التخصيص .

القول الثاني : أن **المراد بـــ ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ ﴾ الثريا** ، قاله **ابن سيده** (٦) .

---

(١) نسب هذا القول إلى أهل التفسير وأهل اللغة النحاس في معانيه (٤ / ٦١) ، ونسبه أبو حيان إلى جمهور المفسرين . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٦٦ .

(٢) منهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي والنيسابوري ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٦١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٢ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٢ ، الكشاف : ٢ / ٥٦٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٨٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٩١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٩٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٥١ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٦٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤١٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠٤ السراج المنير : ٢ / ٢٥٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٥٣ ، روح المعاني : ١٤ / ١١٦ ، الظلال : ٤ / ٢١٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٢ ، الوسيط : ٨ / ١٢٢ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٢ .

(٤) قرأ الحسن : - بضم النون والجيم - (النُّجُم) ومراده النجوم أيضاً ، ويجوز أن يكون النجم جمع نجم كسقف وسقف . وقرأ الحسن أيضاً (النُّجْم) - بضم النون وسكون الجيم - ، ومراده النجوم فقصره ، وهي قراءات شاذة لكنها تحمل على التفسير أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٩٠ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٩١ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٦٦ . وينظر : المحتسب لابن جني : ٢ / ٨ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٥٠ . وقرأ الجمهور - بفتح النون وسكون الجيم - ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ ﴾ .

(٥) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ .

(٦) ينظر : المحكم لابن سيده (مادة : نجم) : ٧ / ٤٦٩ .

وابن سيده هو : علي بن إسماعيل المرسي ، أبو الحسن الأعمى اللغوي الشاعر ، لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء منه باللغة ، ولا أعظم تأليفاً ، ت سنة ٤٥٨هـــ . ينظر : العبر للذهبي : ٣ / ٢٤٥ ، البلغة : ١٤٨ ، لسان الميزان لأبي الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـــ) : ٤ / ٢٠٥ .

واستدل له : بأن العرب إذا أطلقت لفظ : (النجم) قصدت به الثريا [١] .

✖ **واعتُرض** : بأن هذا لا ينهض دليلاً لتخصيص ما جاء في القرآن عاماً ، فقد يكون :

- عند غيرهم معرفة بشيء من النجوم وكيفية الاهتداء بها لا يعلمه العرب ولا يدركونه .
- كما أن الثريا لا يهتدي بها إلا من يهتدي بجميع النجوم [٢] .

القول الثالث : أن المراد بـــ ﴿ **وَبِٱلنَّجْمِ** ﴾ **الجَدْي والفَرْقَدَان** ؛ وإنما الهدى بهما لكل أحد ، قاله ابن عباس [٣] ﷺ ، ومقاتل [٤] ، وهو قول الفَرَّاء [٥] ، وغير واحد من المفسرين [٦] . [٦] .

واستدلوا :

١. **من السُّنة** : **بالحديث التالي** : قال ابن عباس ﷺ : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ قال : « هو الجدي يا ابن عباس ؛ عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم » [٧] .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** فقال : " ولو صحَّ هذا لم يعدل أحد عنه " . اهـــ [٨] .

٢. إن هذه النجوم بعينها هي المرادة بقوله تعالى : ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ لأنهن لا يزلن عن أماكنهن شتاء ولا صيفاً ، وبها يعرفون الطرق في البر والبحر [٩] .

قال **ابن العربي** : " وإنما الهدى لكل أحد بالجدي والفرقدين ؛ لأنهما من النجوم المنحصـــرة

---

(١) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : نجم) : ٤٨٣ ، نزهة الأعين النواظر : ٥٨٠ .
(٢) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ .
(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٢ .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٢١٦ .
(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٨٢ .
(٦) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن العربي ، وقدم السمعاني قول الفَرَّاء . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٩٢ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٨ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٦٤ .
(٧) أخرجه أبو شجاع ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا (ت ٥٠٩ هـــ) في الفردوس بمأثور الخطاب (٢٦٤٧) : ٢ / ١٢٤ . **فالحديث ضعيف** .
(٨) البحر المحيط : ٥ / ٤٦٧ .
(٩) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١٦ .

المطلع ، الظاهرة السمت ، الثابتة في المكان " . اهـ [١] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، فالراجح أن المراد بـ بالنجم هنا في قوله تعالى : ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ جميع النجوم ، فاللام للجنس ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : القول بالعموم أولى وأرجح ، يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [٢] .

ثانياً : **القراءة التفسيرية** : وهي قراءة الحسن وهي : (وبالنُّجُم) و (بالنُّجْم) وإن كانت قراءة شاذة كما بيَّنا ولكنها تحمل على التفسير .

ثالثاً : ذكرت غير واحد من كتب الفقه الاهتداء بالنجوم وأقسامها [٣] ، وكيفية الاهتداء بها في السفر لتحديد القبلة ؛ و لم تعين نجوماً معينة للاهتداء ؛ فكان القول بالعموم أعم وأوفق لواقع الأمر .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٢٨ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥٢٧ .

(٣) النجوم أقسام : احداها : منازل القمر الثمانية والعشرون ، فالاستدلال بها كالاستدلال بالشمس والقمر سواء لأنها تطلع من المشرق وتغرب في المغرب ، وهي : السرطان ، والبطين ، والثريا ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة والذراع ، والنثرة ، والطرف ، والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والعواء ، والسماك ، والغفر ، والزباني ، والإكليل والقلب ، والشولة ، والنعايم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد الاحبية ، وسعد السعود ، والفرع المتقدم ، والفرع المؤخر ، وبطن الحوت ؛ فمن عرف كل منزل منها بعينه امكنه الاستدلال بها .... وأثبت الدلة على نفس الكعبة القطبان الشمال والجنوبي والقطب الشمالي ... ويقرب من القطب الشمالي نجم صغير يسميه الفقهاء (القطب) وهو كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم ؛ يرى إذا لم يكن في السماء قمر ، وحوله انجم دائرة كفراشة الرحا في أحد طرفيها (الفرقدان) وفي الآخر (الجدي) ؛ وهو كوكب نير معروف إذا ج لهه المصلي خلفه كان مستقبلا القبلة في الشام والجُزيّرة العراق وخراسان ... ينظر : شرح العمدة في الفقه لأبي العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ) : ٤ / ٥٥٣ . وينظر أيضاً : الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل : ١ / ١٢٠ ، شرح منتهى الإرادات المسمَّى (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى) لمنصور ابن يونس بن إدريس البهوتي (ت ١٠٥١ هـ) : ١ / ١٧٢ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ . [آية : ٢١] .

مسألة : في مرجع الضمير في ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ و ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في : ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ للأصنام ، وفي : ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ للكفار الذين عبدوهم ، فقال : ((الضمير في : ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ للأصنام ، وفي : ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ للكفار الذين عبدوهم ، وقيل : إن الضميرين للكفار)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **مرجع الضمير في** ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ و ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : أن الضمير في : ﴿ يَشْعُرُونَ [٢] ﴾ **للأصنام** [٣] ، وفي : ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ **للكفار الذين عبدوهم ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .
والمعنى : ما تشعر هذه الجمادات من الأصنام أيّان يبعث عبدتهم من الكفار ، ويكون هذا على طريقة التهكم بهم ؛ لأن شعور الجماد مستحيل بما هو من الأمور الظاهرة فضلاً عن

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥١ .
(٢) قال الرَّاغب : شعرت : أصبت الشعر ، ومنه استعير : شعرت كذا ؛ أي : علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر ، وسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته ، فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم : ليت شعرى . ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : شعر) : ٢٦٢ .
(٣) اتفق الفخر الرازي وابن عادل مع أصحاب هذا القول في أن ضمير ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ للأصنام ، ثم ذكروا في عود الضمير في قولان في ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ قولان :
أحدهما : أنه عائد إلى العابد للأصنام ، أي : ما يدري الكفار عبدةُ الأصنام متى يبعثون .
الثاني : أنه يعود إلى الأصنام ، أي : الأصنام لا يشعرون متى يبعثها الله تعالى . ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤ تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٩ .
(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥١ .
(٥) منهم : الزمخشري ، والنسفي ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، وجوَّزه القاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، وحكاه محمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٦١ تفسير النسفي : ٢ / ٢٥٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٥٧ ، تفسير الجلالين : ٣٤٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠٦ السراج المنير : ٢ / ٢٥٢ ، فتح القدير : ٣ / ١٥٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٩٢ ، روح المعاني : ١٤ / ١٢٠ الظلال : ٤ / ٢١٦٤ ، الوسيط : ٨ / ١٢٦ .

الأمور التي لا يعلمها إلا العليم الخبير [١] .

القول الثاني : أن **الضميرين للأصنام** ، يعني أن هذه الأصنام لا تعرف متى يبعثها الله تعالى قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٢] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٣] ، وغير واحد من المفسرين [٤] . [٥]

وذلك أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ، ومعها شياطينها ؛ فيتبرؤون من عبادهم ثم يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار . وقد دل على هذا القرآن في مواضع منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٩٨] .

ويلزم من نفى شعورهم بوقت بعثهم نفي شعورهم بوقت بعث عبدهم ، وهو الذي يقتضيه الظاهر [٦] .

القول الثالث : أن **الضميرين للكفار** ، قاله جماعة من المفسرين [٧] . [٨]

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٦١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٥٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٥٦ ، روح المعاني : ١٤ / ١٢٠ ، الظلال : ٤ / ٤٥٩ .

(٢) نسبه إليه ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٣٨ التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٩٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٩ . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٨٢ .

(٤) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، واحتمله ابن عطية ، والقرطبي والخازن ، وأبو حيان ، والقاسمي ، **وجوَّزه** محمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ٩٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٣٩٨ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٣ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٦٥ تفسير البغوي : ٣ / ٦٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٨٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٩٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٨٥ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٦٨ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٩٢ ، الوسيط : ٨ / ١٢٦ .

(٥) احتمل القولين الأوَّل والثاني من المفسرين : البيضاوي ، والنيسابوري . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٩٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٢٠ .

(٧) منهم : مقاتل ، والسمر قندي ، والثعالبي ، وابن عاشور . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١٧ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٦٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤١٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٦ .

(٨) جوّز النحاس القولين الثاني والثالث ، فيكون الضميرين للأصنام ، أو للكفار . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٦٢ .

واستدل بما يلي :

١. **النظير القرآني** : قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ . [سورة النمل : ٦٥] .

٢. **معنى الآية** : قد تم الكلام عند قوله : ﴿ ... لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٢٠] . ثم ابتدأ فوصف المشركين بأنهم ﴿ أَمْوَٰتٌ ﴾ ، وهذا الموت موت كفر ، و ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ ، أي : وما يدري الكفار متى يبعثون أي : وقت البعث [١] ؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث حتى يستعدوا للقاء الله . وقيل : أي : وما يدريهم متى الساعة ولعلها تكون قريبا [٢] .

✘ **واعتُرض على ذلك** :

بأنه إذا كان الضميرين للكفار ينبغي أن يعتقد في الكلام الوعيد ، وما يشعر الكفار متى يبعثون إلى التعذيب ، وفي هذا المعنى لم يكن في وصفهم بأنهم لا يشعرون أيان يبعثون طائل لأن الملائكة والأنبياء والصالحين كذلك هم في الجهل بوقت البعث [٣] .

✔ **وأُجيب** :

بأن المقصود من نفي شعورهم بالبعث **تهديدهم** بأن البعث الذي أنكروه واقع ، وأنهم لا يدرون متى يبغتهم ، كما قال تعالى : ﴿ ... لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٨٧] . [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن الضميرين في قوله تعالى : ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ و ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ تعود للكفار ، خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة إلى ما تقدم ؛ ما يلي :

---

(١) ﴿أَيَّانَ﴾ : اسم استفهام عن الزمان . مركبة من (أي) و (آن) بمعنى أي زمن ، وهي معلقة لفعل ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ عن العمل بالاستفهام ، والمعنى : وما يشعرون بزمن بعثهم . فجملته في محل نصب على إسقاط الخافض . ينظر : الدُّر المصون للسَّمين الحلبي : ٤ / ٣١٩ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٤ / ١٢٧ .

(٢) نقل القرطبي هذا القول . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٩٤ .

(٣) قاله ابن عطية . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٣٨٦ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٦ .

أولاً : الضميران عائدان إلى الكفار على طريق الالتفات في قراءة الجمهور ، وعلى تناسق الضمائر في قراءة **عاصم** [(١)] . وقراءة الجمهور فيها زيادة تبيين لصرف الخطاب إلى المشركين [(٢)] ، وتفسير الآية بمجموع القراءتين المتواترتين أوْلى .

ثانياً : القرينة القرآنية ودلالة السِّياق :

جملة ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ لإثبات البعث وأنه من لوازم الألوهية [(٣)] ، وذلك عقب الكلام على إثبات الوحدانية لله تعالى ، لأن هذين هما أصل إبطال عقيدة المشركين ، **وتمهيدٌ** لوجه التلازم بين إنكار البعث وبين إنكار التوحيد في قوله تعالى بعدها : ﴿ ... فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٢٢] [(٤)] .

- إن عود الضمير في ﴿ **يَشْعُرُونَ** ﴾ للأصنام ، أو عوده للأصنام في كلا الضميرين يفيد بعدم علم الأصنام بوقت مبعثها أو مبعث عابديها ؛ وهو أمرٌ ليس ذا أهمية حتى يخبرنا الله به ؛ والآية في معرض تقرير إنكار الكفار للبعث واستكبارهم ، ولذا فإن عود الضميرين للكفار **أوفق للسياق** – خاصة على قراءة الجمهور – .

ثالثاً : قول ابن عباس ﷺ (عن عدم علم الأصنام بوقت مبعثها) لم أجده مسنداً ؛ كما أنه لا يعتبر نصاً في تفسير الآية .

رابعاً : يقوى القول بعود الضميرين إلى كفار قريش بعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** عند المفسرين ، منها :

- **اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه .**

---

(١) اختلف في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ في قوله تعالى قبلها : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٢٠] . فعاصم ويعقوب : بياء الغيبة على الالتفات من خطاب عام للمؤمنين إلى غيب خاص للكافرين ، وافقهما الحسن ، وقرأ الجمهور : بتاء الخطاب (تدعون) مناسبة لـ ﴿ تُسِرُّونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ . [سورة النحل : ١٩] . التفاتاً من الخطاب العام إلى الخاص . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٥٠ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٦ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٦١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٩٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٥٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٩٢ ، روح المعاني : ١٤ / ١٢١ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ١٢٦ .

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها [١] .**

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٠ ، ٢ / ٢٩٩ ، ٦١٣ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ... ﴾ . [آية : 52] .

مسألة : في معنى : ﴿ وَاصِبًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى : ﴿ وَاصِبًا ﴾ واجباً وثابتاً ، فقال : ((أي : واجباً وثابتاً . وقيل : دائماً)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى** : ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ [(٢)] وَاصِبًا [(٣)] ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : أن ﴿ وَاصِبًا ﴾ معناه : **واجباً وثابتاً ولازماً** ؛ لا زوال له لأنه الإله وحده الحقيق بأن يرهب ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٤)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٥)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٦)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٥ .

(٢) قال مجاهد : الدين الإخلاص . وقال ابن جبير : العبادة . وقال عكرمة : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقامة الحدود والفرائض . وقال الزمخشري وابن عطية : الطاعة ، وزاد ابن عطية : والملك . وجوَّز ابن عاشور أن يكون الدين بمعنى الجزاء . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٠ ، تفسير البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٨٥ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٧٦ .

(٣) **واصباً** : من وصب ، (ووَصَبَ) الشَّيْءُ ، (يَصِبُ ، وُصُوباً) أَي : إِذا (دامَ) . والوُصُوبُ : دَيْمُومَةُ الشَّيْءِ . ينظر (مادة : وصب) في : العين للخليل بن أحمد : ٧ / ١٦٨ ، جمهرة اللغة لابن دريد : ١ / ٣٥١ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١٢ / ١٧٨ ، المحيط في اللغة للصاحب بن عباد ، إسماعيل بن عباد الأصفهاني القزويني الطالقاني (ت ٣٨٥هـ) : ٨ / ٢٠٢ ، لسان العرب : ١ / ٧٩٧ ، تاج العروس : ٤ / ٣٤٤ .
وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال : إن هذا الدين دين واصب ، شغل الناس وحال بينهم وبين كثير من شهواتهم فما يستطيعه من إلا من عرف فضله ورجا عاقبته . قال الزَّجَّاج : ويجوز أن يكون ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ أي : له الدينُ والطاعة ، رضي العبدُ بما يُؤمَر به أو لم يَرْضَ به ، سَهُل عليه أو لم يَسْهلُ ؛ فله الدِّينُ وإن كان فيه الوَصَب . والوَصَبُ : شدّة التَّعَب . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٠٣ ، الدر المنثور : ٥ / ١٣٧ .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عنه في تفسيره (١٤ / ١٢٠) ، وعزاه السيوطي إلى الفريابي أيضاً . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٣٧ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٥ .

(٦) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والثعالبي ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٠ ، تفسير =

القول الثاني : أن ﴿ وَاصِبًا ﴾ معناه : **دائماً** ، أي له جلَّ وعلا : الطاعة والذل والخضوع دائماً ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً [١] ، ومجاهد [٢] ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة [٣] . [٤] وقاله الثوري [٥] ، ومقاتل [٦] ، وأهل اللغة [٧] ، وقاله جماعة المفسرين [٨] .

واستدلوا بأدلة منها :

١. النظير القرآني :

وهو قوله تعالى : ﴿ ... وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ . [سورة الصافات : ٨ ، ٩] . أي دائم [٩] .

= البيضاوي : ٣ / ٤٠٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٥٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٢٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١١٩ ، وينظر : كليات الكفوي (فصل الواو) : ٩٥٠ .

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٥ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٨٤ .

(٣) نسبه إليه الصنعاني . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٧ .

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١١٩ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٣٧ .

(٥) ينظر تفسيره : ١٦٥ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٢٥ .

(٧) نسب ابن الجوزي هذا القول إلى اللغويين . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٥٥ . قاله الفَرَّاء ، وأبو عبيدة ، والزَّجَّاج . ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ٨٧ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٦١ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٠٣ . ومن كتب غريب القرآن ؛ ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٤٨١ ، مفردات الرَّاغب : ٥٢٤ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ١ / ٢٨٩ ، التبيان في تفسير غريب القرآن لهائم المصري : ٢٦٠ .

(٨) منهم : الصنعاني ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي ، وابن عادل الحنبلي ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والسعدي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٧٢ ، تفسير السمر قندي (وقال : أي دائماً خالصاً) : ٢ / ٢٧٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤٠٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٠٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٧٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١١٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٠ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٤١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٩٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٦٩ ، الدر المصون : ٤ / ٣٣٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٨٠ ، تفسير الجلالين : ٣٥٢ ، السراج المنير : ٢ / ٢٦٦ ، تفسير السعدي : ٤٤٢ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

(٩) ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٧٢ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

٢. من السُّنة : وهو الأثر المرويُّ عن ابن عباس ﷺ أنه لما سئل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ ؛ قال له : الواصب الدائم [١] .

٣. من كلام العرب :

استشهد له بقول **أمية بن أبي الصلت الثقفي :**

ولَهُ الدِّين وَاصباً ولهُ الملكُ وحَمدٌ لهُ عَلَى كُلِّ حَال [٢]

وقول الشاعر [٣] :

لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَليلَ بَقاؤهُ يَوْماً بِذمِّ الدَّهْرِ أجْمعَ وَاصِبَا

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثاني ، وأن الراجح أن معنى : ﴿ وَاصِبًا ﴾ : دائماً وهو خلاف ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : معنى الآية :

فالله ﷻ له الدين والطاعة دائماً أبداً ؛ لأنه لا يضعف سلطانه ، ولا يعزل عن سلطانه ، ولا يموت ولا يغلب ، ولا يتغير له حال بخلاف ملوك الدنيا . فإن الواحد منهم يكون مطاعاً له

---

(١) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء ، ونقله عنه السيوطي . ينظر : الدر المنثور :٥ / ١٣٧ .

(٢) نسبه إليه السيوطي والشنقيطي . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٣٧ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

وأمية بن أبي الصلت هو : أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي : شاعر جاهلي حكيم ، من أهل الطائف ، قدم دمشق قبل الاسلام ، وكان مطلعاً على الكتب القديمة ، يلبس المسوح تعبداً ، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية ، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام ، وعاد إلى الطائف ، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له : يزعم أنه نبي . فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن ، وانصرف عنه ، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه ، فقال : أشهد أنه على الحق ، قالوا : فهل تتبعه ؟ فقال : حتى أنظر في أمره ، وخرج إلى الشام . وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وحدثت وقعة بدر ، وعاد أمية من الشام ، يريد الإسلام ، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له ، فامتنع . وأقام في الطائف إلى أن مات سنة ٥ هـ . ينظر : تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ٩ / ٢٨٦ ، المنتظم : ٣ / ١٤٢ ، ١٤٣ ، البداية والنهاية : ٢ / ٢٢٦ .

(٣) هو أبو الأسود الدؤلي . ينظر : الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني : ١٢ / ٣٦٠ .

السلطنة والحكم ، والناس يخافونه ويطعمون فيما عنده برهة من الزمن ، ثم يعزل أو يموت ، أو يذل بعد عز ، ويتضع بعد رفعة ، فيبقى لا طاعة له ولا يعبأ به أحد [١] .

ثانياً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، وبذلك يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم.**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

✍ وإن كان القول الآخر محتملاً أيضاً فطاعة الله واجبة وثابتة أبداً دائماً ، وعليهما يحمل معنى الآية ، وقد قد جمع بين القولين : جماعة من المفسرين [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٨٣ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٣١٢ .

(٣) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والقشيري ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، والبقاعي ، والشوكاني ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١١٨ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٢ ، تفسير القشيري : ٢ / ١٥٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٩٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ١٦٩ التحرير والتنوير : ١٤ / ١٧٦ ، الوسيط : ٨ / ١٦٨ . وينظر : المحكم لابن سيده (مادة : وصب) : ٨ / ٣٨٨ ، تفسير غريب ما في الصحيحين : ١ / ٣١٣ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾ . [آية : ٦١] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ بني آدم وغيرهم ، فقال : ((﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ يعم بني آدم وغيرهم ، وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم ، وقد ورد ذلك في الأثر . وقيل : يعني بني آدم خاصة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

لما حكى سبحانه عن القوم عظيم كفرهم بيَّن سعة كرمه وحلمه ؛ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة و لم يؤاخذهم بظلمهم ، واختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : أنه يعمُّ بني آدم وغيرهم ؛ قاله **جماعة من السَّلف** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

ومعنى الآية : أي ما ترك عليها شيئاً من دابة قط ؛ بل أهلكها بالمرَّة .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٦ .

(٢) سيأتي تفصيل أقوالهم لاحقاً .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٦ .

(٤) منهم : مقاتل ، والطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والسعدي ، والشنقيطي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي .
ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٢٧ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٢٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٧٩ ، تفسير ابن أبي زمنين (قال : حيوان الأرض) : ٢ / ٤٠٧ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٣٦٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٤ ، الكشاف : ٢ / ٥٧٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٠٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٠ تفسير الخازن : ٤ / ٩٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٨١ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٢٩ ، تفسير الجلالين : ٣٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / 122 ، السراج المنير : ٢ / ٢٦٩ ، روح المعاني : ١٤ / ١٧٠ ، تفسير السعدي : ٤٤٣ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٨٩ - ٣٩١ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٨٨ ، ١٩٠ ، الوسيط : ٨ / ١٧٧ .

واقتضى قوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ [١] ﴾ هلاك الحيوانات بذنوب بني آدم ؛ لأنها مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم كما يشعر به قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٩] . [٢]

قال ابن عاشور : " والاقتصار على ذكر دابّة في هذه الآية إيجاز ، لأنه إذا كان ظلم الناس مفضياً إلى استئصال الدوابّ كان العِلم بأنه مفض إلى استئصال الظالمين حاصلاً بدلالة الاقتضاء " . اهـ [٣] .

واستدل على ذلك بما يلي :

١. النظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾ . [سورة فاطر : ٤٥] .
- وقوله : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ ... ﴾ . [سورة الكهف : ٥٨] .

٢. جملة من الآثار :

- عن **ابن مسعود** ﷺ قال : « كاد الجُعَل [٤] أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم ، ثم قرأ : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾ » [٥] .
- وسمع **أبو هريرة** ﷺ رجلاً وهو يقول : إن الظَّالم لا يضرُّ إلاَّ نفسه . فقال : « بلى والله ، حتى إن الحبارى [٦] لتموت في وكرها بظلم الظالم » [١] .

---

(١) **الدَّابَّة** هي : اسمُ (مَا دَبَّ مِنَ الحَيَوَانِ) مُمَيِّزِهِ وغيرِ مُمَيِّزِهِ . ينظر (مادة : دب) في : لسان العرب : ١ / ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، تاج العروس : ٢ / ١٥٦ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٦ ، روح المعاني : ١٤ / ١٧٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ١٩٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٤ / ١٩٠ .

(٤) **الجُعَل** هو : دابة سوداء من دواب الأرض ، قيل : أبو جَعران ، بفتح الجيم ، وجمعه جعلان . ينظر : لسان العرب (مادة : جعل) : ١١ / ١١٢ .

(٥) نسبه السيوطي في الدر (٥ / ١٤٠) إلى ابن أبي شيبة ، وابن جرير (١٤ / ١٢٦) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب . وأخرجه الحاكم وصحَّحه (٣٦٠٢) : ٢ / ٤٦٤ . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** .

(٦) قال ابن قتيبة : وانما خصت الحبارى من بين الطير لأنها أبعدها نجعة ، بلغني أنها تذبح بالبصرة فتوجد في =

- وقال **قتادة** في الآية : قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك من على الأرض إلاَّ من كان في سفينة نوح عليه السلام [٢] .
- وقال **السدي** : المعنى لأقحط المطر ؛ فلم تبق دابة إلاَّ هلكت [٣] .

٣. لما تقرر في الأصول من : أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت قبلها لفظة (من) تكون نصاً صريحاً في العموم . وعليه فقوله : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ يشمل كل ما يطلق عليه اسم الدابة نصاً [٤] .

القول الثاني : يعني **بني آدم خاصة** ، قاله ابن جريج [٥] ، وأبو عبيدة [٦] .

القول الثالث : المعنى المراد : **من دابة كافرة فهو خاص** ، قاله جماعة من المفسرين [٧] .

ويدل على هذا التخصيص :

١. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٥٥] .

٢. وقوله تعالى : ﴿ ... أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٧٩] . [٨]

٣. أن الله لا يعاقب أحداً بذنب أحد .

واحتجُّوا : بقول الله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ١٥] .

= حواصلها الحبة الخضراء صحاحاً ، وبين البصرة وبين منابت البطم مسيرة أيام وأيام . ينظر : غريب الحديث لابن قتيبة : ٢ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ . وينظر : الفائق في غريب الحديث للزمخشري : ٢ / ٣٣٠ .

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، وابن جرير ، والبيهقي في الشعب . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٢٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٠ .

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٤٠ .

(٣) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٥٩ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٩١ .

(٥) نسبه إليه ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٥٩ .

(٦) نسبه إليه الرَّاغب في مفرداته (١٦٤) . – ولم أقف عليه في كتب أبي عبيدة في حدود ما اطلعت – .

(٧) ونسبوه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، منهم : الواحدي ، والقرطبي ، والنيسابوري ، والشوكاني . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦١٠ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١١٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٧٤ ، فتح القدير : ٣ / ١٧١ .

(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٤٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٧٤ ، .

✖ **واعتُرض : قالوا : فيكف يعمُّ بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم ؟**

✓ **وأُجيب** بأنَّ : إهلاك الظالم انتقامٌ منه ، وإهلاك غيره إن كان من أهل التكليف فلأجل توفير أجره ، وإن كان من غيرهم فبشؤم ظلم الظالمين [١] .

ومثل هذا قوله : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٢٥] .

وفى معنى هذا أحاديث منها :

- ما أخرجه الشيخان عن زَيْنَبَ ابنة جَحْشٍ – رضي الله عَنْه ا – « أَنَّ النبي ﷺ دخل عليها فَزِعًا يقول : لَا إِلَهَ إلا الله ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍّ قد اقْتَرَبَ ! فُتِحَ الْيَوْمَ من رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذه – وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا – . قالت زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، فقلت : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قال : نعم إذا كَثُرَ الْخَبَثُ » [٢] .
- وفي صحيح الإمام مسلم عن عَبْدَ اللَّهِ بن عُمَرَ ﷺ قال : سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « إذا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ من كان فِيهِمْ ؛ ثُمَّ بُعِثُوا على أَعْمَالِهِمْ » [٣] .

.

ويمكن أن يقال : إن الذين لم يظلموا قد تسببوا للعقوبة بأسباب : كترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وترك التغيير ، ومداهنة أهل الظلم ومداومة جوارهم ، فتكون الإصابة المتعديه للظالم إلى غيره مختصة بمن ترك ما يجب عليه عند ظهور الظلم [٤] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٠٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / 122 ، روح المعاني : ١٤ / ١٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، بَاب قِصَّةِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (٣١٦٨) : ٣ / ١٢٢١ ، وأخرج مسلم بمثله في كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَبَ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (٢٨٨٠) : ٤ / ٢٢٠٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، بَاب الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ (٢٨٧٩) : ٤ / ٢٢٠٦ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣ .

القول الرابع : الجن والإنس ، قاله ابن عباس ﷺ [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] .

وقيل في معنى الآية : لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ، و لم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد [٣] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، فالراجح أن قوله تعالى : ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يعم بني آدم وغيرهم من الحيوانات ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ما يلي :

أولاً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ؛ وهم الأكثر فهماً لنصوص الوحي .

ثانياً : حديث ابن مسعود ﷺ **الصحيح** جاء في معنى هذا القول .

ثالثاً : إذا ثبت في الأحاديث الصحيحة : أن العذاب إذا نزل بقوم عمَّ الصَّالح والطَّالح ، فلا إشكال في شمول الهلاك للحيوانات التي لا تعقل . وإذا أراد الله إهلاك قوم أمر نبيهم ومن آمن منهم أن يخرجوا عنهم ؛ لأن الهلاك إذا نزل عمَّ [٤] .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٦ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إليه في زاد المسير (٤ / ٤٥٩) . – و لم أقف عليه في كتب الزَّجاج في حدود ما اطلعت – .

(٣) أورد هذا المعنى كثير من المفسرين في تفاسيرهم . منهم : البغوي في تفسيره (٣ / ٧٤) ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٢ / ٢٦٩) .

(٤) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٩٢ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢ / ٨٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾ . [آية : ٦٧] .

مسألة : اختلاف أهل العلم في هذه الآية بين الإحكام والنسخ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الآية منسوخة بالتحريم ، فقال : ((﴿ سَكَرٗا ﴾ : يعني الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها ؛ فهي منسوخة بالتحريم . وقيل : إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ؛ فلا نسخ)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

السَّكر في **اللغة** [(٢)] : نقيض الصحو ، وهو في الأصل مصدر ، ثم سمّي به الخمر ، يقال : سَكِرَ يَسْكَرُ سُكْراً وسَكَراً ؛ نحو : رَشِد يَرشَدُ رُشْداً ورَشَداً ؛ قال الشاعر :

وجَاءُونَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَيْنَا   فأجْلَى اليَومُ والسَّكرانُ صَاحِي

واختلف أهل العلم والمفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا ﴾ **هل هو منسوخ أو لا ؟ وذلك بناء على اختلافهم في معنى السكر** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى أقوال منها :

القول الأوَّل : السَّكَر [(٣)] هو الخمر ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٤)] ، ونقل عن جماعة

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٧ .

(٢) ينظر (مادة : سكر) في : العين : ٥ / ٣٠٩ ، لسان العرب : ٤ / ٣٧٢ ، تاج العروس : ١٢ / ٥٥ . والبيت لم اهتد لقائله .

(٣) حمل السكر جماعة من الحنفية على ما لا يسكر من الأنبذة وعلى ما ذهب ثلثاه بالطبخ ، قالوا : وإنما يمتن الله على عباده بما أحله لهم لا بما حرمه عليهم ، وهذا مردود بالأحاديث الصحيحة المتواترة على فرض تأخره عن آية تحريم الخمر ، وليس هنا مقام بسط هذه المسألة . للمزيد : ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٣٤ ، ١٣٥ ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد لمحمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥ هـ) : ١ / ٣٤٥ - ٣٤٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٢٩ - ١٣٣ . وينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٥٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٧٥ .

(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٦ . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ١٤٢) إلى أبي داود في ناسخه ، وابن المنذر =

السَّلف [١] ، وهو المشهور عند أهل اللغة [٢] ، وجمهور العلماء من الخلف [٣] .

يدلُّ على ذلك : قول الأخطل :

بِئْسَ الصُّحَاةُ وبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُم إذَا جَرَى فِيهِمُ المُزَّاءُ والسَّكَرُ [٤]

القول الثاني : السَّكَر الطُّعْم ، قاله أبو عبيدة ، **ورجَّحه** ابن جرير [٥] .

وأنشد أبو عبيدة [٦] :

جعلت أعراض الكرام سكراً ؛ أي : تنقلت بأعراضهم .

واستدل له :

بأن السَّكر ما يطعم من الطعام ، ويحل شربه من ثمار النخيل والأعناب ، وهو الرزق الحسن فاللفظ مختلف والمعنى واحد ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ٨٦] . [٧]

= وابن أبي حاتم .

(١) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وابن عمر رضي الله عنه ، وأبو رزين ، والحسن ، ومجاهد ، والشعبي ، والنخعي ، وابن أبي ليلى ، والكلبي ، وابن جبير ، وأبو ثور ، وغيرهم . ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٤٨ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٥ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٠٤ .

(٢) قال ابن عطية والقرطبي بشهرة هذا القول عند أهل اللغة . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٢٨ . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٠٩ ، تهذيب اللغة للأزهري (مادة : سكر) : ١٠ / ٣٥ .

(٣) نسب الشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤٠٤ ، الوسيط : ٨ / ١٨٦ .

(٤) ينظر : ديوان الأخطل : ٨٠ .
والأخطل هو : غياث بن غوث بن الصلت التغلبي ، أبو مالك ، وكان نصرانياً من أهل الجزيرة ، إلا أن محله في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف ، ت سنة ٩٠ هـ . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٢٩٨ ، الأغاني : ٨ / ٢٩٠ - ٢٩٤ ، تاريخ مدينة دمشق : ٤٨ / ١٠٤ - ١٢٣ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٨ .

(٦) هذا البيت من شواهد أبي عبيدة في مجازه ؛ نسبه لجندل ، ولم يتبين من هو جندل ، وأبو عبيدة هو الذي جعل السَّكَر الطُّعْم ولم يقله غيره . ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٦٣ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٧ .

✖ **وأنكر الزَّجَّاج قول أبي عبيدة فقال :**

" قوله هذا لا يعرف ، وأهل التفسير على خلافه ولا حجَّة له في البيت الذي أنشده ؛ لأن معناه عند غيره أنه يصف أنها تتخم بعيوب الناس " [١] .

القول الثالث : السَّكَر : (الخل) بلغة الحبشة ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] .

✖ **واعتُرِض** : بأن هذا شَيْءٌ لا يَعْرِفُه أَهلُ اللُّغة [٣] .

❖ فعلى **القولين الأخيرين الآية محكمة** ، ولا مدخل للخمر فيه ا ، ولا نسخ من الآية في شيء [٤] .

أما على القول بأن السَّكر هو الخمر فقد اختلفوا في إحكام الآية ونسخها على قولين :

القول الأوَّل : الآية منسوخة بتحريم الخمر ، قاله قتادة [٥] ، وجماعة من السَّلف [٦] ، **وهو وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه **جمهور**[٨] المفسرين [٩] .

---

(١) نقله عنه غير واحد من المفسرين . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٨٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٢٩ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٥ ، فتح القدير : ٣ / ١٧٥ . وينظر (مادة : سكر) في : لسان العرب : ٤ / ٣٧٤ تاج العروس : ١٢ / ٦٠ . - ولم أقف عليه في كتب الزجاج في حدود ما اطلعت - .

(٢) نسبه إليه ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٦٤ .

(٣) قاله ابن دريد في الجمهرة (٢ / ٧١٩) ، وابن سيده في المحكم (٦ / ٧١٢) ، وابن منظور في لسان العرب (٤ / ٣٧٤) . جميعهم في (مادة : سكر) .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٧ ، زاد المسير : ٤ / ٤٦٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٩٥ .

(٥) قال قتادة : السكر هي خمور الأعاجم ونسخت في سورة المائدة . وهي قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . [سورة المائدة : ٩٠] . أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن الأنباري في المصاحف والنحاس . ينظر : الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ) : ٤٤ ، تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٧ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٣ .

(٦) نسب ابن الجوزي القول بالنسخ إلى سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والشعبي ، والنخعي . ينظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي : ١٨٧ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٧ .

(٨) نسب الشوكاني هذا القول إلى الجمهور . فتح القدير : ٣ / ١٧٥ .

(٩) منهم : مقاتل ، والنحاس ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن العربي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٢٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٨٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٨٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٥ ، أحكام القرآن لابن العربي : =

قالوا : إن هذه الآية مكية [١] باتفاق من العلماء ، وتحريم الخمر مدني [٢] .

✘ **واعتُرض على ذلك** :

بأن هذا خبر والأخبار لا تنسخ ، وإنما يكون النسخ في حكم مستقر مشروع [٣] .

✓ **وأجيب** : " بأن الخبر إذا كان عن الوجود الحقيقي فذلك الذي لا يدخله نسخ أو كان عن الفضل المعطى ثواباً فهو أيضاً لا يدخله نسخ ؛ فأما إن كان خبراً عن حكم الشرع فالأحكام تتبدل وتنسخ جاءت بخبر أو بأمر ، ولا يرجع ذلك إلى تكذيب في الخبر أو الشرع الذي كان مخبراً عنه أنه قد زال بغيره " [٤] .

وهذه المسألة مسألة أصولية ، وهي أن الأخبار عن الأحكام الشرعية هل يجوز نسخها أم لا ؟

اختلف في ذلك ، **والصَّحيح جوازه** لقولــه تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ

= ٣ / ١٣٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٢٨ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٣١ ، السراج المنير : ٢ / ٢٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٧٥ ، روح المعاني : ١٤ / ١٧٩ ، تفسير السعدي : ٤٤٤ ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـــ) : ٥١ ، أضواء البيان للشنقيطي أيضاً : ٢ / ٤٠٤ .

ومن **كتب الناسخ والمنسوخ** ينظر : الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس : ١٣٩ ، الناسخ والمنسوخ للمقري : ١٠٦ ، الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ٤٣ ، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي : ٣٨ ، قلائد المرجان للكرمي : ١٣٠ .

(١) روى مجاهد ، وعطية ، وابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن سورة النحل مكية كلها ، وهو مرويٌّ عن الحسن وعكرمة وعطاء . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية : مكية إلا : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ . [سورة النحل : ١٢٦] . فنزلت بعد قتل حمزة رضي الله عنه . وقال في رواية أخرى : هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ... ﴾ . إلى قوله : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٩٥ – ٩٧] . وقال الشعبي : مكية إلا : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ... ﴾ . إلى آخر الآيات . [سورة النحل : ١٢٦ – ١٢٨] . وقال قتادة : مكية إلا خمس آيات . وقال مقاتل : مكية إلا سبع آيات . وقال جابر بن زيد : أنزل من أول النحل أربعون آية بمكة ، وبقيتها بالمدينة . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٢٥ – ٤٢٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٠٧ . وأجمع جمهور المفسرين أنها مكية إلا الثلاث آيات من آخرها .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٨٢ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٣٣ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٣١ أضواء البيان : ٢ / ٤٠٤ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠٠ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٣٥ .

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ . [سورة النحل : ١٠١] . وما كان مثلها ، ولأن الخبر عن مشروعية حكم ما يتضمن طلب ذلك المشروع ، وذلك الطلب هو الحكم الشرعي الذي يستدل على نسخه [١] .

القول الثاني : إن الآية على وجه المنَّة بالمنفعة التي في الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، **فلا نسخ** ، قاله جماعة من المفسرين [٢] . [٣]

✘ **واعتُرض : بأن الخمر محرَّمة ؛ فكيف ذكرها الله في معرض الإنعام ؟**

✓ **وأُجيب بما يلي :**

١. دلت الآية على إباحة الخمر شرعاً قبل تحريمه ، لأن هذه الآية مكية ؛ وتحريم الخمر نزل بالمدينة ، فيكون الامتنان حينئذٍ بمباح [٤] .
٢. قال الفخر الرازي : " أنه لا حاجة إلى التزام هذا النسخ ، وذلك لأنه تعالى ذكر ما في هذه الأشياء من المنافع ، وخاطب المشركين بها ، والخمر من أشربتهم فهي منفعة في حقهم .

ثم إنه تعالى نبه في هذه الآية أيضاً على تحريمها ، وذلك لأنه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر ، فوجب أن لا يكون السكر رزقاً حسناً ، ولا شك أنه حسن بحسب الشهوة ،

---

(١) تفسير القرطبي : ١٠ / ١٣٠ . بتصرف يسير . وينظر : البحر المحيط للزَّركشي : ٣ / ١٧٦ ، إرشاد الفحول للشوكاني : ٣٢٠ .
(٢) منهم : الفخر الرازي ، والخازن ، وابن كثير ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٥٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٢٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٠٣ .
(٣) ذكر القولين الأوَّل والثاني من غير ترجيح جماعة من المفسرين ؛ ونسبه النيسابوري إلى الأكثرين . قالوا : إن كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها ، وإلاَّ فجامعة بين العتاب والمنة ؛ يعني بالعتاب على اتخاذ ما يحرم ، وبالمنة على اتخاذ ما يحل وهو الخل والزبيب والتمر . ومنهم : الزمخشري ، وابن الجوزي في نواسخه ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٦ ، نواسخ القرآن لابن الجوزي : ١٨٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٠٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٥ .
(٤) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١٠٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٥ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٥٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٢٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٠٣ .

فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً بحسب الشريعة ، وهذا إنما يكون كذلك إذا كانت محرمة " . اهـ [١] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **بأن ﴿ سَكَرًا ﴾ : يعني الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها ؛ فهي منسوخة بالتحريم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ما يلي :

أولاً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، **ومن المقرر عند العلماء : تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٢] .

ثانياً : القول بنسخ الآية بالتحريم جاء في أغلب كتب الناسخ والمنسوخ ، وكذلك نقل عن كثير من أئمة التفسير .

ولا مانع أن تكون الآية **جامعة بين العتاب والمنة** ؛ العتاب على اتخاذ ما يحرم ، وبالمنة على اتخاذ ما يحل وهو الخل والزبيب والتمر ، والامتنان يومئذٍ بمباح ، وذلك قبل تحريم الخمر ، وقد جوّزه جماعة من أئمة التفسير – كما رأينا – .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٠ / ٥٦ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ... ﴾ . [آية : ٧٠] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن أرذل العمر لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس ، فقال : ((﴿ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ أي : إلى أخسه وأحقره ، وهو الهرم . وقيل : حده خمسة وسبعون عاماً . وقيل : ثمانون . **والصحيح** : أنه لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بأرذل العمر** على قولين :

القول الأوَّل : أرذل العمر : **أخسه وأحقره ، وهو الهرم والخرف** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] **وقاله جمهور** [٣] المفسرين [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٨ .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه : أسفل العمر . والمعنى متقارب . ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٧ .

(٣) نسبه العز بن عبد السلام إلى الجمهور . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٩٧ .

(٤) منهم : مقاتل ، والطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٢٩ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٤١ معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٨٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٨١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٩ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦١٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٨٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٦ ، الكشاف : ٢ / ٥٧٨ ، زاد المسير : ٤ / ٤٦٧ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٦٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٩٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٠ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٨٢ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٨٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١٥ ، تفسير الجلالين : ٣٥٥ تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٦ ، السراج المنير : ٢ / ٢٧٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٧٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٣١ ، تفسير السعدي : ٤٤٤ ، الوسيط : ٨ / ١٩٣ .

واستدل له :

١. من اللغة : أن أزدل العمر في اللغة : أسوؤه وأردؤه [١] .

٢. النظير القرآني :

- قوله ﷻ : ﴿ ... وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ . [سورة الشعراء : ١١١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ... ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٢٧] .

وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال :

✓ **الأوَّل** : أن حَدَّهُ خمسة وسبعون عاماً ، قاله علي رضي الله عنه [٢] ، وذهب إليه ابن كثير [٣] .

قالوا :

- لأنه في هذا السن يحصل له ضعف القوى والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ، ولهذا قال ﷻ : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ أي بعد ما كان عالما أصبح لا يدري شيئاً من الفند والخرف .
- لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم ، يصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه [٤] .

✓ **الثاني** : أن حَدَّهُ ثمانون عاماً ، حكاه **قطرب** [٥] .

---

(١) **أرذل** : من رذل يرذل رذالة ، والأرذل والرذالة أردأ الشئ وأوضعه . وقال الرَّاغب : الرذل والرذال المرغوب عنه لرداءته . ينظر (مادة : رذل) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٤ / ٣٠٢ ، مفردات الرَّاغب : ١٩٤ ، لسان العرب : ١١ / ٢٨١ ، تاج العروس : ٢٩ / ٦٧ .

(٢) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٢ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٦ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٨ .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤١٠ ، الكشاف : ٢ / ٥٧٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١٠ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٨ .

(٥) نسبه السمعاني وابن الجوزي إليه . ينظر : تفسير السمعاني :٣ / ١٨٧ ، زاد المسير : ٤ / ٤٦٧ .
وقُطْرُب هو : محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقُطْرُب : نحوي ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة . من الموالي . كان يرى رأي المعتزلة النظامية . وهو أوَّل من وضع " المثلث " في اللغة . وقطرب لقب دعاه به أستاذه " سيبويه " فلزمه . ت سنة ٢٠٦ هـ . ينظر : الفهرست : ١ / ٧٨ ، تاريخ بغداد : ٣ / ٢٩٨ وفيات الأعيان : ٤ / ٣١٢ .

✓ **الثالث** : أن حَدَّهُ تسعون عاماً ، قاله قتادة [١] .

القول الثاني : أن أرذل العمر **لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له بما يلي :

١. أرذل العمر يختلف بحسب الناس ؛ وربَّ من يكون ابن خمسين سنة وهو في أرذل عمره ورب ابن مائة أو تسعين ليس في أرذل عمره .

٢. الهرم يختلف باختلاف الأبدان والبلدان ، والصحة والاعتلال على تفاوت الأمزجة المعتدلة .

✓ **ولعل من قيَّد بسن معين بنى على الأغلب** [٤] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثاني ، فالراجح أن أرذل العمر لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أرذل العمر هو أسوؤه وأردؤه ؛ كما ثبت في كتب اللغة ، ولكن بمشاهدة الواقع نجد أنه بإمكان الإنسان أن يصل لمرحلة الشيخوخة وهو يتمتع بصحة جيدة ؛ لا يعاني من خرف أو ذهاب عقل ؛ وقد أثبت العلم الحديث إمكانية ذلك . وطبقا لما ذكرته دراسة لـــ (مؤسسة مارك آرثر) للمسنين في (أمريكا) ، فإن كبار السن يتمتعون بالذهن الواعي والقدرة على التركيز إذا طبقوا ستَّ أمور جوهرية في حياتهم وهي :

---

(١) نسبه ابن الجوزي وأبو السعود إليه . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٦٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٦ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٨ .

(٣) منهم : ابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، وابن عاشور . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٧ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٣٣ ، روح المعاني : ١٤ / ١٨٧ ، أضواء البيان : ٢ / ٤١٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢١٢ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٧ ، روح المعاني : ١٤ / ١٨٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢١٢ .

١. دوام على الأداء الحركي :

إن التدريبات الجسمانية تزيد من قدرة الإنسان على أداء وظائفه، ومن قوته وتحمله ، ومرونته وتوازنه ، وتساعد على أن يظل المسن محتفظاً بوزن صحي ، وتقلل بشكل مؤثر من خطر الإصابة بالكثير من الأمراض المزمنة ، والأكثر من ذلك أن المشي يومياً أو السباحة تعمل على رفع كفائته ، ليس العناية البدنية فحسب ؛ ولكن اللياقة الذهنية والصحة النفسية أيضاً ، إحدى الدراسات أثبتت مؤخراً أن المشي لمدة (٤٥) خمس وأربعين دقيقة لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع تزيد بشكل مؤثر من القدرة على التركيز والرغبة في العمل عند كبار السن ، وتخفف من القلق والشعور بالإحباط ؛ وهي مشكلة لدى كبار السن ، وتوصل العلماء إلى أن التمرينات تساعد الناس على أن يعيشوا أفضل وأطول .

٢. الاهتمام بالأساسيات :

إن نمط الحياة المتزن لا يقلل من احتمالات التعرض للموت فقط بل وأيضا يبدو به الإنسان أكبر سناً من حقيقة عمره ، وذلك بالعمل على التقليل من تناول منتجات التبغ ، وتعاطي جرعات التطعيم والتي تشمل الأنفلونزا ، ولقاح أمراض الرئة ، والحرص على حماية الجلد من التعرض للشمس لفترات طويلة بارتداء الملابس واستخدام المستحضرات العاكسة للشمس .

٣. تناول الطعام المتنوع :

تناول الطعام المتنوع يعطي الجسم كميات كافية من الفيتامينات المعادن ، والمركبات الصحية الأخرى ؛ والتي تقلل من خطر الإصابة بالأمراض المزمنة ؛ مثل : السكر ، وتصلب الشرايين ، وذلك بتناول الأغذية الصحية ، مثل : المواد المقاومة للأكسدة ، والأحماض الدهنية الأساسية التي يمكن أن تلعب دوراً للتعامل مع الشيخوخة .

٤. الاحتفاظ بذهن نشط :

وذلك بالحرص على النشاط والعرف على العالم ، والاستمرار في تعلم أشياء جديدة ، والتعرف على شخصيات ممتعة ، والاستمتاع بخبرات في قراءة الأدب وكتب العلم ، والحقيقة القائلة بأن كبار يفقدون خلايا المخ قد تم نقضها ؛ فكبار السن الذين يسير نشاطهم الذهني منتظماً يتم لديهم بناء لخلايا المخ ، وهذا المخزون يمكن حسابه من نتائج دراسة طويلة الأمد نقلاً عن الاجتماع السنوي في الربيع الماضي للأكاديمية الأمريكية لدراسة الجهاز العصبي ، والتي تؤكد على أن الأشخاص الذين ينخرطون في أنشطة ذهنية وفسيولوجية ومنتصف حياتهم تقل نسبة أصابتهم بمرض " الزهايمر " ؛ وهو الخرف المبكر .

٥. التفاؤل المستمر:

الباحثون في مركز (نيو إنجلاند المئوي) وجدوا أن خاصية واحدة مشتركة بين الأشخاص فوق سن المائة ، وهي الحس بالمرح والموقف الإيجابي والمعنوي تجاه الحياة ، فالتفاؤل مرتبط بالحصول على صحة جيدة ، ويخفف من مستوى الضغوط ويطيل العمر ، وذلك بدوام النظر للجانب المشرق في الحياة [1] .

والعكس صحيح ، فلو أسرف الإنسان على نفسه ، وأهمل صحته وغذاءه ، وضيع عمره فيما لذَّ وطاب من غير مبالاة ، فإن صحته ستتدهور وسيعاني من أمراض مستعصية وهو في مقتبل العمر ؛ وناهيك عن هذا إن كان مسرفاً على نفسه بتعاطي المسكرات والمفترات ؛ والتي لها الأثر السلبي على صحته ، وبالتالي سيصل إلى أرذل العمر في الوقت الذي يفترض فيه أن يكون في سن الشباب والنضج والحيوية .

ثانياً : الطاعات لها أثرها الطيب في نشاط عقل الإنسان وحيويته . وقد جاء عن ابن عباس ﷺ قال : « من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً .

(١) موقع : إسلام أون لاين ، مقال : الشيخوخة إلى أين ؟ .

وذلك قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَـٰهُ أَسۡفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ [١] » . [٢]

ومعناه : أنه لا يذهب عقله ولا يخرف ، وقيل : إن الرد إلى أرذل العمر للكافرين بدلالة آية التين السالفة الذكر [٣] . فهذه أدلة على أن أرذل العمر لا ينحصر في عمر معين ؛ بل الذي يحدده عدة عوامل ؛ منها نمط الحياة واستقامة الإنسان .

وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يَدْعُو : « أَعُوذُ بِكَ من الْبُخْلِ ، وَالْكَسَلِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ » [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة التين : ٥ ، ٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه **وصحّحه** في كتاب التفسير ، تفسير سورة والتين (٣٩٥٢) : ٢ / ٥٧٦ .

(٣) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ١٨٧ .

(٤) أخرجه البخاري – بزيادة : فتنة الدجال واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ ﴾ (٤٤٣٠) : ٤ / ١٧٤١ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، بَاب التَّعَوُّذِ من الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَغَيْرِهِ (٢٧٠٦) : ٤ / ٢٠٧٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ... ﴾ . [آية : ٧١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى الآية احتجاج على الوحدانية ؛ كأنه يقول : أنتم لا تسوُّون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ؛ فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي ، فقال :

((﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ الآية في معناها قولان : أحدهما : أنها احتجاج على الوحدانية ؛ كأنه يقول : أنتم لا تسوُّون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق ولا تجعلونهم شركاء لكم ؛ فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي . والآخر : أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه ؛ كما جاء في الحديث : « أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون » . **والأوَّل أرجح**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾** [(٢)] على قولين :

✓ **القول الأوَّل** : تقرير أن **الرازق هو الله ﷻ** . وعلى هذا القول ففيه ثلاثة أوجه :

<u>**الوجه الأوَّل**</u> : المعنى : أنهم هم وعبيدهم سواء في أن الله تعالى رزق الجميع ، وأن أحداً لا

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٨ .

(٢) قال الشنقيطي : " وهذه الآية الكريمة نصٌّ صريحٌ في إبطال مذهب الاشتراكية القائل : بأنه لا يكون أحد أفضل من أحد من الرزق ، ولله في تفضيل بعضهم على بعض في الرزق حكمة . قال تعالى : ﴿ ... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ... ﴾ . [سورة الزخرف : ٣٢] . وقال : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ... ﴾ . [سورة الرعد : ٢٦] . وقال : ﴿ ... عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٣٦] . إلى غير ذلك من الآيات " اهـ . ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤١١ .

يقدر على رزق عبده إلا أن يرزقه الله تعالى إياه ، كما لا يقدر على رزق نفسه ، بمعنى : أن ما تُطْعِمونه وتُلْبسونه لمماليككم إنما هو رِزْقي أَجْرَيْتُه على أيديهم ، فهم فيه سواءٌ ، جوّزه العز بن عبد السَّلام [١] .

الوجه الثاني : أن الكفار عمدوا إلى رزق الله فجعلوا للأصنام منه نصيباً وله نصيباً . والمعنى : إنكم كلكم بشر ، ويكون لأحدكم المملوك فلا يرد عليه مما يملك شيئاً ، ولا يساويه فيه ، فكيف تعمدون إلى رزق الله فتجعلون منه نصيباً وللأوثان نصيباً ؟! .. قاله النحاس [٢] .

الوجه الثالث : أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه حتى يتساوى معه في الملبس والمطعم ، قاله الزمخشري [٣] .

واستدلوا : بقول النبي ﷺ لأبي ذر ﷺ : « ... إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كان أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ... » [٤] .

فما رؤي عبده بعد ذلك إلاَّ ورداؤه رداؤه ، وإزاره إزاره من غير تفاوت [٥] .

✓ **القول الثاني** : أن المراد من الآية : **الرد على من أثبت شريكاً لله ﷻ** ، وهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى ، وعلى هذا القول ففيه وجهان أيضاً :

الوجه الأوَّل : أنها احتجاج على الوحدانية ؛ كأنه يقول : أنتم لا تسوُّون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ؛ فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي قاله ابن عباس رضي الله عنه [٦] ، قتادة [٧] ، ومجاهد [١] ، وعطاء [٢] .

---

(١) ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٩٧ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٨٦ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٨ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب الْمَعَاصِي من أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ (٣٠) : ١ / ٢٠ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ ولا يُكَلِّفْهُ ما يَغْلِبُهُ (١٦٦١) : ٣ / ١٢٨٣ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٨ .

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٢ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٧ .

(٧) قال قتادة : هذا الذي فضل في المال والولد لا يشرك عبد في ماله وزوجه يقول فقد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك فجعلت لله شريكا في ملكه وخلقه . عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن جرير ، وابن =

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ (٣) ، ووافقه **جمهور** (٤) المفسرين (٥) .

وذلك مثل ما كانوا يقولون في تلبية الحجّ : (لبيك لا شريك لك إلاَّ شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك) (٦) .

واستدل له بما يلي :

١. النظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ... ﴾ . [سورة الروم : ٢٨] . (٧)

٢. القرينة القرآنية في تتمة الآية : ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٨) .

= أبي حاتم . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٨ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٣ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٨ .

(١) قال مجاهد : هذا مثل الآلهة الباطلة . ينظر تفسيره : ١ / ٣٤٩ ، وأخرجه ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٣ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ١٤٨) إلى ابن أبي حاتم .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٨ .

(٤) نسب الشنقيطي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤١١ .

(٥) منهم : مقاتل ، والصنعاني ، والطبري ، والسمر قندي ، والجصاص ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدمه الماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيِّد قطب ، والشنقيطي ، وابن عاشور ، وجوَّزه محمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٢٩ تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٥٨ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٢ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٨٢ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤١٠ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٩ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٠١ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦١٢ ، ٦١٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٨٧ تفسير البغوي : ٣ / ٧٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٧ ، زاد المسير : ٤ / ٤٦٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٢٩١ ، تفسير الجلالين : ٣٥٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٧ ، السراج المنير : ٢ / ٢٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ١٧٨ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٣٢ ، روح المعاني : ١٤ / ١٨٨ ، تفسير السعدي : ٤٤٤ ، الظلال : ٤ / ٢١٨٣ ، أضواء البيان : ٢ / ٤١٠ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢١٤ ، الوسيط : ٨ / ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٦) ينظر : سيرة ابن إسحاق : ٢ / ١٠٠ ، السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ٢٠٣ .

(٧) قال أبو حيان : وقال المفسرون : هذه الآية كقوله : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴾ . الآية . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٩٩ .

(٨) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٨٩ .

٣. (ما) في قوله : ﴿ ... فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ... ﴾ نافية . أي : ليسوا برادي رزقهم عليهم حتى يسوُّوهم مع أنفسهم [١] .

الوجه الثاني : قال ابن عباس رضي الله عنه : نزلت هذه الآية في أهل نجران حين قالوا المسيح ابن الله [٢] . فالمعنى : أنكم لا تشركون عبيدكم فيما ملكتم فتكونوا سواء ، فكيف جعلتم عبدي ولداً لي وشريكاً في الإلهية ؟ [٣] .

❖ **جوَّز القولين أو ذكرها من غير ترجيح جماعة من المفسرين** ، منهم : النسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود [٤] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الآية مثل ضربه الله ﷻ في الردِّ على من أثبت شريكاً ﷻ واحتجاج على الوحدانية ؛ كأنه يقول : أنتم لا تسوُّون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ؛ فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ما يلي :

أولاً : قال بهذا القول جماعة من السَّلف ؛ ومؤيد بالقرينة القرآنية ، والنظير القرآني ، وعلى هذا يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** .
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤١١ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٤٢) ، ونقل القول عن ابن عباس رضي الله عنه : الثعلبي ، والفخر الرازي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١٧ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٢٧ .

(٣) ذكر الفخر الرازي ، وابن عادل الوجهين الأخيرين من غير ترجيح بينهما . ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٦٤ تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١٧ .

(٤) ينظر : تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٣ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٩٨ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١٦ ، ١١٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٧ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ .

ثانياً: السِّياق القرآني : هذا المعنى هو الأقرب إلى سياق آيات السورة الكريمة ، لأن السورة الكريمة مكية [١] ، ومن أهدافها الأساسية دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله ﷻ ، ونبذ الإِشراك والمشركين ، وإقامة الأدلة المتنوعة على بطلان كل عبادة لغير الله تعالى [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) سبق الحديث عن مكية سورة النحل . ينظر : ص : ٣٥٠ من هذا البحث .
(٢) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ١٩٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾ . [آية : ٧٢] .

مسألة : في المراد بـــ : ﴿ وَحَفَدَةً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ : ﴿ وَحَفَدَةً ﴾ أولاد البنين ، فقال :

((﴿ وَحَفَدَةً ﴾ جمع حافد . قال ابن عباس : هم أولاد البنين . وقيل : الأصهار . وقيل : الخدم . وقيل : البنات ؛ إلا أن لفظ الذكور لا يدل عليهم . والحفدة في اللغة : الخدمة)) . اهـــ [(١)] .

الدراسة :

الحفدة جمع حافد ؛ كخادِم وخَدَمَ ، واشتقاقُهم مِنْ قولِهم : حَفَدَ يَحْفِد حَفْداً وحُفوداً وحَفَداناً ، وأصل الحفد في اللغة [(٢)] : المسرع في الخدمة ، المسارع إلى الطاعة ، ولذلك يقال في دعاء القنوت : « ... إليك نسعى ونَحْفِدُ ... » [(٣)] . أي : نسرع إلى طاعتك ، ثم اختلفت أقوال السَّلف وأهل العلم والمفسرين **في المراد بالحفدة هنا في الآية** على أقوال :

القول الأوَّل : الأختان [(٤)] ، قاله ابن مسعود رضي الله عنه [(٥)] ، وأبو الضحى ، وإبراهيم النخعي ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٨ .

(٢) ينظر (مادة : حفد) في : العين للفراهيدي : ٣ / ١٨٥ ، تهذيب اللغة للأزهري : ٤ / ٢٤٧ ، مقاييس اللغة لابن فارس : ٢ / ٨٤ ، مفردات الرَّاغب : ١ / ١٢٣ ، لسان العرب لابن منظور : ٣ / ١٥٣ ، تاج العروس للزبيدي : ٨ / ٣٢ .

(٣) جزء من قنوت عمر رضي الله عنه أخرجه أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـــ) في سننه الكبرى في جماع أبواب الصلاة ، باب دعاء القنوت (٢٩٦١) : ٢ / ٢١٠ وقال : هذا مرسل ، وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيحاً موصولاً .

(٤) **حفدة** : أختان بلهجة سعد العشيرة . ينظر : كتاب اللغات في القرآن الكريم لأبي أحمد ، عبد الله بن الحسين بن حسنون (ت ٣٨٦ هـــ) : ٤٨ .

(٥) عزاه السيوطي إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور ، والبخاري في تاريخه ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني والحاكم وصحَّحه ، والبيهقي في سننه . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٣ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٨ . وجاء في رواية أخرى عن ابن مسعود رضي الله عنه : الأحفاد الأصهار ، وهم أزواج البنات ، وأولاد الزوجة ، والمعنى =

وسعيد بن جبير [١] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٢] .

ومنه قول الشاعر :

فلو أنّ نفسي طاوعتني لأَصْبَحَتْ ... لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثيرُ

ولَـكنَّهَا نَفْـسٌ عليَّ أبيَّـةٌ ... عَيُوفٌ لأصْهَارِ اللِّئامِ قَذُورُ [٣]

القول الثاني : الأنصار والأعوان و الخدم ، وبه قال مجاهد في رواية الحسن [٤] ، وطاووس وعكرمة في رواية الضحاك [٥] ، وأبو عبيدة [٦] ، **وحسَّنه** النحاس [٧] ، **وصوَّبه** البقاعي [٨] .

و ﴿ **وَحَفَدَةً** ﴾ على هذا القول إما :

- منصوبٌ بـــ "جَعَلَ" مقدرةً ، لأنَّ "جَعَلَ" الأوَّلى مقيدةٌ بالأزواج ، والأعوانُ والخدم ليسوا من الأزواج [٩] .
- أو معطوفٌ على قوله : ﴿ **وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا** ﴾ أي : جعل لكم الأزواج والأوَّلاد خدماً [١٠] .

= متقارب . قال الأصمعي : الختن من كان من قبل المرأة مثل أبيها وأخيها وما أشبههما ، والأصهار منهما جميعا ، يقال : أصهر فلان إلى بني فلان وصاهر وقول عبد الله هم الأختان يحتمل المعنيين جميعاً . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٤ .

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي الضحى ، وإبراهيم ، وسعيد بن جبير . ينظر : تفسير الطبري :١٤ / ١٤٣ .
وأبو الضحى هو : مسلم بن صبيح الضراب المصري أبو محمد الحسن بن إسماعيل ، من صغار التابعين ت سنة ٩٤ هـــ . ينظر : الكاشف : ٢ / ٢٥٩ ، الوافي بالوفيات : ١٦ / ٢٠٨ ، الإصابة : ٣ / ٤٠٦ .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٩١ .

(٣) أورد هذين البيتين غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . و لم أقف على قائله .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٣٤٩ .

(٥) نسبه ابن الجوزي إليهم . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٤٦٩ .

(٦) ينظر مجازه : ١ / ٣٦٤ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٩٠ .

(٨) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٢٩١ .

(٩) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٣٤٧ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٤٩٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١١٩ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٠ .

(١٠) نقله ابن كثير . ينظر تفسيره : ٢ / ٥٧٩ .

✖ **وضُعِّف لما يلي :**

١. " لا قرينة على تقدير خلاف الظاهر ، وقد قيد الحفدة بأنهم من الأزواج ؛ فالأعوان الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية " [١] .

٢. إن السِّياق للامتنان ولا يمتن بذلك .

✓ **وأجيب** : بأن الامتنان باعتبار الخدمة . ولا يخفى أنه مصحِّح لا مرجِّح [٢] .

القول الثالث : البنات ، قاله **الخليل بن أحمد** [٣] ، وحكاه الزَّجَّاج [٤] .

قالوا : عبر عنهن بذلك إيذاناً بوجه المنَّة فإنهن في الغالب يخدمن في البيوت أتم خدمة [٥] .

القول الرابع : البنون أنفسهم ، جوَّزه الزمخشري ، والبيضاوي [٦] .

كأنه قيل : وجعل لكم منهنّ أولاداً هم بنون وهم حافدون ، أي جامعون بين الأمرين [٧] .

.

✓ **والصواب** : أن البنين هم غير الحفدة ، لأن الله ذكر الاثنين في موضع الامتنان ، ولما اشتهر بأن الحفدة هم أولاد الأوَّلاد [٨] .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٠ / ٦٦ .
(٢) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٩٠ .
(٣) ينظر : العين : ٣ / ١٨٥ .
والخليل هو : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن البصري ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض ، وإمام أهل البصرة في العربية ، ت سنة ١٧٠ هـ . ينظر : المعارف : ٥٤١ ، معجم الأدباء : ٣ / ٣٠٠ - ٣٠٣ ، السِّير : ٧ / ٤٢٩ - ٤٣١ .
(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٢١٢ .
(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٨ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٠ .
(٦) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١١ . وقيل : البنون صغار الأوَّلاد ، والحفدة كبارهم . وقال مقاتل : بعكسه . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٣٠ ، النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٠٣ .
(٧) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٧٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١١ .
(٨) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٢٧٩ .

القول الخامس : هم أولاد البنيـــن من الذكور والإناث ، وهو قول ابن عبـــاس رضي الله عنه [١] ، وذهب إليه الأزهري ، وابن العربي [٢] ، والقرطبي [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **كثير** [٥] من المفسرين [٦] ، وهو **المشهور** [٧] .

واستدل له بما يلي :

١. القرينة القرآنية :

في هذه الآية الكريمة قرينة دالة على أن الحفدة أولاد الأوَّلاد . لأن قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ دليل ظاهر على اشتراك البنين والحفدة في كونهم من أزواجهم ، وذلك دليل على أنهم كلهم من أولاد أزواجهم [٨] .

٢. إن دعوى أن الحفدة هم الأختان ، وأن الأختان أزواج بناتهم ، وبناتهم من أزواجهم ، وغير ذلك من الأقوال كله غير ظاهر ، وظاهر القرآن هو ما ذكر .

٣. ومعلوم : أن أولاد الرجل ، وأولاد أولاده : من خدمه المسرعين في خدمته عادة [٩] .

قال ابن العربي : " وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا ، ونقول : تقدير الآية على هذا : والله

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٧ . وأخرجه ابن جرير ، ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٤٩ . **وهو صحيح** . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني : ٧١٠ ، ٧١١ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : حفد) : ٤ / ٢٤٧ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٤٢ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٤ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٨ .

(٥) نسب الشوكاني هذا القول لكثير من المفسرين . ينظر : فتح القدير : ٣ / ١٧٨ .

(٦) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبيضاوي ، والسمين الحلبي ، وابن كثير ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٨٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤١٠ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦١٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١١ ، الدر المصون : ٤ / ٣٤٧ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٧٨ ، تفسير الجلالين : ٣٥٦ ، السراج المنير : ٢ / ٢٧٩ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٣٣ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٠ أضواء البيان : ٢ / ٤١٣ التحرير والتنوير : ١٤ / ٢١٨ ، الوسيط : ٨ / ١٩٦ .

(٧) ذكر الخطيب الشربيني شهرة هذا القول . ينظر : السراج المنير : ٢ / ٢٧٩ .

(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٤ ، أضواء البيان : ٢ / ٤١٣ .

(٩) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤١٣ .

جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، ومن أزواجكم بنين ، ومن البنين حفدة " . اهـ [١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **العموم في كل من كان من قبل المرأة** [٢] ؛ **فيدخل فيه أولاد الأوَّلاد ، والأختان ، والأصهار فحسب** ؛ لما يلي :

أولاً : المقام مقام امتنان من الله ﷻ على عباده ، ولما كانت الخدمة قد تكون من أولاد الأوَّلاد ، والأختان ، والأصهار ؛ فالنعمة حاصلة بهذا كله .

ثانياً : هذا لا يعتبر اختلافاً ؛ لأن إرجاع معنى اللفظ إلى أصل لغوي يوضح لك أن هذه جميعا من أفراد اللفظ وليست تخصيصا له ؛ ذلك لأن الحفْد في اللغة هو المسارعة ، وولد الولد باعتبار صغره وحداثة سنه ونحو ذلك يسرع في إرضاء جده ، والأختان و الأصهار الأصل أنهم يرضون ويسرعون في إرضاء آباء أولادهم من جهة البنات ، وهكذا .

ولفظ (حفدة) محتمل للكل بحسب المعنى المشترك الذي ذكرناه ؛ فمنهم من عبر عنها بأبناء البنين ، ومنهم من عبر عنها بالأصهار أو الأختان ، وكل هذا صحيح . وهذا من باب أن يكون اللفظ عاما فيُفسر بأحد أفراده ، وهذا لا يعتبر اختلاف .

قال **ابن عطية** :

" ويحتمل عندي أن قوله : ﴿ مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ إنما هو على العموم والاشتراك ، أي : من

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٤٢ .

(٢) قاله جماعة من المفسرين ، منهم : الطبري (ولكنه أدخل المماليك والخدم مما لا يحتمله ظاهر الآية) ، والزَّجَّاج والثعلبي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والخازن . ينظر : نفسير الطبري : ١٤ / ١٤٧ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢١٢ ، ٢١٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣١ ، المحرر الوجيز : = = ٣ / ٤٠٨ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٦٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ١٩٧ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠٥ . **وذكر الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين** منهم : الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والشوكاني . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٠٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٨٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٧ ، زاد المسير : ٤ / ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٣ ، البحر المحيط : ٥ / ٤٩٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٣٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٢٨ ، فتح القدير : ٣ / ١٧٨ .

أزواج البشر جعل الله لهم البنين ، ومنهم جعل الخدمة فمن لم تكن له قط زوجة فقد جعل الله له حفدة وحصل تحت النعمة ، وأولئك الحفدة هم من الأزواج وهكذا تترتب النعمة التي تشمل جميع العالم ، وتستقيم لفظة الحفدة على مجراها في اللغة ؛ إذ البشر بجملتهم لا يستغني أحد منهم عن حفدة " . اهـ [١] .

ثالثاً : لم يدلّ ظاهر التنزيل ولم يأت على لسان رسوله ﷺ ولم يظهر بحجة عقل على أنه عُنى بذلك نوعاً من الحفدة دون نوع منهم ، وهم من نعم الله علينا ؛ لذا لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام ؛ إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم [٢] .

✌ وإن كان **المشهور** أن الحفدة مراد بهم (أولاد الأوَّلاد) كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٨ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٧ .

قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ . [آية : ٧٦] .

مسألة : فيمن أريد بالمثل في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ عدم تعيين المراد بهما المثل ، فقال : ((الآية مثل لله تعالى وللأصنام كالذي قبله ، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين وإثبات الوحدانية لله تعالى . وقيل : إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر ؛ **والأظهر** عدم التعيين ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ الكلُّ : الثقيل ؛ يعني : أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل للأصنام ، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى)) . اهـ (١) .

الدراسة :

في هذه الآية الكريمة ضرب الله مثلاً لرجلين ، رجلٌ أبكمُ (٢) كلٌّ (٣) على مولاه وسيِّده ضعيف بليد ؛ لا يدري ولا يعود بخير .. ورجلٌ قويٌّ متكلمٌ آمرٌ بالعدل ، مستقيمٌ على طريق الخير .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٩ .

(٢) **الأبكم** : البَكَمُ – محرّكة – هو الخَرَسُ ما كان ، أو هو الخَرَس مَعَ عِيٍّ وَبَلَهٍ ، أو هو أَنْ يُولَدَ الإنسان ولا يَنْطِقَ ولا يَسْمَعَ ولا يُبْصِرَ ، قاله ثعلب . وقال الأَزْهريُّ : بَيْنَ الأَبكم والأخرس فَرْقٌ في كلام العرب ، فالأخرسُ الذي خُلِقَ ولا نُطْقَ له كالبَهِيمَة العَجْماء ، والأَبْكَم الّذي لِسانه نُطْقٌ وهو لا يَعْقِلُ الجَوابَ ولا يُحْسِنُ وَجْهَ الكَلامِ . وقال أبو زيد : الأَبكم هو العَيِيُّ المفحم ، وقال أيضاً : الأبكمُ : الأقطع اللسان ، وهو الذي لا يحسن الكلام . وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : الأبكم الذي لا يعقل . وقال الزَّجَّاج : الأبكم المطبق الذي لا يسمعُ ولا يُبْصِر ولا يعْقِل . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢١٣ ، تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ك ب م) : ١٠ / ١٦٣ ، المخصَّص لأبي الحسن ، علي بن إسماعيل بن سيده النحوي اللغوي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) ، باب الفصاحة : ١ / ٢١١ ، لسان العرب (مادة : بكم) : ١٢ / ٥٣ ، تاج العروس (مادة : بكم) : ٣١ / ٢٩٧ .

(٣) **الكَلّ** هو : الثّقيلُ الذي لا خير فيه ، والكلُّ العيال ، والجمع : كُلُول ، والكلُّ : من لا ولد لهُ ولا وَالِد ، والكلُّ أيضاً : اليَتيمُ . سمِّي بذلك ؛ لثقله على كافله . **وقال ابن الأعرابي : الكل : الصنم .** ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ك ل) : ٩ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، و (مادة : كلل) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٦٥٨ ، لسان العرب : ١١ / ٥٩٤ ، تاج العروس : ٣٠ / ٣٤٠ .

واختلف المفسرون **فيمن أريد بالمثل** على أقوال :

القول الأوَّل : الرجل الأبكم أبو جهل ، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر ﷺ [١] .

القول الثاني : الرجل الأبكم أبي بن خلف ، والذي يأمر بالعدل حمزة بن عبد المطلب ﷺ [٢] ، قاله الواحدي [٣] .

✖ **وتعقَّب أبو حيان** القولين فقال :

" وما روي من أن الأبكم أبو جهل والآمر بالعدل عمار ، أو الأبكم أبي ابن خلف والآمر عثمان بن مظعون **لا يصح إسناده** " . اهـ [٤] .

القول الثالث : أنها نزلت في **عثمان بن عفان** ﷺ هو الذي يأمر بالعدل ، وفي مولى له (هو : **أسيد بن أبي العيص** [٥]) كان يكره الإسلام ، وينهى عثمان ﷺ عن النفقة في سبيل الله ؛ وهو الأبكم [٦] ، وبه قال ابن عباس ﷺ [٧] ، وذهب إليه ابن جرير [٨] ، والنحاس [٩] .

✖ **وضعِّف** : لأن المقصود إبانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة ، وذلك غير مختص بشخص معين ، بل أيما حصل التفاوت في الصفات المذكورة حصل المقصود [١٠] .

---

(١) حكى هذا القول غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٩ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٥٩ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ .

(٢) وقيل : الذي يأمر بالعدل عثمان بن مظعون ﷺ . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١٠٦ .

(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦١٤ .

(٤) البحر المحيط : ٥ / ٥٠٣ .

(٥) ينظر : إتقان السيوطي : ٤ / ٣٨٩ .

(٦) ينظر : أسباب النزول للواحدي : ١٨٩ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٥١) ، وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، ولابن سعد ، وابن أبي شيبة ، والبخاري في تاريخه وابن مردويه ، والضياء في المختارة ، ونسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٤٧٣) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٥١ ، ١٥٢ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٥١ .

(٩) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٩٤ .

(١٠) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٧١ .

القول الرابع : **مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر** ، فالكافر هو الأبكم ، والذي يأمر بالعدل هو المؤمن ، قاله ابن عباس ﷺ [١] في رواية عنه ، و **حسَّنه** القرطبي [٢] ، وقاله الجلالين [٣] .

القول الخامس : الأبكم الذي لا يقدر على شيء **هو الوثن** ، والذي يأمر بالعدل **هو الله تعالى** ، وهو قول ابن عباس ﷺ [٤] أيضاً ، و مجاهد [٥] ، وقتادة [٦] ، والحسن [٧] ، ومقاتل ومقاتل [٨] ، والسدي [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٠] ، ووافقه **جمهور** [١١] المفسرين [١٢] [١٢] .

✖ **وُتعقِّب بأن** : **الأوَّلى** بأن يكون المقصود منه كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة ،

---

(١) نسبه إليه ابن عطية وابن الجوزي . ينظر : المحرر الوجيز :٣ / ٤١١ ، زاد المسير : ٤ / ٤٧٣ .
(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٤٩ .
(٣) ينظر : تفسير الجلالين : ٣٥٦ .
(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٢٢٧ .
(٥) نسبه ابن الجوزي إليه في زاد المسير (٤ / ٤٧٣) .
(٦) نسبه إليه الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٥٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٤٧٣) .
(٧) نسبه النحاس إليه في معانيه (٤ / ٩٤) .
(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٣١ .
(٩) نسبه السمر قندي إليه . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٨٣ .
(١٠) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٥٩ .
(١١) قال ابن القيم : هذا أصح الأقوال في الآية ، وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره ، ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال ثم حكاها بعده كما فعل البغوي ؛ فإنه جزم به وجعله تفسير الآية . ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ١٦ .
(١٢) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والنسفي والنيسابوري ، والخازن ، وابن القيم في غير واحد من كتبه ، والبقاعي ، والثعالبي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٨٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤١٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٩٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٧٨ ، الكشاف : ٢ / ٥٨٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤١١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٦٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٢٩٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٠٦ ، ولابن القيم في : [الأمثال في القرآن : ٢٢ – ٢٥ ، إعلام الموقعين : ١ / ١٦١ ، التفسير القيِّم : ١ / ١٦] ، نظم الدرر : ٤ / ٢٩٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٢٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٣٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٨١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٣٦ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ ، تفسير السعدي : ٤٤٥ ، الظلال : ٤ / ٢١٨٤ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٢٧ .

وكل حر موصوف بتلك الصفات الحميدة [١] ، لأن :

- وصفه تعالى إياهما بكونهما رجلين يمنع من حمل ذلك على الوثن .
- وكذلك وصف الآخر بأنه على صراط مستقيم يمنع من حمله على الله تعالى [٢] .

✓ **ويجاب** :

- هذا مثل ، فيمكن الحمل على الوثن لبيان معنى مراد في الآية .
- جاء هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٥٦] . فلا مانع من حمله على الله تعالى .

❖ وجوَّز محمَّد سيِّد طنطاوي القولين الثالث والرابع [٣] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الرجل الأبكم الذي لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه تمثيل لحال الصنم لأنه لا ينطق ، ولا يقدر على نفعٍ لمن خدمه ، ولا يدفع عنه ضراً ؛ بل هو محتاج إلى من يحمله إذا ظعن ويحوله من مكان إلى مكان كالأبكم الكل على مولاه ، فقال الله تعالى : هل يستوي هذا الصنم الكلُّ ومن يأمر بالعدل ، استفهام معناه التوبيخ كأنه قال : لا تسوُّوا بين الصنم الكلِّ وبين الخالق جل جلاله** [٤] ؛ **وهو ما رجّحه ابن جُزيّ وعامة المفسرين** ؛ لما يلي :

أولاً : السِّياق القرآني :

الآية الكريمة قد ساقت مثلاً واضحاً ، لبيان الفرق الشاسع بين ذات الله سبحانه وتعالى الخلاق العليم ، الرزاق الكريم .. وبين تلك المعبودات الباطلة التى أشركها الضالون فى العبادة مع الله عز وجل .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٧٠ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٩٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٧٠ ، البحر المحيط : ٥ / ٥٠٣ .

(٣) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ٢٠٢ .

(٤) قال ابن الأعرابي : **الكلُّ** هو الصنم ، وهذا شرح الأزهري لمراد ابن الأعرابي بهذا القول . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ك ل) : ٩ / ٣٣٠ . وينظر (مادة : كلل) في : لسان العرب : ١١ / ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، تاج العروس : ٣٠ / ٣٤٠ .

فمقصود سياق الآية بيان دلائل التوحيد وبطلان عقائد المشركين [١] .

ثانياً : على **فرض صحة الرواية** بأن الآية نزلت في عثمان بن عفان ﷺ ، وأنه هو الذي يأمر بالعدل ، وفي مولى له كان يكره الإسلام ، وينهى عثمان ﷺ عن النفقة في سبيل الله ؛ وهو الأبكم ؛ فإن خصوص السبب لا ينافي العموم [٢] .

ثالثاً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ١٣٠ ، روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ ، الوسيط : ٨ / ٢٠٢ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ١٩٨ .

(٣) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ... ﴾ . [آية : ١١٠ ، ١١١] .

مسألة : في متعلق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾ يتعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، فقال : ((يحتمل أن يتعلق بـ (غفور رحيم) ، أو بمحذوف تقديره : اذكر ؛ **وهذا أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **متعلق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي** [٢] **﴾** على قولين :

القول الأوَّل : أن يتعلق بـ (غفور رحيم) ، فهو منصوب على الظرفية ، قاله النحاس وابن عطية ، والآلوسي [٣] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٣ .

(٢) عن كعب الأحبار قال : قال لي عمر بن الخطاب ﷺ يوما وأنا عنده : « يا كعب خوفنا » قال : فقلت : « يا أمير المؤمنين ، أو ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله ﷺ ؟ » قال : « بلى ، ولكن يا كعب خوفنا » قال : قلت : « يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملك مما ترى » قال : فأطرق عمر وأنكس ونكس مليا ، قال : ثم أفاق قال : « زدنا يا كعب زدنا » قال : قلت : « يا أمير المؤمنين ، لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها » قال : فأطرق عمر ونكس مليا قال : ثم أفاق ، فقال : « زدنا يا كعب » قال : قلت : « يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة ما بقي ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلا خر جاثيا على ركبتيه » قال : « ويقول : رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي » قال : فأطرق عمر مليا قال : قلت : « يا أمير المؤمنين ، أوليس تجدون هذا في كتاب الله ؟ » قال : « كيف ؟ » قال : قلت : « قول الله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ... ﴾ . الآية . عزاه السيوطي إلى ابن المبارك ، وابن أبي شيبة ، وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وأخرجه عبد الرزاق . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٣ . وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية .

(٣) ينظر : إعراب القرآن لأبي جعفر ، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) : ٢ / ٤١٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٦ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٤٠ .

يعني : أنه تعالى يعطي الرحمة والغفران في ذلك اليوم الذي يعظم احتياج الإنسان فيه إلى الرحمة والغفران .

واستدل له بما يلي :

١. بارتباط النظم عليه .

٢. ومقابلته لقوله تعالى : ﴿ ... فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ . [سورة النحل : ١٠٩] . ولا يضر تقييد الرحمة بذلك اليوم ؛ لأن الرحمة في غيره تثبيت بالطريق الأوَّلى ، والمراد بهذا اليوم يوم القيامة ﴿ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾ تدافع وتسعى في خلاصها بالاعتذار ، ولا يهمها شأن غيرها من ولد ووالد وقريب [١] .

القول الثاني : أن يتعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قالوا : لأن معنى القرآن العظة والإنذار والتذكير ، أي : اذكر يوم تأتي كل نفس ؛ أي : كل إنسان يجادل عن نفسه .

وتصديق هذا قوله تعالى :

﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ . [سورة عبس : ٣٤ - ٣٧] . [٤]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فيكون قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ﴾ يتعلق بـ (غفور رحيم) ، أو بمحذوف تقديره : اذكر ، إضافة لما تقدم** ؛ ما يلي :

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٢٤٠ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٣ .

(٣) منهم : الواحدي ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦٢١ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٤٤ ، السراج المنير : ٢ / ٢٩٥ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٢١ . وينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠١ .

أولاً : ذكر **جماعة من أئمة اللغة والتفسير** [١] القولين من غير ترجيح ، واحتمل السمين الحلبي القولين [٢] .

ثانياً : لكل قول أدلة استدل بها مما يشهد بصحة القولين .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) منهم : الزَّجَّاج ، ونقله عنه : [ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنيسابوري] ، والنحاس ، والزمخشري والعكبري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني والقاسمي ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٢١ ، إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤١٠ ، الكشاف : ٢ / ٥٩٥ ، زاد المسير : ٤ / ٤٩٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠١ التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٠٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٩٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٢٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١١ ، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٧١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٨ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٦٧ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٠١ ، الوسيط : ٨ / 244 .

(٢) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٣٦٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ . [آية : ١١٢] .

مسألة : في المراد بالقرية المذكورة في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن القرية غير معينة ، فقال : ((قيل : إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ يعني : بنبوة محمد ﷺ ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ . وقيل : إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة ، **وهذا أظهر** ؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالقرية المذكورة في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : إن القرية المذكورة **مكة** كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ يعني : بنبوة محمد ﷺ ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٢] ، ومجاهد [٣] ، وقتادة [٤] ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وحكاه **الإمام مالك** عن **الزُّهري** ، نقله عنهم ابن كثير [٥] وغيره .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٨٦) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٣١ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٤ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٥٤ . وأخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٤ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٦٠ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ .

(٥) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٠ .

والزُّهري هو : محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري ، من بنى زهرة بن كلاب ، من قريش ، أبو بكر : أوَّل من دون الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء . تابعي ، من أهل المدينة ، كان يحفظ ألفين ومئتى حديث ، نصفها مسند . وعن أبى الزناد قال : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع . نزل الشام واستقر بها ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسُّنة الماضية منه . ت سنة ١٢٤ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ٢٢٠ ، الجرح والتعديل : ٨ / ٧١ - ٧٣ ، الكاشف : ٢ / ٢١٩ .

وذهب إليه الفَرَّاء [١] ، **ورجَّحه جمهور** [٢] المفسرين [٣] .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١. النظائر القرآنية :

هذه الصفات المذكورة التي اتصفت بها هذه القرية تتفق مع صفات أهل مكة المذكورة في القرآن :

✓ فقوله عن هذه القرية ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ قال نظيره عن أهل مكة :

- كقوله تعالى : ﴿ ... أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ... ﴾ . [سورة القصص : ٥٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ... ﴾ . [سورة العنكبوت : ٦٧] .

✓ وقوله : ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ قال نظيره عن أهل مكة أيضاً :

- كقوله تعالى : ﴿ ... يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ... ﴾ . [سورة القصص : ٥٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ . [سورة قريش : ١ - ٤] . فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن ، ورحلة الصيف كانت إلى الشام ، وكانت تأتيهم من كلتا الرحلتين أموال وأرزاق ، ولذا أتبع الرحلتين بامتنانه عليهم : بأن أطعمهم من جوعٍ .

---

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٩٤ .

(٢) نسب السمعاني ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٠٦ ، زاد المسير : ٤ / ٤٩٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠٢ .

(٣) منهم : مقاتل ، والصنعاني ، والطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي والسمعاني ، والبغوي ، **وصحَّحه** ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، وابن كثير ، والجلالين ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، وابن عاشور . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٤٠ ، تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٦٠ ، تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٥ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٠٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٢٩٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤٢١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٤٨ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٢٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٠٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٨٧ ، زاد المسير : ٤ / ٤٩٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٩٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ١١٩ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٠ ، تفسير الجلالين : ٣٦٢ ، تفسير السعدي : ٤٥١ ، الظلال : ٤ / ٢١٩٩ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٥٩ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٠٤ .

✓ وقوله : ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ ذكر نظيره عن أهل مكة في آيات كثيرة : كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ٥٧] .

✓ وقوله : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ وقع نظيره قطعاً لأهل مكة ؛ فقد فسر **ابن مسعود** رضي الله عنه آية (الدخان) بما يدل على ذلك ، وأخرج **الشيخان عنه** رضي الله عنه قال : « إنما كان هذا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا على النبي ﷺ دَعَا عليهم بسنينَ كَسنِي يُوسُفَ ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حتى أَكَلُوا الْعِظَامَ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إلى السَّمَاءِ فَيَرَى ما بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ [(١)] من الْجَهْدِ ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [(٢)] ، قال فَأُتِيَ رسول اللَّهِ ﷺ ، فَقِيلَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرَ ؛ فَإِنَّهَا قد هَلَكَتْ . قال : لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ ، فَاسْتَسْقَى فَسُقُوا ، فَنَزَلَتْ : ﴿ ... إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [(٣)] ، فلما أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إلى حَالِهِمْ حين أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ فَأَنْزَلَ الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [(٤)] ، قال : يَعْنِي يوم بَدْرٍ » [(٥)] .

وفي تفسير ابن مسعود رضي الله عنه لهذه الآية الكريمة [(٦)] ما يدل دلالة واضحة أن ما أذيقت هذه القرية المذكورة في (سورة النحل) من لباس الجوع أذيقه أهل مكة ، حتى أكلوا العظام ، وصار الرجل منهم يتخيل له مثل الدخان من شدة الجوع .

✓ وأما الخوف المذكور في آية النحل فقد ذكر جل وعلا مثله عن أهل مكة أيضاً على

---

(١) ثبت في صحيح مسلم أن الدخان من أشراط الساعة . ولا مانع من حمل الآية الكريمة على الدخانين : الدخان الذي مضى ، والدخان المستقبل جمعاً بين الأدلة ، والتفسيرات المتعددة في الآية إن كان يمكن حمل الآية على جميعها فهو أولى . ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤٥٧ .

(٢) سورة الدخان : ١٠ .

(٣) سورة الدخان : ١٥ .

(٤) سورة الدخان : ١٦ .

(٥) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٤٤٥) : ٤ / ١٨٢٣ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، بَاب الدخان (٢٧٩٨) : ٤ / ٢١٥٦ .

(٦) وهذا التفسير من ابن مسعود رضي الله عنه له حكم الرفع ؛ لما تقرر في علم الحديث : من أن تفسير الصحابي المتعلق بسبب النزول له حكم الرفع . ينظر : النكت على كتاب ابن الصلاح لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : ٢ / ٥٣٠ .

بعض تفسيرات الآية الكريمة التي هي :

قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ... ﴾ . [سورة الرعد : ٣١] . فقد جاء عن جماعة من السلف تفسير القارعة التي تصيبهم بسرية من سرايا رسول الله ﷺ (١) .

فهذا التفسير المذكور في آية (الرعد) هذه ، والتفسير المذكور قبله في آية (الدخان) يدل على أن أهل مكة أبدلوا بعد سعة الرزق بالجوع ، وبعد الأمن والطمأنينة بالخوف . كما قال في القرية المذكورة : ﴿ ... كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ . [سورة النحل : ١١٢] .

- ✓ وقوله في القرية المذكورة : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ... ﴾ . [سورة النحل : ١١٣] . لا يخفى أنه قال مثل ذلك عن قريش في آيات كثيرة :
- ■ كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴾ . [سورة التوبة : ١٢٨] .
- ■ وقوله : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ . [سورة التوبة : ١٢٨] .
- ✓ والآيات المصرحة بكفرهم وعنادهم كثيرة جداً :
- ■ كقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ . [سورة ص : ٥] .
- ■ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ... ﴾ . [سورة الفرقان : ٤١ ٤٢] . والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً .

فمجموع ما ذكر يؤيد أن المراد بهذه القرية المضروبة مثلاً في آية (النحل) هذه : هي

---

(١) **القارعة في اللغة** : نازلة شديدة تنزل بأمر عظيم ، وأصل القرع الضرب . ينظر (مادة : قرع) في : لسان العرب : ٨ / ٢٦٥ ، تاج العروس : ٢١ / ٥٤٤ . وجاء عن ابن عباس وأبي سعيد ﷺ ، ومجاهد وعكرمة : القارعة السرايا . ينظر : تفسير الطبري : ١٣ / ١٥٦ ، الدر المنثور : ٤ / ٦٥٤ ، ٦٥٥ .

مكة [١] .

٢. هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل [٢] وبعض المفسرين [٣] ، لأن الله ﷻ وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة ، فضربها الله مثلاً لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم ، فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ، ويشهد لصحَّة هذا القول أ ن الخوف المذكور في هذه الآية في قوله : ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ هو البعوث والسرايا التي كان النبي ﷺ يبعثها في قول جميع المفسرين ؛ لأَن النبي ﷺ لم يؤمر بالقتال ، وهو بمكة وإنما أُمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوّفهم بذلك ، وهو بالمدينة ، والله أعلم بمراده [٤] .

لكن : سورة النحل مكية اتفاقاً عند جمهور المفسرين إلا الآيات الثلاثة الأخيرة فمدنية [٥] ، فهذه الآية مكية ، وعلى هذا لم يضرب فيها المثل بمكة لأهل المدينة .

القول الثاني : إنما **قصد قرية** [٦] **غير معينة** أصابها ذلك فضرب الله بها مثلاً لمكة [٧] ، على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] ،

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٠ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٥٥ - ٤٥٩ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣٠٤ . ٣٠٥ .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢١٣ .

(٣) نقل الخازن هذا القول و**صحَّحه** . ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١١٩ .

(٤) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١١٩ ، ١٢٠ .

(٥) سبق الحديث عن مكية سورة النحل . ينظر : ص : ٣٥٠ .

(٦) قال الزمخشري : " فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة ، وأن تكون في قرى الأوَّلين قرية كانت هذه حالها ، فضربها الله مثلا لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها " . اهـ . وقاله الآلوسي ، والقاسمي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي و لم يجوز أبو حيان أنْ يراد قرية مقدرة على هذه الصفة ، بل لا بد من وجودها لقوله : ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون . و لم يمنع الآلوسي ذلك . ينظر : الكشاف : ٢ / ٥٩٦ ، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٤ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٤٢ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٦٨ ، الوسيط : ٨ / ٢٤٦ . وقال البقاعي : قرية من قرى الماضين التي تعرفونها كقرية هود أو صالح أو لوط أو شعيب عليهم السلام كان حالها كحالهم ، ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٣١٦ . وجوَّز العز بن عبد السلام أن تكون القرية هي مكة ، أو المدينة ، أو كل مدينة كانت على هذه الصفة من سائر القرى . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٠٦ .

(٧) ذهب بعض المفسرين أن الله جعل هذه القرية مثلاً لأهل مكة خاصة ؛ أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا ، فبدَّل الله تعالى بنعمتهم نقمة . ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٢٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٤٥ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٣ .

ووافقه جماعة من المفسرين [١] .

القول الثالث : إن القرية المذكورة هي **المدينة** ، حكاه الطبري [٢] .

واستدل له : بما روي عن حفصة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها كانت تسأل في وقت حصر عثمان بن عفان ﷺ : ما صنع الناس – وهي صادرة من الحج من مكة – ؟ فقيل لها : قتل . فقالت : والذي نفسي بيده إنها القرية – تعني المدينة – التي قال الله لها : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ... ﴾ [٣] . الآية . [٤]

✖ **وتُعقِّب هذا القول** : بأن الذي يفهم من قول حفصة – رضي الله عنها – أن المراد بالقرية قرية غير معينة ، وأن قولها على سبيل التمثيل لا على وجه التفسير ، وقد أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور الملل ، وحل بها ما حل بالتي جعلت مثلاً [٥] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الثاني ، وأن الراجح أن القرية المذكورة في الآية قرية غير معينة أصابها ذلك ؛ فضرب الله بها مثلاً لمكة ، على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : " لأن تنكير ﴿ قَرْيَةً ﴾ يفيد ذلك " [٦] .

---

(١) منهم : ابن عطية ، والفخر الرازي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والثعالبي ، والشوكاني . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٦ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٤٥ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٩ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ .

(٣) سورة النحل : ١١٢ .

(٤) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم أيضاً . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٨٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٧٤ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٦ ، زاد المسير : ٤ / ٥٠٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٤٥ .

(٦) فتح القدير : ٣ / ١٩٩ .

ثانياً: الأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلاً لمكة فالسورة مكية ، ومَثَلُ مكة يكون غير مكة [١] .

ثالثاً: يكون الوعيد أبلغ والمثل أكمل وغير مكة مثلها ، ولأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، وعلى فرض إرادتها ففى المثل إنذار لغيرها من مثل عاقبتها [٢] .

وعلى كل حال ، فيجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل ، وألا يقابل نعم الله بالكفر والطغيان ؛ لئلا يحل به ما حل بهذه القرية المذكورة ، ولكن الأمثال لا يعقلها عن الله إلاَّ من أعطاه الله علماً .

لقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٤٣] . [٣]

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١٢ .
(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٣ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٩ .
(٣) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٤٥٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ . [آية : ١٢٢] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، فقال : ((﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ يعني لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، وقيل : يعني المال والأوَّلاد)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾** هنا على أقوال :

القول الأوَّل : أنه الذكر والثناء الحسن في الناس كلهم ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٢] ، والواحدي ، والجلالين المحلى والسيوطي [٣] . والثناء الحسن هو لسان الصدق [٤] ، وهو قول مجاهد [٥] ، وحكاه النحاس [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٤ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٤ / ٥٠٤ .

(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦٢٣ ، تفسير الجلالين : ٣٦٣ .

(٤) قال بذلك جماعة من أهل اللغة ، منهم : الفَرَّاء ، وأبو عبيدة ، والأزهري ، وابن منظور . ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٤٢ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٨٧ ، (مادة : حسن) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٤ / ١٨٤ ، لسان العرب : ١٣ / ١١٦ . وقال مالك أيضاً : لسان الصدق هو الثناء الحسن . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٥٨ . وينظر : آداب النفوس لأبي عبد الله ، الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٠ هـ) : ٩٧ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١٤ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣١٩ ، تاج العروس (مادة : لسن) : ٣٦ / ١١٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١٥٨ .

(٥) ينظر تفسيره : ١ / ٣٥٤ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٧١ .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١١١ .

القول الثاني : النبوة [١] ، قاله الحسن .

القول الثالث : ليس من أهل دين إلا يرضاه ويتولاه ، قاله قتادة [٢] ، وحكاه ابن أبي زمنين [٣] عنه .

القول الرابع : أنها **الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ** ، قاله **مقاتل بن حيان** [٤] .

.

القول الخامس : الأوَّلاد الأبرار [٥] **على الكبر** ، حكاه الثعلبي [٦] .

القول السادس : المال يصرفه في وجوه الخير والبر .

القول السابع : العمر الطويل في السعة والطاعة [٧] .

ورجَّح ابن جُزيّ [٨] **أنه :**

لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، ووافقه **جمهور** [٩] المفسرين [١٠] .

قال **قتادة** [١] : حبَّبه للناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ، وأمّا المسلمون واليهود

---

(١) قال البغوي : الرسالة والخلة . ينظر تفسيره : ٣ / ٨٩ . وكذا قال الخازن وابن عادل ، ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ١٢٢ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٨٤ . وقال الثعلبي : الرسالة والحكمة والثناء الحسن . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٥٠ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٩٦) ، وابن جرير في تفسيره (١٤ / ١٩٣) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٧١ .

(٣) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٢ / ٤٢٢ .

(٤) **مقاتل بن حيان** هو : مقاتل بن حيان النبطي البلخي ، أبو بسطام ، كان من العلماء العاملين ، ذا نسك ودين ، ت سنة ١٥٠هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٧ / ٢٠٨ ، السِّير : ٦ /٣٤٠ ، الكاشف : ٢ /٢٩٠ .

(٥) جاء في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ولدا صالحاً . ينظر : تنوير المقباس : ٢٣٢ .

(٦) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٥٠ .

(٧) ينظر الأقوال جميعها أو بعضها في : زاد المسير لابن الجوزي : ٤ / ٥٠٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٤ / ٢٥٠ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٤ .

(٩) نسب ابن عطية هذا القول للجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣١ .

(١٠) منهم : الطبري ، والزمخشري ، وابن عطية ، والبقاعي ، وأبو السعود . ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٩٢ ، الكشاف : ٢ / ٦٠٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣١ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٢١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٤٩ .

واليهود والنصارى فظاهر ، وأمّا كفار قريش وسائر العرب فلا فخر لهم إلا به ، وتحقيق القول أنّ الله تعالى أجاب دعاءه في قوله : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٤] .

ورجَّح بعض العلماء أن حسنة الدنيا التي آتاها الله لإبراهيم عليه السلام هي :
الذرية الطيبة ، والثناء الحسن .

قال **الشنقيطي** :

" قال بعض العلماء : الحسنة التي آتاه الله في الدنيا : **الذرية الطيبة ، والثناء الحسن** . ويستأنس لهذا بأن الله بين أنه أعطاه بسبب إخلاصه لله ، واعتزاله أهل الشرك : الذرية الطيبة . وأشار أيضاً لأنه جعل له ثناءً حسناً باقياً في الدنيا .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ٤٩ ، ٥٠] .

وقال : ﴿ ... وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ... ﴾ . [سورة العنكبوت : ٢٧] .

وقال : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٤] . " . اهـ [٢] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الله قد جمع لإبراهيم عليه السلام خير الدنيا من كل ما يحتاج المؤمن إليه ليحيا حياة طيبة ، كهدايته إلى الدين الحق ، ومنحه نعمة النبوة ، وإعطائه الذرية الصالحة ، والسيرة الحسنة ، والمال الوفير ؛ وتمتيعه بالنعم ليتقوى على القيام بحقوق العبودية ؛ فلا مانع أن يكون ما آتاه الله شاملاً لذلك كله ولما عداه من خصال الخير** [٣] ،

---

(١) ذكره عنه الخطيب الشربيني في السراج المنير (٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١) .
(٢) أضواء البيان : ٢ / ٤٦٤ .
(٣) قال بالعموم جماعة من أهل التفسير منهم : القرطبي ، وابن كثير ، والشوكاني ، والقاسمي ، والسعدي ، والطاهر ابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٩٨ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٩٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٠٢ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٧٥ ، تفسير السعدي : ٤٥٢ ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٣١٧ ،

إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أشار القرآن الكريم إلى جانب من هذه النعم ، كما جاء في الآيات القرآنية السالفة الذكر ؛ و لم تحصر الآيات حسنة الدنيا في هذه النعم فحسب .

قال **ابن القيم** :

" فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أتى خَلِيلَهُ أَجْرَهُ في الدُّنْيَا من النِّعَمِ التي أَنْعَمَ بها عليه في نَفْسِهِ ، وَقَلْبِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَمَالِهِ ، وَحَيَاتِهِ الطَّيِّبَةِ ، وَلَكِنْ ليس ذلك أَجْرُ تَوْفِيَةٍ " . اهـ [١] .

" ونتيجة جهاده في الله حق جهاده ، وقنوته وإخلاصه وشكره لربّه ، زاده الله من كل ضروب الخير والفضل والنعم ، كما قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾ . أي : وهبه حسنات كثيرة عامة شاملة لا تختص بنوع معين حسنات بكل معانيها .

فمن هذه الحسنات الموهوبة : الولد الصالح ، والثناء الحسن فى الدنيا حتى إن أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه ، وأما لسان الصدق والنبوة فلا يوازيهما حسنة ، كما قال تعالى حكاية عنه : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٣ ، ٨٤] .

ومن هذه الحسنات الموهوبة : شكر الخليل نعم ربّه ابتداءً وختاماً ، ظاهراً وباطناً ، سراً وعلناً ، خالصاً مخلصاً ، موصولاً عدلاً خضوعاً واستكانة ، تعبداً ورقاً لرب العالمين مولي النعم ، غير مشرك في شكره شريكاً من الآلهة والأنداد كما يفعل المشركون ، سائلا ربّه في أن يوفقه لذكره وشكره وحسن عبادته حتى يكون أهلا لجنته ودار كرامته التي لا لغو فيها ولا تأثيم قائلاً :﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٥] . " [٢] .

ثانياً : لفظ : (الحسنة) احتمل عدة معانٍ ، و لم يمتنع إرادة الجميع ؛ فيحمل عليها جميعاً .

الوسيط : ٨ / ٢٥٨ . وينظر : مجلة جامعة أم القرى ، العدد ٢٤ ، (منهج إبراهيم في الدعوة كما عرضه = = القرآن الكريم) للدكتور منظور بن محمد بن محمد رمضان (أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بمكة) : ١٨٥ ، ١٨٦ .

(١) إعلام الموقعين لابن القيم : ٢ / ١٨٣ .

(٢) ينظر : مجلة جامعة أم القرى ، منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة كما عرضه القرآن الكريم للدكتور منظور بن محمد بن محمد رمضان ؛ أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بمكة : ١٨٥ ، ١٨٦ .

ثالثاً : كل ما ذكره السَّلف والتابعين والمفسرون لا يخرج عن هذا المعنى العام ، واختلافهم هنا من باب اختلاف التنوع ؛ لأن **الحسنة** تصدق عليها جميعاً .

رابعاً : **ذكر أغلب الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين** ؛ منهم : الماوردي ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والآلوسي [١] .

خامساً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [٢] .
- **غالب ما نقل عن السَّلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢١٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٠٩ ، زاد المسير : ٤ / ٥٠٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٢٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣١٥ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٥٠ .

(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٣) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

سـورة الإسـراء

قوله تعالى : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ... ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : هل الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل متعدي أو غير متعدٍّ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل غير متعدٍّ ، فقال : ((وأسرى وسرى لغتان وهو فعل غير متعدٍّ ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعدياً ، أي : أسرى الملائكة بعبده ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ هل هو فعل متعدي أو غير متعدٍّ** على قولين :

القول الأوَّل : أن الفعل **﴿ أَسْرَى ﴾ فعل غير متعدٍّ** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

قال **الجمل** : " يقال : أسرى وسرى ، بمعنى : سار فى الليل ، وهما لازمان ، لكن مصدر الأوَّل (الإسراء) ومصدر الثانى (السُرى) – بضم السين كالهدى – ؛ فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول ، وإنما جاءت التعدية هنا من الباء . ومعنى أسرى به : صيَّره سارياً فى الليل " . اهـ [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٦ .

(٢) حكى الحميدي والبقاعي القول بأن ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل متعدي وقاصر (أي : غير متعدٍّ) . ينظر : تفسير غريب ما في الصحيحين : ٢٠٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٢٨ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٦ .

(٤) نسب ابن عادل هذا القول للجمهور . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٤ .

(٥) منهم : أبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والقاسمي ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول الجمل – التالي ذكره – . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٥٠ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٤ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ١٨٣ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١ ، الوسيط : ٨ / ٢٨١ .

(٦) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية على تفسير الجلالين تعرف بحاشية الجمل) (ت ١٢٠٤ هـ) : ٢ / ٦٠٨ . نقلاً عن الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي (٨ / ٢٨١) .

قال أهل اللغة : سرى وأسرى لغتان بمعنى واحد . قال الله ﷻ : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ١] . وقال في موضع آخر : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [1] . [سورة الفجر : ٤] . فنزل القرآنُ باللُّغتين .

فمن قال : أسْرَى ، قال : يُسري إسراء ، ومن قال : سرى ، قال : يَسري سرى [2] .

كما قاله **رؤبة** :

ولَيْلَةٍ ذَاتِ ندى سَرَيْتُ ولَمْ يَلِتْنِي عَنْ سرُاها لَيْتُ [3]

وقاله النابغة الذبياني :

سرتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ تزجي الشَّمالُ عليهِ جامِدَ البَرَدِ [4]

✓ واعترض **السهيلي** على قول أهل اللغة هذا قائلاً :

" اتفقت الرواة على تسميته إسراء ، و لم يسمه أحد منهم سُرى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سرى ، وأسرى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا في العبارة .. . إلى أن قال : لا يجوز أن يقال : سرى بعبده ، بوجه من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة " . اهـ [5] .

القول الثاني : أن الفعل ﴿ **أَسْرَى** ﴾ **فعل متعدي** ، أي : أسرى الملائكة بعبده ، رجَّحه ابن عطية ، والسهيلي [6] .

---

(١) حذفت الياء في القرآن لتوافق الفواصل أو للتحفيف . ينظر : برهان الزَّركشي : ٣ / ١٠٧ .

(٢) السُّرَي : سَيْرُ الليلِ عامَّتِه . وقيل : السُّرَي : سير الليل كله ، تذكره العرب وتؤنثه . وسريت سرى ومسرى ، وأسريت : بمعنى : إذا سرت ليلا . بالألف : لغة أهل الحجاز . وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً . ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٢٥ . وينظر : (مادة : سري) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٣ / ٣٧ ، مقاييس اللغة لابن فارس : ٣ / ١٥٤ ، المحكم لابن سيده : ٨ / ٥٧٠ ، لسان العرب : ١٤ / ٣٨١ ، ٣٨٢ . وعليه تفسير المفسرين .

(٣) نقله عنه الكثير ؛ منهم : ابن منظور . ينظر : لسان العرب (مادة : ليت) : ٢ / ٨٨ .

(٤) ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ١٩ .

(٥) الروض الأنف لأبي القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي المالكي النحوي (ت ٥٨١ هـ) : ٢ / ١٨٧ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٤ ، الروض الأنف : ٢ / ١٨٧ - ١٩٠ .

✓ **ذكر ابن عطية أنَّ مفعولَ ﴿ أَسْرَى ﴾ محذوف وأنَّ التعديةَ بالهمزة** فقال :

" ويَظْهر أنَّ ﴿ أَسْرَى ﴾ مُعَدَّاةٌ بالهمزةِ إلى مفعولٍ محذوف ، تقديره : أسرى الملائكة بعبده إذ هو فعلٌ يقتضي النَّقْلة ؛ كمشى وجرى وأحضر وانتقل ، فلا يَحْسُنُ إسنادُ شيءٍ من هذا مع وجودِ مَنْدوحةٍ عنه ، فإذا وقع في الشريعة شيءٌ من ذلك تَأَوَّلْناه نحو : « ... اَتَيْتُه هَرْوَلة » [(١)] " . اهـ [(٢)] .

✓ **ويردَّ عليه بأن :**

﴿ أَسْرَى ﴾ بمعنى : سرى ، وليست الهمزة فيه للتعدية ، وعدّيا بالباء في ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ ، ولا يلزم من تعديته بالباء المشاركة في الفعل ، بل المعنى : جعله يسرى [(٣)] ، لأن السرى يدل على الانتقال كمشى وجرى ، وهو مستحيل على الله تعالى ، فهو كقوله : ﴿ ... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٠] . فيكون (سَرى) و (أسْرى) بمعنى كـ (سَقَى) و (أَسْقى) ، ولذلك قال المفسرون [(٤)] : معناه سرى بعبده .

وإنما احتاج ابن عطية إلى هذه الدعوى اعتقاد أنه إذا كان ﴿ أَسْرَى ﴾ بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول ؛ وهذا شيء ذهب إليه **المُبَرِّد** [(٥)] ،

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والنعوت (٦٩٧٠) : ٦ / ٢٦٩٤ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) : ٦ / ٢٠٦١ . كلاهما عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٤ . بتصرف يسير .

(٣) قال الزَّجَّاج : معنى ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ : سيَّر عبده . ينظر : معانيه : ٣ / ٢٢٥ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ١٤٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٠٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١١٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٠٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٧ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٢٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٠٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٨ .

(٥) لم أقف عليه في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – ، ونسبه إليه أبو حيان ، والسمين الحلبي ، والزَّركشي ، وابن عادل ، والآلوسي . ينظر : البحر المحيط : ٥ / ٥ ، الدر المصون : ٤ / ٣٦٨ ، البرهان : ٤ / ٢٥٥ تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ .

و**المُبَرِّد** هو : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس البصري ، المشهور بالمُبَرِّد ، نحوي مؤرخ شيخ أهل النحو والعربية ، وإليه انتهى علمهما في بغداد ، صاحب تأليف وتصنيف ، ت سنة٢٨٥هـ ، وقيل : ٢٨٦ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٣ / ٣٨٠ – ٣٨٧ ، ومعجم الأدباء : ٥ / ٤٧٩ – ٤٨٦ ، ولسان الميزان : ٥ /٤٣٠ ، ٤٣١ .

والسهيلي [١] خلافاً للجمهور . فقد زعموا أن بين تعدية الباء والهمزة فرقاً ، وأنك إذا قلت : ذهبت بزيد كنت مصاحباً له في الذهاب .

✖ وردَّ الجمهور على المُبَرِّد بقوله تعالى : ﴿ ... ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ... ﴾ [٢] ؛ أي : أذهبه ؛ لأن مصاحبته تعالى لهم في الذهاب مستحيلة [٣] .

ثم جوَّز ابن عطية [٤] **أن يكون ﴿ أَسۡرَى ﴾ بمعنى : سرى على حذف مضاف** ؛ كنحو قوله تعالى : ﴿ ... ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٠] . يعني أن يكون التقدير : أسرت ملائكته بعبده ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

✓ **ويرد عليه بأن** : هذا أيضاً مبني على اعتقاد أنه يلزم المشاركة وأن الباء للتعدية ، والباء لا يَلْزَمُ فيها ذلك . فإذا قلتَ : (ذهبْتُ بزيد) . فلا بد أن تكونَ قد صاحَبْتَه في الذهاب فذهبْتَ معه ، وإذا قلت : (أَذْهَبْتَه) جاز أن يكونَ قد صَحِبْتَه وألاَّ يكونَ [٥] .

.

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن أسرى وسرى لغتان** [٦] ، **وهو فعل غير متعدٍّ متعدٍّ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، لما تقدم ؛ إضافة لما يلي :

أولاً : أكثر أهل اللغة على ذلك ؛ خلافاً للمُبرَّد والسهيلي .

---

(١) ينظر : الروض الأنف : ٢ / ١٨٧ – ١٩٠ .

(٢) سورة البقرة : ١٧ .

(٣) نسب السمين الحلبي هذا الرد للجمهور ؛ ينظر : الدر المصون : ١ / ١٣٢ ، ٤ / ٣٦٨ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ . وينظر : برهان الزَّركشي : ٤ / ٢٥٤ ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمد ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) : ١٣٨ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ١٩٥ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٤٦٢ ، تاج العروس (مادة : ذهب) : ٢ / ٤٥٠ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٤ .

(٥) ينظر : الدر المصون : ١ / ١٣٢ ، ٤ / ٣٦٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٤ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١ / ٣٧٧ ، ١٢ / ١٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١ .

(٦) قال القاسمي : فرق بعضهم بين أسرى وسرى بالمبالغة في (أسرى) لإفادة السرعة في السير ، ولذا أوثر على (سرى) . ينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ١٨٣ .

ثانياً : في قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ ﴾ قراءتان متواترتان ؛ بقطع الهمزة ووصلها ؛ مما يقتضي أنهما بمعنى واحد ، قرىء قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٨١] . و ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٥١] . بالقطع والوصل [١] ، ويبعد مع القطع تقدير مفعول محذوف ؛ إذ لم يصرح به في موضع فيستدل بالمصرح على المحذوف [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) اختلف في ﴿ فَأَسْرِ ﴾ في سورة هود عليه السلام : ٨١ ، وفي الحجر : ٦٥ ، وفي الدخان : ٢٣ ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ وفي طه : ٧٧ ، والشعراء : ٥٢ ﴿ أَنْ أَسْرِ ﴾ :

- فنافع وابن كثير وأبو جعفر : **بهمزة وصل** ؛ تثبت ابتداء مكسورة مع كسر نون إن للساكنين ، وافقهم ابن محيصن .
- والباقون : **بهمزة قطع** مفتوحة ؛ تثبت درجا وابتداء . وهما لغتان فصيحتان .

يقال : سرى وأسرى للسير ليلا ، وقيل : أسرى لأول الليل وسرى لآخره ، وأما سار فمختص بالنهار . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة : ٣٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٥ / ٥ . ونقله عنه الآلوسي ، ينظر : روح المعاني : ١ / ٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ . [آية : ١١] .

مسألة : المراد بـ ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن المراد بـ ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾ اسم جنس** ، فقال : ((وقيل : إن الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ... ﴾ [1] . الآية . وقد تقدم أن الصحيح في قائلها إنه أبو جهل ، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله اسم جنس ، وقيل : يعني هنا آدم ، **وهو بعيد**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **في المراد بـ ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : الإنسان في الموضعين **اسم جنس** ، قاله جماعة من السَّلف ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [3] ، ووافقه جماعة المفسرين [4] .

---

(١) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٨ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) منهم : الثوري ، والصنعاني ، والطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، والشنقيطي ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الثوري : ١٦٩ ، تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٧٤ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٤٧ ، تفيسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٤ ، الكشف والبيان : ٦ / ٨٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٢٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٢٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٠٧ الكشاف : ٢ / ٦٠٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٢٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٥١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٢٩ ، البحر المحيط : ٤ / ١٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٦٦ ، تفسير الجلالين : ٣٦٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٢١١ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣ ، تفسير السعدي : ٤٥٤ أضواء البيان : ٣ / ٥٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٤٢ .

✓ **وأقوال السلف في المراد بالإنسان في الموضعين كما يلي :**

- عن **ابن عباس** ﷺ : يعني قول الإنسان : اللهم العنه واغضب عليه ؛ فلو يُعَجل له ذلك كما يُعجِل له الـــخير ، لهلك ...
- وعن **مجاهد** قال : ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته ، فيعجل فيدعو عليه ولا يحب أن يصيبه .
- وعن **قتادة** قال : يدعو على ماله فيلعن ماله وولده ، ولو استجاب الله له لأهلكه [١] .
- وعن **الحسن** قال : ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته ، يغضب أحدهم فيدعو عليه ، فيسب نفسه ويسب زوجته وماله وولده ، فإن أعطاه الله ذلك شق عليه فيمنعه ذلك ، ثم يدعو بالخير فيعطيه [٢].

ويشهد له النظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ ... ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ١١] [٣] .

قال الشنقيطي : " وهو أصحُّ لدلالة آية يونس عليه السلام عليه " [٤] .

✓ **واستندوا في هذا القول** على أن المراد بالإنسان الجنس : أنَّ لا أحد من النَّاس يعرى عن عجلةٍ ، ولو تركها لكان تركها أصلح له في الدِّين والدُّنيا [٥] .

وقد قال ﷺ : « ... لَا تَدْعُوا على أَنْفُسكُمْ ، ولا تَدْعُوا على أَوْلَادِكُمْ ، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ ، لَا تُوَافِقُوا من اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فيها عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ » [٦] .

القول الثاني : المراد بالإنسان في الموضعين **هو النضر بن الحارث** ، رُوي عن ابن عبـــاس

---

(١) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٤٦ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٨٧ ، أضواء البيان : ٣ / ٥٥ .

(٤) أضواء البيان : ٣ / ٥٥ .

(٥) ذكره ابن عادل . ينظر تفسيره : ١٢ / ٢٢٠ .

(٦) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق ، بَاب حديث جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أبي الْيَسَرِ (٣٠٠٩) : ٤ / ٢٣٠٤ . من حديث جابر ﷺ الطويل .

ﷺ [١] أيضاً .

حيث قال : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ... ﴾ [٢] . فأجاب الله دعاءه وضربت رقبته .

✖ وردّ هذا القول لما جاء في الصحيح أن قائلها هو أبو جهل .

فقد أخرج **الشيخان** عن أَنَسَ بن مَالِكٍ ﷺ قال : « قال أبو جَهْلٍ : اللهم إن كان هذا هو الْحَقَّ من عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً من السَّمَاءِ أو ائْتِنَا بعَذَابٍ أَلِيمٍ فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴾ [٣] . الْآيَةَ . » [٤] .

القول الثالث : الإنسان في الموضع الأوَّل يراد به **الجنس** ؛ وفي الموضع الثاني قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ **يراد به آدم** عليه السلام ، قاله سلمان الفارسي ، ومقاتل [٥] .

- عن سلمان الفارسي ﷺ قال : « أول ما خلق الله من آدم عليه السلام رأسه ، فجعل ينظر وهو يخلق ، وبقيت رجلاه ، فلما كان بعد العصر ، قال : يا رب اعجل قبل الليل ، فذلك قوله : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ [٦] .

والمعنى : فأنتم ذوو عجلة موروثة من أبيكم [٧] .

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٣٤ . وقال د . سامي في رسالته (تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل : ٧٢٧) لم أقف عليه .

(٢) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٣) سورة الأنفال : ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤٣٧١) : ٤ / ١٧٠٤ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ الآية (٢٧٩٦) : ٤ / ٢١٥٤ .

(٥) وقال أيضاً : وكذلك النضر يستعجل بالدعاء على نفسه كعجلة آدم عليه السلام ، في خلق نفسه . ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥١ . وقال بقوله السمرقندي ، ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٣ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٤٦) إلى ابن أبي شيبة ، وابن جرير (١٥ / ٤٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤١ .

قال **النيسابوري** : " وليس هذا القول بالحقيقة مغايراً للأول ؛ لأن أصل الآدمي إذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفاً به لا محالة " . اهـ [١] .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** فقال : " وهذا القول تنبو عنه ألفاظ الآية " . اهـ [٢] .

✖ **وذكر ابن جزي أن** المراد بالإنسان آدم عليه السلام قول بعيد [٣] ؛ لعدم توافقه مع سياق الآيات .

القول الرابع : يراد بالإنسان في الموضعين **الكافر** ؛ وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء ، جوَّزه الزمخشري ، والبيضاوي [٤] . [٥]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالإنسان في الموضعين في قوله تعالى** : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ **الجنس وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ **أسند إليه حال بعض أفراده** ؛ **وهو الكافر** [٦] ، يدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : السِّياق القرآني :

ومناسبتها لما قبلها أن بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الآخرة [٧] .

ثانياً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، وهم أثر فهماً لنصوص الوحي .

---

(١) تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٢٩ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٢٠ .
(٢) البحر المحيط لأبي حيان : ٤ / ١٢ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٨ .
(٤) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٠٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٣٤ .
(٥) وذكر الأقوال في الآية من غير ترجيح : الماوردي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي . ينظر : النكت والعيون (اسم جنس / آدم) : ٣ / ٢٣٢ ، المحرر الوجيز (اسم جنس / آدم / قريش لما استعجلت العذاب) : ٣ / ٤٤١ ، تفسير العز بن عبد السلام (اسم جنس / آدم) : ٢ / ٢١٤ تفسير النسفي (اسم جنس / الكافر / النضر) : ٢ / ٢٨٠ .
(٦) قاله أبو السعود ونقله الآلوسي عنه . ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣ .
(٧) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٤ / ١٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢١١ .

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ تذييل ، فالإنسان هنا مراد به الجنس لأنه المناسب للتذييل ، أي وما هؤلاء الكافرون الذين لا يؤمنون بالآخرة إلا من نوع الإنسان ، وفي نوع الإنسان الاستعجال فإن ﴿كَانَ﴾ تدل على أن اسمها متصف بخبرها اتصافاً متمكناً كقوله تعالى : ﴿ ... وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾ . [سورة الكهف : ٥٤] . (١)

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** (٢) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٤٢ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلَآءِ وَهَـٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ . [آية : ٢٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ : رزق الدنيا ، فقال : ((**﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾** يعني : رزق الدنيا . وقيل : من الطاعات لمن أراد الآخرة ، ومن المعاصي لمن أراد الدنيا ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : يعني : **رزق الدنيا** ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، والحسن [٣] ، وقتادة [٤] ، والسدي [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٧] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] ، وهو ما **أجمع** [٩] عليه أهل التفسير [١٠] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٦٩ .

(٢) قال ابن عباس ﷺ : رزق ربك . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) ، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٣٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وأبو نعيم في الحلية . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٦ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٥ ٢٥٦ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٥٦) لابن أبي حاتم .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٤ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ٩٩ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٦٩ .

(٩) ذكر السمعاني وابن الجوزي إجماع أهل التفسير على هذا القول . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٢٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢١ .

(١٠) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والجصاص ، والثعلبي ، والماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن تيمية ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والجلالين ، والشوكاني =

قال ابن عباس ﷺ : فيرزق من أراد الدنيا ، ويرزق من أراد الآخرة .
وقال قتادة والحسن : وإن الله ﷻ قسم الدنيا بين البر والفاجر ؛ والآخرة خصوصاً عند ربك للمتقين [١] .

واستدل له بما يلي :

١. من السُّنة :

عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كما قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يعطي الدُّنْيَا من يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ ، وَلاَ يعطي الإيمان إِلاَّ لِمَنْ أَحَبَّ » [٢] .

٢. دلالة السِّياق القرآني : يتناسب هذا المعنى مع :

- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . أي : إن رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر .
- و ما بعدها أيضاً قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢١] . فهي تدل دلالة ما على أن العطاء في التي قبلها الرزق [٣] .

= والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٦٠ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٣٩ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٠٦ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٩ ، الكشف والبيان : ٦ / ٩١ ، ٩٢ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٣٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٢٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٠ ، الكشاف : ٢ / ٦١٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤٥ ، زاد المسير : ٥ / ٢١ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢١٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٣٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٣٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٥٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٣ / ٣٢٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٤٥ تفسير الجلالين : ٣٦٨ ، فتح القدير : ٣ / ٢١٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢١٧ ، تفسير السعدي : ٤٥٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢١٩ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٦٢ .

(١) أخرجه عن ابن عباس ﷺ ، وقتادة والحسن ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٦٠) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب الإيمان ، باب (٩٤) : ١ / ٨٨ . عن ابن مسعود ﷺ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد تفرد به أحمد بن جناب المصيصي ، وهو شرط من شرطنا في هذا الكتاب أنا نخرج أفراد الثقات إذا لم نجد لها علة ، وقد وجدنا لعيسى بن يونس فيه متابعين ، أحدهما من شرط هذا الكتاب وهو سفيان بن عقبة أخو قبيصة . وقال الذهبي : **صحيح الإسناد** . وجاء في رواية أخرى للحاكم وكذلك لأحمد وغيره بلفظ : « ولا يعطي الدين إلا من أحب » .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٠ .

٣. وعطاء الله ﷻ للمؤمن والكافر مصداق :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٥٦] .
- وقوله فيما رواه عنه نبيُّه ﷺ : « ... سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي » [١] . [٢]

✍ فهذه الآية للتنبيه على أن الله تعالى لم يترك خلقه من أثر رحمته حتى الكفرة منهم الذين لا يؤمنون بلقائه ، فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على حسب ما قدر لهم ، وأعطى المؤمنين خيري الدنيا والآخرة [٣] .

القول الثاني : معناه : **من الطاعات** لمن أراد الآخرة ، **ومن المعاصي** لمن أراد الدنيا ، قاله ابن عباس ﷺ [٤] أيضاً .

فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد من خير أو شر .

✘ **واعتُرض عليه بأن** : لفظ (العطاء) لا يصلح لمن يمد بالمعاصي التي توبقه [٥] .

القول الثالث : معناه : **من السعادة والشقاوة** ، قاله ابن كثير [٦] .

✓ لكن الآثار الواردة في (تفسير العطاء) تبين أن المراد به : الرزق ؛ قال بذلك **جمهور المفسرين** ؛ ويصح تفسير ابن كثير هذا إذا اعتبرنا أن عطاء الله للعبد من أسباب السعادة والله أعلم .

القول الرابع : معناه : ما عجل **لأحدهما** من **العطايا العاجلة** ، وما أعد للآخر من **العطايا الآجلة** ، قاله أبو السعود ، والآلوسي [٧] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ ﴾ (٧١١٤) : ٦ / ٢٧٤٥ ، وأخرجه مسلم مختصراً في كِتَاب التوبة ، بَاب في سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ (٢٧٥١) : ٤ / ٢١٠٨ . كلاهما عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٦٢ .

(٣) ينظر : المرجع السابق : ١٥ / ٦١ ، ٦٢ .

(٤) نسبه إليه ابن عطية ، والثعالبي ، وأبو حيان . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٠ البحر المحيط : ٦ / ١٩ . **ولم أقف له على سند** .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩ .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٤ .

(٧) ينظر : تفسير أبو السعود : ٥ / ١٦٤ ، روح المعاني : ١٥ / ٤٨ .

وهذا القول معناه : أن الله يعجل للكافر عطاياه في الدنيا ، ويعطي المؤمن في الآخرة .

✖ **ويردُّه** : الآثار السابقة الذكر عن ابن عباس ﷺ ، وقتادة ، والحسن ؛ نعم إن الآخرة للمتقين ؛ لكن في الدنيا **يرزق الله الكافر والمؤمن** .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الله ﷻ يمد من يريد الدنيا ، ومن يريد الآخرة ويوسع عليهما في الرزق ؛ مثل الأموال والأوَّلاد وغيرهما من أسباب العز والزينة في الدنيا ؛ إذ لَا حَظَّ للكافر في الآخرة** [(١)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدَّم ؛ ما يلي :

أولاً : لأن عطاءه سبحانه لا يضيق عن أحد مؤمناً كان أو كافراً ؛ لأن الكل مخلوقون في دار العمل [(٢)] .

ثانياً : هذا القول مرويٌّ عن جمع من السَّلف ، وهم أكثر فهماً لنصوص الوحي .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** .
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [(٣)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٥٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٤٥ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤٥ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾ . [آية : ٢٦] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح **ابن جُزيّ أن الخطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم** ، فقال : ((﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم . وقيل : هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقهم من بيت المال ، **والأوَّل أرجح**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **لمن الخطاب في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : الخطاب **لجميع الناس** لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)] ، والحسن [(٣)] ، ومقاتل [(٤)] ، **وهو ما رجحه ابن جُزيّ** [(٥)] ، ووافقه **جمهور** [(٦)] المفسرين [(٧)] . [(٨)]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٠ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٣٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٢٧٢ .

(٤) ينظر : تفسيره : ٢ / ٢٥٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٠ .

(٦) نسب السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن عادل هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٦٢ .

(٧) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والبيضاوي والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، و**استظهره** محمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٩٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٣٤ تفسير البغوي : ٣ / ١١٢ ، الكشاف : ٢ / ٦١٩ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ زاد المسير : ٥ / ٢٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٤٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٧٦ السراج المنير : ٢ / ٣٣٤ ، روح المعاني : ١٥ / ٦٣ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٧٦ ، ٧٧ ، الوسيط : ٨ / ٣٣١ .

(٨) لم يتعرض جماعة من المفسرين لموضوع لمن الخطاب في الآية ؛ وفي هذا دلالة على أن الخطاب لجميع الناس =

وجاء في تفسير الآية الآثار التالية :

قال **ابن عباس** ﷺ : هو أن تصل ذا القرابة وتطعم المسكين ، وتحسن إلى ابن السبيل [١] .

وقال **الحسن** : هو أن توفيهم حقهم إن كان يسيراً ، وإن لم يكن عندك ﴿ ... فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴾ وقل لهم الخير [٢] .

وسأل رجل **الحسن** ، قال : أعطي قرابتي زكاة مالي ؟ فقال : إن لهم في ذلك لحقاً سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ [٣] .

واستدل له بالقرائن في سياق الآية :

١. قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ معطوف على قوله : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] . والمعنى : أنك بعد فراغك من بر الوالدين يجب أن تشتغل ببر سائر الأقارب الأقرب فالأقرب ، ثم بإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل [٤] .

٢. العطف بـ ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾ .

قال ابن عطية : " والقول الأوَّل أبين - أي القول الأوَّل - ، ويعضده العطف بـ ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾ " . اهـ [٥] .

القول الثاني : الخطاب **خاصٌّ بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته** حقَّهم من بيت المال ، قاله **علي بن**

= ومن هؤلاء المفسرين : النحاس ، والسمرقندي ، والواحدي ، والنسفي ، وابن كثير ، والجلالين ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والسعدي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٤٤ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٠٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٢ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٧ ، تفسير الجلالين : ٣٦٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢١ ، تفسير السعدي : ٤٥٦ .

(١) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٧٢ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٧٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧١ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٥٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٧٦ .

(٥) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ .

الحسين [١] . [٢]

عن علي بن الحسين أنه قال لرجل من أهل الشام : أقرأت القرآن قال : نعم . قال : أفما قرأت في بني إسرائيل فآت ذا القربى حقه . قال : وإنكم القرابة الذي أمر الله تعالى أن يؤتى حقه قال : نعم [٣] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « لما أنزلت : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة – رضي الله عنها – فأعطاها فدك » [٤] .

قال ابن كثير : " وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده ؛ لأن الآية مكية ، وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة ؛ فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذاً حديث منكر ، والأشبه أنه من وضع الرافضة . والله أعلم " . اهـ [٥] .

✖ **وضُعِّف** : بأنه لا قرينة على التخصيص ، و لم يجر له ذكر قبله [٦] .

❖ وقال الشوكاني : " والخطاب إمَّا لرسول الله ﷺ تهييجاً وإلهاباً لغيره من الأمَّة ، أو لكلِّ من هو صالحٌ لذلك من المكلفين كما فى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] . " اهـ [٧] .

---

(١) نسبه إليه ابن الجوزي وغير واحد من المفسرين . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧ .
وعلي بن الحسين هو : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو عبد الله العلوي الكوفي ، الإمام الثقة العابد الفقيه ، الفاضل المشهور ، قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه ، ت سنة ٩٤هـ . ينظر : الكاشف : ٢ / ٣٧ ، التقريب : ٤٠٠ ، طبقات الحفاظ : ٣٧ .

(٢) قال بالقولين من غير ترجيح : الفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٥٤ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤٧ ، تفسير الخازن : ١٥٦ ، ١٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٦٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٧٢) . ونسب السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية هذا القول إليه . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ . ورواه الشيعة عن الصادق .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٧٣) إلى البزار ، وأبو يعلى ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . قال الهيثمي في مجمع الفوائد (٧ / ٤٩) : رواه الطبراني وفيه عطية العوفي وهو ضعيف متروك . وينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٣٦ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٧ . وللمزيد : ينظر : شبهات الرافضة حول الصحابة ﷺ وردها لعلي بن نايف الشحود : ١ / ١٢٦ ، ٣١١ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٥ / ٦٣ .

(٧) فتح القدير : ٣ / ٢٢١ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأوَّل ، فالراجح أن الخ طاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : وجود القرائن في السِّياق كما أسلفنا .

ثانياً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [(١)] .

ثالثاً : الآية ليس لها تعلق بحقوق قرابة النبي ﷺ ، لأن حقوقهم في المال تقررت بعد الهجرة لما فرضت الزكاة وشرعت المغانم والأفياء وقسمتها [(٢)] .

وبما أن الخطاب لجميع الناس ؛ فيدخل في الخطاب رسول الله ﷺ بأن يؤتي ذوي قرابته حقَّهم من الصلة والإحسان .

❖ وحكى الطبري أن الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم ، خوطب بذلك النبي ﷺ والمراد الأمة [(٣)] .

قال الطبري : " إن الله ﷻ عقب ذلك بعد حضه عباده على بر الآباء والأمهات ، فالواجب أن يكون ذلك حضا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر ، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبي الله ﷺ والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله ؛ يدل على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جل ثناؤه : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] . فوجه الخطاب بقوله :

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢ / ٢٩٩ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٧٦ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ . ونسب هذا القول إلى **جمهور المفسرين** ابن عطية ، والثعالبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٦٩ . ولم أجد في كلام باقي المفسرين ما يدل على هذا الإجماع .

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ... ﴾ إلى نبي الله ﷺ ، ثم قال : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ... ﴾ فرجع بالخطاب به إلى الجميع ، ثم صرف الخطاب بقوله : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ﴾ إلى إفراده به .

والمعني بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله ﷻ : أفرد بالخطاب رسول الله ﷺ وحده ؛ أو عمَّ به هو وجميع أمَّته" اهـ [1] .

قال ابن العربي :

" ويدخل في ذلك قرابة رسول الله ﷺ دخولاً متقدماً ؛ أو من طريق الأوَّلى من جهة أن الآية للقرابة الأدنين المختصين بالرجل ، فأما قرابة رسول الله ﷺ فقد أبان الله على الاختصاص حقهم ، وأخبر أن محبَّتهم هي أجر النبي ﷺ على هداه لل" . اهـ [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ١٨٩ ، ١٩٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴾ . [آية : ٣٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : **﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾** : أي : **لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها** ، فقال : ((أي : لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع وقيل : معناه لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي . والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلاء)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : لن **تجعل فيها خرقا بمشيك عليها** ؛ أو تثقب الأرض إلى الجانب الآخر ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. من اللغة : الخرق في اللغة : الثقب ، وذلك اعتباراً بالخرق في الأذن [٤] .

القرينة القرآنية : قوله بعده : ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴾ أي : أنت أيها المتكبر

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧١ .

(٢) ينظر : المرجع السابق .

(٣) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٤ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٦٩ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٦ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٨٧ ، تفسير الجلالين : ٣٧٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٢ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٢٨ ، روح المعاني : ١٥ / ٧٥ ، أضواء البيان : ٣ / ١٥٦ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٠٤ .

(٤) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : ثقب) : ١٤٦ ، كليات الكفوي : ٧٣٠ .

المختال : ضعيف ، حقير ، عاجز ، محصور بين جمادين أنت عاجز عن التأثير فيهما . فالأرض التي تحتك لا تقدر أن تؤثر فيها فتخرقها بشدة وطئك عليها ، والجبال الشامخة فوقك لا يبلغ طولك طولها ، فاعرف قدرك ولا تتكبر ، ولا تمش في الأرض مرحاً [١] .

وتعقَّبه :

أبو عبيدة فقال : " وليس بشئ " [٢] .

وابن عطية فقال : " وليس هذا المعنى في الآية " [٣] .

القول الثاني : معناه : **لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي** ، أي : لن تقطعها كلها ؛ قاله **جمهور** أهل اللغة [٤] ، ورجَّحه ابن جرير [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] .

والمعنى : أنك لن تخرق الأرض بمشيك عليها تكبراً ، وفيه تهكم بالمختال المتكبر .

واستشهد له :

١. من اللغة :

خرق الثوب ؛ أى : شقَّه ، وخَرَق الأرض يَخْرِقُها : قطعها ، والخرق : المفازة ؛ أي : الواسع من الأرض ؛ لأن الرياح تخترقها .

---

(١) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٣ / ١٥٦ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٨٠ .

(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٥٧ .

(٤) ومنهم : الخليل بن أحمد ، وأبو عبيدة ، والسجستاني ، والأزهري ، وابن فارس ، وابن سيده ، وابن منظور ، والزبيدي . ينظر (مادة : خرق) في كل من : العين : ٤ / ١٤٩ ، تهذيب اللغة : ٧ / ١٣ ، مقاييس اللغة : ٢ / ١٧٢ ، المحكم : ٤ / ٥٣٣ ، لسان العرب : ١٠ / ٧٥ ، تاج العروس : ٢٥ / ٢١٩ ، المعجم الوسيط : ١ / ٢٢٩ . وينظر : مجاز القرآن (سورة الإسراء) : ١ / ٣٨٠ ، غريب القرآن للسجستاني : ١٤٢ ، المخصص (باب الأرض الواسعة والمطمئنة) : ٣ / ٧٧ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٢٦٦ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٨٨ .

(٦) منهم : النحاس ، والثعلبي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والخازن ، وحكاه ابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، والشوكاني . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٥٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٥٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٠ ، ابن كثير : ٣ / ٤١ نظم الدرر : ٤ / ٣٨١ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢٢٨ .

٢. من كلام العرب : بقول رؤبة بن العجاج [١] :

وقاتم الأعْماقِ خاوِي المُخترَقْ

يعني بالمخترق : المقطَّع [٢] .

✓ قال النحاس : " **وهذا أبين** ؛ كأنه مأخوذ من الخرق ، وهو الصحراء الواسعة . ويقال : فلان أخرق من فلان ، أي : أكثر سفراً وعزاً ومنعة " . اهـ [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كلا القولين محتمل ؛ فالمتكبر المختال في مشيته لن يثقب الأرض ، ولن يقطعها كلها ، فلا تقدر أن يستوفي جميعها بالمشي** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : الخرق لأهل اللغة فيه قولان :

- أحدهما : أن المعنى : إنك لن تثقب الأرض .
- والآخر : لن تقطعها كلها ، قاله جمهور أهل اللغة .

✓ وقد ذكر بعض أهل اللغة [٤] القولين في تفسير الآية و لم يرجحوا بينهما .

ثانياً : ذكر القولين جماعة من المفسرين [٥] أيضاً ؛ و لم يرجحوا بينهما .

ثالثاً : كلا القولين المراد بهواحد – وهو تعليل النهي عن الكبر والخيلاء – ؛ وهو التهكم بالمختال المتكبر .

---

(١) نسبه إليه أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٢٠ / ٣٦٢) .
(٢) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٨٠ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٨٨ .
(٣) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٥٧ .
(٤) قال الرَّاغب والكفوي بالقولين من غير ترجيح . ينظر : المفردات (مادة : خرق) :١٤٦ ، الكليات : ٧٣٠ .

(٥) ذكر القولين من غير ترجيح : الماوردي ، وابن الجوزي ، وأبو حيان ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٤٤ ، زاد المسير : ٥ / ٣٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٤ ، الوسيط : ٨ / ٣٥٣ .

عن قتادة في قوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ قال : لا تمش فخراً وكبراً ، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال ، ولا أن تخرق الأرض بفخرك وكبرك [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٨٨) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٢٧٨) إلى ابن أبي حاتم .

قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ . [آية : 44] .

مسألة : اختلاف أهل العلم في التسبيح :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن تسبيح السموات والأرض ومن فيهن لله رب العالمين تسبيح حقيقة ، فقال : ((اختلف في كيفية هذا التسبيح : فقيل : هو تسبيح بلسان الحال ؛ أي : بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة . وقيل : إنه تسبيح حقيقة ، **وهذا أرجح** لقوله : ﴿ لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في التسبيح** على قولين :

القول الأوَّل : أن **تسبيح الجمادات تسبيح بلسان الحال** ؛ وهو تنزيه الله تعالى بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة ، قاله **ابن حزم** [2] من الظاهرية ، وجماعة من المفسرين [3] .

قالوا :

﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ أي : ما من شيءٍ إلا وفيه دليل أن الله ﷻ خالِقُه ، وأنَّ خالِقَه حكيمٌ مُبَرَّأٌ من الأسواء ، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصَّنْعَةِ في هذه المخلوقات .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٢ .

(٢) بالغ ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد : ت ٤٥٦ هـ) في ترجيح القول الأوَّل ، وردَّ القول الثاني في كتابه : (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وفيه الكثير من الغرائب . ينظر : ١ / ٦٩ – ٧٢ .

(٣) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٦ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٤ . قال الآلوسي : **وهو قول كثير من الأشاعرة** . ينظر : ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان لمحمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢ هـ) : ٩٠ .

✖ **واعتُرض** :

قال **الزَّجَّاج** : " وليس هذا بشيء ؛ لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مُقرِّين بأن الله خالقُهم وخالِقُ السماء والأرض ومَنْ فيهن ، فكيف يجهلون الخِلْقَة وهم عارفون بها " . اهـ [١] .

✖ **واستبعده السمر قندي** وقال : " وهو خلاف أقاويل المفسرين " [٢] .

وقال **السمعاني** : " واعلم أنّ لله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره ، فينبغي أن يوكل علمه إليه " [٣] .

ونفى ابن حزم أن يكون للجمادات تسبيح وتمييز بالمعنى الموجود في الإنسان ؛ وذكر أن التسبيح [٤] من الأسماء المشتركة ، والمعنى هو ما قام عليه الدليل ، فقال :

" فالتسبيح عندنا إنما هو قول : (سبحان الله وبحمده) وبالضرورة نعلم أن الحجارة والخشب والهوام والحشرات والألوان لا تقول : سبحان الله (بالسين والباء والحاء والألف والنون واللام والهاء) هذا ما لا يشك فيه من له مسكة عقل " . اهـ [٥] .

قال **القاسمي** :

" وهو – أي : قول ابن حزم – حق لا شبهة فيه ولا يسوغ إنكاره لأحد ، إلا أنه لا ينفي أن يكون له تسبيح وفيه تمييز يناسبه ؛ فيرجع الخلاف لفظياً " . اهـ [٦] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٢٤٢ .

(٢) تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٣ .

والسَّمر قندي هو : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، أبو الليث : الملقب بإمام الهدى ، من أئمة الحنفية ، من الزهاد المتصوفين ، له تصانيف نفيسة ، ت سنة ٣٧٣هـ ، وقيل : ٣٧٥ هـ . ينظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (ت ٧٧٥ هـ) : ٢ / ١٩٦ ، تاج التراجم في طبقات الحنفية لأبي الفداء ، زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني (٨٧٩ هـ) : ٣١٠ ، طبقات المفسرين للداودي : ٩١ ٩٢ .

(٣) تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ .

(٤) **التسبيح** في أصل اللغة : هو تنزيه الله تعالى عن السوء . ينظر (مادة : سبح) في : العين : ٣ / ١٥١ ، لسان العرب : ٢ / ٤٧١ ، تاج العروس : ٦ / ٤٤٥ . والتسبيح في الشرع : هو قول : (سبحان الله وبحمده) .

(٥) الفصل في الملل لابن حزم : ١ / ٧٠ – ٧٢ .

(٦) تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٥ .

القول الثاني : أن كل المخلوقات من **أحياء وجمادات تسبح الله تسبيح حقيقة** (بلسان المقال) ، قاله مقاتل [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] ، والرَّاغب [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة المفسرين [٥] .

و ﴿ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي : يقول سبحان الله العظيم وبحمده ، أو يقول : سبحان الله وبحمده [٦] .

قال الزَّجَّاج : " قيل : إنَّ كل ما خلق الله يسبِّحُ بحَمْدِه ، وإنَّ صَرِيرَ السَّقْفِ وصريرَ الباب من التسبيح ، فيكون على هذا الخطاب للمشركين وحدهم في ﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ وجائز أن يكون تَسْبِيحُ هذه الأشياء بما الله به أعلم لا يُفْقَهُ مِنْه إلاَّ ما عُلِّمنا " . اهـ [٧] .

ويؤيد هذا القرينة القرآنية : أ نه لو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل : ﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعه [٨] .

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٩ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٢٤٢ .

(٣) ينظر مفرداته (مادة : سبح) : ٢٢١ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٢ .

(٥) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن القيم ، والخازن ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٢ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٦ ، ١١٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨ ، الروح لابن القيم : ٧٢ ، الخازن : ٤ / ١٦٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٨٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٩٧ ، تفسير الجلالين : ٣٧٠ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٢ ، روح المعاني : ١٥ / ٨٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ ، الوسيط : ٨ / ٣٦١ .

(٦) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٣٤٤ ، تفسير الجلالين : ٣٧٠ .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٢٤٢ . ونقله عنه الأزهري وابن منظور . ينظر (مادة : سبح) : تهذيب اللغة : ٤ / ١٩٧ ، لسان العرب : ٢ / ٤٧٢ .

(٨) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : سبح) : ٢٢١ ، التسهيل : ٢ / ١٧٢ ، الرُّوح لابن القيِّم : ٧٢ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٩٧ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣١ .

✓ **وأجيب :**

١. بأن قوله سبحانه : ﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ خطاباً للمشركين [١] ، لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون [٢] .

٢. ولهذا ختم الآية بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم [٣] .

٣. إذا لم يفقهوا التسبيح و لم يستوضحوا الدلالة على الخالق فيكون التسبيح المسند إلى السموات والأرض ومن فيهن على سبيل المجاز قدراً مشتركاً بين الجميع ، وإن كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من ملك وإنس وجان ولا يحمل نسبته إلى السموات والأرض على المجاز ، ونسبته إلى الملائكة والثقلين على الحقيقة لئلا يكون جمعاً بين المجاز والحقيقة بلفظ واحد [٤] .

✍ **ثم اختلفوا هل هو مخصص بذوات الأرواح أو لا على قولين :**

القول الأوَّل : هو **تسبيح خاص بكل حيٍّ ونامٍ** ، وليس ذلك في الجمادات ، وبه قال جمع من السَّلف ؛ منهم : الضحاك ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة وغيرهم ، وبهذا القول قال جماعة من المفسرين [٥] .

عن الضحاك والحسن قالا في قوله : ﴿ وَإِنْ مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ : كل شيء فيه الروح [٦] .

---

(١) وجوَّز ابن عاشور أن يكون الخطاب لجميع الناس باعتبار انتفاء تمام العلم بذلك التسبيح . ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٤ .

(٢) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٤ .

(٣) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٤ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ .

(٥) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، وسيد قطب . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٢ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ . وقدَّمه الماوردي ، وتبعه العز . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٤٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢١٩ .

(٦) أخرجه عنهما الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٧٩) ، وابن جرير في تفسيره (١٥ / ٩٢) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٤٩) إلى أبي الشيخ .

ومن هذا قول عكرمة : الشجرة تسبح ، والأسطوانة لا تسبح [١] .

وقال **يزيد الرقاشي** للحسن – وهما في طعام ، وقد قدم الخوان – : أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد ؟ فقال : قد كان يسبح مرة [٢] .

وقد استدل لذلك : بحديث ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : « مَرَّ النبي ﷺ بِقَبْرَيْنِ ، فقال : إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ من الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ، فَغَرَزَ في كل قَبْرٍ وَاحِدَةً ، قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هذا ؟ قال : لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عنهما ما لم يَيْبَسَا » [٣] .

إشارة إلى أنهما ما داما رطبين يسبحان ، فإذا يبسا صارا جماداً ، والله أعلم [٤] .

القول الثاني : هو **عامٌّ في كل ما خلقه الله تعالى من ذوات الأرواح وغيرهم** ؛ من الحيوانات والجمادات والنباتات ، قاله جماعة من السَّلف أيضاً ، و هذا **أشهر** القولين [٥] ، وذهب إليه مقاتل [٦] ، وجماعة من المفسرين [٧] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٩٢) .

(٢) أورده السمر قندي وغيره . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٢ . يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح وأما الآن فقد صار خواناً مدهوناً . **والخوان** هو : المائدة (معربة) ، وجمعه الخون . ينظر : العين للفراهيدي (مادة : خون) : ٤ / ٣٠٩ .
ويزيد الرقاشي هو : يزيد بن أبان الرقاشي ،كان زاهداً عابداً ، إلا أنه ضعيف الحديث ، قال عنه ابن حنبل : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث . ينظر : ضعفاء العقيلي : ٤ / ٣٧٣ ، الكامل لابن عدي : ٧ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، التقريب : ٥٩٩ .

(٣) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الوضوء ، بَاب ما جاء في غَسْلِ الْبَوْلِ (٢١٥) : ١ / ٨٨ وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الطهارة ، بَاب الدَّلِيلِ على نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبُ الِاسْتِبْرَاءِ منه (٢٩٢) : ١ / ٢٤٠ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٧ .

(٥) قاله ابن كثير في تفسيره (٣ / ٤٣) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٩ .

(٧) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٦ ، ١١٧ ، زاد المسير : ٥ / ٣٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ ، الخازن : ٤ / ١٦٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٣٨٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣١ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٢ ، روح المعاني : ١٥ / ٨٥ ، الوسيط : ٨ / ٣٦١ .

ويؤيد حمل الآية على العموم :

١. من القرآن :

- قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ . [سورة ص : ١٨] . فذكر الله للجبال تسبيحاً ، **والأصل حمل اللفظ على ظاهره .**

قال القرطبي : " ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة فأي تخصيص لداود عليه السلام ، وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح " . اهـ [(١)] .

- وقوله تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٧٤] . فتصريحه تعالى بأن بعض الحجارة يهبط من خشية الله دليل واضح في ذلك . لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ٩٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ... ﴾ . [سورة الأحزاب : ٧٢] . فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت أي خافت دليل على أن ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه هو جل وعلا ونحن لا نعلمه [(٢)] .
- وكذلك قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ . [سورة الحج : ١٨] . فسُجودُ هذه المخلوقات عبادةٌ منها لخالقها لا نَفْقَهُها عنها كما لا نَفْقَه تسبيحَها . ونحو ذلك من الآيات [(٣)] .

٢. من السُّنة :

- ما أخرجه **الإمام البخاري** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « ... وَلَقَدْ كنا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وهو يُؤْكَلُ » [(٤)] .
- وما أخرجه **الإمام البخاري** عن ا بن عُمَرَ رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ يَخْطُبُ إلى

---

(١) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٣٣٩ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : سبح) : ٤ / ١٩٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب ، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ في الْإِسْلَامِ (٣٣٨٦) : ٣ / ١٣١٢ .

جِذْعٍ ، فلما اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إليه ؛ فَحَنَّ الْجِذْعُ ، فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عليه » [١] .

- وما أخرجه **الإمام مسلم** عن جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « إني لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قبل أَنْ أُبْعَثَ إني لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » [٢] .
- وحديث أبي ذر ﷺ : « ... فتناول النبي ﷺ سبع حصيات أو تسع حصيات ؛ فسبحن في يده ... » [٣] .

قال القرطبي : " وإذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ، ولا استحالة في شيء من ذلك ؛ فكلُّ شيءٍ يسبِّح للعموم " . اهـ [٤] .

٣. من الأثر :

قال إبراهيم النخعي : وإنّ من شيء جماد وحيّ إلا يسبح بحمده ، حتى صرير الباب ونقيض السقف .

وقال مجاهد : كل الأشياء تسبح لله حياً كان أو ميتاً أو جماداً ، وتسبيحها : سبحان الله وبحمده [٥] . [٦]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن تسبيح السموات والأرض ومن فيهن لله رب العالمين تسبيح حقيقة ، وأنه على العموم في كل ما خلقه الله تعالى من ذوات الأرواح وغيرهم من الحيوانات والجمادات والنباتا ت ، وهو المنقول عن**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب ، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ (٣٣٩٠) : ٣ / ١٣١٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، بَاب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ على جَمِيعِ الْخَلَائِقِ (٢٢٧٨) : ٤ / ١٧٨٢ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البزار في مسنده من حديث سويد بن يزيد عن أبي ذر ﷺ (٤٠٤٠) : ٩ / ٤٣١ . قال الهيثمي : رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف . ينظر : مجمع الزوائد : ٨ / ٢٩٩ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٦٨ .

(٥) نسبه إلى إبراهيم ومجاهد : البغوي ، والسمعاني . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١١٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٤ .

(٦) جمع السيوطي الكثير من آثار السَّلف التي ذكرها الطبري وغيره من المفسرين . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٢٨٩ – ٢٩٦ .

السَّلف [١] ، **وما رجّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : " ومدافعة عموم هذه الآية بمجرد الاستبعادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه ويؤمن بما جاء من عنده " [٢] .

ثانياً : يتأيد هذا القول بالقرينة القرآنية ، والنظائر القرآنية ، والأحاديث الصحيحة ؛ وعلى هذا يترجح هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٣] .

ثالثاً : هنا التسبيح يدور بين الحقيقة اللغوية (وهي أن التسبيح في أصل اللغة : هو تنزيه الله تعالى عن السوء) ، والحقيقة الشرعية (وهي أن التسبيح هو قول : سبحان الله وبحمده) : **والقاعدة الترجيحية المعتبرة** عند العلماء تنص على أنه :

- **إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية** [٤] .

✍ يبقى الإشكال في **الكفار الدهريين** ومن على شاكلتهم ممن ينكرون وجود الله أنهم لا يسبحون الله ، فعند ذلك يكون تسبيح الدلالة وارد هنا ، فيجتمع تسبيح الحال وتسبيح المقال ، وبذلك يرتفع الإشكال [٥] .

---

(١) صحَّح البغوي والخازن هذا القول ، وذكرا أن هذا القول هو المنقول عن السلف . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١١٦ ، ١١٧ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٢ .

(٢) فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٣١ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق : ٢ / ٤٠١ .

(٥) قال ابن حزم : " والكافر الدهري شيء لا يشك في أنه شيء ، وهو لا يسبح بحمد الله تعالى البتَّة ، فصحَّ ضرورة أن الكافر يسبح إذ هو من جملة الأشياء التي تسبح بحمد الله تعالى ، وأن تسبيحه ليس هو قوله : (سبحان الله وبحمده) بلا شك ، ولكنه تنزيه الله تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عن أن يكون الخالق مشبها لشيء مما خلق ، وهذا يقين لا شك فيه " . اهـ . ينظر : الفصل في الملل : ١ / ٧٢ .

✍ وقد جمع ابن العربي ، والبقاعي ، والسعدي بين تسبيح الجمادات **بلسان الحال** ، **ولسان المقال** [١] .

وقال القاسمي :

" وقد وافق العلم الحديث الآن – كما قال بعض الفضلاء – على أن في الجماد أثراً في الحياة وأن ما فيه من الجواهر الفردة ودقائق المادة ليست ميتة ، بل هي عناصر حية لها صور من صور الحياة الدنيا المشاهدة في جميع أنواع المادة مثل : الجذب والدفع ، والتأثر بالمؤثرات الخارجية ، وتغير قوة التوازن ، وتجمع الدقائق على أشكال منتظمة طبقاً لتراكيب محدودة ، وإفراز مركبات كيماوية مختلفة ؛ فما يقوله العلم الجديد عن مشابهة الأجسام غير الحية للأجسام الحية يطابق تصورات الأقدمين والشعراء في ذلك " . اهـ [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) فصل ابن العربي القول في هذه المسألة وبيَّنه بياناً شافياً . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٠٤ – ٢٠٦ وينظر : نظم الدرر : ٤ / ٣٨٥ . وقد نقل أقوالا كثيرة من مزامير داود عليه السلام . ونص السعدي أن كل مخلوق من حيوان ناطق ، وغير ناطق ، ومن أشجار ، ونبات ، وجامد ، وحي وميت ﴿ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ بلسان الحال ، ولسان المقال . ينظر : تفسير السعدي : ٤٥٩ .

(٢) تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٥ . وعلى سبيل المثال ينظر : موقع د . زغلول النجار ، كتاب : (رسائل من الماء) وتحدثه عن دراسة عن الماء **وتعرضه لقوى سلبية وإيجابية ؛ وتأثره بها سلباً وإيجاباً** يظهر في شكل بلورات الماء بأشكال هندسية لها علاقة مباشرة القوى التي أثرت فيه ؛ بالرغم من أن التركيب الكيميائي للماء واحد .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ . [آية : ٤٥] .

مسألة : معنى قوله تعالى : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى الآية أن الله يحجب الكفار عن فهم القرآن ، فقال : ((﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ في معناه قولان : أحدهما : أن الله أخبر نبيه ﷺ أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شراً ، ويحجبه منهم . والآخر : أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، **وهذا أرجح** لما بعده)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **معنى قوله تعالى** : ﴿ **حِجَابًا مَّسْتُورًا** ﴾ على قولين :

القول الأوّل : أن الله أخبر نبيه ﷺ **أن يستره من الكفار** إذا أرادوا به شراً ، ويحجبه منهم ، ذهب إليه جماعة من المفسرين [(٢)] .

ويحمل على هذا **معنى لفظ الحجاب على حقيقته** ، أي مستوراً عن العيون لا يراه أحد .

واستدل له من السُّنة :

بما روي عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [(٣)] جَاءَتِ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَكَ ، فَلَوْ قُمْتَ . قَالَ : إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي . فَجَاءَتْ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٢ .

(٢) منهم : ابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، وابن عطية ، والنسفي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، وقدّمه السمين الحلبي ، والجلالين ، والشوكاني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٦ تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٦٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧١ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٩ ، الدُّر المصُون : ٤ / ٣٩٥ ، تفسير الجلالين : ٣٧٠ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣١ .

(٣) سورة المسد : ١ .

بَكْرٍ ، إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي . قَالَ : لا ، وَمَا يَقُولُ الشِّعْرَ . قَالَتْ : أَنْتَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ . وَانْصَرَفَتْ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَمْ تَرَكَ . قَالَ : لا ، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ » (١) .

وقال **كعب** ﷺ في هذه الآية : « كان النبي ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات : الآية التي في الكهف : ﴿ ... إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ... ﴾ (٢) ، والآية التي في النحل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ... ﴾ (٣) ، والآية التي في الجاثية : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ... ﴾ (٤) ، فكان النبي ﷺ إذا قرأهن يستتر من المشركين » (٥) .

قال **القرطبي** : " ويزاد إلى هذه الآي أول سورة يس إلى قوله تعالى : ﴿ ... فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٦) ، فإن في السِّيرة في هجرة النبي ﷺ ومقام علي ﷺ في فراشه قال : " وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنةً من تراب في يده ، ثم قال : أنا أقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (٧) ، إلى قوله : ﴿ ... فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٨) ، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلاَّ قد

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه [صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان بن عبد الله ، علاء الدين الفارسي ، المنعوت بالأمير : ت ٧٣٩ هـ) للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)] في كتاب التاريخ ، ذكر ما ستر الله جل وعلا صفيه ﷺ عن عين من قصده من المشركين بأذى (٦٥١١) : ١٤ / ٤٤٠ . وللحديث طريق آخر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٢٩٥ ، ٢٩٦) إلى أبي يعلى ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل ، **وذكر تصحيح ابن أبي حاتم له** .

(٢) سورة الكهف : ٥٧ .

(٣) سورة النحل : ١٠٨ .

(٤) سورة الجاثية : ٢٣ .

(٥) أورد هذا الأثر : الثعلبي والقرطبي في تفسيرهما وعزاه الثعلبي إلى الكلبي عن رجل من الشام . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٠٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧١ . **ولم أقف له على سند** .

(٦) سورة يس : ٩ .

(٧) سورة يس : ١ - ٥ .

(٨) سورة يس : ٩ .

قد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب " . اهـ [١] .

قال **ابن عطية** : " وقوله : ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ أظهر ما فيه أن يكون نعتاً للحجاب ، أي : مستوراً عن أعين الخلق ؛ لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب ، وإنما هو من قدرة الله وكفايته وإضلاله " . اهـ [٢] .

وقال **أبو حيان** :

" والظاهر إقرار ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ على موضوعه من كونه اسم مفعول أي : ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ عن أعين الكفار فلا يرونه ، أو ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ به الرسول عن رؤيتهم " . اهـ [٣] .

القول الثاني : أنه **يحجب الكفار عن فهم القرآن** ، قاله قتادة ، وابن زيد [٤] ، ومقاتل [٥] ، [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

عن قتادة وابن زيد قالا : هي الأكنة على قلوبهم [٨] .

واستدل له :

١. من اللغة : قال أهل اللغة : تأويل الحجاب : الطبع على قلوبهم [٩] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٣ / ٨ ، ٩ .
(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٦٠ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧١ .
(٣) البحر المحيط : ٦ / ٣٩ .
(٤) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٧٩ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٩٣ .
(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٥٩ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٢ .
(٧) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والخازن ، وابن القيِّم ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٠٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٧ ، الكشاف : ٢ / ٦٣٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٢ ، التفسير القيِّم : ١ / ١٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٤ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٣٦ ، روح المعاني : ١٥ / ٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٥٩ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٢ .
(٨) أخرجه ابن جرير عن قتادة وابن زيد . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٩٣ .
(٩) نسب الزَّجَّاج وابن منظور هذا القول إلى أهل اللغة ، وقاله الأزهري . ينظر : معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٢٤٢ تهذيب اللغة (مادة : ستر) : ١٢ / ٢٦٦ ، لسان العرب (مادة : ستر) : ٤ / ٣٤٣ . وينظر : برهان الزَّركشي : ٢ / ٢٨٥ .

٢. **النظائر القرآنية** : الآيات الشاهدة لهذا المعنى كثيرة :

- كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ . [سورة فصلت : ٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٧] .
- وقوله : ﴿ ... إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا ... ﴾ . [سورة الكهف : ٥٧] . (١)

٣. **القرينة القرآنية** : قوله تعالى بعدها : ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٤٦] . (٢)

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كلا القولين صحيحٌ في ذاته ، وأن كلَّ واحدٍ منهما يحكى حالات معينة** ، قال بذلك الثعالبي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٣) ، ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾ :

✓ أن الله أخبر نبيه ﷺ أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شراً ، ويحجبه منهم .

✓ أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن .

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : جواز إطلاق الحجاب على ما يصلح للمعنيين ؛ إما للحمل على حقيقة اللفظ ، وحقيقة الحجاب : الساتر الذي يحجب البصر عن رؤية ما وراءه ، وإما للحمل على ما له نظير في القرآن .

ويشهد لذلك ما نقله **الجمل** فى حاشيته على الجلالين فقد قال – رحمه الله – : قوله :

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ١٥٩ .
(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٢ .
(٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٧ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ٣٦٤ .

" ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ، أى : ساتراً لك عنهم فلا يرونك وهذا بالنسبة لبعضهم ، كان يحجب بصره عن رؤية النبى ﷺ إذا أراده بمكروه وهو يقرأ القرآن ، وبعضهم كان يحجب قلبه عن إدراك معانى القرآن .. وبعضهم كان ينفر عند قراءة القرآن " . اهـ [١] .

ثانياً : التفسير بواقع الحال ، فقد ثبت حمايته ﷻ له ﷺ وستره عن أعين المشركين في كتب السِّيرة ، كما أن الله قد حجب فهم القرآن عن الكفار كما جاء في النظائر القرآنية للآية .

قال **الثعالبي** : " يحتمل أن يريد به حماية نبيِّه منهم وقت قراءته وصلاته بالمسجد الحرام كما هو معلوم مشهور ، ويحتمل أنه أراد أنه جعل بين فهم الكفرة وبين فهم ما يقرأه ﷺ حجاباً فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها " . اهـ [٢] .

ثالثاً : جمع بين القولين جماعة من المفسرين [٣] ، مما يدل على صحة كل منهما .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين : ٢ / ٢٦٨ . بتصرف وتلخيص . نقلاً عن الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي (٨ / ٣٦٤) .

(٢) تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٧ .

(٣) قال بالقولين من غير ترجيح : النحاس ، والسمر قندي ، والماوردي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والنيسابوري ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٣١٣ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٤٦ ، زاد المسير : ٥ / ٤١ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٧٦ ، ١٧٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٥ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١١٦ ، أضواء البيان : ٣ / ١٥٩ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ... ﴾ . [آية : ٥٢] .

مسألة : في معنى ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : حامدين له ، فقال :

((و ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : حامدين له . وقيل : معنى بحمده : بأمره)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معنى ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ : **بأمره** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، وابن جريج [٣] ، ومقاتل [٤] ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٥] .

وقال قتادة : بمعرفته وطاعته [٦] .

قال الزَّجَّاج : " أي : تستجيبون مقرِّين أنه خالقكم " [٧] .

قال ابن عادل : " لأنَّهم لما أجابوه بالتَّسبيح والتَّحميد ، كان ذلك معرفة منهم وطاعة ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٣ .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسير (١٥ / ١٠١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٠٠) إلى ابن أبي حاتم . وينظر : تنوير المقباس : ٢٣٨ .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير (١٥ / ١٠١) ، ونسبه الماوردي إليه . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٤٩ .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٦٠ .
(٥) منهم : النحاس ، والسمر قندي ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل ، وابن كثير ، والجلالين . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣١٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٦٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٠٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٦ ، تفسير الجلالين : ٣٧١ .
(٦) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٠١ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٠١ .
(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٢٤٥ . وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٦٥ .

ولكنَّهم لا ينفعهم ذلك في ذلك اليوم " [١] .

وتعقَّب ابن عطية أقوال السلف فقال :

" وهذا كله تفسير لا يعطيه اللَّفظ ، ولا شك أن جميع ذلك بأمر الله تعالى " . اهـ [٢] .

القول الثاني : معنى ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ : **بقدرته ، و بدعائه إياكم** ، **رجَّحه** الطبري ، و**صحَّحه** القرطبي [٣] .

قالوا : لأن " النفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور ، وبالحقيقة إنما هو خروج الخلق بدعوة الحق " [٤] .

قال **الطبري** في معناه : " ولله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله . يعني : لله الحمد عن كل ما فعلته ، وكما قال الشاعر [٥] :

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

بمعنى : فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست " . اهـ [٦] .

ومعنى كلام الطبري : أي أخطأت والحمد لله .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** : وذكر أن هذا معنى متكلفٌ نحا إليه الطبري ؛ وأن ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ هو اعتراض بين المتعاطفين ؛ إذ معناه : والحمد لله . كما أن (فإني والحمد لله) في قول الشاعر اعتراض بين اسم (إن) وخبرها [٧] .

---

(١) تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٠٩ .
(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٦٣ .
(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٠١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧٦ .
(٤) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٧٦ .
(٥) نسبه الدينوري وجماعة إلى غيلان بن سلمة . ينظر : المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي (ت ٣٣٣هـ) : ٥١٣ .
(٦) تفسير الطبري : ١٥ / ١٠١ .
(٧) البحر المحيط : ٦ / ٤٦ .

✖ **وتعقَّبه السمين الحلبي** فقال : " وفيه قَلَقٌ " [١] .

✍ وعلى القولين الأوَّل والثاني : يكون ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ متعلقة بـــ ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ ، جوَّزه العكبري [٢] .

القول الثالث : أن ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ في موضع الحال ؛ **أي : حامدين له** ، قاله العكبري [٣] ، **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة المفسرين [٥] . [٦]

قال سعيد بن جبير : يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤوسهم ، ويقولون : سبحانك وبحمدك [٧].

قال الزمخشري : " وهي مبالغة في انقيادهم للبعث ، كقولك لمن تأمره بركوب ما يشقّ عليه فيتأبى ويتمنع : ستركبه وأنت حامد شاكر ، يعني : أنك تحمل عليه وتعتسر قسراً حتى أنك تلين لين المسمح الرَّاغب فيه الحامد عليه " اهـــ [٨] .

وهذا يذكر في معرض التهديد [٩] .

---

(١) الدر المصون : ٤ / ٣٩٩ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٢٤ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٣ .

(٥) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والزَّمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي في زاد المسير (و **رجَّحه** في تذكرة الأريب في تفسير الغريب) ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٤٨ ، الكشاف : ٢ / ٦٢٨ ، زد المسير : ٥ / ٤٥ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ١ / ٣٠٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٥٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٥ ، الدر المصون : ٤ / ٣٩٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٧٨ ، فتح القدير : ٣ / ٢٣٤ ، روح المعاني : ١٥ / ٩٣ ، تفسير السعدي : ٤٦٠ ، الظلال : ٤ / ٢٢٣٣ ، ٢٢٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٣٠ ، الوسيط : ٨ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٦) قال بالأقوال من غير أن يرجح : الفخر الرازي ، والخطيب الشربيني . ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٨١ ، السراج المنير : ٢ / ٣٤٨ .

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٠١ .

(٨) الكشاف : ٢ / ٦٢٨ .

(٩) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٨١ .

واستدل على ذلك بما يلي :

١. **النظير القرآني :** ﴿ ... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾ . [سورة الإسراء : 44] .
أي : حامدين له .

٢. **من السُّنة :**

عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « وليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم ، وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : ﴿ ... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ... ﴾ [١] » [٢] .

الـترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : حامدين له وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : الحمد اللفظي لغة : الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم [٣] .
وعلى هذا يحمل قوله تعالى : ﴿ **بِحَمْدِهِۦ** ﴾ على حقيقته ؛ أي :حامدين له .

ثانياً : يؤيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :
يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة ما لم يصرفها قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة فاطر : ٣٤ .
(٢) أخرجه أبو القاسم ، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) في المعجم الأوسط في باب الياء / من اسمه يعقوب (٩٤٧٨) : ٩ / ١٨١ . قال العجلوني : رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب **بسند ضعيف** .
ينظر : كشف الخفاء للعجلوني : ٢ / ٢٢٢ .
(٣) ينظر : تهذيب الأسماء للنووي : ٣ / ٦٦ ، فتح القدير للشوكاني : ١ / ١٩ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٣ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ . [آية : ٧٨] .

مسألة : في أوجه إعراب قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ منصوب بالعطف على موضع اللام في قوله : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى : علم ، فقال : ((وانتصب ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ بالعطف على موضع اللام في قوله : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى : علم ، وقيل : هو عطف على الصلاة . وقيل : مفعول بفعل مضمر تقديره : اقرأ قرآن الفجر)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ ثلاثة أوجه :

الوجه الأوَّل : أنه **منصوب بالعطف على ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾** ، قاله جماعة من أهل اللغة [٢] ، **وجمهور** [٣] **القراء والمفسرين** [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٧ .

(٢) منهم : الفَرَّاء ، والأزهري ، وابن سيده ، وابن منظور . ينظر معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١٠٨ ، (مادة : دلك) في تهذيب اللغة : ١٠ / ٦٩ ، لسان العرب : ١٠ / ٤٢٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ١٥٥ .

(٣) نسب الآلوسي والطاهر بن عاشور هذا القول إلى جمهور المفسرين ، ونسبه الآلوسي أيضاً إلى جمهور القراء . ينظر : روح المعاني : ١٥ / ١٣٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٣ .

(٤) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، و **صحَّحه** ابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٣٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٢٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٧٨ ، زاد المسير : ٥ / ٧٣ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٦٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٤١٥ ، السراج المنير : ٢ / ٣٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٣ ، الوسيط : ٨ / ٤٠٩ . وينظر : تحفة الأحوذي للمباركفوري : ٨ / ٤٥٢ .

ويستدل لهذا الوجه :

١. بما أجمع عليه **اللغويون والمفسرون** على أن **التقدير : وأقم قرآن الفجرِ** ، عطفاً على الصلاة ؛ حتى تدخل الصلوات الخمس في هذه الآية [١] .

قال الأزهري :

" والذي هو أَشْبَهُ بالحقِّ في قول الله جل وعز : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ... ﴾ . الآية . أَنَّ دُلُوكَها : زَوَالُهَا نصفَ النَّهَارِ حتى تكون الآيةُ مُنْتَظمةً للصَّلوات الخمسِ ، المعنى – والله أَعْلم – : أَقِمِ الصَّلاةَ يا محمَّدُ ، أي : أدِمها في وقت زَوَال الشَّمْس إلى غَسَقِ اللَّيْل ، فيدْخُل فيها صلاتَا العَشيِّ ، وهما الظُّهْرُ والعَصْرُ ، وصلاتَا العِشَاء في غَسَقِ اللَّيْل فهذه أربعُ صَلوَاتٍ ، والخامسةُ قوله جلّ وعزّ : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ . **أَيْ : وأَقِمْ صلاةَ الفَجْر** ، فَهَذِه خَمْسُ صُلواتٍ فُرضتْ على مُحمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ . وإذا جعلْتَ الدُّلُوكَ غروبَ الشَّمْسِ كانَ الأمْرُ في هذه الآيةِ مَقْصُوراً على ثلاثِ صَلَوَاتٍ " . اهـ [٢] .

قال الفخر الرازي : " وحمل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أوْلى ، فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال " . اهـ [٣] .

٢. بما قاله **القراء** بعطفه على الصلاة :

قال **زكريا الأنصاري** : " والأجود الوقف على ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ لأنه معطوف على الصلاة ". اهـ [٤] .

---

(١) وذلك على أن المراد **بالدلوك** : زوال الشمس لا غروبها ، وهو قول أكثر السَّلف ، وهو الصواب . و ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ هو صلاة الصبح ، سميت قرآناً لأنه ركنها ، كما سميت ركوعاً وسجوداً ، فهو من تسمية الكل باسم جزئه المهم . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ك د ل) : ١٠ / ٦٩ ، و (مادة : دلك) في : لسان العرب : ١٠ / ٤٢٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ١٥٥ . وينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الفقه : ٢١ / ٤٣٥ ، ٢٢ / ٥٥١ ، الإبهاج في شرح المنهاج للسُّبكي : ١ / ٤٢ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٨٢ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (مادة : د ل ك) : ١٠ / ٦٩ .

(٣) التفسير الكبير : ٢١ / ٢٣ .

(٤) المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لزكريا بن محمد الأنصاري : ٤٥٦ .

وزكريا الأنصاري هو : زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي ، أبو يحيى : شيخ الاسلام قاض مفسر ، من حفاظ الحديث ، وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ . ت سنة ٩٢٦هـ . ينظر : الضوء اللامع : =

الوجه الثاني : أنه **منصوبٌ على الإغراء** ، أي : **وعليك قرآن الفجرِ** ، كذا قدَّره الأخفش [١] ، وتبعه أبو البقاء [٢] ، وجوَّزه الطاهر ابن عاشور [٣] .

✖ **ورُدَّ هذا الوجه** : لأن أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة [٤] .

الوجه الثالث : أنه **منصوب بإضمار فعلٍ** ، أي : اقرأ قرآن الفجر ، قاله مكي [٥] ، وابن عطية [٦] . [٧]

الوجه الرابع : أنه **منصوب بالعطف على موضع اللام** في قوله : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى : علم ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] .

✖ **ولم أجد أحداً من اللغوين أو المفسرين ذهب إلى ما قاله ابن جُزيّ في حدود ما وقفت عليه ؛ مما يرجِّح ضعفه .**

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ عطف على ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، والتقدير : وأقم قرآن الفجرِ ، وحينئذٍ تدخل الصلوات الخمس في هذه الآية ، وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

= ٣ / ٢٣٤ ، البدر الطالع : ١ / ٢٥٢ ، الأعلام : ٣ / ٤٦ .

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٦١٥ .

(٢) قال أبو البقاء بالوجهين الأوَّل والثاني . ينظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري :٢ / ٨٣٠ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٣ .

(٤) وهو قول البصريين ، ولا تعملُ مضمرةً أي : بأن تحذف ويبقى معمولها ، وهو الأصحُّ ، قاله السيوطي . وجوَّز الكسائي أن يتصرف فيها بتقدم معمولها عليها إجراء لها مجرى أصولها . وجوز ابن مالك إعمالها مضمرة . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٥٩ ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧ هـ) : ١ / ٤٣٤ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٧٨ .

(٧) ذكر السمين الحلبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني الأوجه الثلاثة الأوَّلى من غير ترجيح . ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٥٩ ، السراج المنير : ٢ / ٣٦٣ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٧ .

أولاً : إجماع جمهور القراء والمفسرين على ذلك .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **التقدير الموافق لغرض الآية** [١] **وأدلة الشرع مقدم على غيره** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦٣٤ .

(٢) والأصح : التقدير الموافق لدلالة الآية ومقصودها .

قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ . [آية : ٨٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ : قوَّة ورياسة تنصرني بها على الأعداء ، فقال : ((قيل : معناه حجَّة تنصرني بها وتظهر بها صدقي . وقيل : قوَّة ورياسة تنصرني بها على الأعداء ، **وهذا أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **حجَّة** تنصرني بها وتظهر بها صدقي ، قاله مجاهد [٢] ، **وابن فارس** [٣] وذهب إليه جماعة من المفسرين [٤] .

القول الثاني : قوَّة ورياسة تنصرني بها على الأعداء ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] ، وهو **أشهر** الأقوال [٧] .

قال الحسن البصري في تفسيرها : وعده ربه ليتزعنَّ مُلك فارس وعزَّ فارس ؛ وليجعلنَّه له

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٧ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٦٨ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥١) .

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة (مادة : سلط) : ٣ / ٩٥ .

(٤) منهم : النحاس ، وحكاه ابن أبي زمنين والثعالبي عن مجاهد ، والخازن ، وابن تيمية ، والشوكاني ، والسعدي . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٣٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٧٩ ، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير : ١٣ / ١٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٩٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٥٢ ، تفسير السعدي : ٤٦٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٧ .

(٦) منهم : الطبري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وابن كثير ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥١ ، زاد المسير : ٥ / ٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٠ ، تفسير الجلالين : ٣٧٥ ، السراج المنير : ٢ / ٣٦٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٧٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢٤٧ .

(٧) قاله المباركفوري ، ينظر : تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٥٦ .

ومُلك الروم وعزَّ الرُّوم ؛ وليجعلنَّه له [١] .

وقال قتادة : إن نبي الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله ؛ فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم [٢] .

ويستدل على ذلك :

١. دلالة السِّياق :

جاء قوله تعالى : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ " عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة ؛ فأعلمه الله ﷻ أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [٣] . ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق ، ويدخله بلدة غيرها بمدخل صدق ، وأن يجعل له سلطاناً نصيراً على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها ، وعلى كل من كان لهم شبيهاً " [٤] .

.

٢. **بالواقع** ، كما قال ابن كثير :

" وهو الأرجح لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ ... ﴾ [٥] . الآية . وعن عمر بن الخطاب ﷺ : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » [٦] . أي : ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن ، وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع " . اهـ [٧] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٠) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥١) . وقال السيوطي : أخرجه الحاكم و**صحَّحه** ، والبيهقي في الدلائل . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٣) سورة الإسراء : ٧٦ .

(٤) تفسير الطبري : ١٥ / ١٥١ .

(٥) سورة الحديد :٢٥ .

(٦) عزاه السيوطي إلى الخطيب . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٢٩ . وينظر : كنز العمال : ٥ / ٢٩٩ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٠ .

ورسول الله ﷺ كان يمتلك الحجَّة البيِّنة ، وتلك آيات القرآن تتنزل عليه وأعْظِمها من حجة لكن واقع عناد الكفر يحتاج إلى قوة وعز وغلبة ليُقهر طغيانه .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الأقوال** (١) **كلها محتملة** (٢) **، أي أن المراد بالسلطان النصير : الحجَّة البيِّنة ، والقوَّة والرياسة التي ينصر الله بها نبيه ﷺ على الأعداء ؛ والملك العزيز ،** يدل على ذلك **ما يلي :**

أولاً : احتمال اللغة (٣) لجميع الأقوال :

فللسلطان لغة : " اسم مصدر يطلق على السُّلطة وعلى الحجَّة وعلى المُلك . وهو في هذا المقام كلمة جامعة ؛ على طريقة استعمال المشترك في معانيه أو هو من عموم المشترك ، تشمل أن يجعل له الله تأييداً وحجَّة وغلبة ومُلكاً عظيماً ، وقد آتاه الله ذلك كله ، فنصره على أعدائه ، وسخر له ذلك بنهوض حجَّته وظهور دلائل صدقه ، ونصره بالرعب " (٤) ، واستجاب له ذلك في حياته وتَّممه بعد وفاته :

- بقوله تعالى : ﴿ ... فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٥٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٦٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ... ﴾ . [سورة التوبة : ٣٣] .

---

(١) قال بالقولين من غير ترجيح من المفسرين : الواحدي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وأبو السعود ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٤٣ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٧٩ ، نظم الدرر : ٤ / ٤١٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٠ ، الوسيط : ٨ / ٤١٢ ، ٤١٣ .

(٢) قال بذلك جماعة من المفسرين منهم : أبو حيان ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٧٢ ، روح المعاني : ١٥ / ١٤٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٧ .

(٣) اشتقاقُ السُّلْطان من السَّلِيط ، قال : و **السَّلِيط** هو ما يُضاءُ به ، ومن هذا قيل للزَّيْت : السَّلِيط . والسلطان الحجَّة . وقال الليث : السلطان قدرة الملك . ينظر : (مادة : سلط) في : العين : ٧ / ٢١٣ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١٢ / ٢٣٥ ، لسان العرب : ٧ / ٣٢١ ، تاج العروس : ١٩ / ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٥ / ١٨٧ . بتصرف يسير .

- وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ... ﴾ .

[سورة النور : ٥٥] .

ووعد ليترعنّ مُلك فارس والرُّوم ، فيجعله له [١] .

قال الآلوسي : " والحق أن المراد من السلطان كل ما يفيده الغلبة على أعداء الله تعالى وظهور دينه جل شأنه " . اهـ [٢] .

ثانياً : من جملة ما قيل عن المراد بالسلطان : **ملكاً عزيزاً** . والملك العزيز : هو المؤيد بالقدرة والحجَّة [٣] ؛ فلم يكن ﷺ ملكاً ولا مالكاً .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٤٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٣ .

(٢) روح المعاني : ١٥ / ١٤٤ .

(٣) نقله السمعاني وجماعة من المفسرين من جملة الأقوال في الآية . ينظر : تفسير السمعاني :٣ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ . [آية : ٨٥] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا : هو الذي في الجسم ، فقال : ((والروح هنا عند الجمهور : هو الذي في الجسم . وقد يقال فيه : النفس . وقيل : الروح هنا جبريل . وقيل : القرآن . **والأوَّل هو الصواب** ؛ لدلالة ما بعده على ذلك)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾** [٢] على أقوال منها :

القول الأوَّل : الروح هنا **هو الذي في الجسم** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٨ .

(٢) يعتبر لفظ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ من الألفاظ التي تحمل معاني متعددة ؛ وهذا من باب الوجوه والنظائر ، لقد ذكر أهل التفسير للروح ثمانية معانٍ متعددة ذكرتها سابقاً فيما تقدم من البحث . ينظر : ص ٣٢٠ ، ٣٢١ . وقال الشوكاني : " وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين فى الروح بلغت إلى ثمانية عشر مائة قول ؛ فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ، و لم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته ؛ فضلا عن أممهم المقتدين بهم " . اهـ . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٢٥٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٧٨ .

(٤) نسب الزمخشري ، والنسفي ، وابن جُزيّ وأغلب المفسرين هذا القول إلى الجمهور . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٤٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٨ ، التسهيل : ٢ / ١٧٨ .

(٥) منهم : الجصاص ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، و **صوَّبه** ابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، و **صحَّحه** الخازن ، و **استظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، و **استظهره** الآلوسي ، وسيد قطب ، والطاهر ابن عاشور . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٣٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٣٥ ، الكشاف : ٢ / ٦٤٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨١ ، زاد المسير : =

وهذا المعنى هو الذي في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ... ﴾ . [سورة ص : 72] . (١)

قال ابن عطية : " فـ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ اسم جنس على هذا ، وهذا هو الصواب وهو المشكل الذي لا تفسير له " (٢) .

وقال الآلوسي : " الظاهر عند المنصف أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدار البدن الانساني ومبدأ حياته ؛ لأن ذلك من أدق الأمور التي لا يسع أحداً إنكارها ، ويشرئب كل إلى معرفتها ، وتتوفر دواعي العقلاء إليها ، وتكل الأذهان عنها ، ولا تكاد تعلم إلا بوحي " . اهـ (٣) .

✖ **واعترض ابن القيِّم على قول الجمهور** فقال :

" ومعلوم أنهم إنما سألوه عن أمر لا يعرف إلا بالوحي ، وذلك هو الروح الذي عند الله لا يعلمها الناس ، وأما أرواح بنى آدم فليست من الغيب ، وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل وغيرهم ؛ فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة " . اهـ (٤) .

القول الثاني : الروح **النفس** (٥) .

القول الثالث : الروح **خلق من خلق الله تعالى ، وصورهم على صورة بني آدم** ، وهو

= ٥ / ٨٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٣٠ ، ٣١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٢٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٤ تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٧٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٢ نظم الدرر : ٤ / ٤٢٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٤٩٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٧٦ ، تفسير الجلالين : ٣٧٥ تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٥٤ ، روح المعاني : ١٥ / ١٥١ ، الظلال : ٤ / ٢٢٤٩ التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٧ . **ورجَّحه ابن حجر** ، ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٠٣ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٦ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨١ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٧٤ .

(٣) روح المعاني : ١٥ / ١٥١ . وينظر قبله : تفسير أبو السعود : ٥ / ١٩٢ .

(٤) الروح لابن القيِّم : ١ / ١٥ .

(٥) اختلف الناس هل الروح النفس أم هما شيئان ؟ قال ابن الجوزي : " فلا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان على شيء من ذلك ، وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة ، فأما السلف فإنهم أمسكوا عن ذلك لقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا ، والوحي يتزل والرسول حي علموا أن السكوت عمَّا لم يحط بحقيقة علمه أوْلى " . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٢ .

مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ [١] ، وقاله ابن القيِّم [٢] .

وتعقَّبه :

- **ابن عطية** فقال : " وهذا قول ضعيف لم يأت به سند " [٣] .
- و**الفخر الرازي** فقال : " ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به في إثبات هذا القول ، وأيضاً فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه " . اهـ [٤] .
- وكذا **ابن حجر** فقال : " ولا دلالة في ذلك لما رجَّحه " [٥] .

القول الرابع : الروح هنا **جبريل** عليه السلام ، وكان ابن عباس ﷺ يكتمه ، قاله الحسن وقتادة [٦] . ويكتمه : أي يجعله من المكتوم الذي لا يفسر [٧] .

القول الخامس : الروح **الوحي بالقرآن** ، قاله الحسن البصري [٨] ، و**رجَّحه** القاسمي [٩] ، ، و**استحسنه** الآلوسي [١٠] .

واستدل له بما يلي :

١. إن الله تعالى سمَّى القرآن في هذه الآية ، وفي كثيرٍ من الآيات روحًا :

---

(١) عزاه السيوطي إلى آدم بن أبي أياس ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ١٠٩ . ونسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣ ، زاد المسير : ٥ / ٨٢ .

(٢) ينظر : الرُّوح لابن القيِّم : ١ / ١٥ .

(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٣٧٨ .

(٤) التفسير الكبير : ٢١ / ٣٣ .

(٥) فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٠٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير عن قتادة ، وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة والحسن . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٦ ، تفسير الصنعاني : ٢ / ٣٨٨ . ونسبه إليهما غير واحد من المفسرين .

(٧) قاله السمر قندي . ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٧ .

(٨) نسبه ابن الجوزي والزَّركشي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٢ ، البرهان : ٤ / ٤٥ .

(٩) ينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٩٤ .

(١٠) ينظر : روح المعاني : ١٥ / ١٥٣ .

- قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَا ... ﴾ [١] .
- وقال تعالى : ﴿ ... يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ... ﴾ [٢] .

" فكانوا إذا سمعوا الروح ، وصدعوا بالإيمان به يتعنتون في السؤال عنه استبعاداً لأن يكون من لدنه سبحانه ، ولأن يكون بشر مثله مبعوثاً بأمره تعالى أن يبين لهم أنه وحيٌ أوحاه الله وأنه روح من لدنه ، وإلقاء من أمره " [٣] .

دلالة السِّياق القرآني : وتقدم قبله قوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ... ﴾ [٤] . " لأن القرآن تحصل به حياة الأرواح والعقول ؛ لأنَّ به تحصل معرفة معرفة الله تعالى ، ومعرفة ملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والأرواح إنَّما يحصلُ إحياؤها بهذه المعارف " [٥] .

وقال بعده : ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ... ﴾ [٦] . إلى قوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨ ﴾ [٧] .

" فلما كان ما قبل هذه الآية في وصف القرآن ، وما بعدها كذلك ، وجب أن يكون المراد بالروح القرآن ؛ حتَّى تكون آيات القرآن كلها متناسبة ؛ لأن القوم استعظموا أمر القرآن ، فسألوا : هل هو من جنس الشِّعر ، أو من جنس الكهانة ؟ فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر ، وإنما هو كلامٌ ظهر بأمر الله ، ووحيه ، وتتريله ، فقال : ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ ، أي : القرآن إنما ظهر بأمر الله ربِّي ، وليس من جنس كلامِ البشر " [٨] .

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ .
(٢) سورة غافر : ١٥ .
(٣) تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٩٥ .
(٤) سورة الإسراء : ٨٢ .
(٥) تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٧٥ .
(٦) سورة الإسراء : ٨٦ .
(٧) سورة الإسراء : ٨٨ .
(٨) حكاه الفخر الرازي وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٣١ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٧٥ . واستدل به القاسمي ، ينظر : تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

٢. النظير القرآني :

قال القاسمي : " قوله تعالى : ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ ... ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ [٢] . أي : بعضهم ينكره وبعضهم يتردد في صحته . وذلك لأنهم قوم جاهليون لا عهد لهم بالعلوم والمعارف ؛ فضلاً عن الوحي وخصائص النبوة للأمية والجهالة الفاشيتين فيهم . كما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي مما تناله مشاعركم وتصل إليه فطنكم ، وما هو في جنب معلومات لا تحصى إلا كالقطرة من البحر والذرة من الكثيب . **والقاعدة أن القرآن متجاوب الأطراف ، يفسر بعضه بعضاً .**

وجميع ما ذكره المتقدمون غير ما ذكرناه ؛ جريٌ مع ما يحتمله نظم الآية الكريمة " . اهـ [٣] .

✖ **واعتُرض على هذا القول** بأنه : " قد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن ؛ فغالب الظن أن الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به ، وظنوه مثله ، وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم " [٤] .

❖ **ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم :** السمر قندي ، والثعلبي ، والعز بن عبد السلام ، والخطيب الشربيني [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا هو الذي في الجسم ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه الجمهور ، وهو ما ترتاح إليه النفس ؛** إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : رجَّح الطاهر بن عاشور هذا القول بأن المراد بـــ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا هو الذي في الجسم

---

(١) سورة يونس عليه السلام : 53 .
(٢) سورة النبأ : ١- ٣ .
(٣) تفسير القاسمي : ١٠ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
(٤) هذا قول أبي سليمان الدمشقي ؛ نقله ابن الجوزي عنه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٢ . بتصرف يسير .
(٥) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٢٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٣٠ ، ١٣١ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٢٩ ، السراج المنير : ٢ / ٣٧٠ ، ٣٧١ .

بالروح الواردة في كتب اليهود السائلين عن الروح كما ثبت في الحديث الصحيح في سبب النزول [١] ، فهذا المعنى هو الوحيد الوارد في التوراة .

قال الطاهر بن عاشور : " إن الروح الذي في الجسم هو الأمر المشكل الذي لم تتضح حقيقته ، وأما الروح بمعنى جبريل عليه السلام فيشبه أن يكون السؤال عنه سؤالاً عن معنى مصطلح قرآني . وقد ثبت أن اليهود سألوا عن الروح ، ومرادهم الروح التي في الجسم ؛ لأنه هو الوارد في أول كتابهم وهو سفر التكوين من التوراة لقوله في الإصحاح الأوَّل : (وروح الله يرف على وجه المياه [٢]) [٣] . وليس الروح بالمعاني الأخرى بوارد في كتبهم " . اهـ [٤] .

ثانياً : على قول الجمهور هذا يكون قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ ورد **معترضاً دلالة على خسار الظالمين وضلالهم** ، وأنهم مشتغلون عن تدبر الكتاب والانتفاع به إلى التعنت بسؤال ما اقتضت الحكمة سد طريق معرفته [٥] .

---

(١) أخرج الشيخان – واللفظ للبخاري – عن عبد اللَّهِ رضي الله عنه قال : « بَيْنَا أنا أَمْشِي مع النبي ﷺ في خَرِبِ الْمَدِينَةِ وهو يَتَوَكَّأُ على عَسِيبٍ معه ؛ فَمَرَّ بنَفَرٍ من الْيَهُودِ ؛ فقال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عن الرُّوحِ . وقال بَعْضُهُمْ : لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فيه بشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . فقال بَعْضُهُمْ : لَنَسْأَلَنَّهُ . فَقَامَ رَجُلٌ منهم ؛ فقال : يا أَبَا الْقَاسِمِ ما الرُّوحُ ؟ فَسَكَتَ . فقلت : إنه يُوحَى إليه . فَقُمْتُ ، فلما انْجَلَى عنه فقال : (وَيَسْأَلُونَكَ عن الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ من أَمْرِ رَبِّي وما أوتوا من الْعِلْمِ إلا قَلِيلًا) . قال الْأَعْمَشُ : هَكَذَا في قِرَاءَتِنَا . ينظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٢٥) : ١ / ٥٨ ، صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، لبب سُؤَالِ الْيَهُودِ النبي ﷺ عن الرُّوحِ (٢٧٩٤) : ٤ / ٢١٥٢ .
وأخرج الطبري عن عبد الله بزيادة : « فقالت اليهود : هكذا نجده عندنا » . وأخرج أيضاً من طريق العوفي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في هذه القصة : أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا ما الروح ؟ وكيف يعذب الروح في الجسد وإنما الروح من الله عز وجل ؟ ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يحر إليهم شيئاً ؛ فأتاه جبرائيل عليه السلام بهذه الآية . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٦ .

(٢) ينظر : الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح الأوَّل : ١ – ١ . موقع :
ST-TAKLA.ORG/PUB_OLDTEST/ARABIC-OLD-TESTAMENT-BOOKS/-

(٣) قال صالح الهاشمي : " انظر – عافاك الله – إلى سوء هذا التعبير وسماجته ، كأنهم يعتقدون أن حياة الباري تزايله وتفارق ذاته " . ينظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري الهاشمي : ٣ / ٦٥ .
وينظر : الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه مقدمة من الطالب : عبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري المعيد بكلية الشريعة – جامعة الكويت : ٥٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٧ . بتصرف يسير .

(٥) روح المعاني : ١٥ / ١٥٣ . بتصرف يسير .

ولا يكون المراد بـــ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا الوحي بالقرآن لقول جمهور المفسرين أن المراد الروح التي في البدن ؛ **وجملة ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ مستأنفة** [١] ، والواو استئنافية ؛ فلا يتعلق الكلام بما قبله وما بعده ؛ فهذه الجملة معترضة لبيان تعنت المتعنتين .

" وإنما سأل اليهود تعجيزاً وتغليظاً ؛ إذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان ، والقرآن ، وعيسى عليه السلام ، وجبريل عليه السلام ، وملك آخر ، وصنف من الملائكة ؛ فقصد اليهود أن يسألوه – أي : الرسول ﷺ – ؛ فبأي مسمى أجابهم قالوا : ليس هو . فجاءهم الجواب مجملاً ، وكان هذا الإجمال كيداً يرد به كيدهم " [٢] .

ثالثاً : لدلالة ما بعده على ذلك [٣] ، وهو قوله تعالى : ﴿ ... قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [٤] . فالروح مما استأثر الله بعلمه [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡

المسألة الثانية : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب عامٌّ لجميع الناس ؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله ، فقال : ((خطاب عامٌّ لجميع الناس ؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله . وقيل : خطاب لليهود خاصة . **والأوّل أظهر** ؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح)) . اهـــ [٦] .

---

(١) ينظر : مشكل إعراب القرآن للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الخراط : ٢٩٠ .
(٢) أورد الزَّركشي والسيوطي هذا القول . ينظر : برهان الزَّركشي : ٤ : ٤٤ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٥٧٥ .
(٣) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٨ .
(٤) سورة الإسراء : ٨٥ .
(٥) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٢ .
(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٨ .

الدراسة :

اختلف المفسرون **لمن الخطاب في قوله تعالى :** ﴿ **وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : الخطاب عام لجميع الناس ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

واستدل له من السُّنة بما يلي :

١. عن عطاء بن يسار قال : « نزلت بمكة ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود ؛ فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ أفعنيتنا أم قومك ؟ قال : كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ . قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء . فقال رسول الله ﷺ : هي في علم الله قليل ، وقد آتاكم الله ما عملتم به انتفعتم . فأنزل الله : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ . [سورة لقمان : ٢٧ ، ٢٨] . » [٣] .

٢. وعن ابن جريج في قوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ قال : يا محمد والناس أجمعون [٤] .

قال ابن عطية : " وهذا هو الصَّحيح لأن قوله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ ﴾ إنما هو أمر بالقول لجميع العالم ؛ إذ كذلك هي أقواله كلها " . اهـ [٥] .

---

(١) ينظر : المرجع السابق .

(٢) منهم : الطبري ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٧ ، الكشاف : ٢ / ٦٤٥ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٤٤ ، ٤٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٢٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٩٨ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٨١ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٧) . وعزاه السيوطي إلى ابن إسحاق أيضاً . ينظر : الدر المنثور : = = ٥ / ٣٣٣ . قال العراقي : الحديث غير صحيح .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٧) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٣٣ .

(٥) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨٢ . وينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٨ .

القول الثاني : الخطاب **لطائفة من اليهود** ، وهم الذين سألوا عن الروح ، قاله أبو حيان [١] .

ويقوي هذا القول قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ والأعمش : (وما أوتوا) [٢] – بضمير الغيبة – عائداً على السائلين .

القول الثالث : الخطاب **لليهود بجملتهم** ، قاله مجاهد [٣] ، وقتادة [٤] ، ومقاتل [٥] ، والأكثرون [٦] . [٧]

القول الرابع : الخطاب **لأهل الكتاب** ، قاله عبد الله بن مسعود ﷺ [٨] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ خرج خطاباً لمن خوطب به والمراد به جميع الخلق ؛ لأن علم كل أحد سوى الله وإن كثر في علم الله قليل ، وقد رجّحه غير واحد من المفسرين** [٩] **؛ وهو قريب مما ذهب إليه ابن**

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٧٤ .

(٢) هذه **القراءة بالغة الشذوذ** . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٦١ . ولم أجدها في مختصر ابن خالويه ، ولا محتسب ابن جني ، وقد أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٢٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٧٤ . وهي قراءة تفسيرية تحمل على التفسير .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٦٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٥٧) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٣٣ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٧٠ .

(٦) نسب ابن الجوزي وابن عادل هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٨٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٨٠ .

(٧) ومنهم : النحاس ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٩١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٩ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٧١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٦ ، زاد المسير : ٥ / ٨٢ .

(٨) أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن زياد أنه بلغه أن رجلين اختلفا في هذه الآية ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ فقال أحدهما : إنما أريد بها أهل الكتاب . وقال الآخر : بل إنه محمد ﷺ . فانطلق أحدهما إلى ابن مسعود ﷺ فسأله ، فقال : ألست تقرأ سورة البقرة ؟ فقال : بلى . فقال : وأي العلم ليس في سورة البقرة ! إنما أريد بها أهل الكتاب . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٣٢ .

(٩) ومنهم : الطبري ، والبقاعي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٢١ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٨ .

ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : لأنه سبحانه لما ضمَّ غير المخاطب إلى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة ؛ لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب أخرجوا الكلام خطاباً للجمع [١] .

قال البقاعي :

" والخطاب لليهود والعرب ، أما العرب فواضح ، وأما اليهود فإنهم وإن كانوا أهل الكتاب فذلك إشارة إلى تلاشي علمهم في جنب علم الله " . اهـ [٢] .

وقال الطاهر بن عاشور :

" وجملة : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ يجوز أن تكون مما أمَر الله رسولَه أن يقوله للسائلين ؛ فيكون الخطاب لقريش أو لليهود الذين لقنوهم ، ويجوز أن يكون تذييلاً أو اعتراضاً فيكون الخطاب لكل من يصلح للخطاب ، والمخاطبون متفاوتون في القليل المستثنى من المؤْتَى من العلم . وأن يكون خطاباً للمسلمين " . اهـ [٣] .

ثانياً : علم الخلق جميعهم قليل بالنظر إلى علم الله ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [٤] . [٥] كما أن قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ فيه إشارة إلى أن الناس بأجمعهم لا يصلون إلى العلم بالروح [٦] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٥٧ .
(٢) نظم الدرر : ٤ / ٤٢١ .
(٣) التحرير والتنوير : ١٥ / ١٩٨ .
(٤) سورة الكهف : ١٠٩ .
(٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ١٩١ .
(٦) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٧٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ . [آية : ١٠١] .

مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لمحمَّد ﷺ ، فقال : ((﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي : اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقيناً ، والآية على هذا خطاب لمحمَّد ﷺ . وقال الزمخشري : إن المعنى : قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون ، أي : اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بني إسرائيل ، فلا يرد قوله اسأل لموسى على إضمار القول ، وقال أيضاً : يحتمل أن يكون المعنى : اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا أيضاً على أن يكون الخطاب لموسى ؛ **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : **أن الخطاب لمحمَّد ﷺ** ، قاله مقاتل [(٢)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٣)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٤)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٠ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٧٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٠ .

(٤) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والجلالين ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٧٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٣ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٧٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٩ ، تفسير البغوي : ٣ /١٤٠ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨٨ ، زاد المسير : ٥ / ٩٤ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٣٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٩٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٨٢ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ ، تفسير الجلالين : ٣٧٧ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣٠٦ ، روح المعاني : ١٥ / ١٨٤ ، تفسير السعدي : ٤٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٢ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٢٦ .

أي : اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقيناً [١] .

وقيل : فسْل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل ، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه [٢] عن الآيات لتزداد يقيناً وطمأنينة قلب ، لأن الدلالة إذا تضافرت كان ذلك أقوى وأثبت ، كقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ ... وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٦٠] .

وقيل : هذا سؤال استشهاد ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد عليه السلام بقول علمائهم [٣] .

وعن الحسن ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ قال : سؤالك إياهم نظرك في القرآن [٤] .

واستدل لهذا القول :

١. بقراءة الجمهور [٥] : بالأمر ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ .

٢. **بدلالة السِّياق** : لما كان اليهود الذين أمروا قريشاً بسؤال النبي ﷺ عن الروح – كما في بعض الروايات – وعن أهل الكهف وذي القرنين الوارد قصتهما في الكهف ، نبههم على سؤالهم – إن كانوا يقلبون كلامهم – عن أمر موسى عليه السلام في كونه كهذا النبي الكريم في أنه بشر مع كونه رسولاً ، وفي كونه أتى بالخوارق فكذب بها المعاندون فاستؤصل المكذب ، فقال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ ﴾ يا محمد ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي : عامة الذين نبهوا قريشاً على أمر الروح عن حديث موسى عليه السلام ، أو المؤمنين كعبد الله بن سلام وأصحابه [٦] .

القول الثاني : أن **الخطاب لموسى عليه السلام** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٧] ، **ورجَّحه** الزمخشري [٨] ،

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٠ .

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنه . ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٢ .

(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٤٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٣٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٢٦ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٧٣) .

(٥) وقرأ الكسائي وابن كثير : (فسل بني إسرائيل) بغير همز يكون على التخفيف ، وعلى لغة من قال : سال يسال . ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٢ .

(٦) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٧٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٤٤) إلى سعيد بن منصور ، وأحمد في الزهد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(٨) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٢ .

، وقاله جماعة [١] من المفسرين [٢] .

" أي : فقلنا لموسى : سل بني إسرائيل ، أي : سلهم من فرعون ، وقل له : أرسل معي بني إسرائيل . أو سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم . أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك " [٣] .

واستدل على ذلك :

١. **بقراءة الماضي بغير همز** : (فَسأَل بني إسرائيل) ، وهي لغة قريش [٤] ، فإنهم يبدلون الهمزة المتحركة .

٢. **بالنظير القرآني** : المعنى : قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون ، أي : اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٧] .

٣. لا يجوز أن يكون ﴿ فَسْئَلْ ﴾ خطاباً للنبي ﷺ لئلا تتخالف القراءتان – قراءة الجمهور بالأمر والقراءة بالماضي – لا بد إذ ذاك من إضمار لئلا يختلفا خبراً وطلباً .

٤. لأنه لو كان ﴿ فَسْئَلْ ﴾ خطاباً لنبينا عليه السلام لانفكَّ النظم ، وأيضاً لا يظهر استعقابه ولا تسببه عن إيتاء موسى عليه السلام .

✓ **وأجيب عن ذلك :**

بأن الخطاب يجوز أن يكون خطاباً للرسول ﷺ على معنى : إذ ﴿ جَآءَهُمْ ﴾ أي جاء آباءهم موسى عليه السلام ، فالكلام إما على حذف مضاف أو على ارتكاب نوع من الاستخدام ، فوقع له من التكذيب بعد إظهار المعجزات الباهرات ما وقع لك ، و لم يُكذَّب لخلل من أمره ولا

---

(١) نسبه الآلوسي إلى الجمهور . ينظر : روح المعاني : ١٥ / ١٨٤ . ووجدته قاله جماعة من المفسرين .

(٢) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، واحتمله ابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، واحتمله النيسابوري . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣١ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٣٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٥٤ ، ٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٣٠٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٩٥ .

(٣) الكشاف : ٢ / ٦٥٢ . ونقله عنه جماعة من المفسرين .

(٤) وهي قراءة مرويَّة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عزاها السيوطي في الدر (٥ / ٣٤٤) إلى أحمد في الزهد ، وابن المنذر ، وابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٧٣) وغيرهم . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٢ . و لم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ولا محتسب ابن جني .

لقوة من عدوه على مدافعة العذاب ، وإنما كان جهلاً وعناداً ، ليكون ذلك تسلية لك ، وعلماً على خبث طباعهم ، وحجة قاطعة عليهم [١] .

❖ **قال بالقولين من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم :** البيضاوي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، وجوَّزهما الخطيب الشربيني ، **والشوكاني** ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الخطاب لمحمَّد ﷺ ، أي : اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقيناً ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : هذا القول يؤيده قراءة الجمهور وهي القراءة المتواترة التي يستند إلى معناها .

ثانياً : القول الثاني تؤيده قراءة بالغة الشذوذ ، وعلى هذا يتأيد القول الراجح **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : نظم الدرر : ٤ / ٤٣٢ ، روح المعاني : ١٥ / ١٨٤ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٦٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٨ السراج المنير : ٢ / ٣٧٩ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٣ ، الوسيط : ٨ / ٤٤٤ .
والشوكاني هو : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، إمام فقيه مجتهد مفسر ، من كبار علماء اليمن ، ت سنة ١٢٥٠هـ . ينظر : البدر الطالع (ترجم لنفسه) : ١ / ٤٧٨ ، أبجد العلوم للقنوجي : ٣ / ٢٠١ – ٢٠٥ الأعلام : ٦ / ٢٩٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ ﴾ . [آية : ١٠٧] .

مسألة : في من هم المعنيين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أنهم المؤمنون من أهل الكتاب ، فقال : ((يعني المؤمنين من أهل الكتاب. وقيل : الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة ، كزيد بن عمرو بن نوفل وورقة بن نوفل ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمَّد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك : ﴿ ... لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [٢] آمنوا بهذا القرآن الذي ﴿ ... لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [٣] ، أو لا تؤمنوا به فقد آمن به من هو أعلم منكم ؛ وهم ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ بالله وآياته من قبل نزوله ؛ إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيماً له وتكريماً – وعلماً منهم بأنه من عند الله – لأذقانهم سجداً بالأرض .

واختلف المفسرون **في من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾** وللمفسرين أقوال في معناها :

القول الأوَّل : يعني **المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه** ؛ وهو قول ابن جريج [٤] ، ومقاتل [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨١ .
(٢) سورة الإسراء : ٩٠ .
(٣) سورة الإسراء : ٨٨ .
(٤) نسبه القرطبي إليه . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٠ .
(٥) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٧٦ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨١ .
(٧) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وأبو حيان =

القول الثاني : هم **ناس من اليهود أعطوا العلم بالتوراة بصفة محمد ﷺ ونعته** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [١] ، ومجاهد [٢] ، **واستظهره** القرطبي [٣] .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

بقوله من قبله : ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني القرآن ؛ كانوا إذا سمعوا ما أنزل الله تعالى من القرآن سجدوا ، وقالوا : ﴿ ... سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ . [سورة الإسراء : ١٠٨] . [٤]

القول الثالث : أنهم **الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة** ، حكاه البغوي [٥] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالذين أوتوا العلم : من كانوا على الحنيفية قبل البعثة أمثالُ ورقة بن نَوفل ، فقد تسامع أهل مكة بشهادته للنبي ﷺ** [٦] ، **وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك أن **سورة الإسراء مكية** [٧] ، فالآية لم تنزل في مؤمني أهل الكتاب ؛ لأن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ما أسلم إلاَّ بالمدينة [٨] ، وكذلك القوم من أهل الكتاب ، فالأوَّلى أن يكون الذين أوتوا العلم من كانوا على الحنيفية قبل البعثة ؛ كورقة بن نوفل .. **لكن يصدق عليها بعد ذلك من آمن بعد نزول هذه السورة من علماء أهل الكتاب ، أمثال : عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي** رضي الله عنهما ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ**

= وابن كثير ، والجلالين ، والشوكاني ، والسعدي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٨٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٥ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٠ ، زاد المسير : ٥ / ٩٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٨٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٩ ، تفسير الجلالين : ٣٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٤ تفسير السعدي : ٤٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٤ .

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٨١) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٤٧ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٠ . وقال النسفي : أي التوراة قبل نزول القرآن . ينظر : تفسير النسفي : ٢ / ٣٠٣ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٠ .

(٥) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٤١ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٣٣ .

(٧) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٣٧ .

(٨) سبق بيان ذلك سابقاً ، ينظر : ص ١٨١ من هذه الرسالة .

ومن وافقه .

ولقد جاء لفظ بعض المفسرين [١] عاماً فقالوا : وهم **العلماء الذين قرؤوا الكتب السالفة** من قبل تنزيله ، وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة ، وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ، ورأوا فيها نعته ﷺ ونعت ما أنزل إليه ، وثبت عندهم أنه النبيّ العربيّ الموعود في كتبهم .

ونجد في : قصة النجاشي ، وسلمان ﷺ ، وعبد الله بن سلام ﷺ وغيرهم شواهد كثيرة لهذا المعنى تعج بها كتب السِّير [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي .
ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٩٩ ، السراج المنير : ٢ / ٣٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٤ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣٠٩ ، روح المعاني : ١٥ / ١٩٠ .

(٢) ينظر مثلاً : سيرة ابن إسحاق : ٢ / ٦٦ وما بعدها ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع ، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤ هـ) : ١ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، صحيح السيرة النبوية لمحمَّد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ) : ٧٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ . [آية :١١٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : **﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ التوسط بين الإسرار والجهر** ، فقال : ((المخافتة هي الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة ، فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الإسرار والجهر ؛ ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون . وقيل : المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السُّنة . وقيل : الصلاة هنا الدعاء)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الجهر في اللغة : الإعلان ، والخفت ضد الجهر . يقال : خفت صوته خُفُوتا : إذا انقطع كلامه وضعف وسكن ، **والخَفْتُ** : إسرارُ المَنْطِقِ ، وهو ضِدُّ الجَهْرِ ، كالمُخافتةِ ، وهو إخفاءُ الصَّوْتِ ، وخافت الرجل بقراءته : إذا لم يرفع بها صوته . وخفت الزرع : إذا ذبل [٢] .

واختلف السَّلف والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾** على أقوال منها :

القول الأوَّل : معناها : **التوسط بين الإسرار والجهر** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨١ .

(٢) ينظر (مادة : جهر) و (مادة : خفت) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٦ / ٣٣ ، ٧ / ١٣٤ ، لسان العرب : ٢ / ٣٠ ، ٤ / ١٥٠ ، تاج العروس : ٤ / ٥١١ ، ١٠ / ٤٩٠ .

(٣) سيأتي ذكر حديث المرويٌّ عنه رضي الله عنه .

وقتادة [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

وعلى هذا المراد بـــ ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ أى : بقراءة صلاتك على حذف المضاف ؛ للعلم بأن الجهر والمخافتة من نعوت الصوت لا من نعوت أفعال الصلاة ، فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء [٦] .

ويستدل له بالسُّنة الصحيحة : بما أخرجه الشيخان **عن ابن عَبَّاس** ﷺ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ قال : « نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ ؛ كان إذا صلَّى بأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بالْقُرْآنِ ؛ فإذا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جاء بِهِ ، فقال الله تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أَيْ : بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أَصْحَابِكَ فلا تُسْمِعُهُمْ ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ » [٧] .

- وروي أنّ **أبا بكر** ﷺ كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ، ويقول : أناجي ربي ، وقد علم حاجتي ، وكان **عمر** ﷺ يرفع صوته ، ويقول : أزجر الشيطان وأوقظ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٩٢) .
(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨١ .
(٤) نسبه الآلوسي إلى الأكثرين . ينظر : روح المعاني : ١٥ / ١٩٤ .
(٥) منهم : مقاتل ، والطبري ، والواحدي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، وقدَّمه الخازن ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وقدَّمه ابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، وقدَّمه الخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٧٧ ، تفسير الطبري : ١٥ / ١٨٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥١ ، الكشاف : ٢ / ٦٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٨٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٣٩٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤١١ ، تفسير الجلالين : ٣٧٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٠ ، السراج المنير : ٢ / ٣٨٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣١١ ، روح المعاني : ١٥ / ١٩٤ ، تفسير السعدي : ٤٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٤ .
(٦) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢١٨ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٦٥ ، تفسير القاسمي : ١٠ / ٣١١ .
(٧) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، باب ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (٤٤٤٥) : ٤ / ١٧٤٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصلاة ، بَاب التَّوَسُّطِ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ بين الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ إذا خَافَ من الْجَهْرِ مَفْسَدَةً (٤٤٦) : ١ / ٣٢٩ .

الوسنان ، فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً [١] .

القول الثاني : المعنى : **لا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تخافت بها كلها** ، واجعل منها سراً وجهراً حسبما أحكمته السُّنة ، قاله السمر قندي وغيره [٢] .

عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ لا تجعلها كلها جهراً ، ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ قال : لا تجعل كلها سراً [٣] .

القول الثالث : الصلاة هنا **الدعاء** ، وهذا القول مرويٌّ عن عائشة [٤] – رضي الله عنها – – وقاله مجاهد [٥] ، وجمع من السَّلف [٦] ، وحسَّنه **النحاس** [٧] . [٨]

ويستدل على ذلك :

١. بالتوقيف عن عائشة – رضي الله عنها – .

٢. لأن المعروف من كلام العرب أن الصلاة معناها : الدعاء ، وهو أصل معانيها [٩] ، ولا يقال للقراءة صلاة إلا على المجاز .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٨٦) . وعزاه السيوطي أيضاً لسعيد بن منصور ، وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٥٠ .

(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٣ . وينظر : تفسير القشيري : ٢ / ٢٠٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٥١ .

(٤) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، باب الدعاء في الصلاة (٥٩٦٨) : ٥ / ٢٣٣١ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصلاة ، بَاب التَّوَسُّطِ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ بين الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ إذا خَافَ من الْجَهْرِ مَفْسَدَةً (٤٤٧) : ١ / ٣٢٩ .

(٥) ينظر تفسيره : ١ / ٣٧٢ .

(٦) منهم : عروة بن الزبير ، وسعيد بن جبير ، ومكحول ، وأبو عياض . نقله عنهم ابن كثير ، ينظر تفسيره : ٣ / ٧٠ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٠٧ .

(٨) ذكر الأقوال كلها من غير ترجيح : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٤١ ، ١٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٥٩ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٣٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، تفسير النسفي : ٢ / ٣٠٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٨٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٦٩ ، ٧٠ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٠٣ .

(٩) وبه صدَّر الجوهري الترجمة . والصلاة أيضاً الركوع والسجود . ينظر : الصِّحاح للجوهري (مادة : صلا) : ٥ / ١٩١٤ ، (مادة : صلو) في : لسان العرب : ١٤ / ٤٦٤ ، تاج العروس : ٣٨ / ٤٣٨ .

٣. العلماء مجمعون على كراهية رفع الصوت بالدعاء ، وقد قال ﷻ : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ . [سورة الأعراف : ٥٥] . (١)

قال **النحاس** :

" والدعاء يسمى صلاة ، ولا يكاد يقع ذلك للقراءة ... ويقال : إنه إنما قيل صلاة أنها لا تكون إلا بدعاء ، والدعاء صلاة فسميت باسمه " . اهـ (٢) .

ويعضدُّ رواية عائشة – رضي الله عنها – :

ما أخرجه الشيخان عن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قال : « لَمَّا غَزَا رسول اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ ، أو قال لَمَّا تَوَجَّهَ رسول اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ الناس على وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ ، الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إلا الله . فقال رسول اللَّهِ ﷺ : أربعوا على أَنْفُسِكُمْ ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو مَعَكُمْ ... » (٣) .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ ﴾ يحتمل الصلاة المعروفة ، ويحتمل الدعاء ، فنُهي ﷺ عن رفع صوته بالقراءة فى الصلاة ، وفى رفع صوته حال دعائه ، قاله الطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** (٤) ، إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : فسر السَّلف الصلاة هنا بالمعنيين كما ذكرنا ، ومن فسر الصلاة بالعبادة المعروفة ، فإنما أراد قراءتها خاصة لأنها التي توصف بالجهر والمخافتة .

ثانياً : استواء إسنادي سبب النزول في الصحة فكلاهما مرويٌّ في الصحيحين ؛ مما يرجِّح

---

(١) ينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٥٥٣ .

(٢) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر (٣٩٦٨) : ٤ / ١٥٤١ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، بَاب اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ (٢٧٠٤) : ٤ / ٢٠٧٦ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٣٧ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ٤٥٣ .

احتمال القولين والجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة [١] ؛ ولا مانع أيضاً من تعدد الأسباب [٢] .

ويشهد لذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال : « كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء .. فنزلت » [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٠٦ .
(٢) ينظر : المرجع السَّابق : ٨ / ٥٣١ . وينظر : نظم الدرر : ٤ / ٤٣٩ ، إتقان السيوطي : ١ / ٩٧ .
(٣) أخرجه ابن مردويه . ينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٤٢ ، وعزاه في الدر (٥ / ٣٥١) لمحمَّد بن نصر .

سـورة الكهـف

قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ عموم أنواع الميل والعوج ، فقال : ((العِوج - بكسر العين - في المعاني التي لا تحسن وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه : عدم الاستقامة . وقيل فيه هنا : معناه لا تناقض فيه ولا خلل . وقيل : لم يجعله مخلوقا . **واللفظ أعمُّ من ذلك**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ [٢] ﴾** على أقوال منها :

القول الأوَّل : معناه : **لا تناقض فيه ولا خلل** ، قاله الجلالين [٣] .

القول الثاني : يعني : **لم يجعله مخلوقاً** [٤] .

القول الثالث : المعنى : **لم يجعل فيه اختلافاً** ، قاله ابن عباس ﷺ [٥] ، ومقاتل [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٢ .

(٢) **العوج** هو : الانعطاف فيما كان قائما فمال كالرمح والحائط . قال أهل اللغة : العوج في المعاني كالعوج في الأعيان فالمراد منه نفيُ التَّناقضِ . ينظر : لسان العرب (مادة : عوج) : ٢ / ٣٣١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤١٨ .

(٣) ينظر : تفسير الجلالين : ٣٨١ .

(٤) روي عن ابن عبَّاس ﷺ أنَّه قال في قوله تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ... ﴾ . [سورة الزمر : ٢٨] . أي غير مخلوقٍ . نقله عنه النحاس وغيره . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٩١) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٨٧ .

وذهب إليه الزَّجَّاج [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

ويستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ . [سورة النساء : ٨٢] .

القول الرابع : لم يترله مخالفاً للتوراة والإنجيل ، وسائر الكتب بالتوحيد ، وصفة محمد ﷺ ونعته ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] أيضاً .

القول الخامس : عموم جميع أنواع الميل والعوج ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

ويستدل لذلك من اللغة :

جاء لفظ ﴿ عِوَجَاۜ ﴾ بصيغة التنكير ، ليشمل النهى جميع أنواع الميل والعوج ، إذ النكرة فى سياق النفى تعمُّ [٦] ، أى : لم يجعل له سبحانه وتعالى أى شئ من العوج ، والمعنى أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه ، ولا اختلال في تراكيبه ومبانيه ، ولا انحراف من الدعوة إلى جانب الحق [٧] .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٢٦٧ .

(٢) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن عادل . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٤ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٣ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٤٨ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٣) نزلت في شأن اليهود حين قالوا القرآن مخالف لسائر الكتب . ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٣ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٢ .

(٥) منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٩١ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠٠ ، الوسيط : ٨ / ٤٦٦ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٩٤ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٦٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠٠ ، الوسيط : ٨ / ٤٦٦ .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ عموم أنواع الميل والعوج** ؛ **وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم أن : القول بالعموم أولى وأرجح ، يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٢٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ... ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾ مستقيماً ، فقال : ((﴿ قَيِّمًا ﴾ أي : مستقيماً . وقيل : قيِّماً على الخلق بأمر الله تعالى . وقيل : قيِّماً على سائر الكتب بتصديقها)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معناه : **قيِّماً على الخلق ومصالح العباد** وما لابد لهم منه من الشرائع ، **صحَّحه** ابن عطية [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

والقيِّم : صفة مبالغة من القيام المجازي الذي يطلق على دوام تعهد شيء وملازمة صلاحه ، لأن التعهد يستلزم القيام لرؤية الشيء والتيقظ لأحواله .

وقوله : ﴿ قَيِّمًا ﴾ إشارة إلى أنه مكمل لغيره مصلح بحسن بيانه وإرشاده لأحوال معاشه ومعاده ، فتكون الآية نظير قوله تعالى : ﴿ ... لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢] . وليس هو تأكيداً لنفي العوج .

فقوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ إشارة إلى كونه في نفسه بالغاً في الصحة وعدم الإخلال إلى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه ، وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إشارة إلى كونه سبباً لهداية الخلق ولكمال حالهم . فقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ قائم مقام قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قَيِّمًا ﴾ قائم مقام قوله تعالى : ﴿ هُدًى

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٢ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ .

(٣) منهم : الفخر الرازي ، والقاسمي ، وابن عاشور . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٦ التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٤٨ .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [١] .

قال ابن عطية : " وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين عما العالم " [٢] .

القول الثاني : قيِّماً على سائر الكتب بتصديقها ، قاله ابن عباس ﷺ [٣] ، والفَرَّاء [٤] . [٥]

أي : مهيمناً عليها ، وعلى هذا التفسير فالآية كقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٤٨] .

القول الثالث : معنى ﴿ **قَيِّمًا** ﴾ **عدلاً مستقيماً** ، وهو قول ابن عباس ﷺ [٦] أيضاً ، والضحاك [٧] ، ومقاتل [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٩] ، ووافقه عامة أهل اللغة [١٠] **وجمهور** [١١] المفسرين [١٢] . [١٣]

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٤٨ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١١٢ .

(٥) قال بجواز القولين الثاني والثالث : العز بن عبد السلام ، والنسفي ، والبقاعي . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٣٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٤٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٩٠) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٥٩) إلى ابن المنذر .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٧٨ .

(٩) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٢ .

(١٠) قال الزَّجَّاج : **القيِّم** هو : المستقيم . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٦٧ ، تهذيب اللغة للأزهري (باب القاف والميم) : ٩ / ٢٦٨ ، لسان العرب (مادة : قوم) : ١٢ / ٥٠٢ ، تاج العروس ، فصل القاف : ٣٣ / ٣١٩ .

(١١) نسب الشنقيطي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ .

(١٢) منهم : الطبري ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والخازن وأبو حيان ، ولم يذكر ابن كثير غيره ، والثعالبي ، والجلالين ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٠ ، النكت والعيون : ٣ / ٢٨٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٤ ، الكشاف : ٢ / ٦٥٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٩١ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٠٦ ، تفسير الجلالين : ٣٨١ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠١ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٩ ، أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ ، الوسيط : ٨ / ٤٦٥ .

(١٣) ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح : البيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والشوكاني . ينظر : =

واستدل له :

١. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ ... دِينًا قِيَمًا [(١)] ... ﴾ . [سورة الأنعام : ١٦١] .

٢. يقوي هذا المعنى قوله سبحانه قبله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [(٢)] ، فنفي العوج ينفي عنه الاختلاف والتناقض وإثبات الاستقامة ، وعليه فإن قوله ﷻ : ﴿ **قَيِّمًا** ﴾ هو **تأكيد في المعنى** لقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ ؛ لأنه قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر ؛ ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة [(٣)] .

٣. هذا المعنى كقوله تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ . [سورة فصلت : ٤٢] . " فلا خلل في لفظه ولا في معناه ، والمراد من هذا أنه معتدل ؛ لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكاليف حتى يشق على العباد ، ولا تفريط فيه بإهمال ما يحتاج إليه حتى يحتاج إلى كتاب آخر " [(٤)] .

✖ **واعترض الفخر الرازي** على هذا المعنى قائلاً :

" **وهذا عندي مشكل** ؛ لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة ، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وأنه باطل بل الحق ما ذكرناه وأن المراد من كونه : ﴿ قَيِّمًا ﴾ أنه سبب لهداية الخلق وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال ، فالأرواح البشرية كالأطفال ، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم " . اهـ [(٥)] .

= تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، فتح القدير : ٣ / ٢٦٩ .

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي : ﴿ قِيَمًا ﴾ بكسر القاف وفتح الياء مخففة، وقرأ الباقون :- بكسر القاف وكسر الياء مشددة - (قيِّما) أي ديناً مستقيماً . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٢٧٨ .

(٢) سورة الكهف : ١ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٧ . وينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٦٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠١ ، الظلال : ٤ / ٢٢٥٩ ، أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ .

(٤) روح المعاني : ١٥ / ٢٠١ .

(٥) التفسير الكبير : ٢١ / ٦٤ . ونقله عنه الخطيب الشربيني كأنه ارتضاه . ينظر : السراج المنير : ٢ / ٣٨٧ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح ما ذهب إليه ابن جُزيّ موافقاً في ذلك الجمهور ، وأن معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾ عدلاً مستقيماً ؛ لا اختلاف فيه ولا تفاوت ؛ بل بعضه يصدق بعضاً وبعضه يشهد لبعض ، لا عوج فيه ولا ميل عن الحق** [(١)] ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : أما القول بأن المعنى : قيِّماً على الخلق بأمر الله تعالى فيرجع إلى قول الجمهور [(٢)] ، وما ذهب إليه الفَرَّاء – من أن القرآن قيِّمٌ على سائر الكتب بتصديقها – فقد **تعقبه ابن عطية** بقوله : " وهذا محتمل وليس من الاستقامة " [(٣)] .

ثانياً : أكثر أهل اللغة والتفسير على هذا المعنى ، ويتأيد بالنظير القرآني والقراءات المتواترة لهذا النظير .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(٤)] .

وبهذا يظهر أن قول الجمهور أصحُّ الأقوال وأجمعها .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٠ .
(٢) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ١٩٣ .
(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ . [آية : ٩] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ٱلرَّقِيم﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **﴿ٱلرَّقِيم﴾ اسم كلبهم** ، فقال : ((**والرقيم : اسم كلبهم** . وقيل : هو لوحٌ رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف . وقيل : كتاب فيه شرعهم ودينهم . وقيل : هو القرية التي كانت بإزاء الكهف . وقيل : الجبل الذي فيه الكهف . وقال ابن عباس : لا أدري ما الرقيم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بـ ﴿ٱلرَّقِيم﴾** على أقوال [٢] كثيرة منها :

القول الأوَّل : الرقيم : اسم كلبهم ، قاله أنس بن مالك ﷺ [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

وهو اعتقاد أمية بن أبي الصلت حيث يقول :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٢ .

(٢) ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح : الثعلبي ، ابن عطية ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٤٥ - ١٤٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، زاد المسير : ٥ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٧٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٩٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٣٠ ، السراج المنير : ٢ / ٣٨٩ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٢ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٦٢) إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٢ .

(٥) منهم : الزمخشري ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٠٩ .

وليسَ بها إلا الرَّقيمُ مُجاوِراً وصِيدَهُمُ ، والقومُ بالكهفِ هُمَّدُ [١]

القول الثاني : الرقيم الكتاب ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، وهو قول أهل اللغة ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. من اللغة [٤] : الراء والقاف والميم أصل واحد يدل على خط وكتابة وما أشبه ذلك ، فالرقم الخط ، و**الرقيم** الكتاب ، والأصل فيه : المرقوم ، ثم نقل إلى (فعيل) بمعنى مرقوم ، كما يقول للمقتول قتيل ، وللمجروح جريح ، والرقم الكتابة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ﴾ . [سورة المطففين : ٩] . أي : مكتوب [٥] .

٢. ومن كلام العرب : قول **العجاج** في أرجوزة له :

ومستقرِّي المُصْحف الرقيم [٦]

قال ابن كثير : " وهذا هو الظاهر من الآية ، وهو ترجيح ابن جرير " [٧] .

---

(١) نقله عنه جماعة من المفسرين . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٥٩ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٦٢) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم من طريق علي ﷺ .

(٣) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن كثير ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٣٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٦٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٠٦ .

(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة (مادة : رقم) : ٢ /٢٦٠ . وينظر (مادة : رقم) في : تهذيب اللغة للأزهري : ٩ / ١٢٢ ، لسان العرب : ١٢ / ٢٥٠ ، تاج العروس : ٣٢ / ٢٧٨ . وينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٣٩ .

(٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٩ ، التفسير الكبير : ٢١ /٧٠ .

(٦) نقله الشوكاني عنه . ينظر : فتح القدير :٣ / ٢٧٢ .
والعجاج هو : عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كنيف التميمي السعدي ، يكنى أبا الشعثاء ، ويعرف بالعجاج : راجزٌ مجيدٌ ، من الشعراء ، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها . ثم أسلم ، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ، وهو والد رؤبة بن العجاج الراجز المشهور . ت نحو ٩٠ هـ . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٧٣٨ ، الوافي بالوفيات : ١٤ / ٩٩ ، الإصابة : ٥ / ٨٧ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٤ .

ثم اختلفوا فيما كتب في الكتاب على أقوال :

- هو كتاب رقمت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصتهم على باب الكهف ، قاله ابن عباس ﷺ [١] أيضاً ، **وسعيد بن جبير** [٢] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٣] ، وجماعة [٤] من المفسرين [٥] .

قال الفَرَّاء : " و ﴿ٱلرَّقِيمِ﴾ : لَوْح رَصَاصٍ كتبت فيه أنسابُهم ودِينهم ومِمَّ هربوا " [٦] .

وقال البغوي : " وهو أظهر الأقاويل " [٧] .

- هو كتاب كتبوا فيه شرعهم ودينهم .
- هو كتاب كتبه رجلان صالحان يكتمان إيمانهما ؛ وكتبا فيه أمر الفتية ، قاله مقاتل [٨] .

قال النحاس : " والروايات التي رويت عن ابن عباس ﷺ ليست بمتناقضة ؛ لأن القول الأوَّل إنما سمعه من كعب ، والقول الثاني يجوز أن يكون عرف الرقيم بعده " [٩] .

القول الثالث : هو **القرية** التي كانت بإزاء الكهف ، قاله كعب ﷺ [١٠] .

---

(١) نسبه القرطبي إليه . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٦٢) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٥ / ١٩٩) ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وقال ابن حجر (في فتح الباري : ٨ / ٤٠٧) : " **وإسناده صحيح على شرط البخاري** " .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ١١٣ .

(٤) قال الفخر الرازي : هذا قول جميع أهل المعاني والعربية (وكأنه يرتضيه) . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٧٠ .

(٥) منهم : الواحدي ، والبغوي ، والخازن ، والجلالين ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ١٩٢ ، تفسير الجلالين : ٣٨١ ، تفسير السعدي : ٤٧١ ، الوسيط : ٨ / ٤٧٤ .

(٦) معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١١٣ .

(٧) تفسير البغوي : ٣ / ١٤٥ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٨٠ .

(٩) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢١٩ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ .

(١٠) عن ابن عباس ﷺ قال : يزعم كعب أن الرقيم القرية . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٨ .

القول الرابع : هو **الجبل** الذي فيه الكهف ، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ أيضاً [١] .

القول الخامس : هو **الوادي** الذي فيه الكهف ، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ أيضاً ، وقتادة [٢] ، وابن أبي زمنين [٣] من المفسرين .

القول السادس : **غير معلوم** ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً .

فعن ابن عباس ﷺ قال : لا أدري ما الرقيم ؛ أكتاب أم بنيان [٤] . وقال ﷺ أيضاً : كل القرآن أعلمه إلا أربعاً : غسلين ، وحنانا ، والأوَّاه ، والرَّقيم [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرقيم الكتاب** ، سواء كان **كتاب** فيه شرعهم الذي تمسكوا به ، أو **لوح** كتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصتهم وسبب خروجهم أو **صخرة** نقشت فيها أسماؤهم ؛ هذا ما **رجَّحه** الطبري ، و **استظهره** الشنقيطي بدلالة القرآن واللغة ، **ونصَّ عليه** ابن عاشور [٦] ، **وهو قول أكثر المفسرين** ، **خلافاً لما ذهب إليه إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، وقد استدل لهذا القول بالنظير القرآني وقول أهل اللغة ، وعلى هذا يتأيد ببعض **القواعد الترجيحية** منها :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية** [٧] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٩٩) .

(٢) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ ، وأخرجه ابن جرير عن قتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٨ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٦٢ .

(٣) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٤٩ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور ، وعبد الرزاق ، والفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والزَّجَّاجي في أماليه ، وابن مردويه . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٦٢ . **وهو صحيح** . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب : التسهيل لعلوم التنزيل للدكتور سامي الجهني : ٧٣٥ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٦٢ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٩٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٠٦ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٦٠ .

(٧) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥١١ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ ... ﴾ . [آية : ١٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن معنى الآية : أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ، ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرِّها** ، فقال : ((ومعنى الآية : أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ، ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرِّها . فقيل : إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة . وقيل : كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش ؛ فلذلك لا تصيبهم الشمس ، **والأوَّل أظهر** لقوله : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

معنى ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ تميل [(٢)] ، و ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾ أصل القرض : القطع ، وقرضت موضع كذا : إذا قطعته فجاوزته أو عدلت عنه [(٣)] ، فالشمس كانت تميل عن الكهف ذات اليمين وتتجاوزه أو تعدل عنه ذات الشمال .. **واتفق أكثر المفسرين** على أن الشمس لم تصبهم البتَّة ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)] ، ولكنهم **اختلفوا في منشأ ذلك** على قولين :

القول الأوَّل : كان **باب الكهف شمالياً يستقبل بنات نعش** ، فهم في مقنأة [(٥)] أبداً لا تقع

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٤ .

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن جبير ، وقتادة . نقله ابن كثير عنهم ، ينظر تفسيره : ٣ / ٧٦ . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب الزاي والراء) : ١٣ / ١٦٥ ، مفردات الرَّاغب (مادة : زور) : ٢١٧ ، لسان العرب (مادة : زور) : ٤ / ٣٣٤ ، كليات الكفوي : ٣٢٠ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب القاف والضاد) : ٨ / ٢٦٧ ، المحكم لابن سيده (باب القاف والضاد والراء) : ٢١٧ ، لسان العرب (مادة : قرض) : ٧ / ٢١٦ .

(٤) نسبه إليه : القرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي . ينظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٦٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٠٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥١٣ .

(٥) **المقنأة** هي : المكان الذي لا يطلع عليه الشمس . ينظر : إصلاح المنطق لأبي يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن السِّكِّيت (ت ٢٤٤ هـ) : ١١٩ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : قنا) : ٥ / ٣٠ .

الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ، ولكن اختار الله لهم مضجعاً في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ، ويدفع عنهم كرب الغار وغمه ، قاله **ابن قتيبة** [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

وجزم **ابن كثير** في تفسير بأن الآية تدل على أن باب الكهف كان من نحو الشمال ، قال : " لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ﴿ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ أي : يتقلص الفئ يمنة ، كما قال ابن عباس ﷺ ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ أي : تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال : ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ أي : تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه ، وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب .

وبيانه : أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ، ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ، ولا تزاور الفئ يميناً ولا شمالاً ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال و لم تزل فيه إلى الغروب ؛ فتعين ما ذكرناه ؛ ولله الحمد " . اهـ [٣] .

وعلى هذا القول يكون قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ راجعة إلى ما ذكر من شأنهم وحديثهم ، أي ذلك المذكور إلى هدايتهم إلى التوحيد وإخراجهم من بين عبدة الأوثان ، وإيوائهم إلى ذلك الكهف ، وحمايتهم من عدوهم إلى آخر حديثهم من آيات الله [٤] .

✖ **واعترض عليه الزَّجَّاج** بقوله : " وهذا التفسير ليس ببيِّن " [٥] .

القول الثاني : معنى الآية : أنهم في ظل نهارهم كله **لا تصيبهم الشمس عند طلوعها ولا**

---

(١) نسبه البغوي وغيره إليه . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٥٤ . و لم أقف عليه في كتبه .

(٢) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، وابن عطية ، والبيضاوي ، وابن كثير . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٠ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٦٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٨٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٦ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٦ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٨٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٦ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٢٧٤ .

عند غروبها لئلا يحترقوا بحرِّها ، مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس وأن ما صنعه الله بهم – من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة – آية من آياته ، واختصاصاً لهم بالكرامة ، قاله الزَّجَّاج [(١)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٢)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٣)] . [(٤)]

ويؤيد هذا القول :

١. **القرينة القرآنية :** قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . إذ لو كان الأمر كما ذكره أصحاب القول الأوَّل لكان ذلك أمراً معتاداً مألوفاً ، وليس فيه غرابة حتى يقال فيه ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [(٥)] .

٢. ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا [(٦)] ، ومما يدل على على أن الفجوة المكان الواسع قول الشاعر :

ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ   رجالاً وخيلاً غير ميلٍ ولا عُزْلِ [(٧)]

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فالشمس لم تصب أصحاب الكهف البتَّة ، وقد**

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٤ .

(٣) منهم : الطبري ، والزمخشري ، والنسفي ، والخازن ، وأبو السعود ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢١٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٦٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٠٤ ، الوسيط : ٨ / ٤٨٥ .

ومال إليه بعض الميل ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والثعالبي ، وابن عادل ، ووجه الشوكاني قول الزَّجَّاج المذكور بقرينة الآية المذكورة . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١١٧ ، ١١٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٨٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٦٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٤٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢١١ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٥ .

(٤) ذكر القولين من غير ترجيح : الماوردي ، والبغوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان . ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٩١ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٥٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٠٤ .

(٥) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٥ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٢٠ .

(٦) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٥ ، الوسيط : ٨ / ٤٨٦ .

(٧) أورد هذا البيت غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية و لم ينسبوه لقائله . ينظر مثلا : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٢٩١ .

هيأ الله الأسباب لذلك بوضع عجيب هو من آيات قدرة الله ﷻ ، يسّره الله لهم بحكمته ليكون داخلُ الكهف بحالة اعتدال فلا ينتاب البِلى أجسادَهم ، فرغم أنهم كانوا في مكان متسع لكن الشمس كانت تميل عنهم ذات اليمين وذات الشمال [١] ؛ مما يدل على أن باب الكهف كان شمالياً ، نصَّ على ذلك القاسمي والطاهر بن عاشور [٢] .

قال القاسمي : " وقد دلت الآية على أن باب الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال ، فإذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف ، وإذا غربت كانت على شماله ، فيقع شعاعها على جانبيه ؛ يحلل عفونته ويعدل هواءه ، ولا يقطع عليهم فيؤذيهم ... وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي إرشادهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء ، وشعاع الشمس والريح تدخل عليهم فيه ؛ لتبقى أبدانهم آية من آيات الله الدالة على عنايته وتوفيقه للمخلصين " . اهـ [٣] .

وكأن المفسرين القديرين قد جمعا بين القولين ؛ فلم تصب أصحاب الكهف الشمس بأسباب ووضع عجيب هو من آيات قدرة الله .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التعريف في ﴿ ٱلْيَمِينِ ﴾ ، و ﴿ ٱلشِّمَالِ ﴾ عوض عن المضاف إليه ، أي يمين الكهف وشماله . ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٧٩ .

(٢) ينظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٧٩ . وينظر قبلهما : نظم الدرر : ٤ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٣) تفسير القاسمي : ١١ / ١٥ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ... ﴾ . [آية : ٢٠] .

مسألة : في معنى : ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم بالحجارة ، فقال : ((أي : إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة . وقيل : المعنى يرجموكم بالقول ، **والأوّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾** على قولين :

القول الأوّل : معناه : يقتلوكم ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [٢] .

فمعنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم بالحجارة ، قاله الزَّجَّاج [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٥ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٥ . وقاله مقاتل ، والسمر قندي ، والواحدي ، والنسفي من المفسرين ، (ولم يذكروا الرجم بالحجارة) . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٨٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨ .

(٣) ينظر معانيه : ٣ / ٢٧٦ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٥ .

(٥) منهم : ابن أبي زمنين ، والزمخشري ، و **صحَّحه** ابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، و **استظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، و **صحَّحه** الثعالبي ، والجلالين ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٥٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٦٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٦ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٨٨ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٨٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤١٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٠٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٥٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥١٦ ، تفسير الجلالين : ٣٨٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٨ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣١ ، تفسير السعدي : ٤٧٣ ، الظلال : ٤ / ٢٢٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٨٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٥٠ .

واستدل له :

١. النظير القرآني : جاء في مواضع أخر أنه هو فعل الكفار مع الرسل وأتباعهم ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٧] .

٢. الرجم بمعنى القتل كثير في التنزيل :

- كقوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ... ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... أَن تَرْجُمُونِ ﴾ . [سورة الدخان : ٢٠] .

٣. الرجم بالحجارة من أخبث القتل ، وكان ذلك عادة فيما سلف فيمن خالف في أمر عظيم إذ هو أشفى للقلوب وللناس فيه مشاركة ، ولهذا خصَّه من بين أنواع ما يقع به القتل [(١)] .

القول الثاني : المعنى : **يرجموكم بالقول** ، قاله مجاهد [(٢)] ، وابن جريج [(٣)] ، ورجَّحه الطبري [(٤)] . [(٥)]

والمراد الرجم بالقول ؛ أي السب والشتم ، وهو للنفوس الأبية أعظم من القتل [(٦)] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم بالحجارة** ،

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٦٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤١٠ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٠٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٦ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٣١ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٢٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن الحجاج عن ابن جريج . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٤ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٤ . وقدَّمه الثعلبي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٦٢ .

(٥) ذكر القولين من غير ترجيح : العز بن عبد السلام ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٤٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٠٦ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٥١ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٥ / ٢٣١ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : قال أهل اللغة : أصل الرَّجم : الرمي بالحجارة ، والرَّجم : القتل ، أي بالرجام ؛ وهي الحجارة [١] على المرجوم حتى يموت ، وهو قتل إذلال وإهانة وتعذيب [٢] .

ثانياً : يعتمد قول ابن عباس ﷺ وقوله بأن معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ : يقتلوكم ، وهو ترجمان القرآن ، وهو ما عليه أكثر المفسرين .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** ؛ منها :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر (مادة : رجم) في : العين للخليل بن أحمد : ٦ / ١١٩ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١١ / ٤٨ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٢ / ٤٩٣ ، لسان العرب لابن منظور : ١٢ / ٢٢٦ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢١ / ٨٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٥ / ٢٨٦ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥١١ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ . [آية : ٢٣ - ٢٤] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ... وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ ... وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾ اذكر ربك إذا نسيت ذكره ، فقال : ((قال ابن عباس رضي الله عنه : الإشارة بذلك إلى الاستثناء ؛ أي استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا ، وذلك على مذهبه ؛ فإن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة ، وأما مذهب مالك والشافعي : فإنه لا ينفع إلاَّ إن كان متصلا باليمين . وقيل معنى الآية : اذكر ربك إذا غضبت . وقيل : اذكر إذا نسيت شيئاً ليذكرك ما نسيت . **والظاهر** أن المعنى : اذكر ربك إذا نسيت ذكره ، أي : ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه ، واذكره في كل حال ، ولذلك قالت عائشة – رضي الله عنها – : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه »)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى** : **﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : الكلام متعلق بما قبله ، والآية في الاستثناء ، ثم اختلفوا هل هي في الأيمان أو لا على قولين :

الأوَّل : المعنى : إذا نسيت الاستثناء بالمشيئة ثم ذكرت فاستثن ؛ و ذلك في **حال اليمين** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٢)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٦ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٢٩) ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة ؛ ثم قرأ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال : إذا ذكرت . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٧٨ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٤٦ . **وضعّفه** الدكتور سامي الجهني في رسالته (٧٣٩) .

وقاله **جمهور** [١] المفسرين [٢] .

وعن ابن عباس ﷺ [٣] : لا تحديد بمدة بل ولو طال ما بين اليمين **والثُّنيا** [٤] . وجمهور الفقهاء على أن قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ لا دلالة فيه على جواز تأخير الثنيا ، واستدلوا بأن السُّنة وردت بخلافه [٥] .

قال القرطبي معقباً على قول ابن عباس ﷺ [٦] : " فيحمل على تدارك التبرك بالاستثناء

---

(١) نسبه ابن الجوزي والشنقيطي إلى الجمهور . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٢٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٥٤ .

(٢) منهم : ابن أبي زمنين ، وابن العربي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وقاله الفخر الرازي ، والخازن ، وابن عادل ، والجلالين ، والشوكاني ، والشنقيطي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٥٥ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٢٧ ، زاد المسير : ٥ / ١٢٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٩٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٦٠ ٤٦١ ، تفسير الجلالين : ٣٨٤ ، فتح القدير : ٣ / ٢٧٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٥٦ .

(٣) للسلف في مدة النسيان إلى الذكر خلاف ، وقد اشتهر عن ابن عباس ﷺ على السُّنة العلماء جواز الاستثناء في اليمين وإن طال الزمان ؛ فعن ابن عباس ﷺ : يستثني ولو بعد سنة ما لم يحنث . وعن سعيد بن جبير : ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وهو قول ابن عباس بعينه . وعن طاوس : هو استثناء ما دام في مجلسه . وعن عطاء : يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة . ينظر أقوال السلف في الدر المنثور : ٥ / ٣٧٨ .

(٤) **الثُّنْيا** هي : من استثْنيتُ الشيء ، أي : زوَيْتُه لنفسي ، والثُّنْيا – بالضم – الاسم من الاستثناء : وهي كل ما استثنيته . وإنما عبر عنها بذلك لأن بعدها (إن شاء الله) . ينظر (مادة : ثنى) في : المحكم : ١٠ / ٢٠٠ ، لسان العرب : ١٤ / ١٢٥ ، تاج العروس : ٣٧ / ٢٩٧ .

(٥) **عند جمهور الفقهاء** لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً . قالوا : إن الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فإذا أتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خال فنا هذا الدليل فيما إذا كان الاستثناء متصلاً بناء على أن المستثنى منه مع الاستثناء وأداته كالكلام الواحد ، فإذا كان منفصلاً لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع إلى أصل الدليل . كما استدل الجمهور بأنه لو صحَّ الاستثناء لبطل جميع الإقرارات والطلاق والعتاق ، وأيضا فكان يلزم أن لا يعرف الصدق من الكذب لإمكان تعليق الكذب بعد مدة بما يخرجه عن الكذب ، واستدلوا بما أخرجه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من حَلَفَ على يَمِينٍ فَرَأَى غيرها خَيْرًا منها فَلْيَأْتِ الذي هو خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عن يَمِينِهِ » . فاقتصر ﷺ على ذكر التكفير ، ولم يقل فليستثن مع اختياره لأمته أيسر الأمور وأسهلها . ينظر : رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لعبد الوهاب بن علي السُّبكي (ت ٧٧١ هـ) : ٣ / ٢٥٤ ، إجابة السائل شرح بغية الآمل لمحمَّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) : ١ / ٣٢٣ .

(٦) **في قول ابن عباس ﷺ فيما نسب إليه من القول بالاستثناء المتأخر أقوال أخرى ؛ وهي كما يلي :**

القول الأوَّل : لم يصح عن ابن عباس ﷺ ، قاله إمام الحرمين والغزالي والسبكي ؛ لما يلزم من ارتفاع الثقة بالعهود والمواثيق لإمكان تراخي المستثنى . قال الغزالي : لعله لا يصح النقل عنه ؛ إذ لا يليق ذلك بمنصبه ، وإن صح فلعله أراد به إذا نوى الاستثناء أولا ، ثم أظهر نيته بعده فيدين فيما بينه وبين الله تعالى فيما يراه ، وأما جواز التأخير بدون هذا التأويل فيرده اتفاق أهل اللغة على خلافه لأنه جزء من الكلام يحصل به الإتمام . =

للتخلص عن الإثم ، فأما الاستثناء المفيد حكماً فلا يصح إلا متصلاً " . اهـ [1] .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

- الآية الكريمة متعلقة بما قبلها ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ . والمعنى : أنك إن قلت : سأفعل غداً كذا ونسيت أن تقول : (إن شاء الله) ، ثم تذكرت بعد ذلك فقل : (إن شاء الله) . أي : اذكر ربك معلقاً على مشيئته ما تقول أنك ستفعله غداً إذا تذكرت بعد النسيان .

= **القول الثاني** : الرواية ثابتة في مستدرك الحاكم ؛ وقال صحيح على شرط الشيخين بلفظ : « إِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ على يَمِينٍ فَلَهُ أَنْ يَسْتَثْنِيَ إِلَى سَنَةٍ » . وقد روى عنه هذا غير الحاكم من طرق كما ذكره أبو موسى المديني وغيره ، وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أنه كان يرى الاستثناء بعد سنة » . ورجال هذا الإسناد كلهم أئمة ثقات ، قاله الشوكاني .

واختلفت الأقوال في الرد على هذه الرواية على ما يلي :

الأوَّل : الصواب خلاف ما قاله ، قاله الشوكاني ، ونقله القاسمي .

الثاني : الْمَنْقُولُ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما إنَّمَا هو في التَّعْلِيقِ على مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً كَمَنْ حَلَفَ وقال : إنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَيْسَ هو في الْإِخْرَاجِ بِإِلَّا وَأَخَوَاتِهَا . وَنَقَلَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مُدْرَكَهُ في ذلك : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ... ﴾ قالوا : الْمَعْنَى إذَا نَسِيتَ قَوْلَ إنْ شَاءَ اللَّهُ فَقُلْ بَعْدَ ذلك ، و لم يُخَصِّصْ ، قاله الْقَرَافِيُّ .

قال الزَّرْكشي : " وفي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : « إِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ على يَمِينٍ فَلَهُ أَنْ يَسْتَثْنِيَ إِلَى سَنَةٍ » . وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال : إذَا ذَكَرَ اسْتَثْنَى . وقال صَحِيحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، لَكِنْ قال الْحَافِظُ أبو مُوسَى الْمَدِينِيُّ لو صَحَّ هذا عِنْدَهُ لَاحْتَمَلَ رُجُوعَهُ إذْ عُلِمَ أَنَّ ذلك خَاصٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَسْنَدَ ذلك من جِهَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما " . اهـ . وقال ابن الملقن : " وتقديرها ... : أي إذا تذكرت ولو بَعْدَ سَنَةٍ فَقُلْ : إن شاء الله ؛ فإنه يُسقط عنك المؤاخذة في ترك الاستثناء " . اهـ . وأن معناه : أنه إذا نسي أن يقول في كلامه أو حلفه (إن شاء الله) وذكر ولو بعد سنة ، فالسُّنة أن نقول له ذلك ليكون آتيا بسنة الاستثناء حتى ولو بعد الحنث ليسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازماً ؛ لا أنه يكون رافعاً لحنث اليمين ومسقطاً للكفارة ، قاله الطبري . وقال ابن كثير : " وهذا الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه ، والله أعلم " . وقال الشنقيطي : " هذا هو مراد ابن عباس كما جزم به الطبري وغيره ؛ وهذا لا محذور فيه ولا إشكال " اهـ . و لم يرتض ابن العربي هذا القول فقال : " وأما من قال : إن معناه واذكر ربك بالاستثناء في اليمين ليرتفع عنك الحرج دون الكفارة ؛ فهو تحكم بغير دليل " . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٢٩ ، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب للسُّبكي : ٣ / ٢٥٤ ، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٠٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٠ ، البحر المحيط في أصول الفقه للزَّركشي : ٢ / ٤٣٠ ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لأبي حفص ، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) : ٤ / ١٢٤ ١٢٥ ، إرشاد الفحول للشوكاني : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٣٠ أضواء البيان : ٣ / ٢٥٦ .

(١) تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٨٦ .

- ومتعلقة بما بعدها ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ ... وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ .

الثاني : المعنى : إذا نسيت الاستثناء فاذكرها بعد ما ذكرت واستثن ؛ **وهذا في غير اليمين** ، قاله جماعة من المفسرين [١] .

قال ابن عطية :

" وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين ؛ **والآية ليست في الأيمان** ؛ وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين " . اهـ [٢] .

وقال محمَّد سيِّد طنطاوي :

" قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ **تأكيد لما قبله** ؛ أى : لا تقولن أفعل غداً إلاَّ ملتبساً بقول : إن شاء الله ، واذكر ربك سبحانه إذا نسيت تعليق القول بالمشيئة ، أى : عند تذكرك بأنك لم تقرن قولك بمشيئة الله ، فأت بها " . اهـ [٣] .

القول الثاني : الكلام مستأنف لا تعلق له بما قبله ؛ والآية ليست في الاستثناء ؛ قاله جماعة من المفسرين [٤] .

قال **الجصاص** : " واحتج ابن عباس ﷺ ومن تابعه في إجازة الاستثناء متراخياً عن اليمين بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾ . فتأولوا قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ على الاستثناء وهذا غير واجب " . اهـ [٥] .

---

(١) منهم : مقاتل ، والسمر قندي ، والواحدي ، وابن عطية ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٨٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٩ ، الوسيط : ٨ / ٥٠٠ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠٩ .

(٣) الوسيط : ٨ / ٥٠٠ .

(٤) منهم : الجصاص ، والقرطبي ، وقاله البيضاوي (وجوز جميع أقوال هذا القول) ، و **استظهره** أبو حيان ، والطاهر بن عاشور . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٢ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٩٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١١١ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٥) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٢ . =

وعلى هذا القول ففيه وجوه منها :

الوجه الأوَّل : المعنى : اذكر ربك **إذا غضبت** [١] ، قاله عكرمة [٢] .

وقال وهب : مكتوب في الإنجيل : ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب . وقال الضحاك والسدي : هذا في الصلاة [٣] ، فعن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرَهَا ... » [٤] .

الوجه الثاني : اذكر **إذا نسيت شيئاً** ليذكرك ما نسيت ، **استظهره** الزمخشري [٥] ، وقدَّمه الماوردي [٦] .

الوجه الثالث : اذكر ربك **إذا نسيت ذكره** ، أي : ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه ، واذكره في كل حال ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٨] . [٩]

= و**الجصاص** هو : أحمد بن علي الجصاص ، أبو بكر الرازي ، الإمام الفقيه الحنفي الزاهد الكبير الشأن ، صاحب أحكام القرآن ، وكان إمام الحنفية في وقته ، ت سنة ٣٧٠هـ . ينظر: السِّير : ١٦ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، الجواهر المضية : ١ / ٨٤ ، تاج التراجم : ٩٦ .

(١) اذكر ربك إذا غضبت – بالغين والضاد المعجمتين – فمعناه التثبت عند الغضب ، فإنه موضع عجلة ومزلة قدم والمرء يؤاخذ بما ينطق به فمه . ومن رواه – بالعين والصاد المهملتين – (عصيت) ، فهو خطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته لاستحالة المعصية على الأنبياء شرعاً بالخبر الوارد الصادق في تتريههم عنها . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير بلفظ : (إذا عصيت) في تفسيره (١٥ / ٢٢٩) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٧٨) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) نسبه إليهما البغوي في تفسيره (٣ / ١٥٧) .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة ، بَاب من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذكرها (٥٧٢) : ١ / ٢١٥ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، بَاب قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ قَضَائِهَا (٦٨٤) : ١ / ٤٧٧ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٦٩.

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٢٩٩ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٦ .

(٨) منهم : الطبري ، وأبو حيان ، والقاسمي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١١١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٨ .

(٩) ذكر أغلب الأقوال من غير ترجيح : الثعلبي ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي وأبو السعود ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٦٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٥٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٠ ، تفسير الثعالبي :

ولذلك قالت عائشة – رضي الله عنها – : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » [١] . [٢]

✖ **واستبعد الفخر الرازيّ** هذا القول بوجوهه الثلاثة حيث قال :

" وهذا بعيد ، لأن تعلق هذا الكلام بما قبله يفيد إتمام الكلام في هذه الق ضيقِ ، وجعله مستأنفاً يصير الكلام مبتدأ منقطعاً ؛ وذلك لا يجوز " . اهـ [٣] .

ولكن **الجصاص قبله** قد حكى جواز ذلك فقال :

" قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ يصحُّ أن يكون كلاماً مبتدأ مستقلاً بنفسه من غير تضمين له بما قبله ، وغير جائز فيما كان هذا سبيله تضمينه بغيره " . اهـ [٤] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الكلام مستأنف لا تعلق له بما قبله ؛ والآية ليست في الاستثناء ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ اذكر ربك إذا نسيت ذكره ، أي : اذكر الله في كل حال ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : استدل عليه من اللغة : لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب : الترك [٥] . أي : اذكر ربك إذا تركت ذكر الله وسهوت وغفلت .

---

٣ / ٥١٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢١٧ ، السراج المنير : ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(١) أخرجه أبو يعلى (أحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى الموصلي التميمي : ت ٣٠٧ هـ) في مسنده في مسند عائشة – رضي الله عنها – (٤٩٣٧) : ٨ / ٣٥٥ . قال الشيخ حسين أسد : **إسناده صحيح** . و**صحَّحه** د . سامي الجهني . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل : ٧٣٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٦ .

(٣) التفسير الكبير : ٢١ / ٩٤ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٢ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٢٩ ، وينظر : (مادة : نسي) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٣ / ٥٥ ، لسان العرب : ١٥ / ٣٢٢ ، تاج العروس : ٤٠ / ٧٤ .

ثانياً : رُوي عن مالك [١] أن قوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ... ﴾ . إنما قصد بذلك ذكر الله عند السهو وليس باستثناء .

قال ابن العربي : " الذي قاله مالك من أن النبي ﷺ أمر أن يذكر الله عند السهو والغفلة يصح أن يكون تفسيراً لقوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ " . اهـ [٢] .

وقال القرطبي : " وقيل : اذكره إذا نسيت غيره أو نسيت نفسك فذلك حقيقة الذكر وهذه الآية مخاطبة للنبي ﷺ ، وهي استفتاح كلام على الأصح وليست من الاستثناء في اليمين بشيء ، وهي بعد تعم جميع أمته لأنه حكم يتردد في الناس لكثرة وقوعه " . اهـ [٣] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** ؛ منها :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه ابن العربي في أحكامه (٣ / ٢٢٨) .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٢٨ .
(٣) تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٨٦ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢ / ٥١١ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ . [آية : ٢٨] .

مسألة : في من المراد بقوله تعالى : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزَيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الآية مطلقة من غير تقييد ، فقال : ((﴿ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾ أي : جعلناه غافلا ؛ أو وجدناه غافلا [1] . وقيل : يعني أنه عيينة بن حصين الفزاري ، **والأظهر** أنها مطلقة من غير تقييد)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **فيمن المراد بقوله تعالى : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾** على أربعة أقوال :

القول الأوَّل : هو **عيينة بن حصن الفزاري** رضي الله عنه ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [3] ، وابن جريج [4]

---

(١) أغفله : تركه وسها عنه . و أغفلت الرجل : أصبته غافلا . ينظر : لسان العرب (مادة : غفل) : ١١ / ٩٨ .
ومذهب المعتزلة على ما قاله الزمخشري : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾ من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان ، أو وجدناه غافلاً عنه ؛ كقولك : أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك ، أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ، ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان ، وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله : ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ . اهـ . والتأويل الآخر تأويل الرماني وكان معتزلياً قال : " لم نسمه بما نسم به قلوب المؤمنين بما يبين به فلاحهم كما قال : كتب في قلوبهم الإيمان من قولهم : (بعير غفل) لم يكن عليه سمة ، و (كتاب غفل) لم يكن عليه إعجام " . اهـ . ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٧١ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٤ .
أما مذهب أهل السُّنة : فالآية تدل على أن الله يخلق أفعال العباد ؛ فالله ﷻ أغفله حقيقة ، وهو خالق الضلال فيه والغفلة . قال ابن القيم : " الغفل : الشيء الفارغ ، والأرض الغفل : التي لا علامة بها . والكتاب الغفل : الذي لا شكل عليه . فأغفلناه تركناه غفلاً عن الذكر فارغاً منه ؛ فهو ابقاء له على العدم الأصلي ؛ لأنه سبحانه لم يشأ له الذكر فبقي غافلاً فالغفلة وصفه ، والإغفال فعل الله فيه بمشيئته وعدم مشيئته لتذكره ؛ فكل منهما مقتض لغفلته فإذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر ، وإذا شاء غفلته امتنع منه الذكر " . اهـ . ينظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٩٨ .
(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٧ .
(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٤٦ .
(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٨٤) إلى ابن المنذر .

وجماعة من المفسرين (١) .

وزاد الطبري (٢) : الأقرع بن حابس ﷺ وذووهم ، وقاله ابن عباس ﷺ في رواية عنه (٣) .

وذلك **قبل إسلام** عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ﷺ .

وعن **خباب** ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٤) . قال : « جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم ، فأتوه فخلوا به ، وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبُد ؛ فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم . قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً . قال : فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبرائيل ﷺ فقال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٥) . ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (٦) . ثم قال : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴾ (٧) . قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) منهم : مقاتل ، والسمر قندي ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، والخازن ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٨٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٥٩ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٤٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢١٠ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٧٠ ، تفسير الجلالين : ٣٨٤ ، السراج المنير : ٢ / ٤١٢ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٦٢ . وقاله السيوطي ؛ ينظر : الإتقان : ٤ / ٣٨٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن خباب ﷺ في تفسيره (١٥ / ٢٣٦) . ورجّح هذا القول الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـــ) في الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (٧ / ٤٨٣ ، ٤٨٤) .

(٣) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٣٣ .

(٤) سورة الأنعام : ٥٢ .

(٥) الآية السابقة .

(٦) سورة الأنعام : ٥٣ .

(٧) سورة الأنعام : ٥٤ .

يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ ولا تجالس الأشراف ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ [١] . يعني عيينة والأقرع ... » [٢] .

✖ **وتعقَّبه ابن كثير** فقال :

" وهذا حديث غريب ؛ فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر " . اهـ [٣] .

القول الثاني : هو **أمية بن خلف** ، حكاه البيضاوي على سبيل التمثيل ، وحكاه القرطبي أيضاً [٤] .

ويؤيده : الرواية عن ابن عباس ﷺ أيضاً [٥] ، وعن الربيع [٦] .

القول الثالث : المراد **كفار قريش** ؛ قاله ابن عطية ، **واستظهره** أبو حيان ، ومال إليه محمَّد سيِّد طنطاوي [٧] .

قالوا : لأن سورة الكهف مكية [٨] .

---

(١) سورة الكهف : ٢٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء (٤١٢٧) : ٢ / ١٣٨٢ . وروى بنحوه البيهقي في شعب الإيمان عن **سلمان** ﷺ (١٠٤٩٤) : ٧ / ٣٣٦ . قال الألباني : " وسنده صحيح إن كان أشعث بن أبي الشعثاء ، ثم ترجح عندي أنه ابن سوار ، **وفيه ضعف** ؛ لأنه ممن رواه عن حفص بن غياث . ينظر : صحيح السيرة النبوية للألباني : ٢٢٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٢ / ١٣٦ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي : ٢ / ٤٩٤ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٩٢ .

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ﷺ ، وإلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٨٢ .

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٨٣ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٢ ، البحر المحيط : ٦ / ١١٤ ، الوسيط : ٨ / ٥٠٧ .

(٨) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٢ ، البحر المحيط : ٦ / ١١٤ .

وتُعقب :

١. إن أكثر الروايات – وهي عن خباب وسلمان ﷺ – تؤيد القول الأوَّل ، وثبت صحة بعضها – كما بيَّنا – .

٢. سورة الكهف مكية لا خلاف في ذلك ؛ إلا أنه قد روي عن ابن عباس ﷺ وقتادة [١] أن منها آية مدنية [٢] ، وهي قوله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ... ﴾ [٣] .

قال الآلوسي :

" وعليه تكون الآيات مستثناة من حكم السورة ، وكم مثل ذلك " . اهـ[٤] .

القول الرابع : أن الآية **مطلقة من غير تقييد** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

ذكر الطاهر بن عاشور أن ﴿ مَنۡ ﴾ تصدق في كل من اتصف بالصلة [٧] .

واستدل له بالنظير القرآني : تكرر في القرآن نهى نبيه ﷺ عن اتباع مثل هذا الغافل عن ذكر الله المتبع هواه :

- كقوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ [١] .

---

(١) نسبه إليهما ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٠٢ .

(٢) قال بمدنية الآية : الزَّركشي ، والنيسابوري ، وزكريا الأنصاري ، وأبو السعود ، والكرمي . ينظر : برهان الزَّركشي : ١ / ٢٠١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٠١ ، المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء : ٤٦٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٠٢ ، الناسخ والمنسوخ للكرمي : ١٣٦ .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

(٤) روح المعاني : ١٥ / ٢٦٢ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٧ .

(٦) فسروا قوله تعالى : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾ : بـ (وجدناه غافلا) و لم يقيدوه بشخص معين . ومنهم : الواحدي والزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، ونص عليه الطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٥٩ ، الكشاف : ٢ / ٦٧١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٩٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٢ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٢١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٣٧ ، تفسير السعدي : ٤٧٥ ، الظلال : ٤ / ٢٢٦٨ ، ٢٢٦٩ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٠٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٦٤ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٠٦ .

- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [٣] إلى غير ذلك من الآيات [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الآية مطلقة من غير تقييد** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : الرواية عن خباب ﷺ صحيحة ؛ لكن جاء في رواية عن ابن عمر ﷺ وغيره أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ... ﴾ أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة [٥] .

وعلى هذا فالمراد من قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ﴾ أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبات ؛ وأنها ليست خاصة بالنفر المذكورين في حديث خباب ﷺ – وهم الأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ – دون ما سواهم من الناس ؛ نصَّ على ذلك **أبو جعفر الطحاوي** ؛ وروى حديثاً بإسناده من طريقين عن ابن عُمَرَ ﷺ في هذه الآيَةِ ينصُّ على أنَّ المرَاد بها الَّذِينَ يَشْهَدُونَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ [٦] .

---

(١) سورة الإنسان : ٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب : ٤٨ .

(٣) سورة القلم : ٩ – ١٣ .

(٤) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٢٦٤ .

(٥) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن نافع عن عبد الله بن عمر ﷺ ، وإلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس ﷺ مثله ، وإلى ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نزلت في صلاة الصبح وصلاة العصر ، وإلى ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن عدي ابن الخيار في هذه الآية قال : هم الذين يقرأون القرآن . ينظر : تفسير الطبري : ٧ / ٢٠٤ ، الدر المنثور : ٥ / ٣٨٢ .

(٦) ينظر : شرح مشكل الآثار لأبي جعفر ، أحمد بن محمد بن سلامة الطَّحاويّ (ت ٣٢١ هـ) : ١ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

والطَّحاويّ هو : أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر : فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر ، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر ، وتفقه على مذهب الشافعي ، ثم تحول حنفيا ، وهو ابن أخت المزني . من تصانيفه : شرح معاني الآثار في الحديث ، وبيان السُّنة . ت ٣٢١ هـ . ينظر : =

ثانياً : دلالة الآية الأرجح أن تكون عامة والآية مطلقة من غير تقييد ؛ والغافلون عن ذكر موجودون في كل زمان ومكان وتصدق فيهم الآية ؛ ويؤيد ذلك **واقع الحياة** ، وفي هذا قال سيد قطب :

" ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ .. أغفلنا قلبه حين اتجه إلى ذاته ، وإلى ماله وإلى أبنائه ، وإلى متاعه ولذائذه وشهواته ، فلم يعد في قلبه متسع لله . والقلب الذي يشتغل بهذه الشواغل ، ويجعلها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله ، فيزيده الله غفلة ، ويملي له فيما هو فيه ، حتى تفلت الأيام من بين يديه ، ويلقى ما أعده الله لأمثاله الذين يظلمون أنفسهم ، ويظلمون غيرهم " . اهـ [١] .

ثالثاً : هذا القول تؤيده بعض **القواعد الترجيحية** وهي :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** .
- **إذا دار الكلام بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه** [٢] .
- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= الأنساب للسمعاني : ٤ / ٥٣ ، تاريخ الإسلام : ٢٤ / ٧٧ ، تاج التراجم : ١٠٠ .

(١) الظلال : ٤ / ٢٢٦٩ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٥٥٥ .

(٣) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ... ﴾ . [آية : ٣٤] .

مسألة : في المراد بالثُمُر – بضم الثاء والميم – :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الثمر – بضم الثاء والميم – أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، فقال : ((– بضم الثاء والميم – أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، قاله ابن عباس وقتادة . وقيل : هو الذهب والفضة خاصة ، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ، ويجوز إسكان الميم تخفيفاً ، وأما بفتح الثاء والميم فهو المأكول من الشجر ، ويحتمل المعنى الآخر)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف القرّاء في قوله : ﴿ ثَمَرٌ ﴾ على **ثلاثة أوجه من القراءات الثابتة المتواترة** ؛ ولكل منها وجه في العربية كما يلي :

" قرأ **عاصم** : ﴿ **ثَمَرٌ** ﴾ . بفتح الثاء والميم في الحرفين ؛ جمع ثمرة وثمر ، كبقرة وبقر ، الفرق بين الواحد والجمع إسقاط الهاء ، وحجته قوله قبلها : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ... ﴾ يعني : ثمرها .

وقرأ **أبو عمرو** : (**ثُمْرٌ**) – بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفاً – ، جمع ثمرة ، كبَدَنة وبُدْن ، وخَشَبة وخُشْب ، وثَمَرة وثُمْر ، ويجوز أن يكون جمع ثمار ، كما يخفف (كُتْب) ويجوز أن يكون ثُمُر واحدة كعُنُق وطُنُب ، فعلى أي هذه الوجوه جاز إسكان العين منه .

وقرأ **الباقون** [2] : (**ثُمُرٌ**) – بضم الثاء والميم – جمع ثِمَار وثُمُر ؛ كقولك : كِتَاب وكُتُب

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٨ .

(٢) وهم : ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر الشامي ، وحمزة ، والكسائي .
قال ابن جرير : " وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأ : (وكان له ثُمُر) – بضم الثاء والميم – لإجماع الحجة من القراء عليه ، وإن كانت جمع ثمار كما الكتب جمع كتاب " . اهـ . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٦ . ويرد قول الطبري هذا ولا اعتبار به لأن كلاً من القراءات الباقية قراءات متواترة ثابتة عن الرسول ﷺ .

وحِمَار وحُمُر " [١] .

واتفق السلف وأهل العلم والمفسرون على أن قراءة ﴿ ثَمَرٌ ﴾ – بفتح الثاء والميم – هي المأكول من الشجر [٢] ؛ لكنهم اختلفوا في المراد بالثُمُر – بضم الثاء والميم – على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، وقتادة [٤] ، وذهب إليه مقاتل [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

قالوا : " لأن تثميره أكثر " [٨] .

---

(١) حجة القراءات لابن زنجلة : ٤١٦ . وينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٢٦٤ ، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو ، عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) : ١٤١ ، تحبير التيسير في القراءات العشر لأبي الخير ، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٨ هـ) : ٤٤٤ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٦ .
وأبو عمرو هو : أبو عمرو بن زبان – على الأصح – بن عمار المازني البصري ، يلقب أبوه بالعلاء ، كان قليل الحديث ، بحراً في كلام العرب ، رأساً في القرآن ، أحد القراء السبعة المشهورين ، ت سنة ١٥٤ هـ . ينظر : المعارف : ٥٣١ ، مشاهير علماء الأمصار : ١٥٣ ، تهذيب الكمال : ٣٤ / ١٢٠ – ١٣٠.

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ ، التسهيل : ٢ / ١٨٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٩ . ورَوَى الأَزهريُّ بسَنَدِه ، قال : قال سَلّام أَبو المُنْذِر القارىء في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ مفتوح : جَمْع ثَمَرة ، ومَن قرأَ : (ثُمُر) قال : مِن كلّ المالِ . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٦٢ . وينظر : تاج العروس : ١٠ / ٣٢٨ كلاهما في (مادة : ثمر) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٤٥) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٠) إلى ابن أبي حاتم . وينظر : تنوير المقباس : ٢٤٧ . **وهو أثر حسن** . **وحسَّنه** د . الجهني في رسالته : ٧٤٣ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٤٥) ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٤٠٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٠) إلى أبي عبيد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم أيضاً . **وصحَّحه** د . الجهني في رسالته : ٧٤٣ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٨٨ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٨ .

(٧) منهم : النحاس **وحسَّنه** ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي والخازن ، والنيسابوري ، وقدَّمه السمين الحلبي ، و **استظهره** ابن كثير ، ولم يقل بغيره الجلالين ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ونقله عنه محمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٧٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٦٢ ، الكشاف : ٢ / ٦٧٤ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٤٠٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢١٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٣٠ ، الدر المصون : ٤ / ٤٥٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٤ ، تفسير الجلالين : ٣٨٥ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣١٨ ، الوسيط : ٨ / ٥١٥ .

(٨) ذكره الماوردي في النكت (٣ / ٣٠٦) .

والتقدير على هذا القول : أنه جمع ثَمَرة على ثِمَار ، ثم جمع ثِمَاراً على ثُمْر [١] .

ويستشهد لهذا القول :

١. من اللغة :﴿ ثَمَرٌ﴾ مأخوذة من : أثمر الرجل ، إذا كَثُر ماله [٢] .

قال الطاهر بن عاشور : " مشتقاً من اسم الثمرة على سبيل المجاز أو الاستعارة ؛ لأن الأرباح وعفو المال يُشبهان ثمر الشجر ، وشَاع هذا المجاز حتى صار حقيقة " . اهـ [٣] .

وذكر أهل اللغة : أنه (ثُمْر) - بالضمِّ - أنواع الأموال من الذهب والفضة وغيرهما ، و (ثَمْر) - بالفتح - حمل الشجر [٤] .

٢. من كلام العرب : بيت النابغة الذبياني [٥] :

مَهْلاً فداءً لك الأقوامُ كلُّهمُ وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِنْ وَلَدِ

٣. بالقراءة المتواترة : وهي قراءة أبو عمرو : (ثُمْرٌ) - بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفاً - ، فيكون جمع ثمرة كخَشَبَة وخُشْب [٦] ، قاله أبو عبيدة [٧] .

القول الثاني : هو **الذهب والفضة خاصة** ، قاله مجاهد [٨] .

عن مُجاهد قال : ما كان في القُرآن من (ثُمُرٍ) - بالضمِّ - فهو مال : وما كان من

---

(١) **ثَمر** هي : اسم جنس جمعي لثمرة ، وثمار جمع حقيقي ، وثُمر جمع ثِمَار فهي جمع الجمع . ينظر (مادة : ثمر) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٦٢ ، لسان العرب : ٤ / ١٠٧ ، تاج العروس : ١٠ / ٣٣٠ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ثمر) : ١٥ / ٦٢ ، المخصص لابن سيده : ٤ / ٣٥٦ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٥ / ٣١٩ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٨٥ ، لسان العرب (مادة : ثمر) : ٤ / ١٠٦ . وينظر : السراج المنير : ٢ / ٤١٦ .

(٥) ينظر ديوانه : ٢٢ .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٤ .

(٧) ينظر مجازه : ١ / ٤٠٢ .

(٨) ينظر تفسيره : ١ / ٣٧٦ . وأسنده الفَرَّاء (٢ / ١٢٠) . وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسنديهما عنه . ينظر : تفسير الصنعاني : ٢ / ٤٠٤ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٥ . وينظر تغليق التعليق لأبي الفضل ، أحمد بن علي ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : ٤ / ٢٤٣ . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٠) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(ثَمَر) – مفتوح – فهو الثِّمَار [١] .
وقالوا : ذلك هو الثمر ؛ لأنها أموال مثمَّرة ؛ يعني مكثَّرة [٢] .

✓ **ويقوِّي ذلك** :

قوله تعالى بعدها : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ... ﴾ [٣] والإنفاق من الورق لا من الشجر [٤] .

✖ **وتعقب قول مجاهد أبو علي الفارسي** بقوله : " وليس ذلك بمعروف في اللغة " [٥] .

وحسَّن **الزَّجَّاج** [٦] أن يراد الثمُر هنا ؛ لأن قوله : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ... ﴾ [٧] [٧] قد دلَّ على الثمر .

وقال **ابن سيده** : " وكأن الذهب والورق قيل له : (ثمر) على التفاؤل ؛ لأن الثمر نماء في ذي الثمرة ، وكان الثمر الذي هو الجنى أشبه في التفسير من الذهب والفضة ؛ لأنه أشد مشاكلة بالمذكور معه ، ألا ترى أنه قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ... ﴾ [٨] ، فالثمر الذي هو الجنى أشبه بالنخل

---

(١) أسنده الفَرَّاء في معانيه (٢ / ١٢٠) . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ثمر) : ١٥ / ٦٢ .
(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٥ .
(٣) سورة الكهف : ٤٢ .
(٤) ينظر : زاد المسير : ٥ / ١٤٢ .
(٥) نقله عنه ابن سيده ، وابن منظور . ينظر (مادة : ثمر) في : المحكم : ١٠ / ١٤٧ ، لسان العرب : ٤ / ١٠٧ .

وأبو علي الفارسي هو : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفَسَوِي الفارسي الأصل ،أبو علي : أحد الأئمة في علم العربية ، ولد في فسا (من أعمال فارس) . كان متَّهماً بالاعتزال ، وله شِعرٌ قليل ، من كتبه : التذكرة ، وتعاليق سيبويه وغير ذلك . ت سنة ٣٧٧ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ١ / ١٩٣ ، السِّير : ١٦ / ٣٧٩ ، البلغة : ١ / ٨٠ .

(٦) ينظر معانيه : ٣ / ٢٨٥ .
(٧) سورة الكهف : ٣٣ .
(٨) سورة الكهف : ٣٢ – ٣٤ .

والأعناب من الذهب والورق بهما " . اهـ [١] .

وقال **ابن القيِّم** : " وقد قيل إن الثمار هنا وفي [آية البقرة : ٢٦٦] [٢] المراد بها المنافع والأموال ، **والسِّياق** يدل على أنها الثمار المعروفة لا غيرها ، لقوله هنا : ﴿ ... لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ... ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ فَأَصَابَهَآ ﴾ أي : الجنة ﴿ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ . وفي الكهف : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ... ﴾ [٣] ، وما ذلك إلا ثمار الجنة " . اهـ [٤] .

القول الثالث : الثُّمُر الأصل الذي له نماء ، والثَّمر الثمرة ، قاله ابن زيد [٥] ، وابن أبي زمنين من المفسرين [٦] .

قال النحاس : " وكأنه يريد بالأصل الشجر وما أشبهها " [٧] .

قالوا : " لأن في النماء تكثيراً " [٨] .

❖ **ذكر الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم** : الطبري ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني [٩] .

الترجيح:

---

(١) المخصص لابن سيده : ٣ / ١٥٢ .

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

(٣) سورة الكهف : ٤٢ .

(٤) التفسير القيِّم لابن القيِّم : ١ / ٢٦٩ .

(٥) أخرجه الطبري بسنده عنه . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٦ .

(٦) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٦٢ .

(٧) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٣٩ .

(٨) ذكره الماوردي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٠٦ .

(٩) ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٤٦ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٠٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٤٨ ، البحر المحيط : ٦ / ١١٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٢٤ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٤٨٦ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢١ ، فتح القدير : ٣ / ٢٨٦ .

يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالثُّمُر – بضم الثاء والميم – أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، وهو قول ترجمان القرآن ابن عباس ﷺ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين** ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : إن معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ أي : كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما ، فكان متمكناً من عمارة الجنتين ، من ثَّمر ماله : إذا كثره ، وليس المراد به الثمار المعروفة ، قال بذلك جماعة من المفسرين [(١)] .

وإذا سلمنا بأن المراد بـــ (الثُّمُر) الثمار المعروفة ؛ فـما الفائدة في ذكر الثمر بعد ذكر الجنتين ؛ وقد علم أن صاحب الجنة لا يخلو من ثمر ؟

أجاب عن ذلك **ابن الجوزي** بأجوبة ثلاثة :

" أحدها : أنه لم **يكن** أصل الأرض ملكا له ؛ وإنما كانت له الثمار ؛ قاله ابن عباس ﷺ .
والثاني : أن ذكر الثمر دليل على كثرة ما يملك من الثمار في الجنتين وغيرهما ، ذكره ابن الأنباري .

والثالث : إنا قد **ذكرنا** أن المراد بالثمر الأموال من الأنواع ؛ وذكرنا أنها الذهب والفضة وذلك يخالف الثمر المأكول " . اهـــ [(٢)] .

والقول الثالث قد ثبت عن ابن عباس ﷺ وقتادة ؛ وبهذا يترجح أن المراد **بالثُّمُر** الأموال .

وقال ابن عطية :

" كأنها ثمار وثمر ، ككتاب وكتب ، وأما من قرأ – بفتح الثاء والميم – فلا إشكال في أن المعنى : ما في رؤوس الشجر من الأكل ؛ ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبر إيجازا عن هلاك الثمر والأصول بهلاك الثمر فقط ؛ فخصصها بالذكر إذ هي مقصود المستغل ؛ وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل " . اهـــ [(٣)] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٧٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٠٦ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٩٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢١ ، السراج المنير : ٢ / ٤١٦ .
(٢) زاد المسير : ٥ / ١٤١ ، ١٤٢ .
(٣) المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ .

ثانياً : يؤيد هذا القول قراءة أبي ﷺ [١] : (وآتيناه ثمراً كثيراً) أي : أموالاً كثيرة ؛ وتحمل على التفسير .

ثالثاً : تقوى هذا القول **بالقراءة المتواترة الثابتة** ؛ وهي قراءة أبي عمرو : (ثُمْرٌ) – بضم الثاء وإسكان الميم فيهما تخفيفاً – ، فيكون جمع ثمرة ؛ كخَشَبَة وخُشْب ، وبذلك فإنه يتأيد **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه** [٢] .

رابعاً : يتأيد هذا القول بوجه من وجوه اللغة – كما ذكرت آنفاً – .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) هذه **القراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٦ . ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ولا في محتسب ابن جني ، وقد أوردها غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٧٥ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٠ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ . [آية : ٤٦] .

مسألة : في المراد بالباقيات الصالحات :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الباقيات الصالحات هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، فقال : ((﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هذا قول الجمهور ، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ . وقيل : الصلوات الخمس . وقيل : الأعمال الصالحات على الإطلاق)) . اهـ [١] .

الدراسة :

أقوال العلماء والمفسرين في ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ كلها راجعة إلى شيء واحد ، وهو الأعمال التي ترضي الله [٢] ؛ وقد اختلفوا في **المراد بها على التحديد** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : هي **الكلمات المأثور فضلها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر** ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، ومجاهد [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه **جمهور** العلماء [٦] ، وجماعة من المفسرين [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٨٩ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٩٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٥٤) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٤٨ . و**صحَّحه** د . سامي الجهني في رسالته : ٧٤٤ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٤١٠) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٨٩ .

(٦) نسب ابن جُزيّ والشنقيطي وغيرهما هذا القول إلى الجمهور . ينظر : ا لتسهيل : ٢ / ١٨٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٨١ . ولكن بالاستقراء لم أجد هذا هو قول جمهور المفسرين ، **وربما يقصد جمهور السلف** ؛ والله أعلم .

(٧) منهم : مقاتل ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والثعالبي ، والجلالين (قالا : زاد بعضهم : ولا حول ولا قوة إلا بالله) . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٩١ ، زاد المسير : ٥ / ١٤٩ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٢٨ ، تفسير الجلالين : ٣٨٧ .

واستدل على ذلك بالسُّنة [١] **، ومنها :**

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « خُذُوا جُنَّتَكُمْ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ ، قَوْلُ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » [٢] .

- وعَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدَب ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلى اللَّهِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ ... » [٣] .

- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ . قِيلَ : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ » [٤] .

- وعن **سَعِيدِ بن الْمُسَيَّب** قال عن الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ : إِنَّهَا قَوْلُ الْعَبْدِ : اللهُ أَكْبَرُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ [٥] .

---

(١) أخرج الطبري وأورد السيوطي عدداً من الأحاديث والآثار عن جمع من السلف وهم : ابن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، والنعمان بن بشير ، وأبو هريرة ، وأبو الدرداء ، وأنس ، وسمرة بن جندب ، وعائشة ، وعلي ، وعثمان بن عفان ، وابن عمر ﷺ أجمعين ، وسعيد بن المسيب ، والحسب البصري والتي تبين أن الباقيات الصالحات هي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٥٤ - ٢٥٦ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٦ - ٣٩٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١٩٨٥) : ١ / ٧٢٥ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه . و**أقرَّه** الذهبي . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله في الصغير رجال الصحيح غير داود بن بلال وهو ثقة . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٨٧ . و**صحَّحه** الألباني .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب ، بَاب كَرَاهَةِ التَّسْمِيَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ وَبِنَافِعٍ وَنَحْوِهِ (٢١٣٧) : ٣ / ١٦٨٥ . وجاء بلفظ : « خَيْرُ الْكَلَامِ أَرْبَعٌ ... » . وبلفظ : « أَفْضَلُ الْكَلَامِ أَرْبَعٌ ... » .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، ذكر البيان بأن الكلمات التي ذكرناها مع التبري من الحول والقوة إلا بالله مع الباقيات الصالحات (٨٤٠) : ٣ / ١٢١ . قال الحاكم : هذا أصح إسناد المصريين فلم يخرجاه . وقال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال : « وما هن » بدل « وما هي » **وإسنادهما حسن** . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٨٩ . وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف . **وضعّفه** الألباني .

(٥) أخرجه أبو عبد الله ، مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) في الموطأ موقوفاً على سعيد بن المسيب في كتاب =

القول الثاني : هي : **الصلوات الخمس** ، قاله ابن عباس ﷺ في رواية عنه [١] ، و هو قول مرويٌّ عن جماعة من السَّلف [٢] ، وذهب إليه الأزهري [٣] ورجَّحه السمر قندي ، وابن العربي [٤] من المفسرين .

وذكر ابن العربي الأقوال في المراد بالباقيات الصالحات ثم ذكر القول الأخير ؛ وقال :

" أنها الصلوات الخمس ، وروي عن ابن عباس وغيره ، وبه أقول وإليه أميل ، وليس في الباب حديث صحيح ، أما أن فضل التسبيح والتكبير والتهليل والحوقلة مشهور في الصحيح كثير ، ولا مثل للصلوات الخمس في ذلك بحساب ولا تقدير ؛ والله أعلم " . اهـ [٥] .

القول الثالث : **هي الأعمال الصالحات على الإطلاق** ، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ أيضاً [٦] ، وهو قول قتادة [٧] ، وقاله جماعة من المفسرين [٨] .

= القرآن ، باب ما جاء في ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (٤٩١) : ١ / ٢١٠ .

وسعيد بن المسيب هو : سعيد بن المسيب بن حزْن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد ، عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين في زمانه ، المحدث الفقيه ، الزاهد الورع العابد ، ت سنة ٩٤هـ . ينظر : مشاهير علماء الأمصار : ٦٣ ، حلية الأوَّلياء : ٢ / ١٦١ ، السِّير : ٤ / ٢١٧ - ٢٤٦ .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٥٣ ، ٢٥٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣٩٨) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وينظر : تنوير المقباس : ٢٤٨ .

(٢) ومنهم : الثوري (ينظر تفسيره : ١٧٨) ، والحسن البصري (قال ابن أبي زمنين في تفسيره (٣ / ٦٦) : في تفسير الحسن : الفرائض) ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي وغيرهم (أخرجه ابن جرير عنهما في تفسيره : ١٥ / ٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة : ٩ / ٢٦١ .

(٤) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٤٩ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٦) نسبه إليه السمر قندي . ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤٩ .

(٧) قال قتادة : كل عمل أريد به وجه الله . عزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٩ . ونسبه إليه غير واحد من المفسرين .

(٨) منهم : الطبري ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنيسابوري والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٥٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٦٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٧٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٢٠ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١١٢ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٤١٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٠١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٣٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٧٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢٩٠ ، روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ ، تفسير السعدي : ٤٧٩ ، الظلال : ٤/ ٢٢٧٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٨١ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، الوسيط : =

عن ابن عباس ﷺ قال : ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قال : هي ذكر الله : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله وصلى الله على محمد رسول الله ﷺ ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والصدقة ، والعتق والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة » [١] .

ويستدل على هذا القول بما يلي :

١. رواية ابن عباس ﷺ لكل قول دليل على أن ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ لفظ عام يشمل كل قول وفعل فيه مرضاة الله ويبقى ثوابه [٢] .

٢. اللغة :

قال أهل اللغة [٣] : ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ كل عمل صالح يبقي ثوابه .

قال النحاس بعد ذكر الأقوال عن ابن عباس ﷺ : " ولا يمتنع شيء من هذا عند أهل اللغة ؛ لأنه كل ما بقي ثوابه جاز أن يقال له هذا " [٤] .

وقال القاسمي : " وقع في كلام السلف تفسير ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ بالصلوات وأعمال الحج ، والصدقات ، والصوم ، والجهاد ، والعتق ، وقول : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) والكلام الطيب ، وبغيرهما مما روي مرفوعاً وموقوفاً . والمرفوع من ذلك كله لم يخرَّج في الصحيحين ، وكله على طريق التمثيل . وإن اللفظ الكريم يتناولها لكونها من أفراده " . اهـ [٥] .

= ٨ / ٥٢٧ .

(١) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٣٩٨ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٢٠ .

(٣) ومنهم : الزَّجَّاج ، وابن سيده ، وابن منظور ، والكفوي . ينظر (مادة : بقي) : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٢٩٢ ، المحكم : ٦ / ٥١٢ ، لسان العرب : ١٤ / ٨٠ ، الكليات : ٢٣٨ ، المعجم الوسيط : ١ / ٦٦ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٥٠ . وقال بمثله القرطبي ، ينظر تفسيره : ١٠ / ٤١٤ .

(٥) تفسير القاسمي : ١١ / ٥١ .

وكذا قال **الشهاب الخفاجي** [١] قبله .

✖ وتعقَّبه الآلوسي :

بأن هذا القول يبعده الرواية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ بلفظ : « وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » والتي رواها الحاكم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ والمفيدة للحصر بعد التنصيص على ما لا عموم فيه .

ثم استدرك الآلوسي قائلاً :

" وأيّاً ما كان فـ ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾ صفة لمقدر ، كالكلمات ، أو الأعمال ، وإسناد الباقيات إلى ذلك مجاز ، أي : الباقي ثمرتها وثوابها " [٢] .

❖ **ذكر جميع الأقوال من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم** : الثعلبي ، والبغوي ، والنسفي ، **والخازن** ، وابن كثير ، وأبو حيان ، وابن عادل [٣] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ لفظ عام ، يشمل كل قول ، أو عمل يرضى الله ﷻ ويدخل فى ذلك دخولا أولياً : الصلوات الخمس وغيرها مما ذكره ابن جُزيّ والمفسرون غيره من أقوال** [٤] ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم

---

(١) ينظر : حاشية الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) المسمَّاة (عناية القاضي وكفاية الراضي) حاشية على تفسير البيضاوي : ٦ / ١٨٤ .
والشهاب الخفاجي هو : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري : قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة ، من أهم كتبه : عناية الراضي وكفاية القاضي (حاشية على تفسير البيضاوي) . ت سنة ١٠٦٩هـ . ينظر : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدورد فنديك : ٣٦٦ ، الأعلام : ١ / ٢٣٨ .

(٢) روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٧٣ ، ١٧٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٦٤ ، ١٦٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢١٤ ، ٢١٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٨٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٢٧ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٥٠١ ، ٥٠٢ .
والخازن هو : علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي ، علاء الدين ، اشتهر بالخازن لأنه كان خازن الكتب السّمَيساطية ، كان من أهل العلم ، جمع وألف وحدث ببعض مصنفاته ، ت سنة ٧٢٥ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٤ / ١١٥ ، ١١٦ ، طبقات الشافعية : ٣ / ٤٢ ، طبقات الداودي : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٤) قال أبو السعود : " و يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولاً

ولما يلي :

أولاً : " الأعمال الصالحة جميعها تبقى لصاحبها في الآخرة ، وعليها يجازي ويثاب ، وإن الله ﷻ لم يخصص من قوله : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ بعضاً دون بعض في كتاب ولا بخبر عن رسول الله ﷺ .

وأما الحديث الصحيح الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ والذي جاء بالتخصيص بلفظ : « وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » . فإن هذا الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن : « قول : سُبْحَانَ الله ، وَالْحَمْدُ لله ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ... وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » ولم يقل : هُنَّ **جميع** الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ؛ ولا **كل** الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ . وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ؛ وغيرها من أعمال البرِّ أيضاً باقيات صالحات " [1] .

ثانياً : **القرينة في السِّياق** : " بقرينة ما بعدها فـ ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ صفة جرت على غير ما هي له بحسب الأصل ، أو هناك مقدر مرفوع بالوصف ؛ أي : الأعمال الصالحات الباقيات أي التي لا زوال لها ، أي لا زوال لخيرها ، وهو ثوابها الخالد ، فهي خيرٌ من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية " [2] .

قال الطاهر بن عاشور : " وكان مقتضى الظاهر في ترتيب الوصفين أن يقدم ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ على ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ﴾ لأنهما وإن كانا وصفين لموصوف محذوف إلا أن أعرفهما في وصفية ذلك المحذوف هو ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ ، لأنه قد شاع أن يقال : الأعمال الصالحات ولا يقال الأعمال الباقيات ، ولأن بقاءها مترتب على صلاحها ، فلا جرم أن الصالحات وصف قام مقام الموصوف وأغنى عنه كثيراً في الكلام حتى صار لفظ : ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ بمنزلة الاسم الدال على عمل خير ، وذلك كثير في القرآن قال تعالى : ﴿ ... وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾ [3] .....

ولكن خولف مقتضى الظاهر هنا ، فقدم ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ﴾ للتنبيه على أن ما ذكر قبله إنما

أوليا " . ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٢٥ . وكذلك ينظر : روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ .

(١) تفسير الطبري : ١٥ / ٢٥٦ . بتصرف يسير .

(٢) روح المعاني : ١٥ / ٢٨٧ . وينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٣٢ .

(٣) سورة الكهف : ١٠٧ .

كان مفصولاً لأنه ليس بباق ، وهو المال والبنون ، كقوله تعالى : ﴿ ... وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴾ [١] ، فكان هذا التقديم قاضياً لحق الإيجاز لإغنائه عن كلام محذوف ، تقديره : أن ذلك زائل أو ما هو بباق والباقيات من الصالحات خير منه ، فكان قوله : ﴿ ... فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ... ﴾ [٢] مفيداً للزوال بطريقة التمثيل وهو من دلالة التضمن ، وكان قوله : ﴿ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ﴾ مفيداً زوال غيرها بطريقة الالتزام ، فحصل دلالتان غير مطابقتين وهما أوقع في صناعة البلاغة ، وحصل بثانيتهما تأكيد لمفاد الأوَّلى فجاء كلاماً مؤكداً موجزاً " . اهـ [٣] .

ثالثاً : كل عمل صالح يبقي ثوابه باقٍ لصاحبه غير زائل ؛ ولا فانٍ كزينة الحياة الدنيا ، ولأنه أيضاً صالح لوقوعه على الوجه الذي يرضي الله تعالى [٤] .

قال الخطيب الشربيني :

" أعمُّها ، وأولاها أنها أعمال الخيرات التي تبقى ثمراتها أبد الآباد فيندرج في ذلك : الصلاة وأعمال الحج ، وصيام رمضان ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه ، والكلام الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاك لمحبة اللّه تعالى ومعرفته وخدمته ، وأما ما دعاك من قول أو عمل إلى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك ؛ لأن كل ما سوى الحق فهو فانٍ لذاته فكان الاشتغال به والإنفاق عليه باطلاً وسعياً ضائعاً ، وأما الحق لذاته فهو الباقي الذي لا يقبل الزوال ، لا جرم كان الاشتغال بمحبته ومعرفته وطاعته وخدمته هو الذي يبقى بقاء لا يزول " . اهـ [٥].

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الرعد : ٢٦ .
(٢) سورة الكهف : ٤٥ .
(٣) التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
(٤) ينظر : أضواء البيان : ٢ / ٣٩٢ .
(٥) السراج المنير : ٢ / ٤٢١ ، ٤٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ . [آية : ٥٨] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة** ، فقال : ((﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ الضمير لكفار قريش ، أو لسائر الناس ؛ لقوله : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ ... ﴾ [١] ، والجملة خبر المبتدأ و ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة ، ويحتمل أن يكون ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ هو الخبر ، و﴿ يُؤَاخِذُهُمْ ﴾ بيان لمغفرته ورحمته ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف بعض المفسرين [٣] في **الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : ﴿ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ صفتان ، وجملة ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ خبر المبتدأ ﴿ وَرَبُّكَ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، ووافقه أبو حيان [٥] .

القول الثاني : ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ هو الخبر ، و﴿ يُؤَاخِذُهُمْ ﴾ بيان لمغفرته ورحمته ، قاله أبو السعود ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور [٦] من المفسرين .

---

(١) سورة النحل : ٦١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩١ .

(٣) لم يتطرق للموقع الإعرابي لهذه الآية – في حدود ما اطلعت – إلا المفسرون المذكورون لاحقاً . وتصفحت كتب إعراب القرآن المتيسرة لدي أمثال كتاب : الزَّجَّاج ، والنحاس ، وابن سيده ، ومكي بن أبي طالب ، والعكبري فلم يذكر إعرابها أيّ من هؤلاء الأئمة الأفاضل .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩١ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣١ ، روح المعاني : ١٥ / ٣٠٤ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٥٦ .

وعلَّل ابن عاشور ذلك قائلاً :

" لأنه المناسب للمقام ولما بعده من جملة ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم ﴾ فيكون ذكر ﴿ ٱلۡغَفُورُ ﴾ إدماجاً في خلال المقصود ... وقوله : ﴿ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ فهو المقصود تمهيداً لجملة ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ ﴾ ، فلذلك كانت تلك الجملة بياناً لجملة : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ باعتبار ﴿ ٱلۡغَفُورُ ﴾ الخبر " . اهـ [1] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ صفتان ، وجملة ﴿ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم ﴾ خبر المبتدأ ﴿ وَرَبُّكَ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ وأبو حيان** .

لأن جملة ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ لو كان ﴿ ٱلۡغَفُورُ ﴾ فيها هو الخبر ووقفنا عليها لم يتم المعنى عندها **والأظهر** أن يكون ﴿ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩١ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ . [آية : ٦٣] .

مسألة : في إعراب ﴿ عَجَبًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ عَجَبًا ﴾ مفعول ثان لـ ﴿ وَٱتَّخَذَ ﴾ ، فقال : ((يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع [(١)] ؛ أي : اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً للناس ، أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجباً ، أي : تعجب هو منه ، وإعراب ﴿ عَجَبًا ﴾ مفعول ثان لـ ﴿ وَٱتَّخَذَ ﴾ مثل : ﴿ ... سَرَبًا ﴾ . وقيل : إن الكلام تم عند قوله ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ ثم ابتدأ التعجب ؛ فقال : ﴿ عَجَبًا ﴾ ، **وذلك بعيد**)) . اهـ [(٢)] .

الدراسة :

ذكر أغلب المفسرين أن الضمير في قوله : ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ عائدٌ على الحوت كما عاد في قوله : ﴿ ... فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [(٣)] ، وهو من كلام يوشع [(٤)] وهذا الحوت أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يحمله في مكتل ؛ فحيث فقد الحوت فهو موعده مع الخضر عليه السلام ؛ فانطلق هو وفتاه يوشع عليه السلام ، فانسلَّ الحوت من المكتل ، وكان إحياؤه واتخاذه سبيله في البحر سرباً آية من آيات الله لموسى عليه السلام ، يعرف بهما موعده ، فكان لموسى عليه السلام وفتاه عجباً [(٥)] .

---

(١) هو يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام . ينظر : إتقان السيوطي : ٤ / ٣٨٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٢ .

(٣) سورة الكهف : ٦١ .

(٤) احتمل ابن عطية والشوكاني أن يكون ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ ﴾ . الآية . إخباراً من الله تعالى لبيان طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين اعتراضاً . وذلك على وجهين :

- إما أن يخبر عن موسى عليه السلام أنه اتخذ سبيل الحوت من البحر ﴿ عَجَبًا ﴾ أي تعجب منه .
- وإما أن يخبر عن الحوت أنه اتخذ سبيله ﴿ عَجَبًا ﴾ للناس . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٢٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٩٩ .

(٥) القصة كاملة مرويَّة في الصحيحين . ينظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، بَاب ما يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إذا سُئِلَ أَيُّ الناس أَعْلَمُ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إلى اللَّه (١٢٢) : ١ / ٥٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الفضائل ، بَاب من فَضَائِلِ الْخَضِرِ عليه السلام (٢٣٨٠) : ٤ / ١٨٤٧ . رواه ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

لكنهم اختلفوا في قوله : ﴿ عَجَبًا ﴾ هل هو من كلام يوشع عليه السلام ، أو من كلام موسى عليه السلام ، وترتب على ذلك اختلافهم في إعرابها ..

وحاصل اختلافهم يرجع إلى ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : **﴿ عَجَبًا ﴾ مفعول ثان لـــ ﴿ وَٱتَّخَذَ ﴾** مثل ﴿ سَرَبًا ﴾ [١] ، على احتمال أن قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا ﴾ **من كلام يوشع عليه السلام** ، قاله الزَّجَّاج [٢] والعكبري [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

وهناك أوجه أخرى لإعراب ﴿ عَجَبًا ﴾ على أنها من كلام يوشع عليه السلام أيضاً كما يلي :

الوجه الأوَّل : أن يكون الظرف ﴿ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ هو المفعول الثاني له ، و ﴿ عَجَبًا ﴾ صفة مصدر محذوف أي : **اتخاذاً عجباً** ، **أو سبيلاً عجباً** [٦] ، وهو كون مسلكه **كالطَّاق** [٧] والسرب ، ذكره الفخر الرازي ، ولم يذكر البيضاوي غيره ، وجوَّزه الآلوسي [٨] .

الوجه الثاني : أن يكون الظرف ﴿ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ هو المفعول الثاني له أيضاً ، و ﴿ عَجَبًا ﴾ جملة مستأنفة منصوب بفعل منه مضمر ؛ أي : أعجبُ عجباً ، فانتصب على المفعول المطلق الآتي بدلاً من فعله ، قاله الواحدي ، وجوَّزه الآلوسي ، ولم يذكر الطاهر بن عاشور

---

(١) سورة الكهف : ٦١ .
(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٣٠٠ .
(٣) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٣ / ٣٠٠ .
(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٢ .
(٥) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، والفخر الرازي (قال بأنه من كلام يوشع عليه السلام وذكر وجوها في إعراب ﴿ عَجَبًا ﴾ غير أنه مفعول ثانٍ لاتخذ) ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٦٧ ، الكشاف : ٢ / ٦٨٥ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٣٨ ، تفسير الجلالين : ٣٩٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٩٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٣١٨ ، الوسيط : ٨ / ٥٥٠ .
(٦) ينظر : كليات الكَفَوي : ٦٥٨ .
(٧) **الطَّاق** هو : عَقْد الْبِنَاء ، وَجَمْعه طِيقَان وَأَطْوَاق ، وَهُوَ الْأَزَج ، وَمَا عُقِدَ أَعْلَاهُ مِنْ الْبِنَاء وَبَقِيَ مَا تَحْته خَالِيًا . ينظر : تفسير غريب ما في الصحيحين : ٩٢ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١٥ / ١٢٩ ، لسان العرب (مادة : طوق) : ١٠ / ٢٣٣ .
(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥١٠ ، روح المعاني : ١٥ / ٣١٨ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٢ / ٥٢٨ .

غيره [١] .

❖ وذكر **السمين الحلبي** كل وجوه الإعراب السابقة لـــ ﴿ عَجَبًا ﴾ ، ولم يرجح وجهاً على وجه [٢] .

القول الثاني : قوله : ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ من كلام يوشع عليه السلام ؛ والكلام تم عند قوله ﴿ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ ، و ﴿ عَجَبًا ﴾ من كلام موسى عليه السلام ، كأنه قال : أعجبُ عجباً جوَّزه الزَّجَّاج [٣] ، وقاله جماعة من المفسرين [٤] .

✘ **واعترض الزمخشري** على أن يكون قوله : ﴿ عَجَبًا ﴾ حكاية لتعجب موسى عليه السلام فقال : " وليس بذاك " [٥] .

✘ **واستبعد ابن جُزيّ** [٦] هذا الوجه من الإعراب .

القول الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا ﴾ من كلام موسى عليه السلام كله ، تقديره : واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر ؛ فعجب عجباً ، قاله مقاتل [٧] ، والفَرَّاء [٨] ، ورجَّحه النحاس [٩] ، وذكره مكي بن أبي طالب [١٠] ، وقاله الماوردي .

وذكر فيه قولان :

" أحدهما : انه كان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماؤه صخراً ؛ فلما رآه موسى عليه السلام عجب من مصير الماء صخراً .

---

(١) ينظر : تفسير الواحدي : ١ / ٦٦٧ ، روح المعاني : ١٥ / ٣١٨ ، التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٦٧ .
(٢) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤٧١ .
(٣) ينظر معانيه : ٣ / ٣٠٠ .
(٤) منهم : الطبري (أخرج آثاراً عن غير واحد من السَّلف عن تعجب موسى عليه السلام) ، وابن أبي زمنين ، والعز بن عبد السلام . ينظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٢٧٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٧٣ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٥٥ .
(٥) الكشاف : ٢ / ٦٨٥ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٢ .
(٧) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٩٥ .
(٨) ينظر معانيه : ٢ / ١٢٩ .
(٩) ينظر إعرابه : ٢ / ٤٦٤ .
(١٠) ينظر مشكله : ١ / ٤٤٥ .

الثاني : أن موسى ﷺ لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع إلى مكانه ؛ فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجري فيها فعجب من عود الحوت حياً " . اهـ [١] .

واستدل بجملة من الآثار في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ منها :

- عن **ابن عباس** ﷺ قال : يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً .
- وعنه ﷺ أيضاً قال : جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة فجعل نبي الله ﷺ يعجب من ذلك [٢] .
- وعن **قتادة** قال : فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً ؛ فجعل يعجب من سرب الحوت [٣] .
- وعنه أيضاً قال : عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكتل [٤] .
- وعن **مجاهد** قال : موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها [٥] .

وموضع العجب : أن يكون حوت قد مات فأكل شقه الأيسر ثم حي بعد ذلك .

قال ابن زيد : عجب والله ! حوت كان يؤكل منه أدهراً ، أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ؛ ثم صار حياً حتى حشر في البحر [٦] .

❖ **وقال بالقولين الأوَّليين من غير ترجيح جماعة من المفسرين ، منهم** : السمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي [٧] .

---

(١) النكت والعيون : ٣ / ٣٢٤ .

(٢) أخرج ابن جرير الأثرين عن ابن عباس ﷺ في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٤٠٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) .

(٤) من الروايات التفسيرية التي أوردها ابن حجر في فتح الباري ؛ ونسبها لقتادة من طريق ابن أبي حاتم . ينظر : فتح الباري : ٨ / ٤١٦ . ولم أقف عليها في تفسير بن أبي حاتم .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) . وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٢٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ٢٧٥) . وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية .

(٧) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٥٤ ، الكشف والبيان : ٦ / ١٨٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٧٢ ، المحرر

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ من كلام يوشع عليه السلام ، أي : اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً للناس ، وإعراب ﴿ عَجَبًا ﴾ مفعول ثان لـــ ﴿ وَٱتَّخَذَ ﴾ مثل : ﴿ سَرَبًا ﴾** [(١)] **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، كما يجوز الوجهان الآخران السابقا الذكر** [(٢)] **واللذان حكاهما السمين الحلبي** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : " سياق الآية يدل عليه ، لذا اكتفى به بعض المفسرين دون أن يشير إلى غيره " [(٣)] .

ثانياً : يؤيد كونه من كلام فتى موسى عليه السلام **القراءة التفسيرية** ؛ قراءة أبي حيوة : (واتخاذ) بالنصب على أنه معطوف على المنصوب في ﴿ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [(٤)] .

ثالثاً : يؤيد ذلك بعض **القواعد الترجيحية** المعتبرة عند المفسرين ، منها :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [(٥)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

الوجيز : ٣ / ٥٢٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٤ .

(١) سورة الكهف : ٦١ .

(٢) صفة لمصدر محذوف ؛ أي : اتخاذاً عجباً ، أو منصب بفعل منه مضمر ، أي : أعجبُ عجباً .

(٣) الوسيط : ٨ / ٥٥٠ .

(٤) ذكرها ابن عطية ، والآلوسي في تفسيرهما . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٢٩ ، روح المعاني : ١٥ / ٣١٨ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** لكنها تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٩ . ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ولا محتسب ابن جني .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ... ﴾ . [آية : ٨٢] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بالكنز المذكور في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بكنز اليتيمين مال عظيم ، فقال : ((قيل : مال عظيم . وقيل : كان علما في صحف مدفونة ، **والأوّل أظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بكنز اليتيمين** على قولين :

القول الأوّل : الكنز **مال مدفون من ذهب وفضة** ، قاله عكرمة ، وقتادة [(٢)] وغير واحد ، وذهب إليه الزَّجَّاج [(٣)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٤)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٥)] .

واستدل له :

١. **من السُّنة** : بما روي عن أبي الدَّرداء ﷺ : عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن عكرمة وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٣) ينظر معانيه : ٣ / ٣٠٧ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٤ .

(٥) منهم : الطبري ، والواحدي ، **واستظهره** الزمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، و**صحَّحه** الفخر الرزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، **واستظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والآلوسي ، ولم يقل بغيره : سيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٠ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٣ ، زاد المسير : ٥ / ١٨١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٣٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥١٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٤٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٩٩ ، نظم الدرر : ٤ / ٤٩٨ ، تفسير الجلالين : ٣٩٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٢ ، الظلال : ٤ / ٢٢٨١ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٤ ، الوسيط : ٨ / ٥٦١ .

﴿ لَّهُمَا ﴾ قال : « ذهب وفضة » [١] .

٢. **من اللغة** : المعروف من كلام العرب أن الكنز هو المال المدفون [٢] .

قال الزَّجَّاج : " والمعروف فى اللغة أن الكنز إذا أُفْرِد فمعناه : المالُ المدفونُ ؛ فإذا لم يكن المال قيل : كنزُ علمٍ ، وكنزُ فهم . والكنز ههنا بالمَال أشبَهُ ؛ لأن العلم لا يكاد يتعلم إلا بمعلم ، والمال لا يحتاج أن ينتفع فيه بغيره " . اهـ [٣] .

وقال النحاس : " وهذا القول أولى من جهة اللغة " [٤] .

٣. **دلالة السِّياق** :

قال ابن كثير : " وهو ظاهر السِّياق من الآية " [٥] .

القول الثاني : الكنز كان **علماً في صحف مدفونة** ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً ، وسعيد بن جبير [٦] ، ومجاهد [٧] .

واستدل له :

١. **من السُّنة** : بحديث ابن عباس ﷺ ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قال : « ما كان ذهباً ولا فضة ؛ ولكن كان صحف علم » [٨] .

٢. **القرينة في السِّياق** : قوله تعالى بعدها في الآية نفسها : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الكَهْف (٣١٥٢) : ٥ / ٣١٣ . قال أبو عِيسَى : هذا حديث غريب . وأخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الكهف (٣٣٩٧) : ٢ / ٤٠١ . **وقال الألباني : ضعيف جداً** .

(٢) ينظر (مادة : كنز) في لسان العرب : ٥ / ٤٠١ ، تاج العروس : ١٥ / ٣٠٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٠٧ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٨١ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٣ / ٩٩ .

(٦) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٧) ينظر تفسيره : ١ / ٣٧٩ . وأخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٨) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الكهف (٣٣٩٦) : ٢ / ٤٠٠ . قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** .

والرجل الصالح يكون كتره العلم لا المال ؛ إذ كتر المال لا يليق بالصلاح ، وقد جاء في ذم الكانز قوله تعالى : ﴿ ... وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . [سورة التوبة : ٣٤] . (١)

✓ **وأجيب** : بأن المذموم ما لم تؤد منه الحقوق ؛ بل لا يقال لما أديت زكاته كتر شرعاً ؛ كما يدل عليه عند القائلين بالمفهوم حديث : « ما بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَزُكِّيَ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ » (٢) . " فإن النبي ﷺ بصدد بيان الأحكام الشرعية لا المفاهيم اللغوية ؛ لأنها معلومة للمخاطبين ولا يعتبر في مفهومه اللغوي المراد هنا شيء من الإخراج وعدمه ، والوصف بالصلاح قرينة على أنه لم يكن من الكتر المذموم " (٣) .

قال ابن فارس : " وكل كتر فى القرآن فهو المال إلا الذى فى سورة الكهف ﴿ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا ﴾ فإنه أراد صحفاً وعلماً " (٤) .

القول الثالث : الكتر **لوحٌ من ذهب** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه (٥) ، ومقاتل (٦) ، وجوَّزه الزَّجَّاج (٧) ، واحتمله النحاس والبغوي (٨) ، و لم يقل النسفي (٩) بغيره .

واستدل له من السُّنة :

بحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْكَنْزَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ

---

(١) حكاه الفخر الرازي في تفسيره (٢١ / ١٣٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي : ت ٢٧٥ هـ) في سننه في كتاب الزكاة ، بَاب الْعُرُوضِ إذا كانت لِلتِّجَارَةِ هل فيها من زَكَاةٍ (١٥٦٤) : ٢ / ٩٥ . عن أم سلمة رضي الله عنها . الحكم على الكتاب بشكل عام : ذكر الإمام أبو داود مصنف هذا الكتاب أن الأحاديث التي في كتابه هي أصح ما عرف في الباب ، وقال ما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح . **قال الألباني : حسن المرفوع منه فقط .**

(٣) روح المعاني : ١٦ / ١٣ .

(٤) نقله السيوطي عن ابن فارس ، وقاله الكفوي . ينظر : الإتقان : ١ / ١٠٩ ، الكليات : ٧٤١ . – و لم أقف على قول ابن فارس في كتبه في حدود ما اطلعت – .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٢٩٩ .

(٧) ينظر معانيه : ٣ / ٣٠٧ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٨١ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٧٧ .

(٩) ينظر تفسيره : ٣ / ٢٤ .

مُصْمَتٍ ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ لِمَ نَصَبَ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ النَّارَ لِمَ ضَحِكَ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ لِمَ غَفَلَ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ؛ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » (١) .

قال **النحاس** : " ويحتمل أن يكون كما روى أنه لوح من ذهب مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فهذا يجمع المال والعلم " (٢) .

القول الرابع : الكنز **لوحٌ من ذهب أو فضة مودعاً فيه علم** ، قاله الجصاص .

قال **الجصاص** : " ولما تأولوه على الصحف ، وعلى العلم ، وعلى الذهب ، وعلى الفضة دل على أن اسم الكنز يقع على الجميع ؛ لولاه لم يتأولوه عليه " . اهـ (٣) .

قال **ابن كثير** : " وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ؛ وورد به الحديث المتقدم وإن صح لا ينافي قول عكرمة : أنه كان مالاً ؛ لأنهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب وفيه مال جُزّيل أكثر ما زادوا أنه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ ، والله أعلم ". اهـ (٤) .

✖ **وتعقَّب الآلوسي هذا القول** :

بأن ظاهر قول ابن عباس ﷺ : « ما كان ذهباً ولا فضةً ؛ ولكن كان صحفَ علمٍ » . يأباه (٥) .

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار لأبي بكر ، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار : ت ٢٩٢ هـ) ، في مسند أبي ذر ﷺ (٤٠٦٥) : ٩ / ٤٥٤ . قال الزيلعي : روي مرفوعاً وموقوفاً . فالمرفوع رواه البزار في مسنده عن أبي ذر وقال : لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد . والموقوف روي عن ابن عباس وعن علي ﷺ ، فحديث ابن عباس ﷺ له ثلاث طرق :
أحدها عند الطبراني في كتاب الدعاء له . والثاني عند الدار قطني في غرائب مالك ، ثم قال : هذا باطل عن مالك وجعفر بن محمد ومحمد بن صالح مجهولان . والثالث : عند ابن عدي في الكامل عن أبين بن سفيان عن أبي حازم عن ابن عباس نحوه ، قال ابن عدي : وأبين بن سفيان أحاديثه كلها مناكير . بتصرف . وقال الهيثمي : " رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحرث بن عبدالله اليحصبي ؛ و لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات " . اهـ .
ينظر : تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٧ / ٥٤ فيظهر لنا أيضاً أن هذا الحديث **ضعيف** أيضاً .
(٢) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٨١ . وينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٧٧ .
(٣) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٤ .
(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٠ .
(٥) ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٣ .

الترجيح:

لعل **الرَّاجح** – والله أعلم – **هو القول الأوَّل ، وأن الكنز هو مال مدفون من ذهب وفضة وهو قول عكرمة وقتادة ؛ وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : وإن كان الحديث الذي استدل به ضعيفاً لكنه يتسق مع ظاهر الآية وإطلاق اللفظ ، وسائر الأخبار ليست مرفوعة ، ولذلك قال الطبري :

"وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قال به عكرمة ، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز ، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك " . اهـ [1] .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا دار الكلام بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه** [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٥٥ .

المسألة الثانية: في المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالأب : الأقرب ، فقال : ((قيل : إنه الأب السابع . **وظاهر اللفظ** أنه الأقرب)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : إنه الأب **الأقرب** [٢] الذي ولدهما ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جمع من المفسرين [٤] .

عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ قال : حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاحا [٥] .

قال ابن عطية : " ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دنية " [٦] .

القول الثاني : إنه الأب **السابع** ، قاله **جعفر بن محمد الصادق** [٧] ، وذهب إليه الثعلبي ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .

(٢) قال مقاتل : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ يعني : ذا أمانة ، اسم الأب : كاشح ، واسم الأم : دهنا ، واسم أحد الغلامين ، أصرم ، والآخر : صريم . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٩٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٤ .

(٤) منهم : مقاتل ، والطبري ، والسمر قندي ، والبغوي ، و**استظهره** ابن عطية ، والبيضاوي ، و**استظهره** أبو حيان والثعالبي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، و**استظهره** الآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٢٩٩ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٧ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٥٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٧٧ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٣٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥١٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٤٧ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٣٩ ، السراج المنير : ٢ / ٤٤١ ، روح المعاني : ١٦ / ١٣ ، تفسير السعدي : ٤٨٣ ، الظلال : ٤ / ٢٢٨١ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٤ ، الوسيط : ٨ / ٥٦١ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٧) .

(٦) المحرر الوجيز : ٣ / ٥٣٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٣٩ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٤ .

(٧) عن جعفر قال : ... وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء . أخرجه ابن جرير . ينظر : تفسير

والعز بن عبد السلام [١] من المفسرين .

قال **محمد بن المنكدر** : إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده ، وولد ولده ، وأهل دويرات حوله ؛ فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم [٢] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ظاهر اللفظ والأسبق إلى الذهن أن المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا ﴾ هو الأب الأقرب ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، وقد ذكر أهل التفسير تفصيلاً في القصة ؛ فذكروا اسم الغلامين ، واسم أبيهما ، واسم امهما ؛ وقيل : هو الأب السابع ؛ **وليس في هذا كبير فائدة ولا يترتب عليه عمل ..**

" وأيا ما كان ففي الآية دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بالأبناء " [٣] .

والفائدة من القصة التي يدل عليها السِّياق هي أن الله تعالى يحفظ عبده الصالح في نفسه وفي ولده .

قال ابن كثير : " فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته ، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة ؛ لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السُّنة " . اهـ [٤] .

الطبري : ١٦ / ٦ . ونسبه إليه أغلب المفسرين .

= **وجعفر بن محمد الصادق** هو : جعفر بن محمد الباقر بن علي الهاشمي ، أبو عبد الله ، إمام فقيه ، وأحد سادات أهل البيت وفضلائهم وأشرافهم ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، ت سنة ٢٨٤هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٢ / ١٩٨ ، تهذيب الكمال : ٥ / ٧٤ – ٩٧ ، التقريب : ١٤١ .

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ١٨٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٦٠ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المبارك ، وابن أبي شيبة عن محمد بن المنكدر موقوفاً ، وعزاه إلى ابن مردويه عن جابر ﷺ مرفوعاً . ينظر : الدر المنثور : ٤ / ٤٢٢ .

ومحمد بن المنكدر هو : محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزى القرشى التيمى (من بنى تيم بن مرة) المدنى : زاهد ، من رجال الحديث ، من أهل المدينة . أدرك بعض الصحابة وروى عنهم . ت سنة ١٣٠ هـ . ينظر : الثقات : ٥ / ٣٥٠ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ١٢٧ ، طبقات الحفاظ : ٥٨ .

(٣) روح المعاني : ١٦ / ١٣ .

(٤) ينظر : تفسير بن كثير : ٣ / ١٠٠ .

✓ ولا يستبعد أن يدخل معهم ذريته وإن بعدوا عنه .

فقد رُوي : « أن الله تعالى يحفظ العبد الصالح في سبعة من ذريته » [١] .

" وعلى هذا يدل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٩٦] . " [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الحديث لم أقف له على سند في حدود ما اطلعت . وذكره القرطبي بهذا اللفظ في تفسيره (١١ / ٣٨) ، وأورده ابن عطية وأبو حيان بلفظ : « إن الله يحفظ الرجل الصالح في ذريته » . ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٣٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٤٧ .

(٢) تفسير القرطبي : ١١ / ٣٨ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ . [آية : ٩٩] .

مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ لجميع الناس ، فقال :

((الضمير في : ﴿ وَتَرَكْنَا ﴾ لله ﷻ ، و ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يحتمل أن يريد به يوم القيامة ؛ لأنه قد تقدم ذكره ، فالضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ على هذا لجميع الناس ، أو يريد بقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم كمال السد ، والضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ على هذا ليأجوج ومأجوج **والأوَّل أرجح** ، لقوله بعد ذلك : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ فيتصل الكلام ، و ﴿ يَمُوجُ ﴾ عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم)) . اهـ [1] .

الدراسة :

قوله ﷻ : ﴿ يَمُوجُ ﴾ من الموج ؛ بمعنى الاضطراب والاختلاط . يقال : ماج البحر إذا اضطرب موجه وهاج واختلط . ويقال : ماج القوم إذا اختلط بعضهم ببعض ، وتزاحموا حائرين فزعين [2] . وأصل الموج : حركة الماء ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة ، وشدة الحركة [3] .

ولقد اختلف المفسرين في **على من يعود الضمير في ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾** ؛ وهو مترتب على المراد بـ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ هل هو يوم القيامة ، أو يوم كمال السد ، أو يوم خروج يأجوج ومأجوج من السد .. وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٦ .

(٢) ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٥١٣ . وينظر (مادة : موج) في : مفردات الرَّاغب : ٤٧٧ ، تهذيب اللغة للأزهري : ١١ / ١٥٣ ، لسان العرب : ٢ / ٣٧٠ ، تاج العروس : ٦ / ٢٢٠ .

(٣) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٢٧٦ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٤٤١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ١٢٠ .

✓ **القول الأوَّل** : الضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ **عائد إلى جميع الناس** ؛ وذلك بناء على أن المراد بـــ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (١) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٢) .

عن ابن عباس ﷺ قال : « الإنس والجن يموج بعضهم في بعض » (٣) .

وقال الطبري : " يختلط جنُّهم بإنسهم " (٤) .

قال الآلوسي : " ولعل ذلك لعظائم تقع قبل النفخة الأوَّلى " (٥) .

✓ **القول الثاني** : الضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ عائد **إلى يأجوج ومأجوج** (٦) ، استظهره أبو حيان (٧) ، وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ فيه وجوه :

الأوَّل : يوم كمال السد مختلطين لكثرتهم ، قاله جماعة من المفسرين (٨) .

والمعنى : وجعلنا وصيرنا بمقتضى حكمتنا وإرادتنا وقدرتنا ، قبائل يأجوج ومأجوج يموج

---

(١) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٦ .

(٢) منهم : الطبري ، وجوَّزه النحاس ، والثعلبي ، والواحدي ، والزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، وحسَّنه القرطبي ، وجوَّزه البيضاوي والنسفي وأبو السعود ، و **استظهره** الآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٩٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٠٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٢ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٦٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٢٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٤٧ ، روح المعاني : ١٦ / ٤٣ الظلال : ٤ / ٢٢٩٤ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٣ . وأورده ابن كثير . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦ / ٢٨ .

(٥) روح المعاني : ١٦ / ٤٣ .

(٦) قال باحتمال القولين : السمين الحلبي ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني ، والسعدي ، ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤٨٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٠ ، تفسير السعدي : ٤٨٧ . وذكرهما الخازن (٤ / ٢٣٥) ، وابن عادل (١٢ / ٥٧٠) من غير ترجيح .

(٧) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ١٥٦ . وقال بالوجهين في ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم خروجهم من السد أو حجزهم في السد .

(٨) ومنهم : مقاتل ، واحتمله ابن عطية ، وابن الجوزي ، و **استظهره** القرطبي ، و لم يقل بغيره الطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ ، تذكرة الاريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ١ / ٣٢٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٦٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٤٠ ، الوسيط : ٨ / ٥٧٧ .

بعضهم في بعض . أى : يتزاحمون ويضطربون من شدة الحيرة لأنهم بعد بناء السد ، صاروا لا يجدون مكانا ينفذون منه إلى ما يريدون النفاذ إليه ، فهم خلفه في اضطراب وهرج .
قالوا : هذا هو الأقرب لسياق الآية .

الثاني : يوم خروج يأجوج ومأجوج من السد مزدحمين في البلاد [١] ، قاله ابن عباس [٢] رضي الله عنه أيضاً ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

بقول **السدي** في الآية : ذلك حين يخرجون على الناس .
وقال **ابن زيد** : هذا أول يوم القيامة ؛ ثم ينفخ في الصور على أثر ذلك [٤] .

وذلك كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧] . [٥]

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الضمير في قوله : ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ عائد إلى جميع الناس ؛ وذلك بناء على أن المراد بـــ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

---

(١) جاء في صفتهم وكثرتهم غير واحد من الأحاديث ؛ أخرج بعضها مسلم في صحيحه ، وأوردها جمع من المفسرين في تفاسيرهم عند تفسيرهم للآية ؛ ولكنها ليست تفسيراً للآية .
(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥٢ .
(٣) منهم : ابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والبغوي ، والفخر الرازي (وقال : **هو الأقرب**) ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، والشوكاني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٨٤ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٤٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٨٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٦٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٧ ، النهاية في الملاحم والفتن لابن كثير أيضاً : ١ / ١٠٠ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٠٨ ، تفسير الجلالين : ٣٩٥ ، فتح القدير : ٣ / ٣١٥ . **وجوّزه** : النحاس ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٢٩٦ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٨ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٢٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٤٧ . وقاله ابن حجر في فتح الباري : ١٣ / ١٠٦ .
(٤) عزاهما السيوطي عن السدي وابن زيد إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٣ .
(٥) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٠٨ .

أولاً : القرينة القرآنية : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ لقيام الساعة ؛ فيتسق معنى الآية [١] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني : قد تقدم ذكر يوم القيامة [٢] ، وذلك في قوله تعالى قبلها : ﴿ ... فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ... ﴾ . [سورة الكهف : ٩٨] . يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة ، وشارف أن يأتي جعل السد دكاً .

قال **الشنقيطي** :

" ولا ينبغي العدول عن هذا القول **لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم** . وإذا تقرر أن معنى ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم إذ جاء الوعد بخروجهم وانتشارهم ، فاعلم أن الضمير في قوله : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ ﴾ على القول بأنه لجميع بني آدم فالمراد يوم القيامة . وإذاً فقد دلت الآية على اقترانه بالخروج إذا دك السد ، وقربه منه " . اهـ [٣] .

وعلى القول بأن الضمير في ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ عائد إلى يأجوج ومأجوج كما ذكر جماعة من المفسرين ؛ فإن قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ يدل في الجملة على أن خروجهم سيكون قرب يوم القيامة ؛ وعلى هذا تدل آية الأنبياء المشار إليها أيضاً ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧] . لأن قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ اتبع بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ [٤] .

قال **الفخر الرازي** بعد أن ذكر جميع الأقوال : " وكل ذلك محتمل ، إلا أن الأقرب أن المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السد دكاً ، فعنده ماج بعضهم في بعض [٥] ، وبعده نفخ في الصور ، وصار ذلك من آيات القيامة " . اهـ [٦] .

---

(١) ذكره ابن عطية ، ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ . وينظر : ا لتسهيل : ٢ / ١٩٦ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٠ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٦٥ ، التسهيل : ٢ / ١٩٦ .

(٣) أضواء البيان : ٣ / ٣٤٢ .

(٤) ينظر : المرجع السابق : ٣ / ٣٤٢ .

(٥) قد رجح الفخر الرازي أن الضمير عائد إلى يأجوج ومأجوج .

(٦) التفسير الكبير : ٢١ / ١٤٧ .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴿١٠٣﴾ ﴾ . [آية : ١٠٣] .

مسألة : فيمن أريد بالآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الآية في كفار العرب ، فقال : ((﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴿١٠٣﴾ ﴾ الآية في كفار العرب ، كقوله : ﴿ ...كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِ ... ﴾ [١] وقيل : في الرهبان ؛ لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم ، وهي لا تقبل منهم)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قوله تعالى : ﴿ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴾ أي : الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً فنالوا هلاكاً وبواراً ، **واختلف السلف والمفسرون فيمن أريد بهم** على أربعة أقوال :

القول الأوَّل : الآية في كفار العرب ، وهو مرويٌّ عن **علي** ﷺ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه ابن عطية ، والثعالبي ، وابن عاشور [٤] من المفسرين .

واستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ... ﴾ [٥] . [٦]

---

(١) سورة الكهف : ١٠٥ .
(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٢ / ١٩٦ ، ١٩٧ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٦ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٥ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٤٦ .
(٥) سورة الكهف : ١٠٥ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٢ / ١٩٦ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٤٤ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٥٠ .

٢. من الأثر :

سئل **علي بن أبي طالب** ﷺ : من ﴿... هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً﴾ ؟ قال : فجرة قريش [١] .

القول الثاني : الآية في القسيسين والرهبان ، وهو مرويٌّ عن **علي** ﷺ أيضاً ، ومصعب بن سعد [٢] ، وذهب إليه مقاتل ، والزمخشري ، وابن الجوزي [٣] من المفسرين .

واستدل له من الأثر :

عن **علي** ﷺ قال : هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السواري [٤] .

" لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم ، وهي لا تقبل منهم " [٥] .

القول الثالث : الآية في أهل حروراء [٦] ، أي الخوارج ، قاله ابن عباس ﷺ [٧] ، وروي عن **علي بن أبي طالب** ﷺ [٨] أيضاً .

واستدل له من الأثر :

عن **علي** ﷺ أنه سئل عن هذه الآية : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلاً ﴾ قال : لا أظن إلا أن الخوارج منهم [٩] .

✖ **واستُشكل** : بأن قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ... ﴾ [١٠] يأباه ؛ لأنهم لا ينكرون البعث وهم غير كفرة .

---

(١) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٥ .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٣٣) عن علي ﷺ ومصعب بن سعد .
(٣) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٣ ، الكشاف : ٢ / ٦٩٩ ، زاد المسير : ٥ / ١٩٧ .
(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٥ .
(٥) التسهيل : ٢ / ١٩٦ .
(٦) سبق التعريف بهم . ينظر : مسائل سورة الرعد : ص١٦٥ .
(٧) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥٣ .
(٨) ينظر : تفسير الثوري : ١٧٩ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٣٤) .
(٩) عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، والفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٦٥ .
(١٠) سورة الكهف : ١٠٥ .

✓ **وأجيب** : " بأنه لا يلزم أن يكونوا متصلين بهم من كل الوجوه ، بل يكفي كونهم على الضلال ، مع أنه يجوز أن يكون – كرم الله تعالى وجهه – معتقداً لكفرهم ، واستحسن أنه تعريض بهم على سبيل التغليظ لا تفسيراً للآية " [١].

القول الرابع : الآية في أهل الكتاب ، وهو مرويٌّ عن **علي** ﷺ [٢] أيضاً ، وقاله سعد بن أبي وقاص ﷺ [٣] ، وذهب إليه ابن أبي زمنين [٤] من المفسرين . [٥]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى عن الرهبان الذين يتقربون إلى الله على غير شرع صحيح : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ . [سورة الغاشية : ٢ - ٤] .

٢. من السُّنة :

بما **أخرج الإمام البخاري** عن مُصْعَب بن سَعْدٍ قال سَأَلْتُ أبي ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ هُمْ الْحَرُورِيَّةُ ؟ قال : لَا ، هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ ، وَأَمَّا النَّصَارَى كفروا بِالْجَنَّةِ ، وَقَالُوا : لَا طَعَامَ فيها ولا شَرَابَ . وَالْحَرُورِيَّةُ ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... ﴾ [٦] ، وكان سَعْدٌ يُسَمِّيهِمْ الْفَاسِقِينَ » [٧] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٦ / ٤٨ . بتصرف يسير .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٣٣) .

(٣) سيأتي تخريجه لاحقاً بإذن الله .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٨٥ .

(٥) ذكر الأقوال من غير ترجيح : الماوردي ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، والخازن . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٤٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٨٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٦٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٣٦ .

(٦) سورة البقرة : ٢٧ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ (٤٤٥١) : ٤ / ١٧٥٨ .

✖ **وتضعَّف الأقوال الثلاثة الأخيرة :**

١. **بالقرينة القرآنية** : قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ ... ﴾ [١] . " وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله ، وإنما هذه صفة مشركي عبدة الأوثان " [٢] .

٢. هذه الآية مكيَّة قبل خطاب اليهود والنصارى ، وقبل وجود الخوارج بالكلية [٣] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنه عند التحقيق : أن الآية نازلة في الكفار الذين يعتقدون أن كفرهم صواب وحق ، وأن فيه رضى ربهم ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

والعلماء من الصحابة ﷺ ومن بعدهم حملوا عليهم غيرهم ، وألحقوا بهم من سواهم ممن كان في معناهم ، والقول بأنهم الرهبان ، أو الحرورية ، أو أهل الكتاب الكافرون بالنَّبي ﷺ كل ذلك تشمله هذه الآية ؛ فالآية عامة في كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً وأن عمله مقبول ، وهو مسخط لربه وعمله مردود من أي أهل دين كانوا ؛ قال بذلك جماعة من المفسرين [٤] ؛ يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : النظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٢٣] .

---

(١) سورة الكهف : ١٠٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٥ . وينظر : تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ .

(٤) ومنهم : الطبري ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، وابن تيمية ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، وأبو السعود ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٣٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٤٥ كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي : ١ / ٢٤٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٤٨ ، جامع الرسائل لأبي العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ) : ٢٣١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٦٢ ، البحر المحيط : ٦ / ١٥٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٤٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٥٠ .

- وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ... ﴾ . [سورة النور : ٣٩] .(١)

- وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ... ﴾ . [سورة فاطر : ٨] .

ثانياً : الأقوال الثلاثة الأخيرة مرويَّةٌ عن علي ﷺ ؛ وهذا دليل على أنه ذكر أقواماً أخذوا بحظهم من صدر الآية ، فالآية تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم ؛ لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء ؛ بل هي أعم من هذا (٢) .

ثالثاً : انتصب ﴿ أَعۡمَٰلٗا ﴾ على التمييز وجمع ؛ والقياس أن يكون مفرداً ؛ **أي أنواعاً من الأعمال** ؛ لأن أعمالهم في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين في عمل واحد (٣) ، فمنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النجوم ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأوثان ، ومنهم من يكفر بغير ذلك .

قال أبو حيان :

" وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل على الحصر ؛ إذ الأخسرون أعمالاً هم كل من دان بدين غير الإسلام ، أو راءى بعمله ، أو أقام على بدعة تؤول به إلى الكفر والأخسر من أتعب نفسه فأدى تعبه به إلى النار " . اهـ (٤) .

رابعاً : وهذه الآية وإن كانت في اليهود والنصارى كما ثبت في صحيح البخاري ؛ إلا أنها عامة بلفظها ، في كل من عمل عملاً يظنه حسناً وإلى الله مقرباً ، وحقيقة عمله أنه سيء وهو فيه لله مسخط – والعياذ بالله – ، وهذا من الجهل بدين الله (٥) .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٨ ، تفسير الثعالبي : ٣ / ٥٤٥ .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٥٢٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٥٧ ، الدر المصون : ٤ / ٤٨٥ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٠٩ ، تفسير ابن عادل : ١٢ / ٥٧٢ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥١ ، كليات الكفوي : ١٠٢٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣١٥ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٨ / ٥٨٣ .

(٤) البحر المحيط : ٦ / ١٥٧ .

(٥) ينظر : مجلة البحوث الإسلامية ، مقال بعنوان : أسباب حصول الفتن وسبيل النجاة منها ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ : ٥٤ / ١٩٨ .

وقد قيل :

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه [١]

خامساً : هذا القول تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) نُسب لصالح بن عبد القدوس . ينظر : العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) : ٢ / ٢٥٥ .

(٢) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

سـورة مريـم - عليها السلام -

قوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لـ ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ ، فقال :

((ونصب ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول . وقيل : هو مفعول بفعل مضمر تقديره : رحمة عبده ، وعلى هذا يوقف على ما قبله ، **وهذا ضعيف** ؛ وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه ، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ هل هو مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ أو مفعول بفعل مضمر** على قولين :

القول الأول : أن **﴿ عَبْدَهُۥ ﴾** [٢] **مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾** ، قاله الأخفش [٣] ، والعكبري [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .

(٢) يقرأ في الشاذ : (ذَكَّر رحمتَ ربك عبدُه) على الفعل الماضي لـ (ذَكَر) ، و (رحمتَ) مفعول ، و (عبدُه) فاعل ، وهي قراءة الحسن . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ٨٦ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ٣٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٧٥ ، ٣٧٦ . وأورد هذه القراءة الشاذة العكبري وغير واحد من المفسرين . ينظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري : ٢ / ٨٦٥ .

(٣) ينظر معانيه : 2 / 624 .

(٤) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٦٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢ .

(٦) منهم : الطبري ، والسمعاني ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٤٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٧٥ تفسير النسفي : ٣ / ٣٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٦٣ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٠ ، تفسير ابن عادل : =

قالوا : ﴿ رَحْمَتِ ﴾ مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول .

والتقدير : أَنْ ذَكَرَ اللهُ رحمتَه عبدَه [١] . [٢]

والمعنى : هذا الذى نذكره لك يا محمد ، هو جانب من قصة عبدنا زكريا ، وطرف من مظاهر الرحمة التى اختصصناه بها ، ومنحناه إياها .

وذلك لأن : " ﴿ رَحْمَتِ ﴾ مصدر بني على التاء ، لا أنها دالة على الوحدة حتى تمنع من العمل ؛ لأن صيغة الوحدة ليست الصيغة التي اشتق منها الفعل ولا الفعل دال على الوحدة فلا يعمل المصدر لذلك عمل الفعل إلا شذوذاً كما نصَّ عليه النحاة " [٣] .

القول الثاني : في الآية **تقديم وتأخير ، و ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول لـــ ﴿ ذِكْرُ ﴾ على أنه مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع** ، والمعنى : ذَكَرَ ربُّك عبدَهُ بالرَّحمة ، قاله مقاتل [٤] ، وذهب إليه الفَرَّاء والزَّجَّاج [٥] ، وذهب إليه السمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، والنيسابوري [٦] من المفسرين .

= ١٣ / ٤ ، تفسير الجلالين : ٣٩٦ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٦ ، تفسير أبو السعود : ٥ / ٢٥٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢١ ، روح المعاني : ١٦ / ٥٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٥٩ ، الوسيط : ٩ / ١٣ . وينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـــ) : ١٦ / ٢٠ .

(١) أوضح الفخر الرازي كيفية كون زكريا رحمة وذلك بوجهين :

" أحدهما : أن يكون رحمة على أمته لأنه هداهم إلى الإيمان والطاعات .

والآخر : أن يكون رحمة على نبينا محمد ﷺ ، وعلى أمة محمد ﷺ ؛ لأن الله تعالى لما شرح لمحمد ﷺ طريقه في الإخلاص والابتهال في جميع الأمور إلى الله تعالى صار ذلك لفظاً داعياً له ولأمته إلى تلك الطريقة؛ فكان زكرياء رحمة ، ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة التي رحم بها عبدة زكرياء " . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٥٣ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٤٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤ ، التسهيل : ٣ / ٢ .

(٣) روح المعاني : ١٦ / ٥٨ . وينظر قبله : نظم الدرر : ٤ / ٥٢٠ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٦ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٦ .

(٥) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : 2 / 136 ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣١٨ . ونقله ابن الجوزي عن الفَرَّاء و لم يقل بغيره . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٠٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٦٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٠٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٨٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٦٧ .

ومعنى ذكر الرحمة : بلوغها وإصابتها ؛ كما يقال : ذكرني معروف فلان ؛ أى : بلغني [١] .

عن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ قال : ذكره الله برحمته منه حيث دعاه [٢] .

✍ فَجَعَلَ الرحمةَ ذاكرةً له **مجازاً** [٣] .

وقال الخليل بن أحمد : " قوله جل ذكره : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ نصب ﴿ **عَبْدَهُۥ** ﴾ على فقدان الخافض ؛ أي : لعبده ، فلما أسقط اللام نصب " . اهـ [٤] .

القول الثالث : أن ﴿ **عَبْدَهُۥ** ﴾ **مفعول بفعل مضمر** ؛ تقديره : رحمة عبده .

✖ قال **ابن جُزيّ** : " وعلى هذا يوقف على ما قبله ، **وهذا ضعيف** ؛ وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه ، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له " . اهـ [٥] .

✖ و لم أقف على هذا القول عند أيٍّ من المفسرين أو أهل العلم – في حدود ما اطلعت – ، وأكتفي بنقله عن ابن جُزيّ فحسب .

❖ **وذهب إلى جواز القولين الأول والثاني البيضاوي** [٦] ، وذكرهما **السمين الحلبي** و لم يرجح [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول لـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول ، والتقدير : أَنْ ذَكَرَ اللهُ رحمتَه عبدَه** ، **وهو ما رجحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، لما تقدم ولما يلي :

---

(١) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٢١ .
(٢) عزاه السيوطي إلى إسحاق بن بشر وابن عساكر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨٦ .
(٣) الدر المصون : ٤ / ٤٩٠ .
(٤) الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) : ١٢٠ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .
(٦) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٣ .
(٧) ينظر : الدر المصون : ٤ / ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

أولاً : القول بأن " الكلام فيه تقديم وتأخير فيه تعسَّف " [١] .

ثانياً : القول الثاني على المجاز (فَجَعَلَ الرحمةَ ذاكرةً له) والقول على الحقيقة مقدم على القول بالمجاز .

ثالثاً : القول الثالث لم أجده إلا عند ابن جُزيّ في تفسيره – في حدود ما اطلعت – ؛ وقد ضعَّفه كما ذكرت .

رابعاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ٤ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ . [آية : ٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ من سمي باسمه ، فقال : ((﴿ سَمِيًّا ﴾ يعني من سمي باسمه . وقيل : مثيلاً ونظيراً ، **والأول أحسن هنا**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

السَّمى في اللغة [٢] : سميُّك من اسمُه اسمُك . وفي اشْتِقاق الاسمِ قَوْلان :

- الأول : أَنَّه مُشتَقٌّ من السُّمُو – وهو رَأي البَصْريين – .
- والثاني : من السِّمةِ – وهي العَلامة – وهو رأي الكوفيين – .

قالَ الرَّاغب : " الاسْمُ ما يُعْرَفُ به ذاتُ الشيءِ وأَصْلُه سِمْوٌ بدَلالةِ قوْلهم : أَسْماء ، وسُمَيّ وأَصْلُه مِن السُّمُوِّ ، وهو الذي به رُفِعَ ذِكْر المُسَمّى فيُعْرَفُ به " . اهـ [٣] .

واختلف السَّلف والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾** هنا على قولين :

القول الأول : يعني : لم يجعل الله من قبله أحداً يتسمَّى باسمه [٤] ، قال ابن عباس رضي الله عنه ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب السين والميم) : ١٣ / ٧٩ ، المخصَّص لابن سيده : ٥ / ٢١٥ ، لسان العرب لابن منظور (مادة : سما) : ١٤ / ٤٠١ ، تاج العروس للزبيدي (مادة : سما) : ٣٨ / ٣٠٨ .

(٣) مفردات الرَّاغب (مادة : سما) : ٢٤٤ .

(٤) قال الشوكاني : " وفي إخباره سبحانه بأنه لم يسم بهذا الاسم قبله أحد فضيلة له من جهتين :
- الأولى : أن الله سبحانه هو الذى تولى تسميته به و لم يكلها إلى الأبوين .
- والجهة الثانية : أن تسميته باسم لم يوضع لغيره يفيد تشريفه وتعظيمه " . اهـ . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ . وينظر : أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ . وينظر قبلهما : زاد المسير : ٥ / ٢١١ .

وقال الزمخشري : " وهذا شاهد على أنّ الأسامي السنع جديرة بالأثرة ، وإياها كانت العرب تنتحي =

وقتادة [١] ، وابن جريج ، وابن زيد [٢] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **أكثر** [٥] المفسرين [٦] .

عن **ابن عباس** ﷺ في قوله : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ قال : « لم يسم أحد يحيى قبله » [٧] .

✓ **والحديث صحيح .**

القول الثاني : يعني : **مثيلاً ونظيراً** ، روي عن ابن عباس ﷺ أيضاً [٨] .

= في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز ، حتى قال القائل في مدح قوم :

سُنْعُ الأَسَامِي مُسْبِلِي أُزُر حُمْرٍ نَمَسُّ الأَرْضَ بِالْهدْبِ "

ينظر : الكشاف : ٣ / ٧ .

(١) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٤ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٥٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٤٨١ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن قتادة ، وابن جريج ، ابن زيد ، ونسبه ابن كثير إليهم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٥٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٣ .

(٣) ينظر معانيه : 2 / ١٣٧ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢ .

(٥) نسب ابن الجوزي ، والشوكاني هذا القول إلى الأكثرية . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ .

(٦) منهم : مقاتل ، والطبري ، ونقل ابن أبي زمنين قول قتادة ، والواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٧ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٥٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٨٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٧٩ ، الكشاف : ٣ / ٧ المحرر الوجيز : ٤ / ٦ ، زاد المسير : ٥ / ٢١٠ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٨٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧١ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٦ ، تفسير الجلالين : ٣٩٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥٥ ، السراج المنير : ٥ / ١٥٤ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ ، روح المعاني : ١٦ / ٦٥ ، تفسير السعدي : ٤٩٠ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ ، الوسيط : ٩ / ١٧ .

(٧) عزاه السيوطي إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم **وصحَّحه** (في مستدركه رقم ٤١٤٦ : ٢ / ٦٤٥) . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨١ . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** .

(٨) نسبه إليه الجصاص وغير واحد من المفسرين . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٧ . وقال ابن حجر : وصله بن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . ينظر : فتح الباري : ٦ / ٤٦٨ .

وقاله مجاهد [١] ، وروي عن سعيد بن جبير [٢] ، وعطاء مثله [٣] ، ومال إليه النحاس [٤] [٤] بعض الميل ، **ورجَّحه** القاسمي [٥] ، وقاله الطاهر بن عاشور [٦] .

✓ وهذا المعنى مأخوذ من معنى قوله : ﴿ ... فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [٧] ؛ أي : شبيهاً " [٨] .

✖ **وتُعقِّب** : بأن هذا القول " كأنه من المساماة والسُّمو ، وفي هذا بعد لأنه لا يفضل على إبراهيم وموسى ؛ اللهم إلا أن يفضل في خاص بالسؤود والحصر " [٩] .

❖ **وقيل : المعنى أنه لم يكن له مثل ؛ لأنه لم يعص ، ولم يهم بمعصية قط .**

وقد روي هذا في خبر مسند عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « ما أَحَدٌ مِنَ الناس إلاَّ وقد أَخْطَأَ أو هَمَّ بِخَطِيئَةٍ ليس يحيى بن زَكَرِيَّا ... » [١٠] .

---

(١) ينظر تفسيره : ١ / ٣٨٤ . وأخرجه سفيان الثوري ، وابن جرير . ينظر : تفسير سفيان الثوري : ١٨٢ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٤٩ .

(٢) عزى السيوطي القول عن مجاهد وابن جبير إلى أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨٢ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٤٨٢) إلى عبد بن حميد .

(٤) ينظر معانيه : ٤ / ٣١٣ .

(٥) ينظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١١٢ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٦٩ .

(٧) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٦٥ .

(٨) حكاه ابن كثير في تفسيره ه (٣ / ١١٣) ، والآلوسي في روح المعاني (١٦ / ٦٥) .

(٩) المحرر الوجيز : ٤ / ٦ . وينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٥٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٨٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٧ ، السراج المنير : ٢ / ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير السعدي : ٤٩٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ .

(١٠) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده في مسند ابن عباس ﷺ (٢٩٤٥) : ١ / ٣٢٠ . قال أبو الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير (٤ / ١٩٩) : " رَوَاهُ أَحْمَدُ وأبو يَعْلَى وَالْحَاكِمُ من حديث بن عَبَّاسٍ ... وهو من رِوَايَةِ عَلِيِّ بن زَيْدِ بن جُدْعَانَ عن يُوسُفَ بن مِهْرَانَ ؛ **وَهُمَا ضَعِيفَانِ** ، وَلَهُ طَرِيقٌ أُخْرَى عِنْدَ الْبَزَّارِ من رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بن عَوْنٍ الْخُرَاسَانِيِّ وهو **ضَعِيفٌ** ، وفي الْبَاب عن أبي هُرَيْرَةَ في الطَّبَرَانِيِّ في الْأَوْسَطِ وَكَامِلِ بن عَدِيٍّ في تَرْجَمَةِ حَجَّاجِ بن سُلَيْمَانَ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إلَى الْحَسَنِ عن النبي ﷺ مُرْسَلًا ، وَأَخْرَجَهُ عبد الرَّزَّاقِ من طَرِيقِ سَعِيدِ بن الْمُسَيِّبِ مُرْسَلًا أَيْضًا " اهـ . وقال شعيب الأرناؤوط : **إسناده ضعيف** . وقال ابن عادل في متنه : وفي هذا نظر ؛ لأنه كان ينبغي أن تسمى الأنبياء كلهم والأولياء بـ (يحيى) . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٧ .

✖ والحديث ضعيف .

❖ **وقال ابن عباس ﷺ : أي لم تلد العواقر مثله ولدا** [١] .

فيكون هذا إجمالاً لما نزل بعده من قوله تعالى : ﴿ ... مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٢] . [٣]

قال الطاهر بن عاشور : " وعندي : أن السّمِيّ هنا هو الموافق في الاسم الوصفي بإطلاق الاسم على الوصف ، فإن الاسم أصله في الاشتقاق (وسَم) ، والسمة : أصلها وسمة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ... لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [٤] ، أي يصفونهم أنهم إناث ومنه قوله الآتي : ﴿ ... هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [٥] ، أي لا مثيل لله تعالى في أسمائه . وهذا أظهر في الثناء على يحيى والامتنان على أبيه . والمعنى : أنه لم يجيء قبل يحيى من الأنبياء من اجتمع له ما اجتمع ليحيى فإنه أعطي النبوءة وهو صبيّ ، قال تعالى : ﴿ ... وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [٦] ، وجعل حصوراً ليكون غير مشقوق عليه في عصمته عن الحرام ، ولئلا تكون له مشقة في الجمع بين حقوق العبادة وحقوق الزوجة ، وولد لأبيه بعد الشيخوخة ولأمّه بعد العَقر ، وبُعث مبشراً برسالة عيسى عليه السلام ، ولم يكن هو رسولاً ، وجعل اسمه العلم مبتكراً غير سابق من قبله . وهذه مزايا وفضائل وهبت له ولأبيه ، وهي لا تقتضي أنه أفضل الأنبياء لأنّ الأفضلية تكون بمجموع فضائل لا ببعضها وإن جلّت ، ولذلك قيل : (المزيّة لا تقتضي الأفضليّة) ، وهي كلمة صدق " . اهـ [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الأول ورجحانه ؛ وأن معنى قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ لم يجعل الله من قبله أحداً يتسمَّى باسمه ، وهو**

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٤٨١ .

(٢) سورة آل عمران : ٣٩ .

(٣) حكاه أبو السعود في تفسيره (٥ / ٢٥٥) .

(٤) سورة النجم : ٢٧ .

(٥) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٦٥ .

(٦) سورة مريم – عليها السَّلام – : ١٢ .

(٧) التحرير والتنوير : ١٦ / ٦٩ .

ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أكثر المفسرين ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ولما يلي :

أولاً : من اللغة : فإن سميُّك من تسمَّى باسمك ، وحمل السَّمي على النظير عدول عن الظاهر لغير ضرورة .

قال الفخر الرزاي :

" واعلم أن الوجه الأوّل أولى ، وذلك لأن حمل السّمي على النظير وإن كان يفيد المدح والتعظيم ولكنه عدول عن الحقيقة من غير ضرورة وإنه لا يجوز ، وأما قول الله تعالى : ﴿ ... هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ فهناك إنما عدلنا عن الظاهر لأنه قال : ﴿ ... فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [1] ، ومعلوم أن مجرد كونه تعالى مسمى بذلك الاسم لا يقتضي وجوب عبادته ، فلهذه العلة عدلنا عن الظاهرة ، أما ههنا لا ضرورة في العدول عن الظاهر فوجب إجراؤه عليه ، ولأن في تفرده بذلك الاسم ضرباً من التعظيم لأنا نشاهد أن الملك إذا كان له لقب مشهور فإن حاشيته لا يتلقبون به بل يتركونه تعظيماً له فكذلك ههنا " . اهـ [2] .

ثانياً : صحة حديث ابن عباس ﷺ في معنى الآية ؛ وأنه لم يسمَّ أحد قبله بيحيى ، وبهذا يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [3] .

.

ثالثاً : موافقته للسِّياق ، وهو المتبادر عند الإطلاق .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٦٥ .

(٢) التفسير الكبير : ٢١ / ١٥٨ . وينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧١ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٢٣ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٦٧ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ .

قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ . [آية : ١١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أشار ، فقال : ((﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أي : أشار . وقيل : كتبه في التراب إذ كان لا يقدر على الكلام)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾** على قولين :

القول الأول : يعني : **أشار** ، قاله مجاهد [٢] ، ومحمد بن كعب [٣] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

واستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى في سورة آل عمران لزكريا عليه السلام : ﴿ ... **قَالَ** ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ... ﴾ . [سورة آل عمران : ٤١] . [٧]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٨٤ . وأخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٥٣ ، الدر المنثور : ٥ / ٤٨٣ .

(٣) عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨٣ .

(٤) ينظر معانيه : 2 / 138 .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣ .

(٦) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، وقال الفخر الرازي : **هو الأشبه بالآية** ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والجلالين ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قند ي : ٢ / ٣٧٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٨٩ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٠٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨١ التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧ تفسير النسفي : ٣ / ٣٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤٠ ، تفسير الجلالين : ٣٩٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥٨ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١١٣ ، تفسير السعدي : ٤٩٠ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٧٤ .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٥٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٧٢ .

القول الثاني : معناه : **كتبه لهم** ، قاله ابن عباس ﷺ [١] ، وروي عن مجاهد [٢] أيضاً ، وقاله مقاتل [٣] ، وقدَّمه ابن الجوزي [٤] .

ويستدل له من اللغة : فقد يطلق الوحى على الكتابة .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال الوجهين ، بأن الوحي قد يكون بالإشارة أو الكتابة ، قال بذلك جماعة من المفسرين** [٥] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : من اللغة : أصل الوحي في اللغة : إعلام في خفاء ، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً قال الأزهري : وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً ، والكتابة تسمى وحياً [٦] .

ولذا قال ابن عطية : " وكلا الوجهين وحي " [٧] .

ثانياً : يؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية : **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [٨] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٨٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٥٤) .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٨ .

(٤) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٢ .

(٥) ومنهم : الطبري ، وابن عطية ، والبقاعي ، والثعالبي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٥٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٧٢ ، الوسيط : ٩ / ١٩ .
وذكر جماعة من المفسرين القولين من غير ترجيح ، ومنهم : العز بن عبد السلام ، والقرطبي، وأبو حيان ، وابن كثير ، وابن عادل ، والآلوسي . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٨٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٦٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٤ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٣ ، روح المعاني : ١٦ / ٧١ .

(٦) ينظر : مادة (وحي) في كل من : تهذيب اللغة : ٥ / ١٩ ، مفردات الرَّاغب : ٥١٥ ، لسان العرب : ١٥ / ٣٨١ ، تاج العروس : ٤٠ / ١٧١ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ٧ .

(٨) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ . [آية : ١٧] .

مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ رُوحَنَا ﴾ : جبريل عليه السلام ، فقال : ((﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾ يعني : جبريل . وقيل : عيسى . **والأول هو الصحيح** ؛ لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق)) . اهـــ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بـــ ﴿ رُوحَنَا [(٢)] ﴾** على قولين :

القول الأول : يعني **جبريل** عليه السلام [(٣)] ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [(٤)] ، وجماعة من السلف [(٥)] ، ومقاتل [(٦)] ، **وهو ما رجحه ابن جُزيّ** [(٧)] ، ووافقه **جمهور** [(٨)] المفسرين [(١)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣ .

(٢) الجمهورُ على ضمِّ الراءِ من ﴿ رُوحَنَا ﴾ وهو ما يَحْيون به ، وقرأ ابن حيوة ، وسهلٌ بفتحها : (رَوحنا) ، أي : ما فيه راحةٌ للعبادِ ، كقوله تعالى : ﴿ فَرَوۡحٌ وَرَيۡحَانٌ ... ﴾ . [سورة الواقعة : ٨٩] . وحكى النقاس : أنه قُرِئَ : (رُوحَنَّا) بتشديد النُّون ، وقال : هو اسمُ ملكٍ من الملائكة . وهذه القراءات شاذة أوردها غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم ، وتحمل على التفسير . ينظر : الكشاف : ٣ / ١١ ، الدر المصون : ٤ / ٤٩٦ . ولم أقف عليها في كتب شواذ القراءات .

(٣) قال الزمخشري : الروح : جبريل ؛ لأنّ الدين يحيا به وبوحيه . أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريباً ، كما تقول لحبيبك : أنت روحي . وإضافته إلى الله إضافة تشريف وتكريم . ينظر : الكشاف : ٣ / ١١ . وينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٢٧ .

(٤) ينظر تنوير المقباس : ٢٥٤ . وعزاه السيوطي إلى إسحاق بن بشر ، وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٤٩٥ .

(٥) منهم : قتادة ، ووهب بن منبه ، وابن جريج أخرجه عنهم ابن جرير بسنده في تفسيره (١٦ / ٦٠) ، ونسبه إليهم ابن كثير . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ .

(٦) ينظر : تفسيره : ٢ / ٣٠٩ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣ .

(٨) نسب السمعاني وابن الجوزي ، والفخر الرازي وابن عادل هذا القول إلى الجمهور . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٣ ، زاد المسير : ٥ / ٢١٦ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٣ .

قال ابن كثير : " وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن " [٢] .

ويستدل لذلك :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٩٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ . [سورة النحل : ١٠٢] .

٢. بقوله تعالى : ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ١٧- ١٩] .

ووجه الدلالة فيه : أن المتمثل لها مغاير للبشر ؛ ولو كان بشراً – يعني عيسى عليه السلام – لم يكن لذلك معنى ، فدل على أن المقصود بجبريل عليه السلام [٣] .

---

(١) منهم : الطبري ، و **حسَّنه** النحاس ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، و **صحَّحه** السمعاني ، و **صحَّحه** البغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي (قال : **هو الأقرب**) ، و**استظهره** القرطبي والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، و **استظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، و**صحَّحه** ابن عادل ، والجلالين ، و أبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وقال سيد قطب (الروح الأمين) ، وقال الطاهر بن عاشور (قال : الروح : الملك) ، و **استظهره** الشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦٠ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣١٨ تفسير السمر قندي : ٣ / ٣٧١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٠٩ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩١ ، الكشاف : ٣ / ١١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢١٦ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٩٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٣ ، تفسير الجلالين : ٣٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٤٦١ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٧ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١١٥ ، روح المعاني : ١٦ / ٧٥ ، تفسير السعدي : ٤٩١ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٦ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٨٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٨٦ ، الوسيط : ٩ / ٢٤ . وينظر : النبوات لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) : ٢٩٣ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٤١٤ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٣٢٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / =

٣. من الأثر :

عن ابن عباس رضي الله عنه وعن مرة عن عبد الله رضي الله عنه قالا : « خرجت مريم إلى جانب المحراب بحيض أصابها ، فلما طهرت إذ هي برجل معها ، وهو قوله : ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ وهو جبريل عليه السلام ... » [١] .

✓ والأثر صحيح .

قال **ابن جُزيّ** :

" **والأول هو الصحيح** ؛ لأن جبريل هو الذي تمثَّل لها باتفاق " [٢] .

القول الثاني : يعني **روح عيسى** عليه السلام ، قاله مجاهد والحسن [٣] ، وذهب إليه الفَسَوي [٤] ، وهو قول أبي مسلم الأصفهاني [٥] . [٦]

✗ نسب السيوطي هذا القول إلى مجاهد والحسن ، ولا أعلم صحة نسبته إليهما ؛ فالإمام

= ٩٠ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٨٦ .

(١) جزء من حديث أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما (٤١٥٦) : ٢ / ٦٤٨ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : **على شرط مسلم** .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣ .

(٣) نسبه جلال الدين السيوطي إلى مجاهد والحسن في مفحمات الأقران في مبهمات القرآن : ١٤٣ .

(٤) ينظر : المعرفة والتاريخ لأبي يوسف ، يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧ هـ) : ٣ / ٣١٩ .
والفَسَوي هو : يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي ، أبو يوسف : من كبار حفاظ الحديث . من أهل " فسا " بإيران ، عاش بعيدا عن وطنه في طلب الحديث ، نحو ثلاثين سنة ، وروى عن أكثر من ألف شيخ ت سنة ٢٧٧ هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٣٤ / ٤١٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ٢ / ٥٨٢ ٥٨٣ ، النجوم الزاهرة : ٣ / ٧٧ .

(٥) نسبه إليه الآلوسي في روح المعاني (١٦ / ٧٥) .
وأبو مسلم الأصفهاني هو : محمد بن بحر الأصفهاني ، أبو مسلم : وال ، من أهل أصفهان ، معتزلي . من كبار الكتاب ، كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ، وله شعر ، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير ، أربعة عشر مجلداً ، جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصا منه وردت في (مفاتيح الغيب) المعروف بتفسير الفخر الرازي ، وسماها (ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل) في جزء صغير . ت سنة ٣٢٢ هـ . ينظر : الفهرست : ١٩٦ ، معجم الأدباء : ٥ / ٢٣٩ ، بغية الوعاة : ١ / ٥٩ .

(٦) قال الزَّجَّاج ، والماوردي ، والعز بن عبد السلام بالقولين . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٦٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧٣ .

الطبري [١] جامع الآثار لم يورد قولاً آخر للمراد من الآية غير جبريل عليه السلام ؛ ولو جاء عنهم لكان ابن جرير أولى الناس بإيراده عنهم . والله أعلم .

واستدل له :

١. من القرآن : بقوله تعالى : ﴿ ... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴾ . [سورة النساء : ١٧١] . فقالوا : عيسى روح من الله عز وجل .

٢. من الأثر :

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « كان روح عيسى بن مريم من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق في زمن آدم ، فأرسله الله إلى مريم في صورة بشر فتمثل لها بشراً سوياً ، ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [٢] ، فحمل الذي يخاطبها فدخل من فيها » [٣] .

✖ **وردَّ ابن القيِّم هذا القول** عندما تحدث عن خلق عيسى عليه السلام حيث قال :

" أرسل الله الملك إلى أمه فنفخ في فرجها نفخة فحملت بالمسيح كما قال تعالى : ﴿ ...

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦٠ .

(٢) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٢٠ .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، تفسير سورة مريم – عليها السَّلام – (٣٤١٢) : ٢ / ٤٠٥ . من طريق أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبَيّ رضي الله عنه . وأورده ابن كثير . ينظر تفسيره : ٣ / ١١٦ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : **صحيح** . وقال الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون (١ / ٦٣) عن الرواية عن أُبَيّ رضي الله عنه في التفسير ومبلغها من الصحة – من طريق أبي جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية عنه رضي الله عنه – : " وهذه طريق صحيحة ، وقد ورد عن أُبَيّ نسخة كبيرة فى التفسير ، يرويها **أبو جعفر الرازى** بهذا الإسناد إلى أُبَيّ ، وقد خَرَّج ابن جرير وأبى حاتم منها كثيراً ، وأخرج الحاكم منها أيضاً فى مستدركه ، والإمام أحمد من مسنده " . اهـ . وقال ابن القيِّم في كتاه الروح (١٦٢) : " وأما حديث أبى بن كعب هو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، **وغايته لو صحَّ ولم يصح أن يكون من كلام أبى ، وهذا الإسناد يروى به أشياء منكرة جدا مرفوعة وموقوفة** وأبو جعفر الرازي **وُثِّق وضُعِّف** ، وقال على بن المدينى : كان ثقة . وقال أيضاً : كان يخلط . وقال ابن معين : هو ثقة . وقال أيضاً : يكتب حديثه إلا أنه يخطئ . وقال الإمام أحمد : ليس بقوى في الحديث . وقال أيضاً : صالح الحديث . وقال الفلاس : سيء الحفظ . وقال أبو زرعة : يهم كثيراً . وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشاهير ." . اهـ .

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ١٧- ١٩] .

وهذا **صريح في إبطال** قول من قال إن هذه الروح التي خاطبها هي روح المسيح ؛ فإن روح المسيح إنما حدثت من تلك النفخة التي نفخها رسول الله عليه السلام فيها ، وكيف يقول المسيح لأمه ﴿ ... أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ . [سورة مريم عليها السلام : ١٩] . وكيف يكون قوله : ﴿ ... فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ... ﴾ أي : من روح ولدها فتكون روح المسيح هي النافخة لنفسها في بطن أمه . وهذا قول تكثر الدلائل على بطلانه وإنما أشرنا إلى ذلك إشارة " . اهـ (١) .

✖ **وتَعقَّبه :**

ابن كثير فقال : " وهذا في غاية الغرابة والنكارة ؛ وكأنه إسرائيلي " (٢) .

والآلوسي فقال : " وليس بشيء " (٣) .

❖ وحكى **الزَّجَّاج** (٤) القولين و لم يرجح بينهما .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي - والله أعلم - **أن الرَّاجح أن المراد بـ ﴿ رُوحَنَا ﴾ (٥) جبريل** عليه السلام ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

---

(١) أحكام أهل الذمة لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٢ / ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ .
(٣) روح المعاني : ١٦ / ٧٥ .
(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٣٢٢ ، ٣٢٣ .
(٥) قد ذكرت لاحقاً في تفسير آيات سابقة أن الروح من الألفاظ ذات المعاني المتعددة ، وقد اتفق المفسرون أن معناه في هذا الموضع جبريل عليه السلام . ينظر : نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي : ٣٢٢ - ٣٢٤ ، كليات الكفوي : ٤٧٠ ، ٤٧١ . وينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير : ١٢ / ٢٤٨ . وينظر : ص ٣٢٠ ، ٣٢١ من هذه الرسالة .

أولاً : موافقته لظاهر القرآن ، والنظير القرآني ، ووجود القرائن في السِّياق .

ثانياً : نقل هذا القول **عبد الله بن عباس** ﷺ **ترجمان القرآن** وجماعة من السلف ، واتفق عليه المفسرون ، وأما القول الثاني أنه عيسى عليه السلام فضعيف من جهة الرواية ؛ فلا يعتمد عليه في مقابل القول الراجح هذا .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** .
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [١] .

رابعاً : استدل للقول الثاني من السُّنة عن أبي بن كعب ﷺ ؛ وهو من فضلاء الصحابة ؛ وإن كان إسناد الرواية صحيحاً فلا يستبعد أن يكون من الإسرائيليات كما ذكر ابن كثير – رحمه الله – ؛ فقد كان ﷺ حَبْراً من أحبار اليهود ، العارفين بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢٩٩ .

(٢) ينظر : التفسير والمفسرون للذهبي : ١ / ٦٢ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾ . [آية : ١٨] .

مسألة: في معنى ﴿ تَقِيّٗا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ تَقِيّٗا ﴾ : إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك ، فقال : ((لما رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر قد دخل عليها خافت أن يكون من بني آدم فقالت له هذا الكلام . ومعناه : إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك . وقيل : إن تقيا اسم رجل معروف بالشر عندهم ؛ **وهذا ضعيف وبعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

لما أتى جبريل عليه السلام مريم عليها السلام ، وتمثل لها في صورة بشر سوي تام الخلق ؛ بادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها فقالت : ﴿ ... إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ .

واختلف السَّلف والمفسرون في **معنى ﴿ تَقِيّٗا ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **إن كنت ممن يتقي الله** [٢] فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، والسدي [٤] ، **وأبو وائل** [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣ .

(٢) قال أبو حيان : " وتعليقها الاستعاذة على شرط تقواه لأنه لا تنفع الاستعاذة ولا تجدي إلاّ عند من يتقي الله ، أي : إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك . وجواب الشرط محذوف ؛ أي : فإني أعوذ " . وقال الزَّجَّاج قبله : " فستتعظ بتعويذي بالله منك . وقيل : فاخرج عني . وقيل : فلا تتعرض لي " . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٢٣ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ . وينظر قبله : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩١ . وقال الآلوسي : " ومجيء هذا التذكير بصيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه قصد لتهييج خشيته ، وكذلك اجتلاب فعل الكون الدال على كون التّقوى مستقرة فيه . وهذا أبلغ وعظٍ وتذكيرٍ وحثّ على العمل بتقواه" اهـ . ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٨١ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٥٤ . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٤٩٥) إلى إسحاق بن بشر ، وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه (في حديث طويل) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٦١) .

(٥) قال أبو وائل : (وذكر قصة مريم) فقال : قد علمت أن التقي ذو نهية حين قالت : ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ = =

وذهب إليه مقاتل [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه **جمهور** [٣] المفسرين [٤] .

✓ **وهنا** أرادت مريم – عليها السَّلام – إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة ، فإني عائذة به منك .

لكالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ... ﴾ [٥] . [٦]

مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ . أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأبياء ، مقدمة بَاب ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ... ﴾ : ٣ / ١٢٦٧ . قال ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٤٧٩) : " وصله عبد بن حميد من طريق عاصم " . و ينظر : تغليق التعليق لابن حجر أيضاً (٤ / ٣٧) . وأخرجه ابن جرير ونسبه إلى **ابن زيد** في تفسيره (١٦ / ٦١) . ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان (٦ / ٢١٠) إلى **علي بن أبي طالب** ﷺ . ونسبه إلى أبي وائل الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٣٦٣) ، ونسبه السيوطي وغير واحد من المفسرين إلى أبي وائل ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٠٠) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وأبو وائل : هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها ، مخضرم جليل روى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعائشة ﷺ وجماعة ، يقال أسلم في حياة النبي ﷺ و لم يره . ت في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٨٢ هـ رحمه الله تعالى . ينظر : طبقات ابن سعد : ٦ / ٩٦ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٤٧٦ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٦٠ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٠٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣ .

(٣) قال ابن الجوزي : " هذا هو القول عند المحققين " . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٧ .

(٤) منهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، وقال الفخر الرازي (**هو الوجه**) ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن وابن تيمية ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، و**صحَّحه** ابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦١ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣١٩ ، تفسير السمر قندي : ١ / ٢٣٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٩١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٧ تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩١ ، الكشاف : ٣ / ١١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢١٧ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٦٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤١ ، دقائق التفسير لابن تيمية : ١ / ٣١٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٧٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٤ ، تفسير الجلالين : ٣٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٤٦٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٨ تفسير القاسمي : ١١ / ١١٥ ، روح المعاني : ١٦ / ٧٦ ، ٧٧ ، تفسير السعدي : ٤٩١ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٨١ ، الوسيط : ٩ / ٢٤ .

(٥) سورة هود عليه السلام : ٨٦ .

(٦) ينظر : الكشاف : ٣ / ١١ .

القول الثاني : إن ﴿ تَقِيًّا ﴾ **اسم رجل معروف بالشر** عندهم في ذلك الزمان ؛ حكي عن ابن عباس ﷺ [١] في رواية أخرى عنه ، ونقل عن وهب بن منبه [٢] .

✖ **وتعقَّبه** :

ابن عطية فقال : " وهو ضعيف ذاهب مع التخرص " [٣] .

✖ وضعَّفه واستبعده ابن جُزيّ [٤] أيضاً .

✖ **وابن تيمية** فقال :

" وما يقول بعض الجهال من أنه كان فيهم رجل فاجر اسمه تقي فهو من نوع الهذيان ، وهو من الكذب الظاهر الذي لا يقوله إلا جاهل " . اهـ [٥] .

✖ **وأبو حيان** – ومثله الآلوسي – فقال :

" وقول من قال : إنه اسم رجل صالح أو رجل فاسد ليس بسديد " [٦] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ تَقِيًّا ﴾ : إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني ؛ فإني أعوذ بالله منك ، هو ما رجَّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : نقل هذا القول عن **ترجمان القرآن** عبد الله بن عباس ﷺ في حديث مسند ، ويقويه

---

(١) قال ابن الجوزي بذلك . ونسب ذكره إلى ابن الأنباري والماوردي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٧ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٦٣ . ونسبه العز بن عبد السلام إلى ابن عباس ﷺ في تفسيره (٢ / ٢٧٤) .

(٢) أخرج ابن جرير بسنده عن وهب بن منبه قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٦١ . قال وهب بن منبه : حكاه مكي وغيره . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٩١ . ونسب ابن عطية هذا القول أيضاً إلى وهب بن منبه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٩ .

(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ٩ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣ .

(٥) دقائق التفسير لابن تيمية : ١ / ٣١٠ .

(٦) البحر المحيط : ٦ / ١٧٠ . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ٧٧ .

الرواية عن **أبي وائل** معلقاً في صحيح **البخاري** ووصله **ابن حجر** في تغليق التعليق – كما بيَّنت – ، أما القول الآخر فقد نسب لابن عباس ﷺ نسبة عند بعض المفسرين ، و لم أقف عليه مسنداً .

ثانياً : الرواية الثانية لابن عباس ﷺ المستدل بها للقول الثاني وردت بصيغة الحكاية و لم تثبت عنه ؛ وإنما نسبه لابن عباس ﷺ بعض المفسرين ، و لم أقف عليه مسنداً . وما روي عن وهب عن منبه ردَّه غير واحد من المفسرين كما ذكرت آنفاً ، ولا يستبعد أن يكون من الإسرائيليات [١] .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) قال الذهبي : " وهب بن منبه : أبو عبد الله اليماني صاحب القصص من أحبار علماء التابعين ... وكان ثقة صادقا كثير النقل من كتب الإسرائيليات " . ينظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٧ / ١٤٨ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾ . [آية : 24] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً ، وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ، فقال : ((﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً ، وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ؛ وروي أن النبي ﷺ فسره بذلك . وقيل : يعني عيسى ؛ فإن السري الرجل الكريم)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

السَّريُّ في اللغة يطلق على معنيين :

أحدهما : أنه الرَّجُلُ المرتفع القدر . والثاني : أنه الجدول أو النهر الصغير .

وبناءً على هذا اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : ﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً [٢] ، قاله البراء بن عازب رضي الله عنه [٣] ، وقتادة [٤] ، والثوري [٥] ، وهو قول أهل اللغة [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤ .

(٢) وجاء عن جماعة من السلف هو النهر ؛ أو هو النهر الصغير باللغة النبطية أو السريانية . منهم : ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك وغيرهم . ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٨٥ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٦٩ ٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٨ ، تنوير المقباس : ٢٥٥ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٠٣ . وقال الفَرَّاء : السري : النهر . ينظر : معانيه : 2 / ١٤٠ . وسمي بذلك لأن الماء يسري فيه . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٩٤ .

(٣) سيأتي لاحقاً تخريج الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني :٣ / ٦ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٧٠ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢٨٤ .

(٦) نسب الأزهري ، وابن منظور ، والمرتضى الزبيدي هذا القول إليهم ، وفَسَّره أهل اللغة بأنَّه : نَهْرٌ (صَغِيرٌ يَجْرِي إلى النَّخْلِ) . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، باب السين والراء : ١٣ / ٣٩ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٨٠ ، تاج العروس (مادة : سري) : ٣٨ /٢٦٥ . وينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : سري) : ٨ / ٥٧١ ، المصباح المنير (مادة : سريت) : ٢٧٥ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] .

ويستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

- قوله تعالى بعده : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : 25] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي ... ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : 26] . قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به في قوله : ﴿ ... قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ [٤] .

٢. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٥٠] . لأن المعين : الماء الجاري . والظاهر أنه الجدول المعبر

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤ .

(٢) نسب السمعاني ، وابن الجوزي ، وأبو حيان ، والشوكاني وغيرهم هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٦ ، زاد المسير : ٥ / ٢٢٢ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ .

(٣) منهم : مقاتل ، والطبري ، ولم يقل النحاس وابن أبي زمنين بغيره ، والسمر قندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والخازن ، و **استظهره** ابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والسعدي ، و **رجَّحه** سيد قطب ، ولم يقل الطاهر بن عاشور بغيره ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٠ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٧١ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٢٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٧٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٩٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٧٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩٢ ، الكشاف : ٣ / ١٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١ ، الخازن : ٤ / ٢٤٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٨ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٢٩ ، تفسير الجلالين : ٣٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٢ ، السراج المنير : ٢ / ٤٦٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٨٣ تفسير السعدي : ٤٩٢ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٨٧ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ ، الوسيط : ٩ / ٣٠ .
وقدَّم قول الجمهور : ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والشوكاني . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٢٢ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٧٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٨٠ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ .

(٤) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٨٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ .

عنه بالسَّري في هذه الآية [١] .

٣. من السُّنة :

عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ السَّرِيَّ الذي قال اللَّهُ عز وجل : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ نَهْرٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِتَشْرَبَ منه » [٢] .

٤. من كلام العرب : ومنه قول **لبيد** :

فتوسَّطا عرضَ السَّريَّ وصدَّعا مسجورةً متجاوراً قُلاَّمُهَا [٣]

قال أبو السعود :

" والأول هو **الموافق** لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم " . اهـ [٤].

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، باب عِكْرِمَةُ مولى ابن عَبَّاسٍ عَنِ ابن عُمَرَ (١٣٣٠٣) : ١٢ / ٣٤٦ .
وقد روي الخبر من حديث البراء بن عازب ومن حديث ابن عمر :
فحديث البراء بن عازب :
- رواه **الطبراني** في معجمه الصغير ، قال الطبراني : لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان .
- ورواه **ابن عدي** في الكامل وأعله بمعاوية بن يحيى وضعفه عن النسائي وابن المديني وابن معين ووافقهم .
- ورواه **الحاكم** في مستدركه **موقوفا** على البراء ، وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .
- وذكره **البخاري** في صحيحه في كتاب بدء الخلق تعليقا .
- وكذلك رواه **عبد الرزاق** في تفسيره رواه **موقوفاً** .
- ورواه **ابن مردويه** من حديث آدم بن أبي إياس عن إسرائيل **موقوفاً** .
- وكذلك رواه **الطبري** في تفسيره .

وأما حديث ابن عمر : فرواه **الطبراني** في معجمه ، وكذلك رواه **أبو نعيم** في الحلية في ترجمة عكرمة . وهو حديث غريب ، وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي . قال أبو حاتم : ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث .
ينظر : تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٤٦ . بتصرف .
والحديث كما نرى قد ورد مرفوعاً وموقوفاً ، **والموقوف أصح** . وقد **صحَّح الألباني** رواية الطبراني في السلسلة الصحيحة (١١٩١) وقال : وله شاهد من حديث ابن عمر (وذكر حديث ابن عمر المتقدم الذي أخرجه الطبراني) ثم قال : **وهذا إسناده ضعيف وفيما قبله غنية عنه** . وكذا **ضعَّفه** د . سامي الجهني في رسالته (تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل) : ٧٦١ ، ٧٦٢ .

(٣) ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ١٠١ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٢ .

✖ **واعتُرض عليه بما يلي :**

١. لو كان السَّري المراد به النهر لكان يكون إلى جنبها ؛ ولا يكون النهر تحتها ، قاله ابن زيد [١] .

٢. وقالوا أيضاً : " لا يجوز أن يجاب عنه بأن المراد منه أنه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله : ﴿ ... وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ... ﴾ [٢] ، لأن هذا حمل للفظ على مجازه ؛ ولو حملناه على عيسى عليه السلام لم يحتج إلى هذا المجاز " . [٣]

✓ **وأُجيب** بأن : " المعنى قد جعل ربك تحت قدمك نهراً " [٤] .

القول الثاني : يعني **عيسى** عليه السلام ؛ فإن السَّري الرَّجل الكريم [٥] ، قاله الحسن [٦] ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [٧] ، وذهب إليه القرطبي [٨] ، والقاسمي [٩] ، **وقدَّمه** جماعة من المفسرين [١٠] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٧٠) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٠٢) إلى ابن أبي حاتم .

(٢) سورة الزخرف : ٥١ .

(٣) ذكره الفخر الرازي في تفسيره . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٧٥ .

(٤) فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ .

(٥) **السَّري** هو : الرفيع في كلام العرب ، ومعنى سرو الرجل يسرو : أي ارتفع يرتفع فهو رفيع ؛ مأخوذ من سراة كل شيء : ما ارتفع منه وعلا ، وجمع السراة : سروات . وقال الفيومي : السَّري الرئيس . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، باب السين والراء : ١٣ / ٣٨ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٧٨ ، المصباح المنير (مادة : سريت) : ٢٧٥ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٧٠) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٠٢) إلى ابن أبي حاتم .

(٧) أخرجه ابن جرير عن الحسن وابن زيد في تفسيره (١٦ / ٧٠ ، ٧١) ، ونسبه إليهما ابن كثير في تفسيره (٣ / ١١٨) وغير واحد من المفسرين .

(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٩٤ .

(٩) قال القاسمي : أي سيداً نبيلاً رفيعاً . يعني عيسى عليه السلام . ينظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١١٨ .

(١٠) منهم : الثعلبي ، والماوردي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والسمين الحلبي ، والثعالبي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢١١ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١ تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧٥ ، الدر المصون : ٤ / ٤٩٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤ ، ٤٥ .

واستدل له من كلام العرب : بقول الشاعر :

تَلْقَى السَّرِيَّ من الرّجال بنفسه وابنُ السَّرِيِّ إذا سَرَا أَسرَاهُمَا [١]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾ جدولاً ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ وجمهور المفسرين** ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : اتفق جماعة السلف إلا الحسن وعبد الرحمن بن زيد على أن السري هو النهر والجدول ، وقد روي أن الحسن رجع إلى هذا القول [٢] .

ثانياً : " حديث عبد الله بن عمر ﷺ المرفوع إلى النَّبي ﷺ – وإن كانت طرقه لا يخلو شيء منها من ضعف – أقرب إلى الصواب من دعوى أن السري عيسى عليه السلام بغير دليل يجب الرجوع إليه " [٣] .

ثالثاً : لو كان ﴿ سَرِيًّا ﴾ وصفا لعيسى عليه السلام كان : غلاما سريًّا ، وقلَّما تقول العرب : رأيت عندك نبيلاً ، حتى يقولوا : رجلاً نبيلاً [٤] .

رابعاً : يتأيد هذا القول بالقرينة القرآنية ، والنظائر القرآنية ، وباللغة ، وظاهر النظم الكريم وعلى هذا يترجح هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أسراهُما : أي أشرَفهُما . لم أهتد لقائل هذا البيت ، وقد استشهد به بعض أهل اللغة . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، باب السين والراء : ١٣ / ٣٨ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٨٠ .

(٢) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : سري) : ٨ / ٥٧١ ، لسان العرب (مادة : سرا) : ١٤ / ٣٨٠ .

(٣) أضواء البيان : ٣ / ٣٩٦ .

(٤) قاله ابن الجوزي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٢٢ . بتصرف يسير .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ . [آية : ٣٦] .

مسألة : من المتكلم في هذه الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن هذه الآية من كلام عيسى عليه السلام ، فقال : ((من كلام عيسى ، وقرىء بفتح الهمزة ، تقديره : ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه ، وبكسرها لابتداء الكلام . وقيل : هو من كلام النبي ﷺ ، والمعنى : يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم ، وأن الله ربي وربكم **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى ﴾ قراءتان متواترتان سبعيتان :

قرأ **نافع وابن كثير** وأبو عمرو : بفتح الهمزة ﴿ وأَنَّ الله ﴾ :

- على حذف حرف الجر اللام متعلقاً بما بعده ، والمعنى : لوحدانيته أطيعوه [٢] .
- أو عطفاً على :
  - الصلاة ؛ قوله تعالى : ﴿ ... وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٣١] . أي : بالصلاة [٣] .
  - أو قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٣٠] .

وقرأ الباقون [٤] : بكسرها ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى ﴾ على الاستئناف [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥ .

(٢) وإليه ذهب الزمخشري تابعاً للخليل وسيبويه حيث قال : " كقوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ . [سورة الجن : ١٨] . " . أي : ولأن المساجد لله . ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٧٨ .

(٣) وإليه ذهب الفَرَّاء . ينظر معانيه : 2 / ١٤٢ . قال أبو حيان : وهذا في غاية البعد للفصل الكثير . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ١٧٩ .

(٤) وهم : ابن عامر وعاصم والكسائي وحمزة ؛ باقي القراء السبعة .

(٥) ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ٢٣٨ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ٤٤٤ ، إتحاف فضلاء =

واختلف المفسرون هل هذه الآية **من كلام النبي ﷺ أو من كلام عيسى عليه السلام** على قولين :

القول الأول : أنها **من كلام عيسى** عليه السلام ، قاله مقاتل [١] ، وهو قول أبي مسلم الأصفهاني [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **أكثر** [٤] المفسرين [٥] . [٦]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى بلسان عيسى عليه السلام : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ... ﴾ . [سورة المائدة : ١١٧] .

= البشر للبناء : ٣٧٨ . وينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٤٥٥ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٧٥ . وينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٩٥ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٨٧ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٥ .

وابن كثير هو : عبد الله بن كثير بن عمرو بن هرمز ، أبو معبد الكناني الداري ، إمام أهل مكة في القراءة ، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً واعظاً ، أحد القراء السبعة المشهورين ، ت سنة ١٢٢ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٨٤ ، الفهرست : ٤٢ وفيات الأعيان : ٣ / ٤١ ، ٤٢ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣١٢ .

(٢) نسبه إليه : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٨٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٦٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥ .

(٤) نسب السمعاني هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٩٢ .

(٥) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، واحتمله ابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٨٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٩٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٢٩٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥ ، زاد المسير : ٥ / ٢٣٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢١ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٣٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٦٥ ، السراج المنير : ٢ / ٤٧٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٣٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٢١ ، روح المعاني : ١٦ / ٩٢ ، الظلال : ٤ / ٢٣٠٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٤١٦ ، الوسيط : ٩ / ٣٧ .

(٦) قال بالقولين من غير ترجيح : الفخر الرازي ، وأبو حيان ، والطاهر بن عاشور . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ١٨٧ ، البحر المحيط : ٦ / ١٧٩ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٠٤ ، ١٠٥ .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

قال البقاعي : " ولما كان لسان الحال ناطقاً عن عيسى عليه السلام بأن يقول : وقد قضاني الله فكنت كما أراد ، فأنا عبد الله ورسوله فاعتقدوا ذلك ولا تعتقدوا سواه من الأباطيل ، عطف عليه في قراءة الحرميين وأبي عمرو قوله : ﴿ وأَنَّ الله ﴾ أي الذي له ذلك ﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده ، وقراءة الباقين بالكسر على أنه مقول عيسى عليه السلام الماضي " . اهـ [١] .

وعلى هذا :

تكون الجمل من قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ... ﴾ [٢] إلى آخرها جملَ اعتراض .

قال **البقاعي** :

" ويكون اعتراض ما تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد والاهتمام " [٣] .

القول الثاني : أنها **من كلام النبي** ﷺ ، ذهب إليه ابن عطية ، والنيسابوري ، واحتمله الثعالبي [٤] من المفسرين .

واستدل له : بظاهر السِّياق .

قال ابن عطية : " وليس يقتضي ظاهر الآية قائلاً من البشر سوى محمد ﷺ " [٥] .

✖ واعتُرض :

بأن النبي ﷺ لم يجر له ذكر فيما تقدم من الآيات ، بل كان الكلام فيما سبق على لسان عيسى عليه السلام .

---

(١) نظم الدرر : ٤ / ٥٣٣ .
(٢) سورة مريم – عليها السَّلام – : ٣٤ .
(٣) نظم الدرر : ٤ / ٥٣٣ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٨٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨ .
(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ من كلام عيسى عليه السلام ، وهو ما رجحه ابن جُزيّ ووافقه أكثر المفسرين** ، إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : يتأيد هذا القول بالنظير القرآني ، ولهذا يترجح **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [١] .

ثانياً : من الأثر :

عن وهب بن منبه قال : عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي : إني وإياكم عبيد الله فاعبدوه ولا تعبدوا غيره [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٨٥) . ونسبه إليه غير واحد من المفسرين .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ ... ﴾ . [آية : ٤٧] .

مسألة : معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه (حكم ابتداء الكافر بالسلام المشروع) :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه وداع مفارقة ، فقال : ((﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ ﴾ وداع مفارقة . وقيل : مسالمة لا تحية ؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السلف والخلف والمفسرون في **معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه** على قولين :

القول الأول : هو تحية [٢] **مفارق ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه القرطبي ، والشوكاني [٤] من المفسرين [٥] .

وجوَّزوا تحية الكافر ، وأن يبدأ بالسلام المشروع [٦] ، وهو مذهب **سفيان بن عيينة** ، ووجه في مذهب **الشافعي** [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦ .

(٢) قال الجصاص : التحية التي هي دعاء بالسلامة والأمن ؛ نحو تسليم المسلمين بعضهم على بعض . ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٣٦ .

(٥) نسب الشوكاني هذا القول إلى الجمهور . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٣٦ . وبعد البحث وجدت الجمهور مع القول الثاني .

(٦) قال ابن القيِّم : وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وأبو أمامة ، وابن محيريز . ينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٢ / ٤٢٥ .

(٧) قاله الماوردي في الحاوي ؛ ولكن قال : يقال له (السلام عليك) فقط بدون ذكر الرحمة ، وبلفظ الإفراد . وقال النووي : **وهذا شاذٌ ضعيف** . ينظر : المجموع لمحي الدين بن شرف النووي، أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ) : ٤ / ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

وسفيان بن عيينة هو : سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ، أحد الأئمة الأعلام ، كان ذو عقل رصين ، وعلم مكين ، مستنبط للمعاني ، الإمام الثبت الحجة الثقة ، ت سنة١٩٨ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٤ / =

واستدل له من القرآن الكريم :

- وقوله سبحانه : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ . [سورة الممتحنة : ٨] .

- وقوله سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ... ﴾ . [سورة الممتحنة : ٤] .

✖ **وتُعقِّب :**

بأن ما استدَّل به مُتأوَّل ، وهو محجُوج بما ثبت في صحيح مسلم [(١)] :

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تبدؤوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ، فإذا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ » [(٢)] .

✓ **وأجاب القرطبي** : بأن " في الباب حديثان صحيحان :

الأول : ما أخرجه **الإمام مسلم** عن أبي هريرة ﷺ – وهو المذكور آنفاً – .

الثاني : ما أخرجه الشيخان عن أسامة بن زيد ﷺ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ على حِمَارٍ على قَطِيفَةٍ **فَدَكِيَّةٍ** ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بن عُبَادَةَ في بَنِي الْحَارِثِ بن الْخَزْرَجِ قبل وَقْعَةِ بَدْرٍ ، قال : حتى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فيه عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ – وَذَلِكَ قبل أَنْ يُسْلِمَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ – ، فإذا في الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ من الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وفي الْمَجْلِسِ عبد اللَّهِ بن رَوَاحَةَ ؛ فلما غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ

= ٩٤ ، الحلية : ٧ / ٢٧٠ – ٣١٨ ، الكاشف : ١ / ٤٤٩ .

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٨٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٩٩ .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في الأدب المفرد ، باب لا يبدأ أهل الذمة بالسلام (١١٠٣) : ٣٧٨ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في صحيحه في كتاب السلام ، بَاب النَّهْيِ عن ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عليهم (٢١٦٧) : ٤ / ١٧٠٧ .

عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قال : لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا . فَسَلَّمَ رسول اللَّهِ ﷺ عليهم ... » . الحديث [١] .

" فالأول : يفيد ترك السلام عليهم ابتداء ؛ لأن ذلك إكرام والكافر ليس أهله ، والحديث الثاني يُجوِّز ذلك .

قال الطبري : ولا يعارض ما رواه أسامة بحديث أبي هريرة ؛ فإنه ليس في أحدهما خلاف للآخر ، وذلك أن حديث أبي هريرة مخرجه العموم ، وخبر أسامة يبين أن معناه الخصوص .

وقال النخعي : إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني فابدأه بالسلام [٢] . فبان بهذا أن حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « لَا تبدؤوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ... » إذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدءوهم بالسلام ؛ من : قضاء ذمام ، أو حاجة تعرض لكم قبلهم ، أو حق صحبة ، أو جوار ، أو سفر .

قال **الطبري** [٣] : وقد روى عن السَّلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب . وفعله ابن مسعود رضي الله عنه بدهقان صحبه في طريقه . قال **علقمة** : فقلت له : يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام ؟ قال : نعم ، ولكن حقَّ الصحبة [٤] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾ (٤٢٩٠) : ٤ / ١٦٦٣ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، بَاب في دُعَاءِ النبي ﷺ وَصَبْرِهِ على أَذَى الْمُنَافِقِينَ (١٧٩٨) : ٣ / ١٤٢٢ .
وفدكِّية : نسبة إلى فدك ، وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً . ينظر : معجم البلدان : ٤ / ٢٣٨ .

(٢) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية ؛ باب السلام على الكفار (٢٦٥٤) : ١١ / ٦٧٩ . وهذا هو قول علقمة والنخعي : وهو جواز ابتداء الكفار بالسلام لضرورة أو حاجة أو سبب . ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٤ / ١٤٥ ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) : ٨ / ٢٢٦ .

(٣) أقوال الطبري لم أقف عليها في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – . ونسبها إليه القرطبي وابن حجر . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ ، فتح الباري : ١١ / ٣٩ .

(٤) أخرجه أبو بكر ، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) في شعب الإيمان ؛ فصل في السلام على أهل الذمة (٨٩١٠) : ٦ / ٤٦٣ . وقال ابن حجر : أخرجه الطبري **بسند صحيح** عن علقمة .
و**علقمة** هو : علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي ، أبو شبل الكوفي ، إمام فقيه مجود ، ثقة ثبت ت سنة ٦١هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٧ / ٤١ ، معرفة الثقات : ٢ / ١٤٥ – ١٤٧ ، تذكرة الحفاظ : =

وكان **أبو أمامة** ﷺ إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ولا يهودي ولا نصراني إلا سلَّم عليه . فقيل له في ذلك ؛ فقال : أمرنا أن نفشي السلام [١] .

وسئل **الأوزاعي** عن مسلم مرَّ بكافر فسلم عليه ؛ فقال : إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك ، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك .

وروى عن الحسن البصري أنه قال : إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلِّم عليهم " . اهـ [٢] .

قال القرطبي : " **الأظهر من الآية** ما قاله سفيان بن عيينة " [٣] .

القول الثاني : هو توديع ومتاركة [٤] ، **وهو مسالمة لا تحية** ؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز ، قاله **جمهور** [٥] المفسرين [٦] . [١]

= ١ / ٤٨ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في أهل الذمة يبدؤون بالسلام (٢٥٧٥١) : ٥ / ٢٤٩ . عن محمد بن زياد الألهاني وشرحبيل بن مسلم . وقال ابن حجر : أخرجه الطبري **بسند جيد** عنه .
وأبو أمامة هو : صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة : **صحابي** ، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، ت سنة ٨١ هـ . ينظر : الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (رجال صحيح البخاري) لأبي نصر ، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي (ت ٣٩٨ هـ) : ١ / ٣٦٦ ، الاستيعاب : ٢ / ٧٣٧ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٦٨ ،

(٢) تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ . بتصرف يسير . وينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٩ .
و**الأوزاعي** هو : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي ، أبو عمرو ، الإمام العلم الفقيه ، شيخ الإسلام ، ثقة جليل ، إمام عصره وفقيه زمانه ، ت سنة ١٥٧هـ . ينظر : حلية الأولياء : ٦ / ١٣٥ - ١٤٩ ، السِّير : ٧ / ١٠٧ - ١٣٤ ، التقريب : ٣٤٧ .

(٣) تفسير القرطبي : ١١ / ١١٢ .

(٤) قال الماوردي : " وهو أظهر أنه سلام بر وإكرام ، فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكراً لسالف التربية " . اهـ . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٧٥ . وينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٧٩ .

(٥) نسب ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١١١ ، البحر المحيط : ٦ / ١٨٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢ .

(٦) منهم : مقاتل ، والطبري ، والجصاص ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، وابن كثير ، والجلالين وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٤ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٩٢ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١٩٨ ، الكشاف : ٣ / ٢٣ ، زاد المسير : ٥ / ٢٣٧ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٩٥ ، تفسير البيضاوي : =

قال الطبري :

" معناه : أمنةً مني لك " [٢] . وإنما أمَّنه مع كفره لأنه لم يؤمر بقتاله [٣] .

" وذلك على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة ؛ أي : لا أصيبك بمكروه بعد ، ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ " [٤] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٦٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ . [سورة القصص : ٥٥] .

٢. إن السلام الذي معناه التحية إنما خصَّ به هذه الأمَّة ؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيتُ ثَلاثَ خِصَالٍ : صَلاةً فِي الصُّفُوفِ ، وَأُعْطِيتُ السَّلامَ ، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ... » [٥] .

= ٤ / ١٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٣٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٢، البحر المحيط : ٦ / ١٨٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٣٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٧٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٤ ، تفسير الجلالين : ٤٠١ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨٦ السراج المنير : ٢ / ٤٧٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٩٩ ، تفسير السعدي : ٤٩٥ ، الظلال : ٤ / ٢٣١٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٢٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٢١ ، الوسيط : ٩ / ٤٣ .

(١) قال بالقولين من غير ترجيح : السمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والثعالبي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٢٩٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦ / ٩٢ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ١١١ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٣٦ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨٦ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الهيثمي في زوائد مسند الحارث في كتاب الصلاة ، باب التأمين (١٧٢) : ١ / ٢٨٥ . قال الحافظ ابن حجر : أخرجه ابن خزيمة في صحيحه من وجه آخر عن زربي لكن قال ابن بنت الحر ، ولم يثبت لضعف زربي . ينظر : المطالب العالية لابن حجر : ٤ / ٧٧ . وأخرج ابن جرير **بسند صحيح** عن قتادة في قوله : ﴿ ... وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١٠٠] . قال : « كانت تحية من قبلكم فأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة » . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١٢ / ٣٧٦ .

قال **المناوي** : " وإنما امتنع السَّلام على الكافر لأنه لا سلامة له ؛ إذ هو مخزي في الدنيا بالحرب والقتل والسبي وفي الآخرة بالعذاب الأبدي " . اهـ [١] .

قال الشوكاني : " **والأوَّل أوْلى** " [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الثاني ؛ وهو عدم جواز ابتداء الكفار بالسلام المشروع ، وبه قطع الجمهور ، وهو المذهب الصحيح ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه . ويجوز الابتداء بالسلام على جمع فيهم مسلمون وكفار أو مسلم وكفار ويقصد المسلمين لحديث أسامة** ﷺ [٣] ، لما تقرر عند العلماء أنه :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [٤] .

✓ وللعلماء في هذه حكم ابتداء الكفار بالسلام بعض التفصيل كما يلي :

أولاً : في حالة الاضطرار إلى السَّلام على الكفار :

قال **النووي** : " إذا اضطر إلى السَّلام على الظلمة بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلِّم سلَّم " [٥] .

---

(١) فيض القدير للمناوي : ١ / ٣٧٧ .

والمناوي هو : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري ، زين العابدين : من كبار العلماء بالدين والفنون . انزوى للبحث والتصنيف ، وكان قليل الطعام كثير السهر ، له نحو ثمانين مصنفاً ، منها الكبير والصغير ، والتام والناقص . عاش في القاهرة ، وتوفي بها سنة ١٠٣١ هـ . من كتبه : التوقيف على مهمات التعاريف ، واليواقيت والدرر وغير ذلك . ينظر : كشف الظنون : ١ / ٧١ ، ٤٠٨ ، الأعلام : ٦ / ٢٠٤ .

(٢) فتح القدير : ٣ / ٣٣٦ .

(٣) قاله النووي في المجموع : ٤ / ٥٠٩ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

(٥) المجموع للنووي : ٤ / ٥٠٩ .

والنووي هو : الإمام محيي الدين يحيى بن شرف بن حسن الحازمي ، أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي ، شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، صاحب التصانيف العديدة المفيدة ، ت سنة ٦٧٧هـ . ينظر : طبقات الشافعية للسبكي : ٨ / ٣٩٥ – ٤٠٠ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٢ / ١٥٣ – ١٧٥ .

وقال ابن العربي المالكي : " السلام اسم من أسماء الله ... فإذا قلت : (السلام عليكم) فيحتمل : الله رقيب عليكم " [١].

ثانياً : تحية ذمي بغير السلام :

" قال **المتولي وغيره** : له ذلك ، بأن يقول : هداك الله ، أو أنعم الله صباحك . وهذا لا بأس به إن احتاج إلى تحيته لدفع شره أو نحوه . فيقول : صبحك الله بالخير ، أو بالسعادة ، أو بالعافية ، أو بالمسرة ونحوه ، فإن لم يحتج فالاختيار ألا يقول شيئاً ، فإن ذلك بسط وإيناس وإظهار مودة ، وقد أُمرنا بالإغلاظ عليهم ، ونُهينا عن ودِّهم " [٢] .

ثالثاً : السلام على الكفار بلفظ يقتضي خروجهم عنه :

المراد منع ابتداء الكفار بالسلام المشروع ، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه ؛ كأن يقول : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فهو جائز [٣] ؛ كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره : « سلام على من اتبع الهدى ... » [٤].

وبالنظر إلى فقه الواقع ، والإسلام لم يعد له قوته وعزه ومكانته ؛ بل أصبح يوصم بالتطرف والإرهاب والعنف ، وهو دين الرحمة والسلام ؛ والإغلاظ لأهل الكفر سيفهم بطريقة خاطئة ؛ فأرى – والله أعلم – تحية الكافر بغير السلام إن احتاج إلى تحيته لدفع شره أو نحوه ، خاصة لمن لم يكن محارباً ولا مقاتلاً في الدين ، لأن ديننا دين السلام .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ٥٩٢ .

(٢) المجموع للنووي : ٤ / ٥٠٩ .

والمتولي هو : عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري ، أبو سعد ، المعروف بالمتولي : فقيه مناظر ، عالم بالأصول . ولد بنيسابور ، وتعلم بمرو ، له : تتمة الابانة ، للفوراني في فقه الشافعية (لم يكمله) ، وكتاب في الفرائض مختصر . ت سنة ٤٧٨ هـ . ينظر : طبقات الفقهاء : ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، العبر للذهبي : ٣ / ٢٩٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٥٨ .

(٣) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٤٠ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ ﷺ (٧) : ١ / ٧ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، بَاب كِتَابِ النبي ﷺ إلى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إلى الْإِسْلَامِ (١٧٧٣) : ٣ / ١٣٩٣ . عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ . [آية : ٥٧] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ أنه في السماء الرابعة ، فقال : ((﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ في حديث الإسراء : « وإنه في السماء الرابعة » . وقيل : يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته ، **والأول أشهر** ، ورجَّحه الحديث)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾** على قولين :

القول الأول : إنه **في السماء الرابعة** [(٢)] ، قاله جماعة من السَّلف [(٣)] ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٢) أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه : « رفع إلى السماء السادسة فمات فيها » . وقيل : إلى الجنة . وأخرج الطبري أيضاً بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سأل كعب رضي الله عنه فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ؟ قال كعب : « أما إدريس ؛ فإن الله أوحى إليه إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم ، فأحب أن تزداد عملاً . فأتاه خليل له من الملائكة ؛ فقال : إن الله أوحى إلي كذا وكذا ، فكلِّم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملاً . فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء ، فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً ، فكلّم ملك الموت في الذي كلّمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هو ذا على ظهري . قال ملك الموت : فالعجب ، بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ » . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٩٦ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥١٧ – ٥٢٤ . قال ابن كثير : **هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة** . وقال ابن حجر : **وهذا من الاسرائيليات والله أعلم بصحة ذلك** . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٧ ، فتح الباري لابن حجر : ٦ / ٣٧٥ .

(٣) قاله أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك – رضي الله عنها – ، وقاله مجاهد . أخرجه عنهم ابن جرير . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٩٧ .

جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

واستدل له : بما ثبت عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَمَّا عُرِجَ بِي رأيت إِدْرِيسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ » [٣] .

✖ وتُعقِّب :

١. بإن " الرِّفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة في المكان ؛ لا في الدَّرجة " [٤] .

٢. الاستدلال بحديث الإسراء لا حجَّة فيه لهذا القول ؛ لأنه ذكر فيه عدَّة أنبياء غيره وجدوا في السموات [٥] .

✓ وأجيب :

بأن فيه نظراً ، لأنه ورد مثله ؛ بل ما هو أظهر منه ، كقوله :

وكن في مَكانٍ إذَا ما سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ في عافِيَهْ [٦]

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧ .

(٢) منهم : مقاتل ، والطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، و**صحَّحه** القرطبي ، والعز بن عبد السلام ، و**صحَّحه** الخازن ، وابن كثير والبقاعي ، والجلالين ، و **صحَّحه** الشوكاني ، واحتمله القاسمي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٦ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٩٦ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٣٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٧٨ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٩ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٧٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٠٠ ، زاد المسير : ٥ / ٢٤١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ١٩٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١١٧ ، ١١٨ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٨٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٧ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٤٢ ، تفسير الجلالين : ٤٠٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٢٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٥ .

(٣) أخرجه الشيخان مطولاً : أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ،بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ (٣٠٣٥) : ٣ / ١١٧٢ ، وله أطراف ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (١٦٢) : ١ / ١٤٥ . وأخرجه الترمذي مختصراً في سننه في كتاب التفسير ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ (٣١٥٧) : ٥ / ٣١٦ . قال أبو عِيسَى : وهذا **حَدِيثٌ حَسَنٌ** ، وقد رَوَاهُ سَعِيدُ بن أبي عَرُوبَةَ وَهَمَّامٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عن قَتَادَةَ عن أَنَسٍ عن مَالِكِ بن صَعْصَعَةَ عن النبي ﷺ حَدِيثَ الْمِعْرَاجِ بِطُولِهِ وَهَذَا عِنْدَنَا مُخْتَصَرٌ من ذَاكَ .

(٤) التفسير الكبير : ٢١ / ١٩٩ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣١ .

(٦) أورده القاسمي في تفسيره (١١ / ١٣٥) ، والآلوسي في روح المعاني (١٦ / ١٠٧) . والشعر لابن =

القول الثاني : يعني **رفعة النبوة وتشريف منزلته** ، رُوي عن الحسن [١] ، وقاله جماعة من المفسرين [٢] .

واستدل له :

١. **بالنظير القرآني** : قوله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ . [سورة الشرح : ٤] .

٢. قد أنزل الله على إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة ، وهو أوَّل من خط بالقلم ، وأوَّل من خاط الثياب ولبسها ، وكانوا يلبسون الجلود ، ونظر في علم النجوم والحساب ، وأوَّل من اتَّخذ السِّلاح ، وقاتل الكُفَّار ، وأوَّل مرسل بعد آدم عليه السلام ، وأوَّل من اتخذ الموازين والمكاييل [٣] .

قال الآلوسي مؤيداً لهذا القول :

" وهذا الرفع لاقتضائه علو الشأن ورفعة القدر كان فيه من المدح ما فيه ؛ وإلاَّ فمجرد الرفع إلى مكان عالٍ حساً ليس بشئ ؛ فالنار يعلوها الدخان ، وربما يعلو الغبار عمائم الفرسان " . اهـ [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الصحيح أن قوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ يحتمل القولين ؛ فالله ﷻ قد جمع له بين الرفعتين : رفعة المكان ورفعة المكانة** ؛ يدل على ذلك ما يلي :

= وكيع التنيسي نسبه إليه ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢ / ١٠٦) .

(١) نسبه الآلوسي ، والطاهر بن عاشور إليه . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣١ .

(٢) منهم : الزمخشري ، وقدَّمه ابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، وقدَّمه النيسابوري ، وأبو حيان ، وأبو السعود والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٤ البحر المحيط : ٦ / ١٨٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٥ ، روح المعاني : ١٦ / ١٠٥ ، تفسير السعدي : ٤٩٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣١٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣١ .

(٣) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٧٨ ، الكشاف : ٣ / ٢٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٤ ، التسهيل : ٣ / ٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٨٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٨٣ .

(٤) روح المعاني : ١٦ / ١٠٧ .

أولاً : يدل على **رفعة المكان** : ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ ؛ فهو في السماء الرابعة .

ويدل على **رفعة المكانة** قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٥٦] .

ثانياً : ذكر جماعة من المفسرين القولين و لم يرجحوا بينهما [١] ؛ فكلا القولين محتمل [٢] .

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾ احتمل معنيين ، و لم يمتنع إرادة كليهما ؛ فيحمل عليهما معاً ، يؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانيَ عدَّة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) قال القولين من غير ترجيح : البغوي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٨٣ ، السراج المنير : ٢ / ٤٧٨ ، الوسيط : ٩ / ٤٨ .

(٢) ينظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٥ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ . [آية : ٦٤] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : له ما قدّامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن ، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، فقال :

((﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : له ما قدامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن ؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله . وقيل : ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور وما خلفنا الآخرة ، وما بين ذلك ما بين النفختين . وقيل : ما مضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها ، **والأول أكثر مناسبة لسياق الآية**)) . اهـ [١].

الدراسة :

هذه الآية حكاية لقول جبريل عليه السلام [٢] – عن نفسه والملائكة – حين استبطأه رسول الله ﷺ

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٢) قال الفخر الرازي : " إن ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ... ﴾ خطاب جماعة لواحد ، وذلك لا يليق إلا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول ﷺ " . ينظر : التفسير الكبير : ٢١ / ٢٠٤ . وينظر : إتقان السيوطي : ١ / ١٠٣ . وعلى هذا تكون هذه الآية غير متصلة بما قبلها . وجوّز أبو مسلم وابن بحر : أنّ هذه الآية من تمام حكاية كلام أهل الجنة ؛ بتقدير فعل يقولون حالاً من قوله : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ . [سورة مريم – عليها السّلام – : ٦٣] . ، أي وما نتنزل في هذه الجنة إلاّ بأمر ربّك . وعلى هذا تكون الآية متصلة بما قبل . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٨١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٢٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٣ ، روح المعاني : ١٦ / ١١٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣٩ .

بالوحي [١] ، وقد اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : معناه : له ما قدامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل بدلالة السِّياق .

قال ابن جُزيّ : " والأول أكثر مناسبة لسياق الآية " [٤] .

القول الثاني : معنى : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ الآخرة ، ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ما بين النفختين ، و هذا قول أبي العالية [٥] وجماعة من السلف [٦] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٧] ، **و** قاله السمرقندي ، والجلالين [٨] من المفسرين .

✖ **وتعقَّب ابن عطية** قول أبي العالية هذا فقال : " إنما يتصور في بني آدم ، وهذه المقالة هي

---

(١) أخرج الشيخان عن ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ : « ألا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا . قال فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ... ﴾ . الْآيَةَ » . وقد روي في سبب نزولها أقوال أخرى . قال ابن عاشور عن الرواية السابقة : " وهو **أصحُّ** ما روي في سبب نزولها وأليقه بموقعها هنا . ولا يلتفت إلى غيره من الأقوال في سبب نزولها " . ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧ .

(٣) منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والنسفي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، والثعالبي ، والشوكاني ، والطاهر ابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٤٢ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٣٩ ، الوسيط : ٩ / ٥٥ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٠٣) .

(٦) وهم : عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير وقتادة في رواية عنهما ، والسدي ، والربيع بن أنس ، أخرجه عنهم الطبري ، ونسبه إليهم ابن كثير . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣١ ، تفسير الطبري : ١٦ / ١٠٣ . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٣١ .

(٧) ينظر معانيه : 2 / 144 . قال : وما بين النفختين : أربعون سنة .

(٨) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٨١ ، تفسير الجلالين : ٤٠٣ .

للملائكة ؛ فتأمَّله " [١] .

القول الثالث : معنى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ **من أمر الآخرة** ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ **ما مضى من أمر الدنيا** ، ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ **ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة** ، قاله ابن عباس ﷺ ، وقتادة [٢] ، وجماعة من السلف [٣] أيضاً ، وذهب إليه ابن جرير [٤] ، ، وجماعة من المفسرين [٥] . [٦]

واستدل له ابن جرير :

١. بالأغلب في استعمال في لغة العرب :

إن معنى ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من أمر الآخرة ، لأن ذلك لم يجئ وهو جاء ؛ فهو بين أيديهم ، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا : هذا الأمر بين يديك . أنهم يعنون به ما لم يجئ ، وأنه جاء .

﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ من أمر الدنيا ، وذلك ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم إياه وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه : هو خلفه ووراءه . ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ؛ لأن ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين .

٢. أن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له [٧] .

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة في تفسيره (١٦ / ١٠٤) . وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في تفسيره (٣ / ١٠) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٥٨ .

(٣) وهم : سعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن جريج ، والثوري ، نسبه إليهم ابن كثير في تفسيره (٣ / ١٣١) .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٠٥ .

(٥) منهم : مقاتل ، ونسبه النحاس إلى سعيد بن جبير و لم يذكر غيره ، وذكر ابن أبي زمنين تفسير قتادة فحسب ، والسمر قندي ، والواحدي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣١٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٤٤ ، تفسير السمر قندي : ٣ / ٣٨١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٠١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٤ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٣ .

(٦) ذكر ابن كثير القولين الثاني والثالث و لم يرجح بينهما . ينظر : تفسير ابن كثير :٣ / ١٣١ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٠٥ . بتصرف يسير .

✖ **وتعقَّب ابن عطية** هذا القول فقال :

" وقال ابن عباس وقتادة – فيما روي وما أراه صحيحاً عنهما – : ما بين الأيدي هي الآخرة وما خلف هو الدنيا . وهذا مختل المعنى إلا على التشبيه بالمكان ؛ لأن ما بين اليد إنما هو ما تقدم وجوده في الزمن بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن " . اهـ [١] .

القول الرابع : معناه : ما مضى من أعمارنا وما بقي منها ، والحال التي نحن فيها . [٢]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الأول ؛ وأن معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ : له ما قدَّامنا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الجهات والأماكن فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك **دلالة السِّياق** ..

فالآية في مقام **الحديث عن الملائكة** ، وتركيب الجملة يفيد أن الله ﷻ هو المالك لجميع أمورهم ، ومحيط بكل أعمالهم ؛ ما مضى وما هو آت في جميع الأماكن والأزمان ؛ فلا يتزلون إلا بأمره ومشيئته ﷻ ، ولا يتقدمون على أمر إلا بإذنه ؛ لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة ، وهذا المعنى **يرجِّحه السِّياق والمقام** ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

.

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ .

(٢) ذكر جميع الأقوال و لم يرجح بينهما : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٢٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٠٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٢٩ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٢ ، ١٩٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٠٠ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٠٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٤٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٤٢ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٩ .

المسألة الثانية: في معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ الذهول ، فقال : ((﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول ، وقيل : بمعنى الترك ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [(١)].

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾** على قولين :

القول الأول : النسيان **بمعنى الترك** ، قاله جماعة من المفسرين [(٢)] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ . [سورة الضحى : ٣] .

٢. هذا القول هو الأوفق لسبب النزول [(٣)] .

القول الثاني : النسيان **بمعنى الذهول ، استظهره** ابن عطية [(٤)] **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧ .

(٢) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، وابن عادل ، والجلالين وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٠٥ ، الكشاف / ٣ / ٣١ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢٠٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٠٠ ، تفسير الجلالين : ٤٠٣ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٣ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٩ ، روح المعاني : ١٦ / ١١٤ ، الوسيط : ٩ / ٥٥ .

(٣) سبب النزول المرويُّ سابقاً والذي أخرجه الشيخان في استبطاء رسول الله ﷺ جبريل بالوحي (ينظر : ص ٥٧٤ من هذه الرسالة) . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ١١٤ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ .

ووافقه الثعالبي [١] من المفسرين .

✖ **واعتُرض** : بأن هذا المعنى لا يجوز عليه سبحانه ، فلا حاجة إلى نفيه عنه ﷻ [٢] .

✓ **ورُجِّح** بأنه :

١. أوفق بصيغة المبالغة ، فـ ﴿ **نَسِيًّا** ﴾ صيغة مبالغة ومعناها : كثير النسيان ، وهي أبلغ .

٢. فيه من إبقاء اللفظ على حقيقته .

٣. كثيراً ما جاء في القرآن نفي ما لا يجوز عليه ﷻ [٣] ، كقوله تعالى : ﴿ ... **لَا تَأْخُذُهُ** سِنَةٌ **وَلَا نَوْمٌ** ... ﴾ . [سورة البقرة : ٢٥٥] .

٤. قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ نفي للنسيان مطلقاً ؛ سواء أكان بمعنى الذهول أم بمعنى الترك ؛ فالأولى أن يكون المنفي هو الذي بمعنى الذهول الذي هو نقص .

✖ **وتُعقِّب بأن** :

" قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ نفي للنسيان مطلقاً ، فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص ، وهو الذهول عن شيء معلوم ، وأما النسيان بمعنى الترك فلا ينتفي مطلقاً ، ومن ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ ... **وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ** ... ﴾ . [سورة البقرة : ١٧] .
- وقوله : ﴿ **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ** ... ﴾ . [سورة الكهف : ٩٩] .

فلو قال : (نسيك) أو نحوه من التقييد لصحَّ حمله على الترك ، ولا حاجة بنا أن نقول إن التقييد في النية ؛ لأن المعنى الآخر أظهر " . اهـ [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ وأن معنى النسيان هنا في قوله**

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٨ .
(٢) ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١١٤ .
(٣) ينظر : المرجع السابق .
(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤ . بتصرف يسير .

تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ يحتمل الترك ويحتمل الذهول .

يدل على ذلك أن النسيان لفظ مشترك بين معنيين ؛ فعند الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم نجد أن :

أحدهما : ترك الشيء على ذهول و غفلة ، و ذلك خلاف الذكر له .
والثاني : الترك عن علم وقصد [١] .

وبذلك جاء القرآن الكريم والسُّنة المطهرة ، وكلام العرب .

- ✓ أما المعنى الأول ؛ وهو النسيان بمعنى : الذهول عن شيء معلوم ؛ فهذا لا يوصف الله تعالى به إطلاقاً :
  - لقوله تعالى : ﴿ ... لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [٢] .
  - وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ وهي الآية التي معنا .
- ✓ وأما المعنى الثاني ، وهو النسيان بمعنى : الترك عن علمٍ وقصدٍ فهو ثابت لله تعالى .
  - لقوله تعالى : ﴿ ... نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ... ﴾ [٣] .
  - وقوله : ﴿ ... وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ... ﴾ [٤] .

ونتره الله تعالى عن صفة النقص والذهول عن المعلوم ، كما أن أمثال هذه الصفات لا تطلق على الله تعالى إلاّ مقيدة ، فالجزاء من جنس العمل ، فالله يمكر بالماكرين ، ويخادع المخادعين ، وينسى من نسيه [٥] .

---

(١) ينظر : المصباح المنير للفيومي (لفظ : النسوة) : ٢ / ٦٠٤ ، المعجم الوسيط (مادة نسي) : ٢ / ٩٢٠ .
وينظر : المجلى في شرح القواعد المثلى لكاملة الكواري : ١١ / ٥ ، ٦ .
(٢) سورة طه : ٥٢ .
(٣) سورة التوبة : ٦٧ .
(٤) سورة الجاثية : ٣٤ .
(٥) ينظر : المجلى شرح القواعد المثلى : ١١ / ٥ ، ٦ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ . [آية : ٧٤] .

مسألة: في أصل ﴿ وَرِءْيًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ وَرِءْيًا ﴾ من الرؤية ، ومعناه منظر حسن ، فقال :

((بهمزة ساكنة قبل الياء ، معناه : منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرئي اسم المرئي ، وقرىء بتشديد الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق . وقيل : هو من ري الشارب ؛ أي : التنعم بالمشارب والمآكل ، وقرأ ابن عباس : (زيا) بالزاي [1])) . اهـ [2] .

الدراسة :

ترتب على اختلاف القراءات في ﴿ وَرِءْيًا ﴾ اختلاف المفسرين في أصلها ..

واتفق جمهور [3] المفسرين [4] أن :

---

(١) هذه **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير ، وهي قراءة سعيد بن جبير ، ويزيد البربري ، والأعْسَمُ المكيِّ . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ٨٩ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ٤٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٧٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨ .

(٣) نسب الشوكاني هذا القول إلى الجمهور . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٧٤ .

(٤) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، ونسب ابن الجوزي القول للزَّجَّاج ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١١٧ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٨٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٠٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٢٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣١٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٧ ، الكشاف : ٣ / ٣٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٩ زاد المسير : ٥ / ٢٥٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢١١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٤٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٣٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٥٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٠٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٣٣ ، تفسير الجلالين : ٤٠٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٧ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٤ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٤٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٢٦ ، تفسير السعدي : ٤٩٩ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٥٤ .

﴿ رِءْيًا ﴾ **بالهمز** [١] **من رُؤية العيْن** ، وهو منظر حسن ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومجاهد [٣] وغير واحد ، وقاله الزَّجَّاج [٤] ، وابن جُزيّ [٥] .

لكنهم اختلفوا في (ريًّا) مشددا بغير همز [٦] ... فلهم فيها تفسيران [٧] ، ويتوجه بتوجيهين :

- **التوجيه الأول** : أن يكون من ذلك على قلب الهمزة ياء وادغامها ، وهي من **الرؤية** أيضاً ؛ فالمعنى متفق ، **جوّده** الفَرَّاء [٨] ، و **صوَّبه** الطبري [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) قرأ أكثر القراء بهذا الوجه ؛ وهم : ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤١١ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ١ / ٤٤٦ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٧٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١١٧) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٥٨ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٠ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١١٨) .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٣٤٢ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨ .

(٦) قرأ نافع غير ورش وابن عامر (ريًّا) مشددًّا بغير همز . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤١١ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ١ / ٤٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٧٩ .

(٧) ذكر التفسيرين و لم يرجح بينهما : **جماعة من أهل اللغة** ، منهم : الزَّجَّاج في معانيه (٣ / ٣٤٢) ، وقاله ابن منظور ، والمرتضى الزبيدي . ينظر (مادة : رأى) في : لسان العرب : ١٤ / ٢٩٦ ، تاج العروس : ٣٨ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، والكفوي في كلياته : (٤٨٣) . ومن **كتب الغريب** ، ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٤٨ ، مفردات الرَّاغب (مادة : رأى) : ٢١٠ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٢٨٣ . ومن كتب **القراءات** : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤١١ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ١ / ٤٤٦ ، إتحاف فضلاء البشر للبنَّاء : ٣٧٩ .
وجماعة من المفسرين ، منهم : البغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٧ ، الكشاف : ٣ / ٣٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢٥٨ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢١١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٣٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٠٥ ، البحر المحيط : ٦ / ١٩٨ ، الدر المصون : ٤ / ٥٢٠ تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٢٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٣٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٧٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٤ روح المعاني : ١٦ / ١٢٦ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٥٥ .

(٨) ينظر معانيه : 2 / ١٤٥ .

(٩) رجَّح الطبري أيضاً القراءة بالهمز ، وعلَّل ذلك بإجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه المنظر ، ولذلك المهموز أولى . لكن القراءة بالتشديد من غير همز قراءة سبعية متواترة ، فالقراءتان صحيحتان . ولكنه استدرك قائلا : " فإن قرأ قارئ ذلك بترك الهمز وهو يريد هذا المعنى فغير مخطئ في قراءته " . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١١٨ .

جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال الفَرَّاء :

" وأهْلُ المدينة يَقْرؤُونها بغير همز (وريّاً) ، وهو وجه جيِّد ؛ لأَنَّه مع آياتٍ لَسْنَ مهموزاتِ الأَواخِر " . اهـ [٣] .

- **التوجيه الثاني** : من **الريِّ** [٤] ضد العطش ؛ أي : التنعم بالمشارب والمآكل ، جوَّزه النحاس [٥] ، وقاله ابن أبي زمنين والسمعاني [٦] من المفسرين .

ومعناه : " الارتواء من النعمة ، فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة ، والفقير يظهر عليه ذيول الفقر " [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن (**ريَّا**) **مشدداً بغير همز يحتمل التوجيهين** :

- يحتمل أن يكون مهموز الأصل من **الرؤية** ، وهو المنظر الحسن ، سهلت همزته بإبدالها ياء ثم أدغمت الياء في الياء .
- ويحتمل أن يكون من **الريّ** ضد العطش ، الذي هو التنعم بالمشارب والمآكل .

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : احتمال القولين لجماعة من أهل اللغة ، والقراء ، والمفسرين ، وكذلك كتب الغريب

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩ .

(٢) منهم : النحاس و**حسَّنه** ، وكذلك القرطبي ، و**استظهره** الشنقيطي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٥٣ تفسير القرطبي : ١١ / ١٤٣ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٨٥ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : 2 / ١٤٥ . وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٥٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٤٣ .

(٤) قال أبو شامة : " فلا يكون في الكلمة إبدال ، ولذلك امتنع السوسي من إبدال همزها " . ينظر : إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبي شامة (ت٦٦٥ هـ) : ٢ / ٥٨٥ .

(٥) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٥٣ .

(٦) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣١٠ .

(٧) تفسير البغوي : ٣ / ٢٠٧ .

كما ظهر .

ثانياً : يتفق معنى الآية في كلا القراءتين سواء بهمز أو بغير همز ، أو من الرؤية أو من الريِّ الذي هو التنعم : أنهم كانوا منعَّمين في منظر حسن ، وغضارة عيش [١] ، وسرور حال .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردَّها أو ردّ معناها ، وهي بمنزلة آية مستقلة .**
- **اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) **غضارة عيش** : أي سعته . ينظر : العين للخليل بن أحمد (مادة : غضر) : ٤ / ٣٦٥ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٨٩ ، ١٠٠ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ . [آية : ٨٥ - ٨٧] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ عَهْدًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ عَهْدًا ﴾ الإذن في الشفاعة ، فقال : ((﴿ عَهْدًا ﴾ يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة ، **وهذا أرجح** ؛ لقوله : ﴿ ... لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ ... ﴾ [(١)] . والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها ، ويقول غيره من الأنبياء : نفسي .. نفسي)) . اهـــ [(٢)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بالعهد** الذي اتخذه المؤمنون [(٣)] عند الرحمن في الآية على

---

(١) سورة طه : ١٠٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠ .

(٣) اختلف أهل العلم في الاستثناء في الآية ؛ وهل المراد بالذين يملكون الشفاعة المجرمون أو المؤمنون ، **وكلا القولين حق ويشهد له قرآن** ، قاله الشنقيطي ، وذلك كما يلي :

القول الأول : الواو في قوله : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ راجعة إلى ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المذكورين في قوله : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ **فالاستثناء منقطع** ؛ قاله القرطبي ، وابن كثير ، والطاهر بن عاشور .

أي : **لا يملك المجرمون الشَّفاعة** ، أي لا يستحقون أن يشفع فيهم شافع يخلصهم مما هم فيه من الهول والعذاب . وهذا الوجه من التفسير تشهد له آيات من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] . وغيرها من الآيات . و ﴿ مَنِ ﴾ في محل نصب . والمعنى : لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكون الشفاعة ، أي بتمليك الله إياهم وإذنه لهم فيها .

القول الثاني : الواو في قوله : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ راجعة إلى ﴿ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المذكورين في قوله : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ **فالاستثناء متصل** ، قاله ابن عطية وأبو حيان ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . و ﴿ مَنِ ﴾ بدل من الواو في ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ أي لا يملك من جميعهم أحد الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً **وهم المؤمنون** . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٥٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٠٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣٩ ، أضواء البيان : ٣ / ٥١٥ ، ٥١٦ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٦٨ ، الوسيط : ٩ / ٧٢ ، ٧٣ .

قولين :

القول الأول : المراد بالعهد في الآية : **الإيمان والأعمال الصالحة** ، قاله قتادة ، وابن جريج [١] ، وذهب إليه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] .

✓ واختلفت **أقوال السلف** في تفسير ذلك ؛ ومنها ما يلي :

١. قيل : **العهد هو : شهادة أن لا إله إلا الله .**

قال ابن عباس ﷺ : « **العهد : شهادة أن لا إله إلا الله** ، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله » [٤] ، وقاله الفَرَّاء [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] .

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ... من قال : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ؛ كان له بها عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ ... » [٧] .

٢. وقيل : **العهد هو : المحافظة على الصلوات الخمس .**

---

(١) أخرجه عن قتادة وابن جريج ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٢٨) .

(٢) نسب الآلوسي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٣٨ .

(٣) منهم : الزمخشري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، و**استظهره** الشنقيطي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٥ ، زاد المسير : ٥ / ٢٦٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٥٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٤٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٠٤ ، نظم الدرر : ٤ / ٥٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٤٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٣٨ ، تفسير السعدي : ٥٠١ ، أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٤١) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٦ / ١٢٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات . وينظر : تنوير المقباس : ٢٥٩ .

(٥) ينظر معانيه : 2 / ١٤٦ .

(٦) منهم : مقاتل ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والفخر الرازي ، وابن كثير ، والخازن ، وابن عادل ، والجلالين والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٢٢ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٨٧ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٣١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٨٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣١٥ ، تفسير البغوي : ٣ /٢٠٩ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٢١٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٤٨ ، تفسير الجلالين : ٤٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٤٨٩ . وينظر : تاج العروس (مادة : عهد) : ٨ / ٤٥٤ .

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في مسند ابن عمر ﷺ (١٣٥٩٥) : ١٢ / ٤٣٦ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : " رواه الطبراني وفيه أيوب بن عتبة وهو ضعيف وفيه توثيق لين " . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٣٥٨ و**ضعَّفه** الألباني .

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله على الْعِبَادِ ؛ فَمَنْ جاء بهنَّ و لم يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شيئاً اسْتِخْفَافًا بحَقِّهِنَّ كان له عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لم يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ له عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ ؛ إن شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » (١) .

٣. وقيل : **العهد هو أن يقول العبد صباح مساء** : « اللهم فَاطِرَ السم وات وَالأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ؛ إني أَعْهَدُ إِلَيْكَ في هذه الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أني أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلا أنت وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لك ، وأن مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، فَإِنَّكَ إن تكلني إلى نفسي تقربني مِنَ الشَّرِّ وتباعدني مِنَ الْخَيْرِ ، وإني لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ لي عِنْدَكَ عَهْداً تُوَفِّينِيهِ يوم الْقِيَامَةِ إنك لاَ تَخْلِفُ الْمِيعَادَ » (٢) .

قال السعدي :

" وسمى الله الإيمان به ، واتباع رسله ﴿ عَهْدًا ﴾ لأنه عهد في كتبه ، وعلى السُّنة رسله بالجزاء الجميل لمن اتبعهم " . اهـ (٣) .

القول الثاني : المراد بالعهد (٤) **الإذن والأمر** ، أي : **الإذن في الشفاعة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (٥) ، واحتمله ابن عطية والثعالبي ، وجوَّزه القاسمي (١) . (٢)

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه في كتاب الصلاة ، بَاب فِيمَنْ لم يُوتِرْ (١٤٢٠) : ٢ / ٦٢ . وأخرجه النسائي والدارمي والبيهقي وغيرهم . قال ابن الملقن : " رواه مالك ، والنسائي ، وأبو داود ، وابن ماجه من رواية عبادة بن الصامت . قال ابن عبد البر : هذا حديث صحيح ثابت . قلت : وصحَّحه ابن حبان أيضاً " . اهـ . ينظر : خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي لأبي حفص ، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) : ١ / ٢٨٣ . **وصحَّحه** الألباني .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده في مسند عبد الله بن مسعود ﷺ (٣٩١٦) : ١ / ٤١٢ . قال الهيثمي : " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن عون بن عبد الله لم يسمع من ابن مسعود " . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ١٧٤ . وقال شعيب الأرناؤوط : رجاله ثقات رجال الصحيح . وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه عن ابن مسعود موقوفاً عليه ، وعزاه أيضاً إلى الحكيم الترمذي نحوه مرفوعاً عن أبي بكر الصديق ﷺ . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٤١ . وقال الشنقيطي : **والظاهر أن المرفوع لا يصح** . ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

(٣) تفسير السعدي : ٥٠١ .

(٤) **العهد** في اللغة : الوصية والأمر . من قولهم : عهد الأمير إلى فلان بكذا ؛ إذا أمره به . ينظر : تاج العروس (مادة : عهد) : ٨ / ٤٥٤ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠ .

أي : لا يملك العباد أن يشفعوا إلا من أذن الله ﷻ له بالشفاعة وأمره بها .

واستدل له بالنظائر القرآنية :

- قوله تعالى : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ . [سورة النجم : ٢٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ... ﴾ . [سورة سبأ : ٢٣] .
- وقوله تعالى :يَوۡمَئِذٖ ﴿ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ . [سورة طه : ١٠٩] . وغيرها من الآيات .

قال ابن جُزيّ :

" **والظاهر** أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها ، ويقول غيره من الأنبياء : نفسي .. نفسي " . اهـ [٣] .

✖ **وردَّ عليه الآلوسي** بقوله : " وهو خلاف الظاهر جداً " [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بالعهد الذي يملكه المؤمن في الآية هو الإيمان والعمل الصالح** ، والقول بأنه لا إله إلا الله ، وغيره من الأقوال يدخل في ذلك [٥] ؛ **وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٣٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٤٨ .

(٢) قال بالقولين من غير ترجيح : البيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٣٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٠٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ٢٨٢ .

(٣) التسهيل : ٣ / ١٠ . واحتمله قبله ابن عطية . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٣ .

(٤) روح المعاني : ١٦ / ١٣٨ .

(٥) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

أولاً : السِّياق القرآني :

قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ سواء أكان يعود إلى ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ فحسب ، أو إلى ﴿ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المذكورين في قوله : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ أو كان الاستثناء منفصلاً أو متصلاً فالذي يملك الشفاعة هو المؤمن لا غير ؛ فالمجرمين لا شفاعة لهم لأنفسهم ومن باب أولى لا لغيرهم والعهد الذي يتخذه المؤمن هو الإيمان والعمل الصالح ، والقول بأن الظاهر شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها ، ويقول غيره من الأنبياء : نفسي .. نفسي فهذا القول صحيح في نفسه [١] ؛ لكنه ليس المراد هنا في الآية ؛ لأن النبي محمد ﷺ لم يتقدم له ذكر ، وإنما الحديث عن المتقين والمجرمين ؛ والمجرمين ليس لهم شفاعة .

ثانياً : يؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : أضواء البيان : ٣ / ٥١٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦٠٣ .

سـورة طـه

قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾ . [آية : ٧] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ و ﴿ وَأَخْفَى ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ الكلام الخفي ، والأخفى ما في النفس ، فقال :

((﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ : الكلام الخفي ، والأخفى : ما في النفس . وقيل : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ ما في نفوس البشر ، والأخفى : ما انفرد الله بعلمه)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾** على قولين :

القول الأول : يعلم السرَّ ويعلم ما هو أخفى من السرَّ ، نقل عن جماعة من السَّلف [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

على أن قوله : ﴿ وَأَخْفَى ﴾ اسم تفضيل ، والتنكير للمبالغة في الخفاء .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) سيتم ذكر أقوال بعض السلف لاحقاً .

(٣) ونقل بعضهم جميع أقوال السلف في هذا القول و لم يرجحوا بينها ؛ وبعضهم رجح أحدها ؛ ومنهم : الطبري ، والنحاس ، والسمر قندي ، والجصاص ، والبغوي ، وابن عطية ، والبيضاوي ، **واستظهره** أبو حيان ، وابن كثير والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والسعدي ، وسيد قطب ، و لم يقل ابن عاشور بغيره ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤١ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٣ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٠ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٤٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٣٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤١ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٤ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠ ، تفسير الجلالين : ٤٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٧ ، تفسير السعدي : ٥٠١ ، الظلال : ٤ / ٢٣٢٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ١٨٩ ، أضواء البيان : ٤ / ٦ ، الوسيط : ٩ / ٨٨ .
وينظر : المغرب في ترتيب المعرب لناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على برهان الدين الخوارزمي المطرزى (ت ٦١٠ هـ) : ٢ / ٤٢٩ .

قال ابن عاشور : " والمعنى : إنه يعلم السرَّ وأخفى من السرِّ في الأحوال التي يجهر فيها القائل بالقول لإسماع مخاطبه ، أي : فهو لا يحتاج إلى الجهر لأنه يعلم السر وأخفى . وهذا أسلوب متبع عند البلغاء شائع في كلامهم بأساليب كثيرة . وذلك في كل شرط لا يقصد به التعليق بل يقصد التحقيق " . اهـ [١] .

ثم تنوعت أقوال السلف في تفسيرها ؛ ومنها :

✓ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ **الكلام الخفي** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **ما في النفس** ؛ قاله ابن عباس ﷺ ، والحسن وعكرمة [٢] ، وهو قول الفَرَّاء [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

قال الفخر الرازي : " وهذا أظهر ؛ فكأنه تعالى بيَّن أنه يعلم السرَّ الذي لا يسمع وما هو أخفى منه ؛ فكيف لا يعلم الجهر ؟! والمقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة ، والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة " . اهـ [٦] .

✓ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ **ما حدثت به نفسك** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **ما لم تحدثك به** ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً وغير واحد [٧] ، وقاله مقاتل [٨] ، وأبو عبيدة [٩] ، والمبرِّد [١٠] ، وقاله غير واحد

---

(١) التحرير والتنوير : ١٦ / ١٨٩ .

(٢) أخرجه عن ابن عباس ﷺ ، والحسن ، وعكرمة ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٣٩ ، ١٤٠) . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٥٥٣) عن الحسن وعكرمة إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) ينظر معانيه : 2 / ١٤٨ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٥) منهم : الطبري ، والزمخشري ، و **استظهره** الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والآلوسي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤١ ، الكشاف : ٣ / ٥٤ ، التفسير الكبير : ٢١ / ٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤١ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥١ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٧ ، روح المعاني : ١٦ / ١٦٢ .

(٦) التفسير الكبير : ٢١ / ٨ .

(٧) منهم : سعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة ؛ أخرجه عنهم ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٣٩ ، ١٤٠) . وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة في تفسيره (٣ / ١٥) . وينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٥٣ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٥ .

(٩) ينظر مجازه : ٢ / ١٦ .

(١٠) ينظر : الكامل في اللغة والأدب للمُبرِّد : ٢ / ٨٧٦ .

واحد من المفسرين [١] . [٢]

✓ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ **الذي تستره من الناس** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **الوسوسة** ، قاله مجاهد [٣] .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾ . [سورة ق : ١٦] .

القول الثاني : ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ : **أنه يعلم أسرار العباد** ، و ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ **سرَّه فلا يعلم** ؛ وهو قول زيد بن أسلم [٤] ، وقاله الزَّجَّاج [٥] . [٦]

على أن قوله : ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ فعل ماضٍ .

واستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ١١٠ ﴾ . [سورة طه : ١١٠] .

وتُعقِّب :

✗ أنكره **ابن جرير** فقال : " إن الأخفى ما ليس فى سر الإنسان وسيكون فى نفسه " [٧] .

.

---

(١) منهم : الواحدي ، والجلالين . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ ، تفسير الجلالين : ٤٠٦ .

(٢) قال أبو السعود باحتمال القولين الأوليين . ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٥ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٣٩) ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٥٣ .

(٤) أخرجه السيوطي عن زيد بن أسلم ، وعزاه إلى أبي الشيخ في العظمة . ينظر : العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني : ٢ / ٥١٦ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٥٤ . ونسبه إلى زيد بن أسلم : الثعلبي في الكشف والبيان (٦ / ٢٣٨) . وأخرجه ابن جرير هذا الأثر عن ابن زيد . ينظر تفسيره : ١٦ / ١٤٠ . ونسبه السمعاني ، وابن الجوزي ، والقرطبي إليه . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢١ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٠ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٣٥٠ .

(٦) جوّز **العكبري** القولين ، وأن يكون ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ اسم تفضيل ، أو فعل ماضٍ . وذكر السمين الحلبي ذلك التجويز و لم يرجح بينهما . وقال بمثله ابن عادل ونقل أقوال السلف . ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٨٥ ، الدر المصون : ٥ / ٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٧٧ . ونقل الثعلبي ، والسمعاني ، والقرطبي ، والخازن ، والخطيب الشربيني القولين و لم يرجح بينهما . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٣٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، السراج المنير : ٢ / ٤٩٧ .

(٧) تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٠ .

وقال **الزمخشري** : " وليس بذاك . فإن قلت : كيف طابق الجزاء الشرط ؟ قلت : معناه : إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك . فإما أن يكون نهياً عن الجهر كقوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ... ﴾ [١] وإما أن يكون تعليماً للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله وإنما هو لغرض آخر " . اهـ [٢].

✖ وضعَّفه أيضاً **ابن عطية** [٣] .

✖ وقال **الآلوسي** : " وهو خلاف الظاهر جداً ، فالمعول عليه أنه (أفعل) تفضيل ، والتنكير للمبالغة في الخفاء " . اهـ [٤] .

✖ وقال **الشنقيطي** : " وهو ظاهر السقوط كما لا يخفى " . اهـ [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أنَّ المراد بقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ يعلم السرَّ ويعلم ما هو أخفى من السرَّ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن ووافقه ، غير أن ابن جُزيّ رجَّح قولا من أقوال السلف في تفسيرها ؛ والراجح أن جميع ما قاله السلف في تفسير ذلك على سبيل التمثيل لا على التضاد ، وكلها أوجه معروفة وكلها حق ويشهد لها قرآن ، قاله الشنقيطي** [٦] ؛ يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

أولاً : من اللغة : أن ذلك هو الظاهر من الكلام ، ولو كان معنى ذلك ما فسَّره زيد بن أسلم لكان الكلام : وأخفى الله سرَّه ؛ لأن (أخفى) فعل واقع متعدٍّ ، وفي انفراد (أخفى) من مفعوله – والذي يعمل فيه – لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى (أفعل) ، وحُذف الجار والمجرور ، وتفسير الكلام : فإنه يعلم السر وأخفى منه [٧] .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٥ .
(٢) الكشاف : ٣ / ٥٤ .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٧ .
(٤) روح المعاني : ١٦ / ١٦٢ .
(٥) أضواء البيان : ٤ / ٧ .
(٦) ينظر : المرجع السابق : ٤ / ٦ .
(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٠ . بتصرف . وينظر : برهان الزركشي ، حذف الجار والمجرور : ٣ / ١٥٣

ثانياً : إن المعنى الظاهر للآية :

" أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، دقيقها وجليها ، خفيها وظاهرها ، فسواء جهرت بقولك أو أسررته ، فالكل سواء بالنسبة لعلمه تعالى " [١] .

ثالثاً : إن معنى الآية على ما قاله زيد بن أسلم صحيح ؛ لأنه تعالى محيط بجميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء قط ، ولا يحيط به شيء من الأشياء فلا يطلع على غيوبه أحد ، إلا أن اللفظ يحصل فيه بشاعة إذا حمل على هذا التفسير [٢] .

رابعاً : قوله تعالى : ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ احتمل عدة معانٍ – على ما ذكر السَّلف في القول الأوَّل – ، و لم يمتنع إرادة الجميع ؛ فيحمل عليها جميعاً .

خامساً : يؤيد ذلك **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانيَ عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [٣] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

١٥٣ ١٥٤ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٢٦٨ .

(١) تفسير السعدي : ٥٠٢ .

(٢) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥١٦ . بتصرف يسير .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٤) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ – ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ . [آية : 12] .

مسألة : في سبب أمر الله النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الله أمر النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله ، فقال : ((﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾ قيل : إنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فأمر بخلع النجاسة . واختار **ابن عطية** أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ، ويتواضع في مقام مناجاة الله ، **وهذا أحسن**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **سبب أمر الله النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : إنما أمر بخلع نعليه **لأنهما كانتا من جلد حمار ميت** ، فأمر بخلع النجاسة ، قاله ابن عباس [2] ، وكعب ، وعلي رضي الله عنه [3] أجمعين ، وقاله **عامة** [4] المفسرين [5] .

واستدل له من السُّنة :

بما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان على مُوسَى يوم كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ ، وَجُبَّةُ صُوفٍ ، **وكُمَّةُ** صُوفٍ ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ ، وَكَانَتْ نَعْلَاهُ من جِلْدِ حِمَارٍ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق عن كعب وعلي – رضي الله عنهما – في تفسيره (٣ / ١٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٥٥٨ ، ٥٥٩) عن علي رضي الله عنه إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وعن كعب إلى عبد بن حميد .

(٤) نسبه إلى عامة المفسرين : السمر قندي ، والنيسابوري ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٠ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ .

(٥) منهم : مقاتل ، ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والخازن . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٢٥ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١١١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ١ / ٣٣٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ .

مَيِّتٍ » [١] .

القول الثاني : إنما الله أمره بخلعها ليطأ الأرض بقدميه **لينال بركة الوادي المقدس** ، قاله مجاهد ، وابن جريج [٢] ، وعكرمة [٣] ، وذهب إليه الطبري [٤] . [٥]

واستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى عقب ذلك : ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس .

٢. لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ، والحديث المرويُّ عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ ضعيف ، ولو كان صحيحاً لم نتعدَّاه إلى غيره ؛ ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه [٦] .

وجوَّز **ابن العربي** القولين حيث قال :

" إن قلنا : إن خلع النعلين كان لينال بركة التقديس فما أجدره بالصحَّة فقد استحق التنزيه عن النعل ، واستحق الواطئ التبرك بالمباشرة ؛ كما لا تدخل الكعبة بنعلين ، وكما كان مالك لا يركب دابة بالمدينة براً بتربتها المحتوية على الأعظم الشريفة والجثة الكريمة .

وإن قلنا : برواية ابن مسعود – وإن لم تصحّ – فليس بممتنع أن يكون موسى أمر بخلع نعليه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب اللباس ، بَاب ما جاء في لبس الصوف (١٧٣٤) : ٤ / ٢٢٤ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ ، وَحُمَيْدٌ هو بن عَلِيٍّ الْكُوفِيُّ ، قال : سَمِعْت مُحَمَّدًا يقول : حُمَيْدُ بن عَلِيٍّ الْأَعْرَجُ مُنْكَرُ الحديث ، وَحُمَيْدُ بن قَيْسٍ الْأَعْرَجُ الْمَكِّيُّ صَاحِبُ مُجَاهِدٍ ثِقَةٌ **وَالْكُمَّةُ** : الْقَلَنْسُوَةُ الصَّغِيرَةُ . **وقال الألباني : ضعيف جداً** .

(٢) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جريج . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٤ .

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٥٩ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٤ .

(٥) ذكر القولين من غير ترجيح : الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٩٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٣ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٩٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٨٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠١ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٤ . بتصرف .

وكان أول تعبد أحدث إليه ، كما كان أول ما قيل لمحمد ﷺ : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ . [سورة المدثر : ٢ - ٥] . " . اهـ [١] .

القول الثالث : أن يكون أمر بخلعهما **ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ، ويتواضع في مقام مناجاة الله** ، وهو قول مجاهد أيضاً [٢] ، وذهب إليه ابن عطية [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

واستدل له :

١. القرينة القرآنية :

قوله تعالى عقب ذلك : ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ ، والباء تفيد التعليل ، فخلع موسى عليه السلام لنعليه احتراماً للبقعة المقدسة ؛ وكأنه قال تعالى : اخلع نعليك لأنك بالوادي المقدس طوى [٧] .

" العرف عند الملوك أن تخلع النعلان ويبلغ الإنسان إلى غاية تواضعه ؛ فكأن موسى عليه السلام أمر بذلك على هذا الوجه ، ولا نبالي كيف كانت نعلاه من ميتة أو غيرها " [٨] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٥٤ .

(٢) نسبه السمعاني ، والبغوي إليه . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٣ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٩ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٥) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، و **استظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٦ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٨ تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٦ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ ، الظلال : ٤ / ٢٣٣١ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٣١ ، الوسيط : ٩ / ٩١ .

(٦) ذكر الأقوال الثلاثة من غير أن يرجح : الفخر الرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، وابن كثير ، والآلوسي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٥ ، ١٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٤ ، روح المعاني : ١٦ / ١٦٩ . وجوَّز الطاهر بن عاشور القولين الأول والثالث . ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١٩٧ .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٣١ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٣٩ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الأليق أن موسى عليه السلام أمر بخلع نعليه ليتأدب ، ويعظم البقعة المباركة ، ويتواضع في مقام مناجاة الله ، وهذا ما ذهب إليه ابن عطية ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية والتي تفيد أن سبب خلع موسى عليه السلام نعليه قداسة المكان ، وتعظيم البقعة المباركة ؛ والتأدب بين يدي الله .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [1] .

ثالثاً : تأول **الطبري** هذه القرينة بأنها تدل دلالةً واضحةً على أنه أمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس ؛ لكنني أميل لما ذكر آنفاً أنها قرينة للتأدب والوقوف بين يدي الله ؛ وتعظيم البقعة المباركة ، فالمكان المقدس عادة له هيبته ؛ ومن شأن من كان فيه أن يكون متأدباً ، متواضعاً .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ . [آية : ١٤] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ عند ذكري ، فقال : ((﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾ قيل : المعنى لتذكرني فيها ، وقيل : لأذكرك بها ، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول ، وعلى الثاني مضاف للفاعل ، وقيل : معنى لذكري : عند ذكري ؛ كقوله : أقم الصلاة لدلوك الشمس ، أي : عند دلوك الشمس ، **وهذا أرجح** لأن النبي ﷺ استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بناء على اختلاف أهل العلم والمفسرين في اللام في قوله : ﴿ لِذِكۡرِىٓ ﴾ هل هي بمعنى الوقت أو هي للتعليل ، وياء المتكلم فاعل في الأصل أو مفعول ، وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف أو لا ؟ ... **ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴾** ؛ منها :

القول الأول : اللام هي اللام الوقتية ، أي : **أقم الصلاة عند ذكري** ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، وغير واحد من السَّلف [٣] .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، وقدَّمه ابن الجوزي [٥] ونسبه للأكثرين ، وجوَّزه الطاهر بن عاشور [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٣) نقل السيوطي أقوال السلف المأثورة في ذلك : ومنهم : أنس رضي الله عنه ، وأبو هريرة رضي الله عنه ، وإبراهيم النخعي وغيرهم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦١ ، ٥٦٢ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٥) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧٥ . وربما يعني كثيرٌ من السلف .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠١ .

ويستدل على ذلك :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٧٨] . أي : عند دلوك الشمس .
- وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٧] . (١) . أي : في وقت يوم القيامة .

٢. من السُّنة : استدل النبي ﷺ بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها .

وذلك فيما أخرجه الشيخان عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : « من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذَكَرَهَا لَا كَفَّارَةَ لها إلا ذلك ، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ » (٢) . (٣)

٣. قُرئ في الشاذ : (للذِّكرى) (٤) ، معناه : في وقت ذكرك . أي هي دالة على الزمن كما في قوله : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٧٨] .

✖ واعتُرض بما يلي :

١. " هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف ، فلعل المضاف محذوف ؛ أي : لذكر صلاتي ، وذكر الصلاة هو ذكر الله ، و (الذكر) مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف ، أي : عند وقت ذكري ؛ وهذا محتمل " (٥).

٢. لو كان المعنى : (حين تذكرها) لكان التنزيل : أقم الصلاة لذكرها ، كقوله ﷺ في الحديث السابق : « من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذَكَرَهَا .... » (٦) .

---

(١) ينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ٣ / ٢٧ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٨٣ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ .

(٤) وهي قراءة ابن شهاب الزهري أوردها غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦١ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ٩٠ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٨١ . ولم أقف عليها في محتسب ابن جني .

(٥) التفسير القيِّم لابن القيِّم : ٣ / ٢٧ . بتصرف يسير .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٢ .

✖ **وتَعقَّب الآلوسي** هذا القول : بأن قائل هذا القول ظن أنه لو يقل بهذا القول لم يصح التعليل ، وهو من بعض الظن ؛ فإن التعليل صحيح ، لكن ما أراده ﷺ هو أنه إذا ذكر الصلاة انتقل من ذكرها إلى ذكر ما شرعت له ، وهو ذكر الله تعالى فيحمله على إقامتها .

ونقل قول بعض المحققين : " أنه لما جعل المقصود الأصلى من الصلاة ذكر الله تعالى ؛ وهو حاصل مطلوب في كل وقت ، فإذا فاتالوقت المحدود له ينبغى المبادرة إليه ما أمكنه ؛ فهو من إشارة النص لا من منطوقه " [١] .

القول الثاني : اللام للتعليل ، أي : لأجل أن تذكرني فيها ، قاله مجاهد [٢] ، ومقاتل [٣] ، ورجّحه الطبري [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] . [٦]

والمصدر مضاف للمفعول ، و ﴿ لِذِكۡرِيٰ ﴾ متعلق بـــ ﴿ وَأَقِمِ ﴾ ، قاله العكبري [٧] .

قالوا : إنَّ الصلاة لا تكون إلا بذكر الله [٨] .

القول الثالث : اللام للتعليل أيضاً ، والمعنى : لأذكرك بها ، والمصدر مضاف للفاعل ،

---

(١) روح المعاني : ١٦ / ١٧١ . بتصرف .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٤ . وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦١ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٦ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٨ .

(٥) منهم : السمر قندي ، واقتصر ابن أبي زمنين على قول مجاهد ، والواحدي ، والخازن ، والبقاعي ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، و **استظهره** الآلوسي ، و لم يقل السعدي بغيره ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١١٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ ، نظم الدرر : ٥ / ١٤ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧١ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠١ ، الوسيط : ٩ / ٩٢ .

(٦) ذكر القولين الأوليين و لم يرجح : الزَّجَّاج ، والثعلبي ، والسمعاني . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٥٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٤ ، واحتمل ابن عطية القولين الثاني والثالث . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٣٩ .

(٧) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٨٧ .

(٨) قاله الزَّجَّاج في معانيه (٣ / ٣٥٢) . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٧١ .

حكاه ابن جُزيّ[١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال المعاني الثلاثة لقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ ﴾** ؛ قاله الجصاص ، وذلك لأن :

"جميع المعاني هي غير متنافية ؛ فكأنه قال : **أقم الصلاة إذا ذكرت الصلاة المنسية ؛ لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم ؛ لأن أذكرك بالثناء والمدح** ، فيكون جميع هذه المعاني مرادة بالآية ؛ وكلها حق . وهذا الذي ورد به الأثر من إيجاب قضاء الصلاة المنسية عند الذكر لا خلاف بين الفقهاء فيه "[٢] .

يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : ذكر أئمة علماء التفسير[٣] لجميع المعاني وعدم الترجيح بينهم ؛ مما يدل على احتمال احتمال القول بهم جميعاً .

ثانياً : يؤيد هذا القول **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍ عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها**[٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١ . وقد نقل هذا القول غير واحد من المفسرين و لم ينسبوه لأحد .

(٢) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٥٠ . بتصرف يسير . وينظر : التفسير القيِّم لابن القيِّم : ٣ / ٣٧ .

(٣) ذكر الأقوال من غير ترجيح : النحاس ، والماوردي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والعز بن عبد السلام ، البيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٤ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٩٧ ، الكشاف : ٣ / ٥٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٧٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٩٥ ، تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢١ ، ٥٢٢ ، البحر المحيط : تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٩٥ ، ١٩٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٨ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٧ .

(٤) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ . [آية : ١٥] .

مسألة : في ذكر الاختلاف في معنى : ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ أهو من الخفاء أم من الظهور :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ : أن الله أبْهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحداً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه فقال :

((﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ اضطرب الناس في معناه ، فقيل : أخفيها بمعنى أظهرها ، وأخفيت هذا من الأضداد .

وقال ابن عطية : هذا قول مختل . وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال : أخفى بالألف من الإخفاء ، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر ، فلو كان بمعنى الظهور لقال : أخفيها – بفتح همزة المضارع – ، وقد قرىء بذلك في الشاذ ، وقال الزمخشري : قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي : أي أظهر ، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة ، وقيل : أكاد بمعنى أريد فالمعنى : أريد إخفاءها . وقيل : إن المعنى إن الساعة آتية أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها ، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها ، وقيل : المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم ، **وهذه الأقوال ضعيفة ، وإنما الصَّحيح** : أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحداً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه ، **وهذا المعنى هو اختيار المحققين**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

هذه آية مُشْكلة ؛ فقد اختلف السلف وأهل اللغة والمفسرون في **معنى ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ ، ١٢ .

أهو من الخفاء أم من الظهور على أقوال منها :

القول الأول : أخفيها **بمعنى أظهرها** ، قاله ابن عباس ﷺ [١] ، وذهب إليه **ابن جني** [٢] ، وابن سيده [٣] ، واحتمله جماعة من المفسرين [٤] .

واستدل له بقول بعض أهل اللغة :

قال بعض اللغويين [٥] : يجوز أن يكون ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ - بضم الألف - معناه : أظهرها ؛ لأنه يقال : خفيت الشئ وأخفيته ؛ من حروف الأضداد يقع على الستر والإظهار .

والهمزة هنا للسلب والإزالة ؛ أي : أزلت الخفاء وهو الظهور ، وإذا أزلت الظهور صار للستر كقولك : أعجمت الكتاب أزلت عنه العجمة [٦] .

✖ **وتعقَّبه ابن عطية** فقال : " وهذا قول مختل " [٧] .

وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال : خَفَيْتُ الشيءَ : أظهَرْتُه ، وأَخْفَيْتُه : سترته .

✓ **وأُجيب بما يلي** :

١. قُرِىء في الشَّاذ : - بفتح همزة المضارع - (أَخفيها) ، وهي قراءة الحسن [١] ، وسعيد

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٢) ينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني : ١ / ٣٨ .
وابن جني هو : عثمان بن جني الموصلي ، أبو الفتح : من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو ، وله شعر . ت ٣٩٢ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٢٤٦ ، البداية والنهاية : ١١ / ٣٣١ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٣٢ .

(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : خفي) : ١ / ٣٤٤ .

(٤) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨ .

(٥) قاله ابن دريد ، والأزهري ، وابن فارس ، وابن منظور ، والزبيدي . ينظر : جمهرة اللغة (مادة : خفواي) : ٢ / ١٠٥٥ ، تهذيب اللغة للأزهري (باب الخاء والفاء) : ٧ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، مقاييس اللغة (مادة : خفي) : ٢/ ٢٠٢ ، لسان العرب (مادة : خفا) : ١٤ / ٢٣٤ ، تاج العروس (مادة : خفي) : ٣٧ / ٥٦٢ .

(٦) ينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني : ١ / ٣٨ . وهذا القول مرويٌّ عن أبي علي الفارسي كما نقله عنه الآلوسي وغيره . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

بن جبير [٢]، وأبي بن كعب [٣]، أي : أكاد أظهرها ، من خَفلَهَ إذا أظهره ، أي : قرب إظهاره ، قاله الفَرَّاء [٤]. كقوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ... ﴾ . [سورة القمر : ١] .

٢. جاء في بعض اللغات : أخفيت وخفيت بمعنىً ، أي : أظهرت ، حكاه أبو عبيدة [٥] .

وبه فُسِّر قول الشاعر :

فَإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ وَإنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لا نَقْعُدِ [٦]

أى : وإن دفنوا الداء لا نُظهره .. فلا يكون هذا القول مختلاً على هذه اللغة [٧] .

٣. " هذه القراءة أبين في المعنى ؛ لأن معنى أكاد أظهرها : أخفيتها وَكِدتُ أُظْهِرُها " . قاله الزَّجَّاج [٨] .

✖ وتُعقِّب بأن :

١. هذا القول ليس بالمعروف ، و المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب : الستر ، يقال : قد أخفيت الشيء ؛ إذا سترته .

٢. أما الاستدلال بهذا البيت فجاء عن الفَرَّاء – في أحد قوليه – : نَخفه – بفتح النون – : من خفيته ، أخفيه : أستره ؛ وهو أولى بالصواب لأنه المعروف من كلام العرب [٩] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٥٠) . ونسبها البغوي وغيره إليه . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٥٠) . وعزاها السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وابن الأنباري . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .
(٣) عزاها السيوطي في الدر (٥ / ٥٦٤) إلى ابن الأنباري عن الفَرَّاء في معانيه (٢ / ١٥٠) .
(٤) ينظر معانيه : ٢ / ١٥٠ .
(٥) حكاه أبو عبيدة عن أبي الخطاب أحد رؤساء اللغة . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٢ روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .
(٦) نسبه الأكثرون إلى امرئ القيس . ووقفت عليه في ديوان عمرو بن معدي يكرب : ١٥ .
(٧) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .
(٨) ينظر معانيه : ٣ / ٣٥٣ .
(٩) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٠ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ .

٣. لما أشكل على بعض أهل اللغة كالزَّجَّاج معنى ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ وهي القراءة الصحيحة الثابتة ذهبوا إلى أن معنى (أَخفيها) أظهرها ؛ والقراءة بـــ (أَخفيها) قراءة شاذة ؛ فكيف تود القراءة الصحيحة الشائعة المتواترة إلى الشاذة ؟! .. قاله **النحاس** [١] .

٤. و لم يستجز **الطبري** كذلك القراءة بها لخلافها قراءة الحجَّة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلاً مستفيضاً [٢] .

القول الثاني : المعنى : **أكاد أسترها من نفسي ؛ لأنه لم يطلع عليها مخلوقاً** ، وهو مرويٌّ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ [٣] أيضاً ، ومجاهد [٤] ، وقتادة ، **وأبو صالح** [٥] ، ورجَّحه الطبري [٦] ، **وأكثر** [٧] المفسرين [٨] .

واستدل له :

١. بوجه من وجوه القراءة : قرئ في الشاذ : (أكاد أخفيها من نفسي) [٩] .

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٤٩) . وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٣٩٥ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٤٩) . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير عن قتادة وأبو صالح في تفسيره (١٦ / ١٤٩) .
وأبو صالح هو : باذام ، وقيل : باذان ، مولى أم هانئ ، عامة ما يرويه تفسير ، مختلف فيه ، وروايته عن ابن عباس ضعيفة ؛ لأنه لم يسمع منه ، كما قال ابن حبان . ينظر : تاريخ البخاري : ٢ / ١٤٤ ، الكامل في الضعفاء : ٢ / ٦٨ - ٧٠ ، السِّير : ٥ / ٣٧ ، ٣٨ .

(٦) ينظر تفسيره : ١٦ / ١٤٩ .

(٧) نسب البغوي ، و الخازن ، والخطيب الشربيني هذا القول إلى أكثر المفسرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ .

(٨) منهم : الثوري ، والسمر قندي ، و لم يذكر ابن أبي زمنين غير قول قتادة ، والثعلبي ، وقدَّمه ابن الجوزي ونسبه إلى جماعة من السلف ، ونسب الخازن هذا القول إلى أكثر المفسرين و لم يذكر غيره ، والسعدي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الثوري : ١٩٣ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١١٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢١٤ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير السعدي : ٥٠٣ . واحتمله جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨ ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي : ٥٦ .

(٩) أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود وأبي بن كعب ﷺ في تفسيره (١٦ / ١٤٩) ، ونسبها السيوطي في الدر =

٢. موافقته أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين [١] .

٣. باستعمال العرب :

على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون : كتمت سرَّك من نفسي ، أي : أخفيته عن نفسي من شدة استراري به ، ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته . فخاطبهم بما جرى به استعمالهم ومنطقهم ، قاله المُبرَّد وقطرب [٢] ، والطبري [٣] .

ومعنى الآية : أن الله بالغ فى إخفاء الساعة ؛ فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب .

✘ واعتُرض عليه بأنه :

١. " لا دليل في الكلام على هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح " [٤] .

٢. هذا القول بعيد ، لأن الإخفاء إنما يصح فيمن يصلح له الإظهار ، وذلك مستحيل على الله تعالى ؛ لأن كل معلوم معلوم له ، فالإظهار والإسرار منه مستحيل [٥] .

✓ ويردُّ على هذا بأن :

١. " القرينة على هذا المحذوف إثباته في المصاحف ، وكونه قرينة خارجية لا يضر ؛ إذ لا يلزم في القرينة وجودها في الكلام .

٢. أن هذا من المبالغة في الإخفاء ؛ ونحو هذا من المبالغة قوله ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم تحت ظله : « ... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ

= (٥ / ٤٦٣) عن ابن عباس ﷺ إلى ابن أبي حاتم ، وابن الأنباري . وفي بعض القراءة : (أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها) . وقد أورد غير واحد من المفسرين القراءتين في تفسيرهم . وهي قراءات شاذة تحمل على التفسير . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ .

(١) جمع الطبري والسيوطي أقوال السلف . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٦٣ .

(٢) نسب هذا القول إلى المُبَرِّد وقطرب : السمعاني في تفسيره (٣ / ٣٢٤) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٢١٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٥ / ٢٧٦) . - ولم أقف عليه في كتبهما في حدود ما اطلعت - .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥١ .

(٤) الكشاف : ٣ / ٥٨ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ .

يَمِينُهُ » [١] . وبهذا يندفع ما قيل أن إخفاء ذلك من نفسه سبحانه محال فلا يناسب دخول كاد عليه " [٢] .

❖ **وهناك أقوال أخرى منتزعة من كلام العرب ؛ منها :**

القول الأول : ﴿ أَكَادُ ﴾ **بمعنى أريد** ؛ فالمعنى : أريد إخفاءها ، قاله أبو مسلم ، كما نقل عن الأخفش ، وذكره ابن الأنباري [٣] .

ويستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ٧٦] .

٢. من كلام العرب : بقول الشاعر :

كادَتْ وكِدْتُ وتلك خيرُ إرادةٍ لو عادَ من لَهْوِ الصَبابَةِ ما مَضى [٤]

القول الثاني : إن المعنى : **إن الساعة آتية أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى : أكاد أنفذها لقربها ثم استأنف الإخبار** فقال : ﴿ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ ، ذكره ابن الأنباري [٥] ، **وصحَّح معناه النحاس** حيث قال :

" وهذا معنى صحيح ؛ لأن الله جل وعز قد أخفى الساعة التي هي يوم القيامة والساعة التي

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، بَاب فضل من ترك الفواحش (٦٤٢١) : ٦ / ٢٤٩٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الزكاة ، بَاب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١) : ٢ / ٧١٥ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٣) نسبه إلى أبي مسلم والأخفش وابن الأنباري غير واحد من المفسرين ، ولم أقف عليه في أي من كتبهم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٤) نسب البيت إلى الأخفش ابن منظور والآلوسي . ينظر : لسان العرب (مادة : كاد) : ٣ / ٣٨٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

(٥) نسبه الماوردي ، والقرطبي إليه . ينظر : النكت والعيون :٣ / ٣٩٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٣ .

يموت فيها الإنسان ليكون الإنسان يعمل والأمر عنده مبهم ولا يؤخر التوبة " . اهـ [١] .

ومثله قول الشاعر :

هممتُ و لم أفعَلْ وكدتُ وليتني تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه [٢]

أى : وكدت أفعل .

✖ **وتعقَّبه ابن عطية** فقال : " وهذا قلق " [٣] ، **واستبعده الفخر الرازي** [٤] .

القول الثالث : ﴿ أَكَادُ ﴾ **زائدة للتأكيد أو صلة في الكلام** ، والمعنى : الساعة آتية أخفيها أجازه الأخفش [٥] ، وقطرب [٦] ، وقاله الثعلبي ، والواحدي [٧] من المفسرين . [٨]

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ .

(٢) الشاعر هو ضابئ البراجمي ؛ نسبه إليه ابن دريد في الاشتقاق (٢١٨) . وأورد البيت أكثر المفسرين عند تفسير الآية من غير نسبة .

(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ .

(٥) الأخفش : هو الأخفش الأصغر ؛ شيخ النحاس وصرَّح بنقله عنه . ينظر : إعراب القرآن للنحاس :٣ / ٣٥ .
والأخفش الأصغر أو الصغير هو : علي بن سليمان بن الفضل ، أبو الحاسن ، المعروف بالأخفش الأصغر : نحوي من العلماء ، له تصانيف ، منها : شرح سيبويه ، والأنواء ، والمهذب . وكان ابن الرومي مكثراً من هجوه . وكان في غاية الفقر ، إلا أنه كان إماماً عالماً من علماء اللغة وأئمتهم ، وأخذ عنه النحاس عندما زار الأخفش مصر سنة ٢٨٧هـ ، ت سنة ٣١٥ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١١ / ٤٣٣ ، معجم الأدباء : ٤ / ١٢٦ - ١٣١ ، البلغة : ١٥٣ .

(٦) نسبه إلى الأخفش وقطرب : ابن منظور ، والمرتضى الزبيدي . ينظر (مادة : كاد) في : لسان العرب : ٣ / ٣٨٤ ، تاج العروس : ٩ / ١١٩ .

(٧) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢١٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٢ .

(٨) ذكر الأقوال من غير ترجيح : الماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٩٧ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٢ - ١٨٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٩٩ - ٢٠٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠١ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٢ .

واستدل له :

١. **بالنظير القرآني :** قوله تعالى : ﴿ ... إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا ... ﴾ . [سورة النور : ٤٠] .

٢. **من اللغة :** إذا كانت (كاد) مثبتة فى اللفظ فالفعل غير واقع فى الحقيقة ؛ كقولك : كاد زيد يقوم . أي قارب ذاك و لم يقم [١] .

٣. **من كلام العرب :** قول الشاعر :

سَرِيعٍ إِلى الهَيْجَاءِ شَاكٍ سلاحُهُ فَما إِنْ يَكادُ قِرْنُه يَتَنَفَّسُ [٢]

✖ **واعتُرض :** قال السمين الحلبي : " ولا حُجَّةَ في شيءٍ منه " [٣] .

✖ **وقال الطبري قبله** عن هذه الأقوال الثلاثة :

" وكل هذه الأقوال التي ذكرنا توجيه للكلام إلى غير وجهه المعروف ، وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ، ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه " . اهـ [٤] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح ما ذهب إليه ابن جُزيّ فلم يقل بأي من الأقوال التي ذكرت ، وبيَّن أن " الصحيح أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد اً ، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد [٥] على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه ،**

---

(١) ينظر : أصول النحو لابن السراج (ت ٣١٦ هـ) : ١ / ١٩٥ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٥ ، اللباب لأبي البقاء العكبري : ١ / ١٩٥ ، همع الهوامع للسيوطي : ١ / ٤٨٣ .

(٢) نسبه إلى زيد الخيل غير واحد من المفسرين وكذا المرتضى الزبيدي . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ ، تاج العروس (مادة : كاد) : ٩ / ١١٩ .

(٣) الدر المصون : ٥ / ١١ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٩ . بتصرف يسير .

(٥) قال المرتضى الزبيدي : " قال شَيْخُنَا : والأَكثر على بقائها على أَصْلِها " . ينظر : تاج العروس (مادة : كاد) : ٩ / ١٢٠ .

وهذا المعنى هو اختيار المحققين " [١] ، **ووافقه جماعة من المفسرين** [٢] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ .

" إنما يليق بالإخفاء لا بالإظهار ؛ إذ لو كان المكلف عارفاً وقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي إلى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون إغراء على المعصية " [٣] .

ثانياً : النظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ . [سورة النمل : ٦٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٨٧] . [٤]

ثالثاً : يؤيد هذا القول بعض **القواعد الترجيحية** التالية ، وهي :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١ ، ١٢ .

(٢) منهم : ابن عطية ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، والثعالبي (**وقال : هو الأقوى عندي**) ، والجلالين والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠١ ، الوسيط : ٩ / ٩٢ .

(٣) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٢ . وينظر قبله : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ... ﴾ . [آية : ١٦] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير للسَّاعة ، فقال : ((﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ الضمير للساعة أي : لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها . وقيل : الضمير للصلاة ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير للساعة ، أي : لا يصدَّنك عن الإيمان بها والاستعداد لها ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومقاتل [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٠ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٦ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ .

(٥) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، وقال الفخر الرازي : (**وهذا أوْلى**) ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، و **استظهره** الآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٣ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٤١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢١٤ ، الكشاف : ٣ / ٥٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩ ، السراج المنير : ٥ / ٢٤١ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٣ ،

واستدل له : بأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور ؛ وهو هنا الساعة [١] .

القول الثاني : الضمير للصلاة ، جوَّزه أبو مسلم [٢] ، والزمخشري [٣] ، واحتمله ابن عطية [٤] ، والثعالبي [٥] . [٦]

" قال أبو مسلم : الضمير في (عَنْهَا) للصَّلاة ، وفي (بِهَا) للسَّاعة ، قال : وهذا جائز في اللغة " [٧] .

واستدل له بكلام العرب :

قال **المبرَّد** [٨] : " العرب تلف الخبرين المختلفين ، ثم ترمي بتفسيرهما جملةً ، ثقةً بأن السامع يرد إلى كل خَبَرهُ " .

✖ **واعتُرض** : " بأنَّ هذا إنما يصار إليه عند الضرورة ؛ ولا ضرورة ههنا " [٩] .

✖ واستبعده ابن جُزيّ ، والشوكاني [١٠] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الأول ؛ فالرَّاجح أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ للسَّاعة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ **القواعد الترجيحية** التالية :

تفسير السعدي : ٥٠٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٣ الوسيط : ٩ / ٩٤ .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٣ .

(٢) نسبه الفخر الرازي إليه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٨ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

(٥) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ .

(٦) احتمل القولين : البيضاوي ، والنسفي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ .

(٧) نقله الفخر الرازي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني عنه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٣ .

(٨) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس ، محمد بن يزيد المُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ) : ١/ ١٦٦ .

(٩) التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٥٩ .

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية :لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لموسى عليه السلام ، فقال : ((والخطاب لموسى عليه السلام . وقيل : لمحمد ﷺ ، **وذلك بعيد**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **لمن الخطاب في قوله تعالى :** ﴿ فَلَاَ يَصُدَّنَّكَ **عَنْهَا** مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا [٣] ﴾ على قولين :

القول الأول : الخطاب لموسى عليه السلام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .

(٣) ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ هو المَنْهيُّ صورةً ، والمرادُ غيرُه ، فهو من باب " لا أعرفنَّك تفعل كذا و لا أُرَيَنَّك هَهنا " . وقيل : إنَّ صَدَّ الكافر عن التصديق بها سببٌ للتكذيب ، فذكر السببَ ليدُلَّ على المسبَّب . فالمراد نهي موسى عليه السلام عن ملابسة صد الكافر عن الإيمان بالساعة ؛ أي لا تكن ليِّن الشكيمة لمن يصدك ولا تصغ إليه ، فيكون لينك له مجرئاً إيَّاه على أن يصدك ، فوقع النهي عن المسبب . والمراد النهي عن السبب . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، الدر المصون : ٥ / ١٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٣.

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ .

(٥) منهم : الطبري ، والزمخشري ، وقال الفخر الرازي (**هو الأقرب**) ، والبيضاوي ، وقال النيسابوري أيضاً (**هو**

واستدل له : بأن الكلام أجمع خطاب لموسى عليه السلام [١] .

القول الثاني : **الخطاب لمحمد** ﷺ ، قاله النقاش [٢] ، ومقاتل [٣] ، وذهب إليه ابن الجوزي [٤] ، واحتمله الفخر الرازي ، وابن عادل [٥] .

✖ **واستبعده** ابن عطية ، وابن جُزيّ ، والآلوسي [٦] .

وجعل **ابن كثير** الخطاب عاماً ؛ فقال : " المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين ؛ أي : لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذ في دنياه ، وعصى مولاه واتبع هواه ، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر " . اهـ [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الخطاب لموسى عليه السلام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ **القواعد الترجيحية** التالية :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [٨] .

هو الأقرب) ، **واستظهره** أبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، وقال الخطيب الشربيني أيضاً (**هو الأقرب**) والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٣ ، الكشاف : ٣ / ٥٨ ، التفسير الكبير = = ٢٢ / ٢١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٣ . وقال النسفي : الخطاب لموسى والمراد أمته ، واستبعده أبو حيان . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ .

(٢) نسبه ابن عطية إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٢٦ .

(٤) قال : الخطاب لمحمد ﷺ والمراد أمته . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧٧ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٠٥ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٤٠ ، التسهيل : ٣ / ١٢ ، روح المعاني : ١٦ / ١٧٣ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ .

(٨) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ . [آية : ١٧] .

مسألة : سبب سؤال الله ﷻ لموسى عليه السلام عن ما في يمينه :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الله ﷻ إنما سأل موسى عليه السلام عن ما في يمينه ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، فقال : ((﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وقيل : إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **في سبب سؤال الله ﷻ لموسى عليه السلام عن ما في يمينه** على قولين :

القول الأول : إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى **السؤال تقرير** أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، لتقع المعجزة بعد التثبت منها والتأمل فيها ، قاله الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة [٤] من المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٢ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٣٥٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٢ .

(٤) نسب ابن العربي هذا القول إلى العلماء فقال : " قال علماؤنا " ثم ذكر هذا القول . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٥٧ .

(٥) منهم : الطبري ، والماوردي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام السلام والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ونقل الشوكاني قول الزَّجَّاج ولم يذكر غيره ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٥٤ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٩٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٥ ، الكشاف : ٣ / ٥٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤١ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧٨ ، تفسير العز ابن عبد السلام : ٢ / ٢٩٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٤٥ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٦٦ تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٢٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٢١٩ ، نظم الدرر : ٥ / ١٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٤٨ ، تفسير الجلالين : ٤٠٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦١ ، تفسير القاسمي : =

ويستدل له :

١. بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ . [سورة طه : ١٩] .

يوضح أن السؤال كان ذريعة إلى غرض سيأتي ، وأن هذا الاستفهام مستعمل في التنبيه إلى أهمية المسؤول عنه [١] .

٢. هذا القول على عادة العرب :

ونظيره : أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء : ما هذا ؟ فيقول : ماء . فتضع عليه شيئاً من الصبغ ؛ فإن قال : لم يزل هكذا ! قلت له : ألست قد اعترفت بأنه ماء . فتثبت عليه الحجة [٢] .

" ويقول الرجل لغيره : هل تعرف هذا ؟ وهو لا يشك أنه يعرفه ، ويريد به أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه " [٣] .

القول الثاني : إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام ، حكاه **أبو سليمان الدمشقي** [٤] ، وقاله السمر قندي [٥] من المفسرين ، وذكره الزَّركشي والسيوطي [٦] . [٧]

= ١١ / ١٥٩ ، تفسير السعدي : ٥٠٤ ، الظلال : ٤ / ٢٣٣٢ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٧ الوسيط : ٩ / ٩٥ . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري (باب اللفيف من حرف الميم) : ١٥ / ٤٤٩ ، تاج العروس (مادة : لوما) : ٤٠ / ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٠٧ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٣٥٤ .

(٣) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٢٥ .

(٤) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧٨ .
وأبو سليمان الدمشقي هو : عبد الرحمن بن أحمد العنْسي ، أبو سليمان الداراني الدمشقي ، إمام ثقة ، زاهد ورع عابد ، ت سنة ٢٠٥ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٠ / ٢٤٨ - ٢٥٠ ، الثقات : ٨ / ٣٧٦ ، السِّير : ١٠ / ١٨٢ - ١٨٦ .

(٥) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٣٩٢ .

(٦) ينظر : برهان الزَّركشي : ٢ / ٣٤٣ ، إتقان السُّيوطي : ٣ / ٢١٦ .

(٧) ذكر القولين من غير ترجيح : الفخر الرازي ، والنسفي ، وابن كثير ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٤٥ ، تفسير ابن عادل : =

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الله ﷻ إنما سأل موسى عليه السلام عن ما في يمينه ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ؛ فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : وجود القرينة القرآنية ؛ ومجيء هذا القول على عادة العرب .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [١] .

✌ ولا مانع أن يكون في هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= ١٣ / ٢٠٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٠٢ .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٢٠ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ . [آية : 50] .

مسألة : في معنى وإعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ : أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ، فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعرابه مفعول أول ، وكل شيء مفعول ثان ، فقال : ((﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾ المعنى : أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ، فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعرابه مفعول أول ، و ﴿ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ مفعول ثان . وقيل : المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته ؛ أي : أكمل ذلك وأتقنه ؛ فالخلق على هذا بمعنى الخلقة ، وإعرابه : مفعول ثان ، و ﴿ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ مفعول أول **والمعنى الأول أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

كان جواب موسى عليه السلام لفرعون عندما سأله : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [٢] ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ، واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى وإعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾** [٣] على قولين :

- ✓ **القول الأول : ﴿ خَلۡقَهُۥ ﴾ مفعول أول ، و ﴿ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ مفعول ثان** ، والمعنى : أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به ، فـ ﴿ **خَلۡقَهُۥ** ﴾ على هذا بمعنى المخلوقين ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه العكبري [٥] ، والخازن [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة طه : ٤٩ .

(٣) قال الزمخشري : " ولله در هذا الجواب ما أخصره ، وما أجمعه ، وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق " . اهـ . ينظر : الكشاف : ٣ / ٦٨ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٣ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٨٨٤ .

(٦) ينظر : تفسير الخازن : ٤ / ٢٧١ .

وقدم المفعول الثاني ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ للاهتمام بيانه [١] .

واستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ... فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٩] . [٢]

✓ **القول الثاني : ﴿ خَلْقَهُ ﴾ مفعول ثان ، و ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ مفعول أول** ، فالخلق على هذا بمعنى الخَلْقَة .

❖ **واختلفت أقوال السَّلف** [٣] في معنى الآية على هذا الوجه في الإعراب على أربعة معاني :

المعنى الأول : أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة : حيث زوج الحصان بالفرس ، والبعير بالناقة ، والرجل بالمرأة ، و لم يزوج شيئاً من ذلك بخلاف جنسه ، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ [٤] ، والسدي [٥] ، وسعيد بن جبير [٦] ، وقاله الفَرَّاء [٧] ، **ورجَّحه ورجَّحه الطبري** [٨] .

المعنى الثاني : أعطى كل شيء ما يصلحه ؛ وهذا مرويٌّ عن الحسن وقتادة [٩] .

المعنى الثالث : سوَّى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها ، وعلمها إيَّاه ، و لم يجعل الناس في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الناس ، **ولكن** خلق كل شيءٍ فقدره تقديراً ،

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٣٣ .
(٣) ذكر الثعلبي ، والماوردي ، والعز بن عبد السلام جميع أقوال السلف و لم يرجحوا بينهم . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٠٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٠٠ .
(٤) أخرجه ابن جرير ونسبه ابن كثير إليه . ينظر : تفسير الطبري :١٦ / ١٧٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٥٦ .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٧٢) .
(٦) نسب القرطبي هذا القول أيضاً إلى ابن عباس ﷺ ، والسدي ، وسعيد بن جبير . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٠٤ .
(٧) ينظر معانيه : 2 / ١٥٤ .
(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧١ .
(٩) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً عن الحسن إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ١٧ ، تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٨١ .

قاله مجاهد [١] ، وسعيد بن جبير [٢] ، ومقاتل [٣] .

ومنه قول الشاعر :

وله في كل شيء خلقهُ وكذاك الله ما شاء فعل [٤]

المعنى الرابع : أعطى كل شيء خلقته وصورته ؛ أي : أكمل ذلك وأتقنه ليطابق المنفعة المنوطة به ، قاله الضحاك ، وذهب إليه جماعة من أهل اللغة [٥] ، ومن المفسرين [٦] .

قال الضحاك : ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه ﴾ ، يعني اليد للبطش ، والرجل للمشي واللسان للنطق ، والعين للنظر ، والأذن للسمع [٧] .

✓ قال ابن عطية : " وهذا القول أشرف معنى وأعم في الموجودات " [٨] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنه " لا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ، قال بذلك القرطبي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٩] **.. لأنه لا**

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً عن الحسن إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٥٨١ ، ٥٨٢ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٨٢ .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٣١ .

(٤) لم أقف على قائله ، وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلاً : النكت والعيون للماوردي : ٣ / ٤٠٦ .

(٥) منهم : الزَّجَّاج ، والأزهري ، وابن سيده ، وابن منظور . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٣ / ٣٥٨ ، تهذيب اللغة ، باب الهاء والدال : ٦ / ٢٠١ ، المحكم والمحيط الأعظم (مادة : هدى) : ٤ / ٣٧١ ، لسان العرب (مادة : هدى) : ١٥ / ٣٥٤ .

(٦) منهم : الواحدي ، والسمعاني ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والثعالبي ، والشوكاني ، و لم يقل القاسمي بغيره ، و **استظهر** الآلوسي لفظه ومعناه . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٩٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٣٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٤٧ ، زاد المسير : ٥ / ٢٩١ البحر المحيط : ٦ / ٢٣٢ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٥٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦٨ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٦٧ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٠١ .

(٧) نسبه البغوي والشوكاني وغيرهما إليه . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦٨ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٤٧ .

(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٠٤ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٠ ، الوسيط : ٩ / ١١٤ .

لا شكّ أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ولا شكّ أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه ، وأعطى كل شيء ما يصلحه ، فسبحانه جل وعلا ما أعظم شأنه وأكمل قدرته" [(١)] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : إن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافاً حقيقياً متضاداً يكذب بعضه بعضاً ، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضاً ، والآيات تشمل جميعه ، فينبغي حملها على شمول ذلك كله .

ثانياً : جوَّز القولين قبل الشنقيطي ومحمَّد سيِّد طنطاوي جماعة من المفسرين ، منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، وابن عاشور [(٢)] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول ببعض **القواعد الترجيحية** ؛ منها :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [(٣)] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [(٤)] .

" وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء ، وهو المعبود وحده جل وعلا : ﴿ ... لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ . [سورة القصص : ٨٨] . " [(٥)]

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أضواء البيان : ٤ / ٢٠ . بتصرف . وينظر : الوسيط لمحمد سيِّد طنطاوي : ٩ / ١١٤ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ٦٨ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٥٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٦٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٣٢ .

(٣) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٤) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

(٥) أضواء البيان : ٤ / ٢٠ .

قوله تعالى : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ . [آية : ٥٨] .

مسألة : في معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ مستوى في القرب منا ومنكم ، فقال : ((﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ معناه : مستوى في القرب منا ومنكم . وقيل : معناه : مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرىء بكسر السين وضمها ، والمعنى متفق)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى [2] ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **عدلاً ونصفة** ، أي : مستوى في القرب منا ومنكم ، وهو قول جماعة من السلف [3] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٥ .

(٢) قرأ نافع وأبي عمرو والكسائي و ابن كثير بالكسر : (سِوى) ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ﴿ سُوًى ﴾ بضم السين . قيل : لكل قراءة معنى ، والحجة لمن ضم : أنه أراد مكاناً مساوياً بيننا وبينك ، والحجة لمن كسر : أنه أراد مكاناً مستوياً ؛ أي : لا مانع فيه من النظر . ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ٢٤١ ، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني : ١٥١ . قال الأخفش : "سوى" مقصورٌ إنْ كَسَرْتَ سينَه أو ضَمَمْتَ ، وممدودٌ إنْ فَتَحْتَها ، ثلاثُ لغات ، ويكون فيها جميعها بمعنى غير ، وبمعنى عَدْل ووسط بين الفريقين . واختار أبو عبيد وأبو حاتم كسر السين لأنها اللغة العالية الفصيحة . وقال النحاس : والكسر أعرف وأشهر . ورجَّح الطبري وابن زنجلة ، والثعلبي ، والقرطبي وغيرهم أن (سِوى) و ﴿ سُوًى ﴾ لغتان . وقال ابن جرير أيضاً : " وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ . [سورة آل عمران : ٦٤] . وإذا فتح السين منه مد ، وإذا كسرت أو ضمت قصر ... ونظير ذلك من الأسماء : طوى وطوى ، وثنى وثنى ، وعدى وعدى " . اهـ . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٦ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ٤٥٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢١٢ .

(٣) قال **ابن عباس** رضي الله عنهما : منصف بينهم . ذكره البخاري في صحيحه . وقال **مجاهد** بمثله . أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وقال **قتادة** : مكاناً عدلاً بيننا وبينك . أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد . وقال **السدي** : عدلاً . أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٣٩٨ ، تفسير الصنعاني : ٣ / ١٧ =

وذهب إليه مقاتل [١]، وهو قول جماعة من أهل اللغة [٢]، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣]، ووافقه جماعة [٤] من المفسرين [٥].

وذلك ليتمكن جميع الناس أن يحضروا.

واستدل له:

١. من اللغة:

﴿ سُوًى ﴾ أصله من:

- الاستواء؛ يقال: مكان سوى وسواء؛ لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها [٦].

= صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، مقدمة باب قول الله ﷻ: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ... ﴾ إلى قوله: ﴿ ... إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾: ٣ / ١٢٤١، ١٢٤٢ تفسير الطبري: ١٦ / ١٧٦، الدر المنثور: ٥ / ٥٨٤. وأقوال السلف متقاربة بمعنى واحد.

(١) قال مقاتل: عدلاً. ينظر تفسيره: ٢ / ٣٣٢.

(٢) منهم: الفَرَّاء، وأبو عبيدة، والزَّجَّاج، وابن دريد، وأبو علي الفارسي - نسبه أبو حيان وغيره إليه -، وابن سيده، والعكبري. ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء: ٢ / ١٥٥، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢ /٢٠، معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج: ٣ / ٣٦٠، جمهرة اللغة لابن دريد: ١ / ٢٣٧، البحر المحيط: ٦ / ٢٣٦، المخصص: ٤ / ٤٥٤، الكليات: ٥٢٠.

(٣) ينظر: التسهيل: ٣ / ١٥.

(٤) نسب النحاس هذا القول إلى أهل التفسير، ونسبه الشنقيطي إلى المفسرين أيضاً. ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣ / ٤٢، أضواء البيان: ٤ / ٢٨.

(٥) منهم: الطبري، وذكر ابن أبي زمنين قول مجاهد، وقدَّمه الماوردي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي **وحسَّنه**، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وأبو حيان، والبقاعي، والثعالبي، وابن عادل، والجلالين، وأبوالسعود، والخطيب الشربيني، والشنقيطي، ومحمَّد سيِّد طنطاوي. ينظر: تفسير الطبري: ١٦ / ١٧٦، تفسير ابن أبي زمنين: ٣ / ١١٨، النكت والعيون: ٣ / ٤٠٨، تفسير الواحدي: ٢ / ٦٩٨، الكشاف: ٣ / ٧٢، المحرر الوجيز: ٤ / ٤٩، زاد المسير: ٥ / ٢٩٤، تفسير القرطبي: ١١ / ٢١٢، تفسير البيضاوي: ٤ / ٥٧، تفسير النسفي: ٣ / ٥٨، تفسير الخازن: ٤ / ٢٧٢، البحر المحيط: ٦ / ٢٣٦، نظم الدرر: ٥ / ٢٦، تفسير الثعالبي: ٤ / ٥٨، تفسير ابن عادل: ١٣ / ٢٨٦، تفسير الجلالين: ٤١٠، تفسير أبي السعود: ٦ / ٢٤، السراج المنير: ٢ / ٥١٨، ٥١٩، أضواء البيان: ٤ / ٢٨، الوسيط: ٩ / ١١٩.

(٦) ينظر: الكشاف: ٣ / ٧٢، تفسير النسفي: ٣ / ٥٨، البحر المحيط: ٦ / ٢٣٦، أضواء البيان: ٤ / ٢٨.

- أو من التسوية ، فكأن المعنى : مكاناً تستوي مسافته على الفريقين ، قاله أبو علي [١] .

٢. من إطلاق العرب : ما أنشده أبو عبيدة شاهداً لذلك :

وَإنَّ أبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سِوًى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ والفِزَرْ [٢]

يعني : حل ببلدة مستوية مسافتها بين قَيْسِ عَيْلاَنَ والفِزَرْ .

القول الثاني : معناه : **مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع** ؛ قاله ابن زيد [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

" ومراده : مكاناً يتبين الواقفون فيه ، ولا يكون ما يستر أحدا منهم ليرى كل ما يصدر منك ومن السحرة ، وفيه من إظهار الجلادة وقوة الوثوق بالغلبة ما فيه " [٥] .

القول الثالث : بمعنى غير ، والمراد مكانا غير هذا المكان ، قاله **الكلبي** [٦] .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** بقوله : " وليس بشئ ؛ لأن ﴿ سُوًى ﴾ بهذا المعنى لا تستعمل إلا مضافة لفظاً ؛ ولا تقطع عن الإضافة " . اهـ [٧] .

---

(١) هو أبو علي الفارسي ؛ نسبه الفخر الرازي وأبو شامة إليه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٦٣ . وينظر : إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة : ٢ / ٥٨٩ .

(٢) والفزر : لقب لسعد بن زيد مناة بن تميم . ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٢٠ . وينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٧٦ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٩ .

(٣) قال ابن زيد : مكاناً مستوياً يتبين الناس سواء فيه ، لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٧٦) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٥٨٤ .

(٤) منهم : الثعلبي ، والشوكاني ، والقاسمي ، **وحسَّنه الآلوسي جداً** . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٤٩ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٧٠ ، روح المعاني : ١٦ / ٢١٧ .

(٥) روح المعاني : ١٦ / ٢١٧ .

(٦) نسبه القرطبي إليه . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢١٢ .
والكلبي هو : محمد بن السائب بن بشر ، أبو النضر الكوفي : نسابةٌ مفسر ، إلا أنه شيعي متروك الحديث ، سئل الإمام أحمد عن تفسيره فقال : كذب ، فقيل : يحل النظر فيه ؟ قال : لا ، ت سنة ١٤٦ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ١٠١ ، طبقات ابن سعد : ٦ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، السِّير : ٦ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٧) البحر المحيط : ٦ / ٢٣٧ . وينظر : روح المعاني : ١٦ / ٢١٧ .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الأول ، وأن الرَّاجح أن معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ عدلاً ونصفة ؛ مستوى في القرب منا ومنكم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : هذا القول هو ما اتفقت عليه عبارات السَّلف ، وهو البيِّن في اللغة ، وما ذكرته معظم كتب الغريب [١] .

ثانياً : هذا القول هو الظاهر من السِّياق .

- ولكننا عند النظر في قول **ابن عباس** ﷺ ، **ومجاهد** ، **وقتادة** وغيرهم نجد أنه يصف المكان بالاستواء **باعتبار المسافة** (وهو القول الأول) ، **ووصف ابن زيد** المكان **باعتبار ارتفاعه وانخفاضه عن الأرض** (وهو القول الثاني) قاله **النيسابوري** [٢] ، فلا يتعارض قول ابن عباس ﷺ ومجاهد بقول ابن زيد ؛ ويحتمل القولين .
- ✓ وقد **احتملهما الطاهر بن عاشور** [٣] من المفسرين .
- ✓ **وذكر الأقوال من غير ترجيح** : البغوي ، والفخر الرازي ، وابن كثير [٤] ، مما يدل على احتمالهما معاً .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٨١ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٢٨٨ . وينظر أيضاً غريب الحديث لأبي سليمان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي (ت ٣٨٨ هـ) : ٢ / ١٨٨ .

(٢) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٥٤ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٤٦ .

(٤) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٢١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٦٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٥٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ... ﴾ . [آية : ٧٢] .

مسألة : في نوع الواو في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِى فَطَرَنَا** ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الواو في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِى فَطَرَنَا** ﴾ **عاطفة** ، فقال :

((﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ معطوف على ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ . وقيل : هي واو القسم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **نوع الواو في قوله تعالى** : ﴿ **وَٱلَّذِى فَطَرَنَا** ﴾ على قولين :

القول الأول : الواو واو القسم ، احتمله الطبري [٢] ، وقدَّمه الماوردي ، والخازن [٣] من المفسرين .

وجوابه محذوف لدلالة المذكور عليه ، أي : وحق الذي فطرنا لن نؤثرك ...

واعتُرض بأنه :

١. لا يجوز أن يكون الجواب ﴿ لَنۡ نُّؤۡثِرَكَ ﴾ عند من يجوز تقديم الجواب .

٢. لا يجاب القسم بـ ﴿ لَنۡ ﴾ إلا في شاذٍّ من الشعر ، قاله أبو حيان [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٦ .
(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٨٩ .
(٣) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤١٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٧٤ . واحتمل صحته محمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (٩ / ١٢٩) .
(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٤٣ . وينظر : الدر المصون : ٥ / ٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٢٢ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٢ .

ولهذا قال **ابن هشام** في مغني اللبيب : " ويجب أن يقدر : والذي فطرنا لا نؤثرك " [١] .

القول الثاني : الواو عاطفة ، و جملة ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ معطوف على ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، ووهب بن منبه [٣] ، وذهب إليه مقاتل [٤] ، والأخفش [٥] ، والعكبري [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٨] . [٩]

---

(١) مغني اللبيب لابن هشام : ٨٠٥ .
وابن هشام هو : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، أبو محمد ، أتقن العربية وفاق أقرانه فلم يبق له نظير في زمانه ، بل كان يقال : ابن هشام أنحى من سيبويه ، ت سنة ٧٦١ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : ٣ / ٩٣ – ٩٥ ، النجوم الزاهرة : ١٢ / ١٥٧ ، البدر الطالع : ١ /٤٠٠ – ٤٠٢ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ١٨٩) .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٣٤ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٦٣٢ .

(٦) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٢٤ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٦ .

(٨) ومنهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والسمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، وأبو حيان ، وقدَّمه ابن عادل ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٨٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٢٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٠٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٥٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٥ البحر المحيط : ٦ / ٢٤٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٢٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٢٤ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٧٧ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٢ ، تفسير السعدي : ٥٠٩ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٦٦ ، أضواء البيان : ٣ / ٢٦٤ ، الوسيط : ٩ / ١٢٩ .

(٩) ذكر القولين من غير ترجيح : الفَرَّاء ، والزَّجَّاج ، ومكي بن أبي طالب ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والثعالبي ، والجلالين . ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١٥٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٦٨ ، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٤٧٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٤٢ ، الكشاف : ٣ / ٧٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٥٣ ، زاد المسير : ٥ / ٣٠٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٧٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٦١ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٦١ ، تفسير الجلالين : ٤١٢ .

أي لن نختارك ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ ولا على ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ أي خلقنا ، " وإنما أُخَّر ذِكْرَ البارِيْ تعالى لأنه من باب الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى " (١) .

" وجيء بالموصول للإيماء إلى التّعليل ، لأنّ الفاطر هو المستحق بالإيثار " (٢) .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الواو عاطفة ، و جملة ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ معطوف على ﴿ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم : **دلالة السِّياق القرآني والظاهر من النظم** .

قال **أبو حيان** : " لما لاحت لهم حجة الله في المعجزة بدؤوا بها ثم ترقوا إلى القادر على خرق العادة وهو الله تعالى ، وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم : ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ تبييناً لعجز فرعون وتكذيبه في ادعاء ربوبيته وإلاهيته ، وهو عاجز عن صرف ذبابة فضلاً عن اختراعها " . اهـ (٣) .

وقال **البقاعي** مشيراً إلى دلالة السِّياق : " ﴿ وَٱلَّذِى ﴾ أي : ولا نؤثرك بالاتباع على الذي ﴿ فَطَرَنَا ﴾ أي ابتدأ خلقنا ؛ إشارة إلى شمول ربوبيته ﷻ لهم وله ولجميع الناس ، وتنبيهاً على عجز فرعون عند من استحقه ، وفي جميع أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة وإشارة وتحقير فرعون أمر عظيم " . اهـ (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الدر المصون : ٥ / ٤١ . وينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٢٤ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٦٦ .
(٣) البحر المحيط : ٦ / ٢٤٣ .
(٤) نظم الدرر : ٥ / ٣٢ . وينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٢٤ .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَـٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَـٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ . [آية : ٨٠] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزَيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون ، فقال : ((﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون . وقيل : هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **فيمن له الخطاب في الآية** على قولين :

القول الأول : الخطاب لبني إسرائيل **الذين كانوا في عصر موسى** عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٢)] ، ووافقه جماعة من المفسرين [(٣)] .

والمراد : حكاية لخطاب بني إسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٦ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٦ .

(٣) ومنهم : الطبري ، وقال الزمخشري (**والوجه هو الأوّل**) ، و**استظهره** ابن عطية ، والنسفي ، والنيسابوري ، و**استظهره** أبو حيان ، وقال الثعالبي (**والمعنى الأول أظهر وأبين**) ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي .
ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ١٩٣ ، الكشاف : ٣ / ٨٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٥٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٤٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٦٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٨ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٨ .

وتقدير الكلام : قلنا ؛ عطفاً على ﴿ أَوْحَيْنَآ ﴾ [١] . أي : وقلنا يا بني إسرائيل [٢] .

القول الثاني : الخطاب لليهود **المعاصرين لرسول الله ﷺ** ، **رجّحه** الخطيب الشربيني [٣] ، والطاهر بن عاشور [٤] ، واحتمله جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

قالوا : " لأن النعمة على الآباء معدودة من النعم على الأبناء " [٧] .

وهو إنشاء خطاب لليهود المعاصرين لنبيِّنا ﷺ .

والمعنى : هذا فعلنا بأسلافكم وتكون الآية على هذا اعتراضاً في أثناء قصة موسى عليه السلام ، **والقصد به توبيخ هؤلاء الحضور** ؛ إذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله تعالى ؛ فهو على حذف مضاف ، أي : أنجينا آباءكم من تعذيب آل فرعون ؛ وهي مثل ما تقدم آنفاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا ... ﴾ [٨] . [٩]

✖ **وتُعقِّب** : بأنه يرده ما سيأتي من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [١٠] ضرورة استحالة حمله على الإنشاء ، فالوجه هو الحكاية لخطاب بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام [١١] .

---

(١) سورة طه : ٧٧ .
(٢) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٦٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٢ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٣٨ .
(٣) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٢٧ .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٧٣ .
(٥) منهم : ابن عطية ، والنيسابوري ، والشوكاني . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٨ .
(٦) جوَّز البيضاوي القولين . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٦٣ . ولم يتعرض غير واحد من المفسرين لمن الخطاب في الآية كالسمر قندي ، والثعلبي ، والبغوي ، وابن كثير ، والخازن ، وابن عادل وغيرهم .
(٧) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٢٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٨ .
(٨) سورة طه : ٧٤ .
(٩) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٧٣ .
(١٠) سورة طه : ٨٣ .
(١١) تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٢ ، ٣٣ .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله **أعلم – أن الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق واتحاد المخاطب وهو موسى عليه السلام وقومه – بنو إسرائيل – الذين كانوا في عصره .

ثانياً : دلالة اللحاق ، أو القرينة في السِّياق : وهي في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [1] وذلك بضرورة استحالة حمله على الإنشاء كما ذكرنا .

ثالثاً : أكثر المفسرين على هذا القول .

رابعاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة طه : ٨٣ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ... ﴾ . [آية : ٩٧]

مسألة : في معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ من الإحراق بالنار ، والمقصود به إذابته وإفساد صورته ، فقال : ((﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ من الإحراق بالنار ، وقرئ – بفتح النون وضم الراء – بمعنى : نبرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ؛ لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار ، **والصحيح** أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ؛ فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى ﴿ **لَّنُحَرِّقَنَّه** ﴾ وجهان للقراءة :

١. قُرئ في الشَّاذ : (لنَحرُقنه) [٢] – بفتح النون وضم الراء مخففة – ، واتفق أهل العلم والمفسرون على معناها ؛ فهي من الحرق ؛ أي : **البرد بالمبْرَد** .

٢. وقرأ الجمهور [٣] : ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّه ﴾ – بضم النون و كسر الراء وتشديدها – ... لكن بعض أهل العلم والمفسرين **اختلفوا في معنى هذه القراءة المتواترة السبعية** على قولين :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٨ .

(٢) من أحرقه يحرقه بمعنى : لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير ، أوردها غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم . ينظر مثلاً : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٠٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣٨٤ وينظر : مختصر في شواذ القرآن : ٩٢ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ٦٨ ، تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري : ٤٦٢ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٨٨ .

(٣) وهم القراء السبعة المشهورون .

القول الأول : ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ **من الإحراق بالنار** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة المفسرين [٣] .

والمعنى : لنحرقنه بالنار قطعة قطعة [٤] .

✖ **واعتُرض** : بأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار ؛ فيترتب برده لا إحراقه [٥] .

✓ **وأُجيب** : بأن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته حتى يصير قطعاً ، **وهو ما رجحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه الطاهر بن عاشور [٧] .

القول الثاني : معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ **من الحرق ، أي البرد بالمبْرَد** ، ذهب إليه الزَّجَّاج [٨] ، وقاله ابن سيده [٩] . [١٠]

وذكر أبو عليّ الفارسي أن التشديد قد يكون مبالغة في حرق ؛ إذا برد بالمبْرَد [١] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٠٨) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٦٦ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٨ .

(٣) ومنهم : الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي = = والنيسابوري ، و**استظهره** أبو حيان والسمين الحلبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، ولم يقل الطاهر ابن عاشور بغيره ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٠٨ الكشف والبيان : ٦ / ٢٥٩ تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٣ ، الكشاف : ٣ / ٨٦ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٩٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٥٧ ، الدر المصون : ٥ / ٥٢ ، تفسير الجلالين : ٤١٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٤ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٥٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٠٠ ، الوسيط : ٩ / ١٤٧ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٠٨ .

(٥) حكاه الفخر الرازي والنيسابوري . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ٩٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٦٩ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٨ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٠٠ .

(٨) ينظر معانيه : ٣ / ٣٧٥ .

(٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : حرق) : ٢ / ٥٧٥ .

(١٠) ذكر القولين من غير ترجيح : ابن عطية ، والبيضاوي ، وابن عادل . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٦٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٦٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ . وجمع بين القولين (أي : النار والمُبَرِّد) : مقاتل ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٤٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٣٤ .

ويؤيده : ما قرئ في الشاذ : (لَنحرُقنه) – بفتح النون وضم الراء مخففة – ، ومعناها : نبرده بالمبْرَد .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ من الإحراق بالنار ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جماعة المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : المشهور في اللغة أن الإحراق يكون بالنار ، وهو المتبادر إلى الذهن .

ثانياً : هذا المعنى هو **قول ترجمان الأمة عبد الله بن عباس** ﷺ ، ورجَّحه عامة المفسرين واتفقوا عليه .

ثالثاً : يؤيد هذا القول بعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** ؛ وهي :

- **معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **ليس كل ما ثبت في اللغة صحَّ حمل آيات التنزيل عليه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نقله عن أبي علي الفارسي : الزمخشري في الكشاف (٣ / ٨٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٢٥٧) .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٠٤ ، ٢٧١ ، ٢ / ٣٦٣ .

قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ . [آية : ١١٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ : لا يحيطون بمعرفة ذاته ، فقال : ((قيل : المعنى لا يحيطون بمعلوماته ؛ كقوله : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... ﴾ [١] ، **والصحيح عندي** : أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته ؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال : ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثني ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ هناك ، ولم يستثن هنا)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

ترتب على اختلاف المفسرين في عود ضمير الكناية في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ **اختلافهم في معنى الآية** .. وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : ضمير الكناية يرجع إلى ﴿ مَا ﴾ أي : هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

والمعنى : لا يحيطون بمعلوماته .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٦ .

(٤) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والزمخشري ، وقال الفخر الرازي (**والأوَّل أوْلى**) ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وقال البقاعي عنه (**الأقرب عندي**) ، وابن كثير ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٦ ، الكشاف : ٣ / ٨٩ التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧١ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ ، تفسير الجلالين : ٤١٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٣٦ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٥ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١١ .

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... ﴾ [١] . [٢]
- وقوله تعالى : ﴿ ... إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

✖ **وتعقَّبه ابن جُزيّ** بقوله :

" ولو أراد المعنى الأول لقال : ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ هناك ولم يستثن هنا " [٤] .

القول الثاني : ضمير الكناية **يرجع إلى الله ﷻ** ؛ قاله مقاتل [٥] ، والطبري [٦] .

والمعنى : لا يحيطون بمعرفة ذاته ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٧] ، ووافقه السمعاني ، والقرطبي [٨] . [٩]

إذ لا يعرف الله حق المعرفة إلا الله [١٠] ، " والله يحيط بالأشياء ، ولا يحاط به ؛ لأن الإحاطة بالشيء هي العلم بالشيء من كل جهة يجوز أن يعلم ، والله تعالى لا يقدر قدره ، ولا يبلغ كنه عظمته ، وأما سائر الأشياء فإن الله يعلم كل شيء بكل جهة يجوز أن تعلم " [١١] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٢) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٤٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١١ .
(٣) سورة البقرة : ٣٠ .
(٤) التسهيل : ٣ / ٢٠ .
(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤١ .
(٦) ينظر تفسيره : ١٦ / ٢١٥ .
(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .
(٨) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٤٨ .
(٩) قال بالقولين من غير ترجيح : البغوي ، والنسفي ، وابن عادل . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٩٤ . ولم يتعرض ابن عطية لمعنى الآية . . وجمع بين القولين : الشوكاني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٨٧ ، الوسيط : ٩ / ١٥٤ .
(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .
(١١) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٦ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٤٨ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأول ، وأن الراجح أن ضمير الكناية يرجع إلى ﴿ مَا ﴾ أي : هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ : لا يحيطون بمعلوماته ، خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور ، والأقرب ههنا قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ .

ثانياً : أنه تعالى أورد ذلك مورد الزجر ليعلم أن سائر ما يقدمون عليه وما يستحقون به المجازاة معلوم لله تعالى [١] .

ثالثاً : تفسير الحجَّة من المفسرين للآية بهذا المعنى ، ودلالة السِّياق عليه .

رابعاً : يؤيد ذلك بعض **القواعد الترجيحية المعتبرة** عند المفسرين ، منها :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٤ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ . [آية : 113] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ تذكراً ، فقال : ((﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ أي : تذكراً . وقيل : شرفاً ، **وهو هنا بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **تذكراً** ، قاله الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة المفسرين [٤] .

أي : يجدد لهم القرآن **عبرة وعظة** ؛ ولعل الوعيد يحدث لهم تذكر العذاب ؛ فيزجرهم عن المعاصي [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٢) ينظر معانيه : ٣ / ٣٨٠ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٤) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، و**استظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي والآلوسي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢١٩ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ زاد المسير : ٥ / ٣٢٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦١ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٩٧ ، تفسير الجلالين : ٤١٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٦ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٧ ، الظلال : ٤ / ٢٣٥٣ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١٤ ، الوسيط : ٩ / ١٥٦ . وينظر : كليات الكفوي ، فصل الذال : ٤٦٤ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٧٩ .

" ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم ، والإحداث إلى القرآن " [١] .

وقال **قتادة : جدّاً وورعاً** [٢] . فالتذكر يعلي الهمم ؛ ويدفع لفعل الخير وتجنب الشر ، ولهذا قال غير واحد من المفسرين [٣] أيضاً : **طاعة وعبادة** .

وقالوا : لأن الذكر يطلق على العبادة [٤] .

❖ **وهي أقوال متقاربة** .

القول الثاني : معناه : **شرفاً بإيمانهم به** ، قاله السمر قندي [٥] . [٦]

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ... ﴾ . [سورة الزخرف : ٤٤] .

✖ وتُعقِّب :

قال ابن جُزيّ : " وهو هنا بعيد " [٧] .

وقال **الآلوسي** : " ولا يخفى أن هذا ليس بشئ " [٨] .

---

(١) تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٢ . وقال أبو حيان : " وأسند ترجي التقوى إليهم وترجي إحداث الذكر للقرآن لأن التقوى عبارة عن انتفاء فعل القبيح ، وذلك استمرار على العدم الأصلي فلم يسند للقرآن ، وأسند إحداث الذكر إلى القرآن لأنه أمر حدث بعد أن لم يكن ، والظاهر أن ﴿ أَوۡ ﴾ هنا لأحد الشيئين . قيل : ﴿ أَوۡ ﴾ كقولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين ؛ أي : لا تكن خالياً منهما " . اهـ . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٦١ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ١٩) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٦٠١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) منهم : الزمخشري ، والخازن ، وابن كثير . ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٧ .

(٥) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٣ .

(٦) ذكر القولين من غير ترجيح : ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ / ٦٥) ، وجوَّزهما النسفي . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٦٩ .

(٧) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٨) روح المعاني : ١٦ / ٢٦٧ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الأول ، وأن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ تُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ تذكراً ، وهو قريب من قول قتادة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق :

آية الزخرف في معرض الحديث عن القرآن ؛ قال تعالى قبلها : ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ... ﴾ . [سورة الزخرف : ٤٣] . والمعنى هنا أن القرآن شرف للنبي ﷺ ولقومه ، وكذا فسرها المفسرون ؛ أما في الآية التي معنا فهي تذكر أن القرآن قد أحدث لهم ذكراً ؛ وأن أمراً لم يكونوا يعلمونه قد حدث ؛ فالقرآن أحدث لهم التذكر والعظة والعبرة ؛ وأوجد فيهم الهمة العالية والورع ؛ فأصبحوا يقبلون على العبادة والطاعة ؛ فصدر الآية تحدث عن التقوى وهو ترك المعاصي ، وآخرها بالتذكر والجد وفعل الطاعات والقربات ؛ فالآية متضمنة لتخلية ثم تحلية [(١)] ، فهذا المعنى هو المفهوم من سياق الآية .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [(٢)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٣ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ . [آية : ١١٤] .

مسألة : في معنى الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى الآية : إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت ، فقال : ((﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ أي : إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت ، فالآية كقوله : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [١] . وقيل : كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى تفسر له المعاني ، **والأول أشهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : معنى الآية : **إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت .**

قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٣] ، والسدي [٤] ، ومقاتل [٥] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٦] .

---

(١) سورة القيامة : ١٦ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٧ . وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ . وذكر السيوطي في لباب النقول سبباً آخر في نزول الآية ؛ ثم قال : **وهذا أصحّ** . ينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٤٧ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤٢ .

(٦) ينظر معانيه : 2 / ١٦٥ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **جمهور** [٢] المفسرين [٣] ، وهو **المشهور** [٤] .

واستدل له :

١. **بالنظير القرآني** : قوله ﷻ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [٥] . [٦]

٢. **بما أخرجه الشيخان عن ابن عَبَّاسٍ** ﷺ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قال : « كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ من التَّنْزِيلِ شِدَّةً ، وكان مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ؛ فقال ابن عَبَّاسٍ : فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كما كان رسول اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا . وقال سَعِيدٌ : أنا أُحَرِّكُهُمَا كما رأيت ابن عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا ؛ فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [٧] . قال : جَمْعُهُ له في صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ . ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [٨] ، قال : فَاسْتَمِعْ له وَأَنْصِتْ . ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه ﴾ [٩] ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ ، فَكَانَ رسول اللَّهِ ﷺ

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٢) نسبه الشوكاني إلى المفسرين . ينظر : فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ .

(٣) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي .
ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٣ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٣٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الكشاف : ٣ / ٩٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٦٩ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦١ تفسير ابن كثير : ٣ / ١٦٨ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٩ ، ٥٠ ، تفسير الجلالين : ٤١٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٤ ، السراج المنير : ٢ / ٥٣٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٦ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٦٨ ، تفسير السعدي : ٥١٤ ، الظلال : ٤ / ٢٣٥٣ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٣ ، الوسيط : ٩ / ١٥٧ .

(٤) قال السمعاني وابن جُزيّ بذلك . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٥٨ ، التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٥) سورة القيامة : ١٦ .

(٦) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الكشاف : ٣ / ٩٠ ، التسهيل : ٣ / ٢٠ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٦ ، تفسير السعدي : ٥١٤ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٣ . وينظر : فتح الباري لابن حجر : ١ / ٣٠ ، عمدة القاري للعيني : ١ / ٧١ ، تحفة الأحوذي : ٩ / ١٧٤ .

(٧) سورة القيامة : ١٦ ، ١٧ .

(٨) سورة القيامة : ١٨ .

(٩) سورة القيامة : 19 .

بَعْدَ ذلك إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ ، فإذا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النبي ﷺ كما قَرَأَهُ » [١] .

القول الثاني : معنى الآية : **كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى تفسر له المعاني** ، روي عن ابن عباس رضي الله عنه [٢] أيضاً ، ومجاهد [٣] ، وقتادة [٤] [٤] وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، وقاله الطبري [٦] من المفسرين . [٧]

✖ **وتعقَّبه الآلوسي** بقوله :

" وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته . ومثله ما قيل : إنه نهى عن الأمر بكتابته قبل أن تفسر له المعاني وتتقرر عنده عليه السلام ؛ بل هو دونه بكثير " . اهـ [٨] .

❖ **وجمع الفخر الرازي بين القولين** فقال :

" قوله : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ يحتمل أن يكون المراد لا تعجل بقراءته في نفسك ، ويحتمل أن لا تعجل في تأديته إلى غيرك ، ويحتمل في اعتقاد ظاهره ، ويحتمل في تعريف الغير ما يقتضيه ظاهره ، وأما قوله : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ فيحتمل أن يكون المراد من قبل أن يقضى إليك تمامه ، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن يقضى إليك بيانه ،

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في المقدمة ، باب كَيْفَ كان بَدْءُ الْوَحْيِ إلى رسول اللَّهِ ﷺ (٥) : ١ / ٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصلاة ، بَاب الِاسْتِمَاعِ لِلْقِرَاءَةِ (٤٤٨) : ١ / ٣٣٠ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٢٠) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٣) ينظر تفسيره : ١ / ٤٠٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٢٠) ، ونسبه البغوي إليه ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ، وابن الجعد ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٠ ، مسند ابن الجعد لعلي بن الجعد بن عبيد (ت ٢٣٠ هـ) : ١٥٧ ، تفسير الطبري : ١٦ / ٢٢٠ . ونسب البغوي هذا القول لقتادة أيضاً ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٠٢ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٣٧٩ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢١٩ .

(٧) ذكر القولين من غير ترجيح : الثعلبي ، والماوردي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٢ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٢٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٦٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣١٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٠ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣١٧ .

(٨) روح المعاني : ١٦ / ٢٦٨ .

لأن هذين الأمرين لا يمكن تحصيلهما إلاَّ بالوحي ، ومعلوم أنه ﷺ لا ينهى عن قراءته لكي يحفظه ويؤديه ؛ فالمراد إذن أن لا يبعث نفسه ولا يبعث غيره عليه حتى يتبين بالوحي تمامه أو بيانه أو هما جميعاً ، لأنه يجب التوقف في معنى الكلام ما لم يأت عليه الفراغ لما يجوز أن يحصل عقيبه من استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات فهذا هو التحقيق في تفسير الآية " . اهـ [١] .

وزاد النيسابوري : " ويؤكد هذه المعاني قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ لأن معرفة البيان علم زائد على معرفة الإجمال " . اهـ [٢] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المشهور أن معنى الآية : إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه ، واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ إضافة لما تقدم ؛ ما يلي :

أولاً : المشهور من الروايات عن ابن عباس ﷺ ترجمان القرآن هذا المعنى ، وهو الأصحَّ كما ذكر السيوطي .

ثانياً : هذا المعنى هو ما أجمع عليه عامة المفسرين .

ثالثاً : هذا القول تؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه** [٣] .

.

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٦ . ونقله النيسابوري أيضاً . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٤ .
(٢) تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٤ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢٠٦ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ . [آية : ١١٧] .

مسألة : في سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله : ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ لأنه كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام ، فقال : ((وخص آدم بقوله : ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ لأنه كان المخاطب أولاً ، والمقصود بالكلام . وقيل : لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختصٌّ بالرجال)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : لم يقل : لتشقيا ؛ **مراعاة لرؤوس الآي** ، قاله العكبري [٢] .

القول الثاني : خص آدم عليه السلام بذلك القول **لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال** قاله جماعة من المفسرين [٣] . [٤]

ويؤيده :

١. القرينة القرآنية : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ . [سورة طه : ١١٨ ، ١١٩] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٠ .

(٢) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٢٨ .

(٣) منهم : الثعلبي ، والبغوي ، والنيسابوري ، والجلالين ، والشنقيطي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٧٧ ، تفسير الجلالين : ٤١٧ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٧ . **وصحَّح العكبري هذا المعنى أيضاً** حيث قال بعد أن ذكر القول الأول : "مع أن المعنى صحيح لأن آدم عليه السلام هو المكتسب وكان أكثر بكاء على الخطيئة منها " . اهـ . ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٢٨ .

(٤) ذكر القولين الأولين من غير ترجيح : السمين الحلبي ، وابن عادل . ينظر : الدر المصون : ٥ / ٦٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٠٤ .

" فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والريّ والكسوة والسكن ؛ مستغنياً عن اكتسابها والسعي في تحصيل أغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها " [١] .

٢. من الأثر :

- عن الحسن قال : عنى به شقاء الدنيا ، فلا تلقى ابن آدم إلا شقياً ناصباً [٢] .
- عن سعيد بن جبير قال : إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض استقبله ثور أبلق فقيل له : اعمل عليه ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : هذا ما وعدني ربي ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ ... [٣] .

القول الثالث : خص آدم عليه السلام و لم يقل : فتشقيا ؛ **لأن حواء تبعاً له** ، قاله **سفيان بن عيينة** . [٤]

واستدل له :

١. من الأثر :

عن **سفيان بن عيينة** قال : لم يقل فتشقيان ؛ لأنها دخلت معه ، فوقع المعنى عليهما جميعاً وعلى أولادهما [٥] .

٢. النظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ... ﴾ . [سورة الطلاق : ١] .
- وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ ... ﴾ . [سورة التحريم : ١ ،

---

(١) تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٤ . وينظر قبله : الكشاف : ٣ / ٩٢ ، ٩٣ . وينظر : أضواء البيان : ٤ / ١٠٧ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٣١١) : ٧ / ١٩٨ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٠٥ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٠٥) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر .

(٤) جوَّز النسفي الأقوال الثلاثة ؛ ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٧٠ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٠٥) إلى ابن أبي حاتم .

٢] . فدخل جميع المسلمين في المعنى معه ، وإنما كلم النبي ﷺ وحده [١] .

القول الرابع : خص آدم عليه السلام بذلك **لأنه كان المخاطب أولاً ، والمقصود بالكلام فاكتفى به** ، قاله الفَرَّاء [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [سورة ق : ١٧] . أي : قعيدان [٦] .

.

٢. دلالة السِّياق القرآني :

آدم عليه السلام كان المخاطب وحده من أول القصة . قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ . [سورة طه : ١١٦ ، ١١٧] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **عدم امتناع احتمال جميع الأقوال ؛ وأن آدم عليه السلام خُصَّ بقوله : ﴿ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ لأصالته في الأمور ، واستلزام سعادته لسعادتها وشقائه لشقائها ، مع ما فيه من مراعاة الفواصل** [٧] .

---

(١) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٣٩ .

(٢) ينظر معانيه : 2 / ١٦٥ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٠ .

(٤) منهم : الطبري ، والنحاس ، وقدَّمه الماوردي ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي (وزاد : وأيضاً لما كان الكادّ عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص) ، والشوكاني . ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٢٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٥٨ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٠٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٦٧ ، زاد المسير : ٥ / ٣٢٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٨٩ .

(٥) ذكر الخطيب الشربيني الأقوال جميعاً و لم يرجح ؛ ينظر : السراج المنير : ٢ / ٥٣٩ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٢٢٢ .

(٧) قال بذلك جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، ، والآلوسي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٠٨ ،

والمرأة تبع لزوجها ، وشقاء الكد والعمل يتولاه الرجال أكثر من النساء ، وهو المكلف بأن يقدم لها ما تحتاجه من مطالب الحياة [١] **، ولأن الكلام من أول القصة مع آدم وحده والمرأة ذكرت فيما خوطب به آدم بدليل قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾** [٢] **فهي ذكرت فيما خوطب به آدم** [٣] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : جمع جماعة من المفسرين لجميع الأقوال أو معظمها كما بيَّنا آنفاً .

ثانياً : لكل قول أدلته سواء من النظائر القرآنية ، أو الأثر ، أو دلالة السِّياق ، أو القرينة القرآنية ، وأما مراعاة رؤوس الآي فنجدها متقررة في غير موضع من القرآن الكريم . **مثاله** :

في قصة موسى عليه السلام مع فرعون موضعين مثلاً في نفس الموضوع مع اختلاف رؤوس الآي مراعاة للفواصل ، أحدهما في سورة الأعراف والآخر في سورة طه وهما :

الموضع الأول : قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ **ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ **وَهَٰرُونَ** ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ... فَسَوۡفَ **تَعۡلَمُونَ** ﴿١٢٣﴾ ﴾ [٤] .

الموضع الثاني : قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ **أَتَىٰ** ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ **وَمُوسَىٰ** ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ... وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا **وَأَبۡقَىٰ** ﴿٧١﴾ ﴾ [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٥ ، روح المعاني : ١٦ / ٢٧١ ، تفسير القاسمي : ١١ / ١٩٨ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٢١ .

(١) وقد أخذ العلماء من هذه الآية أن **النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة** : الطعام ، والشراب والكسوة ، والمسكن ، فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها ، فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٥٣ .

(٢) سورة طه : ١١٧ .

(٣) ينظر : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الخطاب للشنقيطي : ٥٨ .

(٤) سورة الأعراف : ١٢١ - ١٢٣ .

(٥) سورة طه : ٦٩ - ٧١ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ . [آية : 129] .

مسألة : المراد بالأجل المسمَّى في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالأجل المسمَّى يوم بدر ، فقال : ((والمراد بالأجل المسمَّى يوم بدر ، وبذلك ورد تفسيره في البخاري . وقيل : المراد به أجل الموت . وقيل : القيامة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ [٢] ، أو على الضمير المستتر في : ﴿ لَكَانَ ﴾ [٣] ، ومعنى الآية : ولولا العِدة بتأخير عذابهم وأجلٌ مسمَّى سبقت من ربك لكان العذاب ، أو لكان الأخذ العاجل والأجل المسمَّى لازمين لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة ، واختلف المفسرون في **المراد بالأجل المسمَّى في الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد بالأجل المسمَّى في الآية **يوم بدر** ، قاله السدي [٤] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٥] ، وقدَّمه الماوردي ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، موافقاً ابن عطية [٧] من المفسرين .

واستدل له : بما **أخرجه الإمام البخاري** عن عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال : « خَمْسٌ قد

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢١ .

(٢) قال الفَرَّاء وابن قتيبة : في هذه الآية تقديم وتأخير . و **استظهر** أبو حيان العطف ، وقال : " وأخر المعطوف عن المعطوف عليه ، وفصل بينهما بجواب ﴿ وَلَوْلَا ﴾ لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي " . اهـ . ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ١٥٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٦٨ .

(٣) جوَّز الزَّمخشري هذا الوجه من الإعراب . ينظر : الكشاف : ٣ / ٩٦ .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٠ .

(٥) ينظر معانيه : 2 / ١٦٦ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤٣٢ ، التسهيل : ٣ / ٢١ .

(٧) احتمل ابن عطية الأقوال الثلاثة جميعها ؛ ثم قال : " وكون اللزام يوم بدر أبلغ في آيات نبينا عليه السلام " . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٦٩ .

مَضَيْنَ : اللِّزَامُ ، وَالرُّومُ ، وَالْبَطْشَةُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالدُّخَانُ » [١] .

وفي رواية النسائي عن ابن مسعود ﷺ أيضاً : « مضى اللِّزَامُ ، والبَطْشُ يوم بدر ، ومضى الدُّخَانُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالرُّومُ » [٢] .

✖ **وتُعقِّب** :

" بأنه ينافي كون الكلمة هي العِدة بتأخير عذاب هذه الأمَّة .

✓ **وأجيب** :

بأن المراد من ذلك العذاب هو عذاب الاستئصال ، و لم يقع يوم بدر " [٣] .

القول الثاني : المراد بالأجل المسمَّى في الآية **يوم القيامة** ، قاله قتادة [٤] ، ومقاتل [٥] ، وجماعة من أهل اللغة [٦] ، وجماعة من المفسرين [٧] . [٨]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ (٤٥٤٨) : ٤ / ١٨٢٥ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير ، بَاب قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (١١٣٧٤) : ٦ / ٤٢٢ .

(٣) حكى الآلوسي التعقيب على هذا القول والإجابة عليه . ينظر : روح المعاني : ١٦ / ٢٨٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٣٢) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٤٥ .

(٦) منهم : الزَّجَّاج ، وابن سيده ، وابن منظور . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٣٨٠ ، المحكم والمحيط الأعظم (مادة : أجل) : ٧ / ٤٨٨ ، لسان العرب (مادة : أجل) : ١١ / ١١ .

(٧) منهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، وقال الفخر الرازي (**وهو أقرب**) ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل ، و **استحسن** الخطيب الشربيني قول الفخر الرازي (**وهو أقرب**) ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٠٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٦٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٦ زاد المسير : ٥ / ٣٣٣ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١١٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٦٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٤ / ٥٨١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٢١ ، السراج المنير : ٥ / ٣٢٧ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٣٧ .

(٨) قال بجواز القولين الأول والثاني : العز بن عبد السلام ، البيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣١٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٧٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٤٩ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٣ .

" لأن الله تعالى وعدهم بالعذاب ليوم القيامة " [١] .

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ . [سورة القمر : ٤٦] . [٢]
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٧٧] . [٣]

القول الثالث : المراد بالأجل المسمَّى في الآية **أجل الموت** ، قاله مجاهد [٤] ، وذهب إليه الآلوسي [٥] ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٦] . [٧]

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **صحَّة القول الثاني ، وأن الرَّاجح أن المراد بالأجل المسمَّى في الآية يوم القيامة ، وهو قول جماعة من أهل اللغة وجماعة من المفسرين ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : يظهر أنه شاع في عصر الصحابة تأويل اسم اللِّزام أنه عذاب توعد الله به مشركي قريش . وهذا ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن مسعود ﷺ بأنه عذاب يوم بدر ؛ وكأنه يريد بذلك إبطال أن يكون اللِّزام مترقباً في آخر الدنيا ، وليس في القرآن ما يحوج إلى تأويل

---

(١) لسان العرب (مادة : أجل) : ١١ / ١١ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٨٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٦٣ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١١٥ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٣٧ .

(٤) ينظر تفسيره : ١ / ٤٠٦ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦ / ٢٣٢) ، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٠ .

(٥) ينظر تفسيره : ١٦ / ٢٨٠ .

(٦) ينظر : الوسيط : ٩ / ١٦٧ .

(٧) جوَّز أبو حيان الأقوال الثلاثة . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٦٨ . وذكرها الثعالبي واستبعد أن يكون اللزام يوم بدر ، ولم يرجح بين القولين الآخرين . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٧٣ .

اللِزام بهذا [١] .

ثانياً: ما أخرجه **الإمام البخاري** من تفسير ابن مسعود ﷺ ؛ وليس هو من تفسير النبي ﷺ [٢] .

ثالثاً: هذا القول هو قول جماعة المفسرين .

رابعاً: تأيد هذا القول بالنظائر القرآنية ، وهذا يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٣٣٧ .
(٢) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٧٣ .
(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

سـورة الأنـبـياء

قوله تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في المراد بالناس هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ لفظ عام فقال : ((﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ الناس لفظ عام . وقال ابن عباس : المراد هنا المشركون من قريش ؛ بدليل ما بعد ذلك ، لأنه من صفاتهم)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بالناس في قوله تعالى :** ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ على قولين :

القول الأول : الناس لفظ عام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قال **ابن عطية** : " عام في جميع الناس المعنى ؛ وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش ؛ ويدل على ذلك ما بعد من الآيات " . اهـ [٤] .

القول الثاني : المراد **بالناس هنا المشركون من قريش** ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥] ، ومقاتل [٦]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٢ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٢ .

(٣) منهم : الطبري ، وابن عطية ، والخازن ، وابن كثير ، والشوكاني ، والسعدي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١ المحرر الوجيز : ٤ / ٧٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٨٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٧ ، تفسير السعدي : ٥١٨ .

(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ٧٣ .

(٥) ينظر : تنوير المقباس : ٢٦٨ . وقال د . سامي الجهني في رسالته (تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل : ٧٧٢) عن قول ابن عباس رضي الله عنهما هذا : لم أجده .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥١ .

وجماعة من المفسرين [١] .

واستدل على ذلك بالقرينة القرآنية :

وهو ما يتلوه من صفات المشركين ، وهو قوله تعالى بعدها : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ١ - ٣] .

قال **ابن عاشور** : " وأصل النظم : اقترب للناس الحساب . وإنما نظم التركيب على هذا النظم بأن قدم ما يدل على المضاف إليه وعُرِّف (الناس) تعريف الجنس ليحصل ضرب من الإبهام ثم يقع بعده التَّبيين ، ولِما في تقديم الجار والمجرور من الاهتمام بأن الاقتراب للناس ليعلم السامع أن المراد تهديد المشركين ؛ لأنهم الذين يُكنَّى عنهم بالناس كثيراً في القرآن ، وعند التقديم احتيج إلى تقدير مضاف فصار مثل : اقترب حساب للناس الحساب ، وحذف المضاف لدلالة مفسره عليه . ولما كان الحساب حساب الناس المذكورين جيء بضمير الناس ليعود إلى لفظ الناس فيحصل تأكيد آخر وهذا نمط بديع من نسج الكلام " . اهـ [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن المراد بـ (الناس) كل من له مدخل في الحساب وهم جميع المكلفين ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، وما روي عن ابن عباس ﷺ أن المراد بالناس المشركون فمن باب إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم ؛ وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والإعراض وغيرهما ، فهذا لا ينافي كون (الناس) تعريفاً للجنس ، قال بذلك جماعة من المفسرين [٣] ، فيدخل في الجنس المشركون لأنهم المقصودون بالذكر بعد هذه الآية .**

---

(١) ومنهم : الماوردي ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، والجلالين وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤٣٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٣٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٦٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨١ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٤ ، تفسير الجلالين : ٤٢٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٤٨ ، روح المعاني : ١٧ / ٢ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ٩ ، ١٠ .

(٣) منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤٢ .

✓ قال **السمر قندي** : " وهم كفار مكة ومن كان مثل حالهم " [١] .

✓ وقال **القاسمي** : " ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ أي دنا لأهل مكة ما وعدوا به من الحساب الأخروي وهو عذابهم ... ولا يخفى من عموم (الناس) من الترهيب البليغ . وإن حق الناس أن يتنبهوا لدنو الساعة ليتلافوا تفريطهم بالتوبة والندم " . اهـ [٢] .

✓ وحسَّنه **الآلوسي** حيث قال : " ووجه حسنه ههنا كون أولئك البعض هم الأكثرون ، وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً " . اهـ [٣] .

✓ وقال **محمَّد سيِّد طنطاوي** : " قال تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ ... ﴾ بلفظ العموم ، مع أن ما بعده من ألفاظ الغفلة والإعراض يشعر بأن المراد بهم الكافرون ، للتنبيه على أن الحساب سيشمل الجميع ، إلا أنه بالنسبة للكافرين سيكون حسابا عسيرا " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير السمر قندي : ٢ / ٤١٩ . وينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٦٣ .
(٢) تفسير القاسمي : ١١ / ٢٢٨ ،
(٣) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .
(٤) الوسيط : ٩ / ١٨٣ .

قوله تعالى : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . [آية : ٣] .

مسألة : في إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الضمير في قوله : ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ ، فقال : ((الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ ضمير فاعل يعود على ما قبله ، و ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الضمير . وقيل : إن الفاعل هو ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وجاء ذلك على لغة من قال : أكلوني البراغيث ، وهي لغة بني الحارث بن كعب . وقال سيبويه : لم تأت هذه اللغة في القرآن . ويحتمل أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ منصوباً بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر ، **والأول أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

جاء قوله تعالى : ﴿ ... وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ... ﴾ و لم يقل : (وأسر النجوى) والفعل متقدم ؛ فكيف جاء فعل (أسرَّ) متقدماً مجموعاً ؟ .. وقد **اختلف النحاة والمفسرون في إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾** على أوجه [٢] معروفة كما يلي :

✓ **أحدها : الرفع : وفيه أربعة أوجه :**

الوجه الأول : أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ بدل بعض من كل ، قاله سيبويه [٣] ، **وجوَّده** الزَّجَّاج [٤] ، وقاله مكي بن أبي طالب [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٢ .

(٢) ذكر أبو حيان والسمين الحلبي أن النحاة جوَّزوا فيها وجوهاً : الرفع ، والنصب ، والجر . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ ، الدر المصون : ٥ / ٧١ .

(٣) ينظر : كتاب سيبويه :٢ / ٤١ .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٣٨٣ .

(٥) ينظر مشكله : ٢ / ٤٧٧ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

وذلك إشعارٌ بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسرّوا به [٣] .

وقال المُبَرِّد : " وهو كقولك : إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله . فـ (بنو) بدل من الواو في (انطلقوا) " [٤] .

الوجه الثاني : **أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ فاعلاً** [٥] ، وإظهار ضمير الجمع والتثنية في الفعل إذا تقدم جائز ، على لغة من قال : أكلوني البراغيث [٦] ، ذهب إليه أبو عبيدة [٧] ، وجوَّزه الأخفش والعكبري [٨] ، و **حسَّنه** القرطبي وأبو حيان [١] ، وأجازه جماعة من

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٢ .

(٢) منهم : الزمخشري (وقدَّمه) ، وابن الجوزي ، وقدَّمه الفخر الرازي والعكبري ، والقرطبي ، وقدَّمه البيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري (**وقال هو الأقوى**) ، والجلالين ، وقدَّمه أبو السعود ، وقدَّمه الآلوسي ، و **استظهره** الشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٠ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٢ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩١١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦ ، تفسير الجلالين : ٤٢٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٤ ، روح المعاني : ١٧ / ٧ ، أضواء البيان : ٤ / ١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٢ .

(٤) لم أقف عليه في حدود ما اطلعت في كتبه ، ونسبه إليه البغوي والقرطبي . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٨ .

(٥) جاء عن قتادة يقول : أسروا الذين ظلموا النجوى . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٦ .

(٦) مذهب جمهور العرب أنَّ الفعل إذا أُسندَ إلى ظاهر مثنى أو جمع وجب تجريده من علامة تدل على تثنيته أو جمعه . فيكون حكمه مع المثنى والجمع كحكمه مع المفرد . فيقولون : قام الرجلان . وقام المحمدون . وقامت النساء كما يقولون : قامَ الرجلُ . وقامَ محمدٌ . وقامت المرأة . قال ابن مالك في الألفية :

وجـــرد الفعل إذا ما أُسندا لاثنين أو جمعٍ كفازَ الشهدا

وهناك من العرب من يخالف الجمهور فيلحقون الفعل المسند إلى الظاهر المثنى أو الجمع علامة تدل على تـــثـــنية الفاعل أو جمعه ، فيجعلون علاقة الفعل بالفاعل من حيث العدد كعلاقته به من حيث التذكير و التأنيث . قال سيبويه : " و أعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضربابي أخواك ، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في : قالت ، فكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث علامة " . وقد أطلق النحاة على هذه اللغة (لغة أكلوني البراغيث) . ينظر : كتاب سيبويه : ٢ / ٤١ ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ٧٨ - ٨٠ .

(٧) ينظر مجازه : ٢ / ٣٤ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٣٢ ، التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩١١ .

المفسرين [٢] .

قال أبو عبيدة عن لغة (أكلوني البراغيث) :

" قد تفعل العرب هذا فيُظهرون عدد القوم في فعلهم إذا بدؤوا بالفعل " [٣] .

✖ **وتعقَّب الأخفش الوجه الأول** مجيزاً لهذا الوجه قائلاً : " وقد تعسف بعض النحاة في تأويلها وردِّها للبدل ، وهو تكلف مستغنى عنه ؛ فإن تلك اللغة – أي لغة : أكلوني البراغيث – مشهورة ولها وجه من القياس واضح " . اهـ [٤] .

واستدل له :

١. **بالنظير القرآني : قوله تعالى** : ﴿ ... ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ... ﴾ [٥] . [٦]

٢. **من السُّنة** : عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « **يَتَعَاقَبُونَ** فِيكُمْ **مَلَائِكَةٌ** بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ... » [٧] .

٣. **من كلام العرب** : قول الشاعر [٨] :

---

(١) ونسب أبو حيان هذه اللغة لأَزْدِ شَنُوءة . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ . = = وحكاها البصريون عن طيء ، كما حكيت عن بني الحارث بن كعب .

(٢) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والنسفي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والشوكاني . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٩ ، الكشاف : ٣ / ١٠٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥ ، ٦ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤٧ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٢ / ٣٤ .

(٤) لم أقف عليه في كتب الأخفش في حدود ما اطلعت ، ونقله أبو حيان وابن حجر عنه . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ ، فتح الباري (عند شرح حديث : « يتعاقبون فيكم ملائكة ... » : ٢ / ٣٤ .

(٥) سورة المائدة : ٧١ .

(٦) وهناك آية ثالثة انفرد بها الزمخشري في جواز حملها على هذه اللغة ، وهي قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ . [سورة مريم : ٣٣] . فقد جوَّز أن تكون (من) فاعلاً للفعل (يملكون) وان (الواو) علامة للفاعلين . ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٥ .

(٧) جزء من حديث **سبق تخريجه** ص ١٣٧ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٨) البيت لأحيحة بن الجلاح من شعراء الجاهلية لم يدرك الإسلام ، وكان قومه لاموه في ابتياعه النخيل . ينظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : ٢ / ٦١٦ . وقد أورده جماعة من المفسرين عند تفسير الآية .

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخيلِ أَهْلِي فَكُلُّهُمُ يَعْذِلُ

وقول لسان الدين ابن الخطيب [١] :

يَلُومُونَنِي فِي الحُبِّ قَوْمي جَهَالةً وَمَا كَانَ طَبْعاً فهَوْل لَيس يَحُولُ

والشاهد في البيتين : (يَلُومُونَنِي) حيث ألحق به واو الجمع مع إسناده إلى اسم ظاهر دالٍّ على الجمع وهو (أَهْلِي) في البيت الأول و (قَوْمي) في البيت الثاني – على لغة بني الحرث بن كعب – .

وضعَّف بعضهم هذه اللغة .

قال **سيبويه** [٢] : لغة (أكلوني البراغيث) ليست في القرآن .

وقال **الفخر الرازي** : " أكثر النحويين أنكروا هذا القول لاتفاق الأكثرين على أن قوله : (أكلوني البراغيث) وأمثالها **لغة ركيكة** ، والله أعلم " [٣] .

وقال **بعضهم** : إنَّ مذهب النحاة الذين منعوا حمل القرآن على (لغة أكلوني البراغيث) صحيح ، وذلك لأمرين :

- **أولهما** : أننا إذا وافقنا النحاة الذين يجيزون حمل القرآن على هذه اللغة لترتب على ذلك أمر آخر ، وهو أنَّ هذه اللغة تغدو لغة قياسية ، يجوز أن نتحدث بها شعراً ونثراً قياساً على ما ورد في القرآن ، لأنَّ النحاة مجمعون على صحة القياس على ما ورد فيه .

ووجود آية واحدة كافٍ للقياس عليها ، فكيف الأمر وقد وردت فيه أكثر من آية ظاهرها أنها محمولة على هذه اللغة أليس بكافٍ لجعلها لغة قياسية ؟

ولا أظن أحداً من الباحثين القدامى أو المحدثين قد أجاز جعل هذه اللغة لغة قياسية .

---

(١) ينظر ديوانه : ٥٢٢ .

(٢) ينظر : كتاب سيبويه : ٢ / ٤١ . ونسب هذا القول إلى سيبويه : ابن عطية والثعالبي وغيرهما إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٧٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٠ . ولم أقف عليه نصًّا كما قالوه في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٣) التفسير الكبير : ٨ / ١٦٣ .

- **والأمر الثاني** : هو أنَّ لحوق الفعل المسند للظاهر المتعدد علامة تدل على تعدد الفاعلين إنما يمثل مرحلة أولية من مراحل اللغة العربية [١] .

وعلى الرغم من ذهابنا إلى أن (لغة : أكلوني البراغيث) لغة قديمة ، وأن العربية الفصحى قد تخطتها في مراحلها المتطورة ؛ إلاَّ أن هذه اللغة قد بقي لها أثر في العربية وخاصة في لغة الشعر ، وذلك واضح في شواهد شعرية استدل بها النحاة على هذه اللغة .

وقد بقيت هذه اللغة شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة ، كالقول مثلاً في لغة الخطاب في مصر : (ظلموني الناس) و (زارونا الجيران) .

وكذلك العراقيون فيقولون مثلاً : (ذهبوا الأولاد) و (حضروا الضيوف) ، وهذا مما يجعلنا نذهب إلى أنَّ كثيراً من اللهجات العامية له أصل في اللغة العربية الفصحى ؛ إما أصل عربي قديم . وإما أصل فصيح مستعمل [٢] .

الوجه الثالث : **أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ مرفوعاً بفعلٍ مقدرٍ** ؛ تقديره : يقولُ الذين ظلموا ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ... ﴾ ؛ قاله النحاس [٣] .

ويستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ... ﴾ .

[سورة الرعد : ٢٣ ، ٢٤] .

٢. القرينة القرآنية : قوله تعالى بعده : ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ . فهذا الذي قالوه ، والمعنى : قالوا : هل هذا إلاَّ بشر مثلكم .

الوجه الرابع : **أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ خبر ابتداء مضمر .**

---

(١) ينظر : مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٢٤) ؛ بحث للدكتور سليم النعيمي بعنوان (نقد الكتب) : ٣٠٢ .

(٢) ينظر : مقالان ، الأول بعنوان : دراسات في اللغة والنحو ، للدكتور عدنان محمد ، والثاني : ظواهر لغوية من لهجة طيئ القديمة ، للدكتور رمضان عبد التواب ، خبير بلجنة اللهجات . بتصرف .

(٣) وذكر النحاس بأن هذا الوجه هو أحسن وجوه الإعراب . ينظر إعرابه : ٣ / ٦٤ .

✓ **الثاني : النصب : أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ منصوباً بفعل مضمر على الذم** ، جوَّزه الزَّجَّاج [١] .

✓ **الثالث : الجر : أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ مجروراً صفة للناس** ؛ بمعنى : اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم ؛ أجازه الفرَّاء [٢] .

✗ **واستبعده السمين الحلبي** [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال جميع وجوه الإعراب ، فلكل وجهٍ حجَّته** ، وقد ذكر وجوه الإعراب – جميعها أو بعضها – من غير أن يرجِّح جماعة من المفسرين ، منهم : الثعلبي ، والبغوي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي [٤] .

✌ وإن **كان الأجود والأحسن هو الوجه الأول ؛ وهو أن يكون ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بدل من الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾** ، **وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك إضافة على ما تقدَّم ما يلي :

أولاً : ترجيح جماعة من المفسرين لهذا الوجه وتقديمه على سائر وجوه الإعراب الأخرى .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٣٨٣ .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ١٧٠ .

(٣) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٧٢ .

(٤) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٦٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٣٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٠ ، ٨١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٤٦ – ٤٤٨ ، السراج المنير : ٢ / ٥٤٨ ، فتح القدير : ٣ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٣ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٦٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ . [آية : ١١] .

مسألة : في تعيين القرية المذكورة في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أنه لا يراد قرية معينة ، فقال : ((﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ يريد أهل القرية . وقال ابن عباس : هي قرية باليمن يقال لها : (حضور) ؛ بعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل . **وظاهر اللفظ أنه على العموم** ؛ لأن ﴿كَمْ﴾ للتكثير فلا يريد قرية معينة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **القرية المذكورة في الآية** على قولين :

القول الأول : لا يراد قرية معينة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. بأن ﴿كَمْ﴾ للتكثير [٤] .

٢. النظير القرآني :

وهذا المعنى المذكور هنا جاء مبيناً في مواضع كثيرة من كتاب الله .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٣ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٣ .

(٣) منهم : الزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧٦ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٨ ، نظم الدرر : ٥ / ٧١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٥٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠٠ ، روح المعاني : ١٧ / ١٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤ ، أضواء البيان : ٤ / ١٣٧ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧ ، التسهيل : ٣ / ٢٣ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٧٨ ، الدر المصون : ٥ / ٧٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٥٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٠٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤ .

- قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ . [سورة الإسراء : ١٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ . [سورة الحج : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ . [سورة الطلاق : ٨ ، ٩] . إلى غير ذلك من الآيات [١] .

القول الثاني : هي قرية باليمن يقال لها : حَضُور [٢] ؛ بعث الله إليهم نبيا فقتلوه ، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، قاله ابن عباس ﷺ [٣] ، وابن جريج [٤] ، ومقاتل [٥] ، وجماعة [٦] من المفسرين [٧] . [٨]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن ظاهر اللفظ في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ يدل على العموم فلا يريد قرية معينة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٤ / ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٢٢) ، وعزا السيوطي في الدر (٥ / ٦١٨) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر عن الكلبي ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ قال : هي حصون بني أزد . وجاء في رواية عن ابن عباس ﷺ : أن الآية نزلت في حضور وسحول ؛ قريتين باليمن تنسب إليهما الثياب . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٦ .
وحَضُور هي : – بالفتح ثم الضم وسكون الواو – وراء بلدة باليمن من أعمال زبيد ، سميت بحضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٢ / ٢٧٢ .

(٣) نسبه السيوطي إلى ابن مردويه . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦١٨ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٧) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٣ .

(٦) قال القرطبي : " وقال أهل التفسير والأخبار : إنه أراد أهل حضور " . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٤ ، وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٠١ .

(٧) منهم : السمر قندي و لم يذكر غير قول ابن عباس ﷺ ، والثعلبي ، والواحدي ، والقرطبي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٧١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٤ . وقاله السهيلي في الروض الأنف (١ / ٣٤) .

(٨) احتمل الثعالبي القولين . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٢ .

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

ظاهر الآية في هذا السِّياق ونظائره يدل على الكثرة والعموم [١] ، ولعل ابن عباس ﷺ أراد أن قرية (حضور) إحدى القرى التي شملتها هذه الآية ، فهذه الرواية وغيرها محمولة على سبيل التمثيل لا التعيين في القرية [٢] .

ثانياً : لم يتعرض لاسم القرية جماعة من المفسرين [٣] ؛ وفي ذلك دلالة على أن المراد ليس قرية بعينها .

ثالثاً : ما الدليل على الحصر في القرية – أو القريتين كما ذكر في بعض الروايات – التي ذكرها ابن عباس ﷺ ؟ قال بذلك **ابن عادل** [٤] .

رابعاً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٠٦ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٢ / ١٢٦ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٣ ، نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٧١ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ١٥ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٦ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٦ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٢٧٨ ، روح المعاني : ١٧ / ١٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤ .

(٣) منهم : ابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والسعدي ، والجلالين . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٤٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٥ ، تفسير السعدي : ٥٢٠ ، تفسير الجلالين : ٤٢١ .

(٤) تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٥٦ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ . [آية : ١٧] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى ﴿ لَهۡوٗا ﴾ في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن اللهو هنا في هذه الآية بمعنى اللعب ، فقال : ((اللهو في لغة اليمن : الولد . وقيل : المرأة . و ﴿ مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي : من الملائكة ، فالمعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم ؛ فهو ردٌّ على من قال : إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، **والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب ؛ لاتصاله بقوله** : ﴿ ... لَٰعِبِينَ ﴾ [1] . وقال الزمخشري : المعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا ، ولكن ذلك لا يليق بنا ؛ لأنه مناقض للحكمة ، **وفي كلا القولين نظر**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

أصل اللهو في اللغة [3] : قال ابن فارس : " اللام والهاء والحرف المعتل أصلان صحيحان ، أحدهما : يدل على شغل عن شيء بشيء ، والآخر : على نبذ شيء من اليد " اهـ .

والأوَّل هو المراد هنا ؛ فاللهو هو كل شيء شغلك عن شيء فيكون قد ألهاك . واللهو : اللعب .

وترتب على الاختلاف في **معنى ﴿ لَهۡوٗا ﴾** هنا في هذه الآية اختلاف المفسرين في **معنى الآية** وحاصل اختلافهم في معنى اللهو ها هنا يرجع إلى ثلاثة أقوال :

---

(١) سورة الأنبياء : ١٦ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

(٣) ينظر (مادة : لهو) في : العين للخليل بن أحمد : ٤ / ٨٧ ، معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٢١٣ ، لسان العرب : ١٥ / ١٥٨ ، ٢٥٩ ، تاج العروس : ٣٩ / ٤٩٧ .

القول الأول : اللهو هنا الولد ، قاله ابن عباس ﷺ في رواية الكلبي [١] ، وهو قول السدي [٢] ، وعكرمة [٣] ، وذهب إليه مقاتل [٤] .

القول الثاني : اللهو هنا المرأة ، وهي لغة أهل اليمن ، قاله ابن عباس ﷺ أيضاً في رواية [٥] وهو قول الحسن [٦] ، وقتادة [٧] ، ومجاهد [٨] ، وجماعة من أهل اللغة [٩] ، **واستظهره** السمعاني وابن عادل [١٠] من المفسرين .

قالوا : " لأن الوطأ يسمى لهواً في اللغة ، والمرأة محل الوطأ " [١١] .

واستدلوا من كلام العرب : بقول **امرئ القيس** :

أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّني كَبِرتُ وَأَلاَّ يُحْسِنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي [١٢]

وقد جمع جماعة من المفسرين [١٣] بين القولين ، فقالوا : (لهوا) : ولداً وامرأة .

---

(١) نسبه الآلوسي إليه . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٢٠) إلى ابن أبي حاتم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦١٩) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٤ .

(٥) نسبه إليه الفراء ، والبغوي . ينظر : معاني القرآن للفرّاء: ٢ / ١٧١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤١ .

(٦) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٢٠ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٢ ، تفسير الطبري : ١٧ / ١٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٢٠ .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠) .

(٩) منهم : ابن سيده ، وابن منظور ، وأبو البقاء . ينظر (مادة : لهو) في : المحكم والمحيط الأعظم : ٤ / ٤٢٣ ، لسان العرب : ١٥ / ٢٥٩ ، الكليات : ٨٠١ .

(١٠) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٢ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٦٠ .

(١١) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٢ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٦٠ .

(١٢) نسبه إليه القرشي . ينظر : جمهرة أشعار العرب للقرشي :١٣ .

وامرؤ القيس هو : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار : أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يماني الأصل ، اشتهر بلقبه ، واختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل : حندج ، وقيل : مليكة ، وقيل : عدي . وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وأمه أخت المهلهل الشاعر ، فلقنه المهلهل الشعر ، فقاله وهو غلام ، ت سنة ٨٠ قبل الهجرة . ينظر : طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥١ ، الأغاني : ٩ / ٩٣ ، بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠ هـ) : ٤ / ١٩٩١ .

(١٣) منهم : الطبري ، والنحاس ، والماوردي ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والنسفي =

ويكون معنى الآية على هذا : لو أردنا لاتخذنا نساءً أو ولداً من أهل السماء لا من أهل الأرض .

ويكون ظاهر هذه الآية ردٌّ على من قال : المسيح ابن الله ، وعزير ابن الله – تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً – [١] .

قال **الرَّاغب** : " ومن قال : أراد باللهو المرأة والولد فتخصيص لبعض ما هو من زينة الحياة الدنيا التي جعل لهواً ولعباً " [٢] .

وقال **ابن تيمية** : " والذين فسروا اللهو بالولد والزوجة قالوا : ذلك لأن من المشركين من جعل لله ولدا وصاحبة ، وقالوا إنه ضاهى الحق ، وهم يسمون المرأة لهوا والولد لهواً ، وقال ابن قتيبة [٣] : أصل اللهو الجماع ، وكنى عنه باللهو " . اهـ [٤] .

القول الثالث : اللهو بمعنى اللعب [٥] ، روي عن ابن عباس [٦] ﷺ أيضاً ، **وهو ما رجَّحه**

= وابن كثير ، والجلالين . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٦٧ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٣ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ١ / ٣٤٥ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٢٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ ، تفسير الجلالين : ٤٢١ .

(١) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٥٤ ، الكشف والبيان للثعلبي : ٦ / ٢٧٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٧٧ تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٣ .

(٢) مفردات الرَّاغب (مادة : لهو) : ٤٥٥ .

(٣) عزاه السمر قندي وابن الجوزي وابن تيمية لابن قتيبة . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢٢ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ ، جامع الرسائل لابن تيمية : ١ / ٢١ . وينظر : تاج العروس (مادة : لهو) : ٣٩ / ٥٠١ ، ٥٠٢ . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية : ١ / ٢١ .

(٥) قال أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري في كتابه (الفرق بين المعاني : ٢٧٩) : " الفرق بين اللهو واللعب : أنه لا لهو إلا لعب وقد يكون لعب ليس بلهو ؛ لأن اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وغيره ، ولا يقال لذلك لهو وإنما لعب لا يعقب نفعًا ، وسمِّي لهواً لأنه يشغل عما يعني ؛ من قولهم : ألهاني الشيء أي شغلني ، ومنه قوله تعالى : (ألهاكم التكاثر) " . اهـ . وقال الكفوي في كلياته (٧٩٩) : " اللهو : صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به ، واللعب : طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به . وقيل : اللهو الاستمتاع بلذات الدنيا ، واللعب : العبث . وقيل : اللهو : الميل عن الجد إلى الهزل ، واللعب : ترك ما ينفع بما لا ينفع . وقيل : اللهو : الإعراض عن الحق ، واللعب : الإقبال على الباطل " . اهـ .

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٠ .

ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

ويكون معنى الآية على هذا : لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا ، ولكن ذلك لا يليق بنا ؛ لأنه مناقض للحكمة ، قاله الزمخشري [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

✖ وقد **اعترض ابن جُزيّ** على المعنيين – المعنى على القول الأول والثاني ، والمعنى الذي ذكره الزمخشري على القول الثالث – ، وقال : " وفي كلا القولين نظر " [٥] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ لَهْوًا ﴾ بمعنى اللعب ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، ومعنى الآية كما قال سيد قطب** : " ولو أراد الله سبحانه أن يتخذ لهواً لاتخذه من لدنه ؛ لهواً ذاتياً لا يتعلق بشيء من مخلوقاته الحادثة الفانية .

وهو مجرد فرض جدلي : ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ... ﴾ و ﴿ لَوۡ ﴾ – كما يقول النحاة – حرف امتناع لامتناع ؛ تفيد امتناع وقوع فعل الجواب لامتناع وقوع فعل الشرط فالله سبحانه لم يرد أن يتخذ لهواً فلم يكن هناك لهو ؛ لا من لدنه ولا من شيء خارج عنه " [٦] ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية : قوله تعالى قبل الآية التي معنا : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٦] . [٧]

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٤ .

(٢) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، و أبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، و **استظهره** الآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٠ السراج المنير : ٢ / ٥٥٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٩ ، روح المعاني : ١٧ / ١٨ ، الظلال : ٤ / ٢٣٧١ ، الوسيط : ٩ / ١٩٤ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠٧ .

(٤) منهم : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، والبقاعي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٢٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٧٣ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

(٦) الظلال : ٤ / ٢٣٧١ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ١٩٤ . وينظر قبله : تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٩ .

(٧) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ ، روح المعاني : ١٧ / ١٨ .

ثانياً : " إن نفي الولد سيجيء مصرحاً إن شاء الله تعالى [١] ، ويعلم من ذلك أن كون المراد الرد على النصارى وأضرابهم غير مناسب هنا " [٢] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية: في نوع ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن ﴿ إِن ﴾ هنا شرطية وجوابها فيما قبلها** ، فقال : ((﴿ إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾ يحتمل أن تكون ﴿ إِن ﴾ شرطية وجوابها فيما قبلها ، أو نافية ، **والأول أظهر**)) . اهـ [٤] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **نوع ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾** على قولين :

القول الأول : ﴿ إِن ﴾ شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب ﴿ لَوْ ﴾ عليه ، والتقدير : إن كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله ، لأنه لا يليق بالربوبية ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) وذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء نفسها : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٢٦] .

(٢) روح المعاني : ١٧ / ١٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٤ .

جُزيّ [١] ، وهو قول النحويين [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

قال الآلوسي :

" الظاهر من السِّياق أن ﴿ إِن ﴾ شرطية ؛ والجواب محذوف ثقة بدلالة ما قبل عليه ، أي : إن كنا فاعلين لاتخذناه من لدنا " . اهـ [٤] .

القول الثاني : ﴿ إِن ﴾ نافية ، أي : **ما كنا فاعلين** ، قاله مجاهد [٥] ، وقتادة [٦] ، وجماعة من السَّلف [٧] ، ومقاتل [٨] ، وجمهور [٩] المفسرين [١٠] .

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ . [سورة فاطر : ٢٣] . أي : ما أنت إلاَّ نذير [١١] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٤ .

(٢) نسبه ابن الجوزي إلى النحويين . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ .

(٣) منهم : البيضاوي ، والنسفي ، **واستظهره** أبو حيان ، والبقاعي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٨٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٧٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٨٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٧٣ ، تفسير الجلالين : ٤٢١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٣ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٣٩ ، روح المعاني : ١٧ / ١٩ .

(٤) روح المعاني : ١٧ / ١٩ . وينظر قبله : البحر المحيط : ٦ / ٢٨٠ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٢٠) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٢٢) ، وابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠) .

(٧) نسبه ابن كثير إلى السدي ، وإبراهيم النخعي ، ومغيرة بن مقسم أيضاً . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٤ .

(٩) نسبه الزَّجَّاج ، وابن الجوزي ، والشوكاني نقلاً عن الواحدي إلى المفسرين . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٨٧ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠١ .

(١٠) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ونسب ابن كثير هذا القول لجماعة من السلف ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٤٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٢ ، زاد المسير : ٥ / ٣٤٤ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣٧١ ، الوسيط : ٩ / ١٩٤ .

(١١) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ١٧١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٧٦ .

❖ **وجوَّز جماعة من النحويين [١] والمفسرين [٢] الوجهين .**

قال **الطاهر بن عاشور** :

" وجملة : ﴿ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ إن جعلت ﴿ إِن ﴾ شرطية فارتباطها بالتي قبلها ارتباط الشرط بجزائه المحذوف الدال عليه جواب ﴿ لَوْ ﴾ ، وهو جملة ﴿ لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ ﴾ فيكون تكريراً للتلازم ؛ وإن جعلت ﴿ إِن ﴾ حرف نفي كانت الجملة مستأنفة لتقرير الامتناع المستفاد من ﴿ لَوْ ﴾ ، أي : ما كنا فاعلين لهواً " . اهـ [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ تحتمل الوجهين ، وكونها شرطية أظهر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** .

قال **الفرَّاء** : " وهو أشبه الوجهين بمذهب العربية " [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) منهم : الزَّجَّاج ، والفرَّاء ، والسمين الحلبي . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٨٧ ، معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ١٧١ ، الدر المصون : ٥ / ٧٥ .

(٢) منهم : السمر قندي ، والماوردي ، والبغوي ، وابن عطية ، والعز بن عبد السلام ، والثعالبي ، وابن عادل ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢٢ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٤٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٧٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٢٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٣ ، تفسير ابن عادل : ١٣ /٤٦٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٨٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٧ /٢٨٠ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ١٧١ .

قوله تعالى : ﴿ ... كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . [آية : ٣٣] .

مسألة : في صفة الفلك وكيفيته في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أنه لا يعلم صفة ﴿ فَلَكٍ ﴾ ولا كيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود ، فقال : ((ومعنى الفلك : جسم مستدير . وقال بعض المفسرين : إنه من موج ، **وذلك بعيد** . **والحق** : أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **صفة الفلك في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ على أقوال منها :**

القول الأول : المراد بالفلك هنا السماء ، وهو المشهور [(٢)] عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)] ، والسدي [(٤)] ، وقاله قتادة [(٥)] ، وابن دريد [(٦)] ، وذهب إليه السمعاني ، والآلوسي [(٧)] من المفسرين .

وفيه القول باستدارة السماء .

القول الثاني : الفلك ليس بجسم ، وإنما هو **مدار هذه النجوم** ، أي : مجراها وسرعة سيرها

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٢) ذكر الآلوسي ذلك . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٤٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٢) ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٧ .

(٤) نسبه الآلوسي إليه . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٤٠ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير عند تفسير قوله تعالى في [سورة يس : ٤٠] : ﴿ ... وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ، ونسبه السمر قندي إليه . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٤ ، تفسير الطبري : ٢٣ / ٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٢٥ .

(٦) ينظر : جمهرة اللغة : ٢ / ٩٦٩ .

(٧) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٩ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٠ .

وهو قول الضحاك [١] ، وقول أهل اللغة [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

القول الثالث : الفلك أجسام تدور النجوم عليها ، استظهره أبو حيان [٤] ، وعليه **الأكثرون** [٥] ، واختلفت أقوال السلف [٦] في كيفية الفلك ؛ منها :

- **الفلك كهيئة حديدة الرحى** ؛ قاله مجاهد [٧] ، وابن جريج [٨] .
- **الفلك طاحونة مستديرة** كهيئة فلكة المغزل ، قاله ابن عباس ﷺ [٩] ، والحسن [١٠] ، ومجاهد في رواية [١١] ، وقاله جماعة من المفسرين [١٢] .
- **الفلك موج مكفوف** تجري الشمس والقمر والنجوم فيه [١٣] .

أي : مجموع تجري فيه الكواكب بدليل قوله : ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ ، والسباحة لا تكون إلا

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٣) .

(٢) نسبه الطاهر بن عاشور إلى أهل اللغة . ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٦١ . وينظر (مادة : فلك) : مفردات الرَّاغب : ٣٨٥ ، لسان العرب : ١٠ / ٤٧٨ ، تاج العروس : ٢٧ / ٣٠٢ ، كليات الكفوي : ٥١٦ . وينظر : التبيان في غريب القرآن للهائم المصري : ٢٩٥ .

(٣) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٧٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٣ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٨٨ .

(٥) نسب النيسابوري هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٨ .

(٦) **نقل أقوال السلف ولم يرجح** : البغوي ، والقرطبي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٦ . **ولم يتعرض لمعنى الفلك** كل من : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والسعدي ، والشنقيطي .

(٧) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٤١٠ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٢) . وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٨ .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٢) .

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٧ .

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٢٣) .

(١١) عزاه السيوطي أيضاً إلى عبد بن حميد . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٨ .

(١٢) ذكر ابن أبي زمنين قول الحسن ، وقاله الجلالين ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٤ / ٤٥ تفسير الجلالين : ٤٢٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٨ .

(١٣) نسب النسفي ، وأبو حيان ، والآلوسي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٨٨ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٠ . ولم أجد في حدود ما اطلعت مفسراً قال بهذا القول ؛ وإنما ورد حديث عن ابن عباس ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله ما هذه السماء ؟ قال : " موج مكفوف عنكم " قال ابن كثير : **إسناده غريب** . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٨ . وجاءت روايات متعددة بألفاظ متعددة في هذا المعنى .

في الماء .

✖ **ورُدَّ** : بأنه يقال : فرس سابح ؛ إذا كان يحسن مد اليدين في الجري [١] .

✖ وقال **ابن جُزيّ** : " وهذا بعيد " [٢] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أنه لا يعلم صفة ولا كيفية الفلك إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه الطبري ، والفخر الرازي ، والخازن** [٣] .

قال **الطبري** :

" الفلك في كلام العرب كل شيء دائر ، وجمعه أفلاك ، وإذ كان كل ما دار في كلامها ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان ؛ الواجب أن نقول فيه ما قال ، ونسكت عما لا علم لنا به " . اهـ [٤] .

وذكر **ابن تيمية** أنه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من علماء الأمَّة أن الأفلاك مستديرة [٥] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" والفلك فسَّره أهل اللغة بأنه : مدار النجوم ، كذلك فسَّره المفسرون بهذه الآية ، ولم يذكروا أنه مستعمل في هذا المعنى في كلام العرب ، ويغلب على ظنه أنه من مصطلحات

---

(١) ينظر : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (مادة : سبح) : ٢ / ٣٣٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٨ ، ١٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٣ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٤٥ تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٧ / ٢٣ .

(٥) ينظر : منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) : ٥ / ٤٤٢ . وينظر : أضواء البيان : ٨ / ٤٢٥ .

القرآن ، ومنه أخذه علماء الإسلام ، وهو أحسن ما يعبر عنه عن الدوائر المفروضة التي يضبط بها سير كوكب من الكواكب وخاصة سير الشمس وسير القمر .

والأظهر أن القرآن نقله من فلك البحر ، وهو : الموج المستدير ، بتنزيل اسم الجمع منزلة المفرد، والأصل الأصيل في ذلك كله فَلْكة المغزل – بفتح الفاء وسكون اللام – وهي خشبة مستديرة في أعلاها مسمار مثني يدخل في الغزل ويدار لينفتل الغزل " . اهـ [١] .

وقال **القاسمي** :

" قال بعض علماء الفلك : تشير الآية إلى حركة هذه الكواكب كآية : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [٢] ، وهما تدلان على أن حركة الكواكب ذاتية . لا كما يقول القدماء من أن الكواكب مركوزة في أفلاكها التي تدور بها ، وبدورانها تتحرك الكواكب " [٣] .

وعرف **السيوطي** فَلَكُ البروجِ بأنه :

دائرة ترسمها الشمس بسيرها من المشرق إلى المغرب في السَّنة [٤] .

هذا هو معنى الفلك عند علماء المسلمين ؛ فما معنى الفلك عند الكونيين اليوم ؟

عرفت دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي عالم الفلك بأنه : عالم مداره الأجرام العلوية ، أي الشموس والسيارات والثوابت وتوابعها وذوات الأذناب ، وهو قسمان نظري وعملي :

- فالأول : يصف تلك الأجرام ويبين لنا أبعادها عن الشمس وحركتها وفصولها السنوية وهيئاتها .
- الثاني : يبحث عن كيفية رصد تلك الأجرام .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٧ / ٦١ .
(٢) سورة التكوير : ١٥ ، ١٦ .
(٣) تفسير القاسمي : ١١ / ٢٥٣ .
(٤) معجم مقاليد العلوم لأبي الفضل ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) : ١٣٩ .

وبهذا يظهر أن كلمة (الفلك) وضعت في اللغة العربية للاستدارة ، إذ هي تطلــق على الرحى ، وعلى الأرض ، وكثيب الرمل المرتفع ، وتطلق على الموج المستدير المتردد ، ثم نقلت وأطلقت على هذا العلم وما يتعلق به [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) نقله الشيخ إسماعيل القريشي في مقاله : التفكر في خلق الله ، ألفاظ كونية عن : معجم المصطلحات الفنية (ملحق بموسوعة بهجة المعرفة – الكون –) : ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، من مجلة : " الإعجاز العلمية " مجلة فصلية تصدر عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، رابطة العالم الإسلامي ، العدد الرابع .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ . [آية : ٣٤] .

مسألة : سبب الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن سبب الآية أنهم تمنوا موته ليشمتوا به ، فقال : ((﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [١] سببها : أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت . وقيل : إنهم تمنوا موته ليشمتوا به ، **وهذا أنسب لما بعده**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في سبب الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : سبب الآية : أن الكفار تمنوا موت النبي ﷺ ليشمتوا به ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٣] ، ووافقه **أكثر** [٤] المفسرين [٥] .

---

(١) **استدل بهذه الآية الكريمة أن الخضر عليه السلام مات وليس بحي إلى الآن** ؛ لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً . والدليل على أن الخضر ليس بباقٍ في الدنيا أربعة أشياء القرآن (هذه الآية التي معنا) والسُّنة ، وإجماع المحققين من العلماء ، والمعقول ، نقله ابن القيم عن ابن الجوزي . ينظر : نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ١ / ٦٣ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٦ .

(٤) نسب النيسابوري هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٠ .

(٥) منهم : الثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن والبقاعي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، ولم يقل الآلوسي بغيره ، والسعدي ، ولم يقل الطاهر بن عاشور بغيره ، و **استظهره** الشنقيطي ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول القرطبي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٧٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٧٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٤ الكشاف : ٣ / ١١٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٠ تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٤ ، نظم الدرر : ٥ / ٨٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٦ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠٦ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٤ ، تفسير السعدي : ٥٢٣ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٦٣ ، أضواء البيان : ٤ / ١٤٥ ، الوسيط : ٩ / ٢٠٧ .

قال **القرطبي** : " نزلت حين قالوا : نتربَّص بمحمَّد ريب المنون ؛ وذلك أن المشركين كانوا يدفعون نبوته ؛ ويقولون : شاعر نتربص به ريب المنون ، ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان . فقال الله تعالى : قد مات الأنبياء من قبلك وتولى الله دينه بالنصر والحياطة ؛ فهكذا نحفظ دينك وشرعك " [١] .

القول الثاني : سبب الآية : أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت ، قاله السمرقندي ، والجلالين [٢] من المفسرين .

القول الثالث : لما نعى جبريل للنبي ﷺ نفسه قال : يا رب فمن لأمتي ؟ فنزلت ، قاله ابن جريج [٣] .

القول الرابع : إن قوماً قالوا : إن محمداً لن يموت وإنما هو مخلد ، فأنكر ذلك الرسول ﷺ فنزلت ، قاله مقاتل [٤] ، وحكاه عنه ابن الجوزي [٥] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن جميع الأقوال المذكورة في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ... ﴾ أسباب ظنية ؛ لم تثبت بأي طريق صحيح ؛ وكلها محتملة ؛ وقد ذكر بعض الأقوال ولم يرجح جماعة من المفسرين** [٦] .

كما أن الطبري ، وابن كثير ، والثعالبي لم يذكروا للآية سبباً [٧] .

✌ **لكن الأقرب : أن يكون سبب الآية أنهم تمنوا موت الرسول ﷺ ليشمتوا به ، فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا ، أي قضى الله تعالى أن لا يخلد في الدنيا بشراً فلا أنت**

---

(١) تفسير القرطبي : ١١ / ٢٨٧ . وينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٤٢٥ ، تفسير الجلالين : ٤٢٣ .
(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٢٨ ، لباب النقول : ١٤٧ .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٧ .
(٥) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٥٠ .
(٦) منهم : ابن عطية ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨١ التفسير الكبير : ٢٢ / ١٤٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٥ .
(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٥ .

ولا هم إلا عرضة للموت أفإن مت أنت أيبقى هؤلاء ؟ ! .. لا . وفي معناه قول الفرزدق [١] :

فَقُلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سيلقى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

وقول **الإمام الشافعي** :

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمُتْ فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

فَقلْ للذِي يبغِي خلافَ الذِي مَضَى تهيــأ لأخرى مثلــها فكأن قدِ [٢]

وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أكثر المفسرين ، واستظهره الشنقيطي [٣] ؛ إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : لأن السورة مكية [٤] ، أي : نزلت الآية في الوقت الذي كان يُكذب ويُتمنى موته صلوات الله وسلامه عليه .

ثانياً : القرينة القرآنية : هذا السبب أنسب لما بعده ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ ... **أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ** ﴾ [٥] ؛ فمعنى الآية : أن الله لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد ؛ أي : دوام البقاء في الدنيا ، بل كلهم يموت [٦] .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٧] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه أبو القاسم الأصفهاني في محاضرات الأدباء (٢ / ٥٢٠) . ولم أقف عليه في ديوان الفرزدق .
(٢) ديوان الإمام الشافعي لمحمَّد بن إدريس الشَّافعي (ت ٢٠٤ هـ) : ٣٦ .
(٣) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ١٤٥ .
(٤) ينظر : برهان الزَّركشي : ١ / ١٩٣ ، إتقان السيوطي : ١ / ٣٦ .
(٥) سورة الأنبياء : ٣٤ .
(٦) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ١٤٥ .
(٧) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ . [آية : ٣٦] .

مسألة : في إعراب ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن جملة ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ في موضع الحال أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة ، فقال : ((﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ الجملة في موضع الحال ؛ أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة . وقيل : معنى : ﴿ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ تسميته بهذا الاسم ؛ لأنهم أنكروها . **والأول أغرق في ضلالهم**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **إعراب ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾** على قولين :

القول الأول : جملة ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ في موضع الحال [٢] ؛ **أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٦ .

(٢) الجملة حالية من فاعل القول المقدر ، أي : يقولون ذلك وهم على هذه الحالة .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٦ .

(٤) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والنسفي ، و **استظهره** أبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن كثير ، وابن عادل ، وأبو السعود ،والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، والشنقيطي والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٦ ، الكشاف : ٣ / ١١٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٨٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٤٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٢٩٠ الدر المصون : ٥ / ٨٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٩ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٨ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٦٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤٠٧ تفسير القاسمي : ١١ / ٢٥٥ ، روح المعاني : ١٧ / ٤٨ ، الظلال : ٤ / ٢٣٧٩ ، أضواء البيان : ٤ / ١٤٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٦٦ ، الوسيط : ٩ / ٢٠٩ .

واستدل له بالنظير القرآني :

هذا المعنى الذي دلت عليه الآية جاء مبيناً في سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ . [سورة الفرقان : 41 ، ٤٢] . (١)

القول الثاني : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول لا غير ؛ ومعنى : ﴿ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ تسميته بهذا الاسم ؛ لأنهم أنكروها ، قاله ابن عباس رضي الله عنه (٢) ، ومقاتل (٣) ، وذهب إليه جماعة من المفسرين (٤) .

قال السمعاني : " وذلك لأنهم كانوا يقولون : لا نعرف الرَّحمن إلا مسيلمة " (٥) .

واستدل له : بما ثبت عن مقولة الكفار وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٦٠] .

✖ قال الآلوسي : " وليس بشيء كما لا يخفى " (٦) .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن جملة ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ في موضع الحال ؛ أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ؟ فهم أحق بالملامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، وهو الظاهر من سياق الآيات ، فالكفار قد أنكروا اسم ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ وثبت هذا في سورة الفرقان كما**

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٧٩ ، أضواء البيان : ٤ / ١٤٨ .
(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٧١ .
(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٥٨ .
(٤) منهم : الطبري ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٣٨٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٤ ، زاد المسير : ٥ / ٣٥٠ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٨٧ ، السراج المنير : ٢ / ٥٥٨ .
(٥) تفسير السمعاني : ٣ / ٣٨٠ . وينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٤ .
(٦) روح المعاني : ١٧ / ٤٨ .

ذكرنا ؛ لكن الراجح ما ذكره ابن جُزيّ لأنه أغرق في ضلالهم [١] **، وقد رجَّحه بعض أئمة النحو كالزمخشري ، والسمين الحلبي** [٢] .

قال **سيد قطب** مفسراً للآية :

" إن هؤلاء الكفار يكفرون بالرحمن ، خالق الكون ومدبره ؛ ليستنكرون على الرسول ﷺ أن يذكر آلهتهم الأصنام بالسوء ، بينما هم يكفرون بالرحمن دون أن يتحرجوا أو يتلوموا .. وهو أمرٌ عجيبٌ جدُّ عجيب !

وإنهم ليلقون رسول الله ﷺ بالهزء ، يستكثرون عليه أن ينال من أصنامهم تلك : ﴿ ... أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٣٦] . ولا يستكثرون على أنفسهم – وهم عبيد من عبيد الله – أن يكفروا به ، ويعرضوا عما أنزل لهم من قرآن .. وهي مفارقة عجيبة تكشف عن مدى الفساد الذي أصاب فطرتهم وتقديرهم للأمور ! " . اهـ [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٦ .

(٢) قالوا الجملة حالية . وذكر الزمخشري وجها آخر قائلا : " والجملة في موضع الحال أي : يَتَّخِذُونَكَ هُزُواً ؛ وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله " . اهـ . فجعل الجملة الحالية العامل فيها ﴿ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ المحذوفة وكررهم على سبيل التوكيد ، وذكر السمين الحلبي وابن عادل أن الجملة حالية وذكرا الوجهين و لم يرجحا بينهما أيضاً . ينظر : الكشاف : ٣ / ١١٨ ، الدر المصون : ٥ / ٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٤٩٨ .

(٣) الظلال : ٤ / ٢٣٧٩ .

قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ . [آية : ٥٨] .

مسألة: في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله:

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ للصنم الكبير ، فقال : ((﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ الضمير للصنم الكبير ، أي : يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء . وقيل : الضمير لإبراهيم عليه السلام ؛ أي : يرجعون إليه فيبين لهم الحق)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير للصنم الكبير ، أي : يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ؛ فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء ، قاله مقاتل [(٢)] ، وهو قول الكلبي [(٣)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(٤)] ووافقه جماعة من المفسرين [(٥)] .

واستدل له بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٦٤] . وذلك حين رأوا

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٨ .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٦٢ .

(٣) نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٠١ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٨ .

(٥) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والزمخشري ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وابن كثير ، والجلالين ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٣٠ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٥١ ، الكشف والبيان : ٦ / ٢٧٩ ، الكشاف : ٣ / ١٢٤ ، زاد المسير : ٥ / ٣٥٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٨٣ ، تفسير الجلالين : ٤٢٦ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٦٥ ، روح المعاني : ١٧ / ٦٢ ، تفسير السعدي : ٥٢٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣٨٦ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٩٨ .

ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي [١] .

قال **الزمخشري** :

" ومعنى هذا : لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات ، فيقولون له : ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك ؟ قال هذا بناء على ظنه بهم ، لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها . أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالاً ، وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل مشكل .

فإن قلت : فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم ، فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً ؟

قلت : إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر ، وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم " . اهـ [٢] .

وقال **ابن كثير** :

" ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها " . اهـ [٣] .

✘ **وضَعَّف ابن عطية** هذا القول ؛ وذلك لدخول الترجي في الكلام [٤] .

✓ **وتعقبه الآلوسي** بقوله : " لا إشكال في دخول (لعل) في الكلام ؛ ولعل هذا الوجه أسرع الأوجه تبادراً " . اهـ [٥] .

القول الثاني : الضمير لإبراهيم عليه السلام ؛ أي : يرجعون إليه فيبين لهم الحق ، قاله

---

(١) ينظر : تفسير السعدي : ٥٢٦ .
(٢) الكشاف : ٣ / ١٢٤ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ١٨٣ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٦ .
(٥) روح المعاني : ١٧ / ٦٢ .

الزَّجَّاج [١] ، **واستظهره** ابن عطية والثعالبي [٢] ، وذهب إليه **جمهور** [٣] المفسرين [٤] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فيحتمل عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الصنم الكبير ، يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ؛ فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء ، ويحتمل عوده إلى إبراهيم عليه السلام ؛ يرجعون إليه فيبين لهم الحق ، وقد قيل بكلٍّ .**

✌ **وقد جوَّز القولين جماعة من المفسرين ، منهم :** البغوي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي ، وابن عادل [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٣٩٦ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٠ .

(٣) نسب الآلوسي هذا القول إلى الجمهور . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٦٢ .

(٤) منهم : الواحدي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧١٨ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٢٩٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٠١ ، نظم الدرر : ٥ / ٩٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٧٤ ، السراج المنير : ٢ / ٥٦٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤١٣ .

(٥) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٤٨ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٥٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٤ ، تفسير الخازن : ٤ / ٢٩٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠ ، الدر المصون : ٥ / ٩٥ تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٢٦ .

قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ . [آية : 60] .

مسألة : في إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ ، فقال : ((قيل : إن إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ منادى . وقيل : خبر ابتداء مضمر . وقيل : رفع على الإهمال . **والصَّحيح** : أنه مفعول لم يسم فاعله لأن المراد الاسم لا المسمَّى ، **وهذا اختيار ابن عطية والزَّمخشري**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بناء على الا خلاف بين النحويين [٢] على تسلط القول على المفرد الذي يؤدي معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة ، ولا هو مصدر لـ (قال) ، ولا هو صفة لمصدره نحو : قلت زَيْداً ، أي : قلت هذا اللفظ .. اختلف النحويون والمفسرون في **إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾** على أربعة وجوه :

الوجه الأول : منادى .

الوجه الثاني : خبر ابتداء مضمر [٣] ، قاله مكي بن أبي طالب [٤] ، والبيضاوي والشوكاني [٥] من المفسرين .

وعلى هذه الوجهين فهو مقتطع من جملة ، وتلك الجملة محكية بـ (يُقَالُ) [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٨ .

(٢) أجاز هذا جماعة كالزَّجَّاجي ، والزمخشري ، وابن خروف (علي بن محمد النحوي ت ٦٠٩ هـ) وابن مالك (ت ٦٧١ هـ) ، ومنعه آخرون . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٢٨ .

(٣) جوَّز الزَّجَّاج ، والسمر قندي ، والفخر الرازي الوجهين الأول والثاني . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٩٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٣٠ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٥٩ .

(٤) ينظر مشكله : ٢ / ٤٨٠ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤١٤ .

(٦) حكاه ابن عادل في تفسيره (١٣ / ٥٢٨) .

الوجه الثالث : مفعول لم يسمَّ فاعله ، وهذا اختيار الزَّمخشري وابن عطية [١] ، وجوَّزه البيضاوي [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

قال **الزمخشري** وغيره : " لأن المراد الاسم لا المسمَّى " [٥] .

الوجه الرابع : رفع على الإهمال ، قاله **الأعلم** [٦] .

واستدل له بأنه :

" لم يتقدمه عامل يؤثر في لفظه ؛ إذ القول لا يؤثر إلا في المفرد المتضمن لمعنى الجملة فبقي مهملاً ، والمهمل إذا ضم إلى غيره ارتفع ، نحو قولهم : واحد واثنان ، وإذا عدوا و لم يدخلوا عاملاً لا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا بعض أسماء العدد على بعض " [٧] .

✘ **وتعقَّبه :**

ابن عطية فقال : " لما رأى وجوه الرفع كأنها لا توضح المعنى الذي قصدوه ذهب إلى رفعه بغير شيء كما قد يرفع التجرد والعرو عن العوامل الابتداء " . اهـ [٨] .

و**الآلوسي** أيضاً فقال : " ولا يخفى أن كلام هذا الأعلم لا يقوله إلا الأجهل ، ولأن يكون

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٢٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٩٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٨ .

(٤) منهم : النسفي ، و**صحَّحه** النيسابوري ، واحتمله ابن عادل ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٣٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٧٤ ، روح المعاني : ١٧ / ٦٤ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٩٩ .

(٥) الكشاف : ٣ / ١٢٤ . وينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ ، التسهيل : ٣ / ٢٨ .

(٦) نسبه ابن عطية إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ .
و**الأعلم** هو : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي ، **أبو الحجاج** الإشبيلي المعروف بالأعلم : عالم بالأدب واللغة . كفَّ بصره في آخر عمره ومات في إشبيلية ، كان مشقوق الشفة العليا ، فاشتهر بالأعلم . ت سنة ٤٧٦ هـ . ينظر : السِّير : ١٨ / ٥٥٥ – ٥٥٧ ، الوافي بالوفيات : ٢٩ / ٩٠ ، بغية الوعاة : ٢ / ٣٥٦ .

(٧) روح المعاني : ١٧ / ٦٤ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٨٧ .

الرجل أفلح أعلم خير له من أن ينطق بمثله ويتكلم " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز الأوجه الثلاثة الأولى ، فيجوز أن يكون إعراب ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ :**

- ✓ منادى .
- ✓ أو خبر ابتداء مضمر
- ✓ أو مفعول لم يسم فاعله .

قال بذلك **العكبري** [٢] ، وذكر **القرطبي وأبو حيان** هذه الوجوه من الإعراب و لم يرجِّحا وجهاً منها [٣] ؛ فكلٌّ وجهٍ من الإعراب صحيح .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) روح المعاني : ١٧ / ٦٤ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري : ٢ / ٩٢١ .

(٣) ذكر القرطبي وأبو حيان جميع الأوجه وأبطل أبو حيان قول الأعلم ؛ و لم يرجحا وجهاً من الإعراب . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٩٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٠٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴾ . [آية : ٧٤] .

مسألة : بم انتصب ﴿ وَلُوطًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ وَلُوطًا ﴾ انتصب بالعطف على موسى وهارون ، أو ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [١] ، فقال : ((﴿ وَلُوطًا ﴾ قيل : إنه انتصب بفعل مضمر يفسره ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ ﴾ ، **والأظهر** أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون ، أو ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٢] ، وانتصب ﴿ وَنُوحًا ﴾ [٣] و ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ [٤] وما بعدهم بالعطف أيضاً . وقيل : بفعل مضمر تقديره : اذكر)) . اهـ [٥] .

الدراسة :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ... ﴿٥١﴾ ... وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ... **وَلُوطًا** ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ ... وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٥١ - ٧٨] .

اختلف أهل العلم والمفسرون **بم انتصب ﴿ وَلُوطًا ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ ﴾ لأن قبله فعلاً ، قاله الزَّجَّاج [٦] ، ومكي بن أبي طالب [٧] ، والعكبري [٨] ، وجماعة من المفسرين [٩] .

---

(١) سورة الأنبياء : ٥١ .
(٢) سورة الأنبياء : ٥١ .
(٣) سورة الأنبياء : ٧٦ .
(٤) سورة الأنبياء : ٧٨ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٢٩ .
(٦) ينظر معانيه : ٣ / ٣٩٨ .
(٧) ينظر مشكله : ٢ / ٤٨١ .
(٨) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٢٣ .
(٩) منهم : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي ، والشوكاني ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٢٨٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٥٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٠ =

قال الزَّجَّاج : " فالمعنى : وأوحينا إليهم وآتينا لوطاً وآتيناه حكماً وعلماً " [١] ، فهي من الاشتغال ، قاله السمين الحلبي [٢] ، وأبو حيان [٣] .

كما قال في الخلاصة :

فالسابق انصبه بفعل أضمرا حتماً موافق لما قد أظهرا [٤]

القول الثاني : ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : اذكر ، جوَّزه الزَّجَّاج [٥] ، وابن الجوزي [٦] ، واحتمله العكبري [٧] . [٨]

قال ابن الجوزي : " وهذا جائز لأن ذكر ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٩] قد جرى ؛ فحمل لوط على معنى : واذكر " [١٠] .

القول الثالث : ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بالعطف على جملة ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [١١] ، وهو قول أبي مسلم [١٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٣] ، ووافقه ابن عاشور [١٤] . [١٥]

= تفسير القرطبي : ١١ / ٣٠٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤١٦ ، أضواء البيان : ٤ / ١٦٨ ، الوسيط : ٩ / ٢٣١ . **ولم يتعرض الزمخشري ولا البيضاوي ولا الثعالبي لإعرابه** .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٣٩٨ .

(٢) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٠٠ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٠٦ .

(٤) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ١٢٩ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٣٩٩ .

(٦) ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٦٩ .

(٧) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٢٤ .

(٨) جوَّز الوجهان الأول والثاني : الفرَّاء في معانيه (٢ / ١٧٨) والطبري في تفسيره (١٧ / ٤٩) والخطيب الشربيني في السراج المنير (٢ / ٥٦٩) ، وذكر الوجهين و لم يرجح : أبو السعود في تفسيره (٦ / ٧٨) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٩٨) ، و الآلوسي في روح المعاني (١٧ / ٧٢) .

(٩) سورة الأنبياء : ٥١ .

(١٠) زاد المسير : ٥ / ٣٦٩ .

(١١) سورة الأنبياء : ٥١ .

(١٢) نسبه إليه : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٤٧ .

(١٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٩ .

(١٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١١١ .

(١٥) ذكر القولين الأول والثالث و لم يرجح : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : =

وذكر ابن جُزيّ أن الأظهر أنه منصوب بالعطف على موسى وهارون [١] ، **ولم يجر ذكر** لموسى وهارون عليهما السلام في السورة بأكملها ؛ فكيف يعطف ﴿ **وَلُوطًا** ﴾ عليهما ؟! .

قال أبو مسلم : " ولا بُدَّ من ضمير في قوله : ﴿ وَلُوطًا ﴾ كأنه قال : وآتينا لوطاً ، فهو منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده تقديره : وآتينا لوطاً آتيناه ، فهي من **الاشتغال** [٢] والنصب في مثله هو الرَّاجح ، ولذلك لم يقرأ به لعطف جملته على جملة فعلية وهو أحد المرجحات " . اهـ [٣] .

قال الطاهر بن عاشور : " ولأجل البُعد أُعيد فعل الإيتاء ليظهر عطفه على ﴿ ... ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ... ﴾ [٤] ، ولم يُعَد في قصة نوح عليه السلام عَقِب هذه " . اهـ [٥] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **جواز أوجه الإعراب الثلاثة ، فيجوز أن يكون قوله : ﴿ وَلُوطًا ﴾ :**

انتصب **بفعل مضمر يفسره ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ ﴾** فهو من الاشتغال ، أو انتصب **بفعل مضمر تقديره : اذكر** ، أو انتصب **بالعطف على جملة ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾** .

فكلُّ وجهٍ منهم جائز في اللغة .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= ٢٢ / ١٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٤٧ .

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٢٩ .

(٢) قال ابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك : " **الاشتغال** : أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببه، وهو المضاف إلى ضمير الاسم السابق ، فمثال المشتغل بالضمير : زيداً ضربته ، وزيداً مررت به ، ومثال المشتغل بالسببي : زيدا ضربت غلامه ، وهذا هو المراد بقوله : إن مضمر اسم إلى آخره . والتقدير إن شغل مضمر اسم سابق فعلاً عن ذلك الاسم المضمر لفظاً ؛ نحو : زيداً ضربته ، أو بنصبه محلاً ؛ نحو : زيداً مررت به ، فكل واحد من (ضربت) و (مررت) اشتغل . ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ١٢٩ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٤٧ .

(٤) سورة الأنبياء : ٥١ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٧ / ١١١ .

قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ [١] إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ . [آية : 87] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ أن يونس عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه ، فقال : ((﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ أي : مغاضباً لقومه ؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم ، ولذلك قال الله : ﴿ ... وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ... ﴾ [٢] . **ولا يصحُّ** قول من قال : مغاضباً لربِّه)) . اهـ [٣] .

الدراسة :

إن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى [٤] ، فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً [٥] فالتقمه الحوت ، و قوله :

---

(١) لقب يونس عليه السلام بذي النون لابتلاع الحوت له ؛ فإن النون من أسماء الحوت ، قال بذلك جمهور المفسرين . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٢ ، الكشاف : ٣ / ١٣٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٩٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٠٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٢٠ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٠ . وقيل : سمي ذا النون لأنه رأى صبياً مليحاً فقال : دسموا نونته لئلا تصيبه العين . وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي أن نونة الصبي هي الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ، ومعنى دسِّموا : سوِّدوا . ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٢٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٠ .

(٢) سورة القلم : ٤٨ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣١ .

(٤) **نِيْنَوَى** : - بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو - (بوزن طيطوى) وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٥ / ٣٣٩ .

(٥) ووعد يونس عليه السلام قومه بالعذاب بعد ثلاث ، فلما تحققوا منه ذلك ؛ وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ، ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وحملانها ؛ فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ٩٨] . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ .

﴿ مُغَـضِبًا ﴾ حال من فاعل ﴿ ذَّهَبَ ﴾ ، والمفاعلة هنا يحتمل أن يكون بمعنى : غضبان ، فلا مشاركة ؛ كعاقبت وسافرت ، وتحتمل أن تكون على بابها من المشاركة ، غاضَبْتُ فُلَاناً : أَغْضَبْتُه وأَغْضَبَنِي ؛ والعامة على ﴿ مُغَـضِبًا ﴾ اسم فاعل [١] .

ثم اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَـضِبًا ﴾ التي تقتضي المشاركة** على قولين [٢] :

القول الأول : معناه : **مغاضباً لقومه** [٣] **لكفرهم** ، قاله ابن عباس ﷺ [٤] ، والضحاك [٥]

---

(١) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٠٤ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٧٧ . وينظر : تاج العروس (مادة : غضب) : ٣ / ٤٨٦ .

(٢) وهناك قولان آخران وهما :
الأول : خرج مغاضباً للملك الذي كان في وقته ، واسمه : حزقيا ، وهو قول الأخفش وثعلب .
الثاني : لم يغاضب ربه ، ولا قومه ، ولا الملك ، ولكنه مأخوذ من غضب ؛ إذا أنف ، وذلك أنه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم تابوا وكشف الله عنهم العذاب ؛ فلما رجع وعلم أنهم لم يهلكوا أنف من ذلك فخرج عنهم . ومن استعمال الغضب في هذا المعنى قول الشاعر : وأغضب أن تهجى تميم بعامر ... أي : أنف . قال القرطبي : وهذا فيه نظر ؛ فإنه يقال لصاحب هذا القول : إن تلك المغاضبة وإن كانت من الأنفة فالأنفة لا بد أن يخالطها الغضب ، وذلك الغضب وإن دق على من كان ؟! وأنت تقول : لم يغضب على ربه ولا على قومه ! . ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٣٥ ، ياقوتة الصراط لثعلب : ٣٦٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣١ فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٢٠ .

(٣) وفي غضبه عليهم ثلاثة أقوال :
أحدها : أن الله تعالى أوحى إلى بني نبي يقال له : (شعيا) أن ائت فلان الملك فقل له : يبعث نبيّاً أميناً إلى بني إسرائيل ، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك وسبا منهم الكثير ، فأوحى النبي والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلمه حتى يرسلهم ، فقال يونس لشعيا : هل أمرك الله بإخراجي ؟ قال : لا . قال : فهل سماني لك ؟ قال : لا . قال : فهاهنا غيري من الأنبياء . فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي والملك ولقومه ، هذا مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ .
والثاني : أنه عانى من قومه أمراً صعباً من الأذى والتكذيب ، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا ضجراً ، وما ظن أن هذا الفعل نوجب عليه ما جرى من العقوبة ، ذكره ابن الأنباري . وقد روي عن وهب بن منبه قال لما حملت عليه أثقال النبوة ضاق بها ذرعا و لم يصبر ، فقذفها من يده وخرج هارباً .
والثالث : أنه لما أوعدهم العذاب فتابوا ورفع عنهم قيل له : ارجع إليهم . فقال : كيف أرجع فيجدوني كاذباً فانصرف مغاضباً لقومه عاتباً على ربه . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ٣٨١ ، ٣٨٢ . وروي غير ذلك . ينظر قبله : تفسير البغوي : ٣ / ٢٦٥ .

(٤) أخرجه ابن جرير ، ونسبه الثعلبي والسمعاني إليه ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى البيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣٠١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٢ . الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ .

(٥) أخرجه ابن جرير ، ونسبه الثعلبي وابن كثير إليه ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن =

ومقاتل [١] ، **وصحَّحه القاضي عياض** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

" قال أهل العلم : و لم يكن يونس عليه السلام من أولي العزم من الرسل ، وكان ضيق الصدر ، فلما وضع عليه أعباء النبوة تفسخ تحتها كما يتفسخ الربع ، وهذا القول مأثور عن السلف " [٥] .

واستدل له : بقول الله لنبيِّه ﷺ : ﴿ ... وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ... ﴾ [٦] . [٧]

قال ابن عباس رضي الله عنه : نهاه أن يتشبه بصاحب الحوت ؛ حيث لم يصبر صبر أولي العزم [٨] .

القول الثاني : معناه : **مغاضباً لربِّه** ، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه [١] ، وبه قال الحسن

= أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٦ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣٠١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٦٧ .

(٢) ينظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤ هـ) : ٢ / ٩٢ .
والقاضي عياض هو : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل الأندلسي المالكي ، الإمام العلامة الحافظ ، شيخ الإسلام القاضي ، صاحب التصانيف ، ت سنة ٥٤٤هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٨٣ - ٤٨٥ ، تذكرة الحفاظ : ٤ / ١٣٠٤- ١٣٠٧ ، السِّير : ٢٠ / ٢١٢ - ٢١٨ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ .

(٤) منهم : الصنعاني ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، و **رجَّحه** السمعاني ، والزمخشري ، واحتمله الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، والبقاعي ، ومال إليه الثعالبي (نقل تصحيح القاضي عياض له) ، والجلالين ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ١٥٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٣٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٥٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٣ ، الكشاف : ٣ / ١٣٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٠٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٧ ، تفسير الجلالين : ٤٢٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٢ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٣ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤١ ، الوسيط : ٩ / ٢٤٤ .
وقال به : مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن (٢ / ٤٨١) ، وابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٣) ، والتفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام (٢ / ١٩٧) .

(٥) تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٣ .

(٦) سورة القلم : ٤٨ .

(٧) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣١ .

(٨) نسبه ابن القيِّم إليه وإلى غيره من السلف . ينظر : التفسير القيِّم : ٤٩٨ ، عدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيِّم أيضاً : ٢٤ .

والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير وجماعة [٢] ، وذهب إليه الطبري [٣] ، **وبالغ في نصرته ابن قتيبة** [٤] ، واستحسنه **المهدوي** [٥] ، وذهب إليه النحاس [٦] ، **وصحَّحه ابن سيده** [٧] ، ورجَّحه القرطبي [٨] وحسَّن قول النحاس . [٩]

وكره هذا القول كثير من العلماء ؛ لأن من أغضب ربه فقد ارتكب كبيرة عظيمة[١٠] ولا يناسب منصب النبُوَّة [١١] .

✖ قال **ابن حزم مشنعاً** على أصحاب هذا القول : " أما أخبار الله تعالى أن يونس ذهب مغاضباً فلم يغاضب ربه قط ؛ ولا قال الله تعالى أنه غاضب ربه ؛ فمن زاد هذه الزيادة كان قائلاً على الله الكذب ، وزائداً في القرآن ما ليس فيه ، هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل ؛ أنه يغاضب ربه تعالى فكيف أن يفعل ذلك نبيٌّ من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم **وصحَّح** ابن حجر إسناده . ينظر : فتح الباري : ٦ / ٤٥٢ .

(٢) نسبه الثوري إلى سعيد بن جبير ، وأخرجه ابن جرير عن الشعبي ؛ ونسب البغوي هذا القول إلى سعيد وعروة وجماعة ، ونسبه ابن الجوزي وابن كثير إلى الحسن ، والشعبي ، وسعيد ، وعروة . ينظر : تفسير الثوري : ٢٠٤ تفسير الطبري : ١٧ / ٧٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٦٥ ، زاد المسير : ٣ / ٣٨٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٢ .

وعروة بن الزبير هو : عروة بن الزبير بن العوام المدني ، التابعي الثقة الإمام الورع الزاهد العابد ، كان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن ، وهو صاحب القصة المشهورة عندما قطعت رجله ، وقتل أحد أولاده الأربعة ، ت سنة ٩٩هـ . ينظر : معرفة الثقات : ٢ / ١٣٣ ، مشاهير علماء الأمصار : ١ / ٦٤ ، الحلية : ٢ / ١٧٦ - ١٨٣ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٧ .

(٤) ينظر : تأويل مختلف الحديث لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : ٦٩ .

(٥) نسبه القرطبي إليه في تفسيره (١١ / ٣٢٩) .

و**المهدوي** هو : أحمد بن عمار المهدوي ، أبو العباس ، كان رأساً في القراءات والعربية والتفسير، صنف كتباً مفيدة ، ت بعد ٤٣ هـ . ينظر : الوافي بالوفيات : ٧ / ١٦٩ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ٣٩٩ ، طبقات الداوودي : ١١١ ، ١١٢ .

(٦) ينظر إعرابه : ٣ / ٧٧ .

(٧) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (مادة : غضب) : ٥ / ٤١١ .

(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٢٩ .

(٩) نسبه الفخر الرازي إلى أكثر المفسرين . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٥ . لكني أجد أن الأكثرية قالوا بالقول الأول واعترضوا على القول الثاني فلا يصحُّ إلا بتأويل النحاس الذي سأذكره لاحقاً . قال ابن عبد البر : هذا قول المتقدمين ، أما المتأخرين فقالوا بالأقوال الأخرى . بتصرف . ينظر : التمهيد لابن عبد البرِّ :١٨ / ٤٥ .

(١٠) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٢ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٢ / ١٨٥ .

(١١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣١١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٧ .

الأنبياء ، فعلمنا يقيناً أنه إنما غاضب قومه ، و لم يوافق ذلك مراد الله ﷻ فعوقب بذلك ، وأن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا إرضاء الله ﷻ " . اهـ [١].

✖ وقال **ابن جُزيّ** : " ولا يصحُّ قول من قال : مغاضباً لربِّه " [٢].

✓ **وأجيب** :

١. " لأن العُقوبة لم تحل به إلا لمُغاضبته لربِّه " [٣] .

٢. قال **النحاس** : " وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهذا قول صحيح . والمعنى : **مغاضباً من أجل ربه** ؛ كما تقول : غضبت لك ؛ أي : من أجلك . والمؤمن يغضب لله جل وعز إذا عُصي " . اهـ [٤] .

قال **الشنقيطي** وغيره : " وغير هذا لا يصحُّ في الآية " [٥] .

❖ **وذكر القولين من غير ترجيح** : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، والخازن ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والطاهر بن عاشور [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن معنى قوله تعالى عن يونس** عليه السلام **﴿ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ مغاضباً لقومه لكفرهم ومخالفتهم أمر ربهم ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، فهو الحسن الصحيح الذي لا اعتراض عليه** [٧] .

---

(١) الفصل في الملل : ٤ / ١٣ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ .
(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٥ / ٤١١ .
(٤) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٧٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٢٩ .
(٥) أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤١ . وينظر قبله : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣١١ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٧٧ .
(٦) ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٣٠١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٦٥ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٦ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣١٨ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨١ ، ٥٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣١ .
(٧) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٣ .

✓ يدل عليه **القواعد الترجيحية** التالية :

- **كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود .**
- **القول الذي يعظم مقام النبوة ، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية** [١] .

✍ **وفي الآية وقفات :**

الأولى : احتج الطاعنون في عصمة الأنبياء بهذه القصة من وجوه ، وردَّ الفخر الرازي على جميع شبههم من وجوه عدَّة [٢] . وغاية ما في الباب أن تلك المغاضبة ترك الأولى ؛ وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدائها إلى أن يأذن الله له في المهاجرة [٣] .

الثانية : " إن يونس عليه السلام لم يصبر على تكاليف الرسالة ، فضاق صدراً بالقوم ، وألقى عبء الدعوة ، وذهب مغاضباً ، ضيق الصدر ، حرج النفس ؛ فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبيه مضايقات المكذبين . لولا أن ثاب إلى ربه ! واعترف بظلمه لنفسه ودعوته وواجبه لما فرج الله عنه هذا الضيق . ولكنها القدرة حفظته ونجته من الغم الذي يعانيه .

أصحاب الدعوات لا بد أن يحتملوا بتكاليفها ، وأن يصبروا على التكذيب بها ، والإيذاء من أجلها . وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقاً . ولكنه بعض تكاليف الرسالة ؛ فلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا ، ولا بد أن يثابروا ويثبتوا . ولا بد أن يكرروا الدعوة ويبدئوا فيها ويعيدوا .

إنهم لا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب ، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب ، ومن عتو وجحود . فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب ، فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة " [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

---

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣٢٨ .

(٢) لمعرفة هذه الوجوه والرد على هذه الشبهة ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٢ / ١٨٥ .

(٣) ينظر : المرجع السابق : ٢٢ / ١٨٥ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٤٧ .

(٤) الظلال لسيد قطب : ٤ / ٢٣٩٣ .

المسألة الثانية: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ ظن أن نضيق عليه ، فقال : ((﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أي : ظن أن نضيق عليه ؛ فهو من معنى قوله : ﴿ ... وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ... ﴾ [١] . وقيل : هو من القدر والقضاء ؛ أي : ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة . **ولا يصح** قول من قال : إنه من القدرة)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قرأ الجمهور ﴿ نَّقْدِرَ ﴾ – بفتح النون وكسر الدال – ، واختلف أهل العلم والمفسرون في معنى الآية على هذه القراءة على أربعة أقوال :

القول الأول : ظن أن لن نضيِّق عليه في بطن الحوت ، يروى نحو هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد [٣] ، ورجَّحه ابن جرير [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه **كثير** [٦] من المفسرين [٧] وأهل العلم [٨] .

واستدل له بالنظير القرآني : فهو من معنى قوله : ﴿ ... وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

---

(١) سورة الطلاق : ٧ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣١ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ؛ ونسبه ابن كثير إليهما . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ .

(٦) نسب الثعلبي ، والقرطبي ، والشوكاني هذا القول إلى كثير من العلماء . ينظر : الكشف والبيان : ٦ / ٣٠٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ .

(٧) منهم : النسفي ، والسمين الحلبي ، والثعالبي ، وابن عادل ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ ، الدر المصون : ٥ / ١٠٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٩٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٥٧٧ ، الوسيط : ٩ / ٢٤٤ .

(٨) نسبه إلى أهل العلم : الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢ / ٢٩) ، والقاضي عياض في كتاب الشفا (٢ / ٩٢) ، وابن حزم في الفصل في الملل (٤ / ١٣) ، وعضد الدين الإيجي في المواقف (٣ / ٤٤٢) ، والتفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام (٢ / ١٩٧) .

[سورة الطلاق : ٧] .[١]

القول الثاني : هو **من القدر والقضاء ؛ أي : ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة** ، رواه العوفي [٢] عن ابن عباس ﷺ [٣] أيضاً ، وقتادة والكلبي [٤] ، ومجاهد [٥] ، والضحاك [٦] ، ، والحسن [٧] ، وذهب إليه الفرَّاء [٨] ، والزَّجَّاج [٩] ، وقاله جماعة من المفسرين [١٠] .

واستدل له :

١. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ ... فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .[سورة القمر : ١٢] . أي : قدَّر .

٢. **من السُّنة** : قوله ﷺ : " ... فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا له ... " [١١] . أي : قدِّروا له .

٣. **من كلام العرب** : العرب تقول : قَدْر وقَدَر بمعنىً واحد [١٢] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ .

(٢) نسبه ابن كثير إليه ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، ونسبه ابن كثير إليه ، وعزاه السيوطي أيضاً إلى البيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٧٤ .

(٤) نسبه الصنعاني إليهما ، وعزاهما السيوطي إلى ابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٢٧ ، تفسير الطبري : ١٧ / ٧٨ ، ٧٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ .

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٦٥ . ونسبه الشوكاني إلى قتادة ومجاهد . ينظر : فتح القدير :٣ / ٤٢١ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٧٨ ، ٧٩) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٥ / ٦٦٥) إلى ابن أبي حاتم وعزاه ابن الجوزي إلى مجاهد وقتادة والضحاك . ينظر : زاد المسير :٣ / ٣٨٢ .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٦٥) إلى البيهقي في الأسماء والصفات .

(٨) ينظر معانيه : ٢ / ١٧٩ .

(٩) ينظر معانيه : ٣ / ٤٠٢ .

(١٠) منهم : ابن أبي زمنين ، والواحدي ، والخازن ، وأبو حيان ، وقال البقاعي (**وهو أحسن الأقوال وأقومها**) . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٥٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٢ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣١٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣١١ ، نظم الدرر : ٥ / ١٠٥ .

(١١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الصوم ،بَاب هل يُقَالُ رَمَضَانُ أو شَهْرُ رَمَضَانَ (١٨٠١) : ٢ / ٦٧٢ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصيام ، بَاب وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ (١٠٨٠) : ٢ / ٧٥٩ . عن ابن عمر ﷺ .

(١٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٤٠٢ . وينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : قدر) : =

ومنه قول الشاعر :

ولا عائداً ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تُقدِّر يقع ولك الشكر [١]

٤. بالقراءات الشاذة :

هناك ثلاث قراءات شاذة وهي :

- (فظن أن لن نُقدِّر) – بضم النون وتشديد الدال – من التَّقْدير .
- (أن لن يُقدَّر) – بضم الياء والتشديد مبنيا للمفعول – .
- (يُقدَر) – بضم الياء وفتح الدال مخففا مبنيا للمفعول – . [٢]

القول الثالث : إنه من **القدرة** ، **ومعنى الآية** : **أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته** . وقد حكي هذا القول عن الحسن [٣] ، وسعيد بن أبي الحسن [٤] . [٥]

وتأول الزمخشري القراءة بالتخفيف فقال :

" والمخفَّف يصح أن يفسر بالقدرة ، على معنى : أن لن نعمل فيه قدرتنا ، وأن يكون من

= ٩ / ٣٨ .

(١) نسبه ابن فورك وابن الجوزي إلى أبي صخر الهمذاني . ينظر : مشكل الحديث وبيانه لمحمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت ٤٠٦ هـ) : ٢٩٩ ، زاد المسير : ٥ / ٣٨٢ .

(٢) أورد هذه القراءات الشاذة غير واحد من المفسرين ، ينظر : زاد المسير : ٣ / ٣٨٢ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٢١ . وينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، و نسبه ابن الجوزي إليه ؛ ونسبه الشوكاني إلى الحسن وسعيد بن جبير . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ ، زاد المسير : ٣ / ٣٨٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ .

وسعيد بن أبي الحسن هو : سعيد بن أبي الحسن بن يسار البصري ، أخو الحسن البصري ، من ثقات التابعين . وثقه النسائي وغيره . ولما توفي حزن عليه أخوه وبكى . قيل : مات قبله بعام . والصحيح أنه ت سنة مائة ، وكان يسمَّى راهباً لدينه رحمه الله . ينظر : الجرح والتعديل : ٤ / ٧٢ ، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح للباجي : ٣ / ١٠٩٦ ، السِّير : ٤ / ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ٧٩) .

(٥) ذكر الأقوال الثلاثة وتأول القول الثالث كما قال الزمخشري (والذي سأذكره لاحقاً) ولم يرجح : الفخر الرازي والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو السعود . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٠٥ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٤٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٢ .

باب التمثيل ، بمعنى : فكانت حاله ممثلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه ، من غير انتظار لأمر الله . ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ، ثم يردعه ويرده بالبرهان ، كما يفعل المؤمن المحقق بـنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت . ومنه قوله تعالى : ﴿ ... وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ . [سورة الأحزاب : ١٠] . " . اهـ [١] .

✖ وتُعقِّب :

١. بأن في الآية سؤالاً معروفاً يعدُّ من مشكلات القرآن ، وهو أنه قال : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فكيف يظن هذا بالله ، ومن ظن هذا بالله فقد كفر ؟

ولهذا ردَّ **الطبري** ، **والسمعاني** ، **وابن عطية** ، **وابن حزم** ، **والقرطبي** ، **والشوكاني** ، **والآلوسي** ، **والشنقيطي** [٢] هذا القول وقالوا : هذا قول باطل مردود ؛ لأن الظن بالله كفر ومثل ذلك لا يقع من الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – .

٢. أن مثله عن المؤمن بعيد فضلاً عن النبي المعصوم لأنه كفر [٣] .

قال ابن حزم :

" قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء أو بضعيف من الرجال إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل ، فكيف بنبيٍّ مفضل على الناس في العلم ، ومن المحال المتيقن أن يكون نبي يظن أن الله تعالى الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى أن آدمياً مثله يقدر عليه ، ولا شك في أن من نسب هذا للنبي ﷺ الفاضل فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه فكيف إلى يونس عليه السلام الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى » [٤] . فقد

---

(١) الكشاف : ٣ / ١٣٢ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٧ ، الفصل في الملل : ٤ / ١٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٤ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤١ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٦ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٤ .

(٤) قال الزيلعي : غريب جداً . وقال الألباني : " **لا أعرف له أصلا بهذا اللفظ** " . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي : – ١ / ٢٦٤ ، شرح العقيدة الطحاوية لمحمد ناصر الدين الألباني : ١٧٢ . **والصَّحيح** هو رواية : « لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أنا خَيْرٌ من يُونُسَ بن مَتَّى » . متفق عليه . وفي رواية : « من

بطل ظنهم بلا شك " . اهـ [١] .

وعن ابن عباس ﷺ أنه دخل يوماً على معاوية ؛ فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك . قال : وما هي يا معاوية ؟ فقرأ الآية ، فقال : أو يظن نبيُّ الله أن لا يقدر عليه ؟ قال : هذا من القَدر لا من القدرة [٢] .

القول الرابع : هو **استفهام معناه : أفظنّ أن لن نقدر عليه ؟** قاله ابن زيد [٣] .

✖ **وردَّ الطبري** القول بالاستفهام ؛ وذكر أنه لا دلالة فيه على ذلك ؛ والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام [٤] .

وقال **الثعلبي** بعد أن ذكر القول الرابع هذا :

" والتأويلات المتقدمة أوْلى بالأنبياء وأبعد من الخطأ " [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأول والثاني ؛ وأن معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أن لن نضيِّق عليه ، أو لن نقدر عليه ونقضي عليه بعقوبة ؛ فهذان وجهان من التفسير لا يكذب أحدهما الآخر ، قاله الشنقيطي** [٦] ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : ذكر جماعة من المفسرين ومن أهل اللغة [٧] القولين و لم يرجِّحوا بينهما ؛ مما يدل على

قال أنا خَيْرٌ من يُونُسَ بن مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ » . أخرجه البخاري . قال ابن حجر : " قيل : إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع " . ينظر : فتح الباري : ٦ / ٤١٣ ، وينظر : تحفة الأحوذي : ٨ / ٤٢٩ .

(١) الفصل في الملل لابن حزم : ٤ / ١٣ .

(٢) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٨٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير ونسبه الثعلبي إليه . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ ، الكشف والبيان : ٣ / ٣٠٣ . ونسبه ابن الجوزي والقرطبي إلى سليمان ابن المعتمر . ينظر : زاد المسير : ٣ / ٣٨٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣٢ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٧٩ .

(٥) الكشف والبيان : ٣ / ٣٠٣ .

(٦) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٠ .

(٧) ذكر القولين الأول والثاني و لم يرجح : مقاتل ، والثعلبي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي والقرطبي ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . =

صحة كل منهما .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانيَ عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

= ينظر : تفسير مقاتل (عند تفسير هذه الآية ذكر قولاً وعند تفسير آية الطلاق المذكورة ذكر القول الثاني) : ٢ / ٣٦٧ ، ٣ / ٣٧٣ ، الكشف والبيان : ٣ / ٣٠٢ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٤ ، الكشاف : ٣ / ١٣٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٩٧ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٦ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٩٣ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨٢ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢١ ، روح المعاني : ١٧ / ٨٤ أضواء البيان : ٤ / ٢٤١ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣١ . **ومن أهل اللغة** : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : قدر) : ٩ / ٣٩ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : قدر) : ٥ / ٧٧ .

(١) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ . [آية : 104] .

مسألة : في المراد بـ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾ الصحيفة ، فقال : ((السِّجل : الصحيفة والكتاب مصدر ؛ أي : كما يطوي السِّجل ليكتب فيه ، أو ليصان الكتاب الذي فيه . وقيل : السِّجل رجل كاتب ، **وهذا ضعيف** . وقيل : هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، **وهذا أيضا ضعيف**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بـ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾** هنا في الآية على ثلاثة أقوال :

القول الأول : السِّجل : الصحيفة [٢] ، قاله ابن عباس ﷺ [٣] ، ونصَّ عليه مجاهد [٤] ، وقتادة [٥] ، وذهب إليه مقاتل [٦] ، والفرَّاء [٧] ، وابن جرير [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٣ .

(٢) جاء في غير واحد من التفاسير أن السِّجل : اسم للطُّومار الذي يكتب فيه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ **والطُّومار** هو مسمَّى للصحيفة التي تكتب فيها الرسائل قديماً . ينظر : لسان العرب (مادة : طمر) : ٤ / ٥٠٣ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٧٦ . وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٨٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٠) ، وابن المنذر .

(٤) ينظر : تفسير مجاهد : ١ / ٤١٧ . وأخرجه البخاري معلقاً في صحيحه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الأنبياء (٤٤٦٢) : ٤ / ١٧٦٥ . ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٤ / ٢٥٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٦٨٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٠) ، وابن المنذر .

(٥) نسبه إليه : ابن كثير والآلوسي . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ ، روح المعاني : ١٧ / ٩٩ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٧٢ .

(٧) ينظر معانيه : ٢ / ١٨٢ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ .

جُزيّ [١] ، ووافقه **أكثر** [٢] المفسرين [٣] .

واستدل له :

١. أنه **المعروف في كلام العرب** [٤] ؛ فالسِّجِل : الصحيفة ؛ وبعضهم خصَّه بصحيفة العهد العهد وهو اسم مشتق من المساجلة ، وهي المكاتبة وأصلها من السَّجْل الدلو الملأى . يقال : ساجلت الرجل ؛ إذا نزعت دلواً ونزع دلواً ؛ ثم استعيرت للمكاتبة والمراجعة في الكلام [٥] . ومنه قول **الفضل بن العباس بن عتبة :**

من يُساجلْني يساجلْ ماجداً يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْد الكَرَبْ [٦]

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٣ .

(٢) نسب البغوي ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٦٤ .

(٣) منهم : ابن أبي زمنين (ولم يذكر غير قول قتادة) ، والثعلبي ، والسمعاني (**وقال : هو أصح الأقوال**) ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن (وقدَّم قول ابن عباس ﷺ) ، والسمين الحلبي ، وابن كثير و **صحَّحه** ، وأبو السعود ، والشوكاني (**وقال : الأوَّل أوْلى**) ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٦٣ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣١١ تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٢ ، الكشاف : ٣ / ١٣٨ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ١ / ٣٥٢ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٢ تفسير الخازن : ٤ / ٣٢٥ ، الدر المصون : ٥ / ١١٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٩ ، تفسير القاسمي : ١١ / ٢٩٦ ، روح المعاني : ١٧ / ٩٩ ، تفسير السعدي : ٥٣١ ، الوسيط : ٩ / ٢٥٦ .

وينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢٨١ ، التبيان في تفسير غريب القرآن لهائم المصري : ٢٩٨ ، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٨ / ١١٠ ، إتقان السيوطي : ٢ / ٣٢١ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ .

(٥) ينظر (مادة : سجل) في : العين للفراهيدي : ٦ / ٥٤ ، مفردات الرَّاغب : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، المحكم لابن سيده : ٧ / ٢٧٣ ، لسان العرب لابن منظور : ١١ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٦) نسبه إليه الثعلبي في الكشف والبيان (٦ / ٣١٢) ، وأبو القاسم ، ج ار الله محمود بن عمر الزَّمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في المستقصى في أمثال العرب (٢ / ١١٣) . وغير واحد من المفسرين .

والفضل بن العباس بن عتبة هو : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، من قريش : شاعر ، من فصحاء بني هاشم كان معاصراً للفرزدق والأحوص ، وله معهما أخبار ، وكان شديد السمرة ، جاءته من جدته وكانت حبشية ويقال له (الأخضر) لذلك . ويلقب بالفضل اللهبي نسبة إلى أبي لهب ، ت نحو ٩٥ هـ . ينظر : الأغاني : ١٦ / ١٨٥ ، تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤٨ / ٣٣٧ ، الوافي بالوفيات : ٢٤ / ٣٨ .

فعلى هذا يكون معنى الكلام : يوم نطوي السماء كطي السِّجل للكتاب ؛ أي : كطي الصحيفة على ما كتب فيها ، وعلى هذا فطي السِّجل مصدر مضاف إلى مفعوله ، لأن السِّجل على هذا المعنى مفعول الطي [١] .

كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ . [سورة الصافات : ١٠٣] . أي : على الجبين وله نظائر في اللغة [٢] .

قال الشاعر :

..... فَخَرَّ صَرِيعاً لليَدَيْنِ وللْفَمِ [٣]

أي : **على** اليدين **وعلى** الفم [٤] .

القول الثاني : السِّجل ملك في السماء الثانية [٥] ، وهو الذي يطوي كتب أعمال بني آدم إذا رفعت إليه ، رُوي عن علي ﷺ [٦] ، وابن عمر ﷺ [٧] ، وقاله السدي [٨] ، وقدَّمه السمر قندي ، وقاله الواحدي [٩] من المفسرين . [١٠]

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٠٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٢٥٦ .

(٢) ينظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : ٨ / ١١٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ .

(٣) نسبه ابن عبد ربه الأندلسي إلى ربيعة بن مكدم (الشاعر الجاهلي) في العقد الفريد (٥ / ١٤٩) .

(٤) ينظر : أدب الكاتب لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : ٤٠١ ، شرح نهج البلاغة للمدائني : ١ / ١٠٢ ، مغني اللبيب : ٢٨٠ .

(٥) وقيل : في السماء الثالثة . ترفع إليه الحفظة الموكلون بالخلق أعمال بني آدم في كل خميس واثنين ، وكان من أعوانه (فيما ذكروا) هاروت وماروت ، وقيل : إنه لا يطوي الصحيفة حتى يموت صاحبها فيرفعها ويطويها إلى يوم القيامة . ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ .

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : الدر المنثور : ٥ / ٦٨٣ .

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٩٩ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٣ .

(٨) نسبه الثوري إليه ، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الثوري : ٢٠٦ ، تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٣ . ونسبه ابن الجوزي إلى كل من علي ، وابن عمر ﷺ والسدي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٣٩٥ .

(٩) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٤٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٥ .

(١٠) ذكر القولين الأول والثاني و لم يرجح : البغوي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والجلالين ، والشنقيطي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥٦ ، ٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ١٦٤ ، تفسير الجلالين : ٤٣١ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤٩ .

قالوا : واللام زائدة ؛ أي : كطي السِّجل للكتب [١] .

✖ وردَّ **الطبري** هذا القول **فلا** يوجد في الملائكة ملك ذلك اسمه [٢].

✖ وردَّ **الطاهر بن عاشور** القولين الأول والثاني فقال :

" ولا يحسن حملهُ – أي السِّجل – هنا على معنى **الصحيفة** لأنه لا يلائم إضافة الطيّ إليه ولا إردافه لقوله : (للكتاب) أو ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ [٣] ، ولا حملهُ على معنى **المَلَك** الموكَل بصحائف الأعمال لأنه لم يكن مشهوراً فكيف يشبه بفعله " . اهـ [٤] .

القول الثالث : السِّجل كاتب للنبي ﷺ ، رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه [٥] . [٦]

✖ قال **السمعاني** : " وهو قول غريب " [٧] .

✖ **وردَّ هذا القول لما يلي :**

١. لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السِّجل . وكتاب النبي ﷺ معروفون وليس فيهم أحد اسمه السِّجل ، قاله الطبري [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، تفسير الجلالين : ٤٣١ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ . وينظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٧ .

(٣) اختلف في ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٠٤] .

فحفص وحمزة والكسائي وخلف : – بضم الكاف والتاء بلا ألف على الجمع – ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ وافقهم الأعمش .

والباقون : – بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف – على الإفراد (للكتاب) والرسم يحتملها . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٣٩٥ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٥٩ .

(٥) نسبه ابن الجوزي إليه ، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ ، زاد المسير : ٥ / ٣٩٥ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٤ . وقال الزَّجَّاج : السجل هو الرجل بلغة أهل الحبشة .

(٦) ذكر الأقوال كلها و لم يرجح : الماوردي ، والعز بن عبد السلام ، وأبو حيان ، والفيروز آبادي ، والخطيب الشربيني . ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٤٧٤ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٤٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٣١٧ ، القاموس المحيط (مادة : سجل) : ١٣٠٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨٨ .

(٧) تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٢ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ . وينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٦ / ٣١١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٧ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٦١٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ٩٩ .

٢. لم يوجد هذا القول إلاَّ في هذا الخبر ، وهو حصرٌ مردودٌ [١] .

٣. والآية مكيَّة [٢] ، و لم يكن لرسول الله ﷺ كاتب بمكة [٣] .

٤. " قد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه ؛ وإن كان في سنن **أبي داود** ، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو **الحجاج المزي** " قاله **ابن كثير** [٤] .

وقال الآلوسي : " خبرٌ واه جداً " [٥] .

وقال الشنقيطي : " وهو ظاهر السقوط كما ترى " [٦] .

وقال **ابن كثير** أيضاً تعقيباً على قول الطبري : " وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره . والله أعلم " . اهـ [٧] .

✖ وكذلك ضعَّف **ابن عطية وابن جُزيّ** [٨] القولين الأخيرين ؛ فهو أثرٌ منكرٌ لا يصحُّ .

---

(١) قاله السهيلي . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١٧ / ٩٩ . – و لم أقف عليه في أي من كتب السهيلي في حدود ما اطلعت – .

(٢) قال بمكيَّة سورة الأنبياء : الزَّركشي في البرهان (١ / ١٩٣) ، والسيوطي في الإتقان : ١ / ٣٦ .

(٣) ينظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : ٨ / ١١٠ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ .

وأبو داود هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني : إمام أهل الحديث في زمانه ، أصله من سجستان ، له : السنن مطبوع في جزءان ، وهو أحد الكتب الستة ، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠٠ حديث ، وله مصنفات غير ذلك . ت سنة ٢٧٥ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٩ / ٥٥ – ٥٨ ، تاريخ الإسلام : ٢٠ / ٣٥٧ – ٣٦٣ ، البداية والنهاية : ١١ / ٥٤ – ٥٦ .

وأبو الحجَّاج المزِّي هو : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي : محدث الديار الشامية في عصره . مهر في اللغة ، ثم في الحديث ومعرفة رجاله ، وصنف كتبا ، منها : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، و تحفة الاشراف بمعرفة الأطراف وغيرها . ت سنة ٧٤٢ هـ . ينظر : طرح التثريب لأبي الفضل العراقي : ١ / ١٠٩ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٣ / ٧٤ ، ٧٥ ، شذرات الذهب : ٦ / ١٣٦ .

(٥) روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ٩٩ .

(٦) أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠١ .

(٨) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٢ ، التسهيل : ٣ / ٣٣ .

وقد رجَّح **البقاعي وسيد قطب وابن عاشور** [١] أن **المراد بالسِّجل كاتب الصحيفة الذي له العلوّ والقدرة على مكتوبه** ؛ وليس كاتب للنبي ﷺ فليس السجل باسم صحابي ؛ وذلك لما يلي :

١. السِّجِل يطلق على الكتاب وعلى الكاتب ، قاله بعض أهل اللغة [٢] ، ولعله تسمية على تقدير مضاف محذوف أي : صاحب السِّجل .

٢. المراد بالسِّجل الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثم يطويها عند انتهاء كتابتها ، وذلك عمل معروف ؛ فالتشبيه بعمله رشيق [٣] .

٣. اختير للفاعل (كاتب الصحيفة) لفظ السجل لأن هذه المادة تدور على العلو ، وللمطوي لفظاً الكتاب الدال على الجمع ، لكونه لازماً للطي ، مع أن ذلك أنسب لما جعل كل منهما مثالاً له [٤] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾ الصحيفة وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : السِّجل يطلق على الصحيفة وعلى الكاتب الذي وإن كان له العلوّ والقدرة على مكتوبه ؛ لكن المعروف في اللغة أن السِّجل هو الصحيفة كما ذكر **الطبري** [٥] .

ثانياً : الطيُّ لغة [٦] هو : الدرج الذي هو ضدُّ النشر .

والكتب عبارة عن الصحائف ، وما كتب فيها فسجلُّها بعض أجزائها ، وبه يتعلق الطيّ

---

(١) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ١١٦ ، الظلال : ٤ / ٢٣٩٩ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٥٩ .
(٢) ينظر (مادة : سجل) في : المحيط في اللغة للصاحب بن عباد : ٧ / ١٢ ، تاج العروس للزبيدي : ٢٩ / ١٧٨ ، ١٧٩ . وينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ١١٦ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٧ / ١٥٩ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٥٩ .
(٤) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ١١٦ .
(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٠ .
(٦) ينظر (مادة : طوي) في : المحكم لابن سيده : ٩ / ٢٥٣ ، لسان العرب : ١٥ / ١٨ .

حقيقة [١] ، والقصد من الآية تشبيه طي الله ﷻ للسماء كطي الصحيفة على ما فيها .

ثالثاً : يؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر** [٢] .

قال محمَّد سيِّد طنطاوي :

" والمعنى : إن الملائكة تتلقى هؤلاء الأخيار الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى بالفرح والسرور ، يوم يطوى سبحانه السماء طياً مثل طيِّ الصحيفة على ما فيها من كتابات .

وفى هذا التشبيه إشعار بأن هذا الطى بالنسبة لقدرته تعالى فى منتهى السهولة واليسر ، حيث شبه طيه السماء بطى الصحيفة على ما فيها " . اهـ [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٨ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ٩٩ .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٦٩ .
(٣) الوسيط : ٩ / ٢٥٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ . [آية : ١٠٥] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، فقال : ((﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها . وقيل : الأرض المقدسة ، وقيل : أرض الجنة . **والأوَّل أظهر**)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد بها **الأرض المقدسة** التي يرثها الصالحون من بني إسرائيل .

واستدل له :

بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ١٣٧] . [٢]

✖ **وتعقَّبه الطاهر بن عاشور** فقال :

" إن الوعد المتحدّث عنه هنا هو غير ما وعد الله بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام من إعطائهم الأرض المقدسة . وهو الوعد الذي ذكر في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٢١] . وأنه غير الإرث الذي أورثه الله بني إسرائيل من المُلك والسلطان لأن ذلك وعد كان قبل داوود عليه السلام . فإن مُلك داوود عليه السلام أحد مظاهره " . اهـــ [٣] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٣ .

(٢) حكاه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٤) ، والفخر الرازي في تفسيره (٢٢ / ١٩٩) .

(٣) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

القول الثاني : المراد بها **أرض الجنة** يورثها الله يوم القيامة عبادة الصالحين ؛ وهو قول ابن عباس ﷺ [١] ، ومجاهد [٢] ، والثوري [٣] ، وأبي العالية وابن زيد [٤] ، وسعيد بن جبير [٥] ، والشعبي [٦] ، وقاله مقاتل [٧] ، **وحسَّنه** النحاس ، والقرطبي ، وقاله الآلوسي [٨] ، **وأكثر** [٩] المفسرين [١٠] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ... ﴾ . [سورة الزمر : ٧٤] . [١١]
- قوله سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ... ﴾ . [سورة

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في الأحاديث المختارة ، وعزاه السيوطي إلى الفريابي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٤ ، الأحاديث المختارة (١٧٠) : ١٠ / ١٧٣ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٥ .

(٢) ينظر تفسيره : ١ / ٤١٧ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) .

(٣) ينظر تفسيره : ٢٠٧ .

(٤) عزاه عن أبي العالية وابن زيد السيوطي في الدر (٥ / ٦٨٦) إلى ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) .

(٥) أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) . ونسب الفخر الرازي والقرطبي هذا القول ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية وغيرهم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٩ .

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ،ذكر نبي الله داود صاحب الزبور عليه السلام (٤١٣٦) : ٢ / ٦٤٢ .

(٧) ينظر تفسيره : ٣ / ١٤١ .

(٨) قال النحاس والقرطبي : وهو أحسن ما قيل فيه . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٨٣ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٩ . وينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .

(٩) نسب ابن الجوزي والآلوسي هذا القول إلى الأكثرين . زاد المسير : ٥ / ٣٩٧ ، روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .

(١٠) منهم : ابن أبي زمنين ، وقدَّمه الثعلبي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والنسفي ، وقدَّمه الخازن والنيسابوري ، وذكر أبو حيان قول ابن عباس ﷺ وقدَّمه ، وقدَّمه ابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٦٤ ، الكشف والبيان : ٦ / ٣١٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٥ ، زاد المسير : ٥ / ٣٩٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٣ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٥٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣١٨ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٦١٩ ، تفسير الجلالين : ٤٣١ ، السراج المنير : ٢ / ٥٨٩ .

(١١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٥ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٠ ، روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

المؤمنون : ١٠ ، ١١] .[١]

٢. دلالة السِّياق القرآني :

قال الآلوسي : " وهو أوفق بالمقام " [٢] .

٣. أرض الجنة هي الأرض التي خصَّ الله بها الصالحين لأنها لهم خلقت ؛ وغيرهم إذا حصلوا فيها فعلى وجه التبع .

٤. الآية ذكرت عقيب ذكر الإعادة ، وليس بعد الإعادة أرض يستقر بها الصالحون ويمتن بها عليهم سوى أرض الجنة [٣] .

✍ **ذكر البيضاوي [٤] القول الأول والثاني ولم يرجح بينهما .**

القول الثالث : المراد الأرض على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ؛ قاله ابن عباس ﷺ أيضاً ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة [٦] من المفسرين [٧] . [٨] [٨]

قال ابن عباس ﷺ : أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون ؛ وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين [٩] .

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٤٠٧ .
(٢) روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٩ ، روح المعاني : ١٧ / ١٠٤ .
(٤) ينظر تفسيره : ٤ / ١١١ .
(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٣ .
(٦) نسب الشوكاني هذا القول إلى أكثر المفسرين . فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ . **وأجد الأكثرية مع القول الثاني .**
(٧) منهم : الزمخشري (ولم يحدد ما المراد بالأرض ؛ فهي على الإطلاق) ، وقدَّمه ابن عطية وأبو السعود ، والشوكاني ، وسيد قطب ، ومال إليه ابن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٣٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ ، الظلال : ٤ / ٢٤٠٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .
(٨) ذكر جميع الأقوال ولم يرجح : الطبري ، والسمر قندي ، والماوردي ، والسمعاني ، والبغوي ، والفخر الرازي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٤٥ ، النكت والعيون : ٣ / ٤٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٩٩ .
(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠٤) . ونسبه السمعاني والبغوي والخازن وغيرهم إليه . ينظر : تفسير

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٢٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾ . [سورة النور : ٥٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ . [سورة الأحزاب : ٢٧] . وغير ذلك من الآيات [١] .

قال **الشوكاني** :

" **والظَّاهر** أن هذا تبشير لأمة محمد ﷺ بوراثة أرض الكافرين " . اهـ [٢] .

✖ **واستُشكل** : بأن الأرض التي في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم ، قاله النحاس [٣] .

✓ **ويجاب عليه** : بأنه قد يراد بـ ﴿ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ أمة محمَّد ﷺ ؛ كما رجَّحه كثير من المفسرين ؛ أي : المؤمنون الصالحون منهم ، لكنه قد يراد بـ ﴿ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ **الصالحون من البشر الذين يأخذون بالسنن الكونية** التي أودعها الله في الكون فيمكن الله لهم في الأرض ؛ لأن الله ﷻ يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب .

قال تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٠] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الثاني والثالث ؛ فيحتمل أن يراد بالأرض هنا : أرض الجنة كما ذهب إلى ذلك جماعة من السَّلف والكثيرون ؛ ويحتمل الأرض على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ؛ ف يكون المراد بالأرض التى**

السمعاني : ٣ / ٤١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧١ ، تفسير الخازن : ٤ / ٣٢٥ .

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٠ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ .

(٣) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٨٣ .

يرثها العباد الصالحون ما يشمل أرض الجنة وأرض الدنيا ؛ قال بذلك ابن كثير ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي[١] **؛ يدل على ذلك ما يلي :**

أولاً : كلاهما حق ويشهد له القرآن ، قاله الشنقيطي [٢] .

ثانياً : قد صدق الله وعده في الحالين وعلى الاحتمالين [٣] .

ثالثاً : لم يرد نص يخصص أحد المعنيين [٤] .

وزاد البقاعي فقال : " جنسها الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها ، ولأرض المحشر ، والجنة ، وغير ذلك مما يعلمه الله " [٥] .

✌ **على أن الأرجح أن يراد بالأرض هنا الأرض على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه الشوكاني ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور** [٦] ؛ يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

أولاً : **جملة من الأحاديث** تؤيد هذا المعنى ؛ منها :

- حديث البخاري وغيره عن خباب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ... والله لَيَتِمَّنَّ هذا الْأَمْرُ حتى يَسيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » [٧] .

- حديث مسلم وغيره عن ثَوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ؛ وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زوى لي منها ... » [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٢ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤٩ ، الوسيط : ٩ / ٢٥٨ . وقال السعدي بالقول الثاني واحتمل القول الثالث . ينظر : تفسير السعدي :٥٣٢ .

(٢) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٤٩ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

(٤) ينظر : الوسيط : ٩ / ٢٥٨ .

(٥) نظم الدرر : ٥ / ١١٧ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٣ ، الظلال : ٤ / ٢٤٠٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

(٧) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإكراه ، بَاب من اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ على الْكُفْرِ (٦٥٤٤) : ٦ / ٢٥٤٦ .

(٨) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

- عن تميم الداري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيَبْلُغَنَّ هذا الأَمْرُ ما بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلا أَدْخَلَهُ اللهُ هذا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ ... » [(١)] .

ثانياً : " في **إطلاق اسم الأرض** ما يصلح لإرادة أن سلطان العالم سيكون بيد المسلمين ما استقاموا على الإيمان والصلاح " [(٢)] ، فهذا القول أشبه بقوله ﷻ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾ . [أول سورتي الجمعة والتغابن] . والأرض إذا ذكرت فهي دالة على الأرض التي نعرفها [(٣)] .

قال سيد قطب :

" لقد استخلف الله آدم في الأرض لعمارتها وإصلاحها ، وتنميتها وتحويرها ، واستخدام الكنوز والطاقات المرصودة فيها ، واستغلال الثروات الظاهرة والمخبوءة ، والبلوغ بها إلى الكمال المقدر لها في علم الله .

ولقد وضع الله للبشر منهجاً كاملاً متكاملاً للعمل على وفقه في هذه الأرض ؛ منهجاً يقوم على الإيمان والعمل الصالح . وفي الرسالة الأخيرة للبشر فصل هذا المنهج ، وشرع له القوانين التي تقيمه وتحرسه ؛ وتكفل التناسق والتوازن بين خطواته .

في هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها هو وحده المقصود . ولكن المقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان ، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة . فلا ينتكس حيواناً في وسط الحضارة المادية الزاهرة ؛ ولا يهبط إلى الدرك بإنسانيته وهو يرتفع إلى الأوج في استغلال موارد الثروة الظاهرة والمخبوءة ....

وحيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أمَّة فهي الوارثة للأرض في أية فترة من فترات التاريخ ؛ ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح ، وقد تقع الغلبة للآخذين

ببعض (٢٨٨٩) : ٤ / ٢٢١٥ .

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده في مسند تميم الدري ﷺ (١٦٩٩٨) : ٤ / ١٠٣ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : **إسناده صحيح** على شرط مسلم .

(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٦٣ .

(٣) أورده الزَّجَّاج . ينظر معانيه : ٣ / ٤٠٧ .

بالوسائل المادية حين يهمل الأخذ بها من يتظاهرون بالإيمان ، وحين تفرغ قلوب المؤمنين من الإيمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح ، وإلى عمارة الأرض ، والقيام بتكاليف الخلافة التي وكلها الله إلى هذا الإنسان .

وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم ، وهو العمل الصالح ، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله ، وتجري سنته : ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ " . اهـ [١] .

ثالثاً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الظلال : ٤ / ٢٤٠٠ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢ / ٥٥٥ .

سـورة الحـج

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾ . [آية : 1 ٢] .

مسألة : في الاختلاف في وقت الزلزلة المذكورة في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن وقت الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك قبل القيامة ، فقال : ((واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة أو بعد أن تقوم القيامة ؟ **والأرجح** : أن ذلك قبل القيامة ؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الزلزلة لغة [٢] : أصله من الزلل ، والزلزلة : الاضطراب والحركة الشديدة ، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه .

والزلزلة حقيقتها : " تحرك عنيف في جهة من سطح الأرض من أثر ضغط مجاري الهواء الكائن في طبقات الأرض القريبة من ظاهر الأرض ، وهي من الظواهر الأرضية المرعبة ينشأ عنها تساقط البناء وقد ينشأ عنها خسف الأشياء في باطن الأرض " [٣] .

واختلف العلماء في **وقت هذه الزلزلة المذكورة هنا** ، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة ، أو هي عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .

(٢) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : زل) : ٢١٤ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ٢ / ٦ ، لسان العرب (مادة : زلل) : ١١ / ٣٠٧ .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٧ / ١٨٧ .

القبور ؟ على قولين [١] :

القول الأول : الزلزلة التي هي أحد أشراط الساعة التي تكون في الدنيا بين يدي القيامة وهي كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة ، وتكون قبل طلوع الشمس من مغربها ، قال بهذا القول جماعة من السَّلف ؛ منهم : علقمة [٢] ، والشعبي [٣] ، **وعبيد بن عمير** [٤] ، وابن جريج [٥] ، ومقاتل [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه **جمهور** [٨] المفسرين [٩] .

قال علقمة والشعبي : وإضافتها إلى الساعة على هذا لكونها من إمارتها [١٠] .

واستدل لهذا القول : (بحديث الصور) الذي أخرجه ابن جرير [١١] **– والذي قال فيه قبل أن يذكره : " وفي إسناده نظر " – الآتي :**

---

(١) هذان القولان على أن الزلزلة على حقيقتها ؛ وقيل : هي مجاز عن الأهوال والشدائد التي تكون في ذلك اليوم ، وفي التعبير عنها بالشيء إيذان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها ، والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام . احتمله ابن عطية ، وقاله البيضاوي ، والقرطبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٤ .

(٢) نسبه الثوري إليه في تفسيره (٢٠٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد وابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٩) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١٠٩) ، وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .
وعبيد بن عمير هو : عبيد بن عمير المكي ، أبو عاصم الليثي ، كان قاص أهل مكة في زمانه ، من كبار التابعين وكان بليغاً فصيحاً ، عالماً ثقة ، ت سنة ٧٤ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٥ / ٤٥٥ ، معرفة الثقات : ٢ / ١١٨ ، الكاشف للذهبي : ١ / ٦٩١ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٧) إلى ابن جرير (في تفسيره : ١٧ / ١١٠) ، وابن المنذر .

(٦) قال مقاتل : وذلك قبل النفخة الأولى . ينظر تفسيره : ٢ / ٣٧٤ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٤ .

(٨) نسبه إلى الجمهور : ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والشوكاني . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٢٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٥ .

(٩) ومنهم : السمر قندي ، والواحدي ، وأبو حيان ، والجلالين . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٤٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٢٤ ، تفسير الجلالين : ٤٣٣ .

(١٠) أخرجه عنهما ابن المنذر وغيره . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٧ . ونسبه إليهما : أبو السعود والآلوسي ، ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٩١ ، روح المعاني : ١٧ / ١١١ .

(١١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١٠ .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه ، شاخص ببصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر . قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : قرن . قال : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات ، الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله ﷻ إسرافيل بالنفخة الأولى ؛ فيقول : انفخ نفخة الفزع . فيفزع أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر ، وهي التي يقول الله : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾ [١] ، فيسير الله الجبال فتكون سراباً ، وترج الأرض بأهلها رجّاً ، وهي التي يقول الله : ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴾ [٢] ، فتكون فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح ، فتميد الناس على ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار ؛ فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً ، وهو الذي يقول الله يوم التناد : ﴿ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [٣] ، فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً وأخذهم وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ؛ ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ، ثم خسف شمسها وخسف قمرها ، وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم . قال رسول الله ﷺ : والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك . فقال أبو هريرة : فمن استثنى الله حين يقول : ﴿ ... فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ [٤] ؟ قال : أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم ، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه ، وهو الذي يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ [٥] .

---

(١) سورة ص : ١٥ .

(٢) سورة النازعات : ٦ – ٨ .

(٣) سورة غافر : ٣٣ .

(٤) سورة النمل : ٨٧ .

(٥) قال ابن كثير : " وهذا الحديث قد رواه الطبراني الأحاديث الطوال (٣٦) ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وغير واحد مطولاً جداً " . اهـ . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٥ . وقال الثعالبي : " وهذا الحديث =

" والغرض منه : أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ونحو ذلك " (١) .

✓ **ورجَّح ابن جُزيّ هذا القول** فقال :

" والأرجح : أن ذلك قبل القيامة ؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة " (٢) .

وعى هذا فتكون **الزلزلة حقيقية** في آخر عمر الدنيا وأول ابتداء الساعة .

✗ **وتعقَّب الطبري الحديث بأنه** : " لولا مجيء الصِّحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه ، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله " (٣) .

✗ **وتعقَّبه الشنقيطي** أيضاً فقال : " وهذا القول من حيث المعنى له وجه من النظر ، ولكنه لم يثبت ما يؤيده من النقل ، بل الثابت من النقل يؤيد خلافه . وهو القول الآخر ... وحجَّة من قال بهذا القول حديث مرفوع ، جاء بذلك ، إلا أنه ضعيف لا يجوز الاحتجاج به " . اهـ (٤) .

✓ **وأجيب على الاستشكال** : بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب **من وجهين** :

الوجه الأول : هو ما ذكره بعض أهل العلم ، من أن من ماتت حاملاً تبعث حاملاً ، فتضع حملها من شدة الهول والفزع ، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك ، ولكن هذا يحتاج إلى دليل .

✗ وتعقَّبه **ابن عطية** فقال : " وهذا ضعيف " (٥) .

= ذكره الطبرى والثعلبى و **صحَّحه** ابن العربى فى سراج المريدين . وقال عبد الحق : بل هو حديث منقطع لا يصحُّ " . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٧ .

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٥ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١١ . وينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٢١٤ .

(٤) أضواء البيان : ٤ / ٢٥٧ .

(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ .

الوجه الثاني : أن ذلك **كناية** عن شدة الهول كقوله تعالى : ﴿ ... يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [١] . ومثل ذلك من أساليب اللغة العربية المعروفة [٢] .

✖ **ولا داعي إلى القول بالكناية والمجاز ؛ فالزلزلة حقيقية** إذ هي الأصل ويدل عليها وجود المرضعة والحامل .

القول الثاني : الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور ؛ أي : **بعد أن تقوم القيامة** ، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ [٣] ، وأبي سعيد الخدري ﷺ [٤] ، وجماعة من السلف [٥] ، و**رجَّحه** الطبري ، و **صحَّحه** السمعاني [٦] ، و**أيَّده** الثعالبي والشنقيطي [٧] [٧] وذهب إليه جماعة من المفسرين [٨] .

ساق ابن كثير سبعة أحاديث [٩] **استدل بها أصحاب هذا القول ؛ ومنها :**

الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم الذي صرح فيه الرسول ﷺ بذلك :

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يقول الله : يا آدَمُ . فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . قال يقول : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قال : وما بَعْثُ النَّارِ ؟ قال : من كل أَلْفٍ تسعمائة وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ؛ فَذَاكَ حين يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿ ... وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

---

(١) سورة المزمل : ١٧ .

(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٧ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٥ ، فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٩٠ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٣ / ٩٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) قال ابن عباس ﷺ : زلزلة الساعة قيامها . نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٧٣ .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم ، وسأذكره لاحقاً .

(٥) منهم : عمران بن حصين ، وأنس ، وابن عباس ، وأبي موسى ﷺ أجمعين ، أخرجه عنهم ابن جرير والترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٦ .

(٧) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٧ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٥٨ .

(٨) منهم : ابن الجوزي وقدَّمه ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والسعدي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤٠٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩١ ، روح المعاني : ١٧ / ١١١ ، تفسير السعدي : ٥٣٢ .

(٩) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

﴾ [١] . فَاشْتَدَّ ذلك عليهم ، فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّنَا ذلك الرَّجُلُ ؟ قال : أَبْشِرُوا ، فإن من يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ . ثُمَّ قال : وَالَّذِي نَفْسِي بيده ، إني لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . قال : فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قال : وَالَّذِي نَفْسِي بيده إني لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِنَّ مَثَلَكُمْ في الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أو كالرقمة في ذِرَاعِ الْحِمَارِ » [٢] .

قال **الثعالبي** : " وهذا الحديث **نص صريح** فى أنه يوم القيامة ... والذى عليه المحققون أن هذه الأهوال هى بعد البعث " [٣] .

✖ **وأنكر ابن عطية** قبله هذه الدلالة من الحديث فقال : " وهذا الحديث لا حجَّة فيه ؛ لأنه يحتمل أن النبي ﷺ قرأ الآية المتضمنة ابتداء أمر الساعة ، ثم قصد في تذكيره وتخويفه إلى فصل من فصول يوم القيامة فنص ذكره ، وهذا من الفصاحة " . اهـ [٤] .

❖ **وجوَّز الفخر الرازي القولين ، وتبعه ابن عادل ، وكذلك الطاهر بن عاشور** [٥] **فتكون الزلزلة في الدنيا أو في وقت الحشر ؛ وذكر جماعة من المفسرين القولين ولم يرجحوا بينهما** [٦] .

قال الفخر الرازي : " واعلم أنه ليس في اللفظ دلالة على شيء من هذه الأقسام ، لأن هذه الإضافة تصح وإن كانت الزلزلة قبلها ، وتكون من أماراتها وأشراطها ، وتصح إذا كانت

---

(١) سورة الحج : ٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – بهذا اللفظ وبلفظ آخر – في كتاب الرقاق ، باب قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦١٦٥) : ٥ / ٢٣٩٢ ، وأخرج مسلم بمثله في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب قَوْلِهِ يقول الله لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ (٢٢٢) : ١ / ٢٠١ .

(٣) تفسير الثعالبي : ٤ / ١٠٧ . وينظر : أضواء البيان : ٤ / ٢٥٩ .

(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ١٨٧ .

(٦) ومنهم : الزَّجَّاج ، والماوردي ، والبغوي ، والزمخشري ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن والنيسابوري ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ٤٠٩ ، النكت والعيون : ٤ / ٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧٣ ، الكشاف : ٣ / ١٤٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٤٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣ ، ٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٤ – ٢٠٦ ، السراج المنير : ٢ / ٥٩٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، الوسيط : ٩ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

فيها ومعها ، كقولنا آيات الساعة وأمارات الساعة ". اهـ [١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح وما تميل إليه النفس أن الزلزلة التي هي أحد أشراط الساعة التي تكون في الدنيا بين يدي القيامة وهي كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة ، وهي زلزلة حقيقية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه الجمهور** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : نعم القول الذي رجَّحه ابن جُزيّ مستنده ضعيف ، لكن ابن جُزيّ لم يعوِّل عليه ؛ وإنما عوَّل على الشدائد التي ذكرت بعد ذلك من ذهول المرضعة ووضع الحامل فهي في الدنيا لا بعد القيامة .

ثانياً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٣ / ٤ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ... ﴾ . [آية : ٢] .

مسألة : في عود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ للزلزلة ، فقال : ((والضمير : للزلزلة ، وقيل : للساعة ، **وذلك ضعيف لما ذكرنا** ؛ إلا أن يريد ابتداء أمرها)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في عود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ للزلزلة ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، و**استظهره** أبو حيان [٤] ، وقدَّمه السمين الحلبي [٥] ، وقاله الآلوسي [٦] ، و**جمهور** [٧] المفسرين [٨] .

واستدل له بما يلي :

١. القرينة القرآنية : ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .
(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٧٦ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٤ .
(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٢٤ .
(٥) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٢١ .
(٦) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١١١ .
(٧) نسب ابن عطية والقرطبي هذا القول للجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٤ .
(٨) ومنهم : الطبري ، والماوردي ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي (**وقال هو الأقرب**) والبيضاوي ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي .
ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١١٤ ، النكت والعيون : ٤ / ٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٢٧ ، الكشاف : ٣ / ١٤٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٠٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦٣ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٥ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٥٥ ، الوسيط : ٩ / ٢٧٣ .

حَمْلَهَا ... ﴾ فيكون الذهول والوضع حقيقة ؛ لأنه في الدنيا [١] .

٢. إن مشاهدتها هي التي توجب الخوف الشديد [٢] .

٣. لأنها هي المتحدث عنها [٣] .

القول الثاني : الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ للسَّاعة ، قاله جماعة من المفسرين [٤] .

فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم ، ولا ذهول ولا وضع هناك كقوله تعالى : ﴿ ... يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [٥] .

✖ **– وكما ذكرنا في المسألة السابقة – أنه لا داعي إلى القول بالكناية والمجاز ؛ فالزلزلة حقيقية** إذ هي الأصل ويدل عليها وجود المرضعة والحامل .

✖ ولذلك ضعَّفه **ابن جُزيّ** فقال : " وذلك ضعيف ... إلا أن يريد ابتداء أمرها " [٦] .

✖ وقال **ابن عطية** قبله : " أي : يوم يرون ابتداءها في الدنيا ؛ فيصح لهم بهذا التأويل أن لا يلزمهم وجود الرضاع والحمل في يوم القيامة " [٧].

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فيجوز أن يعود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ على الزلزلة ، ويجوز أن يعود على الساعة ، قال بذلك الطاهر بن عاشور** [٨] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٤ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٢٤ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٥ .
(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٢٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ١١١ ، الوسيط : ٩ / ٢٧٣ .
(٤) منهم : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والخازن . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٧٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢ .
(٥) سورة المزمل : ١٧ .
(٦) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٤ .
(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ .
(٨) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٨٨ .

وقال بالوجهين من غير ترجيح جماعة من المفسرين [١] دلالة على جواز كليهما .

- فيجوز أن يعود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ على الزلزلة .
- ويجوز أن يعود على الساعة ويراد بها ابتداء أمرها ؛ كما ذكر ابن عطية وابن جُزيّ .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" وضمير النصب في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ يجوز أن يعود على ﴿ زَلْزَلَةَ ﴾ ، وأطلقت الرؤية على إدراكها الواضح الذي هو كرؤية المرئيات لأنّ الزلزلة تُسمع ولا ترى ، ويجوز أن يعود إلى الساعة " . اهـ [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ومنهم : ابن عطية ، والنسفي ، وابن عادل . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥ ، ٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٨٨ .

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ . [آية : ٦ ، ٧] .

مسألة: في نوع الباء في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الباء في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ ليست بسببية وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ، ويقتضيه المعنى ، وذلك أن يكون التقدير : ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ على ما قبله بهذا التقدير ، فقال :

((﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي : ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل بأن الله هو الحق ؛ هكذا قدره **الزمخشري** ؛ والباء على هذا سببية ، وبهذا المعنى أيضاً فسره **ابن عطية** ، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ... ﴾ [1] على ذلك ؛ لأنه ليس بسبب لما ذكر . فقال **ابن عطية** قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ ليس بسبب لما ذكر ؛ ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض ، أو على تقدير : والأمر أن الساعة ، **وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان** ، أما قوله : إن الأمر مرتبط بعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصح . وأما قوله : على تقدير : الأمر أن الساعة ؛ فذلك استئناف وقطع للكلام الأول ، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله ، **والذي يظهر لي** أن الباء ليست بسببية وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ، ويقتضيه المعنى ، وذلك أن يكون التقدير : ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات)) . اهـ [2] .

---

(١) سورة الحج : ٧ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٥ ، ٣٦ .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **نوع الباء في قوله تعالى** : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ** ﴾ على قولين :

القول الأول : **الباء للسببية** ، قاله **الزمخشري** ، **وابن عطية** [١] ، وجماعة من المفسرين [٢] .

أي : ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل بأن الله هو الحق ؛ هكذا قدَّره **الزمخشري** ، وبهذا المعنى أيضاً فسره **ابن عطية** ، **والنسفي** [٣] .

قال **ابن عطية** قوله : " ﴿ **وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ** ... ﴾ [٤] ليس بسبب لما ذكر ؛ ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض ، أو على تقدير : والأمر أن الساعة " . اهـ [٥] .

✖ **وتعقَّبه ابن جُزيّ** بقوله : " **وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان** .

أما قوله : (إن الأمر مرتبط بعضه ببعض) فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصحّ .

وأما قوله : (على تقدير : الأمر أن الساعة) ؛ فذلك استئناف وقطع للكلام الأول ، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة ؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله " . اهـ [٦] .

القول الثاني : **الباء ليست بسببية** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، وقاله القرطبي [٨] ، **واستظهره** أبو حيان [٩] ، وقاله الشوكاني [١٠] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٤٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٩ .
(٢) منهم : البيضاوي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والجلالين ، والقاسمي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤/ ١١٥ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩٥ ، تفسير الجلالين : ٤٣٤، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠ .
(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٤٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٦ .
(٤) سورة الحج : ٧ .
(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٠٩ .
(٦) التسهيل : ٣ / ٣٥ ، ٣٦ .
(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٦ .
(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٥ .
(٩) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٢٨ .
(١٠) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٤٣٧ .

قال **ابن جُزيّ** :

" وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ، ويقتضيه المعنى ، وذلك أن يكون التقدير : ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات " . اهـ [١].

" والمعنى : أنه المتفرد بهذه الأمور وأنها من شأنه لا يدعى غيره أنه يقدر على شيء منها فدل سبحانه بهذا على أنه الحق الحقيقي الغني المطلق وأن وجود كل موجود مستفاد منه والحق هو الموجود الذي لا يتغير ولا يزول " [٢] .

❖ وذكر **السمين الحلبي وابن عادل القولين** و لم يرجحا بينهما [٣] .

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الباء في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ ليست سببية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ بل للملابسة ، وهو ما جوَّزه ابن عاشور** فقال :

" ويجوز أن تكون **الباء للملابسة** ، أي كان ذلك الخلق وذلك الإنبات البهيج ملابساً لحقيّة إلهيّة الله . وهذه الملابسة ملابسة الدليل لمدلوله ، وهذا أرشق من حمل الباء على معنى السببية وهو أجمع لوجوه الاستدلال " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التسهيل : ٣ / ٣٦ . وينظر : تفسير القرطبي قبله : ١٢ / ١٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٢٨ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٧ .

(٢) فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٣٧ .

(٣) ينظر : الدر المصون : ٥ / ١٢٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٠٤ .

قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ . [آية : 15] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ عائد على ﴿ مَن ﴾ ، والمعنى على هذا : من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه ؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييئس من نصره ، فقال :

((﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ السبب هنا : الحبل ، والسماء هنا : سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الحبال ، والقطع هنا : يراد به الاختناق بالحبل [١] ، يقال : قطع الرجل : إذا اختنق . ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق وربطه في السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته أو طمعا فيما لا يصل إليه ؛ كقوله للحسود : مت كمداً أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك . وفي معنى الآية قولان : الأول : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ لسيدنا محمد ﷺ ، والمعنى على هذا : من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ . والقول الثاني : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ عائد على ﴿ مَن ﴾ ، والمعنى على هذا : من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه ؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييئس من نصره . ولذلك فسر بعضهم ﴿ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ بمعنى : أن لن يرزقه ، **وهذا القول أرجح من الأول ...**)) . اهـ [٢] .

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال ابن عطية : **والجمهور** على أن القطع هنا هو الاختناق . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٢٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٧ .

الدراسة :

هذه الآية مُشْكلة ؛ وقد تكلم النحويون والمفسرون في **معنى قوله تعالى :** ﴿ **مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ** ﴾ وفي بيان ما أشكل منها ؛ وبناء على اختلافهم في عود الضمير في : ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ **اختلفوا في معناها** ؛ وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ **لسيدنا محمد ﷺ** ، والمعنى على هذا : **من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل يشده إلى سقف بيته** [(١)] ؛ **فإن الله ناصره ، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ** .

قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)] ، وجماعة من السَّلف [(٣)] ، ومقاتل [(٤)] ، وذهب إليه الفرَّاء [(٥)] ، والزَّجَّاج [(٦)] ، **ورجَّحه** النحاس [(٧)] .

---

(١) في المراد **بالسماء** قولان :
- أحدهما : **سقف بيته** ، والمعنى فليشدد حبلاً في سقف بيته فليختنق به ، ثم ليقطع الحبل ليموت مختنقاً ، هذا **قول الأكثرين** ، لأن العرب تسمى كل ما علاك سماء .
- والثاني : أنها **السماء المعروفة** ، والمعنى فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر ، قاله ابن زيد .

ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٢٦ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ٤١٤ ، الدر المنثور : ٦ / ١٦ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٤ / ٢٨٧ .

قال ابن عطية : " وأبين وجوه هذه الآية أن يكون مثلاً ، ويكون النصر المعروف ، والقطع الاختناق ، والسماء الارتفاع في الهواء سقف أو شجرة أو نحوه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١١١ .

(٢) نسبه إليه الثوري وابن كثير ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٥) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه . ينظر : تفسير الثوري : ٢٠٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١١ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٧٨ .

(٣) قال بهذا القول : مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو الجوزاء ، وقتادة وغيرهم ، أخرج أقوالهم ابن جرير ، ونسبه إليهم أبو حيان وابن كثير ، وعزاه إليهم السيوطي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٢٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١١ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٣٢ ، الدر المنثور : ٦ / ١٦ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٧٩ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ١٨٧ .

(٦) ينظر معانيه : ٣ / ٤١٧ .

(٧) وقال : **من أحسن ما قيل فيها** . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٩٠ .

وذهب إليه جماعة من أهل اللغة [١] ، وهو قول **أكثر**[٢] أهل التفسير [٣] .

ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن :

- قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ . [سورة ص : ١٠ ، ١١] .[٤]
- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١ ﴾ . [سورة غافر : ٥١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١١٩ ﴾ . [سورة آل عمران : ١١٩] .[٥]

القول الثاني : الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ **عائد على ﴿ مَن ﴾ ، وأن النصر هنا بمعنى الرزق .** والمعنى على هذا : **من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه ؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييئس من نصره** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٦] أيضاً

---

(١) منهم : الأزهري ، وابن سيده ، وابن منظور . ينظر (مادة : سبب) في : تهذيب اللغة : ١ / ١٢٩ ، المحكم والمحيط الأعظم : ٨ / ٤٢٤ ، لسان العرب : ١ / ٤٥٨ .

(٢) نسبه النحاس ، والثعلبي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي إلى **الأكثرين** . ينظر معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٨٨ ، الكشف والبيان : ٧ / ١١ ، الوسيط : ٩ / ٢٩٠ .

(٣) منهم : السمر قندي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، والثعالبي (وقال : **هو أبين الوجوه**) ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي (**وقال** : **هو الأوْلى**) ، والسعدي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (**وقال** : **أقرب الأقوال إلى الصواب**) . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٥١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٧٨ ، الكشاف : ٣ / ١٤٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٨ تفسير الخازن : ٥ / ٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١١٢ ، تفسير الجلالين : ٤٣٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٩٩ ، السراج المنير : ٢ / ٥٩٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٤١ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٤ ، روح المعاني : ١٧ / ١٢٦ ، تفسير السعدي : ٥٣٥ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٨٦ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٢١ ، الوسيط : ٩ / ٢٩٠ .

(٤) ينظر : أضواء البيان : ٤ / ٢٨٦ .

(٥) ينظر : الوسيط : ٩ / ٢٩٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٢٧) ، ونسبه إليه النحاس في معانيه (٤ / ٣٨٨) والقرطبي في تفسيره (١٢ / ٢١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٥) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

ومجاهد [١] ، وقاله أبو عبيدة [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، و **استظهره** أبو حيان والسمين الحلبي ، ووافقه ابن عادل [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] . [٦]

قال **النحاس** : " وهذا القول أيضاً معروف في اللغة ، وهو قول أبي عبيدة ، وحكى أهل اللغة أنه يقال : أرض منصورة ؛ أي : ممطورة " [٧] .

قال **أبو عبيدة** : " مجازه : أن لن يرزقه الله ، وأن لن يعطيه الله ، قال : وقف علينا سائل من بني بكر على حلقة في المسجد الجامع فقال : من ينصرني نصره الله ؛ أي : من يعطيني أعطاه الله ، ويقال : نصر المطر أرض كذا ، أي : جادها وأحياها " . اهـ [٨] .

ومنه قول الشاعر[٩] :

وإنك لا تعطي امرءًا فوقَ حقه ولا تَمِلك الشِقَّ الذي الغيث ناصرهُ

أي : معطيه .

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، ابن جرير ، وابن المنذر . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٢٧ ، الدر المنثور : ٦ / ١٥ .

(٢) ينظر مجازه : ٢ / ٤٦ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٧ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٣٢ ، الدر المصون : ٥ / ١٣٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٧ .

(٥) منهم : ابن الجوزي وقدَّمه ، والبقاعي ، وسيد قطب . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤١٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٣٩ الظلال : ٤ / ٢٤١٣ ، ٢٤١٤ .

(٦) ذكر القولين و لم يرجح : الثعلبي ، والسمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنيسابوري . وزاد ابن عطية وغيره معنى آخر فقال : " وتحتمل الآية معنى آخر ، وهو أن يراد به الكفار وكل من يغتاظ بأن ينصره الله ويطمع أن لا ينصر ، قيل له : من ظن أن هذا لا ينصر فليمت كمداً ؛ هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظاً وكمداً . ويؤيد هذا أن الطبري والنقاش قالا : ويقال : نزلت في نفر من بني أسد وغطفان ، قالوا : نخاف أن ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع " . اهـ . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٢٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٦ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٤٧ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٦٩ .

(٧) معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٨٨ .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٤٦ .

(٩) الشاعر هو الفقعسي وهو شاعر جاهلي ، نسبه إليه غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلاً : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢ .

واستدل له ابن جُزيّ بوجهين :

" **أحدهما** : أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف ؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام متصلاً بما قبله ، ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [١] ، أي : الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخَّط من قضاء الله ، ولا ينقلب إذا أصابته فتنة .

والوجه الثاني : أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ على هذا القول يعود على ما تقدمه ، وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله ؛ لأن النبي ﷺ لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ، ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة " . اهـ [٢] .

✖ **وتعقَّبه الشنقيطي** فقال : " وهذا القول الأخير ظاهر السقوط كما ترى " [٣] .

✓ **وأجيب على ابن جُزيّ :**

من أنه ﷺ وإن لم يجر له ذكر ، فإن الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ... ﴾ [٤] فيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان ؛ والإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله ، والانقلاب عن الدين المذكور في قوله : ﴿ ... ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ... ﴾ [٥] انقلاب عما جاء به محمد ﷺ [٦] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الأول ؛ فهو أقرب الأقوال إلى الصواب ؛ فللضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ لسيِّدنا محمَّد ﷺ ، والمعنى على هذا : من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل يشده إلى سقف بيته ؛ فإن الله ناصره ، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ ؛ وهو ما رجَّحه جمهور**

---

(١) سورة الحج : ١٤ .
(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٧ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٣٢ .
(٣) أضواء البيان : ٤ / ٢٨٨ .
(٤) سورة الحج : ١٤ .
(٥) سورة الحج : ١١ .
(٦) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢١ ، السراج المنير : ٢ / ٥٩٩ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٨٨ .

المفسرين ، **خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ولما يلي :

أولاً : أن قول **ابن عباس ﷺ وأصحابه** أولى وأظهر في المعنى ، وأبلغ في التهكم ، قاله **ابن كثير** (١) .

ثانياً : أن هذا القول مؤيد **بالنظائر القرآنية** التي تشهد لهذا المعنى ؛ **ويدل عليه السِّياق** كما ذكر ابن جُزيّ ، وعليه تؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** .
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** (٢) .

ثالثاً : لأنه المتبادر عند إطلاق كلمة النصر ، وعليه عامة المفسرين .

قال **السعدي** : " وهذه الآية الكريمة فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ، ولرسوله ، وعباده المؤمنين ما لا يخفى ، ومن تأييس الكافرين الذين يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون " . اهـ (٣) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١١ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٣) تفسير السعدي : ٥٣٥ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾ . [آية : ٢٧] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام ، فقال : ((﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾ خطاب لإبراهيم . وقيل : لسيِّدنا محمَّد ﷺ ، **والأوَّل هو الصَّحيح**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **لمن الخطاب في الآية** على قولين :

القول الأول : الخطاب لإبراهيم عليه السلام ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، ومجاهد [٣] ، وجماعة من السَّلف [٤] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، **وقدَّمه** الماوردي [٦] ، و **استظهره** النسفي والنيسابوري [٧] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] ، و **استظهره** أبو حيان [٩] ، ووافقه **جمهور** [١٠] المفسرين [١١] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٣٩ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٢ ، ٣٥) إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن منيع ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم و**صحَّحه** ، والبيهقي في سننه ، وأورد غير واحد من الروايات لابن عباس بألفاظ مختلفة .

(٣) نسبه إليه الثوري في تفسيره (٢١٠) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٣ ، ٣٤) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، والبيهقي في الشعب بروايات مختلفة .

(٤) منهم : سعيد بن جبير ، وعبيد بن عمير ، وعلي بن أبي طلحة ، وعكرمة ، وعطاء . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٤ . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٣٣ - ٣٥ .

(٥) ينظر معانيه : ٣ / ٤٢٢ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٨ .

(٧) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ١٠١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٧٧ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٣ / ٣٩ .

(٩) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٣٧ .

(١٠) نسب هذا القول إلى جمهور المفسرين : الفخر الرازي ، وابن الجوزي ، والخطيب الشربيني ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٥ ، زاد المسير : ٥ / ٤٢٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٠٦ أضواء البيان : ٤ / ٢٩٩ ، الوسيط : ٩ / ٣٠٢ .

(١١) منهم : الشافعي ، والطبري ، ولم يذكر السمر قندي غيره ، والثعلبي ، ولم يذكر السمعاني غيره ، والبغوي =

" قال جماعة المفسرين : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل ؛ فأمره أن يؤذن فى الناس بالحج ، فقال : يا رب من يبلغ صوتى ؟ فقال الله سبحانه : أذن وعلي البلاغ . فعلا المقام فأشرف به حتى صار كأعلى الجبال ، فأدخل أصبعيه فى أذنيه ، وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ، وقال : يا أيها الناس ، كتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم . فأجابه من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبَّيك اللهم لبَّيك " [١] .

القول الثاني : الخطاب لمحمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك فى حجَّة الوداع ، قاله **الحسن** [٢] ، **ومال إليه النحاس** [٣] ، **و مال إليه أيضاً القرطبي** [٤] من المفسرين ، وهو اختيار أكثر المعتزلة [٥] . [٦]

واستدل له : بحديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : « خَطَبَنَا رسول اللَّهِ ﷺ فقال : أَيُّهَا الناس قد

= و لم يذكر ابن العربي وابن عطية غيره ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، و لم يذكر الثعالبي غيره ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والسعدي ، و لم يذكر سيد قطب والطاهر ابن عاشور غيره ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : أحكام القرآن لأبي عبد الله ، محمد بن إدريس الشَّافعي (ت ٢٠٤ هـ) : ١ / ١٢٠ ، تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٥٦ الكشف والبيان : ٧ / ١٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٨٣ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٨٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١١٧ ، زاد المسير : ٥ / ٤٢٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٢٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١١٦ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٧٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٤ ، روح المعاني : ١٧ / ١٤٣ ، تفسير السعدي : ٥٣٧ ، الظلال : ٤ / ٢٤١٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٤٣ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٩٩ ، الوسيط : ٩ / ٣٠٢ .

(١) فتح القدير : ٣ / ٤٨٤ . قال الطبري قبله : " وقد اختلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك " . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٤ .

(٢) نسبه إليه : الثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٨٣ ، الكشاف : ٣ / ١٥٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٢٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠١ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٣٨ . **ولم أقف عليه مسنداً في أي من كتب الآثار** .

(٣) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٩٥ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٣٨ .

(٥) نسب هذا القول إلى المعتزلة : الفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني إليهم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٥ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٧٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٧١ ، السراج المنير : ٢ / ٦٠٦ .

(٦) ذكر القولين من غير ترجيح : الزَّمخشري ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٥٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٠٧ .

فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا ... » [١] .

✖ **وتُعقِّب** :

بأن الحديث **ليس نصاً في تفسير الآية** ، وإنما أمر منه ﷺ بالحج عموماً .

وأورد النحاس وتبعه القرطبي دليلين على هذا القول :

١. أن القرآن أنزل على النبي ﷺ ؛ فكل ما فيه من المخاطبة فهي له إلاَّ أن يدل دليلٌ قاطعٌ على غير ذلك .

٢. قوله تعالى في الآية التي قبلها : ﴿ ... أَن لَّا تُشْرِكْ بِي ... ﴾ [٢] ، وهذا مخاطبة لمشاهد ، وإبراهيم عليه السلام غائب ، فيكون الخطاب من قوله : ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي ﴾ للنبي محمد ﷺ ، ونسبا هذا القول لأهل النظر [٣] .

✖ **وتُعقِّب هذا القول** :

- بأنه يأباه كون السورة مكيَّة [٤] ، قاله أبو السعود [٥] .
- هو خلاف الظَّاهر جداً ولا قرينة عليه ، قاله الآلوسي [٦] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وهو قول جماعة السَّلف ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج ، بَاب فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ (١٣٣٧) : ٢ / ٩٧٥ .

(٢) سورة الحج : ٢٦ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٩٥ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٣٨ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما في **أظهر الروايتين** : هي مكيَّة إلاَّ قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ... ﴾ وآيتين بعد هذه الآية . [سورة الحج : ١٩ – ٢١] . وقوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ... ﴾ . الآية . [سورة الحج : ٣٩] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى : أن هذه السورة مدنية إلا آيات فيها نزلت بمكة . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤١٦ .

(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٤ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٤٣ .

إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

سياق الآيات يدل على أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام .

ثانياً : لأن التوافد على هذا البيت موجود منذ عهد إبراهيم عليه السلام [(١)] .

ثالثاً : هذا القول هو الثابت عن جماعة كبيرة من السَّلف خلافاً لما زعمه الحسن ، مما يؤيد رجحان هذا القول .

قال **ابن كثير** بعد أن ذكر صفة تأذين إبراهيم عليه السلام :

" هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف والله أعلم ، وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة " . اهـ [(٢)] .

رابعاً : يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه [(٣)] .**

✌ **" والتوفيق بين القولين :**

أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمره الله بذلك إحياء لسنة إبراهيم عليه السلام " [(٤)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٣٠٢ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١٧ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢٩٩ .

(٤) عمدة القاري لبدر الدين العيني : ٩ / ١٢٨ .

قوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ [1] يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ... ﴾ . [آية : ٤٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، فقال : ((﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين . وقيل : المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، **والأول أليق بسياق الآية**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾** على أقوال [3] منها :

---

(١) **ما الصوامع والبيع والصلوات والمساجد ؟**

قال الفخر الرازي : " الجواب : ذكروا فيها وجوهاً :

أحدها : الصوامع للنصارى ، والبيع لليهود ، والصلوات للصابئين ، والمساجد للمسلمين ، عن أبي العالية .

وثانيها : الصوامع للنصارى ؛ وهي التي بنوها في الصحارى ، والبيع لهم أيضاً ؛ وهي التي يبنونها في البلد ، والصلوات لليهود ، قال الزَّجَّاج : وهي بالعبرانية صلوتاً .

وثالثها : الصوامع للصابئين ، والبيع للنصارى ، والصلوات لليهود ، عن قتادة .

ورابعها : أنها بأسرها أسماء المساجد عن الحسن ، أما الصوامع فلأن المسلمين قد يتخذون الصوامع ، وأما البيع فأطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه ، وأما الصلوات فالمعنى أنه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوات ولخربت المساجد " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٣٦ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٢ .

(٣) ذكر ابن جرير وغيره جملة من الأقوال : عن علي ﷺ قال : لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين لهدمت صوامع وبيع . وعن مجاهد : يقول دفع بعضهم بعضاً في الشهادة وفي الحق وفيما يكون من قبل هذا ، يقول : لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها ، **ورجَّحه النحاس** . وعن ابن عباس ﷺ : يدفع بالمحسن عن المسيء . وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ﷺ قال : يدفع الله بمن يصلي عمن لا يصلي ، وبمن يحج عمن لا يحج ، وبمن يزكي عمن لا يزكي . وقال الضحاك : يدفع الإسلام وأهله عن أهل الذمة . ينظر : =

القول الأول : الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، قاله ابن زيد [١] ، ومجاهد [٢] ، وهو ما **رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **أكثر**[٤] المفسرين [٥] .

قال **السمعاني** :

" القول المعروف أن الدفع هاهنا هو دفع المجاهدين عن الدين وعن سائر المسلمين " [٦] .

وقال **ابن عطية** : " هذا أصوب ما قيل فى تأويل الآية " [٧] . وقاله الثعالبي [٨] أيضاً .

وجوَّز الطاهر بن عاشور معنىً آخر في الآية **موافقاً الفرَّاء** [٩] فيه فقال :

" ويجوز أن يكون المراد : لولا ما سبق قبل الإسلام من إذن الله لأمم التوحيد بقتال أهل الشرك (كما قاتل داوود عليه السلام جالوت ، وكما تغلّب سليمان عليه السلام على مَلِكَة سبأ) . لَحق المشركون معالم التوحيد (كما محق بختنصر هيكل سليمان عليه السلام) فتكون هذه الجملة

= تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٠١ ، شعب الإيمان للبيهقي : ٦ / ٩٧ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٨٣ .

(١) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ ، الدر المنثور : ٦ / ٥٩ .

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٥٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٢ .

(٤) نسب النحاس هذا القول إلى أكثر أهل التفسير . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١ / ٢٥٥ .

(٥) منهم : السمر قندي ، والثعلبي : (وزاد : وإقامة الحدود وكف الظلم) ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والخازن (وزاد : وإقامة الحدود) ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقاسمي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٢ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٣٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٠ تفسير الثعالبي : ٤ / ١٢٧ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٥٧ ، روح المعاني : ١٧ / ١٦٢ تفسير القاسمي : ١٢ / ٣٠ ، تفسير السعدي : ٥٣٩ ، الظلال : ٤ / ٢٤٢٥ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٧٦ الوسيط : ٩ / ٣١٨ .

(٦) تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٢ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ .

(٨) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٢٧ .

(٩) ينظر معانيه : ٢ / ١٩٥ .

تذييلاً لجملة : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ... ﴾ [١] ، أي : أذن للمسلمين بالقتال كما أذن لأمم قبلَهم لكيلا يطغى عليهم المشركون كما طغوا على من قبلهم حين لم يأذن الله لهم بالقتال ، فالتعريف في ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ تعريف الجنس " . اهـ [٢] .

القول الثاني : معنى الآية : **ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين** ، قاله ابن جريج [٣] ، ومجاهد [٤] أيضاً ، ومقاتل [٥] ، وذهب إليه **الزمخشري** ، **والبيضاوي** ، **وأبو السعود** [٦] من من المفسرين [٧] .

✓ **والقول الأول والثاني متقاربان .**

القول الثالث : معنى الآية : لولا **دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة** [٨] . [٩]

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كل الأقوال محتملة لكن الأصوب أن الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه ، كأنه يقول : لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه أكثر المفسرين** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

---

(١) سورة الحج : ٣٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٧٧ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٧٤) .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٥٩ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٥ .

(٦) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٦٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٢٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٩ .

(٧) بعض المفسرين اعتبر القولين الأول والثاني قولاً واحداً ، لكن الطبري أوردهما كقولين منفصلين . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ .

(٨) أورده غير واحد من المفسرين و لم ينسبوه لأحد . ينظر مثلاً : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ .

(٩) ذكر **ابن جرير** أقوالاً جاءت عن جماعة من السلف وجوَّزها جميعاً . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٧٤ . وجوّز **العز بن عبد السلام** جميع الأقوال ، وكذلك نقل **أبو حيان** جميع الأقوال وقال : " والذي يظهر : أن المدفوع بهم هم المؤمنون ، ولولا ذلك لفسدت الأرض ، لأن الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع أقطارها ، ولكنه تعالى لا يخلي زماناً من قائمٍ يقوم بالحق ويدعو إلى الله تعالى ، إلى أن جعل ذلك في أمّة محمد ﷺ " . اهـ . وذكر العز بن عبد السلام ، والنيسابوري ، وابن عادل (عند تفسير نظيرها في سورة البقرة ، آية : ٢٥١) **جميع الأقوال ولم يرجحوا قولاً** . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٥٧ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٨٣ ، البحر المحيط : ٢ / ٢٧٩ ، تفسير ابن عادل : ٤ / ٢٩٣ .

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

- إن معنى القتال أليق بما تقدم من الآية ، قاله **ابن عطية وابن جُزيّ** (١) .

- وقال **القرطبي** : " فكأنه قال : أذن في القتال فليقاتل المؤمنون ، ثم قوى هذا الأمر في القتال بقوله : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ . الآية . أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة ، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه إذ لولا القتال لما بقي الدِّين الذي يذب عنه ، وأيضا هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم ، وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى ، أي : لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس ، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفي زمن محمد ﷺ المساجد " . اهـ (٢) .

- إن معنى الآية على القول الثالث وغيره من الأقوال مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه ذوو الأفهام ، قاله **الآلوسي** (٣) .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ ، التسهيل : ٣ / ٤٢ .
(٢) تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٠ .
(٣) روح المعاني : ١٧ / ١٦٣ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ . [آية : ٤٧] .

مسألة : في معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ :

ترجيح ابن جزي رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ أن يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، فقال :

((﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ المعنى : أن يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال ﷺ : « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ؛ وذلك خمسمائة سنة » . وقيل : المعنى إن يوماً واحداً من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب ؛ فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة ، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ؛ **إلاَّ أنَّ الأوَّل أرجح** ؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة . وقيل : إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

بناء على اختلاف المفسرين في **المراد بالعذاب المستعجل في الآية** ؛ هل هو العذاب الدنيوي أو العذاب الأخروي **اختلفوا في معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأول : العذاب المستعجل به **العذاب الأخروي** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٢)] ، ومجاهد ، وعكرمة [(٣)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٨٣) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٨١ .

(٣) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة ، ونسبه البغوي إليهما ، وعزاه السيوطي عن عكرمة إلى ابن المنذر . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩١ ، الدر المنثور : ٦ / ٦٢ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، **وغالبية المفسرين** خلافاً لأبي السعود والآلوسي .

❖ **ثم اختلفوا في معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ على وجوه منها** [٢] :

✓ **الوجه الأول : التشبيه وقع في العدد** ، المعنى : أن **يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا** ، وحسَّنه **النحاس** جداً [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

واستدل له :

١. النظير القرآني :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ . [سورة السجدة : ٥] .

٢. من السُّنة :

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قبل أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ ؛ وهو خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ » [٦] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) قال الفرَّاء : " يقال : يوم من أيّام عذابهم فى الآخرة كَألف سَنة ممَّا تعدونَ فى الدنيا " . اهـ . وذكر الزَّجَّاج وجها آخر فقال : " أعلم أن الله لا يفوته شيء وإن يوما عنده وألف سنة فى قدرته واحد ، ولا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره فى القدرة ؛ إلا أن الله تفضل بالإمهال " . اهـ . ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ١٩٥ معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٤٣٣ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٢٣ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) ومنهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني ، وقدَّمه ابن الجوزي وابن كثير ، والقاسمي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٨٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٦ ، زاد المسير : ٥ / ٤٤٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٢٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٣٤ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد ، بَاب ما جاء أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قبل أَغْنِيَائِهِمْ (٢٣٥٤) : ٤ / ٥٧٨ . قال الترمذي : وهذا **حديث صحيح** .

قال **السمعاني** : " وهذا القول هو الأوْلى ؛ لأنه قد سبق ذكر العذاب " [١] .

قال **ابن كثير** : " أي : هو تعالى لا يَعجَل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه ، لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أجَّلَ وأنظَر وأملى " . اهـ [٢] .

✓ **الوجه الثاني : التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة** ، المعنى : **إن يوماً واحداً من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب** ؛ فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة ، ذهب إليه الأخفش [٣] ، وقاله غير واحد من المفسرين [٤] . [٥]

والمعنى :

أنهم لو عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه ، وهذا القول قريب من **قول أبي مسلم** ، وقال عنه **الفخر الرازي** : " وهو أولى الوجوه " [٦] . وقدَّمه **النيسابوري** [٧] .

الوجه الثالث : التشبيه وقع في التحديد ، المعنى : إن اليوم المذكور في الآية **هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض** ، قاله ابن عباس ﷺ [٨] أيضاً ، ومقاتل [٩] ، ونصَّ عليه **الإمام أحمد بن حنبل** [١٠] ، وقدَّمه الماوردي ، والقرطبي ،

---

(١) تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٢٩ . وينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٣٤ .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٦٣٨ .

(٤) منهم : الواحدي ، والزمخشري ، والنسفي ، ولم يذكر البقاعي والثعالبي غيره (قال الثعالبي : قالت فرقة) . ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٧ ، الكشاف : ٣ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٨ ، نظم الدرر : ٥ / ١٦١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٢٩ .

(٥) جوَّز القولين الأول والثاني : البيضاوي ، والخطيب الشربيني . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣١ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٧ .

(٦) نسب الفخر الرازي هذا القول إلى أبي مسلم . ينظر : التفسير الكبير :٢٣ / ٤١ .

(٧) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٨٩ .

(٨) نسبه البغوي إليه ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩١ ، الدر المنثور : ٦ / ٦٢ .

(٩) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٦ .

(١٠) ينظر : الرد على الزنادقة والجهمية لأبي عبد الله ، أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) : ١ / ١١ .

والخازن [١] ، وقاله الشنقيطي [٢] . [٣]

القول الثاني : العذاب المستعجل به **العذاب الدنيوي** ، قاله أبو السعود [٤] ، ووافقه الآلوسي [٥] .

✖ قال **أبو السعود معترضاً** على القول الأول مستدلاً بدلالة السِّياق :

" وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة ؛ وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته ، أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة ، أو المستطالة لشدة عذابها **مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه** ، فإن كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوي ، وأن الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الإملاء والإمهال لا الزمان المقارن له ، ألا يرى إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ... ﴾ [٦] ... ... صريح في أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإملاء المديد " . اهـ [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن العذاب المستعجل به هو العذاب الأخروي ، وأن معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾** أن **يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة ما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : قال **الطبري** عن هذا القول : وهو **أشبه بالحق** في ذلك " .

---

(١) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٣٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٨ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢١ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٢٧٨ .

(٣) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها من غير ترجيح : الثعلبي ، والبغوي ، وابن عطية ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والشوكاني ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٠ ، ٣٥١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٠ ، تفسير السعدي : ٥٤١ ، الوسيط : ٩ / ٣٢٤ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٢ .

(٥) روح المعاني : ١٧ / ١٧٠ .

(٦) سورة الحج : ٤٨ .

(٧) تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٢ .

واستدل لذلك **بدلالة السِّياق** أيضاً فقال :

" وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله ﷺ بالعذاب ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ثم أتبع ذلك قوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ... ﴾ [١] ، فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة وتركه معاجلتهم بالعذاب ؛ فبين بذلك أنه عنى بقوله : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ نفي العجلة عن نفسه ووصفها بالأناة والانتظار ... وكان تأويل الكلام : وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة يوم واحد كألف سنة من عددكم ، وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد ؛ فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته " . اهـ [٢] .

ثانياً : القول بالحقيقة هو الأولى لأنه الأصل :

قال **ابن جُزيّ** : " وفي كل واحد من الوجهين – أي الأول والثاني – تهديد للذين استعجلوا العذاب ؛ **إلاَّ أنَّ الأوَّل أرجح** ؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة " . اهـ [٣] .

ثالثاً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٤] .

✍ ولكن يوم القيامة بالنسبة إلى المؤمنين يقصر ويخف حتى يكون كنصف نهار .

عن إبراهيم قال : ما طول ذلك اليوم على المؤمن إلا كما بين الأولى والعصر [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الحج : ٤٨ .
(٢) تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٤ . وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٢٣ .
(٣) التسهيل : ٣ / ٤٤ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .
(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٦٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ . [آية : ٥٢] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في الاختلاف في معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ و ﴿ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ و ﴿ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية من التمني ؛ بمعنى : حب الشيء ، فقال : ((واختلف في معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ و ﴿ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية ، فقيل : ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ بمعنى : تلا ، والأمنية : التلاوة ؛ أي : إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته . وقيل : هو من التمني بمعنى حب الشيء ؛ **وهذا المعنى أشهر في اللفظ** ؛ أي : تمنى النبي ﷺ مقاربة قومه واستئلافهم ، وألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ و ﴿ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية** على قولين :

القول الأول : ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ بمعنى : تلا أو قرأ أو حدَّث ، والأمنية التلاوة ؛ أي : إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [(٢)] ، ومجاهد والضحاك [(٣)]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٤ .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه في مقدمة باب تفسير سورة الحج (٤ / ١٧٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه . وعزاه السيوطي إلى البزار ، والطبراني ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات ، وعزاه السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنه من طرق كثيرة كلها أحاديث مرسلة . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٦٥ ، ٦٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٨٢ .

(٣) قال مجاهد : يعني : إذا قال . ينظر تفسيره : ٢ / ٤٢٧ . وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، والضحاك . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٠ .

ومقاتل [١] ، ورجَّحه الطبري [٢] ، والنحاس [٣] ، والقاضي عياض [٤] ، وقاله رواة اللغة [٥] **وأكثر** [٦] المفسرين [٧] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٧٨] . أي : إلا قراءة ؛ لأن الأمي لا يعلم القرآن من المصحف ؛ وإنما يعلمه قراءة [٨] .

٢. من كلام العرب :

بقول حسَّان بن ثابت ﷺ في عثمان ﷺ حين قتل :

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وآخِرَهُ لاَقى حِمَامَ المَقَادِرِ

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٦ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٠ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ٤٢٥ .

(٤) ينظر : كتاب الشفا : ٢ / ١١٥ .

(٥) نسبه إلى رواة اللغة : الفخر الرازي ، وأبو حيان ، والطاهر بن عاشور . ينظر : التفسير الكبير : ٣٢ / ٤٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٣ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٧ . وينظر : العين للفراهيدي ، باب الميم والنون : ٨ / ٣٩٠ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٣ / ٤٣٣ ، (مادة : مني) في : معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٢٧٧ ، المحكم لابن سيده : ١٠ / ٥١١ ، لسان العرب : ١٥ / ٢٩٥ ، تاج العروس : ٣٩ / ٥٦٣ . وينظر : كليات الكفوي : ١٨٧ .

(٦) نسبه إلى أكثر المفسرين : السمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، وابن كثير ، والشنقيطي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٤١ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٣ تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣١ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٨٤ .

(٧) ومنهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ونسبه لقتادة ، والماوردي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والنسفي ، وابن كثير ، والثعالبي (ونقل قول القاضي عياض) ، والجلالين ، والشوكاني ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٨٦ ، تفسير الماوردي : ٤ / ٣٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٧ ، زاد المسير : ٥ / ٤٤٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٧٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٨ ، ١٠٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٣٣ ، تفسير الجلالين : ٤٤١ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٢ ، تفسير السعدي : ٥٤٢ .

(٨) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٤٥ .

وقال آخر :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَة تَمَنِّي دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ [١]

٣. القرينة القرآنية :

قال ابن جرير : " **هذا القول أشبه بتأويل الكلام** ، بدلالة قوله : ﴿... فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ...﴾ [٢] على ذلك ؛ لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تتزيله ، فمعلوم أن الذي ألقي فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه " . اهـ [٣] .

القول الثاني : ﴿ **تَمَنَّىٰٓ** ﴾ **من التمني** ؛ **بمعنى** : **حب الشيء** ؛ أي : تمنى النبي ﷺ مقاربة قومه واستئلافهم ، ألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك ، قاله ابن عباس [٤] رضي الله عنه ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ومال إليه القاسمي [٦] ، والطاهر بن عاشور [٧] ، وقاله وقاله جماعة من المفسرين [٨] . [٩]

---

(١) ذكر هذين البيتين جماعة من أهل اللغة والمفسرين عند تفسيرهم للآية التي معنا . ينظر مثلاً : الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ٣٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، تاج العروس (مادة : مني) : ٣٩ / ٥٦٣ . ولم اهتد لقائل البيت الثاني .

(٢) سورة الحج : ٥٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٠ .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه : إن أمنيته أن يسلم قومه . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٦٥ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٤ .

(٦) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٤٩ ، ٥٤ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٧ .

(٨) منهم : البغوي ، والزمخشري ، وأبو حيان ، وسيد قطب . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٣ ، الكشاف : ٣ / ١٦٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٢ ، الظلال : ٤ / ٢٤٣٣ .

(٩) ذكر القولين ولم يرجح : السمعاني ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٧ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٠ ، ٩١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٨ .
وجوَّز الفراء ، والبقاعي ، والخطيب الشربيني القولين ، ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٩٦ ، نظم الدرر : ٥ / ١٦٤ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٨ . ولم يتعرض **الآلوسي** للروايات في الآية ، وقال : " والتمني على ما قال أبو مسلم : نهاية التقدير ... والأمنية على ما قال الرَّاغب : الصورة الحاصلة في النفس من التمني . ينظر : روح المعاني : ١٧ / ١٧٣ .

✖ **واعتُرض على هذا القول :**

بأن تمنِّي القلب كيف يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون ، وللقاسية قلوبهم وهم المشركون ؟

قال تعالى في الآية التي تليها : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ . [سورة الحج : ٥٣] .

✓ **وأُجيب** : بأنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السَّهو في الأفعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة لمن ضعفت عقيدته في النبي ﷺ [(١)] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ و ﴿ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية من التمني ؛ بمعنى : حب الشيء ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : من اللغة : على الرغم من تفسير رواة اللغة التمني بالقراءة ؛ إلا أن الذي تميل إليه النفس أن يكون معنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ أراد وأحب واشتهى ، **وهذا المعنى أشهر في اللفظ** ؛ كما قال **ابن عطية وابن جُزيّ** [(٢)] .

وقد قال **أهل اللغة** [(٣)] : تمنَّاهُ تَمَنّياً : أَرادَهُ ، والتمني : حديث النفس بما يكون وبما لا يكون والتمني السؤال للرب في الحوائج .

وفي الحديث : « إذا تَمَّنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه ﷻ » [(٤)] .

وتمنّيت الشيء ، أي : قدّرته وأحببتُ أن يَصير إليّ ، من (المَنا) وهو (القَدَر) .

---

(١) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٢٣ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٨ ، التسهيل : ٣ / ٤٤ .

(٣) ينظر (مادة : مني) في : تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٣٨٣ ، لسان العرب : ١٥ / ٢٩٤ ، تاج العروس : ٣٩ / ٥٦٢ .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٠٤٠) : ٢ / ٣٠١ . عن عائشة – رضي الله عنها – . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح . ينظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ١٥٠ .

وقال ابن الأثير :

التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون [١] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" وعندي في صحة إطلاق لفظ الأمنية على القراءة شك عظيم ... فلا أظن أن القراءة يقال لها : أمنية " . اهـ [٢] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني :

هذا المعنى يناسب سياق الآية ومفهومها ؛ فالله ﷻ يخبر نبيَّه ﷺ أن ما من رسول ولا نبي إلاَّ وله أمنية في قومه ، وهي أن يتبعوه وينحازوا إلى ما يدعوهم إليه .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" ويجوز أن يكون المعنى : أن النبي إذا تمنّى هدْي قومه ، أو حرَص على ذلك فلقي منهم العناد ، وتمنّى حصول هداهم بكل وسيلة ألقى الشيطان في نفس النبي خاطر اليأس من هداهم عسى أن يُقْصر النبيءُ من حرصه أو أن يضجره ، وهي خواطر تلوح في النفس ولكن العصمة تعترضها فلا يلبث ذلك الخاطر أن ينقشع ويرسخ في نفس الرسول ما كلّف به من الدأب على الدعوة والحرص على الرشد . فيكون معنى الآية على هذا الوجه ملوّحاً إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ . [سورة الأنعام : ٣٥] . " . اهـ [٣] .

ثالثاً : يؤكد هذا المعنى الغرض من الآية ؛ فقد كان نبيُّنا ﷺ يحب ائتلاف قومه ؛ وكان من ذلك في المقام الأعلى . قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ . [سورة الكهف : ٦] . وقال : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ

---

(١) ينظر : النهاية في غريب الأثر (مادة : مني) : ٤ / ٣٦٧ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٩ .
(٣) المرجع السابق : ١٧ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ . وينظر قبله : الظلال : ٤ / ٢٤٣٣ .

بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١٠٣] . فكان الغرض من الآية تسلية من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ؛ أي : لا يه ولنك ذلك ولا يحزنك ؛ فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء [١] .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر دون الشاذ أو القليل** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : في الاختلاف في كيفية إلقاء الشيطان :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن كيفية إلقاء الشيطان بأن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين ، فقال : ((واختلف في كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل : إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين . وقيل : إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد . والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، **والقول الأوَّل أرجح** ؛ لأن النبي ﷺ معصوم في التبليغ ، فمعنى الآية : أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان)) . اهـ [٣] .

---

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٣٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٦٢ .
(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢١٣ .
(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٤ .

الدراسة :

جاء فى سبب نزول هذه الآية روايات مختلفة ؛ قال عامة المفسرين في سبب نزولها :

" أنه ﷺ لما شقَّ عليه إعراض قومه عنه تمنى في نفسه أن لا يترل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم . وكان ذات يوم جالساً في نادٍ من أنديتهم ، وقد نزل عليه سورة ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [(١)] ، فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله : ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [(٢)] ، وكان ذلك التمني في نفسه فجرى على لسانه : (تلك الغرانيق العلى * منها الشفاعة ترتجى) ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ، ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى ختم السورة ، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين ، فتفرقت قريش مسرورين وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر . فأتاه جبرائيل ، وقال : ما صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ! . فحزن رسول الله ﷺ وخاف خوفاً شديداً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية [(٣)].

✖ وفي مشكل هذا الحديث مأخذين :

الأول : من ناحية السند : [(٤)] فهو واهي الأصل .

---

(١) سورة النجم : ١ ، ٢ .

(٢) سورة النجم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ٢٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٦٦ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٢٨ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٢ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٩٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٦١ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٢٨٥ . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٩٢ .

(٤) المفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس ﷺ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ . ومعلوم أن الكلبي متروك ، وقد بين **البزار** : أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير ، مع الشك الذي وقع في وصله ، وقد اعترف **الحافظ ابن حجر** مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفة إلا طريق سعيد بن جبير . وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير ، لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية بن خالد ، وهو وإن كان ثقة فقد شك في وصلها .

فقد أخرج البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فيما أحسب ، ثم ساق حديث القصة المذكورة ، وقال **البزار** : لا يرى متصلاً إلا بهذا الإسناد ، تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور ، وقال البزار : وإنما يروى من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . والكلبي متروك . فتحصل أن قصة الغرانيق ، لم ترد متصلة إلا من هذا الوجه الذي شك رواية في =

قال **الفخر الرازي** :

" هذه **القصة موضوعة** ؛ أكثر ما في الباب أنّ جمعاً من المفسرين ذكروها ، لكنهم ما بلغوا حد التواتر ، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة " . اهـ [1] .

✓ **والذي جاء في الصحيح :**

- عن عبد اللَّهِ ﷺ قال : « قَرَأَ النبي ﷺ (النَّجْمَ) بِمَكَّةَ فَسَجَدَ فيها ، وَسَجَدَ من معه

= الوصل ، ومعلوم أن ما كان كذلك لا يحتج به لظهور ضعفه ، ولذا قال **الحافظ ابن كثير** في تفسيره : إنه لم يرها مسندة من وجه صحيح .

وعن **البيهقي** أنه قال : هي غير ثابتة من جهة النقل . وذكر عن إمام الأئمة **ابن خزيمة** : أن هذه القصة من وضع الزنادقة . وأبطلها **النحاس في الناسخ والمنسوخ** ، وكذلك **ابن العربي المالكي** ، **والقاضي عياض** ، **وأجاب الفخر الرازي عن هذه القصة في عشر مقامات حسان** ، **والقرطبي** ، **ونزَّه أبو حيان** تفسيره عن ذكر هذه الروايات ، **وأبطلها ابن عادل** ، **والخطيب الشربيني** ، **والشوكاني** ، **والشنقيطي** ، **والطاهر بن عاشور** وجماعات كثيرة **سنداً ومتناً** ، وتصدى لقصة الغرانيق **الشيخ الألباني في كتابه** : (**نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**) فجمع طرق هذه الروايات من مظانها من كتب التفسير والسير ، وكرَّ عليها بالنقد والتفنيد ، وبيَّن بطلان أسانيها ، ونكارة متونها ، وقال : " تلك هي روايات القصة وهي كلها كما رأيت معلة بالإرسال والضعف والجهالة ؛ فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به لاسيما في مثل هذا الأمر الخطير . ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها ما فيها من الاختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ... " . ثم شرع في ذكر ما يؤيد بطلان هذه القصة وبيان تعارض الروايات وتناقضها مما يسقط الاحتجاج بها ؛ فكيف وهي ضعيفة ؟! .

وقال الدكتور سامي الجهني : **هذا الحديث منكر** ، وأبطل أهل التحقيق هذه الرواية ؛ فقالوا : **هذه الرواية باطلة موضوعة لوجوه من القرآن ، والسُّنة ، والمعقول .**

وقراءته ﷺ سورة النجم وسجود المشركين ثابت في الصحيح ، و لم يذكر فيه شيء من قصة الغرانيق . وعلى هذا القول الصحيح وهو أنها باطلة فلا إشكال .

وأما على ثبوت القصة كما هو رأي **الحافظ ابن حجر فإنه قال في فتح الباري** : " فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً ، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح ، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض " . اهـ . فللعلماء عن ذلك أجوبة كثيرة أحسنها ، وأقربها هو القول الثاني في المسألة (سيذكر لاحقاً) . ينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٥٧١ ، ٥٧٢ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٠٧ ، الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١٠٩ - ١١٥ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٢٨ ، زاد المسير : ٥ / ٤٤١ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٤٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ ، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي : ٢ / ٣٩١ - ٣٩٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٠ ، فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٤٣٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٧ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٩ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٦١ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٨٥ ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ) : ٣٥ ، ٣٦ ، تخريج الأحاديث والآثار في التسهيل للدكتور سامي الجهني : ٧٨٩ .

(١) التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٥ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٨ .

غير شَيْخٍ أَخَذَ كَفًّا من حَصًى أو تُرَابٍ فَرَفَعَهُ إلى جَبْهَتِهِ ، وقال : يَكْفِينِي هذا . فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذلك قُتِلَ كَافِرًا » (١) .

- وعن ابن عَبَّاسٍ ﷺ : « أَنَّ النبي ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ ، وَسَجَدَ معه الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ » (٢) .

فهذا الذي جاء في الصحيح **لم يذكر فيه أن النبيّ ﷺ ذكر تلك الألفاظ ولا قرأها .**

الثاني : من ناحية المتن : فهو يصادم أصلاً من أصول العقيدة ؛ وهو أن النبي معصوم في التبليغ (٣) .

ولقد دفع المحققون هذا القول بكتاب الله :

- كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ . [سورة الحاقة : ٤٤ - ٤٦] .
- وقوله : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ . [سورة النجم : ٣ ، ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴾ . [سورة الإسراء : ٧٤] . فنفى المقاربة للركون فضلاً عن الركون .
- وقوله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢] . (٤)

فهذه الرواية موضوعة ؛ وعلى القول بوقوع هذه الكلمة وهي : (تلك الغرانيق

---

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - في صحيحه في كتاب الكسوف ، باب ما جاء في سُجُودِ الْقُرْآنِ وَسُنَّتِهَا (١٠١٧) : ١ / ٣٦٣ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، بَابُ سجود التلاوة (٥٧٦) : ١ / ٤٠٥ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الكسوف ، بَاب سُجُودِ الْمُسْلِمِينَ مع الْمُشْرِكِينَ (١٠٢١) : ١ / ٣٦٤ .

(٣) قاله أغلب المفسرين . ينظر مثلا : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٤ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٦١ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٨٥ .

العلى * منها الشفاعة ترتجى) في قراءته ﷺ وصحة هذه الرواية – وقد أعاذنا الله من صحتها – [١] ؛ فقد اختلف أهل العلم والمفسرون في كيفية إلقاء الشيطان لها على أقوال [٢] منها :

القول الأول : أن **النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو** ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، وسعيد بن جبير [٤] ، والأكثرون من السَّلف [٥] ، وقاله قتادة ومقاتل [٦] [٦] وهو القول **المشهور** [٧] ، وقاله **أكثر** [٨] المفسرين [٩] .

✖ **ورُدَّ هذا القول : بأن هذا مما لا يجوز على النبي ﷺ ؛ فهو ﷺ معصوم في التبليغ – كما ذكت آنفاً – لا قصداً ولا سهواً .**

✓ قال **القاضي عياض في (الشفاء)** بعد أن ذكر الدليل على صدق النبي ﷺ : " إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه ؛ لا

---

(١) قال القاضي عياض بذلك . ينظر : كتاب الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١١٤ .

(٢) لمعرفة المزيد من الأقوال ؛ ينظر : كتاب الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١١٤ وما بعدها ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٥ وما بعدها ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٩ وما بعدها .

(٣) عزاه السيوطي إلى البزار ، والطبراني ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات ، وعزاه السيوطي عن ابن عباس من طرق كثيرة كلها **أحاديث مرسلة** . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٦٥ ، ٦٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٨٢ .

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه **بسند صحيح** . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٩ ، الدر المنثور : ٦ / ٦٥ .

(٥) أخرجه الطبري عن جماعة من السلف ، ونسبه السمعاني إليهم ، وعزى السيوطي هذا القول إلى جماعة من السلف ؛ ومنهم : أبي العالية ، والضحاك ، وعكرمة ، والسدي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٨٨ ، ١٨٩ تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٩ . الدر المنثور : ٦ / ٦٦ – ٦٩ .

(٦) روى قتادة ومقاتل : أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصلاة عند مقام إبراهيم ﷺ فنعس ، فقال : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ (تلك الغرانيق العلى ، عندها الشفاعة ترتجى) . عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٣٨٧ ، الدر المنثور : ٦ / ٦٨ .

(٧) قال بذلك ابن عطية ، والقرطبي ، وابن جُزيّ . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٢٨ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٠ ، التسهيل : ٣ / ٤٤ .

(٨) نسبه البغوي إلى الأكثرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٣ .

(٩) منهم : الثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والعز بن عبد السلام ، والجلالين ، والسعدي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٩ ، ٣٠ ، تفسير الماوردي : ٤ / ٣٤ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٧ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٠ ، تفسير الجلالين : ٤٤١ ، تفسير السعدي : ٥٤٢ .

قصداً ولا عمداً ، ولا سهواً ولا غلطاً " . اهـ [١] .

✓ وقال **النسفي** :

" وهذا القول غير مرضى لأنه لا يخلو إما : أن يتكلم النبى عليه السلام بها عمداً ، وهذا لا يجوز لأنه كفر ، ولأنه بعث طاعناً للاصنام لا مادحاً لها ، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع ؛ لأن الشيطان يقدر على ذلك على لسانه سهواً وغفلة ، وهو مردود أيضاً لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ، ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ، ولأنه تعالى قال فى صفة المنزل عليه : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ... ﴾ [٢] . وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [٣] " . اهـ [٤] .

القول الثاني : أن **الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به** ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين ؛ ذهب إليه **الأزهري** [٥] وغيره ، **واستحسنه ابن العربي** [٦] ، **ورجَّحه القاضي عياض** [٧] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] موافقاً **القرطبي** [٩] ، **وحسَّنه الخطيب الشربيني** [١٠] ، ومال إليه **القاسمي** [١١] ، **ورجَّحه الشنقيطي** [١٢] ، وجَّوزه **الطاهر بن عاشور** [١٣] ، ووافقه جماعة من

---

(١) كتاب الشفا : ٢ / ١١٢ .
(٢) سورة فصلت : ٤٢ .
(٣) سورة الحجر : ٩ .
(٤) تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ .
(٥) نسبه إليه : النحاس والسمعاني . ينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٥٧٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٩ . ولم أقف على قول الأزهري في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – .
(٦) ينظر : أحكام القرآن : ٣ / ٣٠٧ .
(٧) ينظر : كتاب الشفا : ٢ / ١١٥ .
(٨) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٤ .
(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٠ ، ٨٢ .
(١٠) ينظر : السراج المنير : ٢ / ٦٢٠ .
(١١) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٤٩ ، ٥٤ .
(١٢) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٢٨٧ .
(١٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

المفسرين [١] .

قال **ابن عطية** :

" لا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة " . اهـ [٢] .

وقال **ابن العربي** : " هذه الآية نصٌّ في براءة النبيّ مما نسب إليه ... وأن الشيطان زاد في قوله ﷺ ؛ لا أنه عليه السلام قاله " .

وقال : " وقد سبق إلى ذلك **الطبري** لجلالة قدره ، وسعة علمه ، وشدة ساعده في النظر فصوَّب على هذا المعنى وحوَّم عليه " . اهـ [٣] .

وقال **النسفي** : " وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى عليه السلام ويسمع كلامه ؛ فقد روى أنه نادى يوم أُحد : ألا إن محمداً قد قتل . وقال يوم بدر : ﴿ ... لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ... ﴾ [٤] " . اهـ [٥] .

✖ **وضُعِّف** :

بأن هذا يفضي إلى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبي ﷺ [٦] .

✓ **وأُجيب** : " أن الإنصاف أنه غير ضعيف ، ولا يفضي إلى ارتفاع الوثوق ؛ لقوله سبحانه في تتمة الآية نفسها : ﴿ ... فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ... ﴾ [٧] " [٨] .

---

(١) ومنهم : ابن عطية ومال إليه ، والنسفي ، واحتمله الخازن ، والثعالبي (ونقل قول القاضي عياض) والشوكاني ، وسيد قطب . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٣٣ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٢ ، الظلال : ٤ / ٢٤٣٣ .

(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٩ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ . بتصرف .

(٤) سورة الأنفال : ٤٨ .

(٥) تفسير النسفي : ٣ / ١٠٩ . وينظر قبله : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٥٧٥ .

(٦) قاله الفخر الرازي وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي :٢٣ / ٤٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٢٠ .

(٧) سورة الحج : ٥٢ .

(٨) تفسير النيسابوري : ٥ / ٩١ .

❖ **وذكر القولين ولم يرجح جماعة من المفسرين** ، منهم : السمر قندي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وابن عادل ، وأبو السعود [١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به ؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ موافقاً للقرطبي ، وتبعه الخطيب الشربيني والشنقيطي ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم وما يلي :**

أولاً : القرينة القرآنية :

قال **الشنقيطي** : " وهذا القول الذي زعمه كثير من المفسرين : وهو أن الشيطان ألقى على لسان النَّبي ﷺ ، هذا الشرك الأكبر والكفر البواح الذي هو قولهم : (تلك الغرانيق العلا * وإن شفاعتهن لترتجى) يعنون : اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، الذي لا شك في بطلانه في نفس سياق آيات النجم التي تخللها إلقاء الشيطان المزعوم **قرينة قرآنية** واضحة على بطلان هذا القول لأن النَّبي ﷺ قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [٢] ، قال : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ... ﴾ [٣] ، وليس من المعقول أن النَّبي النَّبي ﷺ يسب آلهتهم هذا السب العظيم في سورة النجم متأخراً عن ذكره لها بخير المزعوم ، إلا وغضبوا ، ولم يسجدوا لأن العبرة بالكلام الأخير " . اهـ [٤] .

ثانياً : قصة الغرانيق موضوعة كما ذكرنا ، وعلى القول بصحة هذه الرواية ؛ فإن أحسن الأقوال وأقربها للصواب هو القول الثاني الذي رجَّحه ابن جُزيّ ؛ لأن القول الأول فيه طعن

---

(١) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٤٩ ، الكشاف : ٣ / ١٦٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٤٤ – ٤٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩١ ، ٩٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١١٩ – ١٢٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٣ .

(٢) سورة النجم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) سورة النجم : ٢٣ .

(٤) أضواء البيان : ٥ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

في عصمة النبوة فهو مردود ، وبهذا يترجَّح قول ابن جُزيّ .

ثالثاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية المعتبرة** التالية :

- **كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود .**
- **القول الذي يعظم مقام النبوة ، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣٢٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ [١] لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ... ﴾ [٢] . [آية : 58] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ الرزق في الجنة بعد يوم القيامة ، فقال : ((﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة ؛ أو رزق الشهداء في البرزخ ، **والأوَّل أرجح** ، لأنه يعمُّ الشهداء والموتى)) . اهـ [٣] .

---

(١) **استدل بقوله : ﴿ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ ﴾ الصحابي فَضَالة بن عبيد الأنصاري على أن المقتول والميت في سبيل الله سواء في الفضل** ؛ عزاه السيوطي إلى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، الدر المنثور : ٦ / ٧١ . **وقال بذلك جماعة من المفسرين** ؛ منهم : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، وابن عادل ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٥٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٣٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٢ ، نظم الدرر : ٥ / ١٦٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، الظلال : ٤ / ٢٤٣٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٠٩ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٩٢ .
وخالف آخرون ففضلوا المقتول ، وقالوا : ظاهر الشريعة يدل على أن المقتول أفضل ؛ قاله ابن عطية والقرطبي . وقال بعض أهل العلم : إن المقتول في سبيل الله والميت في سبيل الله شهيد ان ؛ ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٨ .
وقال أبو السعود : " وإنما سوَّى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل ؛ على أن مراتب الحسن متفاوتة ؛ فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة " . اهـ . ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٦ .

(٢) **جاء في سبب نزول الآية قولان :**
الأول : أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد ؛ قال بعض الناس : من قتل في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه ؛ فنزلت هذه الآية مسوِّية بينهم ، وأن الله يرزق جميعهم رزقاً حسناً . أورده غير واحد من المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٨٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٤ روح المعاني : ١٧ / ١٨٨ .
الثاني : أن طوائف من أصحاب النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا ، فما لنا إن متنا معك ؟ فنزلت الآية . أورده غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٦٨ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٥٠ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٩٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، روح المعاني للآلوسي : ١٧ / ١٨٨ . **وهذان السببان ظنيان لم أقف عليهما مسندين في كتب المتون الصحيحة .**

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٥ .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾** على أقوال [١] منها :

القول الأول : المراد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، والسدي [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

القول الثاني : المراد به رزق الشهداء في البرزخ ، قاله البقاعي ، والخطيب الشربيني [٦] .

قال البقاعي :

" ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ من حين تفارق أرواحهم أشباحهم لأنهم أحياء عند ربهم " . اهـ [٧] .

.

---

(١) ومن هذه الأقوال : قال الأصم : إنه العلم والفهم ؛ كقول شعيب عليه السلام : ﴿ ... وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ... ﴾ . [سورة هود عليه السلام : ٨٨] . فهذا في الدنيا وفي الآخرة الجنة ، وقال الكلبي : رزقاً حسناً حلالاً ، وهو الغنيمة ، وقاله السمر قندي أيضاً . قال الفخر الرازي : " وهذان الوجهان ضعيفان ، لأنه تعالى جعله جزاء على هجرتهم في سبيل الله بعد القتل والموت ؛ وبعدهما لا يكون إلا نعيم الجنة " . اهـ . وذكر أبو حيان ، والنيسابوري ، وابن عادل ، والآلوسي هذا في تفاسيرهم ؛ وضعَّفوا هذه الأقوال أيضاً . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٥٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٥٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، روح المعاني : ١٧ / ١٨٨ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٨٢ .

(٣) نسبه ابن الجوزي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤٦٤ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٥ .

(٥) ومنهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وقال الفخر الرازي (لا شبهة في ذلك) ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٩٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٨٨ ، الكشف والبيان : ٧ / ٣١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٣٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٥١ تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٥ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٥٠ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٩٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، تفسير الجلالين : ٤٤١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٦ ، السراج المنير : ٢ / ٦١٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٤ الوسيط : ٩ / ٣٣٢ .

(٦) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ١٦٧ ، السراج المنير : ٢ / ٦٢٢ .

(٧) نظم الدرر : ٥ / ١٦٧ . وينظر : السراج المنير : ٢ / ٦٢٢ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ الرزق في الجنَّة بعد يوم القيامة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : أنَّ الرِّزق في الجنَّة يعمُّ الشهداء والموتى ؛ قاله ابن جُزيّ [١] .

ثانياً : أنَّ الرِّزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً هو رزق الجنَّة ؛ قال بذلك جماعة من المفسرين [٢] .

ثالثاً : هذا القول هو المرويُّ عن **ابن عباس** ﷺ ترجمان الأمَّة ؛ ويؤيد هذا القول بعض **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٥ .

(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٥١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٣١ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٦ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٤ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ . [آية : ٧٠] .

مسألة : لمن تكون الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ إلى كتب المعلومات في الكتاب ، فقال : ((﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب ، أو إلى الحكم في الاختلاف ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون **لمن تكون الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ [٢] ﴾** على قولين :

القول الأول : أن تكون **الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى الحكم في الاختلاف** ، أي : إن الفصل بين المختلفين على الله يسير ، قاله ابن جريج [٣] ، والقرطبي [٤] ، واحتمله الثعالبي [٥] .

واستدل لذلك بدلالة السِّياق : قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ . [سورة الحج : ٦٩] .

القول الثاني : أن تكون **الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى كتب المعلومات في الكتاب** ؛ أي : ما

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٦ .

(٢) والمعنى : إن ذلك مما يتعذر على الخلق لكنه متى أراده الله تعالى كان ، فعبر عن ذلك بأنه ﴿ يَسِيرٌ ﴾ ، وإن كان هذا الوصف لا يستعمل إلا فينا من حيث تسهل وتصعب علينا الأمور ، وتعالى الله عن ذلك ؛ قاله الفخر الرازي وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٥٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٤٦ .

(٣) وكان ابن جريج يقول في قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ﴾ قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ . [سورة الحج : ٦٩] . ينظر تفسير الطبري : ١٧ / ٢٠٠ .

(٤) ينظر تفسيره : ١٢ / ٩٥ .

(٥) ينظر تفسيره : ٤ / ١٣٦ .

ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ ، ذهب إليه مقاتل [١] ، **ورجَّحه** الطبري [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، **واستظهره** أبو حيان [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

واستدل لذلك بدلالة السِّباق أيضاً : قوله تعالى قبلها في نفس الآية : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ... ﴾ . [سورة الحج : 70] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى كتب المعلومات في الكتاب ؛ أي : ما ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : إلحاق الكلام بما هو أقرب أولى : قال الطبري :

" وذلك أن قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ﴾ أقرب ، وهو له مجاور من قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ متباعد مع دخول قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بينهما ؛ فإلحاقه بما هو

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٨٩ .
(٢) ينظر تفسيره : ١٧ / ٢٠١ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٦ .
(٤) ينظر تفسيره : ٦ / ٣٥٨ .
(٥) ومنهم : السمر قندي ، والثعلبي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنسفي والخازن ، والنيسابوري ، والبقاعي ، وابن كثير ، وابن عادل ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والسعدي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٦٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٣٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٩٧ ، الكشاف : ٣ / ١٧١ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٠ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٥٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٠٠ نظم الدرر : ٥ / ١٧٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٤٦ ، تفسير الجلالين : ٤٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٢٥ ، تفسير السعدي : ٥٤٥ .
(٦) جمع بين القولين : ابن عطية ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١١٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٦٨ ، روح المعاني : ١٧ / ١٩٨ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٣١ ، الوسيط : ٩ / ٣٤٠ .

أقرب أولى ما وجد للكلام ، **وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح** " . اهـ [١] .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه ؛ أو بنظيره فهو الأولى** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٠١ .

(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٤٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ... ﴾ . [آية : ٧٨] .

مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ لله تعالى ، فقال :

((﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ الضمير لله تعالى ، ومعنى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الكتب المتقدمة ، ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ أي : في القرآن . وقيل : الضمير لـ ﴿ إِبْرَٰهِيمَۚ ﴾ ، والإشارة إلى قوله : ﴿ ... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [1] ، ومعنى ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ على هذا : من قبل وجودكم ، وهنا يتم الكلام على هذا القول ، ويكون قوله ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ مستأنفاً ؛ أي : وفي هذا البلاغ ، **والقول الأوَّل أرجح وأقل تكلفاً**)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف السَّلف والمفسرون في **عود الضمير في قوله : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾** على قولين :

القول الأول : الضمير لله تعالى ، ومعنى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ **في الكتب المتقدمة** ، ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ أي : **في القرآن** ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [3] ، ومجاهد [4] ، وقتادة وجماعة من السَّلف [5] ، وقاله مقاتل [6] ، والثوري [7] .

---

(١) سورة البقرة : ١٢٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٨٤ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٢٨ .

(٥) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه ، وابن جريج ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، ونسب ابن كثير هذا القول لمن تقدم لمن السلف وكذلك لعطاء ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، ونسبه الثعالبي والسيوطي إلى ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، وقتادة . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ ، الدر المنثور : ٦ / ٨٠ ، ٨١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٩١ .

(٧) ينظر تفسيره : ٢١٥ .

وذهب إليه الزَّجَّاج [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه الزَّركشي [٣] ، **وجمهور** [٤] المفسرين [٥] .

واستدل له بالقراءة الشاذة : قراءة أبي بن كعب ﷺ : (الله سمَّاكم المسلمين) [٦] .

القول الثاني : **الضمير لـ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾** ، والإشارة إلى قوله : ﴿ ... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [٧] ، **ومعنى ﴿ مِن قَبْلُ ﴾** على هذا : **من قبل وجودكم** ، قاله ابن زيد زيد [٨] ، والحسن [٩] .

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٤٤٠ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) ينظر : البرهان : ٤ / ٣٣ .

(٤) نسب البغوي وابن الجوزي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٠ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٧ .

(٥) منهم : الطبري ، والنحاس ، و**صحَّحه** السمر قندي ، والجصاص ، وابن أبي زمنين ، وقال الثعلبي (**وهذا الوجه أوْلى بالصواب**) ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، ومال إليه ابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، وقال الرازي (**وهذا الوجه أقرب**) ، ومال إليه القرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وقدَّمه الخازن ، ومال إليه السمين الحلبي ، و **صوَّبه** ابن كثير ، ومال إليه الثعالبي وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٣٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٧٢ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٩٠ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٩١ ، الكشف والبيان : ٧ / ٣٦ ، النكت والعيون : ٤ / ٤٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٠ ، الكشاف : ٣ / ١٧٥ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٥ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٦٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٥ ، تفسير الخازن : ٥ / ٣٠ الدر المصون : ٥ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٣٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٦٠ ، تفسير الجلالين : ٤٤٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٢٢ السراج المنير : ٢ / ٦٢٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٧١ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٦٩ ، روح المعاني : ١٧ / ٢١٠ ، الظلال : ٤ / ٢٤٤٦ ، التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٥١ ، الوسيط : ٩ / ٣٤٩ .

(٦) أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : التسهيل : ٣ / ٤٨ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٠١ .ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ولا محتسب ابن جني ، وقال د . الجهني في رسالته (٧٩١) عن هذا الأثر : لم أجده .

(٧) سورة البقرة : ١٢٨ .

(٨) نسبه إليه : البغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والثعالبي ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٥ ، زاد المسير : ٥ / ٤٥٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ ، الدر المنثور : ٦ / ٨١ .

(٩) نسبه إليه : أبو حيان ، والآلوسي . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٦١ ، روح المعاني : ١٧ / ٢١٠ .

وجوَّزه الزَّجَّاج [١] ، **واستظهره** أبو حيان [٢] ، وقاله البقاعي ، والسعدي [٣] . [٤]

✖ **وتعقَّبه النحاس** فقال : " هذا القول **مخالف** لقول العلماء الأئمة " [٥] .

واستدل له :

١. الضمير يرجع إلى أقرب مذكور ، وأقرب مذكور للضمير المذكور : هو ﴿ إِبْرَٰهِيمَۚ ﴾ .

✖ **وتُعُقِّب بأنه** :

- قد يجيء الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره ، قاله **الزَّركشي** ؛ وذكر هذه الآية مثالاً على ذلك [٦] .

- " إنَّ محل رجوع الضمير إلى أقرب مذكور محله ما لم يصرف عنه صارف ، وهنا قد صرف عنه صارف ، لأن قوله : ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ يعني القرآن ، دليل على أن المراد بالذي سمَّاهم المسلمين فيه : هو الله لا إبراهيم ، وكذلك سياق الجمل المذكورة قبله نحو : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ يناسبه أن يكون هو سمَّاكم : أي الله المسلمين " [٧] .

٢. ولكل نبيّ دعوة مستجابة ، ودعا إبراهيم عليه السلام ؛ فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [٨] ، فاستجاب الله له فجعلها أمة محمَّد ﷺ [٩] .

وقيل : " وتسميتهم بمسلمين في القرآن وإن لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في

---

(١) ينظر معانيه : ٣ / ٤٤٠ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٦١ .
(٣) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ١٨٠ ، تفسير السعدي : ٥٤٧ .
(٤) ذكر القولين من غير ترجيح : السمعاني ، والعز بن عبد السلام ، والنيسابوري . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٥٩ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٠٣ .
(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٠٦ .
(٦) ينظر : البرهان : ٤ / ٣٣ .
(٧) أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٠٣ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٣٤٩ .
(٨) سورة البقرة : ١٢٨ .
(٩) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٦١ .

قوله : ﴿ ... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ... ﴾ [١] " . اهـ [٢] .

" أي : لدخول أكثرهم في الذرية ؛ فجعل مسمِّياً لهم مجازاً " [٣] .

✖ **وتعقَّب الآلوسي** القول بالمجاز فقال : " ويلزم عليه الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وفي جوازه خلاف مشهور " [٤] .

✖ **وضعَّف ابن عطية وابن جُزيّ هذا القول فإن فيه تكلفاً** ؛ قال **ابن عطية** :

" وهذه اللفظة – أي : ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ – تضعِّف قول من قال : الضمير لـ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ولا يتوجه إلاَّ على تقدير محذوف من الكلام مستأنف " . اهـ [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن الضمير في قوله : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ لله تعالى ، ومعنى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الكتب المتقدمة ، ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ أي : في القرآن ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ ووافقه جمهور المفسرين** ، إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية :

" وفي هذه الآيات **قرينتان** تدلان على أن قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم غير صواب .

القرينة الأولى : أن الله قال ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا ﴾ أي : القرآن ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام لم يسمِّهم المسلمين في القرآن ، لنزوله بعد وفاته بأزمان طويلة ؛ كما نبَّه على هذا **ابن جرير** [٦] .

القرينة الثانية : أن **الأفعال كلها في السِّياق** المذكور راجعة إلى الله ، لا إلى إبراهيم فقوله : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ أي : الله ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي : الله ،

---

(١) سورة البقرة : ١٢٨ .
(٢) تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٤ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٢٢ .
(٣) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٦٩ .
(٤) روح المعاني : ١٧ / ٢١٠ .
(٥) المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٥ . وينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٠ .
(٦) ينظر تفسيره : ١٧ / ٢٠٨ . وينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٥١ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٠٢ .

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أي : الله " [١] .

ثانياً : من السُّنة :

قال رسول الله ﷺ : « ... وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فإنه من جُثَا جَهَنَّمَ . فقال رَجُلٌ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ صلى وَصَامَ ؟ قال : وَإِنْ صلى وَصَامَ ؛ فَادْعُوا **بِدَعْوَى اللَّهِ الذي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ** الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ » [٢] .

ثالثاً : هذا القول أقرب ؛ لأنه تعالى قال في الآية نفسها : ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ، فبين أنه سمَّاهم بذلك لهذا الغرض ، وهذا لا يليق إلا بالله [٣] .

رابعاً : يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

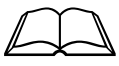

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٠٣ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ٩ / ٣٤٩ .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي – وأخرجه غيره – في سننه في كتاب الأمثال ، بَاب ما جاء في مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ (٢٨٣٦) : ٥ / ١٤٨ . قال الترمذي : **هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ** . و**صحَّحه** الألباني . عن الحارث الأشعري ﷺ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٦٥ . بتصرف يسير . وينظر : السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٢٩ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٩٩ ، ٢ / ٦١٣ ، ٦٢١ .

ســـــورة المؤمـــنـــون

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . [آية : ١٠ ، ١١] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المستحقون للجنَّة ، فقال : ((﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ أي : المستحقون للجنَّة ، فالميراث استعارة . وقيل : إن الله جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار ؛ فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنَّة)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾** على قولين :

القول الأول : المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المستحقون للجنَّة ، فالميراث استعارة [٢] **، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

القول الثاني : إن الله جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار ؛ **فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنَّة** ، قاله مجاهد ، وابن جريج ، وسعيد بن جبير [٥] ، وجماعة من

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٤٩ .

(٢) قال الجرجاني : " الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ؛ ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية " . اهـــ . ينظر : أسرار البلاغة لأبي بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـــ) : ٢٢ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٤٩ .

(٤) منهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني والآلوسي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٨١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٤٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١١٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١١٠ ، ١١١ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٦٨ ، نظم الدرر : ٥ / ١٨٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٢٥ ، فتح القدير : ٣ / ٤٧٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢ ، أضواء البيان : ٣ / ٤٧٢ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٠ .

(٥) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جريج في تفسيره (١٨ / ٦) ، ونسبه الثعلبي إلى مجاهد في الكشف والبيان

المفسرين [١] .

واعتُرض :

لم سُمِّي ما يجدونه من الثواب والجنة بالميراث ؟ مع أنه سبحانه حكم بأن الجنة حقهم في قوله : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾ [٢] .

وأجيب من وجوه [٣] ؛ يستغنى عن ذكرها بما جاء **في السُّنة** [٤] :

- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ إلا له مَنْزِلَانِ ؛ مَنْزِلٌ في الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ ، فإذا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ » [٥] .

(٧ / ٤٠) ، ونسبه ابن كثير في تفسيره (٣ / ٢٤١) إلى سعيد بن جبير .

(١) ومنهم : الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والعز بن عبد السلام ، والخازن ، وابن كثير ، وابن عادل . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٤٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ١٩٥ ، النكت والعيون : ٤ / ٤٧ ، الكشف والبيان : ٧ / ٤٠ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٦٤ تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٣ ، زاد المسير : ٥ / ٤٦١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٧٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٦٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ٣٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٧٤ .

(٢) سورة التوبة : ١١١ .

(٣) ذكر الفخر الرازي هذه الوجوه فقال : " وأيضاً : فقد قال الفقهاء إنه لا فرق بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر فيه الملك في أنه يورث عنه ، كذلك قالوا في الدية التي إنما تجب بالقتل إنما تورث مع أنه مالكها على التحقيق وهذا يؤيد ما ذكر ، فإن قيل : إنه تعالى وصف كل الذي يستحقونه إرثاً ، وعلى ما قلتم فإنه يدخل في الإرث ما كان يستحقه غيرهم لو أطاع .

فالجواب : لا يمتنع أنه تعالى جعل ما هو (منزلة) لهذا المؤمن بعينه منزلة لذلك الكافر لو أطاع ؛ لأنه عند ذلك كان يزيد في المنازل فإذا أمن هذا عدل بذلك إليه .

الثاني : أنَّ انتقال الجنة إليهم من دون محاسبة ومعرفة بمقاديره يشبه انتقال المال إلى الوارث .

الثالث : أنَّ الجنة كانت مسكن أبينا آدم – عليه السلام – فإذا انتقلت إلى أولاده كان ذلك شبيهاً بالميراث " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٧٢ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) قاله النحاس : ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٤٥ . وأورد هذا الحديث غير واحد من المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية .

(٥) أخرجه ابن ماجه – وغيره – في سننه في كتاب الزهد ، بلَب صِفَةِ الْجَنَّةِ (٤٣٤١) : ٢ / ١٤٥٣ . **صحَّحه** القرطبي ، و **صحَّحه** ابن حجر ؛ حيث قال : **ووقع عند ابن ماجة أيضاً وأحمد بسند صحيح** .. وذكر الحديث . ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠٨ ، فتح الباري : ١١ / ٤٤٢ . وقال أحمد بن أبي بكر بن =

- وعن أبي هريرة ﷺ في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ قال : « يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم الذين أعدت لهم إذا أطاعوا الله » [١] .

وقال ابن كثير [٢] : " **بل أبلغ من هذا أيضاً** " ؛ وذكر أحاديث تؤيد القول الثاني وهي :

- ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال : « يجئ يوم الْقِيَامَةِ نَاسٌ من الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا الله لهم وَيَضَعُهَا على الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » .

- وفي لفظ له : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ الله ﷻ إلى كل مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أو نَصْرَانِيًّا ، فيقول : هذا فِكَاكُكَ من النَّارِ » [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح هو القول الأوَّل ؛ وأن المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المستحقون للجنَّة ، فالميراث استعارة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : الأحاديث التي ذكرت في وراثة أهل الجنة لمنازل أهل النار صحيحة ؛ **إلا أنه لا يصحُّ حمل الآية عليها ، لأن الله أخبرنا في كتابه العزيز أن أهل الجنة استحقوها بما قدَّموا من أعمال** – ودخول الجنة قبل كل شيء برحمة الله وفضله كما جاء في الحديث [٤] – ،

= إسماعيل الكناني في مصباح الزَّجَّاجة في زوائد ابن ماجه (٤ / ٢٦٦) : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين و**صحَّحه** الألباني في السلسة الصحيحة .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين – **وصحَّحه** – في كتاب التفسير ، تفسير سورة المؤمنون (٣٤٨٥) : ٢ / ٤٢٧ . وعزاه السيوطي أيضاً إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٩٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٤١ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة ، بَاب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ (٢٧٦٧) : ٤ / ٢١١٩ ٢١٢٠ . كلا الحديثين عن أبي بردة عن أبيه – رضي الله عنهما – .

(٤) عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ . قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ ، ولا أنت ؟ قال : ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِرَحْمَةٍ منه وَفَضْلٍ » . أخرج البخاري بنحوه في صحيحه في كتاب المرضى ، بَاب نهي تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ (٥٣٤٩) : ٥ / ٢١٤٧ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، لبب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى (٢٨١٦) : ٤ / ٢١٧٠ . والحديث جاء بألفاظ متعددة عند مسلم ، وكذا عند البخاري .

وهذا لا ينافي أن أهل الجنة يرثون منازل أهل النار ؛ ويكون ذلك زيادة في النعيم .

- قال الشنقيطي : " قد جاء حديث يدل لما ذُكر من أن لكل أحد متزلاً في الجنة ومتزلاً في النار، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب ، لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدَّة لهم بأعمالهم وتقواهم ، كما قد قال تعالى : ﴿ ... **وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴾ [١] . ونحوها من الآيات . ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار ، والواقع بخلاف ذلك كما ترى " . اهـ [٢] .

- وقال الآلوسي قبله : " وبتقدير أرثه إيَّاها فهو ليس حقيقاً بأن يسمى وارثاً ؛ لما أن ذلك إنما يكون في الأغلب بعد كدٍّ ونصب ؛ وإرثهم إيَّاها من الكفار حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل متزلاً في الجنة ومتزلاً في النار " . اهـ [٣] .

ثانياً : معنى الآية : صارت الجنة إلى أهلها كما يصير الميراث إلى أهله ، والإرث قد يستعمل في اللغة ، ولا يراد به زوال الملك عن الميت إلى الحي ، كما يقال : هذا العمل يورثك الشرف ويورثك العار ؛ أي : يُصيرك إليه ، ومنهم من يقول : إنهم أعطوا تلك المنازل من غير تعب في الحال فصار شبيهاً بالميراث [٤] .

✍ وقد جمع **ابن عطية ، والقرطبي ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٥] بين القولين ؛ فذكروا وراثة المؤمن لمترل الكافر ، واحتملوا أحقِّية المؤمن لمترله في الجنة بسبب أعماله الصالحة .

قال **ابن عطية** : " ويحتمل أن يسمي تعالى الحصول على الجنة وراثةً من حيث حصَّلوها

---

(١) سورة الأعراف : ٤٣ .

(٢) أضواء البيان : ٣ / ٤٧٢ . عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾ . [سورة مريم - عليها السلام - : ٦٣] .

(٣) روح المعاني : ١٨ / ١٢ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٤ / ٦٧ ، ٦٨ ، تفسير النيسابوري : ٣ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، تفسير ابن عادل : ٩ / ١٢٠ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٧ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٣٣ ، الوسيط : ١٠ / ١٥ .

دون غيرهم ، فهو اسم مستعار على الوجهين " [١] .

وقال **الخطيب الشربيني** : " ﴿ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ أي : المستحقون لهذا الوصف ، فيرثون منازل أهل الجنة في الجنة " [٢] .

وقال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" وعبَّر سبحانه عن حلولهم فى الجنة بقولهم : ﴿ يَرِثُونَ ﴾ للإشعار بأن هذا النعيم الذى نزلوا به ، قد **استحقُّوه بسبب أعمالهم الصالحة** ، كما يملك الوارث ما ورثه عن غيره ، ومن المعروف أن ما يملكه الإنسان عن طريق **الميراث يعتبر أقوى أسباب الملك** " . اهـ [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٣٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٠٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٣ .
(٢) السراج المنير : ٢ / ٦٣٣ .
(٣) الوسيط : ١٠ / ١٥ .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ . [آية : ٣١] .

مسألة : في المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ ثمود ؛ ورسولهم صالح عليه السلام ، فقال :

((﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ قيل : إنهم عاد ورسولهم هود ؛ لأنهم الذين يلون قوم نوح . وقيل : إنهم ثمود ورسولهم صالح ، **وهذا أصح** ؛ لقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ... ﴾ [١] ، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وأما عاد فأهلكوا بالريح)) . اهـــ [٢] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في المراد بـــ ﴿ قَرْنًا [٣] ءَاخَرِينَ ﴾ على قولين :

القول الأول : المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ **عاد ورسولهم هود** عليه السلام ، وهو القول المأثور عن **ابن عباس** رضي الله عنهما [٤] ، وقاله مقاتل [٥] ، **واستظهره وصحَّحه السمعاني** ، **واستظهره البغوي** [٦] أيضاً ، **وصحَّحه الخازن** ، **واستظهره أبو حيان** [٧] ، وقاله **أكثر** [٨] المفسرين [٩] .

---

(١) سورة المؤمنون : ٤١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥١ .

(٣) عن أبي مالك في قوله : ﴿ قَرْنًا ﴾ قال : أمَّة . عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٩٨ .

(٤) نسبه إليه جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٨٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٨٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٢ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٩٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٧٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٠٨ .

(٧) ينظر : تفسير الخازن : ٥ / ٣٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٣ .

(٨) نسب هذا القول إلى أكثر المفسرين : ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤٧١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٨٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٢ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .

(٩) منهم : السمر قندي ، و لم يذكر الثعلبي غيره ونسبه للمفسرين ، والواحدي ، والزمخشري ، وقدَّمه ابن = =

واستدل له :

١. أن ظاهر ترتيب قَصَص القرآن أن عاداً أقدم ؛ فقد جاءت قصتهم على إثر قصة نوح عليه السلام فى كل من سورة : الأعراف ، وهود عليه السلام ، والشعراء [١] .

٢. ولقوله تعالى : ﴿ ... وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٦٩] . [٢]

✖ واستُشكل ظاهر هذا عليه :

" أن المصرح به في غير هذه السورة أن عاداً أهلكوا بريح عاتية " [٣] ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ . [سورة الحاقة : ٦] .

✓ وأجيب : بأن الله قد جمع لهم بين الصيحة والريح .

جاء في التفاسير : صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح التي أهلكهم الله تعالى بها فماتوا عن آخرهم ، وفي ذكر كل على حدة إشارة إلى أن كلا لو انفرد لتدميرهم لكفى [٤] .

= = الجوزي والفخر الرازي ، والنسفي ، وقدَّمه النيسابوري ، وابن كثير ، والثعالبي ، وقدَّمه ابن عادل ، والجلالين وأبو السعود ، وقدَّمه القاسمي ، **ورجَّحه** سيد قطب ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٧٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٤٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٦ الكشاف : ٣ / ١٨٧ ، زاد المسير : ٥ / ٤٧١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٨٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١١٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٦٤ ، البداية والنهاية لابن كثير أيضاً : ١ / ١٢٣ تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير الجلالين : ٤٤٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٢ الظلال : ٤ / ٢٤٦٦ ، الوسيط : ١٠ / ٣٠ .

(١) ينظر : سورة الأعراف [الآيات : ٥٩ - ٦٥] ، سورة هود عليه السلام [الآيات : ٢٥ - ٥٠] ، سورة الشعراء [الآيات : ١٠٥ - ١٢٤] .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ١٨٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١١٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٠٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٢ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٣٠ .

(٣) روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٣ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ . وقال الآلوسي : " كما روي ذلك في الأحاديث " . اهـ . ولم أقف عليها - في حدود ما اطلعت - .

قال **ابن كثير** :

" **والظَّاهر** أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي الباردة " . اهـ [١] .
وقال بذلك **أبو السعود** [٢] أيضاً .

القول الثاني : المراد بـ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ **ثمود ورسولهم صالح** عليه السلام ، قاله أبو سليمان الدمشقي [٣] ، والطبري [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، **واستظهره** السعدي والطاهر بن عاشور [٦] . [٧]

واستدل له :

بقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ... ﴾ [٨] ، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وهذه القصة تشبه قصتهم ، وأما عاد فأهلكوا بالريح كما ذكرت آنفاً [٩] .

قال **القرطبي** :

" وممن أخذ بالصيحة أيضاً أصحاب مدين قوم شعيب ؛ فلا يبعد أن يكونوا هم " [١٠] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن المراد بـ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ عاد ورسولهم هود** عليه السلام **؛ وهو ما قاله جمهور المفسرين ؛ وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن**

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٦٤ .
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٥ .
(٣) نسبه ابن الجوزي والآلوسي إليه . ينظر : زاد المسير : ٥ / ٤٧١ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ .
(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٩ .
(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥١ .
(٦) ينظر : تفسير السعدي : ٥٥١ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٤٩ .
(٧) ذكر الأقوال و لم يرجح : ابن عطية ، والقرطبي ، والشوكاني ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٢٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢١ .فتح القدير : ٣ / ٤٨٢ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٣ . وجوَّز البيضاوي القولين . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٥٤ .
(٨) سورة المؤمنون : ٤١ .
(٩) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥١ ، تفسير السعدي : ٥٥١ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٤٩ .
(١٠) تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢١ .

وافقه ، ويدل على ذلك – إضافة على ما تقدَّم – ترجيح جمهور المفسرين لهذا القول وتصحيحهم له .

وقد أسند بعض المفسرين هذا القول إلى **ابن عباس** ﷺ ؛ والله أعلم بصحة الرواية – فلم أقف عليه في حدود ما اطلعت مسنداً في مظانه – ؛ ولو صحَّ لكان مؤكداً قوياً لقول الجمهور .

قال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" وعلى أية حال فإن سورة (المؤمنون) فى عرضها لقصص الأنبياء تحرص على بيان أن استقبال المكذبين لأنبيائهم كان متشابهاً فى القبح والتكذيب " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الوسيط : ١٠ / ٣١ .

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ... ﴾ . [آية : 51] .

مسألة : لمن الخطاب في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن هذا النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ ليس على ظاهره ؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة ، وإنما المعنى : أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك ، فقال :

((﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره ؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة ، وإنما المعنى : أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك . وقيل : الخطاب لسيِّدنا محمد ﷺ ، وأقامه مقام الجماعة ، **وهذا بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في لمن الخطاب في الآية على ثلاثة أقوال :

القول الأول : الخطاب لسيِّدنا محمد ﷺ ، وأقامه مقام الجماعة ، قاله ابن عباس رضي الله عنه [٢] ، الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والكلبي ، وجماعة [٣] ، وقاله مقاتل [٤] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٥] ، **وابن خالويه** [٦] ، وقاله السمر قندي ، **واستظهره النيسابوري** [٧] من المفسرين

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٢ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٢٨٧ .

(٣) نسب السمعاني والبغوي وأبو السعود هذا القول إلى الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والكلبي وجماعة . ونسبه ابن الجوزي إلى ابن عباس رضي الله عنه ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٧٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٠ ، زاد المسير : ٥ / ٤٧٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٨ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٣٩٨ .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٢٠٤ .

(٦) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ١٥٠ .
وابن خالويه هو : الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله : لغوي ، من كبار النحاة ، أصله من همذان . وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب ، وعظمت بها شهرته ، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة ، وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده . من كتبه : شرح مقصورة ابن دريد ، ومختصر في شواذ القرآن وغير ذلك . ت سنة ٣٧٠ هـ ينظر : البداية والنهاية : ١١ / ٢٩٧ ، البلغة : ٩٠ ، لسان الميزان : ٢ / ٢٦٧ .

(٧) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٣ .

وقاله الزَّركشي في البرهان والسُّيوطي في الإتقان [١] .

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ... ﴾ [٢] ؛ وهو نعيم بن مسعود ﷺ .

✖ **وتعقَّب ابن عطية** القول بأن الخطاب للرسول ﷺ **وأقامه مقام الرسل** بقوله :

" هذا **مما لا يثبت مع النظر** ؛ **والوجه في هذا أن يكون الخطاب لمحمَّد** ﷺ وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزاً أن هذه المقالة قد **خوطب بها كل نبي** ؛ أو هي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها ، وهذا كما تقول لتاجر : يا تجار ؛ ينبغي أن تجتنبوا الربا . فأنت تخاطبه بالمعنى وقد اقترن بذلك أن هذه المقالة تصلح لجميع صنفه " . اهـ [٣] .

✖ وكذا قال **الزَّجَّاج** [٤] قبله ، **ونقله عنه النحاس وابن أبي زمنين ، وقاله الواحدي ، وابن سيده ، وابن منظور** [٥] .

✖ **واستبعد ابن جُزيّ** [٦] أن يكون الخطاب لسيِّدنا محمد ﷺ .

القول الثاني : الخطاب لعيسى عليه السلام ، روي عن **حفص بن أبي جبلة** [٧] ؛ وقاله **الطبري ، والثعلبي** [٨] من المفسرين .

---

(١) ينظر : البرهان : ٢ / ٢٣٤ ، الإتقان : ٣ / ٩٠ .
(٢) سورة آل عمران : ١٧٣ .
(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ١٤٦ .
(٤) ينظر معانيه : ٤ / ١٥ .
(٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٣٦٥ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٤٨ ، (مادة : طيب) في : المحكم والمحيط الأعظم : ٩ / ٢٢٦ ، لسان العرب : ١ / ٥٦٥ .
(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٢ .
(٧) أورد هذا الأثر عنه ابن الأثير وابن حجر في ترجمته .
وحفص بن أبي جبلة هو : حَفْصُ بن أبي جَبَلَة الفَزَارِيّ ، وهو مولى بني تميم . قال ابن الأثير : ذكره عبدان في الصحابة ، وقال : لا أدري له صحبة أم لا ؟ وضعه بعض أصحابنا في المسند ، وهو مولى بني تميم . وقال ابن حجر : **تابعي أرسل** ... ، وعزاه السيوطي إلى عبدان في الصحابة ؛ قال السيوطي : مرسل حفص تابعي .
ينظر : أسد الغابة : ٢ / ٤٤ ، الإصابة : ٢ / ٢١٣ ، الدر المنثور : ٦ / ١٠٢ .
(٨) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٢٨ ، الكشف والبيان : ٧ / ٤٩ .

قال **عمرو بن شرحبيل** في الآية : كان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه [١] ؛ وهو أطيب الطيبات .

والمشهور عنه أنه كان يأكل من بقل البرية [٢] .

واستدل له :

بلتصال الآية بذكره ؛ قال تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٥٠] .

القول الثالث : هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما ؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة ، وإنما المعنى : أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك ، قاله **الزمخشري** [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] . [٦]

وجوَّز **الزمخشري** أن يكون الإعلام **على سبيل الحكاية** لرسول الله ﷺ على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره ؛ جيء بها إثر حكاية إيواء عيسى عليه السلام وأمه إلى الربوة [٧] وقاله **أبو السعود والآلوسي** [٨] .

وأوَّل من قال بأن : " النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما ، **لأن الرسل كانوا في أزمنة**

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٠٢ ، ١٠٣) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ٢٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو نعيم في الحلية .
وعمرو بن شرحبيل هو : عمرو بن شرحبيل ، أبو ميسرة الهمداني ، من كبار التابعين ، من أهل الكوفة من العباد . ت سنة ٦٣ هـ . ينظر : الثقات : ٥ / ١٦٨ ، الكاشف : ٢ / ٧٨ ، الإصابة : ٦ / ٦٠٨ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٤٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٧ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٢ .

(٥) منهم : الزمخشري ، واحتمله ابن عطية ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٤٦ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩١ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٧٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٢٥ .

(٦) قال بجميع الأقوال ولم يرجح : السمعاني ، والبغوي ، والقرطبي ، والنسفي ، والخازن ، والشوكاني . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٧٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٣٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٨٦ .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٨) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٣٨ ، روح المعاني : ١٨ / ٣٩ .

متفرقة " الزمخشري في : (الكشاف) ، وتبعه الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن جُزيّ ، وابن عادل [١] وغيرهم .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن النداء والخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًا ... ﴾ لجميع المرسلين باعتبار زمان كلٍّ وعهده** ؛ قاله **ابن كثير ، وصحَّحه الثعالبي ، ورجَّحه الخطيب الشربيني** ، وقاله **السعدي والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٢] .

قال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" ووجه سبحانه الخطاب إلى الرسل جميعاً ، مع أن الموجود منهم عند نزول الآية واحد فقط وهو الرسول ﷺ ؛ للدلالة على أن كل رسول أمر فى زم انه بالأكل من الطيبات التى أحلها تعالى وبالعمل الصالح " . اهـ [٣] .

وهو قول قريب مما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : النص الصريح في الحديث الصحيح [٤] :

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « أَيُّهَا الناس ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا **وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ** ؛ فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ ... ﴾ [٥] ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٢ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٥٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٤ ، التسهيل : ٣ / ٥٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٢٥ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٤٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٢ ، السراج المنير : ٢ / ٦٤٥ ، تفسير السعدي : ٥٥٣ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٦٨ ، الوسيط : ١٠ / ٤٠ .

(٣) الوسيط : ١٠ / ٤٠ .

(٤) قال الثعالبي بذلك . ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٢ .

(٥) سورة البقرة : ١٧٢ .

إلى السَّمَاءِ : يا رَبِّ .. يا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ! » [(١)] .

ثانياً : القرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ **فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم** بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ . [سورة النور : ٥٣] . والضمير لأمم الرسل المذكورين [(٢)] .

ثالثاً : دلالة السِّياق :

قال **الفخر الرازي** :

" وإنما خاطب جميع الرسل بذلك ليعتقد السامع أنّ أمراً خوطب به جميع الرسل ووصوا به حقيق أنّ يؤخذ به ويعمل عليه ، **وهو أقرب ؛ لأنه أوفق للفظ الآية** " [(٣)] .

رابعاً : يؤيد ذلك **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [(٤)] .

فيدخل تحته عيسى دخولا أولياً ، أو يكون ابتداء كلام ذكر تنبيهاً على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن خاصة ، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم ، واحتجاجاً على الرهبانية في رفض الطيبات ؛ قاله البيضاوي [(٥)] **، والقاسمي** [(٦)] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" والغرض من هذا : بيان كرامة الرسل عند الله ونزاهتهم في أمورهم الجسمانيَّة والروحانيَّة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة ، بَاب قَبُولِ الصَّدَقَةِ من الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا (١٠١٥) : ٢ / ٧٠٣ .

(٢) ينظر : تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) : ٢٦٩ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٩١ . بتصرف يسير .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ ، ٢٩٩ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٥٨ .

(٦) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ٨٦ .

فالأكل من الطيبات نزاهة جسميَّة والعمل الصالح نزاهة نفسانيَّة .

والمناسبة لهذا الاستئناف :

هي قوله : ﴿ ... وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [١] . وليحصل من ذلك الرد على اعتقاد الأقوام المعلّلين تكذيبهم رسلهم بعلة أنهم يأكلون الطعام ؛ كما قال تعالى في الآية السابقة : ﴿ ... مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ... ﴾ [٣] ، وليبطل بذلك ما ابتدعه النصارى من الرهبانيَّة " . اهـ [٤] .

وذكر **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** في الآية مسائل منها :

" **الأولى** : أن الله أمر الرسل بهذا مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ؛ فيدل على أنه من عظيم الأمور .

الثانية : أن الرسل إذا أمروا بذلك فغيرهم أوْلى بالحاجة إلى ذلك ؛ فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة .

الثالثة : إذا فرض هذا على الرسل مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ؛ فكيف بأمة واحدة نبيُّها واحد وكتابها واحد ؟

الرابعة : الأمر بالأكل من الطيبات ، ففيه ردّ على الغلاة الذين يمتنعون عنها ، وفيه ردّ على الجفاة الذين لا يقتصرون عليها .

الخامسة : الأمر بإصلاح العمل مع الأكل من الطيبات ، ففيه رد على ثلاث طوائف :

أولهم : الآكلون الطيبات بلا شكر ، والشكر هو العمل المرضي .

وثانيهم : من يعمل العمل غير الخالص مثل المرائي وقاصد الدنيا .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٠ .

(٢) سورة المؤمنون : ٣٣ .

(٣) سورة الفرقان : ٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٨ / ٦٨ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٤٠ .

وثالثهم : الذي يعمل مخلصاً لكنه على غير الأمر .

السادسة : المسألة العظيمة التي سيق الكلام لأجلها ، وهي فرض الاجتماع في المذهب ، وتحريم الافتراق : فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمَّة واحدة ، ونبيها واحد ، وكتابها ودينها واحد ؟

السابعة : ذكره سبحانه فعلهم الذي صدر عنهم بعد ما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهي عن الافتراق ، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعد ما سمعوها بما يضادها غاية المضادة ، وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا ، ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتبها غير كتب الآخرين ، ثم كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى ، وفرحت بما ابتدعته من الضلال .

كما قال الشاعر :

حَلَفتْ لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت لنا أن لا تفي " [1]

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الوهاب : ٢٦٩ ، ٢٧٠ . ولم أهتد لقائل البيت .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ . [آية : ٧١] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى :في المراد بـ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا في الآية : الصواب والأمر المستقيم ، فقال : ((و ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى : لو كان الأمر على ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض ؛ كقوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [1] . وقيل : إن الحق في الآية هو الله تعالى ، **وهذا بعيد في المعنى** ، وإنما حمله عليه أن جعل الاتباع حقيقة و لم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما الحق هنا هو المذكور في قوله : ﴿ ... بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [2])) . اهـ [3] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بـ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا في الآية** على أقوال [4] منها :

القول الأول : ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ هنا يراد به **الصواب والأمر المستقيم** ، **رجَّحه** ابن عطية [5] ،

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٧٠ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .

(٤) قال الفخر الرازي : " وفي تفسيره وجوه :

الأول : أن القوم كانوا يرون أن الحق في اتخاذ آلهة مع الله تعالى ، لكن لو صح ذلك لوقع الفساد في السموات والأرض على ما قررناه في دليل التمانع في قوله :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٢٢]

والثاني : أن أهواءهم في عبادة الأوثان وتكذيب محمد ﷺ ؛ وهما منشأ المفسدة ، والحق هو الإسلام . فلو اتبع الإسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقاء هذا العالم ، وذلك يقتضي تخريب العالم وإفناءه.

والثالث : أن آراءهم كانت متناقضة فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض ولاختل نظام العالم . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٧ ، ٩٨ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ومال إليه الثعالبي [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

قال **ابن عطية** : " وهذا هو الأحرى " [٤] .

" فالمعنى : لو كان الأمر على ما تقتضي أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض " [٥] .

- وقيل : الحق في الآية هو **التنزيل ؛ أي : القرآن** ، حكاه **الفَرَّاء** [٦] ، وجوَّزه **الزَّجَّاج** [٧] ، وقاله الواحدي والجلالين [٨] من المفسرين .

والمعنى : " لو كان التنزيل بما يحبون لفسدت السموات والأرض " [٩] .

✓ **وهذا القول والقول الأول متقاربان ؛ والمقصود** : ولو اتبع الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ؛ وهو القرآن وهو الأمر المستقيم .

قال تعالى في سورة المؤمنون نفسها بعد هذه الآية : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١٠] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني لمعنى الآية : قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .
(٢) ينظر تفسيره : ٤ / ١٥٧ .
(٣) منهم : النيسابوري ، وأبو السعود ، والشوكاني (وقال هو **الأولى**) ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور ، ومال إليه محمَّد سيِّد طنطاوي (وقال : المراد بالحق هنا ما يقابل الباطل) . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٩ تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٩٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٩٢ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .
(٤) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .
(٦) ينظر معانيه : ٢ / ٢٠٦ .
(٧) ينظر معانيه : ٣ / ١٩٦ .
(٨) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ ، تفسير الجلالين : ٤٥٢ .
(٩) تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ .
(١٠) سورة المؤمنون : ٧٣ .

ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [١] .

٢. **دلالة السِّياق** : فالحق هنا هو المذكور في قوله : ﴿ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [٢] " [٣] .

٣. **دلالة اللِّحاق** : القول بأن الحق في الآية هنا هو ما جاء به الرسول ﷺ هو **الأقرب إلى سياق الآيات** ؛ كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾ انتقال من توبيخهم على كراهيتهم للحق ، إلى توبيخهم على نفورهم عن ﴿ ذِكۡرِهِم ﴾ [٤] .

القول الثاني : الحق في الآية هو **الله تعالى** ، قاله مجاهد [٥] ، وأبو صالح [٦] ، و ابن جريج [٧] ، وقتادة [٨] ، ومقاتل [٩] ، وقاله **أكثر** [١٠] المفسرين [١١] . [١٢]

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٧٠ .

(٣) التسهيل : ٣ / ٥٤ . وينظر : فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٩٢ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .

(٤) ينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٥٢ .

(٥) نسبه إليه ابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والشنقيطي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، زاد المسير : ٥ / ٤٨٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٢ .

(٦) نسبه الثوري إليه ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٢) ؛ وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١٠) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ونسبه إليه غير واحد من المفسرين ، كابن عطية والقرطبي ، والشوكاني ، والشنقيطي . ينظر : تفسير الثوري : ٢١٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ أضواء البيان : ٥ / ٣٤٢ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٢) ، ونسبه إليه غير واحد من المفسرين .

(٨) نسبه الزمخشري إليه . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٨ .

(٩) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠١ .

(١٠) نسبه إلى الأكثرين : العز بن عبد السلام ، والقرطبي ، والشوكاني ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٣٧٩ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .

(١١) منهم : الطبري ، وقدَّم النحاس هذا القول ونسبه لأهل التفسير ، والسمر قندي ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي وابن الجوزي ، والنسفي ، وابن كثير . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١١٩ تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٦ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٢ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٢ ، زاد المسير : ٥ / ٤٨٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥١ .

(١٢) ذكر القولين و لم يرجح بينهما جماعة من المفسرين ، ومنهم : السمعاني ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل ، والشنقيطي . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٣ ، ٣١٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

وتقديره في العربية : ولو اتبع صاحب الحق ؛ قاله **النحاس** [١] .

والمعنى : ولو جعل لنفسه شريكاً لفسدت السموات والأرض ومن فيهن [٢] .

قال **ابن كثير** :

" والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، أي لفساد أهوائهم واختلافها ؛ كما أخبر عنهم في قولهم : ﴿ ... لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [٣] ، ثم قال : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ... ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ... ﴾ [٥] ، وقال : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [٦] .

ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، وتدبيره لخلقه تعالى وتقدَّس ؛ فلا إله غيره ولا رب سواه ، **ولهذا قال** : ﴿ ... بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ ... ﴾ [٧] ؛ أي : القرآن ، ﴿ ... فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [٨] " . اهـ [٩] .

✖ **وأنكر ابن عطية** هذا القول فقال :

" وهذا ليس من نمط الآية ... ومن قال إن ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ في الآية الله تعالى بشعت له لفظة ﴿ ٱتَّبَعَ ﴾ وصعب عليه ترتيب الفساد المذكور في الآية ؛ **لأن لفظة الاتباع على كلا الوجهين إنما هي استعارة** ؛ بمعنى : أن تكون أهواؤهم يصوبها الحق ويقررها ؛ فنحن نحد الله

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١١٩ .
(٢) ينظر : تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : ٢ / ١٨ .
(٣) سورة الزخرف : ٣١ .
(٤) سورة الزخرف : ٣٢ .
(٥) سورة الإسراء : ١٠٠ .
(٦) سورة النساء : ٥٣ .
(٧) سورة المؤمنون : ٧١ .
(٨) سورة المؤمنون : ٧١ .
(٩) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥١ .

تعالى قد قرر كفر أمم وأهواءهم فليس في ذلك فساد سماوات ، وأما الحق نفسه الذي هو الصواب فلو كان طبق أهوائهم لفسد كل شيء " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح هو القول الأول ؛ وأن المراد بالحق في قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ هو الصواب والأمر المستقيم ، وهو الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ؛ وهو القرآن ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : قد ردَّ **ابن عطية** القول الثاني رداً صحيحاً ، وقال **ابن جُزيّ** [٢] بمثل كلام ابن عطية واستبعد معنى الآية هذا على هذا القول .

وقال **الشوكاني** : " ولا يصحُّ أن يكون المراد به هنالك الله سبحانه " [٣] .

ثانياً : استدل له بالنظير القرآني لمعنى الآية ، ودلالة السِّياق ؛ اللِّحاق والسِّباق .

وعلى هذا يؤيده **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [٤] .
- **مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه ؛ أو بنظيره فهو الأولى** [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

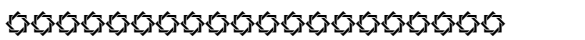

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .
(٣) ينظر : فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .
(٥) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٤٩ .

المسألة الثانية : في معنى قوله تعالى : ﴿ بَلِ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ بَلِ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ **بفخرهم وشرفهم** ، فقال : ((﴿ بَلِ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم ، أو بفخرهم وشرفهم ، **وهذا أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبلت عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر هنا : القرآن ؛ قاله قتادة [٢] وعليه أهل التفسير ، لكنهم اختلفوا في **معنى قوله تعالى : ﴿ بَلِ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ** [٣] ﴾ على قولين :

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٨) .

(٣) **ورود الذكر في القرآن** :

" **الذكر** ورد على ثمانية أوجه :

الأول : بمعنى **الطاعة** ، قوله تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ . [سورة البقرة : ٦٣] . أي : أطيعوني أغفر لكم .

الثاني : **العمل** ، قال تعالى : ﴿ ... خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ... ﴾ . [سورة البقرة : ٦٣] . أي : اعملوا بما فيه .

الثالث : **العِظَة** ، قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الذريات : ٥٥] . أي : العِظَة ، ومثله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ٤٤] .أي : ما وعظوا به .

الرابع : **الشَّرف** ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ... ﴾ . [سورة الزخرف : ٤٤] . ومثله : ﴿ ... بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ... ﴾ . [سورة المؤمنون : ٧١] . أي : بشرفهم ، وقوله : ﴿ ... هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٢٤] . أي : شرف .

الخامس : **القرآن** ، قال تعالى : ﴿ ... أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴾ . [سورة ص : ٨] . أي : القرآن ، ومثله : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ... ﴾ . [سورة الأنبياء : ٥٠] .

السادس : **التوراة** ، قال تعالى : ﴿ ... فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ... ﴾ . [سورة النحل : ٤٣] . أي : التوراة .

السابع : **البيان** ، قال تعالى : ﴿ ... أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٦٣] .

الثامن : **الصلاة** ، قال تعالى : ﴿ ... فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة الجمعة : ٩] . ينظر : تفسير ابن عادل : ٣ / ٧٥ ، ٧٦ .

القول الأول : معناه : القرآن والأدلَّة ؛ أي **بيَّنا لهم** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، وحكاه الطبري والفخر الرازي [٢] ، وقدمَّه الماوردي [٣] .

القول الثاني : معناه : القرآن الذي هو **فخرهم وشرفهم** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [٤] أيضاً ، وقتادة وغيره [٥] ، ومقاتل [٦] ، والزَّجَّاج [٧] ، وذهب إليه الفَرَّاء [٨] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٩] ، ووافقه جماعة من المفسرين [١٠] .

❖ وذكر **ابن جرير والفخر الرازي** أن القول الأول والثاني **متقاربان في المعنى** [١١] .

القول الثالث : معناه : القرآن الذي هو **الذكر الذي كانوا يتمنونه** في قوله : ﴿ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [١٢] ؛ حكاه جماعة من المفسرين [١٣] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٣) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١٠) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٨ .

(٣) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٣ .

(٤) نسبه إليه : البغوي ، والخازن ، وابن عادل . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٣ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٨٩ .

(٥) نسبه الماوردي والقرطبي إلى قتادة وسفيان . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠١ .

(٧) ينظر معانيه : ٤ / ١٩ .

(٨) ينظر معانيه : ٢ / ٢٠٦ .

(٩) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .

(١٠) منهم : السمر قندي وابن أبي زمنين والثعلبي والواحدي و لم يذكروا غيره ، والبغوي في شرح السُّنة ، و لم يذكر ابن الجوزي والخازن والبقاعي غيره ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، و لم يذكر محمَّد سيِّد طنطاوي غيره . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٦ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٠٦ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ ، شرح السُّنة للبغوي : ٤ / ٤٢٦ ، زاد المسير : ٥ / ٤٨٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤١ ، نظم الدرر : ٥ / ٢١٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٣ ، تفسير الجلالين : ٤٥٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٣ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٣ ، الوسيط : ١٠ / ٥٢ .

(١١) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٨ .

(١٢) سورة الصافات : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(١٣) منهم : البغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والشنقيطي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٤ ، الكشاف : ٣ / ١٩٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ =

القول الرابع : معناه : القرآن الذي فيه **تذكيرهم ووعظهم** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] أيضاً وجوَّزه الزَّجَّاج [٢] ، وقدَّمه الثعالبي [٣] ، وقاله السمعاني وأبو حيان [٤] من المفسرين . [٥]

واستدل له بقراءة : (بذكراهم) بألف التأنيث [٦] .

✓ **ورُجِّح القولان الثاني والثالث** : بأن التشنيع عليهما أشد ؛ فإن الإعراض عن **وعظهم** ليس بمثابة إعراضهم عن **شرفهم وفخرهم** ، أو عن **كتابهم الذي تمنوه** في الشناعة والقباحة [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **صحة القول الثاني ، وأنَّ الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ بفخرهم وشرفهم ، هو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : النظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ... ﴾ . [سورة الزخرف :

= تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٩ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٣ .

(١) نسبه إليه : ابن عطية ، والثعالبي ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٨ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٣ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٩ .

(٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٨ .

(٤) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٢ .

(٥) قال بالأقوال أو بعضها من غير ترجيح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والقاسمي ، والسعدي ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٨ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥١ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٨ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٢٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٩٣ ، تفسير السعدي : ٥٥٦ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٤٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٩٥ .

(٦) وردت هذه القراءة في غير واحد من كتب التفسير . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ٩٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٥ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٥٣ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير ، وهي قراءة عيسى وعمر عن أبي عمرو . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ١٠٠ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٠٥ .

(٧) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٥٣ .

٤٤] .[١]

ثانياً : لأن نزول هذا الكتاب على رجل منهم ، والقرآن بلسانهم ؛ قاله قتادة وغيره [٢] .

ثالثاً : القرآن فخرهم وشرفهم خاصة ؛ مما يوجب الإقبال عليه والاعتناء به لا الإعراض عنه [٣] .

رابعاً : تؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٤ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٤٣ .
(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٦ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ .
(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٥٣ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ . [آية : ٧٦ ، ٧٧] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا [١] ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالباب ذا العذاب الشديد عذاب الآخرة ، فقال : ((﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ قيل : إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط ، وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر ، **وهذا مردود** بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر ، وقيل : إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو القحط . وقيل : الباب ذو العذاب الشديد عذاب الآخرة ؛ **وهذا أرجح** ...)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بالباب ذا العذاب الشديد المتوعد به في الآية** على أقوال منها :

القول الأول : إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط ، وإن الباب ذا العذاب الشديد هو **يوم بدر** ؛ قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٣] ، وابن جريج [٤] .

---

(١) قال الطاهر بن عاشور : " وفتح الباب تمثيل لمفاجأتهم بالعذاب بعد أن كان محجوزاً عنه حسب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٣٣] . شبهت هيئة إصابتهم بالعذاب بعد أن كانوا في سلامة وعافية بهيئة ناس في بيت مغلق عليهم ففتح عليهم باب البيت من عدو مكروه ، أو تقول : شبهت هيئة تسليط العذاب عليهم بهيئة فتح باب اختزن فيه العذاب فلما فتح الباب انهال العذاب عليهم . ووصف ﴿ بَابًا ﴾ بكونه ﴿ ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ دون أن يضاف باب إلى عذاب فيقال : باب عذاب كما قال تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ . [سورة الفجر : ١٣] . لأن ﴿ ذَا عَذَابٍ ﴾ يفيد من شدة انتساب العذاب إلى الباب ما لا تفيده إضافة باب إلى عذاب ، وليتأتى بذلك وصف ﴿ عَذَابٍ ﴾ بـ ﴿ شَدِيدٍ ﴾ بخلاف قوله : ﴿ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ فقد استغني عن وصفه بـ ﴿ شَدِيدٍ ﴾ بأنه معمول لفعل (صب) الدال على الوفرة " . اهـ . ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٠٣ . بتصرف .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٥) ، ونسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٣١٤) ، والقرطبي في تفسيره (١٢ / ١٤٣) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١١) إلى ابن أبي شيبة ، وابن مردويه .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٥) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ١١١ .

ورجَّحه الطاهر بن عاشور [١] ، وقاله جماعة من المفسرين [٢] .

✖ **وهذا مردود** : بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر [٣] .

القول الثاني : إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر ، والباب ذا العذاب الشديد هو **الجوع والقحط** ، قاله **ابن عباس** ﷺ أيضاً ، ومجاهد [٤] ، ومقاتل [٥] ، **ورجَّحه الطبري** [٦] ، **وحسَّنه ابن عطية** [٧] ، وقاله جماعة من المفسرين [٨] .

واستدل له :

بما روي عن **ابن عباس** ﷺ أن **ابن أثال الحنفي** لما أتى النبي ﷺ وهو أسير ؛ فخلى سبيله فلحق بمكة ، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش **العلهز** [٩] ، فجاء فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ ؛ فقال : ألست تزعم يا محمد أنك بعثت رحمة للعالمين ؟! قال : بلى . قال : قد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فأنزل الله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ... ﴾ [١٠] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٠٣ .

(٢) منهم : ابن أبي زمنين ، والواحدي ، وقدَّمه الخازن وابن عادل ، والجلالين ، وقدمَّه الخطيب الشربيني . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٠٧ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥١ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٤٦ ، تفسير الجلالين : ٤٢٣ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٠ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٥٢ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٩ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٣ ، ٤٣٤ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٤٥) ، ونسبه القرطبي إليه في تفسيره (١٢ / ١٤٣) .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠١ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٥ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٢ .

(٨) منهم : الماوردي وقدَّمه ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٠ .

(٩) **العلهز** هو : شيء يتخذونه في سنين المجاعة يخلطون الدم بالوبر ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . وقيل : كانوا يخلطون فيه القردان . ويقال للقُراد الضخم : علهز . وقيل : العلهز شيء ينبت ببلاد بني سليم له أصل كأصل البردي . ينظر : غريب الحديث للحربي : ٢ / ٧٢٧ ، الفائق في غريب الحديث : ٣ / ٢٢ ، غريب الحديث لأبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٢ / ١٢٥ ، النهاية في غريب الأثر (مادة : علهز) : ٣ / ٢٩٣ .

(١٠) أخرجه ابن جرير – **وصحَّحه** – في تفسيره (١٨ / ٤٥) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١١١) إلى أبي نعيم في المعرفة ، والبيهقي في الدلائل . =

قال **الطبري** : " وهذا القول الذي قاله مجاهد **أوْلى بتأويل الآية** ؛ **لصحة الخبر** الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس ﷺ أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في قصة المجاعة التي أصابت قريشا بدعاء رسول الله ﷺ عليهم وأمر ثمامة بن أثال ، وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر " . اهـ [١] .

وأصله في الصحيحين :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « إنما كان هذا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا على النبي ﷺ دَعَا عليهم بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ ... » [٢] .

حتى فتحنا عليهم **باب الجوع** الذى هو أشد من الأسر والقتل [٣] .

القول الثالث : الباب ذا العذاب الشديد **عذاب الآخرة** ، حكاه الماوردي والفخر الرازي [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] . [٧]

قال عكرمة [٨] : هو باب من أبواب جهنم ، عليه من الخزنة أربعمائة ألف ، سودٌ وجوههم

= **وابن أثال الحنفي** هو : ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي ، من بني حنيفة ، أبو أمامة : **صحابي** ، كان سيد أهل اليمامة ، له شعر . ولما ارتد أهل اليمامة في فتنة (مسيلمة) ثبت هو على إسلامه ، ولحق بالعلاء بن الحضرمي ، في جمع ممن ثبت معه ، فقاتل المرتدين من أهل البحرين ، وقتل بُعيد ذلك سنة ١٢ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٥ / ٥٥٠ ، أسد الغابة : ١ / ٣٦٣ - ٣٦٥ ، الإصابة : ١ / ٤١٠ ، ٤١١ .

(١) تفسير الطبري : ١٨ / ٤٦ .

(٢) جزء من حديث سبق تخريجه ص ٣٨١ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٣) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٩ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٤ .

(٦) منهم : الزمخشري ، واحتمله النيسابوري ، وابن كثير ، وقال أبو السعود (**وهو الوجه**) وتبعه الآلوسي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٦ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٦ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٦ ، الوسيط : ١٠ / ٥٥ .

(٧) ذكر بعض الأقوال و لم يرجح من المفسرين : النحاس ، والثعلبي ، والماوردي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقاسمي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٨٠ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٣ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٩٩ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٣ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٣ ، نظم الدرر : ٥ / ٢١٥ ، فتح القدير : ٣ / ٤٤٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٩٦ .

(٨) نسبه إليه : النحاس والقرطبي . ينظر : إعراب القرآن للنحاس :٣ / ١٢٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٣ .

كالحة أنيابهم ، وقد قلعت الرحمة من قلوبهم ، إذا بلغوه فتحه الله ﷻ عليهم .

والمعنى : لو امتحناهم بكل محنة من **القتل والجوع** فما رؤي فيهم استكانة ولا انقياد ؛ حتى إذا عذبوا **بنار جهنم** أبلسوا [١] .

واستدل له :

بأن الباب ذا العذاب الشديد **هو عذاب الآخرة** ؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا كما ينبيء عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة [٢] .

✓ **وقال الثعالبي** :

" الآية توعد بعذاب غير معين ؛ وهذا هو الصواب " [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالباب ذا العذاب الشديد في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾ هو عذاب الآخرة ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : الخبر المرويُّ عن **ابن عباس** ﷺ والذي استدل به **الطبري** على صحة القول بأن الباب ذا العذاب الشديد هو **الجوع** ؛ هو سبب في نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ ... ﴾ وليس سبباً في نزول الآية التي معنا وليس تفسيراً لها .

ثانياً : **القرينة القرآنية** : قوله تعالى : ﴿ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾ أي : يائسون من الخير ، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة . كقوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ . [سورة الروم : ١٢] . [٤]

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٢٧ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٦ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٦ .
(٣) تفسير الثعالبي : ٤ / ١٥٩ .
(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٥ ، روح المعاني : ١٨ / ٥٦ .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ . [آية : ٩٦] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : **﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق** ، فقال : ((﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ قيل : التي هي أحسن لا إله إلا الله ، و ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ الشرك ، **والأظهر** أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق ، **وهو محكم غير منسوخ** ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ [٢] ٱلسَّيِّئَةَ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : التي هي أحسن **لا إله إلا الله** ، و ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ **الشرك** ، قاله ابن عباس [٣] رضي الله عنه .

القول الثاني : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ ادفع **بالإغضاء والصفح** عن إساءة المسيء ، قاله الحسن [٤] .

القول الثالث : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ هو **السَّلام** يسلم عليه إذا لقيه ، قاله

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٦ .

(٢) قال الزمخشري : " هو أبلغ من أن يقال : بالحسنة السيئة ؛ لما فيه من التفضيل ، كأنه قال : ادفع بالحسنى السيئة " . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ .

(٣) نسبه إليه الزمخشري وغيره . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٥١) .

مجاهد [١] ، وعطاء [٢] ، وحكاه **النحاس** [٣] عنهم و لم يذكر غيره .

القول الرابع : ﴿ **ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ** ﴾ ادفع المنكر بالموعظة ، حكاه **الماوردي** [٤] .

القول الخامس : القول **بالعموم** ؛ وأن قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ **أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، و **جوَّده** أبو حيان [٦] ، ووافقه **أكثر** [٧] أهل التفسير [٨] .

❖ واختلف المفسرون في اللين والصفح المطلوب في هذه الآية ونحوها من الآيات بعد نزول القتال هل هو بالنسبة **للمؤمنين أو الكافرين** ؛ وهل الآية **محكمة أو منسوخة** على قولين :

القول الأول : اللين والصفح إنما هو بالنسبة إلى المؤمنين ، دون الكافرين ، وما كان منها لهذا فهو حكم باق في الأمة أبداً ، وما فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٤٨) ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ٥١) .

(٢) نسبه الثوري إليه في تفسيره (٢١٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١١٣) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٨٣ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٦ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ .

(٧) نسبه السمعاني إلى أكثر أهل التفسير . ينظر : تفسير السمعاني :٣ / ٤٨٩ .

(٨) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه السمعاني ، البغوي ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن عطية والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، والبقاعي ، والثعالبي وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، والشنقيطي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢١٠ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٦ ، الكشاف : ٣ / ٢٠٣ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٢٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٠٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٢١ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦١ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٧ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ ، تفسير السعدي : ٥٥٨ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٥٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١١٩ ، الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

والصفح عن أمورهم فمنسوخ بالقتال ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال القرطبي : " وقوله : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [٣] ، أي : من الشرك والتكذيب والتكذيب وهذا يقتضي أنها آية موادعة " [٤] . وقاله ابن عطية قبله ، واستظهره الآلوسي [٥] .

القول الثاني : اللين والصفح إنما هو بالنسبة إلى الكافرين ، بالإعراض والصفح عنهم ، لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين ؛ قاله جماعة من المفسرين [٦] .

قال محمَّد سيِّد طنطاوي :

" فالآية الكريمة توجيه حكيم من الله تعالى لنبيه ﷺ ، وتسلية له عما أصابه من أعدائه ، وشبيه بهذه الآية : قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [٧] " . اهـ [٨] .

وهذا قبل الأمر بالقتال فالآية منسوخة بآية السيف ، قاله **المُقري** [٩] ، وابن حـــزم [١٠] ،

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٦ .

(٢) منهم : ابن العربي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والثعالبي ، والآلوسي ، والشنقيطي . ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٢٩ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦١ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٥٣ .

(٣) سورة المؤمنون : ٩٦ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٧ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(٦) منهم : السمر قندي ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والسعدي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٠ ، تفسير السعدي : ٥٥٨ ، الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

(٧) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(٨) الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

(٩) ينظر : الناسخ والمنسوخ للمقري : ١٢٩ .
والمقري هو : هبة الله بن سلامة المقري ، أبو القاسم الضرير ، المفسر الثقة ، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن ت سنة ٤١٠هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ١٤ / ٧٠ ، معجم الأدباء : ٥ / ٥٨٨ ، طبقات الداوودي : ١٠٠ .

(١٠) ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ١٤٨ .

وابن البارزي [١] ، **والكرمي** [٢] ، وجماعة من المفسرين [٣] . [٤]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح القول بالعموم ؛ وأن ما ذكر من قبيل التمثيل ، وأن قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق ، وهي مخصوصة في الكفار باقية في المؤمنين على عمومها ، فالآية محكمة وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

ولم ينسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار ؛ قاله بعض المحققين من العلماء ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : ما يدل على أن الآية باقية في المؤمنين على عمومها ما يلي :

---

(١) ينظر : ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي : ٤٢ .
وابن البارزي هو : هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهني ، أبو القاسم الشافعي ، انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي ، كان صاحب تصانيف ، مع عبادة وتواضع ولطف أخلاق ، ورسوخ في العلم ، ت سنة ٧٨٣ هـ . ينظر : معجم المحدثين لحبمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٢ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، الدرر الكامنة : ٦ / ١٦٧ – ١٦٩ .

(٢) ينظر : الناسخ والمنسوخ للكرمي : ٤٦ .
والكرمي هو : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى : مؤرخ أديب ، من كبار الفقهاء ولد في طوركرم (بفلسطين) وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة ، له نحو سبعين كتاباً ، ت سنة ١٠٣٣ هـ . ينظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لتقي الدين محمد أمين بن فضل الله المحبي الحنفي (ت ١١١١ هـ) : ٤ / ٣٥٤ ، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي الرحيباني (ت ١٢٤٣ هـ) : ١ / ٤ ، هدية العارفين : ٦ / ٤٢٦ .

(٣) منهم : الطبري ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والخازن ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، وسيد قطب . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥١ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢١٠ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٦ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ ، تفسير الجلالين : ٤٥٤ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٧ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ .

(٤) قال بالقولين بالنسخ والإحكام جماعة من المفسرين و لم يرجحوا بينهما ، منهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٠٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٢ .

١. النظائر القرآنية ؛ منها :

- قوله تعالى : ﴿ ... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ... ﴾ . [سورة الشورى :٤٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ . [سورة فصلت : ٣٤] . (١)

٢. من السُّنة :

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ « أَنَّ رَجُلًا قال : يا رَسُولَ اللَّهِ ، إنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلي ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ . فقال : لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ ، ولا يَزَالُ مَعَكَ من اللَّهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك » (٢) .

ثانياً : ما يدل على أن الآية مخصوصة في الكفار :

دلالة السِّياق القرآني : الحديث قبل هذه الآية عن المشركين وكفرهم وتكذيبهم ؛ قال تعالى :

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٩٠ - ٩٦] .

✓ **فالآية أمر بالصفح والعفو عن أذى المشركين .**

ثالثاً : ردَّ **ابن الجوزي** القول بالنسخ **ونسبه إلى بعض المحققين من العلماء** ؛ فقال :

" لا حاجة بنا إلى القول بالنسخ ؛ لأن المداراة محمودةً ما لم تضر بالدين ، ولم يؤد إلى إبطال

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ ، تفسير السعدي : ٥٥٨ .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في الأدب المفرد في باب فضل صلة الرحم (٥٢) : ٣٢ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، بَاب صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا (٢٥٥٨) : ٤ / ١٩٨٢ .

حق وإثبات باطل " [١] .

✓ **وذكر هذا القول جماعة من المفسرين** [٢] .

✓ **وقال النيسابوري : " هو الأوْلى "** [٣] .

رابعاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجَّح على ما خالفه** [٤] .
- **غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد** [٥] .

✍ **ومن فوائد الآية** ؛ ما قاله ابن العربي :

" وفقه الآية : اسلك مسلك الكرام ولا تلحظ جانب المكافأة ، ادفع بغير عوض ولا تسلك مسلك المبايعة ، ويدخل فيه : (سلِّم على من لم يُسلِّم عليك) " . اهـ [٦] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي : ١٩٧ .

(٢) ومنهم : الزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٦ تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٤٩ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(٣) تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

(٥) ينظر : الموافقات للشاطبي : ٤ / ٢١٤ - ٢٢٠ ، تفسير القاسمي : ١ / ١٧ ، قواعد التفسير للسبت : ١ / ٢٠٨ .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٣٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ . [آية : ٩٧ ، ٩٨] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أن يكون الشياطين معه ، فقال : ((﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ معناه : أن يكونوا معه . وقيل : يعني : حضورهم عند الموت)) . اهـ [١] .

الدراسة :

قال أهل اللغة [٢] في قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ **أي : أن يصيبني الشياطين بسوء** ، وقالها أهل التفسير [٣] أيضاً ؛ لكنهم اختلفوا في **معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأول : يعني : **حضورهم عند تلاوة القرآن** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، والكلبي [٥] ، [٥] ، وذهب إليه السمر قندي [٦] ، وقدَّمه الماوردي [٧] .

القول الثاني : يعني : **حضورهم عند الموت** ، قاله عكرمة [٨] ، واحتمله البقاعي وسيد

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٦ .

(٢) ينظر (مادة : حضر) في : معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٧٦ ، الصِّحاح للجوهري : ٢ / ٥٤٩ ، لسان العرب : ٤ / ١٩٩ ، تاج العروس : ١١ / ٤٩ .

(٣) نسب ابن عبد البر هذا القول إلى أهل التفسير . ينظر : التمهيد لابن عبد البر : ٢٤ / ١١٠ ، ١١١ .

(٤) نسبه إليه : الزمخشري ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(٥) نسبه الماوردي إليه . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٨٩ .

(٧) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(٨) نسبه إليه : الزمخشري ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٤ ، تفسير =

قطب [١] .

واستدل له بدلالة السِّياق :

بقوله تعالى بعدها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ ... ﴾ [٢] . على طريقة القرآن في تناسق المعاني وتداعيها [٣] .

وقال **البقاعي** : " ولما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت ، وحالة الفوت ، فإنه وقت كشف الغطاء عما كتب من القضاء ، وآن اللقاء ، وتحتم السفول أو الارتقاء ، عقب ذلك بذكره تنبيهاً على بذل الجهد في الدعاء والتضرع للعصمة فيه ؛ فقال منبهاً بحرف الغاية على أنه سبحانه يمد في أزمانهم استدراجاً لهم : ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ ؛ أو يكون التقدير كما يرشد إليه السِّياق : فلا أكون من ا لكافرين المطيعين للشياطين " . اهـ [٤].

القول الثالث : معناه : **أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري** ، أي **القول بالعموم** ؛ قاله **ابن عباس** ﷺ أيضاً [٥] ، وهو مرويٌّ عن ابن زيد [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، **واستظهره** أبو حيان [٨] ، ووافقه **أكثر** [٩] المفسرين [١٠] .

= غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

(١) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٢٢١ ، الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ .

(٢) سورة المؤمنون : ٩٩ .

(٣) ينظر : الظلال : ٤ / ٢٤٧٩ .

(٤) نظم الدرر : ٥ / ٢٢١ .

(٥) قال ابن عباس ﷺ : من أن يحضروني يعني الشياطين في الصلاة ، وعند القراءة ، وعند الموت . ينظر : تنوير المقباس : ٢٩٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ٥١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١١٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٦ .

(٨) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٣٨٧ .

(٩) نسبه الماوردي إلى الأكثرين . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٦٦ .

(١٠) منهم : الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وجوز النسفي كل الأقوال ، والخازن ، والنيسابوري ، وابن كثير ، وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥١ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٥ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٣ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣١٦ ، الكشاف : ٣ / ٢٠٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٣٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٣ ، تفسير الجلالين =

والمعنى : " وأعوذ بك أن يكونوا معي فى حال من الأحوال ، فإنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشر والصرف عن الخير " [١] .

قال **ابن كثير** : " ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور " . ثم أورد حديثين بعد ذلك وهما :

- ✓ عن **أبي اليسر** ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم إني أَعُوذُ بكَ من الْهَدْمِ ، وَأَعُوذُ بكَ من التَّرَدِّي ، وَأَعُوذُ بِكَ من الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ ... » [٢] .
- ✓ عن **عَمْرِو بن شُعَيْب** عن أبيه عن جَدِّهِ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يُعَلِّمُهُمْ من الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ من غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ ... » [٣] . " [٤]

= : ٤٥٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٤ ، فتح القدير : ٣ / ٤٩٧ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٥٣ ، الوسيط : ١٠ / ٦٢ .

(١) فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤٩٧ . وينظر قبله : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٨٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٥٣ .

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة ، بَاب في الاستعاذة (١٥٥٢) : ٢ / ٩٢ . عن أبي اليسر ﷺ . **وصحَّحه** الألباني .

وأبو اليسر هو : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الأنصاري السلمي ، **صحابي** شهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً ، توفي بالمدينة ، وكان آخر من مات من أهل بدر سنة ٥٥ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٨١ الاستيعاب : ٣ /٣٨٠ ، الإصابة : ٧ / ٤٦٨ .

(٣) جزء من حديث أخرجه أبوداود في سننه في كتاب الطب ، بَاب كَيْفَ الرُّقَى (٣٨٣٩) : ٤ / ١٢ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . قال أبو الفضل العراقي : "والحديث عند أبي داود ، والترمذي – **وحسَّنه** – والحاكم – **وصحَّحه** – فيما يقال عند الفزع ؛ دون تكرارها ثلاثاً من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ " . اهـ . ينظر : المغني عن حمل الأسفار لأبي الفضل ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني العراقي (ت ٨٠٦ هـ) : ١ / ٣١٤ ، ٣١٥ . وقال الشيخ الألباني : **حسن ، دون الزيادة من قول عبد الله بن عمرو** ؛ وهي قوله : (وكان عبد اللَّهِ بن عمرو يُعَلِّمُهُنَّ من عَقَلَ من بَنِيهِ وَمَنْ لم يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عليه) .

وعمرو بن شعيب هو : عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي ، ذكر البخاري أن أحمد وعلياً والحميدي وإسحاق كانوا يحتجُّون بحديثه ، ووثَّقه أبو حاتم ، إلا أنهم أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه عن جده ؛ لأنه قيل أنه سمع أحاديث يسيرة ، وأخذ صحيفة كانت عنده فرواها ، ت سنة ١١٨ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٦ / ٢٣٨ ، معرفة الثقات : ٢ / ١٧٧ ، التقريب : ٤٢٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٥ . بتصرف .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري ، أي القول بالعموم ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم دليل من السُّنة :

أخرج مسلم في صحيحه عن جَابِرٍ ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: « إِنَّ **الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كل شَيْءٍ من شَأْنِهِ** ؛ حتى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فإذا سَقَطَتْ من أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ ما كان بها من أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا ، ولا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ ، فإنه لَا يَدْرِي في أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ » (١) . (٢)

ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه** (٣) .

✓ **وتخصيص حال قراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه وبالاستعاذة فيها** ، وهم إنما يحضرون بالسوء ، ولو لم تصل إلى الإنسان وساوسهم ، فإن بعدهم بركة ، **قال بذلك** :

البيضاوي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي (٤) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة ، بَاب اسْتِحْبَابِ لَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالْقَصْعَةِ وَأَكْلِ اللُّقْمَةِ السَّاقِطَةِ بَعْدَ مَسْحِ ما يُصِيبُهَا من أَذًى وَكَرَاهَةِ مَسْحِ الْيَدِ قبل لَعْقِهَا (٢٠٣٣) : ٣ / ١٦٠٧ .

(٢) استدل به القرطبي عند تفسير الآية الكريمة التي معنا . ينظر : تفسير القرطبي :١٢ / ١٤٨ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٦٧ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٠ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٤ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٢ .

قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ . [آية : ١١٢ ، ١١٣] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ في جوف الأرض أمواتاً فقال : ((﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يعني : في جوف الأرض أمواتاً . وقيل : أحياء في الدنيا ، فأجابوا بأنهم : لبثوا يوماً أو بعض يوم ؛ لاستقصارهم المدة ؛ أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئاً)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾** على قولين :

القول الأول : معناه : **كم لبثتم في جوف الأرض أمواتاً** [٢] ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٣] ، ومقاتل [٤] ، **وصوَّبه** ابن عطية [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه **جمهور** [٧]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٥٧ .

(٢) **احتج من أنكر عذاب القبر بهذه الآية** ، وقالوا : " هذه الآية تدل على أن عذاب القبر ليس بثابت للكفار ؛ لأنه لو كان ثابتا لم يقولوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ؟

والجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أنه ذهب عن قلوبهم عذاب القبر من هول ما يلقاهم يوم القيامة .

والثاني : أن الله تعالى يرفع العذاب عن أهل القبور بين النفختين ، فينسون عذاب القبر ، ويستريحون ، وإنما يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم لهذا " . ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٩٤ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١١١ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ١٣٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٦٩ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٥٨ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٢٩١ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٠٥ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٨ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٥٧ .

(٧) نسب هذا القول إلى الجمهور : ابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٩٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦٥ .

المفسرين [١] .

قال ابن عطية :

" لأنهم أنكروا البعث . وكان قولهم : إنهم لا يقومون من التراب . قيل لهم لما قاموا : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ . وقوله آخراً : ﴿ ... وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٢] " . اهـ [٣] .

واحتُجَّ لهذا القول أيضاً بأمرين :

١. بقوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فهو يفيد الكون في القبر ، ومن كان حياً فالأقرب أن يقال : إنه (على الأرض) .

✖ **وضعَّفه الفخر الرازي** لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾ [٤] . [٥]

٢. لما سئلوا يوم القيامة عن قدر مدة لبثهم في الأرض في الدنيا ؛ أجابوا : بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ، مع أنه قد دلت آيات أخر على أنهم أجابوا بغير هذا الجواب ؛ ك قوله تعالى : ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [٦] ، و قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ... ﴾ [٧] ، ونحو ذلك من الآيات .

✓ **وأُجيب :**

" أن بعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم ، ويقول بعض آخر منهم : لبثنا ساعة ويقول بعض الآخر منهم : لبثنا عشراً .

---

(١) منهم : السمر قندي ، والواحدي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٤٩٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٤ ، زاد المسير : ٥ / ٤٩٥ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١٣٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ١١٥ .

(٣) المحرر الوجيز : ٤ / ١٥٨ ، ١٥٩ . وينظر قبله : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٤ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٦ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١١٠ . وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٣ / ٥٠٠ .

(٦) سورة طه : ١٠٣ .

(٧) سورة الروم : ٥٥ .

والدليل على هذا الجواب من القرآن :

أنه تعالى بين أن أقواهم إدراكاً ، وأرجحهم عقلاً ، وأمثلهم طريقة هو من يقول : إنهم ما لبثوا إلا يوماً واحداً ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [١] . فالآية صريحة في اختلاف أقوالهم ، وعلى ذلك فلا إشكال والعلم عند الله تعالى " [٢] .

القول الثاني : معناه : كم لبثتم أحياء في الدنيا ، قاله الحسن وقتادة والضحاك [٣] ، وذهب وذهب إليه الطبري [٤] ، وابن كثير [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] .

قال الزمخشري :

" استقصروا مدّة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها ، لأنّ الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيام الدعة إليها . أو لأنهم كانوا في سرور ، وأيام السرور قصار ، أو لأنّ المنقضي في حكم ما لم يكن ، وصدقهم الله في مقالهم لسنين لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها " . اهـ [٧] .

وقال **الفخر الرازي** : " الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ ، فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ، ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا ، ويظنون أن بعد الموت يدوم

---

(١) سورة طه : ١٠٣ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي : ٥ / ٣٦١ ، ٣٦٢ . وينظر : الوسيط لمحمد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٦٨ .

(٣) نسبه ابن عادل إليهم . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٣ / ٣٨٦ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٦٢ .

(٥) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٩ .

(٦) منهم : ابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، ولم يذكر النسفي والخازن وابن كثير والبقاعي وأبو السعود والخطيب الشربيني غيره ، والشوكاني ، ولم يذكر القاسمي والآلوسي والسعدي والشنقيطي وسيد قطب ومحمَّد سيِّد طنطاوي غيره . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢١٤ ، الكشف والبيان : ٧ / ٥٩ ، النكت والعيون : ٤ / ٦٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٤٩٤ ، الكشاف : ٣ / ٢٠٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٣٢ ، تفسير الخازن : ٥ / ٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٥٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٢٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٢ ، السراج المنير : ٢ / ٦٥٨ ، فتح القدير : ٣ / ٥٠٠ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٠٤ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٩ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٩ ، تفسير السعدي : ٥٦٠ ، الظلال : ٤ / ٢٤٨٢ ، أضواء البيان : ٥ / ٣٦١ ، الوسيط : ١٠ / ٦٧ .

(٧) الكشاف : ٣ / ٢٠٨ .

الفناء ؛ ولا إعادة ، فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنها دائمة وهم فيها مخلدون سألهم ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ تنبيهاً لهم على أن ما ظنوه دائماً طويلاً فهو يسير بالإضافة إلى ما أنكروه ، فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث أيقنوا خلافه فليس الغرض السؤال بل الغرض ما ذكرنا " . اهـ [١] .

واستدل له بدلالة السِّياق : جاء قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ تذكيراً لما لبثوا فيما سألوا الرجوع إليه من الدنيا ؛ بعد التنبيه على استحالته بقوله : ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ... ﴾ [٢] . [٣]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الآية محتملة للقولين ، ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ في جوف الأرض أمواتاً ؛ أو أحياء في الدنيا** ، فلكلٍّ قولٍ أدلته ، ويدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : احتمال جماعة من المفسرين [٤] للقولين .

ثانياً : يروى عن ابن عباس ﷺ في بعض الروايات أنه قال : لا أدري في الأرض أم في القبر [٥] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٣ / ١١٠ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٠٨ .

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٥٢ ، فتح القدير : ٣ / ٥٠٠ ، روح المعاني : ١٨ / ٦٩ .

(٤) منهم : البغوي ، والبيضاوي ، والثعالبي ، والجلالين . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣١٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٦٦ ، تفسير الجلالين : ٤٥٥ . وذكر جماعة من المفسرين القولين **ولم يرجحوا بينهما** ؛ منهم : الفخر الرازي ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن عادل . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١١٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٥٥ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ١٣٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٣٩٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٢٦٨ .

(٥) نسبه إليه السمر قندي في تفسيره (٢ / ٤٩٢) .

سـورة النـور

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ... ﴾ [(١)] . [آية : ١١] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لـ ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن سبب ارتفاع ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ لأنه خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، فقال : ((وارتفاع ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ لأنه خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، **واختار ابن عطية** أن يكون ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿ جَآءُو ﴾ ، ويكون الخبر ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ ؛ على تقدير : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾ ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [(٢)] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في الموقع الإعرابي لـ ﴿ عُصْبَةٌ[(٣)] ﴾** على قولين :

القول الأول : ارتفاع ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ لأنه خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، قاله النحاس ، ومكي بن أبي طالب [(٤)] .

---

(١) **سبب نزول الآية** : نزلت الآية فى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق ، وحسان بن ثابت الأنصارى ﷺ ، ومسطح بن أثاثة ﷺ ابن خالة أبى بكر الصديق ﷺ ، وحمنة بنت جحش الأسدية – رضي الله عنها – فيما قالوا على عائشة – رضي الله عنها – وصفوان بن المعطل ﷺ من الفرية . وقصة الإفك معروفة مشهورة ثابتة في عشر آيات من هذه السورة الكريمة ، وفي الأحاديث الصحاح ؛ أوردها أكثر أهل التفسير . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٨٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٥٨ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٠٧ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٢٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٦٩ ، تنوير المقباس : ٢٩٢ ، لباب النقول للسيوطي : ١٥٤ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦١ .

(٣) **العصبة** هي : الجماعة من العشرة إلى الأربعين ؛ ونسب هذا الطاهر بن عاشور إلى جمهور أهل اللغة . وقيل : العصبة الجماعة من الثلاثة إلى العشرة ، وروي عن ابن عباس ﷺ . ينظر (مادة : عصب) في : العين : ١ / ٣٠٩ جمهرة اللغة : ١ / ٣٨٤ ، تهذيب اللغة : ٢ / ٢٩ ، لسان العرب : ١ / ٦٠٧ ، تاج العروس : ٣ / ٣٨٣ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .

(٤) **وجوَّز** النحاس ، ومكي ، والقرطبي أيضاً النصب في عصبة على الحال ، ويكون الخبر ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ . [سورة النور : ١١] . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٣٠ ، مشكل إعراب القرآن لمكي : ٢ / ٥١١ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ١٩٧ .

وقاله أبو البقاء العكبري [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، **واستظهره** أبو حيان [٣] ، وقاله السمين الحلبي [٤] ، وجوَّزه الطاهر بن عاشور [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] .

ويكون ﴿ مِّنكُمْ ﴾ نعت لـ ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ ، وبه أفاد الخبر ؛ قاله أبو البقاء [٧] .

وقال الطاهر بن عاشور :

" ويكون الكلام مستعملاً في التعجيب من فعلهم ؛ مع أنهم عصبة من القوم أشد نكراً ، كما قال **طرفة** [٨] :

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْحُرِّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ " [٩] .

القول الثاني : أن يكون **﴿ عُصْبَةٌ ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿ جَآءُو ﴾** ، ويكون الخبر **﴿ لَاۤ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾** ، رجَّحه ابن عطية ، والطاهر بن عاشور [١٠] .

قال **ابن عطية** : " والتقدير : (إن فعل الذين) وهذا أنسق في المعنى ، وأكثر فائدة من أن

---

(١) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٥٥ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦١ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٠١ .

(٤) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢١٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .

(٦) منهم : القرطبي ، والبيضاوي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي . ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ١٩٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٦ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣١٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٠ فتح القدير : ٤ / ١٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٤٣ .
ولم يتعرض الزمخشري ، ولا الفخر الرازي ، ولا النسفي ، ولا الثعالبي ، ولا الخطيب الشربيني لإعرابه .

(٧) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٥٥ .

(٨) ينظر : ديوان طرفة بن العبد : ٨ .
وطرفة هو : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد ، البكري الوائلي ، أبو عمرو : شاعر ، جاهلي ، من الطبقة الأولى ، ولد في بادية البحرين ، وتنقل في بقاع نجد ، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه ، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله ، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها ، فقتله المكعبر شابا ، في (هجر) قيل : ابن عشرين عاماً ، وقيل : ابن ست وعشرين ، أشهر شعره معلقته ، وقد شرحها كثيرون من العلماء . ت سنة ٦٠ قبل الهجرة . ينظر : جمهرة أنساب العرب : ٢ / ٣١٩ ، ٣٢٠ ، اللآلي في شرح أمالي القالي : ١ / ٣١٩ ، خزانة الأدب : ٢ / ٣٧٠ .

(٩) التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .

(١٠) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٦٩ ، المرجع السابق .

يكون ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾ " . اهـ [١] .

وذكر **أبو حيان** قول ابن عطية **ولم يعترض عليه** [٢] .

✖ **واعترض عليه السمين الحلبي** فقال :

" والاعتراض عليه واضح من حيث أنه أوقع خبر ﴿ إِنَّ ﴾ جملة طلبية ، وهذا لا يجوز وإن ورد منه شيء في الشعر أُوِّلَ ... وتقدير ابن عطية ذلك المضاف قبل الموصول ليصحّ به التركيب الكلامي ، إذ لو لم يقدر لكان التركيب : (لاَ تَحْسَبُوهُمْ) .
ولا يعود الضمير في ﴿ لَاَ تَحْسَبُوهُ ﴾ على قول ابن عطية على (الإفك) ؛ لئلا تخلو الجملة من رابط يربطها بالمبتدأ .

وفي قول غيره : يجوز أن يعود على الإفك ، أو على القذف ، أو على المصدر المفهوم من ﴿ جَآءُو ﴾ ، أو على ما نال المسلمين من الغم " . اهـ [٣] .

ونجد **الطاهر بن عاشور** **يُجوِّز** أن يعود الضمير في ﴿ لَاَ تَحْسَبُوهُ ﴾ على الإفك حيث قال :

" والمعنى : لا تحسبوا إفكهم شراً لكم ، لأن الضمير المنصوب من ﴿ تَحْسَبُوهُ ﴾ لما عاد إلى الإفك ؛ وكان الإفك متعلقاً بفعل ﴿ جَآءُو ﴾ صار الضمير في قوة المعرف بلام العهد . فالتقدير : لا تحسبوا الإفك المذكور شراً لكم " . اهـ [٤] .

قال **الشوكاني** : " وجملة ﴿ لَاَ تَحْسَبُوهُ ﴾ وإن كانت طلبية ؛ فجعلها خبراً يصحُّ بتقدير كما في نظائر ذلك " . اهـ [٥] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾** ، **وهو**

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٦٩ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٠١ .
(٣) الدر المصون : ٥ / ٢١٢ . ونقله عنه ابن عادل . ينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣١٢ .
(٤) التحرير والتنوير : ١٨ / ١٧١ .
(٥) فتح القدير : ٤ / ١٢ .

ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جماعة من أئمة التفسير ، وكل واحد منهم حجَّة في اللغة ؛ كما أن القول الثاني فيه تكلف لا يخفى ، قاله **الآلوسي** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) روح المعاني : ١٨ / ١١٤ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ... ﴾ . [آية : ٢٢] .

مسألة : في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ يَأْتَلِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ يحلف ، فقال : ((معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : يحلف ؛ فهو من قولك : آليت ؛ إذا حلفت . وقيل : معناه يقصر ؛ فهو من قولك : ألوت ، أي قصرت ، ومنه : ﴿ ... لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ... ﴾ [١])) . اهـ [٢] .

الدراسة :

في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾ قراءتان :

- القراءة الأولى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ ، وهي **قراءة ثابتة متواترة سبعية** [٣] .

- القراءة الثانية : (ولا يَتَأَلَّ) ، وهي قراءة شاذة [٤] .

وفي اختلاف القراءتين وجهان :

الوجه الأول : أن كلتا **القراءتين مختلفة المعنى** ؛ كما يلي :

- فمعنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : أي : يألو أو يقصر .
- ومعنى (يَتَأَلَّ) : أي : يحلف [٥] .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) هي قراءة جمهور القراء السبعة . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٠ .

(٤) أوردها غير واحد من المفسرين . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ . وهي قراءة أبي جعفر ووافقه الحسن ؛ وهي قراءة عباس بن عباش بن أبي ربيعة ، وأبي جعفر ، وزيد بن أسلم ، وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٢ ، ١٠٣ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ١٠٦ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٠ .

(٥) ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٤ / ٨٣ ، ٨٤ .

الوجه الثاني : **أنهما قراءتان بمعنى واحد** ؛ ثم اختلف أهل العلم والمفسرون على قولين أيضاً :

القول الأول : معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : **يحلف** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] وعائشة – رضي الله عنها – [٢] ، وجماعة من السَّلف [٣] ، ومقاتل [٤] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٥] ، وقال النحاس [٦] : **هو الأوْلى** ، **ونصره** الزمخشري [٧] ، وقاله أبو البقاء [٨] ورجَّحه القرطبي [٩] ، [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٠] ، **واستظهره** أبو السعود ، **وصحَّحه** الشنقيطي [١١] ، وهو **المشهور** [١٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [١٣] .

﴿ يَأْتَلِ ﴾ من : آليت ؛ إذا حلفت ، ويقال لليمين : أَلْوَةٌ ، وأُلْوَةٌ ، وإلْوَة ، وأَلِيّة ؛ وعليه

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٠٢) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٦٢) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٥٣) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٠٢) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٦٢) إلى ابن المنذر .

(٣) منهم : مجاهد ، ينظر تفسيره (٢ / ٤٣٨) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٠٣) عن ابن زيد ومجاهد ؛ ونسبه السيوطي في الدر (٦ / ١٦٣) إلى الحسن ، ومقاتل بن حيان ، ومحمد بن سيرين.

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤١٤ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٣٦ .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٢ .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٦ .

(٨) ينظر : إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري : ٢ / ١٥٥ .

(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٠٨ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٢ .

(١١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٨٧ .

(١٢) قاله الفخر الرازي ، ينظر تفسيره : ٢٣ / ١٦٢ .

(١٣) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ومال إليه الفخر الرازي ، والخازن ، والنيسابوري ، وقدَّمه أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والجلالين ، ولم يذكر الخطيب الشربيني غيره ، وقال الشوكاني (**والأوَّل أوْلى**) ، وقال الآلوسي (**والأوَّل أوفق**) ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ولم يذكر محمَّد سيِّد طنطاوي غيره . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٠١ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٤ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٦ ، الكشف والبيان : ٧ / ٨١ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٠ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٣٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٣ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٦٢ ، تفسير الخازن : ٥ / ٦٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧١ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٠٤ تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٧٦ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٤٧ ، تفسير الجلالين : ٤٦٠ ، السراج المنير : ٢ / ٦٧٦ ، فتح القدير : ٤ / ١٦ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ ، الظلال : ٤ / ٢٥٠٥ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١٨٩ ، الوسيط : ١٠ / ١٠١ . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٣٢٣ .

أهل اللغة [١] .

والتقدير في العربية : على قول البصريين : ولا يحلف أولو الفضل كراهة أن يؤتوا ، وعلى قول الكوفيين : لأن لا يؤتوا [٢] .

ويشهد له :

١. من كلام العرب : ومنه قول الشاعر :

قليل الألايا حافظ ليمينه وإن بدرت منه الألية برت [٣]

وقال الآخر :

تَأَلَّى ابنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرُدَّنِي إلى نِسْوةٍ كأَنَّهنَّ مَفائِدُ [٤]

٢. ومنه قوله سبحانه : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ... ﴾ [٥] . [٦]

✖ وضعَّفه أبو مسلم لوجهين :

" **أحدهما** : أن ظاهر الآية على هذا التأويل يقتضي المنع من الحلف على الإعطاء ، وهم أرادوا المنع من الحلف على ترك الإعطاء ، فهذا المتأول قد أقام النفي مكان الإيجاب وجعل المنهي عنه مأموراً به .

---

(١) ينظر معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢١٣ ، جمهرة اللغة لابن دريد (مادة : ألا) : ١ / ٢٤٦ ، تهذيب اللغة للأزهري (مادة : ألى) : ١٥ / ٣١٠ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : ألوى) : ١ / ١٢٨ ، المخصص لابن سيده : ٤ / ٧٤ ، لسان العرب لابن منظور (مادة : ألا) : ١٤ / ٤١ ، المصباح المنير للفيومي : ١ / ٢٠ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٢ .

(٣) أورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر مثلاً : تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٣ ، فتح القدير : ٤ / ١٦ . ولم أهتد لقائله .

(٤) نسبه يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي (ت ٧٤١ هـ) في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام (١ / ٢١٦) إلى أوس بن حارثة ، واستشهد به البغدادي في خزانة الأدب (١٠ / ٧١) ولم ينسبه لأحد .

(٥) سورة البقرة : ٢٢٦ .

(٦) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٦ .

وثانيهما : أنه قلَّما يوجد في الكلام (افتعلت) مكان (أفعلت) ، وإنما يوجد مكان (فعلت) ، وهنا (آليت) من الألية افتعلت . فلا يقال : (أفعلت) كما لا يقال من ألزمت التزمت ، ومن أعطيت اعتطيت ، ثم قال : في ﴿ يَأْتَلِ ﴾ إن أصله يأتلي ذهبت الياء للجزم لأنه نهى ؛ وهو من قولك : ما آلوت فلاناً نصحاً ، ولم آل في أمري جهداً ، أي : ما قصرت ولا يأل ولا يأتل واحداً ، فالمراد : لا تقصروا في أن تحسنوا إليهم ، ويوجد كثيراً (افتعلت) مكان (أفعلت) تقول : كسبت واكتسبت ، وصنعت واصطنعت ، ورضيت وارتضيت ، فهذا التأويل هو الصَّحيح دون الأوَّل " . اهـ [١] .

✓ **وأجيب عن الوجه الأول** :

" بأن (لا) تحذف في اليمين كثيراً ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ ... ﴾ [٢] . يعني : أن لا تبرُّوا ، وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ يَمِينِ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً .....

أي : لا أبرح [٣] .

✓ **وأجيب عن الوجه الثاني** :

" أن جميع المفسرين الذين كانوا قبل أبي مسلم فسَّروا اللفظة باليمين ، وقول كل واحد منهم حجَّة في اللغة فكيف الكلّ ؟! .. " [٤] .

✓ **ويعضده** [٥] : **قراءة الحسن** : (ولا يتأَلَّ) .

القول الثاني : معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : **يقصر** ؛ حكاه أبو عبيدة [٦] ، ورجَّحه أبو مسلم [٧] .

---

(١) نقله الفخر الرازي عنه ، ينظر تفسيره : ٢٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) سورة البقرة : ٢٢٤ .
(٣) ينظر : مغني اللبيب لابن هشام : ٨٣٤ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٥) قال بذلك : الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٩ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ .
(٦) ينظر مجازه : ٢ / ٦٥ . ونسبه إلى أبي عبيدة جماعة من المفسرين .
(٧) نقله الفخر الرازي ، وأبو حيان ، والآلوسي عنه ، ينظر التفسير الكبير : ٢٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ ، البحر المحيط :

فقوله : ﴿ يَأْتَلِ ﴾ هو من أَلَوتُ ؛ بمعنى : قصَّرتُ [١] ، يقول الرجل : لا آلو جُهدي ؛ أي : لا أقصِّر .

والمعنى : ولا يقصِّر أولو الفضل في أن يحسنوا [٢] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

مِن استعمال هذا الفعل في القرآن بمعنى التقصير ؛ قوله تعالى : ﴿ ... لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ... ﴾ [٣] . أي : لا يقصرون في جلب ما يوجب الخبال لكم ، يعني : أعداءه ﷻ .

٢. من كلام العرب : ومنه قول امرؤ القيس [٤] :

وما المرءُ ما دامَتْ حُشاشةُ نَفسِهْ بمُدْرِكِ أَطْراف الخُطوب ولا آلِ

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – أن **الراجح أن معنى ﴿ يَأْتَلِ ﴾ يحلف ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جماعة المفسرين ، موافقاً في ذلك لقول ابن عباس ﷺ ؛ وعائشة – رضي الله عنها – وجماعة من السَّلف** ، ويدل ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : هذا القول أوْلى بدليل سبب النزول ؛ قاله جماعة من المفسرين [٥] ؛ وهو المروي في

---

٦ / ٤٠٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ .

(١) حكى ابن منظور ، والزبيدي هذا القول عن أبي عبيد وهو القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) . ينظر : لسان العرب (مادة : ألا) : ١٤ / ٤١ ، تاج العروس : ٣٧ / ٨٩ . فلا أدري هل هذا القول هو لأبي عبيدة أو لأبي عبيد ؛ – فجماعة من المفسرين نسبوا هذا القول لأبي عبيدة – ، أو أن ما في الأمر هو خطأ في الطباعة ! .. وعموماً لم أقف عليه لا في كتب أبي عبيدة ولا أبي عبيد – في حدود ما اطلعت – .

(٢) ينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٣٣ .

(٣) سورة آل عمران : ١١٨ .

(٤) نسبه إليه أبو بكر الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٦٨) ، والثعلبي في الكشف والبيان (٣ / ١٣٤) ، والشوكاني في فتح القدير (١ / ٣٧٦) . ولم أقف عليه في ديوانه .

(٥) منهم : أبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والشنقيطي . ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٥ ، فتح القدير : ٤ / ١٦ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٨٧ .

الصحيحين وغيرهما عن عائشة – رضي الله عنها – ؛ والذي ثبت فيه أنَّ أبا بكر الصدِّيق ﷺ حلف لما رأى براءة ابنته أن لا ينفق على مسطح شيئا أبداً ؛ وكان من فقراء المهاجرين الأولين الذين شهدوا بدراً ، وكان ابن خالته ؛ ونزول الآية الكريمة في ذلك الحلف معروف .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : « ... فلما أَنْزَلَ الله هذا في بَرَاءَتِي ؛ قال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ – وكان يُنْفِقُ على مِسْطَحِ بن أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ منه – : **والله لَا أُنْفِقُ** على مِسْطَحٍ شيئا أَبَدًا بَعْدَ ما قال لِعَائِشَةَ ؛ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ... ﴾ ... » [(١)] .

ثانياً : النظير القرآني لمعنى الآية :

هذا الذي تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن الحلف عن فعل البرِّ من إيتاء أولى القربى والمساكين والمهاجرين ، جاء أيضاً في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ [(٢)] . أي : لا تحلفوا بالله عن فعل الخير ، فإذا قيل لكم : اتقوا وبرُّوا ، وأصلحوا بين الناس قلتم : حلفنا بالله لا نفعل ذلك ، فتجعلوا الحلف بالله سبباً للامتناع من فعل الخير ؛ على الأصح في تفسير الآية [(٣)] .

ثالثاً : هذا القول هو الأظهر في اللغة ، وعليه جمهور المفسرين سلفاً وخلفاً .

رابعاً : يؤيده **القواعد الرجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلا إليه .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(٤)] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الشهادات ، بـاب تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا (٢٥١٨) : ٢ / ٩٤٢ – ٩٤٥ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب التوبة ، بَاب فِي حديث الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ (٢٧٧٠) : ٤ / ٢١٢٩ – ٢١٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٤ .

(٣) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٦ ، روح المعاني : ١٨ / ١٢٥ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٨٧ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ١٩١ ، ٢٧١ ، ٣١٢ .

✓ ولا مانع من احتمال القولين ، وقد ذكر جماعة من المفسرين [١] القولين و لم يرجحوا بينهما ؛ وجوَّز **السمين الحلبي** [٢] القولين ؛ وهذا ما ذكره **الرَّاغب** في مفرداته قبله حيث قال :

" وحقيقة الإيلاء والألية : **الحلف المقتضي لتقصير** في الأمر الذي يحلف عليه " [٣] .

فأبو بكر الصديق ﷺ قد حلف أنه لن ينفق على مسطح ﷺ كما ورد في سبب النزول الصحيح ، وبذلك يكون قد قصَّر في الإحسان إليه .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ومنهم : البيضاوي ، والنسفي ، وابن عادل ، والقاسمي . ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٧٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٥٠ .

(٢) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) مفردات الرَّاغب (مادة : إلى) : ٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ... ﴾ [1] . [آية : ٢٧] .

مسألة : في أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح **ابن جُزيّ أن أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ من الاستئناس** ، فقال : ((ومعنى ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ تستأذنوا [2] ، وهو مأخوذ من قولك : آنست الشيء ؛ إذا علمته ، فالاستئناس : أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا ؟ وقيل : هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة)) . اهـ [3] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾** على أقوال منها :

القول الأول : أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ من الاستئناس ؛ وهو **الاستعلام** ؛ **من** : (**آنس الشيء**) ؛ إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [4] ، ووافقه جماعة من المفسرين [5] .

---

(١) **سبب نزول هذه الآية** فيما ذكر الطبري بسند عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله ، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والد ولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال . قال : فنزلت الآية . وعزاه السيوطي أيضاً إلى الفريابي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١١١ ، الدر المنثور : ٦ / ١٧١ ، لباب النقول : ١٥٨ .

(٢) قاله ابن عباس ﷺ ، ومقاتل وجماعة من المفسرين . وعزاه السيوطي إلى ابن عباس ﷺ عن سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن مردويه . وقال الزَّجَّاج : و ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ في اللغة بمعنى : تستأذنوا ، وكذلك هو في التفسير ... والدليل على أنه الإذن قوله : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ... ﴾ . [سورة النور : ٢٨] . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٣٩ ، تفسير مقاتل : ٢ / ٤١٥ ، تفسير الطبري : ١٨ / ١١١ ، الدر المنثور : ٦ / ١٧١ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٣ .

(٤) ينظر : المرجع السابق .

(٥) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وابن العربي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والشوكاني ، والآلوسي ، و **استظهره** الشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٨ ، أحكام القرآن لابن العربي : =

ويكون معنى ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ :

أي تستعلموا وتستكشفوا الحال ، وهل يراد دخولكم أم لا ؟ [١] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ... ﴾ [٢] . أي : علمتم .
- وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ... ﴾ [٣] . [٤]

٢. من اللغة :

الاستئناس في اللغة [٥] : الاستعلام ، يقال : استأنست فلم أر أحداً .

٣. من كلام العرب : قال النابغة [٦] :

كأنَّ رَحْلِيْ وقد زال النهارُ بنا ... يومَ الجليلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

= ٣ / ٣٧٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٦ ، زاد المسير : ٦ / ٢٨ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢١٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٤٢ ، فتح القدير : ٤ / ١٩ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٤ ، أضواء البيان : ٥ / ٤٩٣ ، الوسيط : ١٠ / ١٠٩ .

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٣ .

(٢) سورة النساء : ٦ .

(٣) سورة القصص : ٢٩ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٣٩ ، معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٨ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٧ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٦ ، فتح القدير : ٤ / ١٩ .

(٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥١٧ ، معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢١٤ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٣٩ ، النهاية في غريب الأثر (مادة : أنس) : ١ / ٧٤ ، لسان العرب (مادة : آنس) : ٦ / ١٥ ، ١٦ ، القاموس المحيط ، باب السين ، فصل الهمزة : ١ / ٦٨٣ ، تاج العروس (مادة : أنس) : ١٥ / ٤١٥ . ونسب السمر قندي وغير واحد من المفسرين هذا القول **لابن قتيبة** . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٦ . ولم أقف عليه في أي من كتب ابن قتيبة – في حدود ما اطلعت – .

(٦) ينظر ديوانه : ١٨ .

أراد : على ثَوْرٍ وَحْشيّ أحسَّ بما رابَه ، فهو يستأنس ، أي : يتلفَّت ويتَبصَّر ، هل يرى أحداً أراد : أنّه مَذْعُور فهو أَجَدُّ لعدْوِه وفراره وسرعته [١] .

واعتُرض بأنه :

" ليس المراد بالاستئناس أنه مشتق من (آنس) بمعنى : علم ؛ لأن ذلك إطلاق آخر لا يستقيم هنا ؛ فلا فائدة في ذكره ، وذلك بحسب الظاهر ؛ فإنه إذا أذن له دلَّ إذنه على أنه لا يكره دخوله ، وإذا كره دخوله لا يأذن له ، والله متولِّي علم ما في قلبه ، فلذلك عُبِّر عن الاستئذان بالاستئناس مع ما في ذلك من الإيماء إلى علة مشروعية الاستئذان " [٢] .

القول الثاني : **أصل ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ من الأنس ضد الوحشة** ، لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له ؛ فإذا أذن له استأنس ، قاله الرَّاغب [٣] ، و **الطبري** [٤] ، وجوَّزه السمين الحلبي [٥] وابن عادل [٦] ، **واستظهره** أبو حيان [٧] ، وقاله البقاعي [٨] ، والكرمي [٩] في الناسخ والمنسوخ ، وذهب إليه **الطاهر بن عاشور** [١٠] .

قال الطبري :

" إن الاستئناس الاستفعال من الأنس ، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم مخبراً بذلك من فيه ، وهل فيه أحد ، وليؤذنهم أنه داخل عليهم فليأنس إلى إذنهم له في ذلك ويأنسوا إلى استئذانه إياهم " . اهـ [١١] .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : أنس) : ١٣ / ٦١ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٨ / ١٩٧ .
(٣) ينظر مفرداته (مادة : أنس) : ٢٨ .
(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١١٢ .
(٥) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢١٥ .
(٦) ينظر : تفسير ابن عادل : : ١٤ / ٣٤٢ .
(٧) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤١٠ .
(٨) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٢٥٢ .
(٩) ينظر : قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن للكرمي : ١٥٣ .
(١٠) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ١٩٧ .
(١١) تفسير الطبري : ١٨ / ١١٢ .

✓ **وأنكر ابن عطية** قول الطبري هذا فقال :

" وتصريف الفعل يأبى أن يكون من (آنس) " [١] .

✓ **وصحَّح الشنقيطي ومحمَّد سيِّد طنطاوي** هذا القول ؛ وذكرا بأن على هذا المعنى يكون الكلام من باب المجاز المرسل ، حيث أطلق اللازم وهو (الاستئناس) وأريد الملزوم وهو (الإذن فى الدخول) ، وإطلاق اللازم وإرادة الملزوم أسلوب عربي معروف .

ويشهد لهذا المعنى :

- قوله تعالى : ﴿ ... لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى بعده : ﴿ ... فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ... ﴾ [٣] . [٤]

✓ وقال **الزمخشري قبلهما** في هذا الوجه بعد أن ذكره :

" وهذا من قبيل الكناية والإرداف ؛ لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن ، فوضع موضع الإذن " . اهـ [٥] .

✓ **وأيَّد أبو حيان** [٦] قول الزمخشري هذا .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين في أصل ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ ؛ فهو من آنست : أي استعلمت وأبصرت ، ويصحُّ أن يكون من الأنس ضد الوحشة ، ولكل منهما شاهد من كتاب الله تعالى ؛ قال بذلك الشنقيطي** [٧] **؛ وذكر جماعة من**

---

(١) المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٦ .
(٢) سورة الأحزاب : ٥٣ .
(٣) الآية السابقة نفسها .
(٤) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٤٩١ ، ٤٩٢ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٠٩ .
(٥) الكشاف : ٣ / ٢٣٠ .وينظر : السراج المنير : ٢ / ٦٧٩ .
(٦) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤١٠ .
(٧) ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٤٩١ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٠٩ .

المفسرين [١] **القولين ولم يرجحوا بينهما.**

- ✓ **وإن كنت أميل أن يكون أصل ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ من الأنس الذي هو ضد الوحشة**

وإن كان معظم أهل اللغة قالوا أنه من : (آنس) أي علم وأبصر . لأنه عند الاستقراء للاستعمال القرآني للفظ (آنس) والذي ورد في غير موضع في القرآن الكريم ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ ... فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ... ﴾ [٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ... ﴾ [٤] .

فإن حس العربية المرهف ؛ لا يقول : (آنست) علمت وأبصرت دون أن تجد أنساً .. فإنه إذا قال : آنست ، فقد رأى أو سمع ما يؤنسه .

فليس الإيناس في آية النساء مثلاً مجرد إبصار لظواهر الرشد المادية الحسية في سن البلوغ ، ولكنه الطمأنينة المؤنسة بالابتلاء والامتحان إلى أنهم رشدوا حقاً .

وليس الاستئناس في آية النور التي معنا مجرد استعلام لمن في الدار ؛ وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله ... وهكذا في باقي المواضع .

قال **سيد قطب** :

" ويعبر عن الاستئذان بالاستئناس وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان ، ولطف الطريقة التي

---

(١) ومنهم : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٨٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٦ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٣٦ ، الكشاف : ٣ / ٢٣٠ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨١ ، تفسير الخازن : ٥ / ٦٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٨ ، السراج المنير : ٢ / ٦٧٩ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : ٦ .

(٣) سورة القصص : ٢٩ .

(٤) سورة النور : ٢٧ .

يجيء بها الطارق ، فتحدث في نفوس أهل البيت **أنساً به** ، واستعداداً لاستقباله . وهي لفتة دقيقة لطيفة ، لرعاية أحوال النفوس ، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار " . اهـ [١] .

ويكون الاستئناس : بتسبيحة ، أو بتكبيرة ، أو بتحميدة ، أو بتنحنح عند **الجمهور** [٢] .

- لحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال : « قلنا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا السَّلامُ فَمَا الاسْتِئْنَاسُ ؟ قَالَ : يَتَكَلَّمُ الرَّجُلُ بتَسْبِيحَةٍ وتَكْبِيرَةٍ وتَحْمِيدَة وَيَتَنَحْنَحُ ؛ ويُؤْذِنُ أَهْلَ الْبَيْتِ " [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الظلال : ٤ / ٢٥٠٨ .

(٢) ينظر : فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب ، باب الاستئذان (٣٧٠٧) : ٢ / ١٢٢١ . **وضعَّفه** الألباني .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ [1] ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . [آية : ٣٠] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في معنى ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ والمراد من الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ للتبعيض** ، فقال : ((و ﴿ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ للتبعيض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل . وقيل : معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج بها ويمنع ما بعدها ، **وأجاز الأخفش** أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ زائدة . وقيل : هي لابتداء الغاية ؛ لأن البصر مفتاح القلب ، والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء ، أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مِنْ ﴾** [3] **في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) **سر تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج :** وهو أن النظر بريد الزنا ورائد الفجور ، ولأن البلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته ؛ قاله جماعة من المفسرين . ينظر مثلاً : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٧٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

وقال الشاعر :

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنْ النَّـظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةً فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بلا قَوْسٍ وَلا وَتَرِ
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا عَيْـنٍ يُقَلِّبُـهَا ... فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ
يَسُرُّ نَاظِرَهُ مَا ضَـرَّ خَاطِـرَهُ ... لا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَـادَ بِالضَّرَرِ

ذكر الآلوسي هذه الأبيات عند تفسيره لهذه الآية . ينظر : روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٤ .

(٣) **إن قيل : كيف دخلت ﴿ مِنْ ﴾ في غض البصر دون حفظ الفرج ؟**

فالجواب : أن ذلك دليل على أن أمر النظر أوسع ، فالنظر إلى المحرمات من النساء مباح ، وكذلك الجواري =

يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : ﴿ مِنۡ ﴾ للتبعيض ، والمراد **غض** [١] البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل ، **استظهره** ابن عطية [٢] ، وقاله أبو البركات الأنباري [٣] ، وأبو البقاء [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، **واستظهره** الثعالبي [٦] ، ووافقه **أكثر** [٧] النحويين [٨] والمفسرين [٩] .

قال **ابن عطية** : " وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان ، وإنما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض " [١٠] .

واستدل لذلك من السُّنة :

- بقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ؛ فإن لك الْأُولَى وَلَيْسَتْ لك

= كما أن النظرة الأولى معفوّ عنها ، وأما أمر الفروج فمضيق . وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلاّ ما استثنى منه ، وحظر الجماع إلاّ ما استثنى منه . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ .

(١) قال ابن فارس : الغض يدل على كف ونقص ، وكل شيء كففته فقد غضضته ، وقال الفراهيدي : الغَضُّ : الفُتُورُ في الطَّرْفِ . يُقَال : غَضَّ وأَغْضَى ، وغضَّ غضًّا ، وأغضى إغضاءً ؛ أي : إذا دَانَى بَيْن جَفْنَيْه و لم يلاق . ومنه قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ينظر (مادة : غض) في : العين : ٤ / ٣٤١ ، تهذيب اللغة : ٨ / ٧ ، معجم مقاييس اللغة : ٤ / ٣٨٣ ، لسان العرب : ٧ / ١٩٧ ، تاج العروس : ١٨ / ٤٦٣ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ .

(٣) ينظر : أسرار العربية لأبي البركات ، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٧ هـ) : ٢٣٥ .

(٤) ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٦٨ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٤ .

(٦) ينظر تفسيره : ٤ / ١٨٢ .

(٧) نسب الفخر الرازي ، والشوكاني ، والآلوسي هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ ، فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٨ .

(٨) نسب النيسابوري هذا القول إلى أكثر النحويين . ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧٨ .

(٩) منهم : الزمخشري ، وابن العربي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي قول الزمخشري . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٧٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٢ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٥٥ تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٩ ، السراج المنير : ٢ / ٦٨١ ، فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٠٣ ، الوسيط : ١٠ / ١١٥ .

(١٠) المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢٣ .

الْآخِرَةُ » [١] .

- وعن جَرِيرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ قال : « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ ؛ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي » [٢] .

القول الثاني : ﴿ مِنْ ﴾ لبيان الجنس ، قاله النحاس [٣] ، ومكي بن أبي طالب [٤] ، **وصحَّحه** ابن عطية [٥] .

✖ **واعتُرض عليه** : " بأنه لم يتقدم مبهم يكون مفسراً بـــ ﴿ مِنْ ﴾ " [٦] .

✖ **وتعَّقبه الآلوسي** فقال :

" إن الصحيح أنها ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس " [٧] .

القول الثالث : ﴿ مِنْ ﴾ زائدة ، أي : صلة في الكلام ، ومعناه : يغضوا أبصارهم ، قاله ابن عباس ﷺ [٨] ، وحُكي عن سعيد بن جبير [٩] ، وقاله السدي [١٠] ، وجوَّزه أبو الحسن الحسن الأخفش [١١] ، وقاله القرطبي [١٢] ، وجماعة من المفسرين [١٣] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، بَاب ما جاء في نَظْرَةِ الْمُفَاجَأَةِ (٢٧٧٧) : ٥ / ١٠١ . عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه رَفَعَهُ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث شَرِيكٍ . **وحسَّنه** الألباني .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، بَاب ما جاء في نَظْرَةِ الْمُفَاجَأَةِ (٢٧٧٦) : ٥ / ١٠١ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . **وصحَّحه** الألباني .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٢٠ .

(٤) ينظر مشكله : ٢ / ٥١١ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ .

(٦) تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٤٩ . وينظر : فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٨ .

(٧) روح المعاني : ١٨ / ١٣٨ .

(٨) ينظر : تنوير المقباس : ٢٩٤ .

(٩) نسبه إليه : السمعاني في تفسيره (٣ / ٥١٩) ، وعزاه السيوطي في الدر في الدر (٦ / ١٧٧) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٧١) .

(١٠) نسبه الماوردي إليه . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٨٩ .

(١١) هو الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة صاحب المعاني (ت ٢١٥ هـــ) سبق ترجمته سابقاً ، ونسبه إليه جماعة من المفسرين . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ ، التسهيل : ٣ / ٦٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ . ولم أقف عليه في أي من كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(١٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢٢ .

(١٣) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، والجلالين . ينظر : =

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ ... مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٨٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ . [سورة الحاقة : ٤٧] .

✖ **وأنكر ذلك سيبويه** (١) ؛ وهو قول تأباه بلاغة القرآن الكريم .

✖ وقال بعضهم :

" وذَهَبَ بَعْضُ النَّحْوِيّينَ إلى أَنَّ ﴿ **مِنْ** ﴾ زائدَةٌ ، وأَنَّ المَعْنَى يَغُضُّوا أَبْصَارَهم فخَالَف ظَاهِرَ القُرْآنِ ، وادَّعَى فيه الصَّلَةَ ، وتَكَلّفَ ما هُوَ غَنِيٌّ عنه . ومَعْنَى الكَلامِ ظاهِرٌ ، أَيْ : يَنْقُصُوا من نَظَرِهم عَمَّا حُرِّمَ عليهم ، فقد أَطْلَقَ اللهُ لَهُمْ ما سِوَى ذلِكَ " (٢) .

✓ **والأوْلى أن لا يقال : صلة (٣) ، فلا زائد في القرآن ؛ وإنما صلة لتوكيد المعنى .**

القول الرابع : ﴿ مِنْ ﴾ لابتداء الغاية ؛ لأن البصر مفتاح القلب ، والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء ، أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر ، صحَّحه **ابن عطية** (٤) . (٥)

والقائلون بهذا القول : رأوا بأن المقصود بـــ ﴿ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ جمع (بصر) ؛ وهو العضو

= تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٨ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٩ ، النكت والعيون : ٤ / ٨٩ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٩ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ٢ / ٢٣ ، تفسير الجلالين : ٤٦٢ .

(١) قال المبرد : " وإنما تزاد – أي : ﴿ مِنْ ﴾ – في النفي ، ولا تقع في الإيجاب زائدة " . ينظر : المقتضب : ٤ / ٤٢٠ . ونقله الفخر الرازي والآلوسي عنه . ينظر : التفسير الكبير :٢٣ / ١٧٨ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٢) تاج العروس (مادة : غض) : ١٨ / ٤٥٩ .

(٣) سبق بيان أنه لا زائد في القرآن الكريم في مسائل سورة إبراهيم عليه السلام . وينظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي : ١ / ٣٧١ . وللمزيد ينظر : (زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم) ، رسالة دكتوراه في جامعة أمّ القرى ؛ للدكتورة : هيفاء عثمان عباس فدا ، نوقشت الرسالة ١٤١٦ هـــ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ .

(٥) ذكر جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح : الثعلبي ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، والخازن ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٨٦ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٢ ، تفسير الخازن : ٦ / ٦٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٧٩ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٦ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٤٩ .

الناظر ؛ فجعلوا ﴿ مِنْ ﴾ لابتداء الغاية ، والمعنى يأتوا بالغض ابتداء من أبصارهم .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح ﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك :

أولاً : " أن المراد غض شيء من البصر ؛ لأن غض كله كالمتعذّر بخلاف حفظ الفرج فإنه ممكن على الإطلاق " [١] .

فالغض التام للبصر ليس في مقدور الإنسان ، وليس مقصود الشرع ، ولكن المقصود الغض عن المحرمات ؛ وهي بعض المبصَرَات ، فالأبصار جمع (بصر) وهو القدرة على الإبصار [٢] .

ثانياً : هذا القول هو قول **جمهور النحويين والمفسرين** ؛ وكل منهم حجَّة في اللغة ؛ فكيف بالكلِّ ؟! ..

والآية تحتمل أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ لابتداء الغاية ، لأن غض العضو الناظر يعني تداني ما بين الجفنين ؛ وهذا يؤدي إلى كف القوة المبصرة وإنقاصها .

✍ وفي غض البصر منافع ؛ كما ذكرها ابن القيم في الجواب الشافي [٣] .

---

(١) تفسير النيسابوري : ٥ / ١٧٩ .

(٢) قال الكفوي : البصر : هو إدراك العين ، وقد يطلق مجازاً على القوة الباصرة . ينظر : الكليات : ٢٤٧ .

(٣) **في غض البصر عدة منافع** :

أحدها : أنه إمتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده ، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من إمتثال أوامر ربه تبارك وتعالى .

الثاني : أنه يمنع من وصول أثر السم المسموم الذى لعل فيه هلاكه إلى قلبه .

الثالث : أنه يورث القلب أنسا بالله وجمعية على الله ، فان إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله ، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه .

الرابع : أنه يقوي القلب ويفرحه كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه .

الخامس : أنه يكسب القلب نورا كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة .

السادس : أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب .

السابع : إنه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة ، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة ، وسلطان القدرة =

✍ وفي هذه الآية **دليل** على تحريم النظر إلى غير من يحل النظر إليه [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : المراد بحفظ الفروج :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح **ابن جُزيّ أن المراد بحفظ الفروج هو حفظها عن الزنا وستر العورة** ، فقال : ((وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا ، وقيل : أراد ستر العورة ، **والأظهر أن الجميع مراد**)) . اهـ [٢] .

= والقوة كما في الأثر : « الذي يخالف هواه يفر الشيطان من ظله » .

الثامن : أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب ؛ فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي ؛ فيمثل له صورة المنظور إليه ويزينها ، ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ، ثم يعده ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة ، ويلقى عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة فيصير القلب في اللهب .

التاسع : أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها ، وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك ويحول عليه بينه وبينها ؛ فتنفرط عليه أموره ، ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه .

العاشر : أن بين العين والقلب منفذا أو طريقا يوجب اشتغال أحدهما عن الآخر ، وإن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده ، فإذا فسد القلب فسد النظر ، وإذا فسد النظر فسد القلب ، وكذلك في جانب الصلاح ، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد ، وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ ، فلا يصلح لسكني معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه ، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك ، فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر تطلعك على ما ورائها " . اهـ . ينظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لشمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ١٢٥ - ١٢٧ **نقلتها باختصار للفائدة** .

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٢٢ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٤ .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بحفظ الفروج على أقوال منها** :

القول الأول : المراد بحفظ الفروج **حفظها عن الزنا** ، ذهب إليه النسفي [١] من المفسرين .

القول الثاني : المراد بحفظها **ستر العورة** ، وهو قول أبي العالية [٢] ، وابن زيد [٣] ، وذهب إليه الطبري [٤] .

عن أبي العالية قال : كل شيء في القر آن ﴿ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ [٥] و ﴿ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [٦] يقول : من الزنا إلا ما كان من هذه الآية في النور . يقول : لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المراة [٧] .

✖ **وضُعِّف** : " لأنه تخصيص من غير دلالة " [٨] .

القول الثالث : **حفظها عن جميع ما لا يحل لهم فعله بها** ، فحفظ الفرج يشمل حفظه عن الزنا وستر العورة ، **استظهره** ابن عطية والفخر الرازي [٩] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١٠] ووافقه **جمهور** [١١] المفسرين [١٢] .

---

(١) ينظر : نفسير النسفي : ٣ / ١٤٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١١٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٧٧) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٧١) .

(٣) نسبه إليه الزمخشري ، وابن الجوزي ، والآلوسي . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، زاد المسير : ٦ / ٣٠ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١١٦ .

(٥) سورة النور : ٣٠ .

(٦) سورة النور : ٣١ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٧١) .

(٨) أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٧٢ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٧٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٥٤ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

(٩) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٧٧ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٧٨ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٤ .

(١١) نسب هذا القول إلى الجمهور : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ٨٦) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ٣٠) .

(١٢) منهم : السمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وجوَّزه الزمخشري ، وابن العربي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والخازن ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي =

قال **السمعاني** : " هذا أمرٌ بالتعفُّف " [١] .

وقال **الزمخشري** :

" ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحلّ حفظها عن الإبداء " [٢] .

وأضاف **الآلوسي** : " لأن الحفظ لعدم ذكر صلته يتناول القسمين ؛ وذكر أن الحفظ عن الإبداء يستلزم الآخر من وجهين ؛ عدم خلوه عن الإبداء عادة ، وكون الحفظ عن الإبداء بل الأمر بالتستر مطلقاً للحفظ عن الإفضاء " . اهـ [٣] .

وقال ابن كثير : " وحفظ الفرج يكون :

- تارة بمنعه من الزنا ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾ [٤] .
- وتارة يكون بحفظه من النظر إليه ، كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسُّنن : « ... احفظ عَوْرَتَكَ إلا من زَوْجَتِكَ أو ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ ... » [٥] " . اهـ [٦] .

قال البقاعي : " و لم يستثن الزوجة وملك اليمين استغنا عنه بما سبق في المؤمنون [٧] ، ولأن

= وابن عادل ، والجلالين ، وأبو السعود ، وجوَّزه الخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٠٨ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٢٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٨٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٩ تفسير البغوي : ٣ / ٣٣٧ ، الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٧٧ ، زاد المسير : ٦ / ٣٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٢٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٣ ، تفسير الخازن : ٦ / ٦٨ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨٣ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٥٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٥٤ ، تفسير الجلالين : ٤٦٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٦٩ ، السراج المنير : ٢ / ٦٨١ فتح القدير : ٤ / ٢٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ ، روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ ، تفسير السعدي : ٥٦٦ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٠٣ ، أضواء البيان : ٥ / ٥٠٦ ، الوسيط : ١٠ / ١١٥ .

(١) تفسير السمعاني : ٣ / ٥١٩ . وينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٣٧٨ .

(٢) الكشاف : ٣ / ٢٣٤ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٣ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

(٣) روح المعاني : ١٨ / ١٣٩ .

(٤) سورة المؤمنون : ٥ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ،بَاب ما جاء في حِفْظِ الْعَوْرَةِ (٢٧٩٤) : ٥ / ١١٠ .عن بَهْزُ بن حَكِيمٍ عن أبيه عن جَدِّهِ . قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ . **وحسَّنه** الألباني .

(٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨٣ .

(٧) وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ= =

المقام للتهويل في أمر للحفظ والتشديد ، ورغب في ذلك بتعليله بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ ﴾ " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بحفظ الفروج حفظها عن جميع ما لا يحل لهم فعله بها** ، ويدخل فيه دخولا أوليًّا حفظه عن الزنا ، وحفظه من الإبداء للناس والانكشاف لهم ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك :

أولاً : دلالة فحوى الخطاب [٢] :

قال الفخر الرازي : " والذي يقتضيه الظاهر أن يكون المعنى حفظها عن سائر ما حرم الله عليه من الزنا والمس والنظر ، وعلى أنه إن كان المراد حظر النظر فالمس والوطء أيضاً مرادان بالآية ، إذ هما أغلظ من النظر ، فلو نص الله تعالى على النظر لكان في مفهوم الخطاب ما يوجب حظر الوطء والمس ، كما أن قوله تعالى : ﴿ ... فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ... ﴾ [٣] اقتضى حظر ما فوق ذلك من السب والضرب " . اهـ [٤] .

فعليه : يكون حفظ الفرج عن الزنى [٥] يعلم منه بطريق الأوْلى [٦] .

ثانياً : هذا القول هو قول **جمهور المفسرين** ؛ وكل منهم حجَّة ؛ فكيف بالكلِّ ؟! ..

والله تعالى أعلم بالصواب .

مَلُومِينَ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٥ ، ٦] .

(١) نظم الدرر : ٥ / ٢٥٥ .

(٢) **دلالة فحوى الخطاب** هو : فحوى الكلام ما يفهم منه على سبيل القطع ، لأنه أولى بالحكم من المنطوق به . ينظر : إتقان السيوطي : ٣ / ٨٥ .

(٣) سورة الإسراء : ٢٣ .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٧٨ . وينظر قبله : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٧٢ .

(٥) وزاد الشنقيطي : حفظ الفرج من اللواط ، والمساحقة ، وحفظ الرجل فرجه عن وطء زوجته في الدبر ، وذكر لذلك أدلة كثيرة من القرآن الكريم . ينظر : أضواء البيان : ٥ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٦) ينظر : تفسير القاسمي : ١٢ / ١٨٩ .

قوله تعالى : ﴿ ...وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ [١] عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . [آية : ٣٣] .

مسألة : في رجوع الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا ، فقال : ((﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلاَّ إذا أردن التحصن ؛ وهو التعفف . وقيل : هو راجع إلى قوله : ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ ... ﴾ [٢] ؛ **وذلك بعيد**)) . اهـ [٣] .

الدراسة :

سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول ؛ فإنه كان له إماء ؛ فكان يكرههن على البغاء طلباً لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم [٤] .

وأصحُّ ما جاء في سبب نزول الآية : ما أخرجه مسلم عن جَابِرٍ ﷺ : « أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ يُقَالُ لها (مُسَيْكَةُ) ، وَأُخْرَى يُقَالُ لها (أُمَيْمَةُ) فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا على الزنا ، فَشَكَتَا ذلك إلى النبي ﷺ ، فَأَنْزَلَ الله : ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ » [٥] .

---

(١) الفتيات جمع فتاة ، والمراد بهن هنا الإماء ، وعبر عنهن بقوله : ﴿ فَتَيَـٰتِكُمْ ﴾ على سبيل التكريم لهن ، ففي الحديث الشريف : « ... ولا يَقُلْ أحدكم : عَبْدِي أَمَتِي ، وَلْيَقُلْ : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي » . أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري .

(٢) سورة النور : ٣٢ .

(٣) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨٩ . وقد اختُلف في سبب نزول الآية ، وجاءت روايات كثيرة في سبب نزولها . ينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٥٩ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التفسير ، بَاب في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ (٣٠٢٩) : ٤ / ٢٣٢٠ . وفي رواية لمسلم أيضاً في الباب نفسه عن جَابِرٍ ﷺ قال : « كان عبد اللَّهِ بن = =

وهذه **المسألة مُشْكل** ؛ والإشكال في هذه الآية أنه علق ﷻ بـــ ﴿ **إِنْ** ﴾ **الشرطية** المنع من الإكراه على البغاء على إرادة التحصن بقوله : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ ؛ والمعلق بكلمة ﴿ إِنْ ﴾ على الشيء يفهم منه عدمه عند عدم ذلك الشيء ، وظاهر الآية يقتضي الإكراه على الزنا إذا لم توجد إرادة التحصن ، وذلك باطل ، فإنه سواء وجدت إرادة التحصن أو لم توجد فإن المنع من الإكراه على الزنا حاصل ، ولهذا اختلف أهل العلم والمفسرون في **رجوع الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾** على قولين :

القول الأول : معنى قوله : **﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ أي : إذا أرَدْنَ ، وليس معناه الشرط** لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردْن تحصناً ، قاله الثعلبي والبغوي [١] من المفسرين .

واستدل له بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٣٩] . أي : إذا كنتم مؤمنين .
- وقوله تعالى : ﴿ ... لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ... ﴾ . [سورة الفتح : ٢٧] . يعني : إذا شاء الله [٢] . ونحو ذلك من الآيات .

القول الثاني : الشرط راجع إلى **إكراه الفتيات على الزنا ، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ؛ إذ لا يتصور إكراههن إلاَّ إذا أردن التحصن ؛ وهو التعفف** ، قاله قتادة [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **جمهور** [٥] المفسرين [٦] .

أُبَيٍّ بن سَلُولَ يقول لِجَارِيَةٍ له : اذْهَبِي فَابْغِينَا شيئا ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ : ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ » .

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٩٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٤ .

(٢) ينظر : المرجعين السابقين .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٤) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٠) .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٧ .

(٥) نسب الطاهر بن عاشور هذا القول إلى الجمهور . ينظر : التحرير والتنوير :١٨ / ٢٢٦ .

(٦) منهم : الماوردي وقدَّمه ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، والبقاعي ، والثعالبي ، والجلالين ، والخطيب الشربيني ، والسعدي . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٠١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٢٨ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٠٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٢ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٩٢ =

" وأوثرت كلمة ﴿ إِنۡ ﴾ على (إذ) إيذاناً بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن ، وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشَّاذ والنَّادر " [١] .

القول الثالث : في الكلام تقديم وتأخير ، تقديرها : وانكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً والشرط **راجع إلى قوله تعالى** : ﴿ **وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ** ... ﴾ [٢] ، قاله **الحسين بن الفضل** [٣] ، والزَّجَّاج [٤] ، وذهب إليه النحاس [٥] ، وقدَّمه الواحدي [٦] من المفسرين . [٧]

✖ وهذا القول **ضعَّفه ابن عطية ، واستبعده ابن جُزيّ وأبو حيان** [٨] .

وأضاف أبو حيان :

" وأيضاً فالأيامى يشمل الذكور والإناث ، فكان لو أريد هذا المعنى لكان التركيب : إن أرادوا تحصناً ، فيغلب المذكر على المؤنث " . اهـ [٩] .

= تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٥ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٨ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٦٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٧ ، تفسير الجلالين : ٤٦٣ السراج المنير : ٢ / ٦٨٩ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ . وينظر : يرهان الزَّركشي : ٤ / ٢٢١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٨٦ .

(١) الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٦ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٨٩ .

(٢) سورة النور : ٣٢ .

(٣) نسبه إليه الخطيب الشربيني في السراج المنير : ٢ / ٦٨٩ .

والحسين بن الفضل هو : الحسين بن الفضل بن عمير البجلي ، مفسرٌ معمرٌ ، كان رأساً في معاني القرآن ، أصله من الكوفة ، انتقل إلى نيسابور ، وأنزله واليها عبد الله بن طاهر في دار اشتراها له سنة ٢١٧هـ ؛ فأقام فيها يعلم الناس ٦٥ سنة . وكان قبره بها معروفاً . ت سنة ٢٨٢ هـ . ينظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني (ت ٤٤٦ هـ) : ٢ / ٨١١ ، السِّير : ١٣ / ٤١٤ - ٤١٦ ، الوافي بالوفيات : ١٣ / ١٨ .

(٤) ينظر معانيه : ٤ / ٤٠ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٥٣٣ .

(٦) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٤ .

(٧) ذكر جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح : الخازن ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر تفسير الخازن : ٥ / ٧٦ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٧٧ .

(٨) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٢ ، التسهيل : ٣ / ٦٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٦ .

(٩) البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٦ .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا ، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين ، لأنه خرج مخرج الغالب ، أو جاء لبيان الواقع** [1] **، فللغالب أن الإكراه لا يحصل إلا عند إرادة التحصن** ؛ قاله **ابن كثير** ، **وأبو السعود** ، وقال **الشوكاني** (**وهذا الوجه هو أقوى هذه الوجوه**) ، **وذهب إليه القاسمي** ، وقال **الآلوسي** (**هو الأولى**) ، **وقاله محَّمد سيِّد طنطاوي** [2] .

ليس المقصود من الآية أنهن إن لم يردن التحصن يكرهن على ذلك ، وإنما المراد منه **بيان الواقع** الذى نزلت من أجله الآية ، وهو إكراهم لإمائهم على الزنا مع نفورهن منه ، وذلك **حسب ما جاء في سبب نزول الآية** ؛ قاله **الطاهر بن عاشور** [3] .

وهكذا يكون الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا ﴾ خرج مخرج الغالب ، أو لبيان الواقع ؛ لأن إرادة التحصن هي غالب أحوال الإماء البغايا المؤمنات إذ كن يحببن التعفف ؛ فكأنه ﷻ يقول لهم : كيف يقع منكم إكراههن على البغاء وهن إماء يردن العفة ويأبين الفاحشة ؟ ألم يكن الأوْلى بكم والأليق بكرامتكم أن تعينوهن على العفاف والطهر ؛ بدل أن تكرهوهن على ارتكاب الفاحشة من أجل عرض من أعراض الحياة الدنيا ؟ .

يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : النظير القرآني :

الخلع يجوز في غير حالة الشقاق ؛ ولما كان الغالب وقوع الخلع في حالة الشقاق لم يكن لقوله تعالى : ﴿ ... فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ

---

(١) لاعتبار مفهوم المخالفة شروط ، منها : ألا يخرج القيد مخرج الغالب ، وألا يكون موافقاً للواقع . ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزَّركشي : ٣ / ١٠١ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٨٦ . ومن ثمَّ فلا مفهوم للشرط في هذه الآية .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٣ ، فتح القدير : ٤ / ٣٠ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٠٧ ، روح المعاني : ١٨ / ١٥٨ ، الوسيط : ١٠ / ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٢٦ .

... ﴾ . [سورة البقرة : 229] . مفهوم .

- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ... ﴾ . [سورة النساء : ١٠١] . والقصر لا يختص بحال الخوف ؛ ولكنه ﷻ أجراه على سبيل الغالب [١] .

- وقوله تعالى : ﴿ ... وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ... ﴾ . [سورة النساء : ٢٣] . **فالجمهور** على أن الربيبة حرام نكاحها سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره . قالوا : وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له [٢] .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٣ / ١٩٢ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٠٧ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٤٧٢ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ (١) مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ

---

(١) النور في اللغة : الضوء المدرك بالبصر . واختلف في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ :
إما على أنه بمعنى اسم الفاعل ؛ أي : منوّر السموات والأرض ، وإما على حذف ؛ أي : ذو نور .
قال الحسن : أى منوِّر السموات والأرض . وقال مجاهد : مدبر الأمور فى السموات والأرض .
قال ابن عباس ﷺ : المعنى : الله هادى السموات والأرض . والأول أعم للمعانى وأصح مع التأويل .
ويدل عليه : قراءة زيد بن علي ، وأبى جعفر ، وعبد العزيز المكى : (الله نوَّرَ السماوات والأرض) على صيغة الفعل الماضي ، وفاعله ضمير يرجع إلى الله و (السموات) مفعولـه ، هكذا قال الحسن ومجاهد والأزهـرى والضحاك والقرظى وابن عرفة وابن جرير وغيرهم ، ومثله قول الشاعر :

وأنت لنا نور وغيث وعصمة ونبت لمن يرجو نداك وريف

وسبب هذا الاختلاف أن النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات ؛ كالكيفية الفائضة من النيران على الأجرام الكثيفة المحاذية لها ، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا على ضرب من التجوز ؛ فالإخبار عن الله تعالى بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ؛ لا يتردد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ولا تخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهراً أو عرضاً ؛ كما يقال : الملك نور البلد ، أو : زيد كرم وجود ، ثم تقول : ينعش الناس بكرمه وجوده . فيجوز إطلاق النور على الله سبحانه علىطريقة المدح ، ولكونه أوجد الأشياء المنورة ، وأوجد أنوارها ونورها . قال الطاهر بن عاشور : " وأسعد إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء الأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقل الاهتداء إليها ... وأحسن ما يفسر به قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أن الله موجد كل ما يعبر عنه بالنور ؛ وخاصة أسباب المعرفة الحق والحجة القائمة والمرشد إلى الأعمال الصالحة التي بها حسن العاقبة في العالَمَيْن العلوي والسفلي ، وهو من استعمال المشترك في معانيه " . اهـ .

وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد يقول : « اللهم لك الْحَمْدُ أنت قَيِّمُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لك مُلْكُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أنت نُورُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ ... » .

وقال ﷺ فى دعائه يوم آذاه المشركون من أهل الطائف : « أعوذ بنور وجهـك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل بى غضبك ، أو يترل بى سخطك ، لك العتبى – أى الرجوع عن الذنب – حتـى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وأضاف سبحانه نوره إلى السموات والأرض ، للدلالة على سعة إشراق هذا النـور ، وعموم سنائه ، وتمام بهائه فى الكون كله .

هذا التأويل في صفة (النور) قاله الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٤٥) والفخر الرازي في تفسيره (٢٣ / ٢٤٥) وكذا ابن جزي عند تفسير هذه الآية وغيره . قال **ابن تيمية** في دقائق التفسير (٢ / ٤٧٢ ، ٤٧٣) : " **جماهير المسلمين لا يتأولون هذا الاسم** ، وهذا مذهب السلفية وجمهور الصفاتية من أهل الكلام والفقهاء والصوفية وغيرهم ، وهو قول أبي سعيد بن كلاب ذكره في الصفات ، وردَّ على الجمهية تأويل اسم النور ... وهو أيضاً قول أبي الحسن الأشعري ذكره في (الموجز) " . اهـ .

ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، لسان العرب (مادة : نور) : ٥ / ٢٤٠ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤١٨ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢١٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٨ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٦٩٠ ، ٦٩١ ، فتح القدير =

ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ... يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ... ﴾ . [آية : ٣٥] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في المراد بالمشكاة :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط** ، فقال : ((﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ ﴾ المشكاة هي الكوَّة غير النافذة تكون في الحائط ، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة . وقيل : المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه ، **والأول أصحُّ وأشهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **في المراد بالمشكاة** على قولين :

القول الأول : المشكاة [٢] هي **الكوة غير النافذة تكون في الحائط** ، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة .

قاله ابن عباس رضي الله عنه [٣] ، وجماعة من السَّلف [٤] ، وذهب إليه **الفَرَّاء والزَّجَّاج** [٥] ، **وهو ما**

= للشوكاني : ٤ / ٣٢ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨ / ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ .

(٢) **أصل المشكاة** : الوعاء يجعل فيه الشيء ، والشكوة وعاء من أدم ؛ كالدلو يبرَّد فيها الماء ، وهو على وزن (مفعلة) كالمقراة ، والمصفاة . والكوة المشكاة ، وهل هي عربية أم حبشية مُعَرَّبة ؟ خلافٌ .
ومشكاة : أصلها مشكوة ؛ فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وإلى أن أصل ألفها الواو ذهب ابن جني ، واستدل عليه بأن العرب قد نحوا بها منحاة الواو كما فعلوا بالصلاة . ينظر : العين (مادة : شكا) : ٥ / ٣٨٨ ، المحكم لابن سيده (مادة : شكا) : ٧ / ١١٩ ، لسان العرب (مادة : شكا) : ١٤ / ٤٤١ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٩ / ٢٠٠) إلى الفريابي ، وعزاه في رواية أخرى إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٦) ، والحاكم **وصحَّحه** .

(٤) منهم : ابن عمر رضي الله عنه ، والحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة . ينظر أقوالهم في : تفسير عبد الرزاق (٣ / ٦٠) ، وتفسير الطبري (١٨ / ١٣٨) ، والدر المنثور (٦ / ١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٥) ينظر : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢١٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٤٣ .

رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، وهو **المشهور** [٢] ، وهو القول **الأصحُّ عند أئمة اللغة** [٣] ، وقاله **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

واستدل له :

١. من كلام العرب :

قول الشاعر :

كأنَّ عيْنَيه مشْكَاتَان في جَحَر قيضَا اقْتيَاضاً بأطْرَاف المَناقير [٦]

٢. الكوة أَجْمَع للضَّوْءِ ، والمِصْباحُ فيها أَكْثَر إنارَةً في غيرِها [١] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٧ .

(٢) قال بذلك الفخر الرازي ، وابن جُزيّ ، وابن كثير . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١٩٥ ، التسهيل : ٣ / ٦٧ تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .

(٣) قاله النيسابوري في تفسيره (٥ / ١٩٥) . وينظر : العين للفراهيدي (مادة : شكو) : ٥ / ٣٨٩ ، مفردات الرَّاغب (مادة : شكا) : ٢٦٦ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٦٦ .

(٤) نسب هذا القول إلى جمهور المفسرين : ابن عطية ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٩ ، روح المعاني : ١٨ / ١٦٦ .

(٥) ومنهم : مقاتل ، والنحاس (ونسبه لابن عباس ﷺ) ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، و **استظهره** السمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية (**وقال : أصح هذه الأقوال**) ، **وصحَّحه** الفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وقدَّمه أبو حيان ، والسمين الحلبي ، والبقاعي ، **وصحَّحه** الثعالبي ، والجلالين ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني (**وقال : هذا القول أولى**) ، وقال الآلوسي (**والمعوَّل عليه قول الجمهور**) ، والسعدي ، وسيد قطب ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٤١٩ معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣٦ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣٥ ، الكشف والبيان : ٧ / ١٠١ النكت والعيون : ٤ / ١٠٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٤ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٠ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٤ ، التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٥ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٧ ، تفسير الخازن : ٥ / ٧٧ تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٥ ، البحر المحيط : ٦ / ٤١٩ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٦٤ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٨ ، تفسير الجلالين : ٤٦٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٦ ، السراج المنير : ٢ / ٦٩١ ، فتح القدير : ٤ / ٣٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٦٦ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٥١٩ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٣٥ ، الوسيط : ١٠ / ١٢٨ .

(٦) أورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية و لم ينسبوه لأحد . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٠٢ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ .

القول الثاني : المشكاة هي **موضع الفتيلة من القنديل** ، قاله مجاهد [٢] ، وذهب إليه **ابن كثير** [٣] .

واستدل له بالقرينة القرآنية :

قوله تعالى بعدها : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ وهو النور الذي في الفتيلة [٤] .

القول الثالث : المشكاة **العمود الذي يكون المصباح على رأسه** ، قاله مجاهد [٥] أيضاً ، ورجَّحه **الطبري** [٦] .

قال **الطبري** :

وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة ، وذلك هو **نظير الكوّة** التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها ، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة لأنه غير نافذ ، وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ " . اهـ [٧] .

✓ وبهذا يعود هذا القول إلى القول الأول .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط ، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** . يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : هذا القول قاله **ابن عباس** ﷺ ترجمان القرآن ، وجماعة من السَّلف ، وهو **المشهور**

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ .

(٢) ينظر : تفسير مجاهد : ٢ / ٤٤٢ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٩) .

(٣) ونسبه إلى ابن عباس ﷺ ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب وغير واحد . وقال : **هذا القول المشهور** . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ . لكنني وجدت أن المشهور عند علماء اللغة وأهل التفسير أن المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٠) .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٠ .

(٧) المرجع السابق .

عند أئمة اللغة وجمهور المفسرين ، وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً ؛ كما قال الآلوسي [١] .

ثانياً : هذا القول يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٢] .
- **في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر دون الشاذ أو القليل** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

المسألة الثانية :في عود الضمير في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ عائد على الله ﷻ ، ففي الآية تشبيه نور الله بالمشكاة ؛ فقال : ((﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ ... والمعنى : صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار ، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه . وقيل : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ عائد على سيدنا محمد ﷺ . وقيل : على القرآن . وقيل : على المؤمن ، **وهذه الأقوال ضعيفة** ...)) . اهـ [٤] .

الدراسة :

اختلف جماعة السَّلف وأهل العلم والمفسرون **في عود الضمير في قوله** : ﴿ **مَثَلُ نُورِهِۦ** ﴾

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .
(٣) ينظر : قواعد التفسير للسَّبت : ١ / ٢١٣ .
(٤) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ .

على أقوال [١] منها :

القول الأول : الضمير في ﴿ **مَثَلُ نُورِهِۦ** ﴾ **عائد على الله ﷻ ، أي : مثل نور الله في قلب المؤمن** ، قاله ابن عباس ﷺ [٢] ، وقتادة [٣] ، وذهب إليه الأزهري ، ومكي بن أبي طالب [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، **وصحَّحه** ابن القيِّم [٦] ، **واستظهره** أبو حيان [٧] ، وقاله جماعة من المفسرين [٨] .

واستدل له بما يلي :

١. بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (مثل نوره في قلب المؤمن) [٩] .

٢. النظير القرآني :

٣. هذا في معنى قوله تعالى : ﴿ ... **فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ** ... ﴾ [١] . [٢]

---

(١) ذكر الفخر الرازي عشرة أقوال في المسألة ؛ اكتفيت بأهمها . ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٦) إلى الفريابي ، وعزاه في رواية أخرى إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) ، والحاكم **وصحَّحه** . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٥ .

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٦٠ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٠٠ .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : نور) : ١٥ / ١٧٠ ، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥١١ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٧ .

(٦) ينظر : التفسير القيِّم : ٣٧٧ .

(٧) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤١٩ .

(٨) ومنهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، ولم يذكر الزمخشري غيره ، وابن العربي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، ولم يذكر البيضاوي والنسفي غيره ، والخازن ، وقال السمين الحلبي (**هو الأوْلى**) ، والجلالين ، ولم يذكر الشوكاني غيره ، والآلوسي ، والسعدي ، وسيد قطب ، وابن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٠ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣٥ ، النكت والعيون : ٤ / ١٠٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٥ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٦ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٠٤ ، زاد المسير : ٦ / ٤٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٨٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٧ ، تفسير الخازن : ٥ / ٧٦ ، الدر المصون : ٥ / ٢١٩ ، تفسير الجلالين : ٤٦٤ ، فتح القدير : ٤ / ٣٢ ، روح المعاني : ١٨ / ١٦٦ ، تفسير السعدي : ٥٦٨ ، الظلال : ٤ / ٢٥٢١ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٣٤ ، الوسيط : ١٠ / ١٢٨ .

(٩) أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسيرهم للآية . ينظر مثلا : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٥ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٣ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ . لكنها تحمل على التفسير .

٤. دلالة السِّياق القرآني :

قوله تعالى بعدها : ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا ... ﴾ . [سورة النور : ٤٠] . (٣)

القول الثاني : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد على المؤمن** ، قاله **ابن عباس** ﷺ (٤) أيضاً ، **وأبي بن كعب** ﷺ (٥) ، وسعيد بن جبير والضحاك (٦) ، وعكرمة (٧) . (٨)

واستدل له :

١. بقراءة أبي بن كعب ﷺ : (مثل نور من آمن به) (٩) .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

قال ابن كثير : " دل على هذا القول **سياق الكلام** ، تقديره : مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة ؛ فشبَّه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى ؛ وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ... ﴾ (١٠) ؛ فشبَّه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزَّجَّاج الشفاف الجوهري

---

(١) سورة الزمر : ٢٢ .

(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٨١ .

(٣) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٢ .

(٤) نسبه إليه ابن كثير تفسيره (٣ / ٢٩١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٧) إلى أبي عبيد ، وابن المنذر عن أبي العالية .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٩٧) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) ، وابن مردويه ، والحاكم **وصحَّحه** .

(٦) أخرجه عن سعيد بن جبير والضحاك ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٦) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ١٩٧) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) ، وابن مردويه والحاكم **وصحَّحه** .

(٨) جوَّز النحاس القولين الأول والثاني ؛ وذكرهما ابن كثير ولم يرجح بينهما . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .

(٩) أخرجها ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، ونسبها إليه الثعلبي ، وابن كثير وغيرهما ، وعزاها السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٣٦ ، تفسير ابن أبي حاتم : ٨ / ٢٥٩٣ ، ٢٨٩٤ ، الكشف والبيان : ٧ / ١٠١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ ، الدر المنثور : ٦ / ١٩٩ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٣ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ . لكنها تحمل على التفسير .

(١٠) سورة هود عليه السلام : ١٧ .

وما يستمد من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف " . اهـ [١] .

✖ واعتُرض :

فقيل : " وأمَّا عَوْدُه على المؤمنين في قراءةِ أُبَيّ ، ففيه إشكالٌ من حيث الإفراد " [٢] .

القول الثالث : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد إلى القرآن** ، قاله الحسن [٣] ، وابن زيد [٤] ، وذهب إليه أبو السعود [٥] من المفسرين .

واستدل له بما يلي :

١. دلالة السِّياق القرآني :

يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ... ﴾ [٦] .

٢. **النظير القرآني** : قد صرح بكونه نوراً أيضاً في قوله تعالى : ﴿ ... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [٧] . [٨]

وقيل : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد إلى الآيات البينات** ، وهو قول جمهور المتكلمين ، نسبه إليهم الفخر الرازي [٩] ، وكذا قال القرطبي والبقاعي [١٠] من المفسرين .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩١ .
(٢) الدر المصون : ٥ / ٢١٩ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٨٢ .
(٣) أخرجه ابن جرير ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٣٧ ، الدر المنثور : ٦ / ١٩٩ .
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٣٧) .
(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٥ .
(٦) سورة النور : ٣٤ .
(٧) سورة النساء : ١٧٤ .
(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ١٩٥ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٥ .
(٩) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣ / ٢٠٢ .
(١٠) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٥٧ ، نظم الدرر : ٥ / ٢٦٤ .

واستدل كلٌّ من **الفخر الرازي والقرطبي** بالأدلة التي استدل بها **أبو السعود** على قوله : (في القول الرابع) بأن الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد إلى القرآن** .

القول الرابع : الضمير في ﴿ **نُورِهِۦ** ﴾ **عائد على سيدنا محمد** ﷺ ، قاله سعيد بن جبير [١] ، وذهب إليه مقاتل والنحاس [٢] . [٣]

واستدل له :

١. أنه ﷺ هو المرشد .

٢. لأنه تعالى قال في وصفه : ﴿ ... وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ . [سورة الأحزاب : ٤٦] . [٤]

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ وغيره الأقوال الثلاثة الأخيرة بأنه :**

" لم يتقدَّمْ لها ذِكْرٌ " [٥] .

" وعلى هذه الأقوال يوقف على قوله : ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ " [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أنَّ الضمير في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ عائد على الله ﷻ ، أي : مثل نور الله في قلب المؤمن ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

---

(١) أخرجه ابن جرير تفسيره (١٨ / ١٣٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ١٩٩) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٩٤) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٤١٩ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٣٦ .

(٣) ذكر جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح : الثعلبي ، والسمعاني ، والثعالبي ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٠١ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٨ ، السراج المنير : ٢ / ٦٩١ .

(٤) نقله الفخر الرازي . ينظر : التفسير الكبير :٢٣ / ١٩٥ .

(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ . وضعَّف الأقوال الثلاثة الأخيرة أيضاً : ابن عطية ، والسمين الحلبي ، وابن عادل والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٣ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢١٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٨٢ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ١٦٦ .

(٦) نسب هذا القول ابن عطية والقرطبي وغيرهما إلى مكي بن أبي طالب . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٠ . و لم أقف على قوله في كتبه – في حدود ما اطلعت – .

أولاً : أشكل قول أبي بن كعب ﷺ ، وضعِّفت الأقوال الثلاثة الأخيرة ؛ وبذلك يترجح القول الأول .

ثانياً : استدل على هذا القول بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ ، وبالنظير القرآني ، **وبدلالة السِّياق الواضحة ، والقرينة القرآنية وهي قوله تعالى بعدها** : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا ﴾ (١) ، فالله ﷻ هو واهب النور في قلب المؤمن ؛ والنور هنا نوره ﷻ .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** .
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** (٢) .

قال **ابن العربي** :

" لا خلاف بين المحققين الذين يترلون التفسير منازله ويضعون التأويل مواضعه من غير إفراط ولا تفريط أن **هذا مثل ضربه الله لنوره** ، ولا يمكن أن يضرب لنوره المعظم مثلاً تنبيهاً لخلقه إلا ببعض خلقه ؛ لأن الخلق بقصورهم لا يفهمون إلا بأنفسهم ومن أنفسهم ، ولولا ذلك ما عرف الله إلا الله وحده ، وأنور المصابيح في الدنيا مصباح يوقد من دهن الزيتون ؛ ولاسيَّما إذا كانت مفردة قد تباعد عنها الشجر ؛ فخلصت من الكلّ ، وأخذتها الشمس من كل جانب ؛ فذلك أصفى لنورها ، وأطيب لزيتها ، وأنضر لأغصانها ، وذلك معنى بركة هذه الشجرة التي فهمها الناس حتى استعملوها في أشعارهم فقالوا :

بُورِكَ الميِّتُ الغرِيبُ كما بُو رِكَ نَضْحُ الرُّمّانِ والزَّيْتونُ " (٣)

وقال **سيد قطب** :

" ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النور الذي منه قوامها ومنه نظامها .. فهو الذي يهبها جوهر وجودها ، ويودعها ناموسها .. ولقد استطاع البشر أخيراً أن يدركوا بعلمهم

---

(١) سورة النور : ٤٠ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٣) أحكام القرآن : ٣ / ٤٠٤ . وينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٧ . والبيت نسبه الزبيدي لأبي طالب بن عبد المطلب . ينظر : تاج العروس (مادة : نضح) : ٧ / ١٨١ .

طرفاً من هذه الحقيقة الكبرى ، عندما استحال في أيديهم ما كان يسمى بالمادة بعد تحطيم الذرة إلى إشعاعات منطلقة لا قوام لها إلا النور ! ولا (مادة) لها إلا النور ! فذرة المادة مؤلفة من كهارب وإليكترونات ، تنطلق عند تحطيمها في هيئة إشعاع قوامه هو النور ! فأما القلب البشري فكان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون وقرون .

كان يدركها كلما شفَّ ورفَّ ، وانطلق إلى آفاق النور ، ولقد أدركها كاملة شاملة قلب محمد رسول الله ﷺ ففاض بها وهو عائدٌ من الطائف ، نافضٌ كفيه من الناس ، عائذٌ بوجه ربه يقول : « ... أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ... » [(١)] . وفاض بها في رحلة الإسراء والمعراج . فلما سألته عائشة – رضي الله عنها – : « هل رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قال ﷺ : نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » [(٢)] .

ولكن الكيان البشري لا يقوى طويلاً على تلقي ذلك الفيض الغامر دائماً ، ولا يستشرف طويلاً ذلك الأفق البعيد . فبعد أن جلا النص هذا الأفق المترامي ، عاد يقارب مداه ، ويقربه إلى الإدراك البشري المحدود ، في مثل قريب محسوس " . اهـ [(٣)] .

✓ **وإن كان هذا القول يتضمن الأقوال الباقية المذكورة .**

قال **ابن القيِّم** :

" والصَّحيح أنه يعود – **أي الضمير في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾** – على الله ﷻ والمعنى : مثل نور الله ﷻ في قلب عبده ، وإن أعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ ؛ فهذا مع ما تضمنه عود الضمير المذكور ، وهو وجه الكلام ، يتضمن التقادير الثلاثة ، وهو أتم لفظا ومعنى .

وهذا النور يضاف إلى **الله تعالى** إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه ؛ ويضاف إلى **العبد** إذ هو محله وقابله فيضاف إلى الفاعل والقابل . ولهذا النور فاعل وقابل ، ومحل وحامل ، ومادة .

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٠٣٦) : ٣١٥ ، وأبو الشيخ في الأحاديث المختارة (١٦٢) : ٩ / ١٨١ . عن عبد الله بن جعفر . **وهو حديث مرسل ضعَّفه** الألباني . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٥) : " رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات " . بلفظ : « أعوذ بوجهك ... » .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : « نور أنى أراه » (١٧٨) : ١ / ١٦١ ، وفي رواية أخرى قال عليه السلام : « رأيت نوراً » .

(٣) الظلال لسيد قطب : ٥ / ٢٥١٩ .

وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل . **فالفاعل** : هو الله تعالى مفيض الأنوار ، الهادي لنوره من يشاء . **والقابل** : العبد المؤمن . **والمحل** : قلبه . **والحامل** : همته وعزيمته وإرادته . **والمادة** : قوله وعمله .

وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره : ما تقر به عيون أهله ، وتبتهج به قلوبهم " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التفسير القيِّم : ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ . [آية : ٣٦] .

مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ المساجد ، فقال : ((﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ يعني : المساجد . وقيل : بيوت أهل الإيمان ؛ من مساجد أو مساكن ، **والأوَّل أصحُّ**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾** [٢] على أقوال [٣] منها :

القول الأول : يعني : **المساجد** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، ومجاهد [٥] ، والحسن [٦] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٨ .

(٢) **الأظهر** أن الجار ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ متعلق بالفعل ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ التالي ، والتقدير : يسبح لله رجال في بيوت ، وتقديم الجار والمجرور للاهتمام بتلك البيوت وللتشويق إلى متعلق المجرور وهو التسبيح وأصحابه . ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٤٨ .

(٣) منها : قول **الحسن بن أبي الحسن** : أراد بيت المقدس ، وسماه بيوتا من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن بعض . نسبه ابن عطية والآلوسي إليه . قال الآلوسي : **وهو خلاف الظاهر جداً** . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٥ ، روح المعاني : ١٨ / ١٧٤ .
قول **مجاهد** : المراد بها بيوت النبي ﷺ .
قول **ابن زيد** : هي أربع مساجد لم يبنهن إلا نبي : الكعبة بناها إبراهيم واسمعيل ، وبيت المقدس بناه داود وسليمان ، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ ، ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ . عزى السيوطي قول مجاهد وابن زيد إلى ابن أبي حاتم . وتعقب الفخر الرازي – وتبعه ابن عادل – هذا القول بأنه **ضعيف لأنه تخصيص بلا دليل** . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٤) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٠٢) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٤) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٦٩ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٤٣ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٤) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٠٢) إلى عبد بن حميد .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٦٠) ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٤) . وينظر : الدر المنثور : =

وقتادة [١] وغيرهم ، وقاله الزَّجَّاج [٢] ، **واستظهره** القرطبي [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه **جمهور** [٥] المفسرين [٦] .

عَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال : الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ تضيء لأَهْلِ السَّمَاءِ كما تضيء نُجُومُ السَّمَاءِ لأَهْلِ الأَرْضِ [٧] .

واستدل له [٨] :

= ٦ / ٢٠٢ .

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد . ينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٠٢ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ٤٥ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٨ .

(٥) نسب هذا القول إلى الجمهور : الثعلبي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والنيسابوري ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٠٦ ، زاد المسير : ٦ / ٤٦ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ .

(٦) منهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، وقال الثعلبي **عنه (أولى الأقوال بالصواب)** ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والفخر الرازي والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، ولم يذكر النيسابوري غير قول الجمهور ، وابن كثير ، والثعالبي ، وقال ابن عادل (**والأوَّل أوْلى**) ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والشوكاني ، والقاسمي ، والآلوسي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٤ ، تفسير السمر قندي : ٢ / ٥١٤ تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٣٥ ، الكشف والبيان : ٧ / ١٠٦ ، النكت والعيون : ٤ / ١٠٦ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٧٦٥ ، تفسير السمعاني : ٣ / ٥٣٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٧ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٧ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٥ ، زاد المسير : ٦ / ٤٦ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٩١ تفسير النسفي : ٣ / ١٤٨ ، تفسير الخازن : ٥ / ٧٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ١٩٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٨٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٨ ، السراج المنير : ٢ / ٦٩٣ ، فتح القدير : ٤ / ٣٤ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢١٤ ، روح المعاني : ١٨ / ١٧٤ تفسير السعدي : ٥٦٩ ، التحرير والتنوير : ١٨ / ٢٤٧ ، الوسيط : ١٠ / ١٣٠ .

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير في أحاديث عبد الله بن العباس ﷺ (١٠٦٠٨) : ١٠ / ٢٦٢ . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . ينظر : مجمع الزوائد : ٢ / ٧ .

(٨) **استظهر القرطبي هذا القول بحديث أنس بن مالك** ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : « من أحبَّ الله ﷻ أحبَّ القرآن ، ومن أحبَّ القرآن أحبَّني ، ومن أحبَّني أحبَّ قرابتي وأصحابي ، ومن أحبَّ الله وأحبَّ القرآن وأحبَّني وأحبَّ قرابتي وأصحابي أحبَّ المساجد فإنها أفنية الله وأبنيته ، أذن في رفعها وبارك فيها ، مباركة مبارك أهلها ، محفوظة محفوظ أهلها ، ميمونة ميمون أهلها ، هم في مساجدهم والله ﷻ في حوائجهم ، هم في صلاتهم وفي ذكرهم والله ﷻ يحوط من ورائهم وتكفل بأرزاقهم » . أخرجه الجرجاني في أماليه . ينظر : الأمالي الخميسية ليحيى بن الحسين الجرجاني (ت ٤٩٩ هـ) : ١ / ١١٥ . **ولو كان صحيحاً لكان نصاً في تفسير الآية** =

١. القرينة القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾ يقوي أنها المساجد .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

يدل سياق الآية على أنها بيوت بنيت للصلاة والعبادة ؛ فإنه تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة ؛ وذلك لا يليق إلاَّ بالمساجد [١] .

القول الثاني : المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ **بيوت أهل الإيمان ؛ من مساجد أو مساكن** ، أي : البيوت على الاطلاق ، قاله عكرمة [٢] ، **واستظهره** أبو حيان [٣] . [٤]

واستدل له بأن :

" ﴿ بُيُوتٍ ﴾ مطلق ؛ فيصدق على المساجد والبيوت التي تقع فيها الصلاة والعلم " [٥] .

✘ واعتُرض :

بأن في (البيوت) ما لا يمكن أن يوصف بأن الله تعالى ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [٦] .

= ولكن اتضح بأنه **موضوع** ، والله أعلم . ينظر : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لعلي بن محمد الكناني (ت ٩٦٣ هـ) : ٢ / ١١٣ .

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٥ ، الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ١٠٦ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٨٥ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٥) ، ونسبه ابن عطية ، والفخر الرازي ، والقرطبي إليه . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٥ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٦٥ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٢١ .

(٤) ذكر القولين و لم يرجح : النحاس ، وابن العربي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٥٣٨ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٠٥ .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٢١ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٣٩٣ .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بقوله تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ المساجد ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : يترجَّح هذا القول بأنه هو **قول ابن عباس** ﷺ وهو حبر هذه الأمَّة ، وهو الأعلم بالتنزيل .

ثانياً : هذا القول هو قول جمهور المفسرين ؛ وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً .

ثالثاً : يتأيد هذا القول بدلالة السِّياق والقرينة القرآنية ، وعليه يتأيد **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . [آية : ٣٧] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ تضطرب من شدة الهول والخوف ، فقال : ((﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي : تضطرب من شدة الهول والخوف . وقيل : تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى لأن الحقائق تنكشف حينئذ ، **والأوّل أصح** ، كقوله : ﴿ ... وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ... ﴾ [(١)])) . اهـ [(٢)] .

الدراسة :

بين ﷻ في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الرجال وإن تعبَّدوا بذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك موصوفون بالوجل والخوف فقال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [(٣)] وذلك الخوف إنما كان لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾** على أقوال [(٤)] منها :

القول الأول : معناه : **تضطرب من شدة الهول والخوف** ، قاله الضحاك [(٥)] ، ومقاتل [(٦)]

---

(١) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ ﴾ تجنيس ؛ وهو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد ، وهو على وجهين مزاوجة ومناسبة ؛ وهو هنا على وجه المناسبة . ينظر : إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر ، محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) : ٢٧٢ .

(٤) ذكر الفخر الرازي والقرطبي أقوالاً في المسألة ؛ المذكورة أظهرها . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٩) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٠٨ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٢٠ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

قال **الضحاك** [٣] : تتقلب في الجوف ولا تقدر تخرج حتى تقع في الحنجرة ؛ فهو قوله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ... ﴾ [٤] .

ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ... ﴾ [٥] . [٦]

وقوله تعالى : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ [٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ... إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ... ﴾ [٩] . إلى غير ذلك ذلك من الآيات [١٠] .

القول الثاني : تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك ، والأبصار أي ناحية يؤخذ بهم ؛ أذات اليمين أم ذات الشمال ، ومن أين يؤتون كتبهم ؛ أمن قبل الأيمان أو من قبل الشمائل ، قاله **الطبري** [١١] ، وجماعة من المفسرين [١٢] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) في تفاسيرهم ، منهم : السمر قندي (٢ / ٥١٥) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٣٨) ، وابن عطية (٤ / ١٨٦) والقرطبي (١٢ / ٢٨٠) ، **واستظهره** أبو حيان (٦ / ٤٢٢) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٢٩٦) غيره ، والقاسمي (١٢ / ٢١٤) ، والسعدي (٥٦٩) ، وسيد قطب (٤ / ٢٥٢٠) ، **واستظهره** الشنقيطي (٥ / ٥٤٨) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٢٤٩) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٣١) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٠٩) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٠٨ .

(٤) سورة غافر : ١٨ .

(٥) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٦٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٢٢ .

(٧) سورة النازعات : ٨ ، ٩ .

(٨) سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٢ .

(٩) سورة غافر : ١٨ .

(١٠) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٩٦ ، أضواء البيان : ٥ / ٥٤٨ .

(١١) تفسير الطبري : ١٨ / ١٤٨ .

(١٢) منهم : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١١٠) ، والواحدي في الوجيز (٢ / ٧٦٥) ، وقدّمه ابن الجوزي الزاد (٦ / ٤٨) ، والبقاعي في نظم الدر (٥ / ٢٦٧) ، وذكر الثعالبي في تفسيره (٤ / ١٩١) = =

✖ **والمعتزلة لا يرضون بهذا التأويل** ، لأنهم قالوا : إن أهل الثواب لا خوف عليهم البتَّة وأهل العقاب لا يرجون العفو [١] .

القول الثالث : معناه : **تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى لأن الحقائق تنكشف حينئذ** ، قاله الفَرَّاء [٢] ، والزَّجَّاج [٣] ، وحكى جماعة من أهل اللغة [٤] قول الزَّجَّاج ، وذهب إليه النحاس [٥] ، وجماعة من المفسرين [٦] . [٧]

قال **الزَّجَّاج** : " ومعناه : أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والقيامة ازداد بصيرة ، ورأى ما وعد به ومن كان قلبه على غير ذلك ، رأى ما يوقن معه أمر القيامة والبعث ، فعلم ذلك بقلبه ، وشاهده ببصره فذلك تقلب القلوب والأبصار " . اهـ [٨] .

و استدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ... وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [١٠] .

= قول الواحدي فحسب ، والجلالين (٤٦٤) ، والخطيب الشربيني في السراج (٢ / ٦٩٤) .

(١) ذكر الزمخشري المعتزلي الأقوال في المسألة و لم يذكر هذا القول لعدم رضاه به . وحكى هذا القول ونسبه للمعتزلة الفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٦) ، وتبعه ابن عادل في تفسيره (١٤ / ٣٩٧) .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٢١٨ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ٤٥ .

(٤) ينظر (مادة قلب) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٤٢٢ ، لسان العرب : ١ / ٦٨٥ ، تاج العروس : ٤ / ٧٥ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٥٣٩ .

(٦) في تفاسيرهم ، منهم : السمعاني (٣ / ٥٣٥) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٤٨) ، وابن عادل (١٤ / ٣٩٧) .

(٧) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح : البغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٩ ، الكشاف : ٣ / ٢٤٨ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٩٢ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٤٩ تفسير الخازن : ٥ / ٨١ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٠٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٧٩ ، فتح القدير : ٤ / ٣٥ ، روح المعاني : ١٨ / ١٧٨ .

(٨) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٤٥ .

(٩) سورة ق : ٢٢ .

(١٠) سورة الزمر : ٤٧ .

✖ **واعتُرض :**

بأن مقصد الآية إنما هو وصف أهوال يوم القيامة ، وهذا القول لا يقتضي هولاً [١] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح هو القول الأول ؛ وإن كانت الأقوال الأخرى صحيحة في معناها ؛ والقول الأول والثالث يشهد لمعناهما نظير قرآني إلا أن القول الأول أقرب الأقوال إلى الصواب ؛ ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ : أن ذلك اليوم – وهو يوم القيامة – لشدة هوله ومطلعه تتقلب فيه القلوب والأبصار ، وتكون مضطربة قلقة متقلبة خائفة ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، واضطرابها هو **حركتها من أماكنها من شدة الخوف** ؛ وهو **قول الضحاك** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : هذا القول أبلغ في التهويل ، قاله **ابن عطية** ، **وابن جُزيّ** ، **وأبو حيان** [٢] ، وهذا هو هو المراد من الآية .

ثانياً : هذا المعنى تستعمله العرب في الحروب كقوله :

..... بل كان قلبُك في جناحَيْ طائرِ [٣]

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٦ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ، التسهيل : ٣ / ٦٩ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٢٢ .

(٣) نسبه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (١٨ / ١٢٢) وابن كثير في البداية والنهاية (٩ / ٣٥٠ ، ٣٥١) : لعمران بن حطان ، وهو شعر قاله في الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي . وأورده ابن عطية وأبو حيان وغيرهما في تفاسيرهم عند تفسير الآية من غير نسبة . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٦ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٢٢ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ... ﴾ . [آية : ٦١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها ، فقال :

((﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ يعني : الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها . وقيل : المراد ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه ؛ **وهذا ضعيف**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

جاء في **سبب نزول الآية** :

عن **عائشة** – رضي الله عنها – قالت : « كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمنائهم ؛ ويقولون لهم : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه فكانوا يقولون : إنه لا يحل لنا أن نأكل إنهم أذنوا لنا من غير طيب أنفسهم ؛ وإنما نحن أمناء فأنزل الله : ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ » [2] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٣ .

(٢) عزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٢٤) إلى البزار ، وإلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٦) ، وابن مردويه ، وابن النجار . وقال السيوطي في لباب النقول (١٦١) : **أخرجه البزار بسند صحيح** .

والحرج لغة : الضيق ؛ قاله **الزَّجَّاج وابن الأثير** وغيرهما [١] . وهو من الحرجة ؛ وهي اسم لمجتمع الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه [٢] .

والحرج في الأصل مجتمع الشيء ، ثم أطلق على الضيق ، وعلى الإثم ؛ قاله **الرَّاغب** [٣] .

و (المَفَاتِحُ) جمع (مَفْتَحِ) ؛ قاله الجمهور [٤] ، واختلف هل المراد بـــ (المَفَاتِح) الخزائن أو آلة الفتح ..

قال **الأزهري** : " ويقال للذي يُفْتَح به المِغْلاَق (مِفْتَح) - بكسر الميم - و (مِفتاح) ، وجمْعُهما مَفَاتح ومفَاتيح ، وهذا قول النحويين " . اهـــ [٥] .

وقال **الرَّاغب في مفرداته** [٦] بنحوه .

والأرجح أن (المَفَاتِح) هنا يراد بها آلة الفتح ؛ يؤيد ذلك قراءة ابن جبير [٧] : (مفاتيحه) - بالياء بعد التاء - جمع (مِفتاح) .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ** ﴾ [٨] على أقوال منها :

القول الأول : يعني : **الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال**

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٥٣ ، النهاية لابن الأثير (مادة : حرج) : ١ / ٣٦٢ .

(٢) ينظر : المخصص لابن سيده : ٣ / ١٧٥ ، (مادة : حرج) في : النهاية لابن الأثير : ١ / ٣٦٢ ، لسان العرب : ٢ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، تاج العروس : ٥ / ٤٧٥ .

(٣) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : حرج) : ١١٢ .

(٤) نسب أبو حيان هذا القول للجمهور . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٣٤ .

(٥) ينظر : تهذيب اللغة (فتح) : ٤ / ٢٥٨ . وينظر قبله : معاني القرآن للفَرَّاء : ٢ / ٢٢٤ .

(٦) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : فتح) : ٣٧١ .

(٧) أورد هذه القراءة غير واحد من المفسرين عند تفسير هذه الآية . ينظر مثلا : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٩٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٣٤ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٥٣ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ . لكنها تحمل على التفسير .

(٨) عامة القراء على - فتح الميم واللامُ مخففةٌ - ﴿ مَا مَلَكْتُم ﴾ . وابن جبير (مُلِّكْتُم) - بضم الميم وكسر اللام مشددةً - أي : مَلَّككم غيرُكم . والعامَّةُ على ﴿ مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ - دون ياء - جمع مِفْتَح . ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٣٦ . وقراءة ابن جبير (مُلِّكْتُم) **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٠٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٤ .

ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها ، وهو قول عائشة – رضي الله عنها – [١] ، **وابن عباس** ﷺ ، وغير واحد من السَّلف [٢] ، وهو ما **رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

- عن ابن عباس ﷺ قال : ... ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته ، والذي رخص الله أن يأكل من ذلك الطعام والتمر وشرب اللبن ... [٦] .
- وعن سعيد بن جبير ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ قال : قهرمان [٧] .

والقَهْرَمَانُ : هو المُسيْطِرُ الحَفِيظُ على ما تَحْتَ يَدَيْه [٨] .

القول الثاني : المراد ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه ، قاله قتادة [٩] ، ومجاهد [١٠] ،

---

(١) وهو المذكور آنفاً في سبب النزول .

(٢) ومنهم : عبيد الله ابن عبد الله ، وابن مسيب ، والسدي . ينظر أقوال السلف في : تفسير ابن أبي حاتم : ٨ / ٢٦٤٦ ، ٢٦٤٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٠٦ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٢٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٣ .

(٤) نسب ابن عطية والقرطبي هذا القول إلى جمهور المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٩٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣١٥ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : النحاس في معانيه (٤ / ٥٥٩ ، ٥٦٠) ، السمر قندي (٢ / ٥٢٥) ، والواحدي (٢ / ٧٧١) ، والزمخشري (٣ / ٢٦٢) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٦٥) ، والبيضاوي (٤ / ٢٠٢) ، والنسفي (٣ / ١٥٧) ، وابن كثير (٣ / ٣٠٦) ، والبقاعي (٥ / ٢٨٥) ، والجلالين (٤٦٩) ، وأبو السعود (٦ / ١٩٦) ، والشوكاني (٤ / ٥٣) ، ولم يذكر الآلوسي (١٨ / ٢١٩) غيره ، والقنوجي في حسن الأسوة (١٦٣ ، ١٦٤) ، والقاسمي (١٢ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) ، والسعدي (٥٧٥) ، وسيد قطب (٤ / ٢٥٣٣) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣٠٢) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٥٦) .

(٦) جزء من أثر أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٢٢٤) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٨) . ونسبه إليه جماعة من المفسرين منهم : البغوي في تفسيره (٣ / ٣٥٨) ، والنسفي في تفسيره (٣ / ١٥٧) ، والآلوسي في تفسيره (١٨ / ٢١٩) . وينظر : تنوير المقباس : ٢٩٩ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٧) .

(٨) ينظر (ماة : قهرم) في : العين : ٤ / ١١١ ، تهذيب اللغة : ٦ / ٢٦٧ ، لسان العرب : ١٢ / ٤٩٦ ، تاج العروس : ٣٣ / ٣٢٢ .

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٦٤ ، ٦٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٧) . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(١٠) ينظر : تفسير مجاهد : ٢ / ٤٤٥ . ونسبه إليه : البغوي في تفسيره (٣ / ٣٥٨) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ١٩٦) .

والضحاك [١] ، وابن جريج [٢] ، وقاله **ابن عطية** ، **والقرطبي** ، **والثعالبي** [٣] من المفسرين . المفسرين .

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ** [٤] هذا القول .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أنَّ معنى قوله تعالى : ﴿ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل منها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : القرينة القرآنية :

الأرجح هنا – كما ذكرت آنفاً – أن تكون (المَفَاتِحُ) اسم آلة الفتح ؛ والقرينة إضافة الملك للمفاتح دون الدور أو الحوائط ؛ قال تعالى : ﴿ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ وعلى هذا **أريد بملك المفاتح حفظها** .

قال عكرمة : " إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن ، فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير " [٥] .

.

وهي رخصة للوكلاء والأمناء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ؛ فأباح لهم الأكل ملم تحت أيديهم بدون إذن **إجماعاً** [٦] ، ولا يتجاوز شبع بطنه ، وذلك للعرف بأن بأن ذلك كالإجارة ؛ فلذلك قال الفقهاء : إذا كان لواحد من هؤلاء أجرة على عمله لم يجز

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٤٧) ، ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ١٩٦) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٧٠) .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ١٩٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣١٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ١٩٨ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٣ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٦٥) ، ونسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٣٥٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٢ / ٣١٥) وغيرهما .

(٦) نقل هذا الإجماع ابن العربي في أحكامه (٣ / ٤٢٤) .

له الأكل مما تحت يده ، قاله **الطاهر بن عاشور** [١] .

ثانياً : **صحَّة** سبب النزول المرويِّ عن **عائشة** – رضي الله عنها – ؛ والذي تذكر فيه بأن المسلمين كانوا يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ **فيدفعون مفاتيحهم إلى أمنائهم** ، وهذا يرجح على أن المراد بـــ ﴿ مَّفَاتِحَهُۥ ﴾ المفتاح اسم الآلة ، والمراد بـــ ﴿ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥ ﴾ الأمناء وأمثالهم كالوكلاء والعبيد وغيرهم .

ثالثاً : هذا القول هو **قول جمهور المفسرين** ؛ وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً ؛ كما قال الآلوسي [٢] .

رابعاً : ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين [٣] ؛ **ولكنهم قدَّموا جميعهم قول ابن عباس** رضي الله عنهما ، وهو قول ترجمان القرآن **وحبر هذه الأمة** العالم بالتنزيل الفقيه في الدين بدعوة رسول الله ﷺ له .

رابعاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر تفسيره : ١٨ / ٣٠٢ . وينظر قبله : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٢٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ٩٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٥٨ . وينظر : الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٥٦ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .

(٣) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٨ / ١٧٠) ، والثعلبي (٧ / ١١٩) ، والماوردي (٤ / ١٢٤) ، والسمعاني (٣ / ٥٥١) ، وابن العربي (٣ / ٤٢٢) ، والبغوي (٣ / ٣٥٨) والفخر الرازي (٢٤ / ٣٢) والخازن (٥ / ٩٠) ، والنيسابوري (٥ / ٢١٤) ، وأبو حيان (٦ / ٤٣٤) ، وابن عادل (١٤ / ٤٥٨ ، ٤٥٩) ، والخطيب الشربيني (٢ / ٧١١) .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

ســـــورة الفرقـــا ن

قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . [آية : ١] .

مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ لمحمد ﷺ ، فقال : ((الضمير لمحمَّد ﷺ ؛ أو للقرآن ؛ **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف المفسرون في **عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : الضمير يعود على ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ﴾ ، أي : ليكون الذي نزل الفرقان نذيراً **رجَّحه أبو حيان** [٢] .

حيث قال : " لأنه العُمْدُة المسندُ إليه الفعلُ ، وهو مِنْ وصفِه تعالى كقوله : ﴿ ... إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ . [سورة الدخان : ٣] . " . اهـ [٣] .

القول الثاني : الضَّمير لمحمَّد ﷺ ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، وابن زيد [٥] ، **وابن إسحاق** [٦] [٦] وذهب إليه مقاتل [١] ، ومكي بن أبي طالب [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٤ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٤٠ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٣٠٠ .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٠) ، ونسبه إليه الماوردي في النكت (٤ / ١٣١) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ١٩٩) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٤٠) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٠٢) .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٦٠) .
وابن إسحاق هو : محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر المطلبي مولاهم ، المدني ، نزيل العراق ، العلامة الحافظ الأخباري ، أمير المؤمنين في الحديث ، ت سنة ١٥٠هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٧ / ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ : بعث الله محمدا ﷺ نذير من الله لينذر الناس بأس الله ووقائعه بمن خلا قبلكم [٦] .

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

- قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ... ﴾ . [سورة سبأ : ٢٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ... ﴾ . [سورة الأنعام : ١٩] . [٧]

٢. من السُّنة :

عن جَابِر بن عبد اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قال : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : كان

المعارف : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، السِّير : ٧ / ٣٣ - ٥٥ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٢٩ .

(٢) ينظر مشكله : ٢ / ٥١٩ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٤ .

(٤) نسب هذا القول إلى الجمهور ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٢) .

(٥) في تفاسيرهم ، ومنهم : الطبري (١٨ / ١٧٩) ، وقدَّمه الماوردي في النكت (٤ / ١٣١) ، والسمعاني (٤ / ٥) ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٢) ، وقال الفخر الرازي (٢٤ / ٤٠) **لا نزاع في ذلك** ، وقال القرطبي (١٣ / ٢) : **هو أوْلى** ، وقال السمين الحلبي (٥ / ٢٤١) : **وهو أحسن الوجوه معنى وصناعة** ، وابن كثير (٣ / ٣٠٩) ، وقدّمه الثعالبي (٤ / ٢٠٢) ، وقال ابن عادل (١٤ / ٤٧٣) : **وهو أحسن الوجوه معنى وصناعة** وقال الشوكاني (٤ / ٦٠) : هو **الأوَّلى** ، والآلوسي (١٨ / ٢٣١) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣) والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣١٧) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٦٠) ، ونسبه إليه الماوردي في النكت (٤ / ١٣١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٣٥) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٠٩ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣ .

كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى كل أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ... » [١] . [٢]

قال ابن زيد : لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحاً بدأ به الخلق ؛ فكان رسول أهل الأرض كلهم ومحمد ﷺ ختم به [٣] .

القول الثالث : الضَّمير للقرآن ؛ قاله جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

واستدل له :

١. بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٩] . فأضاف الإنذار إليه كما أضاف الهداية إليه في آية الإسراء هذه .

٢. قراءة ابن الزبير : (على عباده) [٦] .

وفسَّرها الفخر الرازي بقوله : " وهم رسول الله وأمَّته ؛ كما قال : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ... ﴾ [٧] ؛ ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ [٨] " . اهـ [٩] .

---

(١) جزء من حديث أخرج البخاري بنحوه في صحيحه في مقدمة كتاب التيمم (٣٢٨) : ١ / ١٢٨ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في صحيحه في مقدمة كتاب الصلاة ومواضع الصلاة (٥٢١) : ١ / ٣٧٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٠٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٠) . ونسبه إليه السمعاني والقرطبي . ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٥ تفسير القرطبي : ١٣ / ٢ .

(٤) في تفاسيرهم ، ومنهم : السمر قندي (٢ / ٥٢٨) ، وقدَّمه العكبري في التبيان في إعراب القرآن (٢ / ٩٨٠) وجوَّزه القرطبي (١٣ / ٢) ، واحتمله الثعالبي (٤ / ٢٠٢) ، والسعدي (٥٧٧) .

(٥) ذكر الأقوال و لم يرجح جماعة من المفسرين في تفاسيرهم ؛ منهم : الثعلبي (٧ / ١٢٣) ، والبغوي (٣ / ٣٦٠) ، والزمخشري (٣ / ٢٦٨) ، وابن عطية (٤ / ١٩٩) ، والبيضاوي (٤ / ٢٠٥) ، والنسفي (٣ / ١٦٠) ، والخازن (٥ / ٩٣) ، والنيسابوري (٥ / ٢٢٠) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٢٩٢) ، وأبو السعود (٦ / ٢٠٠) .

(٦) أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٦٨ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٩٩ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذِّ القرآن لابن خالويه : ١٠٥ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ١١٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤١٥ .

(٧) سورة الأنبياء : ١٠ .

(٨) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٩) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤٠ .

✓ **فالضمير يعود على هذا للرسول ﷺ أيضاً على هذه القراءة الشاذة .**

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ لمحمد ﷺ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين ؛** يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : استبعد الفخر الرازي وابن عادل [(١)] الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ... ﴾ [(٢)] ؛ وذلك لأن المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف ، ، وصدور الإنذار من الرسول ﷺ حقيقة ؛ وإذا وصف به القرآن فهو مجاز ، وحمل الكلام على الحقيقة أوْلى .

ثانياً : لكونه ﷺ أقرب مذكور ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [(٣)] .

ثالثاً : هذا القول هو **قول ابن عباس ﷺ وجماعة من السَّلف وجمهور** المفسرين ؛ وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً كما قال الآلوسي [(٤)] .

رابعاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبت الحديث ؛ وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .**
- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجَّة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه** [(٥)] .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٤٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٧٣ . وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٠ روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٣١ .

(٢) سورة الإسراء : ٩ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٧٣ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٠ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٣١٢ ، ٢ / ٣٨٧ ، ٦٢١ .

وفي الآية وقفات :

- " الاقتصار في وصف الرسول هنا على النذير دون البشير كما في قوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ... ﴾ [١] لأن المقام هنا لتهديد المشركين إذ كذبوا بالقرآن وبالرسول ﷺ ؛ فكان مقتضياً لذكر النذارة دون البشارة ، وفي ذلك اكتفاء لأن البشارة تخطر ببال السامع عند ذكر النذارة . وسيجيء : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [٢] .
- وفي هذه الآية جمع بين التنويه بشأن القرآن وأنه مترل من الله ، وتنويه بشأن النبي ﷺ ورفعة مترلته عند الله وعموم رسالته " [٣] .
- " وإيراده ﷺ بذلك العنوان – أي : عبداً – لتشريفه ؛ والإيذان بكونه صلوات الله تعالى وسلامه عليه في أقصى مراتب العبودية ، والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدٌ للمرسل رداً على النصارى " [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة سبأ : ٢٨ .
(٢) سورة الفرقان : ٥٦ .
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ١٨ / ٣١٧ .
(٤) روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٣١ .

قوله تعالى : ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ . [آية : ١٦] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أنَّ معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ أي : سأله المؤمنين أو الملائكة فقال : ((﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ أي : سأله المؤمنون أو الملائكة في قولهم : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ... ﴾ [١] . وقيل : معناه : وعداً واجب الوقوع لأنه حتمه)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قوله تعالى : **﴿ وَعْدًا ﴾** يدل على أن الجنَّة جعلت لهم بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستحقاق [٣] ، واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **وعداً واجب الوقوع وإن لم يُسأل** ، لأنه لا يخلف الميعاد ، وهو ﷻ يوجب على نفسه بوعده الصادق ما شاء لا معقب لحكمه ، **حكاه الفرَّاء والطبري** [٤] **وجماعة** [٥] ، وقدَّمه السمين الحلبي [٦] ، وقاله ابن كثير [٧] .

---

(١) سورة غافر : ٨ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٦ .

(٣) وهذا مذهب أهل السُّنة والجماعة (**فضل الله ورحمته**) . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٢ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٩٢ ، السراج المنير : ٣ / ١١ . وقال الزمخشري : " كان ذلك موعوداً واجباً على ربك إنجازه ؛ حقيقاً أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق " . اهـ . ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٧١ . وهذا على مذهب المعتزلة .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٧ ، تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٩ .

(٥) منهم : الثعلبي ، والقرطبي ، وابن عادل . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٢٦ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٩٣ .

(٦) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٤٦ .

(٧) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣١٢ .

✖ **أي على المجازِ أي : يُسْأَلُ : هل وُفِّي بك أم لا ؟** [١] .

واستدل له :

١. من كلام العرب :

نظيره قول العرب : قال **الفرَّاء** :

" وقد يكون فى الكلام أن تقول : لأعطينَّك ألفاً وعداً مسئولاً ؛ أى : هو واجبٌ لك ؛ لأن المسئول واجب ، وإن لم يُسأل كالدَّين " . اهـ [٢] .

٢. القرينة القرآنية :

لفظة ﴿ عَلَىٰ ﴾ في قوله : ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الروم : ٤٧] .

فقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي : بسبب الوعد صار لا بد منه [٣] .

✖ **واستشكلت الآية على الأشاعرة** لأنها تدل على الوجوب على الله تعالى لمكان ﴿ عَلَىٰ ﴾ ؛ وعندهم لا يجب عليه سبحانه شيء لاستلزام ذلك سلب الاختيار وعدم استحقاق الحمد [٤] .

✓ **وأُجيب بأن :**

" ما في ﴿ عَلَىٰ ﴾ من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ؛ ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز ؛ فإن تعلق الإرادة بالموعود مُتقدِّم على الوعد الموجب للإنجاز " [٥] .

---

(١) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٤٦ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٧ . وينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٩ .

(٣) ذكرها أبو حيان ، والشنقيطي . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٤٦ ، أضواء البيان : ٦ / ٣٢ .

(٤) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٤٧ .

(٥) تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٠ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٧ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٤٧ .

القول الثاني : معناه : **مطلوباً أو حقيقاً بأن يُسأل إنجازه ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ؛ **وجمهور** المفسرين [٢] . [٣]

لكنهم اختلفوا في السائل على وجوه :

✓ **فالأكثر** [٤] على أن **المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا** . قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ... ﴾ [٥] ؛ وهو معنى قول **ابن عباس** ﷺ ، وقول **عبد الرحمن بن زيد** [٦] [٦] وذهب إليه **الفرَّاء** [٧] ؛ وجماعة من المفسرين [٨] .

- عن **ابن عباس** ﷺ يقول : سلوا الذي وعدتكم تنجزوه [٩] .
- وعن **عبد الرحمن بن زيد** قال : سألوه إيَّاها في الدنيا ؛ طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم إذا سألوه [١٠] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٦ .

(٢) منهم : مقاتل (٢ / ٤٣٢) ، والطبري (١٨ / ١٨٩) ، والسمر قندي (٢ / ٥٣١) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٦) ، والثعلبي (٧ / ١٢٦) ، والماوردي في النكت (٤ / ١٣٥) ، الواحدي (٢ / ٧٧٥) ، والسمعاني (٤ / ١١) ، والبغوي (٣ / ٣٦٣) ، والزمخشري (٣ / ٢٧٣) ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٧) وقال الفخر الرازي (٢٤ / ٥٢) : **هذا القول أقرب** ، والعز بن عبد السلام (٢ / ٤١٩) ، والقرطبي (١٣ / ١٠) ، والبيضاوي (٤ / ٢١٠) ، والنسفي (٣ / ١٦٣) ، والخازن (٥ / ٩٦) ، والنيسابوري (٥ / ٢٢٥) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٠٤) ، وابن عادل (١٤ /٤٩٢ ، ٤٩٣) ، والجلالين (٤٧٢) ، وأبو السعود (٦ / ٢٠٧) ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١١) ، والشوكاني (٤ / ٦٥) ، والآلوسي (١٨ / ٢٤٧) ، والسعدي (٥٨٠) ، وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣٢) : **هذا القول أقرب** ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣٣٦) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٧٩) .

(٣) ذكر القولين و لم يرجح ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) .

(٤) نسب هذا القول إلى الأكثر الخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١١) .

(٥) سورة آل عمران : ١٩٤ .

(٦) نسبه إليه : الماوردي في النكت (٤ / ١٣٥) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠) .

(٧) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٧ .

(٨) في تفاسيرهم ، منهم : مقاتل (٢ / ٤٣٢) ، والطبري (١٨ / ١٨٩) ، والسمر قندي (٢ / ٥٣١) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٦) ، والثعلبي (٧ / ١٢٦) ، والقرطبي (١٣ / ١٠) ، والخازن (٥ / ٩٦) ، والسعدي (٥٨٠) .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٩) ، ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ ٢٤١) إلى ابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٧١) . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠١ .

(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨ / ١٨٩) ؛ ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) .

أو أن **المؤمنين سألوا ربهم بلسان الحال** ؛ لأنهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعته كان ذلك قائماً مقام السؤال [١] .

قال **المتنبي** :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي كَلَامٌ عَنْدَهَا وَخِطَابُ [٢]

✓ **أو الملائكة تسأله للمؤمنين** في قولهم : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ... ﴾ [٣] ، قاله **محمد بن كعب القرظي** [٤] ، وذهب إليه **الزَّجَّاج** [٥] ؛ و**جماعة من المفسرين** [٦] .

- عن **محمد بن كعب القرظي** يقول : إنَّ الملائكة تسألهم لهم في قولهم ذلك : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ... ﴾ [٧] .

قال **الطاهر بن عاشور** : " وهذا مسوق **مساق المبالغة** في تحقيق الوعد والكرم كما يشكرك شاكر على إحسان فتقول : ما أتيت إلا واجباً ، إذ لا يتبادر هنا غير هذا المعنى ، إذ لا معنى للوجوب على الله تعالى سوى أنه تفضل وتعهد به ، ولا يختلف في هذا أهل الملة وإنما اختلفوا في جواز إخلاف الوعد " . اهـ [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٣١ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٥٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٥ .

(٢) نسبه إليه الرَّاغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : ١ / ٦٣٧ .
والمُتَنَبي هو : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي : الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة ، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الاسلاميين . ت سنة ٣٥٤ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٤ / ١٠٢ - ١٠٥ ، العبر : ٢ / ٣٠٦ ، لسان الميزان : ١ / ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) سورة غافر : ٨ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٦ ٢٤١) إلى ابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٧١) ، والبيهقي من طريق سعيد بن هلال .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ٦٠ .

(٦) منهم : الواحدي في الوجيز (٢ / ٧٧٥) ، والسمعاني في تفسيره (٤ / ١١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٣٦٣) .

(٧) سورة غافر : ٨ . وقول محمد بن كعب القرظي هو المتقدم تخريجه آنفاً .

(٨) التحرير والتنوير : ١٨ / ٣٣٦ .

❖ **ورجَّح ابن جُزيّ** [١] أن يكون السائل المؤمنون أو سؤال الملائكة لهم ، **ووافقه** جماعة من المفسرين [٢] .

❖ وذكر جميع الوجوه جماعة من المفسرين [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن أنَّ معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ مطلوباً أو حقيقاً بأن يسأل إنجازه ، يسأله المؤمنين أو الملائكة لهم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، ويدل على ذلك – إضافة على ما تقدَّم – ما يلي :

أولاً : إن سائر الوجوه التي ذكرت في القول الراجح أقرب من قول الفرَّاء ؛ لأن سائر الوجوه أقرب إلى الحقيقة ؛ وما قاله الفراء مجاز [٤] .

ثانياً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٥] .

✍ وفي قوله تعالى : ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولاً ﴾ التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تشريفه ، والإشعار بأنه ﷺ هو الفائز بمغانم الوعد الكريم [٦] .

.

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٦ .

(٢) منهم : الزمخشري (٣ / ٢٧٣) وحكاه في الكشاف ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ٧٧) ، وقاله البيضاوي في تفسيره (٤ / ٢١٠) ، والنسفي في تفسيره (٣ / ١٦٣) ، والجلالين في تفسيرهما (٤٧٢) ، وأبو السعود في تفسيره (٦ / ٢٠٧) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ٦٥) ، والآلوسي في روح المعاني (١٨ / ٢٤٧) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣٢) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ١٨٠) .

(٣) في تفاسيرهم ؛ منهم : الماوردي في النكت (٤ / ١٣٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٥٢) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ٤١٩) والنيسابوري (٥ / ٢٢٥) ، وابن عادل (١٤ /٤٩٢ ، ٤٩٣) ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١١ ، ١٢) .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٥٢ .

(٥) ينظر قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٧ ، روح المعاني للآلوسي : ١٨ / ٢٤٧ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ . [آية : ١٧ ، ١٨] .

مسألة : فيمن المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ هم المعبودون مع الله على العموم ، فقال : ((﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ القائل لذلك : هو الله ﷻ ؛ والمخاطب : هم المعبودون مع الله على العموم . وقيل : الأصنام خاصة ؛ **والأوّل أرجح** ...)) . اهـ [١] .

الدراسة :

والاستفهام **في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾** استفهام تقريري للاستنطاق والاستشهاد والتقريع والتوبيخ . والمعنى : أأنتم أضللتموهم أم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم دون تضليل منكم ؛ ففي الكلام حذف دل عليه المذكور . فسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤول عنه ليجيبوا بما أجابوا به ؛ فيبكت عبدهم بتكذيبهم إياهم فيزيد حسرهم ، ويسرُّ المؤمنون بحالهم ونجاهم من فضيحة أولئك ، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين .

وظاهر قوله : ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ أنها الأصنام ، لأن ﴿ مَا ﴾ لما لا يعقل ؛ وظاهر قوله : ﴿ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ ﴾ أنه من عُبد من العقلاء ؛ كالملائكة والمسيح وعزير وغيرهم ؛ لأن الإضلال وخلافه منهم يصحُّ ؛ فلهذا اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون **فيمن المخاطب في هذه الآية** على قولين :

القول الأوَّل : المخاطب في الآية هم **الأصنام خاصة** ، قاله **عكرمة** ، و **الضحاك** [٢] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٦ .

(٢) نسبه إلى عكرمة والضحاك غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم ؛ منهم : البغوي (٣ /٣٦٣) ، وابن عطية =

وذهب إليه **الفرَّاء** [١] ، وقاله **السمر قندي** [٢] من المفسرين .

واستدل له :

بدلالة السِّياق القرآني : بناء على أن السِّياق فيها [٣] .

✖ **واعتُرض** : كيف يخاطب الله تعالى الجماد ؟

✓ **وأُجيب** بوجهين :

- **أحدهما** : أنه تعالى يخلق الحياة فيها ويخاطبها .
- **والثاني** : أن يكون ذلك بالكلام النفساني لا بالقول اللساني ؛ بل بلسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات ، وكلام الأيدي والأرجل ، وكما قيل : سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ؟ فإن لم يحصل جواباً أجابتك اعتباراً [٤] .

القول الثاني : المخاطب في الآية هم **الملائكة** ؛ قاله **الحسن** [٥] ، **ومقاتل** [٦] ، **والزجاج** [٧] وقدَّمه **الماوردي** [٨] ، وذهب إليه **السمعاني** [٩] ، من المفسرين .

قال **مقاتل** : " ﴿ فَيَقُولُ ﴾ للملائكة : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يقول : أنتم أمرتموهم بعبادتكم ؟ ﴿ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ يقول : أو هم أخطئوا طريق الهدى ، فتبرأت الملائكة " . اهـ [١٠] .

=(٤ / ٢٠٤) ، وابن الجوزي (٦ / ٧٨) .

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٢٢٧ .

(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٣٢ .

(٣) حكاه الآلوسي في روح المعاني (١٨ / ٢٤٨) .

(٤) حكاه الفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٥٤) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٤٩٥) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ٦٧) .

(٥) نسبه الماوردي إليه في النكت (٤ / ١٣٦) .

(٦) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٤٣٣ .

(٧) ينظر معانيه : ٤ / ٦٠ .

(٨) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٣٦ .

(٩) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ١١ .

(١٠) تفسير مقاتل : ٢ / ٤٣٣ .

القول الثاني : المخاطب في الآية هم **المعبودون مع الله من العقلاء دون الأصنام ؛ كالملائكة ، والجن والإنس ، وعيسى عليه السلام وعزير عليه السلام** ، وهو قول **مجاهد** [١] ، وجوَّزه **الزجاج** [٢] ، وقاله **الطبري** [٣] ، **واستظهره أبو حيان** [٤] ، وقاله **جماعة** من المفسرين [٥] . [٥] .

واستدل له :

١. بما يشهد له القرآن :

جاء ما يشبه ذلك منصوصاً في سؤال عيسى والملائكة – عليهم السَّلام – عن عبادة من عبدهم :

- كما قال في الملائكة : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ . [سورة سبأ : ٤٠ ، ٤١] .
- وقال في عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ . [سورة المائدة : ١١٦] . [٦]

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٤٨ . ونسبه البغوي في تفسيره (٣ /٣٦٣) إليه ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٤١) إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن جرير (١٨ / ١٨٩) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٧٢) .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ٦٠ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٩ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٤٧ .

(٥) منهم : النحاس في معاني القرآن (٥ / ١٤) وذكر قول مجاهد ، وذكر ابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٦) قول مجاهد أيضاً ، والزمخشري (٣ / ٢٧٣) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ٤١٩) ، والنسفي (٣ / ١٦٣) ، والخازن (٥ / ٩٦) ، وابن كثير (٣ / ٥٤٣) ، والجلالين (٤٧٢) ، والسعدي (٥٨٠) ، وسيد قطب (٥ / ٢٥٥٥) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٣٣٨) .

(٦) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٤٧ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٥٤٣ ، تفسير السعدي : ٥٨٠ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣٣ .

٢. دلالة السِّياق القرآني :

بدليل جوابهم فيما بعد ؛ أجاب المعبودون بما حكى الله عنهم في الآية بعدها من قولهم : ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ... ﴾ . [سورة الفرقان : ١٨] . وهذا الجواب إنما يحسن من العقلاء ؛ ك الملائكة والمسيح وعزيز – عليهم السَّلام – [(١)] .

✖ **واعتُرض :**

إن لفظة ﴿ مَا ﴾ لا تستعمل في العقلاء ؟

✓ **وأُجيب** : بوجهين :

الأوَّل : لا نسلم أن كلمة ﴿ مَا ﴾ لما لا يعقل ؛ بدليل :

١. أنهم قالوا (من) لما لا يعقل ، جاء هذا في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ... ﴾ . [سورة النور : ٤٥] .

٢. وبدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد : ما هو ؟ فإذا قيل لك : إنسان ، قلت حينئذٍ : من هو ؟ ويدلك قولهم (من) لما يعقل .

والثاني : أنه أريد به الوصف كأنه قيل : (ومعبودهم) ، ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد : ما زيد ؟ تعني : أطويل أم قصير ؟ أفقيه أم طبيب ؟

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ . [سورة الشمس : ٥] . ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ . [سورة الكافرون : ٣] . لا يستقيم إلا على أحد هذين الوجهين [(٢)] .

---

(١) ينظر : إغاثة اللهفان لأبي عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية أو ابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٢ / ٢٣٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٤٧ . وحكاه الشوكاني والآلوسي . ينظر : فتح القدير : ٤ / ٦٧ ، روح المعاني : ١٨ / ٢٤٨ .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٧٣ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٤٩٥ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٢ .

القول الثالث : المخاطب في الآية هم **المعبودون مع الله على العموم** ؛ **يعم العقلاء وغيرهم** من الأصنام ، والملائكة ، والجن والإنس ، وعيسى عليه السلام وعزير عليه السلام ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (١) ، ووافقه **جماعة** (٢) من المفسرين (٣) . (٤)

الـترجيح :

بناء على هذا يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن المخاطب في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ هم المعبودون مع الله على العموم ؛ يعمُّ العقلاء وغيرهم من الأصنام ، والملائكة ، والجن والإنس ، وعيسى عليه السلام وعزير عليه السلام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ومن وافقه** ؛ ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : القرائن القرآنية :

القرينة الأوَّلى : أنه عبر عن المعبودين المذكورين بـ ﴿ مَا ﴾ التي هي لغير العاقل في قوله : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ . فلفظة ﴿ مَا ﴾ تدل على العموم للعقلاء وغيرهم – وإن كان أكثر استعمالها لغير العقلاء – ؛ ولكنه **غلَّب في هذه الآية غير العاقل ؛ وهم الأصنام** إمَّا :

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٦ .

(٢) **نسب هذا القول إلى الجمهور** : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٠٣) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٠٤) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٢) . ونسب **القول الثاني** إلى الأكثر : الفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٥٤) ، وأبو حيان في تفسيره (٦ / ٤٤٧) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٤٩٥) ، والآلوسي (١٨ / ٢٤٨) نقلاً عن أبي حيان . **وأرى كل قول قال به جماعة ؛ والله أعلم .**

(٣) في تفاسيرهم ، منهم : الواحدي (٢ / ٧٧٥) ، وجوَّزه الزمخشري (٣ / ٢٧٣) ، وابن عطية (٤ / ٢٠٣) والبيضاوي (٤ / ٢١٠) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٠٦) ، والثعالبي (٤ / ٢٠٤) ، وأبو السعود (٦ / ٢٠٨) ، وجوَّزه الخطيب الشربيني (٣ / ١٢) ، والشوكاني (٤ / ٦٧) ، والقاسمي (١٢ / ٢٥٤) **واستظهره** الشنقيطي (٦ / ٣٣) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٨١) .
وينظر : الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : ١٠٣ ، الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (٧٤٤ هـ) : ١٧٧ ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧ هـ) : ٢ / ٤٨٧ .

(٤) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الثعلبي (٧ / ١٢٧) ، والبغوي (٣ / ٣٦٣) ، وابن الجوزي (٦ / ٧٨) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٥٤) ، والقرطبي (١٣ / ١٠) ، والنيسابوري (٥ / ٢٢٥) ، وابن عادل (١٤ / ٤٩٥) ، والآلوسي (١٨ / ٢٤٨) .

- تحقيراً لها ؛ وتنبيهاً على أنها جميعاً مشتركة في كونها غير صالحة لكونها آلهة .
- أو : لأن من يعبد من لا يعقل أكثر ممن يعبد من يعقل منها ؛ فغلبت اعتباراً بكثرة من يعبدها .
- أو غلبَّ العبارة عما لا يعقل من الأصنام لأنها كانت الأغلب وقت المخاطبة [١] .

" **القرينة الثانية** : هي دلالة آيات من كتاب الله ، على أن المعبودين غافلون عن عبادة من عبدهم : أي لا يعلمون بها لكونهم غير عقلاء ؛ وذلك مثل :

- قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام : ﴿ ... وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ٢٨ ، ٢٩] . وإنما كانوا غافلين عنها لأنهم جماد لا يعقلون ؛ وإطلاق اللفظ المختص بالعقلاء عليهم ، نظراً إلى أن المشركين نزلوهم منزلة العقلاء .
- وكقوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ . [سورة الأحقاف : ٥ ، ٦] . فقد دل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ على أنهم لا يعقلون ، ومع ذلك قال : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ .
- وكقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ... ﴾ . [سورة العنكبوت : ٢٥] . فصرَّح بأنهم أوثان ، ثم ذكر أنهم هم وعبدتهم يلعن بعضهم بعضاً .
- وكقوله تعالى : ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ . [سورة مريم – عليها السلام – : ٨٢] . إلى غير ذلك من الآيات " [٢] .

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٧٣ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٣ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٠ تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٠٨ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣٣ .

(٢) أضواء البيان : ٦ / ٣٤ .

ثانياً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ . [آية : ٢١] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف ، فقال : ((﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ قيل : معناه لا يخافون ؛ **والصَّحيح** : أنه على بابه ؛ لأن لقاء الله يرجى ويخاف)) . اهـ [1] .

الدراسة :

هذه المقالة من جملة شبه المشركين التي قدحوا بها في النبوة .

واللقاء لغة : مقابلة الشيء ومصادفته معا ، وقد يعبر به عن كل واحد منهما ، يقال : لقِيَ فلانٌ فلاناً لِقاءً ولُقِيّاً ولَقْية ، ويقال ذلك في الإدراك بالحس وبالبصر وبالبصيرة ، واللقاء : الملاقاة [2] .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا [3] ﴾** على

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٧ .

(٢) قال ابن فارس : " اللام والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة : أحدها : يدل على عوج ، والآخر : **على توافي شيئين** ، والآخر : على طرح شيء . والذي معنا هو **الأصل الثاني** . ينظر (مادة : لقى) في : تهذيب اللغة : ٩ / ٢٢٧ ، مقاييس اللغة : ٥ / ٢٦٠ ، مفردات الرَّاغب : ٤٥٣ .

(٣) **استدلت الأشاعرة بقوله تعالى : ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ على جواز الرؤية** ، لأن اللقاء جنس تحته أنواع ، أحد أنواعه الرؤية ، والآخر الاتصال والمماسّة ، وهما باطلان ، فدلَّ على جواز الرؤية ، لأن الرائي يصل برؤيته إلى حقيقة المرئي فسمي الرؤية لقاء . واللقاء عند الأشاعرة الوصول لا بمعنى المكان والجهة فإنه تعالى منزه عن ذلك . **وقالت المعتزلة** : تفسير اللقاء برؤية البصر جهل باللغة ، لأنه يقال في الدعاء : لقاك الله الخير . ويقول القائل : لم أَلْقَ الأمير . وإن رآه من بعد إذا حجب عنه ، ويقال في الضرير : لقي الأمير إذا أذن له و لم يحجب ، وقد يلقاه في الليلة الظلماء ولا يراه ، بل المراد من اللقاء هنا المصير إلى حكمه حيث لا حكم لغيره في يوم ﴿ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا ... ﴾ . [سورة الانفطار : ١٩] . لا أنه رؤية البصر ؛ أي إرادة الجزاء والعقاب . قال ابن الخطيب : وهذا كلام ضعيف ، لأنَّ اللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معان كثيرة ينطلق على كل واحد من تلك المعاني ، فيصح قوله : لقاك الخير ، ويصح قول الأعمى : لقيت الأمير ، ويصح قول البصير : لقيته (بمعنى رأيته ، وما لقيته) بمعنى ما وصلت إليه ، وإذا ثبت هذا فنقول : قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ =

ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معناه : **لا يخافون** البعث بعد الموت ، قاله **مقاتل** [١] ، وذهب إليه **الفرَّاء وأبو عبيدة** [٢] ، وقاله **الطبري** [٣] ، وقدَّمه **الماوردي** [٤] ، وقاله جماعة من المفسرين [٥] .

واستدل له :

١. من اللغة :

قال الفرَّاء :

" وقوله : ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ : لا يخافون لقاءنا ؛ وهى لغة تِهاميَّة " [٦] .

وقال في موضع آخر قبله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ ... ﴾ [٧] :

" و لم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلاَّ ومعه جحْدٌ ؛ فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف ، وكان الرجاء كذلك ... ولا يجوز : رجوتك ؛ وأنت تريد : خفتك ولا خفتك ؛ وأنت تريد رجوتك " . اهـ [٨] .

= مذكور في معرض الذم لهم ، فوجب أن يكون رجاء اللقاء حاصلاً ، ومسمى اللقاء مشترك بين الوصول المكاني وبين الوصول بالرؤية ، وقد بطل الأوَّل فتعيّن الثاني . وقولهم : المراد من اللقاء الوصول إلى حكمه . صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل ، فثبت دلالة الآية على صحة الرؤية بل على وجوبها ، بل على أنّ إنكار الرؤية ليس إلا من دين (الكفار) . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٩ ، ٦٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٤ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٨ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٧٣ .

(٣) ينظر تفسيره : ١٩ / ١ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٣٩ .

(٥) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٣٣) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٧) ، والواحدي (٢ / ٧٧٧) ، والبغوي (٣ / ٣٦٥) ، والسمعاني (٤ / ١٤) ، وابن الجوزي (٦ / ٨١) ، والقرطبي (١٣ / ١٩) ، والخازن (٥ / ٩٧) ، والجلالين (٤٧٣) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٤) .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٨ .

(٧) سورة النساء : ١٠٤ .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء : ١ / ٢٠٧ .

ووافقه **الأزهري** فقال :

" إنما يُسْتعمل الرَّجاءُ في موضع الخوف إذا كان معه حَرْفُ نَفْي " [١] .

٢. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ . [سورة نوح عليه السلام : ١٣] . أي : لا تخافون لله عظمة .

٣. **من كلام العرب** : ومنه قول الشاعر [٢] :

لا تَرْتَجِي حِينَ تُلاقِي الذَّائِدَا أَسَبْعَةً لاقَتْ معاً أَو واحِدَا

أَي : لا تَخافُ ولا تبالى .

وقال الآخر [٣] :

إذا لسعته النحل لم يَرْجُ لَسْعَهَا وَحَالفَهَا فى بيتِ نُوب عَوَامِلِ

يقال : نَوْب ونُوب . قال الفرَّاء : والنُوب : ذكر النحل [٤] .

✖ ويكون استعمال **الرجاء في معنى الخوف مجازاً** ؛ لأن الراجي لأمر يخاف فواته .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان** بقوله : " ومن تأول (لم يَرْجُ لَسْعَهَا) على معنى : لم يرج دفعها ولا الانفكاك عنها ؛ فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد في شغله **فتأويله ممكن** ؛ لكن الفرَّاء وغيره نقلوا ذلك لغة لهذيل في النفي والشاعر هذلي ، فينبغي أن لا يتكلف للتأويل وأن يحمل على لغته " . اهـ [٥] .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (مادة : رجا) : ١١ / ١٢٤ .

(٢) نسبه الزبيدي إلى الليث . ينظر : تاج العروس (مادة : رجا) : ٣٨ / ١٣١ . وأورده جماعة من أهل اللغة والمفسرين من غير نسبة .

(٣) هو أبي ذؤيب الهذلي ؛ عزاه إليه الزمخشري ، وابن منظور ، والشنقيطي . ينظر : أساس البلاغة : ٦٥٦ ، لسان العرب (مادة : رجا) : ١٤ / ٣١٠ ، أضواء البيان : ٦ / ٣٧ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٢٨ . بتصرف يسير ؛ تهذيب اللغة للأزهري (مادة : رجا) : ١١ / ١٢٤ وحكى الخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٤) قول الفراء وما استدل به .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٥٠ . وينظر قبله : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٥ .

القول الثاني : الرجاء هنا في الآية **على بابه ، أي : الأمل ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] . [٣]

واستدل له :

١. من اللغة : الرَّجاءُ – ممدود – [٤] **: المشهور في اللغة : من الأمل** ؛ وهو نقيض الْيَأْس والفعل منه : رَجَا يَرْجُو ، ورَجِيَ يَرْجَا ، وارْتَجَى يَرْتَجِي ، وتَرَجَّى وَيَتَرَجَّى [٥] .

٢. من كلام العرب : بقول القائل [٦] :

أترجو أمَّة قتلت حسينا شفاعة جَدِّه يوم الحسابِ

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى الرجاء في قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ على بابه على المشهور من اللغة ؛ وهو الأمل نقيض اليأس ؛ لأن لقاء الله يرجى ويخاف ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٧ .

(٢) منهم : ابن عطية (٤ / ٢٠٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٥٩) ، **واستظهره** أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٥٠) ، والثعالبي (٤ / ٢٠٦) ، وابن عادل (١٤ / ٥٠٦) ، والشوكاني (٤ / ٦٩) ، والآلوسي (١٩ / ٢) ، والسعدي (٥٨١) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٣٧) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ١٨٥) .

(٣) ذكر القولين و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري (٣ / ٢٧٧) ، والبيضاوي (٤ / ٢١٢) ، والنسفي (٣ / ١٦٥) ، والنيسابوري (٥ / ٢٣١) .

(٤) **الرجا** – مقصور – : ناحية كل شيء ، والجمع : أرجاء . ينظر : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : رجا) : ١١ / ١٢٥ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : رجى) : ٢ / ٤٩٤ .

(٥) ينظر (مادة : رجا) في كل من : جمهرة اللغة : ٢ / ١٠٣٩ ، تهذيب اللغة : ١١ / ١٢٤ ، معجم مقاييس اللغة (مادة : رجى) : ٢ / ٤٩٤ ، النهاية لابن الأثير : ٢ / ٢٠٧ ، لسان العرب : ١٤ / ٣٠٩ ، المصباح المنير (مادة : رَجَوتُه) : ١ / ٢٢١ ، تاج العروس : ٣٨ / ١٢٧ .

(٦) هذا البيت لا يدري من قائله ؛ وجاء في أخبار مضطربة أنه لما غزا أشياخ الروم وجدوا في كنيسة من كنائسهم هذا الشعر مكتوبا على الحائط ، فقالوا : منذ كم وجدتم هذا الكتاب في هذه الكنيسة ؟ قالوا : قبل أن يخرج نبيكم بستمائة عام . ينظر : الخصائص الكبرى لأبي الفضل ، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) : ١ / ٦٣ .

أولاً : الحمل على **المعنى الحقيقى** أولى من المجاز ؛ فالمعنى : لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من الثواب ، ومعلوم أن من لا يرجو الثواب لا يخاف العقاب ؛ لأن خوف لقاء الله تعالى مقترن أبدا برجاءه ؛ فإذا نفي الرجاء عن أحد فإنما أخبر عنه أنه مكذب بالبعث لنفي الخوف والرجاء [١] .

ثانياً : يتأيد هذا القول بالمشهور من اللغة ؛ وبكلام العرب ؛ وعليه يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر .**
- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٢] .

ولبعض أهل العلم أقوال أخرى في تفسير الآية ؛ وهي كالتالي :

- ✓ **ذكر الزجاج** معنى ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ في معرض كلامه فقال : " الذين لا يوقنون بالبعث ؛ ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله ... " . اهـ [٣] .
- ✓ وقال **القشيري** : " ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ : لا يؤمنون بالحشر والنشر والرجوع إلى الله في القيامة من الدنيا . وكما كانوا لا يخافون العذابَ ، ولا ينتظرون الحَشْرَ كذلك كانوا لا يُؤْمِنون لقاءَ الله " . اهـ [٤] .
- ✓ وقال **أبو السعود** : " وبعدم رجائهم إياه عدم توقعهم له أصلا لإنكارهم البعث والحساب بالكلية ؛ **لا عدم أملهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء** ، لأن عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وإنكار البعث والحساب رأساً ؛ أي : وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أو حسابنا المؤدى إلى سوء العذاب الذي

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٥ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٥٩ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٧ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٤٥٠ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٠٦ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٦٨ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٣٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٦٩ ، ٣٨٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٦٣ .

(٤) تفسير القشيري : ٢ / ٣٨٠ ، ٣٨١ .

تستوجبه مقالتهم " . اهـ [١] .

✓ وقال **القاسمي** :

" ﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أي : الرجوع إليه بالبعث والحشر " [٢] .

✓ وقال **سيد قطب** : " إن المشركين لا يرجون لقاء الله ، أي : لا ينتظرون هذا اللقاء ، ولا يحسبون حسابه ، ولا يقيمون حياتهم وتصرفاتهم على أساسه . ومن ثم لا تستشعر قلوبهم وقار الله وهيبته وجلاله ؛ فتنطلق ألسنتهم بكلمات وتصورات لا تصدر عن قلب يرجو لقاء الله " . اهـ [٣].

✓ وقال **الطاهر بن عاشور** : " ومعنى : ﴿ لَا يَرۡجُونَ ﴾ لا يظنون ظنّاً قريباً ، أي : يَعُدّون لقاء الله محالاً . ومقصدهم من مقالهم أنهم أعلى من أن يتلقوا الدين من رجل مثلهم ، ولذلك عقَّب بقوله : ﴿ ... لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ [٤] على معنى التعجيب من ازدهائهم وغرورهم الباطل " . اهـ [٥] .

✌ **ويجمع بين هؤلاء المفسرين الأجلاء أنهم لم يرجعوا للمعنى اللغوي للرجاء ؛ بل فسرُّوه بفقه واقع المشركين آنذاك وحالهم من التكذيب بالبعث والحشر والحساب ؛ فهم لا يؤمنون بالبعث أصلاً ، ويعدُّونه محالاً كما ذكر ابن عاشور ؛ فهم لا يتوقعون ولا ينتظرون لقاء الله .. وهذا التفسير هو الذي أميل إليه ؛ وإن كان قول ابن جُزيّ ومن وافقه تفسير بما اشتهر من لغة العرب ؛ إلا أن قول هؤلاء المفسرين فيه فهم جيد للآيات ؛ وتفسير لها حسب واقع حال كفار قريش في زمان الرسول ﷺ .**

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢١١ .
(٢) تفسير القاسمي : ١٣ / ٢٥٦ .
(٣) الظلال : ٥ / ٢٥٥٨ .
(٤) سورة الفرقان : ٢١ .
(٥) التحرير والتنوير : ١٩ / ٥ .

قوله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ . [آية : 24] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ مَقِيلاً ﴾ هو (مفعل) من النَّوم في القائلة ؛ وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة ، فقال : ((﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ هو (مفعل) من النَّوم في القائلة ؛ وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة . وقيل : إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ، فيقيل أهل الجنَّة في الجنَّة ، وأهل النَّار في النَّار)) . اهـ [1] .

الدراسة :

معنى القَيْلولَة : نَوْمُ نِصفِ النهارِ ، وهي القائِلَة . قال يَقيلُ قَيْلاً ، وقائِلَةً ، وقَيْلُولَةً ، ومَقالاً **ومَقِيلاً** [2] ؛ فكيف يصح القيلولة في الجنَّة والنَّار ، وأهل الجنَّة في الآخرة لا ينامون [3] وأهل النَّار أبداً في عذاب يعرفونه ، وأهل الجنَّة في نعيم يعرفونه ؟

وقد اختلف أهل العلم والمفسرون **في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ [4] مَقِيلاً ﴾** على

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / 77 .

(٢) ينظر (مادة : قيل) في : أساس البلاغة للزمخشري : ٥٣١ ، لسان العرب : ١١ / ٥٧٧ ، تاج العروس : ٣٠ / ٣٠٤ .

(٣) " جنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين ؛ فعن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ سئل : أيلام أهل الجنَّة في الجنَّة ؟ قال : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنَّة لا ينامون » . وقد نطق به القرآن ، والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت " اهـ . ينظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : ٢٧ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : ١ / ١٣ . كلا الكتابين لابن القيِّم . والحديث المذكور قال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) : أخرجه الطبراني والبزار **ورجال البزاز رجال الصحيح** .

(٤) في (**أفْعَل**) هنا قولان :

أحدُهما : أنها على بابها من التفضيل ؛ وهو تهكم بالمشركين . والمعنى : أنَّ المؤمنين خيرٌ في الآخرة مستقراً مِنْ مستقرِّ الكفارِ ، وأحسنُ مقيلاً مِنْ مَقِيلهم ، لو فُرِض أنْ يكونَ لهم ذلك ، أو على أنه خيرٌ في الآخرةِ منهم في الدنيا .

والثاني : أنْ تكونَ لمحرِ الوصفِ مِنْ غيرِ مفاضلةٍ ؛ كما يقول القائل : العسل أحلى من الخل . ينظر : الإنصاف =

ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : ﴿ مَقِيلاً ﴾ **هو (مفعل) من النَّوم في القائلة ، وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة** ، قاله الأزهري [١] ، وذهب إليه الزَّجَّاج [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

قال **ابن عباس** ﷺ في هذه الآية : إنما هي ضحوة فيقيل أولياء الله على الأسرَّة مع الحور العين ، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين [٥] .

وعن **ابن عباس** ﷺ أيضاً قال : في الغرف من الجنَّة ، وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وذلك مثل قوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾ . [سورة الانشقاق : ٧ - ٩] . [٦]

واستدل له : بالمشهور في كلام العرب :

المَقِيْلُ في اللغة : المَوْضِعُ [٧] ؛ فيراد بالمَقِيْل : القيلولة أو مكانها ، وهي الاستراحة نصف

= فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) : ٢٠٩ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٥١ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨ / ٩ .

(١) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : قيل) : ٩ / ٢٣٣ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ٦٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٧ .

(٤) منهم : الواحدي (٢ / ٧٧٧) ، والسمعاني (٤ / ١٥) ، والزمخشري (٣ / ٢٧٩) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٨٤) ، والفخر الرازي (٢٤ / ٦٣ ، ٦٤) ، والبيضاوي (٤ / ٢١٤) ، والنسفي (٣ / ١٦٦) ، والنيسابوري (٥ / ٢٣٣) ، وأبو حيان (٦ / ٤٥٢) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣١١ ، ٣١٢) ، والجلالين (٤٧٣) ، وأبو السعود (٦ / ٢١٢) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٥) ، والشوكاني (٤ / ٧٠) والآلوسي (١٩ / ٨) ، والسعدي (٥٨١) ، والشنقيطي (٤ / ٤٣) ، والطاهر بن عاشور (١٨ / ٩) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ١٨٩) . ومن **كتب الغريب** ؛ ينظر : التبيان في غريب القرآن لا بن الهائم المصري : ٣١٦ . وينظر : مرقاة المفاتيح للقاري : ٣ / ٤٤٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٠) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٤٧ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٥) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨١) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٢٤٧ .

(٧) ينظر (مادة : قيل) في : العين للفراهيدي : ٥ / ٢١٥ ، المحيط في اللغة للصاحب بن عباد : ٦ / ٢٦ .

النهار زمن الحر مثلاً ، وإن لم يكن معها نوم [١] ، ومنه قوله :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ [٢]

قال **الأزهري** :

" والقَيلولة عند العربِ والمَقيلُ : الاستراحة نصفِ النهار إذا اشتدَّ الحرّ ، وإن لم يكن مع ذلك نوم ، والدليل على ذلك أنَّ الجنَّة لا نوم فيها " . اهـ [٣] .

وقال **أبو حيان** :

" والمقيل المكان الذي يأوون إليه في الاستراحة إلى الأزواج والتمتع ، ولا نوم في الجنَّة ؛ فسمَّي مكان استراحهم إلى الحور ﴿ **مَقِيلاً** ﴾ **على طريق التشبيه** ؛ إذ المكان المتخير للقيلولة يكون أطيب المواضع . وفي لفظ ﴿ **وَأَحْسَنُ** ﴾ رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من التحاسين " . اهـ [٤] .

✍ **فلَقيلُ على هذا القول مكان وزمان القيلولة .**

القول الثاني : إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ، فيقيل أهل الجنَّة في الجنَّة وأهل النَّار في النَّار ، قاله عبد الله بن مسعود ﷺ [٥] ، وإبراهيم النخعي [٦] ، وابن

---

(١) ينظر (مادة : قيل) في : تهذيب اللغة : ٩ / ٢٣٣ ، أساس البلاغة : ٥٣١ ، لسان العرب : ١١ / ٥٧٧ ، تاج العروس : ٣٠ / ٣٠٤ .

(٢) ورد هذا البيت فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ الخزاعية في صفة النبي ﷺ ؛ ذكر في كتب الحديث وفي كتب السيرة والتراجم . ينظر : الأحاديث الطوال للطبراني (٣٠) : ١ / ٢٥٤ . وجاء من صوت سُمع بمكة لا يرون من صاحبه ولا يرون شخصه .

(٣) تهذيب اللغة (مادة : قيل) : ٩ / ٢٣٣ .

(٤) البحر المحيط : ٦ / ٤٥٢ . وينظر قبله : الكشاف : ٣ / ٢٧٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٦٦ . وينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٢٣٣ ، نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٣١١ ، ٣١٢ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢١٢ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٥ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٨ وينظر : كليات الكفوي : ٨٨١ .

(٥) سيأتي تخريج قول ابن مسعود ﷺ لاحقاً .

(٦) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٤٧) إلى ابن المبارك ، وسعيد بن منصور ، وابن جرير (١٩ / ٥) ، وابن المنذر وأبو نعيم في الحلية .

وابن جريج [١] ، ومقاتل [٢] ، وحكاه الفرَّاء [٣] ، وقاله **الطبري** [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

قال المفسرون [٦] وبعض المحدثين [٧] : إن أهل الجنَّة لا يمرّ بهم يوم إلا قدر النهار من أوله أوله إلى قدر القائلة حتى يسكنوا مساكنهم من الجنَّة .

واستدل له من السُّنة :

بحديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ؛ ثم قرأ : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ . وقرأ : (ثم إن مَقِيلُهُم لإلى الجَحيم) [٨] » [٩] .

وقوله ﷺ « يقيل هؤلاء » : يعني أصحاب الجنَّة ينقلون إليها وقت القيلولة [١٠] .

✍ **فلَقيلُ على هذا القول زمان القيلولة .**

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٥) .
(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٤ .
(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٢٢٩ .
(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٥ .
(٥) منهم : النحاس وحكاه في معانيه (٥ / ١٩ ، ٢٠) ، وحكاه السمر قندي (٢ / ٥٣٤) والثعلبي (٧ / ١٢٩) ، وقدَّمه البغوي (٣ / ٣٦٦) ، وحكاه ابن عطية (٤ / ٢٠٧) عن جماعة من السلف ، والخازن (٥ / ٩٨) ، وحكاه الثعالبي (٤ / ٢٠٧) عن جماعة من السلف أيضاً ، وقدَّمه ابن عادل (١٤ / ٥١٥) ونسبه للمفسرين .
(٦) نسب الثعلبي وابن عادل هذا القول إلى المفسرين . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٢٩ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥١٥ .
(٧) نسب الفراء هذا القول إلى بعض المحدثين . ينظر معانيه : ٢ / ٢٢٩ .
(٨) قراءة : (ثم إن مقيلهم إلى الجحيم) **قراءة بالغة الشذوذ** لا تجوز القراءة بها ؛ و لم يذكرها ابن خالويه في شواذ القرآن ولا البناء . ينظر : مختصر شواذ القرآن : ١٢٨ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٧٣ . والقراءة المتواترة الثابتة عن القراء السبعة ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ . [سورة الصافات : ٦٨] .
(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٠) ، وعزاه السيوطي في الدر أيضاً (٦ / ٢٤٧) إلى ابن المبارك في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم و**صحَّحه** (من تفسير سورة الفرقان (٣٥١٦) : ٢ / ٤٣٦) .
(١٠) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٨ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن ﴿ مَقِيلاً ﴾ هو (مفعل) من النَّوم في القائلة وإن كانت الجنَّة لا نوم فيها ؛ ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

فللقيل المكان الذي يأوون إليه للراحة ، ولا نوم في الجنَّة ؛ فسمَّي مكان استرواحهم إلى الحور ﴿ مَقِيلاً ﴾ على طريق التشبيه ؛ إذ المكان المتخير للقيلولة يكون أطيب المواضع .

ولا يوجد تعارض بين هذا القول والقول الآخر المستدل به بحديث ابن مسعود ﷺ والذي يقول بأن أهل الجنَّة لا يمرّ بهم يوم إلا قدر النهار من أوله إلى قدر القائلة حتى يسكنوا مساكنهم من الجنَّة ؛ لأنه قد ذكر فيه أن وقت انتقال أهل الجنَّة إلى منازلهم هو وقت المقيل ؛ وقد ذكر أغلب المفسرين هذا الحديث عند تفسير الآية ولم يعتبروه قولاً آخر معارضاً للقول الذي رجَّحه ابن جُزيّ .

✌ **فأهل الجنَّة في أحسن مكان للراحة وهم يقيلون ؛ أي : يترلون منازلهم في الجنَّة في وقت المقيل (ولا تعارض) .**

قال **الشنقيطي** :

" استنبط بعض العلماء من هذه الآية الكريمة : أن حساب أهل الجنَّة يسير ، وأنه ينتهي في نصف نهار [1] ، ووجه ذلك أن قوله : ﴿ مَقِيلاً ﴾ أي : مكان قيلولة وهي الاستراحة في نصف النهار ، قالوا : وهذا الذي فهم من هذه الآية الكريمة ، جاء بيانه في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾ [2] .

---

(١) ينظر : تفسير الجلالين : ٤٧٣ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٤١ .

(٢) سورة الانشقاق : ٧ – ٩ .

ويفهم من قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ أن أصحاب النَّار ليسوا كذلك ؛ وأن حسابهم غير يسير .

وهذا المفهوم دلت عليه آيات أخر :

- كقوله تعالى قريباً من هذه الآية : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [١] ؛ فقوله : على الكافرين يدل على أنه على المؤمنين غير عسير .
- وكما قال تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ... ﴾ [٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [٣] " . اهـ [٤] .

✓ **وحاصل الآية** : أن أصحاب الجنَّة من المكان في أطيب مكان ، ومن الزمان في أحسن زمان [٥] .

قال **ابن عطية** : " ويحتمل أن اللفظة إنما تضمنت تفضيل الجنَّة جملة ؛ فالعرب تفضل البلاد بحسن المقيل ؛ لأن وقت القائلة يبدو فساد هواء البلاد ؛ فإذا كان بلد في وقت فساد الهواء حسنا جاز الفضل ، ومن ذلك قول **الأسود بن يعفُر** :

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِها كَعْبُ بنُ مامَةَ [٦] وابنُ أُمِّ دُوَادِ " [٧]

---

(١) سورة الفرقان : ٢٦ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٣ .

(٣) سورة المدثر : ٨ - ١٠ .

(٤) ينظر : أضواء البيان : ٦ / ٤١ . وينظر قبله : تفسير الجلالين : ٤٧٣ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٦٣ ، ٦٤ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٢٣٣ .

(٦) مَامَة : اسم أمّه .

والأسود بن يَعفُر (أو يُعفِر أو يُعفُر ، وكله مأخوذ من العَفْرُ والعَفَر وهما التراب) النهشلي الدارمي التميمي ، أبو نهشل ، وأبو الجراح : شاعر جاهلي ، من سادات تميم ، من أهل العراق ، كان فصيحاً جواداً ، نادم النعمان ابن المنذر ، ولما أسن كف بصره ، ويقال له (أعشى بني نهشل) . ت نحو سنة ٢٢ قبل الهجرة . ينظر : الأغاني : ١٣ - ١٧ وما بعدها ، الإكمال لابن ماكولا : ٧ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، نزهة الألباب في الألقاب لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : ١ / ٨٥ .

(٧) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٠٧ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ [١] هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ . [آية : ٣٠] .

مسألة : في معنى ﴿ مَهْجُورًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ **أن أصل ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر ؛ بمعنى : البعد والترك** ، فقال : ((﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر ؛ بمعنى : البعد والترك . وقيل : من الهُجْرُ – بضم الهاء – ؛ أي : قالوا فيه الهُجْرُ حين قالوا : إنه شعر وسحر ؛ **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

قال **قتادة** قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ فهذا قول نبيكم يشتكي قومه إلى ربه [٣] . وهم كفّار قريش ، وهذه شكوى عظيمة ، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ مَهْجُورًا ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ **من الهَجْر – بفتح الهاء – ؛ بمعنى : البعد والترك** ، وهو معنى قول **ابن عباس** رضي الله عنه [٤] ، وقاله **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** [٥] ، ومقاتل [٦] ،

---

(١) قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوا۟ ﴾ لابد أن يتعدى إلى مفعولين ؛ المفعول الأوَّل : ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ، والمفعول الثاني : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ ، ولا يمكن أن يكون متعديا إلى مفعول واحد فيكون ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ مفعوله ويكون ﴿ مَهْجُورًا ﴾ حالاً ؛ لأنه يلزم أنهم اتخذوه في حال كونه ﴿ مَهْجُورًا ﴾ فهذا عكس المعنى ؛ فإنهم اتخذوا هجره و لم يتخذوا إقامته والعمل به ؛ أو يقال بعبارة أخرى ومعنى آخر : الاتخاذ التناول ، والتناول لا يصادف المهجور ؛ لأنهم إذا تناولوه فقد خرج عن كونه مهجورا ؛ فتعين كون اتخذ هنا متعدية إلى اثنين وهو واضح متعين في هذه الآية . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى للسُّبكي : ١ / ١٠١ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٧٨ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٥٣) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٧) .

(٤) نسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٨٧) . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٦٨٨) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٦ .

وقاله الفرَّاء [١] ؛ وجوَّزه الزَّجَّاج [٢] ، وذهب إليه الطبري [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

واستدل له من اللغة [٦] :

قوله : ﴿ مَهۡجُورًا ﴾ أنه من الهَجْر : وهو ضِدُّ الوَصْل ؛ هَجَرَ الشيءَ يَهْجُره هَجْراً : تَرَكَه وأَغْفَله وأعْرَض عنه .

القول الثاني : ﴿ مَهۡجُورًا ﴾ من الهُجْرُ – بضم الهاء – ؛ وهو الهَذَيانُ ، أي : قالوا فيه الهُجْرُ حين قالوا : إنه شعر وسحر ، قاله **مجاهد** [٧] ، **والنخعي** [٨] ، وقاله القاسم بن سلام (أبو عبيد) [٩] ؛ وقدَّمه الزَّجاج [١٠] ، وقاله جماعة من المفسرين [١١] .

قال **إبراهيم النخعي** : قالوا : فيه هجيراً غير الحق ؛ ألم تر المريض إذا هذى قيل : هجر !

---

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٢٣٠ .
(٢) ينظر معانيه : ٤ / ٦٦ .
(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٩ .
(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٧٨ .
(٥) منهم : الماوردي في النكت والعيون (٤ / ١٤٣) وقدّمه الواحدي (٢ / ٧٧٨) ، والسمعاني (٤ / ١٨) ، والبغوي (٣ / ٣٦٨) ، والزمخشري (٣ / ٢٨٢) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٨٧) ، والنسفي (٣ / ١٦٧) ، والخازن (٥ / ١٠٠) ، والنيسابوري (٥ / ٢٣٥) ، **واستظهره** أبو حيان (٦ / ٤٥٥) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٣١٨) ولا البقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣١٣) غيره ، وابن عادل (١٤ / ٥٢٤) ، والجلالين (٤٧٤) ، وأبو السعود (٦ / ٢١٥) ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١٨) ، والشوكاني (٤ / ٧٣) ، ولم يذكر القاسمي (١٢ / ٢٥٨) غيره ، **واستظهره** الآلوسي (١٩ / ١٣) ، والسعدي (٥٨٢) ، ولم يذكر سيد قطب (٥ / ٢٥٦١) ولا الطاهر بن عاشور (١٩ / ١٧) ولا الشنقيطي (٦ / ٤٨) غيره .
(٦) ينظر (مادة : هجر) في : معجم مقاييس اللغة : ٦ / ٣٤ ، النهاية لابن الأثير : ٥ / ٢٤٣ ، لسان العرب : ٥ / ٢٥٠ ، تاج العروس : ١٤ / ٣٩٦ .
(٧) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٥٢ ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٩) ؛ وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٥٣) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (في تفسيره :٨ / ٢٦٨٧) .
(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٩) ؛ وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٥٣) إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (في تفسيره :٨ / ٢٦٨٨) .
(٩) ينظر : غريب الحديث لابن سلام : ٢ / ٦٤ .
(١٠) ينظر معانيه : ٤ / ٦٦ .
(١١) منهم : النحاس في معانيه (٥ / ٢٣) ، ولم يذكر ابن أبي زمنين (٣ / ٢٥٩) غيره ، والقرطبي (١٣ / ٢٧) .

أي : قال غير الحق .

وقال **الزَّجاج** : " جعلوه بمنزلة الهُجْر ، والهُجْر ما لا ينتفع به من القول ؛ وكانوا يقولون إن النبي ﷺ يهْجُر " [١] .

واستدل له من اللغة [٢] :

قالوا : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ هو من الهُجْرُ ؛ وهو الهَذَيانُ وإكثارُ الكلام فيما لا ينبغي . يقال : هَجَرَ في نَوْمِه ومَرضِه يَهْجُرُ هُجْراً - بالضمّ - وهِجِّيرَى ، وإهْجيرَى ، كِلاهما بالكسر : هَذَى .

ثم حذف الجار بدليل قوله تعالى : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [٣] . وهجرهُم وهجرهُم فيه : قولهم فيه : إنه شعر ، وسحر ، وأساطير الأوَّلين ، وكذب ، وهُجْر ؛ أي : هذيان [٤].

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي - والله أعلم - **أنَّ الراجح أنَّ ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر - بفتح الهاء - ؛ بمعنى : البعد والترك ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : من اللغة ؛ حيث أن **الأصل** أن ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهَجْر : وهو ضِدُّ الوَصْل ؛ أي : تَرَكَه وأَغْفَله وأَعْرَض عنه .

ثم قال **ابن فارس** وغيره : " **ومن الباب** : الهُجْرُ ؛ وهو الهَذَيانُ " [٥] .

ثانياً : إن الله أخبر عن كفار قريش أنهم قالوا : ﴿ ... لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج : ٤ / ٦٦ .
(٢) ينظر : المخصص لابن سيده : ١ / ٤٩٦ ، وينظر (مادة : هجر) في : معجم مقاييس اللغة : ٦ / ٣٥ ، لسان العرب : ٥ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، تاج العروس : ١٤ / ٤٠١ .
(٣) سورة المؤمنون : ٦٧ .
(٤) نقله ابن عادل والشوكاني ؛ ينظر تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٢٤ ، فتح القدير : ٤ / ٧٣ .
(٥) معجم مقاييس اللغة (مادة : هجر) : ٦ / ٣٥ .

فِيهِ ... ﴾ [١] ؛ وذلك هجرهم إيَّاه ؛ قاله الطبري [٢] .

وأضاف **ابن كثير** فقال :

" ... فكانوا إذا يتلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه فهذا من هجرانه ، وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه " . اهـ [٣] .

وقال **البقاعي** :

" ﴿ مَهْجُورًا ﴾ أي : متروكاً ، فأشار بصيغة (الافتعال) إلى أنهم عالجوا أنفسهم في تركه علاجاً كثيراً ، لما يرون من حسن نظمه ، ويذ وقون من لذيذ معانيه ، ورائق أسالبيه ، ولطيف عجائبه ، وبديع غرائبه ، كما تعرف به قصة أ بي جهل وأبي سفيان بن حرب والأخنس بن شريق حين كانوا يستمعون لقراءته ليلاً ، كل واحد منهم في مكان لا يعلم به صاحباه ، ثم يجمعهم الطريق إذا أصبحوا فيتلاومون ويتعاهدون على أن لا يعودوا ، ثم يعودون حتى فعلوا ذلك ثلاث ليال ، ثم أكدوا على أنفسهم العهود حتى تركوا ذلك كما هو مشهور في السِّير " . اهـ [٤] .

ثالثاً : في هذه الآية يشتكي النبي ﷺ قومه إلى ربِّه ؛ وهذه الشكوى يقولها الرسول ﷺ يوم القيامة ، **ويستعان بأحداث الزمان على تفسير القرآن فيما لم يرد فيه نصٌّ من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسُّنة أو بأقوال الصحابة** ، فالآية تحكي حالاً وقع في عهده ﷺ ويقع في كل زمان بما فيه عصرنا الحاضر إلى يوم القيامة ؛ فكما تعاهد كفار قريش على ترك الاستماع إلى القرآن فأعرضوا عنه ؛ نجد أن هذا **هو حال بعض المسلمين اليوم مع القرآن وللأسف الشديد .. البعد عن كتاب الله وهجره بأنواعه** – كما سأذكرها لاحقاً – ؛ فقد انشغلوا عنه بملهيات ومفاتن العصر وهجروه فلم يتلوه ؛ وإن تلوه لم

---

(١) سورة فصلت : ٢٦ .
(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٩ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣١٨ .
(٤) نظم الدرر : ٥ / ٣١٣ ، ٣١٤ .

يتدبروه ... وغير ذلك من واقع أمة الإسلام المرير حين شغلتهم التوافه عن عظائم الأمور ؛ وانساقوا وراء شهواتهم فصرفوا ثمين أوقاتهم فيما لا يعود عليهم إلا بالوبال والخسران ؛ و لم يُولُوا كتاب الله العظيم .. النور الذي أنزله الله هداية ورشادا للناس .. الهدى الذي تتحقق به سعادتهم في الدنيا والآخرة جلَّ اهتمامهم ؛ وعميق تدبرهم (اللَّهُم رُدَّ المسلمين إليك مردّاً جميلا) .

❖ ولا مانع أن يكون ﴿ مَهْجُورًا ﴾ من الهُجْر – بضم الهاء – بمعنى الهذيان ؛ وقد **ذكر جماعة من المفسرين القولين ولم يرجحوا بينهما** ؛ منهم : الثعلبي ، والفخر الرازي ، والبيضاوي [١] . **واحتمل** ابن عطية ، والثعالبي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٢] القولين .

قال **محمَّد سيِّد طنطاوي** :

" أى : متروكاً ؛ فقد تركوا تصديقه ، وتركوا العمل به ، وتركوا التأثر بوعيده . من الهَجْر – بفتح الهاء – بمعنى الترك ، أو المعنى : قد اتخذوا هذا القرآن مادة لسخريتهم وتهكمهم ، من الهُجْر – بضم الهاء – بمعنى الهذيان والقول الباطل " . اهـ [٣] .

✍ **وفي الآية وقفات** :

✓ " الآية فيها تنبيه للمؤمنين على ملازمة المصحف ، وأن لا يكون الغبار يعلوه في البيوت ويشتغل بغيره " [٤] .

✓ " الآية فيها من التحذير والتخويف ما لا يخفى ؛ فإن الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – إذا شكوا إلى الله تعالى قولهم عجل لهم العذاب و لم ينظروا " [٥] .

✓ **حكم هَجْر المصحف** : استدل **ابن الفرس** [٦] بالآية على كراهة هجر المصحف وعدم

---

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٣٢ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٦٧ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢١٥ ٢١٦ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٠٩ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٠٨ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) الوسيط : ١٠ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٠٩ .

(٥) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢١٥ .

(٦) **ابن الفرس** هو : عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ، أبو عبد الله المعروف بـ (ابن الفرس) : قاض قاض أندلسي مالكي ، من علماء غرناطة ، له تآليف ، منها : (كتاب أحكام القرآن – مخطوط) ، وتوفي في

وعدم تعاهده بالقراءة [١] ؛ ويكون الهجر بالإعراض عن المصحف وعدم القراءة ، وكلما طالت المدة كلما تحقق الهَجْر ، هذا و لم أطلع على أقوال لأحد من أهل العلم قد حدَّ الهجر بأيَّام معدودة .

لكن قد وردت روايات عن بعض أهل العلم في أكثر مدة يختم فيها القرآن :

- " روى **الحسن بن زياد** عن **الإمام أبي حنيفة** [٢] أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقَّه ؛ لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السُّنة التي قبض فيها مرتين .
- وقال **أبو الليث** [٣] في البستان : ينبغي للقارئ أن يختم في السُّنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة " [٤].
- ونصَّ **الإمام أحمد** [٥] على كراهة تأخير ختم القرآن أكثر من أربعين يوماً بلا عذر [٦] ،

إلبيرة سنة ٥٩٩ هـ ، وقيل : ٥٩٧ هـ . ينظر : التكملة لكتاب الصلة للقضاعي : ٣ / ١٢٧ ، تاريخ الإسلام للذهبي : ٤٢ / ٣٠٦ ، بغية الوعاة : ٢ / ١١٦ .

(١) قاله الآلوسي في روح المعاني ، ثم قال رحمه الله : " وأورد بعضهم في ذلك خبراً وهو : « **من تعلم القرآن وعلق مصحفه ، لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول : يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه** » . وقد تعقب هذا الخبر العراقي فقال : " روي عن أبي هدية وهو كذاب . والحق : أنه متى كان ذلك مخلاً باحترام القرآن والاعتناء به كره بل حرم وإلاَّ فلا " . اهـ . والحديث رواه الثعلبي ؛ وذكره جماعة من المفسرين عند تفسير هذه الآية . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٣٢ ، روح المعاني : ١٩ / ١٤ .

(٢) **أبو حنيفة** هو : الإمام النعمان بن ثابت التيمي مولاهم ، أبو حنيفة ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنة والجماعة ، ت سنة ١٥٠هـ . ينظر : وفيات الأعيان : ٥ / ٤٠٥ ، السِّير : ٦ / ٣٩٠ ، تهذيب التهذيب : ١٠ / ٤٠١ .

والحسن بن زياد هو : الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، أبو علي : قاض ، فقيه ، من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأي ، ولي القضاء بالكوفة سنة ١٩٤ هـ ، ثم استعفى ، وعلماء الحديث يطعنون في روايته . ت سنة ٢٠٤ هـ . ينظر : الكامل في ضعفاء الرجال : ٢ / ٣١٨ ، ٣١٩ ، ميزان الاعتدال : ٢ / ٢٣٩ ، لسان الميزان : ٢ / ٢٠٨ .

(٣) أبو الليث هو : نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي سبق ترجمته ، وهو صاحب بستان العارفين .

(٤) ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٢٧٨ .

(٥) ينظر : المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأبي محمد ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) : ١ / ٤٥٩ .

(٦) ينظر : الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ) : ٢ / ٢٧٩ ، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات لمحمد عبد السلام خضر الشقيري : ٢٠٩ ، برهان الزَّركشي : ١ / ٤٧١ ، إتقان السيوطي : ١ / ٢٧٨ ، شرح سنن ابن ماجه للسيوطي : ١ / ٩٦ ، فتح المعين بشرح قرة العين لزين الدين بن عبد العزيز المليباري (ت ٩٢٨ هـ) : ٢ / ٢٥٢ .

لأن عبد اللَّهِ بن عَمْرو ﷺ « سَأَلَ النبي ﷺ في كَمْ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ ؟ قال : في أَرْبَعِينَ يَوْمًا . ثُمَّ قال : في شَهْرٍ . ثُمَّ قال : في عِشْرِينَ . ثُمَّ قال : في خَمْسَ عَشْرَةَ . ثُمَّ قال : في عَشْرٍ . ثُمَّ قال : في سَبْعٍ ؛لم يَنْزِلْ من سَبْعٍ » (١) .

" وقد كانت للسلف عادات مختلفة فيما يقرؤون كل يوم بحسب أحوالهم وأفهامهم ووظائفهم ؛ فكان بعضهم يختم القرآن في كل شهر ، وبعضهم في عشرين يوما ، وبعضهم في عشرة أيام ، وبعضهم أو أكثرهم في سبعة ، وكثير منهم في ثلاثة ، وكثير في يوم وليلة وبعضهم في كل ليلة ، وبعضهم في اليوم والليلة ثلاث ختمات ، وبعضهم ثمان ختمات ، **والمختار** : أنه يستكثر منه ما يمكنه الدوام عليه ، ولا يعتاد إلا ما يغلب على ظنه الدوام عليه في حال نشاطه وغيره ؛ هذا إذا لم تكن له وظائف عامة أو خاصة يتعطل بإكثار القرآن عنها ؛ فإن كانت له وظيفة عامة ؛ كولاية وتعليم ونحو ذلك ؛ فليوظف لنفسه قراءة يمكنه المحافظة عليها مع نشاطه وغيره من غير إخلال بشيء من كمال تلك الوظيفة ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف " (٢) .

✍ **أنواع هجر القرآن :**

" أحدها : **هجر سماعه** والإيمان به والإصغاء إليه .

والثاني : **هجر العمل به** والوقوف عند حلاله وحرامه ؛ وإن قرأه وآمن به .

والثالث : **هجر تحكيمه والتحاكم إليه** في أصول الدين وفروعه ، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم .

والرابع : **هجر تدبره وتفهمه** ؛ ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

والخامس : **هجر الاستشفاء والتداوي به** في جميع أمراض القلب وأدوائها ؛ فيطلب شفاء دائه من غيره ، ويهجر التداوي به . وكل هذا داخل في قوله :

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه في كتاب الصلاة ،بَاب تَحْزِيبِ الْقُرْآن (١٣٩٥) : ٢ / ٥٦ . **وصحَّحه** الألباني .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب ، محمد شمس الحق العظيم آبادي (ت ١٣٢٩ هـ) : ٤ / ١٨٦ . وينظر قبله : التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا ،يحيى بن شرف الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) : ٣٢ .

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ وإن كان بعض الهجر أهون من بعض " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) الفوائد لابن القيم : ٨٢ .

قوله تعالى : ﴿ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [آية : 49] .

مسألة : في قوله : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ هل هي جمع إِنْسْيّ ، أو جمع إنسان :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ جمع إِنْسْيّ ، فقال : ((﴿ وَأَنَاسِيَّ ﴾ قيل : جمع إِنْسْيّ ، وقيل : جمع إنسان ، **والأوَّل أصحُّ**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **قوله : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ هل هي جمع إِنْسْيّ ، أو جمع إنسان** على قولين :

القول الأوَّل : قوله : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ **جمع إِنْسْيّ** ، وهو قول **الفرَّاء** ، **والأخفش** ، **والمُبَرَّد** ، **والزَّجَّاج** [٢] ، **وجماعة من أهل اللغة** [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

قال ابن سيده : " والإِنْسْيُّ مَنْسُوب إلى الإِنْسِ ؛ كقولك : جِنِّيٌّ وجِنٌّ ، وسِنْدِيٌّ وسِنْدٌ والجمع : أَنَاسِيُّ ؛ كَكُرْسِيٍّ وكَرَاسِيّ " . اهـ [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / 80 .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٣٢ ، معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٤٣ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٧١ . ونسب هذا القول إلى المُبَرِّد أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ / ٢١٣) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٤٥) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣١) وغيرهم . - ولم أقف على قول المبرد في كتبه في حدود ما اطلعت - .

(٣) منهم : ابن سيده في المحكم (مادة : أنس) : ٨ / ٥٥٣ ، والرَّاغب في مفرداته (مادة : إنس) : ٢٨ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : إنس) : ٦ / ١٢ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : أنس) : ١٥ / ٤٠٩ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٠ .

(٥) منهم : ابن أبي زمنين (٣ / ٢٣٦) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ١٤٩) ، والواحدي (٢ / ٧٨١) ، والسمعاني (٤ / ٢٤) ، والبغوي (٣ / ٣٧٢) ، والخازن (٥ / ١٠٤) .

(٦) المحكم لابن سيده (مادة : أنس) : ٨ / ٥٥٣ .

والياء في ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ ليست للنسب ، ولو كانت ياؤه نَسب لَجُمع على (أَنَاسِيَةٍ) كما قالوا : صيرفي وصيارفة [١].

✘ وتُعُقِّب :

" بأن فيه نظر ، لأن (فَعَالِيّ) إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشدَّدة لا تدل على نسب ؛ نحو : كرسيّ وكراسيّ ، فلو أريد بـــ (كرسيّ) النسب لم يجز جمعه على كراسيّ ، ويبعد أن يقال : إن الياء في (إنْسِيّ) ليست للنسب ، وكان حقه أن يجمع على (أناسية) نحو : (مهالبة) في المهلبي ، و (أزارقة) في الأزرقي " . اهـــ [٢] .

القول الثاني : قوله : ﴿ وَأَنَاسِيَّ ﴾ **جمع إنسان** في مذهب **سيبويه** [٣] ؛ وقاله **جماعة من أهل اللغة** [٤] ، ومن **المفسرين** [٥] .

والأصلُ : إنسان وأَناسين ، فَأُبْدِلَتِ النونُ ياءً وأُدْغم فيها الياءُ قبلَها ، نحوَ : ظِرْبانِ وظَرابِيّ .

قال الفرَّاء : " وإن شئت جَعلته إنساناً ثم جَمَعته (أناسىّ) فتكون اليَاء عوضاً من النون والإنسان فى الأصْل (إنْسِيَان) لأن العرب تصغّره (أُنيسيان) . وإذا قالوا : أناسِين فهو بيِّن مثل : بُستانٍ وبَساتِينَ ، وإذا قالوا (أناسىَ كثيراً) فخففّوا اليَاء أسقطوا اليَاء التى تكون فيمَا بَيْنَ عين الفعل ولامه مثل قراقِير وقراقر ، ويبيّن جواز أناسَى بالتخفيف [٦] قول قول العرب : (أناسِيَةٌ كثيرة) ولم نَسْمعه فى القراءة " . اهـــ [٧] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٤٩ .

(٢) الدر المصون : ٥ / ٢٥٧ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٤٦ . وينظر قبلهما : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢١٣ .

(٣) ينظر : كتاب سيبويه : ٣ / ٦٢١ .

(٤) منهم : الفراهيدي في العين (مادة : نسي) (٧ / ٣٠٤) ، وجوَّزه الزجاج في معانيه (٤ / ٧١) ، والعكبري في النبيان في إعراب القرآن (٢ / ٩٨٨) ، وابن هشام في أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك (٤ / ٣٢٢) .

(٥) منهم : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١٤٠) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٢٥٧) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٤٥) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ٢٠٦) .

(٦) قرأ يحيى بن الحارث في الشاذ : (أناسي) بالتخفيف بحذف ياء (أفاعيل) ؛ كأناعم في أناعيم . أورد هذه القراءة غير واحد من المفسرين . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢١٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٤ .

(٧) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٣٢ . وحجَّة الفراء هذه ذكرها : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : أنس) : ١٣ /

✖ **وتُعُقِّب بأنه :**

" لا قياس يسعده في ذلك ، ولو جاز هذا لجاز في جمع (سرحان) : سراحي ، وذلك لا يقال " [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ فقوله : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ هي :**

✓ **جمع إِنْسِيّ لكَــ (كُرْسِيٍّ وكَرَاسِيّ) .**

✓ **أو جمع إنسان ؛ أُبْدِلَتِ النونُ ياءً وأُدْغم فيها الياءُ قبلَها نحوَ : ظِرْبانٍ وظَرابِيّ .**

✓ **يدل على ذلك ما يلي :**

أولاً : كلُّ قولٍ قال به جماعة من أئمة اللغة ، وجماعة من المفسرين .

ثانياً : احتمل القولين : **السجستاني** [٢] ، والأزهري [٣] ، **وابن الهائم المصري** [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

/ ٦١ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : إنس) : ٦ / ١١ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : أنس) : = = ١٥ / ٤٠٩ .

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٥٢٣ .

(٢) ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٧١ .

والسجستاني هو : محمد بن عزيز السجستاني ، أبو بكر ، المعروف بالعزيزي ، كان أديباً فاضلاً متواضعاً عالماً ، وكتابه في الغريب من أجود ما صنف في بابه ، ت سنة ٣٣٠ هـــ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : ٤٢٥ بغية الوعاة : ١ / ١٧١ ، هدية العارفين : ٦ / ٣٦ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : أنس) : ١٣ / ٦١ .

(٤) ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم : ٣١٦ ، ٣١٧ .

وابن الهائم هو : أحمد بن محمد بن عماد بن علي القرافي ، أبو العباس ، المعروف بابن الهائم المصري ، كان إماما عالماً في الفقه والعربية والفرائض ، ألف تآليف عديدة مفيدة ، ت سنة ٨١٥ هـــ . ينظر : طبقات المفسرين للداووي : ٣١١ ، ٣١٢ ، شذرات الذهب : ٧ / ١٠٩ ، الأعلام : ١ / ٢٢٦ .

(٥) في تفاسيرهم ، منهم : الطبري (١٩ / ٢١ ، ٢٢) ، والنحاس في معانيه (٥ / ٣٥) وفي إعرابه (٣ / ١٦٣) والزمخشري (٣ / ٢٩٠) ، وابن عطية (٤ / ٢١٣) ، وابن الجوزي (٦ / ٩٤) ، والقرطبي (١٣ / ٥٦) والبيضاوي (٤ / ٢٢٣) ، والنسفي (٣ / ١٧٢) ، والنيسابوري (٥ / ٢٤٥) ، وأبو حيان (٦ / ٤٦٣) والثعالبي (٤ / ٢١٢) ، والجلالين (٤٧٦) ، وأبو السعود (٦ / ٢٢٤) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٢٥) ،

✌ وإن كان **الأصحُّ** أن يكون ﴿ **أَنَاسِيَّ** ﴾ **جمع** إِنْسِيّ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، وذلك كما قال **أبو حيان** :

" ولو ذهب ذاهب إلى أن الياء في ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ ليست بدلاً ، وأن ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ جمع إِنْسِيّ و (أناسين) جمع إنسان **لذهب إلى قول حسن ، واستراح من دعوى البدل** ؛ إذ العرب تقول : (إِنْسِيّ) في معنى إنسان ؛ كما قالوا : بُخْتِيٌّ وقَمَرِيٌّ ، وبَخاتِيٌّ وقَمَارِيٌّ . وكأنه يشير إلى تناسى النسب في ذلك كما يعلم من قوله في معنى إنسان " اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

والشوكاني (٤ / ٨١) ، والآلوسي (١٩ / ٣١) .

(١) نسبه إليه محمد بن علي الصبان في حاشيته على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ت ١٢٠٦ هـ) : ٤ / ١٦١٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ . [آية : ٥٠] .

مسألة : في عود الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ للقرآن ، فقال : ((﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ الضمير للقرآن ، وقيل : للمطر ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **عود الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : الضَّمير **للمطر** ، وهو **المشهور** [٢] عن **ابن عباس** رضي الله عنه [٣] ، وكذا قال عبد الله بن مسعود [٤] رضي الله عنه ، وقاله عكرمة [٥] ، ومجاهد [٦] ، وقتادة [٧] وغيرهم ، وذهب إليه مقاتل [٨] ، والطَّبري [٩] ، والزجَّاج [١٠] ، وذهب إليه **جمهور** [١١] المفسرين [١٢] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٠ .

(٢) قاله الآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٢) .

(٣) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٢) . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠٤ ، الدر المنثور : ٦ / ٢٦٤ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٢) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٠٦) .

(٦) نسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢١٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى سند ، وابن جرير (١٩ / ٢٢) ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٠٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى عبد بن حميد .

(٨) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٣٩ .

(٩) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٢٢ .

(١٠) ينظر معانيه : ٤ / ٧١ .

(١١) نسب هذا القول إلى الجمهور : السمعاني في تفسيره (٤ / ٢٥) ؛ والفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٨٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٤٦) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٢٦) .

(١٢) منهم : النحاس في معانيه (٥ / ٣٥) ، والسمر قندي (٢ / ٥٤١) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٦٣) ، والثعلبي (٧ / ١٤٠) ، والواحدي (٢ / ٧٨١) ، والسمعاني (٤ / ٢٥) ، والبغوي (٣ / ٣٧٢) =

قال **ابن عباس** ﷺ : ما من عام بأ كثر مطراً من عام ؛ ولكنَّ الله يصرفه بين عباده ، وقرأ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ لِيَذَّكَّرُواْ ﴾ (٢) ، أي : صرفناه بينهم لأجل أن يتذكّروا ، أي : يتذكّر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر نعمة اللَّه عليهم ، فيشكروا له ، ويتذكّر الذين أجدبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء ، فيبادروا بالتوبة إلى اللَّه ﷻ ليرحمهم ويسقيهم .

وكفرانهم في قوله تعالى : ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ هو أنهم إذا أمطروا ، **يقولون : مطرنا بنوء كذا ، قاله عكرمة** عن **ابن عباس** (٣) ﷺ .

قال **النحاس** :

" لا يعلم بين أهل التفسير اختلافاً أن الكفر ههنا قولهم : مُطرنا بنوء كذا " (٤) .

وقيل : ﴿ كُفُورًا ﴾ على الإطلاق لما تركوا التذكر (٥) .

= وابن الجوزي في الزاد (٦ / ٩٥) ، وقال الفخر الرازي (٢٤ / ٨٦) : **وهو أقرب** ، والخازن (٥ / ١٠٤) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٣٢٢) غيره ، والجلالين (٤٧٦) ، وقدَّم الخطيب الشربيني قول الجمهور في السراج (٣ / ٢٦) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣١) ، **ورجَّحه** الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ٦٢ ، ٦٣) ، ولم يذكر ابن عاشور (١٩ / ٤٩) غيره ، وقال محمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٠٨) : **هو الأقرب إلى الصواب** .

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير (١٩ / ٢٢) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٠٦) ، والحاكم و**صحَّحه** في مستدركه (من تفسير سورة الفرقان (٣٥٢٠) : ٢ / ٤٣٧) ، والبيهقي في سننه (في كتاب صلاة الاستسقاء ، باب كثرة الماء وقلته (٦٢٧٥) : ٣ / ٣٦٣) . **وصحَّحه الألباني** في السلسلة الصحيحة .

(٢) هذه قراءة الجمهور بالتشديد ؛ أرادوا ليتذكروا فأدغموا التاء في الذال ، والمعنى : ليتعظوا ، وقرأ حمزة والكسائي (ليذْكروا) ساكنة الذال ، من : ذكر ، يذكر ؛ أي : ليذكروا نعم الله عليهم . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة : ٥١١ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٤) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٢) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٠٧) .

(٤) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٦٣ .

(٥) حكاه أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) .

واستدل له :

بأنه في معنى قوله تعالى في سورة الواقعة : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [١] .

فقوله : ﴿ رِزْقَكُمْ ﴾ أي : المطر ؛ كما قال تعالى : ﴿ ... وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ... ﴾ [٢] . وقوله : ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي : بقولكم : مُطرنا بنوء كذا [٣] .

ويزيد هذا إيضاحاً الحديث الثابت في صحيحي البخاري ومسلم :

عن زَيْدِ بن خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال : « صلى لنا رسول اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ على إِثْرِ سَمَاءٍ كانت من اللَّيْلَةِ ؛ فلما انْصَرَفَ النبي ﷺ أَقْبَلَ على الناس ، فقال : هل تَدْرُونَ مَاذَا قال رَبُّكُمْ ؟ قالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : أَصْبَحَ من عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ؛ فَأَمَّا من قال : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا من قال : بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » [٤] . [٥]

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ** [٦] هذا القول .

القول الثاني : الضمير **للقرآن** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [٧] ، وروي عن **عطاء الخراساني** [٨] [٨] ، وصدَّر به القرطبي [٩] ؛ وصدَّر به الزمخشري [١٠] بما يقرب منه ، **وهو ما رجَّحه ابن**

---

(١) سورة الواقعة : ٨٢ .

(٢) سورة غافر : ١٣ .

(٣) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٢٥ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٦٣ .

(٤) أخرج البخاري – واللفظ له – في كتاب الاستسقاء ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال ابن عَبَّاسٍ ﷺ : شُكْرَكُمْ : (٩٩١) : ١ / ٣٥١ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، بَاب بَيَانِ كُفْرِ من قال مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ (٧١) : ١ / ٨٣ .

(٥) ينظر : تفسير الخازن : ٥ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٢٢ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٦٣ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٠ .

(٧) نسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢١٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٢٦) .

(٨) سيأتي تخريج الأثر عنه لاحقاً .

(٩) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٥٧ .

(١٠) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٩١ .

ابن جُزيّ [(١)] ، وقاله **جماعة** [(٢)] من المفسرين [(٣)] .

قال **الزمخشري** :

" يريد : ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن ، وفي سائر الكتب والصُّحف التي أنزلت على الرسل - عليهم السلام - ، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ، ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا ﴿ فَأَبَىٰٓ ﴾ أكثرهم إلاّ كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها " . اهـــ [(٤)] .

وقال **البقاعي** :

" وطرقناه طرقاً تعيي أرباب اللسان ، في معان كثيرة جداً ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ في كل قطر عند كل قوم ﴿ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾ بالآيات المسموعة ما ركزنا في فطرهم من الأدلة العقلية والمؤيدة بالآيات المرئية ولو على أدنى وجوه التذكر المنجية لهم ... ولما كان القرآن قائداً ولا بد لمن أنصف إلى الإيمان ، دل على أن المتخلف عنه إنما هو معاند بقوله : ﴿ فَأَبَىٰٓ ﴾ أي : لم يرد ﴿ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ أي : بعنادهم ﴿ إِلَّا كُفُورًا ﴾ مصدر كفر مبالغاً فيه " . اهـــ [(٥)] .

واستدل له : بأنه وإن كان لم يتقدم له ذكر لوضوح الأمر ، فقد **جرى ذكر القرآن** في :

- أوَّل السورة حيث قال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ... ﴾ [(٦)] .
- وقوله : ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِى ... ﴾ [(٧)] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٠ .
(٢) نسب هذا القول إلى الجمهور : النيسابوري في غرائب القرآن (٥ / ٢٤٦) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ٨١) . **وأرى الجمهور مع القول الأوَّل** .
(٣) ومنهم : الماوردي في النكت (٤ / ١٤٩) وقدَّمه ، وقدَّمه النيسابوري (٥ / ٢٤٦) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٢٦) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢١٢) ، **واستظهره** أبو السعود (٦ / ٢٢٤) ، ولم يذكر = = القاسمي (١٢ / ٢٦٦) ولا وسيد قطب (٥ / ٢٥٧٠) غيره .
(٤) الكشاف : ٣ / ٢٩١ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٤ .
(٥) نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٣٢٦ .
(٦) سورة الفرقان : ١ .
(٧) سورة الفرقان : ٢٩ .

- وقوله : ﴿ ... ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [١] . [٢]

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز القولين ، وأن الهاءَ في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ يجوز أن تعودَ على القرآن ، وأن تعودَ على المطر ؛ كما قال السمين الحلبي في الدر** [٣] **، وذكر القولين ولم يرجح جماعة من المفسرين** [٤] ، فلكلِّ قولٍ أدلَّته :

✓ **أدلة القول الأوَّل :**

أولاً : هذا القول هو **المأثور** عن جمع من الصَّحابة والتابعين **، وهو قول جمهور المفسرين** .

ثانياً : سياق الحديث عن المطر النازل من السماء بقدرة الله تعالى ؛ فالمطر **أقرب مذكور** ؛ وذلك في قوله تعالى في الآية قبلها : ﴿ ... وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [٥] . [٦]

ثالثاً : من اللغة : ذكر **أهل اللغة** [٧] أنَّ التصريف في الرِّياحِ : تَحْويلُها من وَجْهٍ إلى وَجْهٍ ومن حالٍ إلى حالٍ ، وكذلك تَصْرِيفُ السُّيُولِ والخُيُولِ والأُمورِ والآياتِ .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجَّة على من بعدهم .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه** [٨] .

---

(١) سورة الفرقان : ٣٠ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٥٧ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢١٢ .

(٣) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٥٨ .

(٤) منهم : ابن عطية (٤ / ٢١٣) ، والبيضاوي (٤ / ٢٢٣) ، والنسفي (٣ / ١٧٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٤٦) ، والشوكاني (٤ / ٨١) .

(٥) سورة الفرقان : 48 .

(٦) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢٤ / ٨٦ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٢٠٧ .

(٧) منهم : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : صرف) : ١٢ / ١١٤ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : صرف) : ٩ / ١٨٩ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : صرف) : ٢٤ / ٢٠ .

(٨) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ ، ٢٩٩ ، ٦٢١ .

✓ **أدلة القول الثاني :**

أولاً : من اللغة : ذكر **أهل اللغة** [١] أن تَصْريفُ الآياتِ : تَبْيينُها ، ومنه ؛ قوْلُه تَعالَى : ﴿ ... وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَـٰتِ ... ﴾ [٢] .

ثانياً : دلالة السِّياق القرآني والقرينة القرآنية :

يؤيد هذا القول ما بعده من الآيات [٣] .

وقد سئل عطاء الخراساني عن الآية فقال : **القرآن** ، ألا ترى إلى قوله فيها : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ **وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ** جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [٤] . [٥]

قال **ابن عباس** ﷺ في قوله : ﴿ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ قال : **بالقرآن** [٦] .

ثالثاً : لتوافق الضمائر [٧] في سياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها .

رابعاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها .**
- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٨] .

✌ **وإن كنت أميل إلى القول بأن الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾ يعود على القرآن ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛** لما يلي :

---

(١) منهم : الأزهري في تهذيب اللغة (مادة : صرف) : ١٢ / ١١٤ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : صرف) : ٩ / ١٨٩ ، والزبيدي في تاج العروس (مادة : صرف) : ٢٤ / ٢٠ .

(٢) سورة الأحقاف : ٢٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٣٢٦ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢١٢ .

(٤) سورة الفرقان : ٥١ ، ٥٢ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٥) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٠٧) .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٥) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٠٧) .

(٧) قاله أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٣) .

(٨) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٢ / ٦١٣ .

أولاً : إن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل لخلافه ؛ وهنا **جاء دليل بخلافه** ؛ وهو قول ابن عباس ﷺ مفسِّراً لقوله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ ﴾ بأنه **القرآن** ؛ ولم يأت ذكر للقرآن قبل هذه الآية أيضاً .

ثانياً : إن القول بأن الضمير في قوله تعالى : ﴿ **صَرَّفۡنَٰهُ** ﴾ يعود إلى القرآن يحكيه **السِّياق العام للسورة والسِّياق القريب** أيضاً ؛ ولننظر إلى تسلسل الآيات قبلها وبعدها :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا **ٱلۡقُرۡءَانَ** مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ **ٱلۡقُرۡءَانُ** جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ . [سورة الفرقان : ٣٠ – ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ **صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ** لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ **وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ** جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ . [سورة الفرقان : 50 – ٥٢] .

ثانياً : إن **القرآن العظيم** وما فيه من تصريف الآيات و تَبْيينها ، هو الذي **يحصل به التذكر والاتعاظ** ؛ **ولا يقارن** بالاتعاظ الحاصل بتصريف الماء وتحويله من جهة إلى جهة ، أو من حال إلى حال ، كما أن نظير هذه الآية التي معنا جاء فيه ذكر التصريف مصرحاً به في القرآن الكريم وذلك في :

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ **صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ** وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴾ . [سورة الإسراء : ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ **صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ** مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ . [سورة الإسراء : ٨٩] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ . [آية : ٥٧] .

مسألة: في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ ونوع الاستثناء فيها :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ استثناء منقطع ، و معنى الآية : إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ، فقال :

((﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ معناه : إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ؛ فالاستثناء منقطع . وقيل : المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة ؛ فالاستثناء على هذا متصل ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الأجْر في اللغة [٢] : هو الجزاء على العمل .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ ونوع الاستثناء فيها** على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالتقرب إليه وعبادته ؛ فالاستثناء منقطع ، وهو ما رجّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٠ .

(٢) ينظر (مادة : أجر) في : المحكم لابن سيده : ٧ / ٤٨٤ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ١٠ ، تاج العروس للزبيدي : ١٠ / ٢٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٠ .

(٤) نسب هذا القول إلى الجمهور : أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٥) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٧) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في تفسيره (١٠ / ٢١٢) .

(٥) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٤٢) و لم يذكر غيره ، و لم يذكر ابن أبي زمنين (٣ / ٢٦٥) ، ولا السمعاني (٤ / ٢٧) غيره أيضاً ، **واستظهره** ابن عطية (٤ / ٢١٥) ، **واستظهره** أبو حيان (٦ / ٤٦٥) ، والسمين =

قاله قتادة [١] ومقاتل [٢] : قوله : ﴿ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ : أي بطاعة الله .

قال **أبو عبيدة** في مجازه :

" والعرب قد تستثني الشيء من الشيء وليس منه على الاختصار ، وفيه ضمير تقديره : قل ما أسألكم عليه من أجر إلا أنه من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليتخذه ، قال **أبو خراش** :

نَجَا سَالِمٌ والنَّفْسُ مِنْهُ بِشدقهِ ولَمْ يَنْجُ إلاَّ جَفْنَ سَيْفٍ ومِئزَرا

فاستثنى الجَفن والمئزر وليسا من سالم ؛ إنما هو على الاختصار " اهـ [٣] .

وقال **الأخفش** (وبمثله قال **العكبري**) :

" ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ﴾ استثناءٌ خارجٌ من أَوَّلِ الكَلاَمِ على معنى : (لكنّ) " [٤] .

✓ **والمعنى** : لكن مسؤولي ومطلوبي من شاء أن يهتدي ويؤمن ، ويتخذ إلى رحمة ربه طريق نجاة [٥] .

❖ قال **الطبري** [٦] وجماعة من المفسرين [١] : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالإنفاق

= الحلبي في الدر المصون (٥ / ٢٥٩) ، وابن كثير (٣ / ٣٢٤) ، **واستظهره** الثعالبي (٤ / ٢١٣) ، والشوكاني (٤ / ٨٣) ، والقاسمي (١٢ / ٢٦٨) ، وسيد قطب (٥ / ٢٥٧٥) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في تفسيره (١٠ / ٢١٢) . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٤٤٢ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧١٣) ، ونسبه إليه النحاس في معانيه (٥ / ٤١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٧) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٤٠ .

(٣) ينظر مجازه : ٢ / ٧٨ .

وأبو خراش هو : خويلد بن مرة ، من بني هذيل ، من مضر : شاعر مخضرم ، وفارس فاتك مشهور ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم وهو شيخ كبير ، وعاش إلى زمن عمر ﷺ وله معه أخبار . نهشته أفعى فقتلته نحو سنة ١٥ هـ . ينظر : الاستيعاب : ٤ / ١٦٣٦ ، أسد الغابة : ٦ / ٩٢ ، ٩٣ ، الإصابة : ٢ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٤) معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٤٢ . وينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ٩٨٨ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢١٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢١٣ .

(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٢٧ .

من ماله في سبيله فعل ذلك .

✓ **والمعنى** : لا أسألكم لنفسي أجراً ، ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته .

❖ **فجعل الإنفاق أجراً** . وقال بعضهم [٢] : **هذا استثناء منقطع** .

✖ **وتعقَّبه ابن عطية** : بأن الاستثناء على هذا كالمتصل ، وكأنه قال : إلا أجر من شاء .. .

القول الثاني : المعنى : **أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالطاعة ، وصور ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصود الحصول ؛ فالاستثناء متصل** ، ذهب إليه **الزمخشري** [٣] ، وجوَّزه القرطبي [٤] ، وقاله جماعة من المفسرين [٥] .

والاستثناء متصل على حذف مضاف تقديره : إلاّ أجر من اتخذ إلى ربه سبيلاً؛ أي : إلاّ أجر من آمن ؛ أي : الأجر الحاصل لي على دعائه إلى الإيمان وقبوله ، لأنه تعالى يأجرني على ذلك .

واستدل له من كلام العرب : كالاستثناء في قول ابن معصوم [٦] :

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ نزيلَهم ... يُخَيَّرُ فيما عندَهم ويُحكَّمُ

قال **الزمخشري** : " ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ﴾ المراد : إلاّ فعل من شاء ، واستثنائه عن الأجر قول

---

(١) منهم : الثعلبي وحكاه في تفسيره (٧ / ١٤٢) ، والواحدي (٢ / ٧٨٢) ، وابن الجوزي (٦ / ٩٨) ، والبغوي (٣ / ٣٧٤) ، والقرطبي (١٣ / ٦٢) ، والخازن (٥ / ١٠٦) ، وابن عادل (١٤ / ٥٥٤) ، والجلالين (٤٧٧) ، والسعدي (٥٨٥) .

(٢) قاله البغوي ، وابن عادل . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٧٤ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٥٤ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٩٣ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٦٢ .

(٥) منهم : البيضاوي (٤ / ٢٢٥) ، والنسفي (٣ / ١٧٤) ، وأبو السعود (٦ / ٢٢٦) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٢٨) ، والآلوسي (١٩ / ٣٧) .

(٦) ينظر : ديوان ابن معصوم المدني : ٣٤٧ .

وابن معْصُوم هو : علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني ، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشهير بابن مَعْصُوم . ت سنة ١١١٩ هـ ، وقيل : سنة ١١١٧ هـ . ينظر : البدر الطالع : ١ / ٩٨ ، ٩٩ ، هدية العارفين : ٥ / ٧٦٣ ، الأعلام : ٤ / ٢٥٨ .

ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال : (ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلاّ أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه) . فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ، ولكن صوّره هو بصورة الثواب وسماه باسمه ، فأفاد فائدتين :

- إحداهما : قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله ، كأنه يقول لك : إن كان حفظك لمالك ثواباً فإني أطلب الثواب .
- والثانية : إظهار الشفقة البالغة وأنك إن حفظت مالك : اعتدّ بحفظك ثواباً ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب .

ولعمري إنّ رسول الله ﷺ كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه .

ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلاً : تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة . وقيل : المراد التقرّب بالصدقة والنفقة في سبيل الله " . اهـ [1] .

✍ **قال القاسمي : " والاستثناء على هذا متصل ادعاء "** [2] .

✖ **وتعقَّب السمين الحلبي هذا القول بأن فيه نظر** ؛ فقال :

" لأنه لم يسند السؤال المنفي في الظاهر إلى الله تعالى إنما أسنده إلى المخاطبين ؛ فكيف يصحُّ هذا التقدير ؟ " [3] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **تقارب المعنى في القولين ؛ كما ذكر الفخر الرازي في تفسيره** [4] **، وأن معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ :**

---

(١) الكشاف : ٣ / ٢٩٣ . وينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٢٥ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٧٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٦ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٣٧ .

(٢) تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٦٨ . وينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٣٧ .

(٣) الدر المصون : ٥ / ٢٥٩ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٨٩ . وذكر الأقوال النيسابوري في تفسيره (٥ / ٢٥١) ولم يرجح .

✓ إلا أجر من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ؛ على **حذف مضاف مقدر** ، أي **الاستثناء متصل** ؛ وهو ما قاله أصحاب **القول الثاني** .

✓ **وقد يسمُّونه استثناءً منقطعاً ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين .**

✌ **وسواء أكان الاستثناء متصلاً أو منقطعا فإن معنى الآية لم يختلف ؛ وهو مجرد اختلاف لفظي لا يترتب عليه شيْ .**

وهذا الاستثناء أورده علماء البديع في باب (تأكيد المدح بما يشبه الذم) [١] ، وقد بيَّنه **ابن عاشور** بقوله :

" والاستثناء تأكيد لنفي أن يكون يسألهم أجراً ؛ لأنه استثناء من أحوال عامة محذوف ﴿ مَآ ﴾ يدل عليها لقصد التعميم ، والاستثناء معيار العموم ؛ فلذلك كثر في كلام العرب أن يجعل تأكيد الفعلِ في صورة الاستثناء ، ويسمَّى : (**تأكيد المدح بما يشبه الذم**) ، وبعبارة أتقن : تأكيدَ الشيء بما يشبه ضده ، وهو مرتبتان :

- منه ما هو تأكيد محض ، وهو ما كان **المستثنى فيه منقطعاً عن المستثنى منه أصلاً** كقول النابغة الذبياني :

ولا عَيبَ فيهِمْ غيرَ أنّ سُيُوفَهُمْ بهنّ فلولٌ منْ قراعِ الكتائبِ [٢]

فإن فلول سيوفهم ليس من جنس العيب فيهم بحال .

- ومنه مرتبة ما هو تأكيد في الجملة وهو ما المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه ؛ لكنه قريب منه بالمشابهة لم يطلق عليه اسم المشبه به بما تضمنه الاستثناء كما في قوله : ﴿ ... قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ... ﴾ [٣] ، ألا ترى أنه نفى أن يكون يسألهم أجراً على الإطلاق في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٣٤٦ .

(٢) ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ٢ .

(٣) سورة الشورى : ٢٣ .

(٤) سورة ص : ٨٦ .

فقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ من قبيل المرتبة الثانية لأن الكلام على **حذف مضاف يناسب أجراً ؛ إذ التقدير : إلا عمل من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ، وذلك هو اتباع دين الإسلام .**

ولما كان هذا إجابة لدعوة الرسول ﷺ أشبه الأجر على تلك الدعوة فكان نظير قو لـــه : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ . **وقد يسمُّون مثل هذا الاستثناءِ الاستثناء المنقطع ؛ ويقدرونه كالاستدراك " . اهـــ** [1].

دلالة الآية :

وعلى كلا الرأيين فالآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ لا يطلب أجراً من الناس على دعوته ، ولا يمنعهم من إنفاق جزء من أموالهم فى وجه الخير ، وأنه ﷺ يعتبر إيمانهم بالحق الذى جاء به ، هو بمثابة الأجر له ، حيث إن الدال على الخير كفاعله .

ولقد حكى القرآن الكريم فى كثير من آياته أن جميع الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – ما سألوا الناس أجراً على دعوتهم إياهم إلى عبادة الله تعالى وطاعته . ومن هذه الآيات قوله ﷻ حكاية عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب – عليهم الصلاة والسلام – :

﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [2] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٩ / ٥٨ .

(٢) سورة الشعراء : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ . [آية : ٥٩] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ اسأل عنه من هو خبير عارف به ، فقال : ((﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ فيه معنيان ، أحدهما : - **وهو الأظهر** - أن المراد اسأل عنه من هو خبير عارف به ، وانتصب ﴿ خَبِيرًا ﴾ على المفعولية ، وهذا الخبير المسؤل هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب . والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ يحتمل أن تتعلق بـ ﴿ خَبِيرًا ﴾ أو تتعلق بالسؤال ، ويكون معناها على هذا معنى (عن) . والمعنى الثاني : أن المراد اسأل بسؤاله خبيرا ، أي : إن سألته تعالى تجده خبيراً بكل شيء ، فانتصب ﴿ خَبِيرًا ﴾ على الحال ، وهو كقولك : لو رأيت فلانا رأيت به أسدا ؛ أي : رأيت برؤيته أسداً)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد من قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾** على أقوال [٢] ؛ منها :

القول الأوّل : معناه : **أن المراد : اسأل عنه من هو خبير عارف به ؛ فالباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ بمعنى (عن)** ، قاله **الأخفش والزَّجَّاج** [٣] ، وحكى هذا بعض من أهل اللغة [٤]

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨١ .

(٢) ذكر الفخر الرازي أقوالاً أربعة في الآية ، المذكورة أهمها . ينظر : التفسير الكبير :٢٤ / ٩١ .

(٣) نسبه إلى الأخفش جماعة من المفسرين عند تفسير الآية و لم يحدِّدوا من هو ؛ و لم أقف على هذا القول في كتاب الأخفش (معاني القرآن) فلا أدري هل هو الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة ت ٢١٥ هـ) صاحب المعاني ، أو الأخفش الأكبر (عبد الحميد بن عبد المجيد ت ١٧٧ هـ) . وينظر : معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٧٣ .

(٤) منهم : الأزهري في تهذيب اللغة (٧ / ١٥٨) ، وابن منظور في لسان العرب (٤ / ٢٧٧) . كلاهما في (مادة : خبر) .

وحسنَّ القرطبي (١) قول الزجاج ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (٢) ، وجوَّزه أبو حيان (٣) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٤) .

ويكون ﴿ خَبِيرًا ﴾ مفعول ﴿ فَسۡـَٔلۡ ﴾ ، وهذا الخبير المسؤ ول هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب ، والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ يحتمل أن تتعلق بـ ﴿ خَبِيرًا ﴾ أو تتعلق بالسؤال (٥) .

قال **مقاتل** : يعني فاسأل بالله خبيراً يا من تسأل عنه محمداً (٦) .

واستدل له :

١. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (٧) .

٢. **من كلام العرب** : قول الشاعر (٨) :

هلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابْنَةَ مالِكٍ   إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمي

وقال **علقمة بن الفحل** (٩) :

فإنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإنَّنِي   خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيــبُ

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٦٣ .
(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨١ .
(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٦٥ .
(٤) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٤٣) ، والواحدي (٢ / ٧٨٢) ، وابن الجوزي (٦ / ٩٨) ، والبيضاوي (٤ / ٢٢٥) ، والنسفي (٣ / ١٧٤) ، والجلالين (٤٧٧) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٦١) .
(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٢٥ ، التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨١ .
(٦) ينظر : تفسيره : ٢ / ٤٤٠ .
(٧) سورة المعارج : ١ .
(٨) هو **عنترة بن شداد** العبسي (ت نحو ٢٢ قبل الهجرة) ؛ نسبه إليه غير واحد . ينظر : زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق ، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ) : ١ / ٥٦ . ولم أقف عليه في ديوان عنترة .
(٩) ينظر : ديوان علقمة الفحل : ١ .
وعلقمة الفحل هو : علقمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس ، معروف بعلقمة الفحل ، وهو من بني تميم ، شاعر جاهلي من الطبقة الأوَّلى ، ت نحو ٢٠ قبل الهجرة . ينظر : الإكمال لابن ماكولا : ٧ / ٤٣ ، تاريخ ابن عساكر : ٤١ / ١٤٠ ، خزانة الأدب : ٣ / ٢٦٦ .

القول الثاني : معناه : أن المراد **اسأل بسؤاله خبيراً** ، **أي : إن سألته تعالى تجده خبيراً بكل شيء** ، قاله مجاهد [١] ، وكذا قال ابن جريج [٢] ، وذهب إليه **الطبري** [٣] ، **واستظهره أبو حيان** [٤] ، وقاله البقاعي ، ومال إليه الثعالبي [٥] من المفسرين . [٦]

عن مجاهد قال : ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك .

وهنا **الباء على بابها** (غير مضمَّنة معنى : عن) ، وهي متعلقة بالسؤال ، والمراد بالخبير الله ﷻ ، **وجوَّز الزمخشري** [٧] أن تكون **الباء سببية على طريق التجريد** [٨] ، وكذا حكاه **السمين الحلبي** ، وقاله **البقاعي** [٩] .

كقولهم : لو رأيت فلاناً رأيت به أسداً ؛ أي : رأيت برؤيته أسداً [١٠] .

وقريباً من هذا القول ما قاله **الكلبي** [١١] : أن معنى الآية : **فاسأل خبيراً به** ، حكاه أبو حيان [١٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [١٣] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٦٨) إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (في تفسيره : ٨ / ٢٧١٥) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٢٨) .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ٢٨ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٦٥ .

(٥) ينظر : نظم الدرر (٥ / ٣٣٢) ، وتفسير الثعالبي (٤ / ٢١٥) .

(٦) ذكر القولين أو جوَّزهما جماعة من المفسرين ؛ منهم : جوَّزهما الزمخشري (٣ / ٢٩٥) وابن عطية (٤ / ٢١٦) ، وذكرهما السمعاني (٤ / ٢٧ ، ٢٨) ، وذكرهما الفخر الرازي (٢٤ / ٩١) والسمين الحلبي في الدر (٥ / ٢٦٠) ، وذكر ابن كثير (٣ / ٣٢٤) أقوال السلف و لم يرجح ، وذكرهما ابن عادل (١٤ / ٥٥٧ ، ٥٥٨) .

(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٩٥ .

(٨) **التجريد** هو : أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرا آخرا مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه وهو أقسام . للمزيد ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٣٣٨ .

(٩) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٦٠ ، نظم الدرر : ٥ / ٣٣٢ .

(١٠) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٢٩٥ .

(١١) نسبه إليه : البغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٤) ، والفخر الرازي في تفسيره (٢٤ / ٩١) ، والنيسابوري (٥ / ٢٥٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٤٦٥) ، وابن عادل (١٤ / ٥٥٧) .

(١٢) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٦٥ .

(١٣) منهم : الثعلبي (٧ / ١٤٣) ، والبغوي (٣ / ٣٧٤) ، والبيضاوي (٤ / ٢٢٥ ، ٢٢٦) ، والخازن (٥ / ١٠٦) ، وقال النيسابوري (٥ / ٢٥٢) : **هو الأقرب** ، وأبو السعود (٦ / ٢٢٧) ، والشوكاني (٤ / =

وقوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ يعود إلى ما ذكر من خلق السماء والأرض ، والاستواء على العرش ، والباء من صلة الخبير ، وذلك الخبير هو الله ﷻ ؛ لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق الله السموات والأرض فلا يعلمها أحد إلا الله تعالى .

قال **الآلوسي** :

" والفاء فصيحة ، والجار والمجرور صلة (اسأل) ، والسؤال كما يعدى بـ (عن) لتضمنه معنى : التفتيش ؛ يعدى بالباء لتضمنه معنى : الاعتناء ، وعليه قول علقمة بن عَبَدة [(١)] :

فإنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

فلا حاجة إلى جعلها بمعنى (عن) كما فعل الأخفش والزجاج ، والضمير راجع إلى ما ذكره إجمالا من الخلق و الاستواء ، والمعنى : إن شئت تحقيق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيراً عظيم الشأن محيطا بظواهر الأمور وبواطنها ؛ وهو الله ﷻ يطلعك على جلية الأمر " . اهـ [(٢)] .

والمعنى : لقد بيَّنا لك مظاهر قدرتنا ووحدانيَّتنا ، فإن شئت الزيادة فى هذا الشأن أو غيره ، فسأل قاصداً بسؤالك ربك الخبير بأحوال كل شيء خبرة مطلقة ، يستوى معها ما ظهر من أمور الناس وما خفى منها .

واستدل له بالنظير القرآني : قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [(٣)] . [(٤)]

✍ و ﴿ **خَبِيرًا** ﴾ على هذا مفعول (اسأل) ، أو منصوب على الحال .

✖ **وضعَّف أبو البقاء العكبري** أن يكون ﴿ خَبِيرًا ﴾ منصوب على الحال ؛ حيث قال :

" ويضعُف أن يكون ﴿ خَبِيرًا ﴾ حالاً من فاعل (اسْأَلْ) ؛ لأن (الخبير) لا يسأل إلا

= ٨٤) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٨) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي من غير نسبة (١٠ / ٢١٤) .

(١) ينظر : ديوان علقمة الفحل : ١ .

(٢) روح المعاني : ١٩ / ٣٨ . وينظر قبله : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٧ .

(٣) سورة فاطر : ١٤ .

(٤) ينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٢٥٢ .

على جهة التوكيد كقوله : ﴿ ... وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا ... ﴾ [١] ، ثم قال : " ويجوز أن يكون حالاً من ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ إذا رفعته بـ ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ " . اهـ [٢] .

الترجيح:

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **جواز القولين ؛ فكل قول قال به جماعة من أئمة اللغة والمفسرين** ، فيجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ :

✓ **إما** : اسأل **عنه** من هو خبير عارف به ، وهذا الخبير المسؤل هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب . والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ بمعنى (عن) .

وفائدة السؤال عن الله هو التصديق والتأييد .

وهذا **مذهب الكوفيين** الذين **يجوزون نيابة الحروف** بعضها عن بعض قياساً . وقد رجَّح ابن هشام مذهبهم فقال : " مذهبهم أقل تعسفاً " [٣] .

قال **ابن جني في (الخصائص)** تعليقاً على قول بعض النحاة بأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض :

" ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، ولكنا نقول إنه يكون بمعناه في **موضع دون موضع** ، على حسَب الحال الداعية إليه ، والمُسَوِّغة له ؛ **فأمّا في كل موضع وعلى كل حال فلا !** " . اهـ [٤] .

✓ **وإما** : أن المراد اسأل بسؤاله خبيراً ، أي : إن سألته تعالى وجدته خبيراً بكل شيء ؛ والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ على بابها ، وهي متعلقة بالسؤال ، والمراد بالخبير الله سبحانه وتعالى .

وفائدة سؤال الله الخبير **كالتتميم** [٥] لقوله تعالى : **﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ... ﴾** الآية . فإنه لإثبات

---

(١) سورة البقرة : ٩١ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ٢ / ٩٨٩ . وحكاه ابن عطية قبله في تفسيره (٤ / ٢١٦) .

(٣) مغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٥١ .

(٤) الخصائص لأبي الفتح ، عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) : ٢ / ٣٠٨ .

(٥) **التتميم** هو : عبارة عن الإتيان في النظم أو النثر بكلمة إذا طرحتها من الكلام نقص حسن معناه ، وهو على ضربين : ضرب في المعاني وضرب في الألفاظ ، والذي في المعاني هو تتميم المعنى ، والذي في الألفاظ هو تتميم =

القدرة مدمجاً فيه العلم [١] .

وهذا **مذهب البصريين** الذين يمنعون إنابة بعض الحروف الجارة عن بعض قياساً ، ولجؤوا إلى **تضمين** [٢] **الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف** ، أو على شذوذ النيابة [٣] .

وتضمن فعل : ﴿ فَسْـَٔلْ ﴾ هنا **معنى : اطلب** ، لأن السؤال طلب في المعنى [٤] ، أو **اعتن به واشتغل به** [٥] ، كما ذكر أبو السعود والآلوسي [٦] .

قال ابن القيم في (بدائع الفوائد) :

" وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر ؛ وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة ، بل يجعلون للفعل معنىً مع الحرف ، ومعنىً مع غيره ، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال ، فيُشْربون الفعلَ المتعدي به معناه .

هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه – رحمه الله تعالى – وطريقة حُذّاق أصحابه ، يُضمِّنون الفعل معنى الفعل ، لا يقيمون الحرف مقام الحرف ، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار ، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن " . اهـ [٧] .

= الوزن ، ويجيء للمبالغة والاحتياط والتتميم يرد على الناقص فيتممه . ينظر : كليات الكفوي : ٢٩٦ .

(١) نقله عن صاحب (الكشف) : القاسمي في تفسيره (١٢ / ٢٧١) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٣٨) .

(٢) **التضمين** هو : أن تُشْرِبَ الفعل معنى فعلٍ آخر، فيضمّ إلى دلالته دلالة هذا الفعل الذي أُشْرِبَ معناه ، ويَنْزل منْزلته في التعدية واللزوم . فإذا ضُمِّن مثلاً فعلٌ لازمٌ يتعدى بالحرف ، معنى فعلٍ متعد بنفسه ، حُذِف الجارّ الذي كان وسيلته إلى التعدية . والغرض من التضمين – كما قال الزمخشري – الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد . قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ ... ﴾ . [سورة الكهف : ٢٨] . : " ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ؟ ونحوه قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ... ﴾ . [سورة النساء : ٢] . أي : ولا تضموها إليها آكلين لها " . اهـ . وفائدته : – كما قال ابن هشام – أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين . ينظر : كشاف الزمخشري " ٢ / ٦٧٠ ، ٦٧١ ، مغني اللبيب لابن هشام : ٨٩٧ ، كليات الكفوي : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٣) ينظر : مغني اللبيب : ١٥٠ .

(٤) حكاه المرداوي . ينظر : التحبير شرح التحرير في أصول الفقه لأبي الحسن ، علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥ هـ) : ٢ / ٦٦٩ .

(٥) حكاه أبو شامة . ينظر : إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة : ٢ / ٥٢١ .

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٢٧ ، روح المعاني : ١٩ / ٣٨ .

(٧) بدائع الفوائد لابن القيِّم : ٢ / ٢٥٨ .

قال الشهاب الخفاجي : " ويصحُّ تنازعهما – أي اسأل و ﴿ خَبِيرًا ﴾ – في الباء ؛ وفيه نوع من البديع غريب يسمى **المتجاذب** . وهو كون لفظ واحد بين جملتين يصح جعله من الأوَّلى والثانية ... وهذا مما غفل عنه أصحاب البديعيات " . اهـ [١] .

وإن كنت أميل إلى القول بأن معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ اسأل عنه من هو خبير عارف به ، وهذا الخبير المسؤول هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب ، والباء في قوله : ﴿ بِهِۦ ﴾ بمعنى (عن) ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ لما يلي :

أولاً : لقد أمرنا الله ﷻ عند الجهل بأي أمر من أمور الدين أن نسأل أهل الذكر في غير موضع من كتابه العزيز . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُواْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [٢] .

ثانياً : الله هو الخبير وهو اسم من أسماء الله ؛ وهو الخبير بكل شيء ؛ ولكن **الخبر عن الله لا يأتينا مباشرة** ؛ بل لابد من الوحي ؛ وهذا لا يكون إلا عن طريق جبريل عليه السلام ، ومن ثم الأنبياء ، وبعدهم العلماء وأهل الكتاب ، وهذا ما عليه هذا القول ؛ فنسأل عن الله من هو خبير عارف به ، وهذا الخبير المسؤول هو : جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي : ٧ / ١٥٠ .

(٢) سورة النحل : ٤٣ . وكذلك بنحوها في سورة الأنبياء : ٣٢٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ . [آية : 72] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي : لا يشهدون بالزُّور ؛ وهو الكذب فهو من الشهادة ، فقال : ((﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي : لا يشهدون بالزُّور ؛ وهو الكذب فهو من الشهادة . وقيل : معناه : لا يحضرون مجالس الزُّور واللهو ؛ فهو على هذا من المشاهدة والحضور ، **والأوَّل أظهر**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

من صفات عباد الرحمن التي ذكرها الله ﷻ في كتابه العزيز في أواخر سورة الفرقان أنهم الذين ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ ، وقد اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معناها** على قولين :

القول الأوَّل : معناها : **لا يشهدون بالزُّور** ، فهي من الشهادة ، كما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ [٢] وغيره ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، **واستظهره أبو حيان** [٤] .

وقوله : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ من الشهادة ؛ ففي الكلام مضاف محذوف ، أى : لا يشهدون شهادة الزُّور .

- قال **قتادة** [٥] **وابن جريج** [٦] : وهو **الكذب** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، ووافقه

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٢ .

(٢) نسبه إليه ابن عطية ، وأبو حيان ، وابن عادل ، والآلوسي . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٢٢ ، البحر المحيط : ٦ / ٤٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٧٤ ، روح المعاني : ١٩ / ٥١ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٢ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٧٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٣٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٢) إلى عبد بن حميد .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٤٩) .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٢ .

جماعة من المفسرين [١] .

- وقال **علي بن أبي طلحة** [٢] : يعني شهادة الزُّور [٣] .

الزُّور في اللغة :

قال ابن فارس : " الزاء والواو والراء أصل واحد ؛ يدل على الميل والعدول " [٤] .

والزُّور – بالضمِّ – **الكَذِب** ، وشَهادةَ الباطِل ، لكَوْنه قَوْلاً مائِلاً عن الحَقّ [٥] .

قال تعالى : ﴿ ... **وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ** ﴾ . [سورة الحج : ٣٠] . وبه فُسِّر أَيضاً الحَدِيث : « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » [٦] .

الزُّور في اللغة : الكَذِب ، ولا كذب فوق الشرك بالله ؛ قاله **النحاس** ، **والزجاج** [٧] .

---

(١) ومنهم : الواحدي (٢ / ٧٨٤) ، وابن العربي في أحكامه (٣ / ٤٥٤) ، والجلالين (٤٧٩) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٥١) .

(٢) نسبه إليه الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١٥١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٨) .
وعلي بن أبي طلحة هو : سالم بن المخارق ، الهاشمي مولاهم ، أبو الحسن ، كان من كبار التابعين ، علاماً بالقرآن ومعانيه وأحكامه ، يرسل عن ابن عباس ﷺ إلا أن طريقه من أصح الطرق عن ابن عباس ﷺ ، قال أحمد ابن حنبل : في مصر صحيفة واحدة من التفسير قد رواها علي بن أبي طلحة ، من رحل من طالبي التفسير لتحصيلها لا يعد كثيراً ، ت سنة ١٤٣ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٦ / ٢٨١ ، طبقات ابن سعد : ٧ / ٤٥٨ ، تهذيب الكمال :٢٠ / ٤٩٠ – ٤٩٣ .

(٣) روي عن عمر بن الخطاب ﷺ ضرب شاهد الزُّور أربعين سوطاً ، وسخم وجهه ، وطاف به بالمدينة . أورد هذا الأثر غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . قال البيهقي في سننه الكبرى (١٠ / ١٤١ ، ١٤٢) بعد أن ساق رواية بعدها في المعنى نفسه : " هاتان الروايتان **ضعيفتان ومنقطعتان** ... وقد روينا في كتاب الحدود الحديث الثابت عن أبي بردة بن نيار ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إلا في حَدٍّ من حُدُودِ اللَّهِ » . رواه البخاري ، والأخذ به أولى .

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : زور) :٣ / ٣٦ .

(٥) ينظر (مادة : زور) في : مفردات الرَّاغب : ٢١٧ ، المحكم لابن سيده : ٩ / ١٠١ ، النهاية لابن الأثير : ٢ / ٣١٨ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ٣٣٦ ، المصباح المنير للفيومي : ١ / ٢٦٠ ، تاج العروس للزبيدي : ١١ / ٤٦١ .

(٦) سبق تخريجه عن أسماء – رضي الله عنها – ص ٥ ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وهو صحيح .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٧٧ ، معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٥٤ .

قال رسول الله ﷺ : « ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ (ثَلَاثًا) قالوا : بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ . قال : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وكان مُتَّكِئاً ، فقال : ألا وَقَوْلُ الزُّور . قال فما زَالَ يُكَرِّرُهَا حتى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ » (١) .

✖ واعتُرِض :

بأنه فيه نظر ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ ولم يقل : لا يشهدون بالزُّور والعرب تقول : (شهدت كذا : إذا حضرته) . كقول ابن عباس ﷺ : « شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ رسُول الله ﷺ ... » (٢) . (٣)

القول الثاني : معناه : **لا يحضرون مجالس الزُّور واللهو** ؛ **فهو على هذا من المشاهدة والحضور** ، وهذا القول مرويٌّ عن **ابن عباس** ﷺ (٤) **وجماعة من السَّلف** (٥) ، وذهب إليه إليه **الفرَّاء** (٦) ، **واستظهره** ابن كثير (٧) ، وقاله **جمهور** (٨) المفسرين (٩) .

قال ابن فارس :

" الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام " (١٠) .

والمشاهدة في اللغة (١١) : المعاينة ، وشَهِدَه كسَمِعَه ، شُهُوداً ؛ أَي : حَضَره ، فهو شاهِدٌ ،

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الشهادات ، بَاب ما قِيلَ في شَهَادَةِ الزُّور (٢٥١١) : ٢ / ٩٣٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا (٨٧) : ١ / ٩١ . عن أبي بكرة عن أبيه .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب العيدين ، بَاب الْخُطْبَةِ بَعْدَ الْعِيدِ (٩١٩) : ١ / ٣٢٧ ، وأخرج مسلم بنحوه في مقدمة كتاب صلاة العيدين (٨٨٤) : ٢ / ٦٠٢ .

(٣) ينظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم لابن تيمية (ت٧٢٨ هـــ) : ١٨٢ .

(٤) ينظر : تنوير المقباس : ٣٠٥ .

(٥) كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً .

(٦) ينظر معانيه : ٣ / ٢٣٨ .

(٧) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٣٠ .

(٨) نسب الشوكاني هذا القول إلى الجمهور . ينظر : فتح القدير : ٤ / ٨٩ .

(٩) منهم : الطبري (١٩ / ٤٩) ، والسمر قندي (٢ / ٥٤٧) ، وابن عطية (٤ / ٢٢٢) ، والقرطبي (١٣ / ٧٩) ، والبقاعي (٥ / ٣٤٠) ، والثعالبي (٤ / ٢٢٠) ، والشوكاني (٤ / ٨٩) ، والسعدي (٥٨٧) .

(١٠) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة : شهد) : ٣ / ٢٢١ .

(١١) ينظر (مادة : شهد) في : المحكم لابن سيده : ٤ / ١٨١ ، ١٨٢ ، لسان العرب لابن منظور : ٣ / ٢٣٩

جمعه : شُهودٌ ، أي : حُضُورٌ ، والمشْهَد محضر الناس .

وهو أصل إطلاقه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٥] . ويستعمل بمعنى أخبر عن شيء شهده وعلمه ، كقوله تعالى : ﴿ ... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ٢٦] . (١)

وقال **الرَّاغب** :

" الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة ...

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي : لا يحضرونه بنفوسهم ولا بهمهم وإرادتهم . والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر " . اهـ (٢) .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

الأظهر من السِّياق أن المراد لا يشهدون الزُّور ؛ أي : لا يحضرونه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ ، أي : لا يحضرون الزُّور ، وإذا اتفق مرورهم به مروا و لم يتدنسوا منه بشيء . ولهذا قال : ﴿ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ .

وجاء عن **إبراهيم بن ميسرة** « أن ابن مسعود رضي الله عنه مرَّ بلهو معرضاً ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريماً » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ (٣) ، أورده **ابن كثير** (٤) .

---

٢٤٠ ، تاج العروس للزبيدي : ٨ / ٢٥٣ .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٧٨ .

(٢) مفردات الرَّاغب (مادة : شهد) : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٣٩) ، وأورده غير واحد من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٣٠ . قال أبو الفضل العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢ / ٨٥٢) : أخرجه ابن المبارك في الصلة **بإسناد منقطع** .

وإبراهيم بن ميسرة هو : إبراهيم بن ميسرة الطائفي ، نزيل مكة ، ثبت حافظ . ت قريباً من سنة ١٣٢ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ١ / ٣٢٨ ، الجرح والتعديل : ٢ / ١٣٣ ، الثقات : ٤ / ١٤ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٣٠ .

واختلفت أقوال السلف في المراد بـــ ﴿ ٱلزُّورَ ﴾ على هذا القول كما يلي :

- قال **الضحاك** [١] : يعني **الشرك** ، وقاله **أكثر** [٢] المفسرين [٣] .
- قال **ابن عباس** ﷺ [٤] : هو أعياد المشركين . وروي عن أبي العالية ، وطاو وس ، والربيع بن أنس نحو ذلك [٥] .
- وقال **محمد بن سيرين** [٦] : هو الشعانين [٧] .
- وقال **ابن عباس** ﷺ [٨] أيضاً : الزُّور كان صنماً بالمدينة يلعبون حوله كل سبعة أيام .
- وقال **قتادة** [٩] : لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم ولا يمالئونهم فيه .
- وقال **محمد بن الحنفية** [١] : لا يحضرون الغناء واللهو .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ٤٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٢) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٣٧) .

(٢) نسبه إلى الأكثرين : البغوي ، وابن عادل ، والشوكاني . ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٣٧٨ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٧٤ ، فتح القدير : ٤ / ٨٩ .

(٣) منهم : ابن أبي زمنين ، وقدَّمه الماوردي ، والسمعاني ، والعز بن عبد السلام ، والخازن . ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٦٨ ، النكت والعيون : ٤ / ١٥٩ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٣٥ ، تفسير العز بن عبد السلام (اختصار النكت) : ٢ / ٤٣٤ ، تفسير الخازن : ٥ / ١١٠ . وقاله الزبيدي ؛ ينظر : تاج العروس (مادة : زور) : ١١ / ٤٦١ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٢) إلى الخطيب .

(٥) قال بذلك : ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٣٦) ، ونسبه إليهم ابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٣٠) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٣٧) ، ونسبه الماوردي إليه في النكت (٤ / ١٥٩) .

ومحمَّد بن سيرين هو : محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، أبو بكر : إمام وقته في علوم الدين بالبصرة : تابعي ، من أشراف الكتاب ، في أذنه صمم ، وتفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا . ينسب له كتاب : تعبير الرؤيا ؛ ذكره ابن النديم ، وهو غير : منتخب الكلام في تفسير الأحلام المطبوع ، المنسوب إليه أيضا ، وليس له . ت سنة ١١٠ هـــ . ينظر : صفة الصفوة : ٣ / ٢٤١ ، وفيات الأعيان : ٤ / ١٨١ - ١٨٣ ، طبقات المفسرين للداودي : ١٤ .

(٧) **الشعانين** هو : عيد مسيحي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح ؛ يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس . ينظر : اقتضاء الصراط لابن تيمية : ٢١٣ ، المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار : ١ / ٤٨٥ .

(٨) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٢) إلى الخطيب .

(٩) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٣) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٧٣٦) .

- وقال **مجاهد** [٢] وغيره : الغناء .
- وقال **عمرو بن قيس** [٣] : هي المجالس السوء والخنا [٤] .
- وقال **مالك عن الزهري** : شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه . كما جاء في الحديث : « ... وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يَجْلِسْ على مَائِدَةٍ يُدَارُ عليها بِالْخَمْرِ » [٥] .

والاختلاف بين أقوال التابعين ليس اختلاف تضاد بل اختلاف تنوع ؛ على سبيل التمثيل .

قال **الطبري** :

" وأصل الزُّور [٦] : تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يخيل إلى من يسمعه أو

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٣) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد .
ومحمَّد بن الحنفيَّة هو : محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية : أحد الأبطال الأشداء في صدر الاسلام . وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، ينسب إليها تمييزا له عنهما . وكان يقول : الحسن والحسين أفضل مني ، وأنا أعلم منهما كان واسع العلم ، ورعاً ، أسود اللون . ت سنة ٨١ هـ . ينظر : صفة الصفوة : ٢ / ٧٧ ، السِّير : ٤ / ١١٠ - ١٢٨ ، شذرات الذهب : ١ / ٨٨ - ٩٠ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٣) إلى ابن مردويه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٧٣٧ ، ٢٧٣٨) ، ونسبه إليه ابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٣٠) .
وعمرو بن قيس هو : عمرو بن قيس الـمُلاَئي الكوفي ، الإمام الحافظ الثقة المتقن ، كان متعبداً زاهداً قارئاً من كبار الكوفيين ، توفي سنة بضع وأربعين ومائة للهجرة النبوية . ينظر : الثقات : ٧ / ٢٢١ ، ٢٢٢ ، حلية الأوَّلياء : ٥ / ١٠٠ - ١٠٨ ، التقريب : ٤٢٦ .

(٤) **الخنا** هو : الفحش في القول . والخنا من الكلام : أفحشه . ينظر : النهاية لابن الأثير ، باب الخاء مع النون : ٢ / ٨٦ ، لسان العرب (مادة : خنا) : ١٤ / ٢٤٤ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الشهادات ، بَاب ما قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّور (٢٨٠١) : ٥ / ١١٣ عن جابر ﷺ . قال أبو عِيسَى التِّرْمِذِي : هذا حديثٌ حَسَن غريبٌ ، لا نعرفُه من حديث طاوُوس ، عن جابر ، إلا من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، وكذا قال الذهبي .
وحسَّنه الألباني . وروي من طرق أخرى : عن عبد الله بن عمر ﷺ ، وعن عمر ﷺ ، وعن ابن عباس ﷺ .
ينظر : البدر المنير لابن الملقن : ٨ / ١٧ .

(٦) التعريف بحقيقة الزُّور وأصله ، قاله : الثعلبي في الكشف والبيان (٧ / ١٥١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٣٧٨) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١١٠) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٤٠) ، وابن عادل في تفسيره (١٤ / ٥٧٤) ، السراج المنير للخطيب الشربيني (٣ / ٣٧) ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٢١)

يراه ، أنه خلاف ما هو به .

والشرك قد يدخل في ذلك ، لأنه محسَّن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل ، ويدخل فيه **الغناء** ، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت ، حتى يستحلي سامعه سماعه ، و**الكذب** أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظنّ صاحبه أنه حق ، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزُّور .

فإذا كان ذلك كذلك ، **فأولى الأقوال بالصواب** في تأويله أن يقال : والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركاً ، ولا غناءً ، ولا كذباً ولا غيره ، وكلّ ما لزمه اسم الزُّور ، لأن الله عمّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزُّور ، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل " . اهـ [١] .

وقال **ابن تيمية** :

" وقول هؤلاء التابعين إنه : أعياد الكفار ليس مخالفاً لقول بعضهم : إنه الشرك ، أو صنم كان في الجاهلية ، ولقول بعضهم : إنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم : إنه الغناء ؛ **لأن عادة السلف في تفسيرهم هكذا ؛ يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمَّى لحاجة المستمع إليه ، أو لينبه به على الجنس** ؛ كما لو قال العجمي : ما الخبز ؟ فيعطى رغيفاً ، ويقال له هذا بالإشارة إلى جنس لا إلى عين الرغيف " . اهـ [٢] .

قال **الفخر الرازي** قبله :

"واعلم أن كل هذه الوجوه محتملة ؛ ولكن **استعماله في الكذب أكثر** " [٣] .

❖ **وذكر القولين أو احتملهما أو نقل أقوال السَّلف ولم يرجح** : الثعلبي ، والبغوي ، والزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والنيسابوري ، والسمين الحلبي وابن عادل ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، والقاسمي ، وسيد قطب ، ومحمَّد سيِّد

وينظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٨٤ ، فتح الباري لابن حجر : ٥ / ٢٦١ .

(١) تفسير الطبري : ١٩ / ٤٩ . وينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ٨٩ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية : ١٨٢ .

(٣) التفسير الكبير : ٢٤ / ٩٩ .

طنطاوي [١] .

الترجيح:

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ لا يحضرون مجالس الزُّور ؛ فهو من المشاهدة والحضور ، وهو ما قاله جمهور المفسرين ، وذلك خلاف ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

فمن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون مجالس الزُّور ، القول والفعل المحرم ، فيجتنبون جميع المجالس ، المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة ، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل ، والغيبة ، والنميمة ، والسب ، والقذف ، والاستهزاء ، والغناء المحرَّم ، وشرب الخمر ، وفرش الحرير ، والصور ، ونحو ذلك ، وإذا كانوا لا يشهدون الزُّور ، **فمن باب أولى وأحرى** ، أن لا يقولوه ويفعلوه ، **وشهادة الزُّور داخلة في قول الزُّور ، تدخل في هذه الآية بالأوَّلوية ؛ لأنها من أمهات الكبائر التى حذَر منها رسول الله ﷺ ، قاله السعدي** [٢] ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : " الزُّور : يقال على الكلام الباطل ، وعلى العمل الباطل ، وعلى العين نفسها كما في حديث معاوية رضي الله عنه لما أخذ قُصَّةً من شَعَرٍ يوصل به ؛ فقال : « ألا وَهَذَا الزُّور » [٣] . فالزُّور : القول والفعل والمحل .

وأصل اللفظة من الميل ، ومنه الزُّور – بالفتح – ومنه : زرت فلانا ، إذا ملت إليه وعدلت إليه ؛ فالزُّور : ميل عن الحق الثابت إلى الباطل الذي لا حقيقة له قولاً وفعلاً " [٤] .

ثانياً : الشاهد بالزُّور حاضره ومؤديه جرأة ، فالمعنى الأوَّل أعمُّ ؛ لكن المعنى الثاني أغرق في

---

(١) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٥١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٧٨ ، الكشاف : ٣ / ٣٠١ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٩٨ ، ٩٩ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٢٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ١٧٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٥٦ ، الدر المصون : ٥ / ٢٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١٤ / ٥٧٤ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٣٠ السراج المنير : ٣ / ٣٧ ، تفسير القاسمي : ١٢ / ٢٨٢ ، الظلال : ٥ / ٢٥٨٠ ، الوسيط : ١٠ / ٢٢١ .

(٢) ينظر : تفسير السعدي : ٥٨٧ . وينظر قبله : إغاثة اللهفان : ١ / ٢٤٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، بَاب تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ (٢١٢٧) : ٣ / ١٦٨٠ عن سعيد بن المسيب .

(٤) إغاثة اللهفان : ١ / ٢٤٢ .

المعاصي [١] .

قال **ابن القيِّم** :

" فمدحهم على ترك حضور مجالس الزُّور ؛ فكيف بالتكلم به وفعله ؟ " [٢] .

وقال **سيد قطب** :

" وعدم شهادة الزُّور قد تكون على **ظاهر اللفظ** ومعناه القريب ، أنهم لا يؤدون شهادة زور ، لما في ذلك من تضييع الحقوق ، والإعانة على الظلم . وقد يكون معناها الفرار من مجرد الوجود في مجلس أو مجال يقع فيه الزُّور بكل صنوفه وألوانه ، ترفعاً منهم عن شهود مثل هذه المجالس والمجالات . وهو **أبلغ وأوقع** " . اهـ [٣] .

ثالثاً : النظير القرآني لهذا المعنى الراجح في الآية :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ . [سورة الأنعام : ٦٨] .

لأن من خالط أهل الشر ونظر إلى أفعالهم وحضر مجامعهم فقد شاركهم في تلك المعصية ، لأن الحضور والنظر دليل الرضا به ، بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه ، لأن الذي حملهم على فعله استحسان فعلهم ورغبتهم في النظر إليه [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

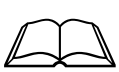

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٢٢ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٠ .

(٢) إغاثة اللهفان : ١ / ٢٤٢ . وينظر : تفسير السعدي : ٥٨٧ .

(٣) الظلال : ٥ / ٢٥٨٠ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٠١ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٩٩ ، نظم الدرر : ٥ / ٣٤٠ .

سـورة الشـعراء

قوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ . [آية : ٤] .

مسألة : في المراد بالأعناق في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الأعناق جمع عنق ، وهي الجارحة المعروفة ، فقال : ((الأعناق جمع عنق وهي الجارحة المعروفة ، وإنما جمع ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع العقلاء ؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء . وقيل : الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم : رؤوس وصدور . وقيل : هم الجماعات من الناس ؛ فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الخضوع لغة [٢] : من خَضَعَ للهِ ﷻ ؛ يَخْضَعُ خُضُوعاً : ذَلَّ وتَطامَنَ وتَوَاضَع .

ومعنى الآية : لو نشاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً ؛ ولكن لا نفعل ذلك لأنا لا نريد من أحد الإيمان إلا بالاختيار والرغبة ؛ وليس عن طريق الإلجاء والقسر . نظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٰمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ... ﴾ . الآية [٤] .

فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم ، وإنزال الكتب عليهم .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٣ .

(٢) ينظر : المخصص لابن سيده : ٤ / ٣٤٤ ، (مادة : خضع) في : لسان العرب : ٨ / ٧٢ ، تاج العروس : ٢٠ / ٥١٠ ، ٥١١ .

(٣) سورة يونس عليه السلام : ٩٩ .

(٤) سورة هود عليه السلام : ١١٨ .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بالأعناق في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : الأعناق : جمع عُنُق ؛ وهي الجارحة المعروفة ، قاله **قتادة** ، ورجَّحه الفراء وذهب إليه الزجاج [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه **جماعة أهل النحو** [٣] ، **وأكثر** [٤] المفسرين [٥] .

قال **قتادة** [٦] وغيره في قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ : لو شاء الله أنزل عليهم آية يذلون بها ؛ **فلا يلوى أحدهم عنقه** إلى معصية الله .

فعبَّر ﷻ بالأعناق التي هي موضع الصلابة ، وعنها تنشأ حركات الكبر و الإعراض للآيات دائماً ؛ وهي موضع الخضوع إذا ذلَّت النفس وتطامنت [٧] .

وإسناد الخضوع إلى العنق بمعنى الجارحة إسناد مجازي [٨] .

✖ واعتُرض :

قال ﷻ : ﴿ خَاضِعِينَ ﴾ وهي خبر عن أعناقهم ، ولو كان المراد بالأعناق الجارحة المعروفة لقال : خاضعة أو خاضعات ؛ لأنها صفة للأعناق ؛ فهنا استشكل جمعها جمع مذكر سالم لأنه مختص بالعقلاء ..

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٣٩ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٨٢ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٣ .

(٣) نسب هذا القول إلى جماعة أهل النحو : الأزهري في تهذيب اللغة (١ / ١٦٨) ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٤ / ١٥٩) . كلاهما في (مادة : عنق) .

(٤) نسب المُبَرِّد هذا القول إلى جماعة أهل النحو وأكثر أهل التفسير . ينظر : المقتضب : ٤ / ١٩٩ .

(٥) منهم : الطبري (١٩ / ٦١) ، وقدَّمه الثعلبي (٧ / ١٥٧) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ١٦٥) ، والزمخشري (٣ / ٣٠٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١٠٤) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ١١٦) ، والبيضاوي (٤ / ٢٣١) ، والخازن (٥ / ١١٢) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٤) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٤٧) ، والثعالبي (٤ / ٢٢٤) ، والجلالين (٤٨٠) ، وأبو السعود (٦ / ٢٣٤) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٤١) ، والشوكاني (٤ / ٩٣ ، ٩٤) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٦٠) **وقال : هذا مقتضى الظاهر** ، والسعدي (٥٨٩) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٩٦) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٣٣) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٨ ، ٢٨٩) إلى عبد الرزاق (في تفسيره : ٣ / ٧٣) ، وعبد بن حميد ، وابن جرير (في تفسيره : ١٩ / ٥٩) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (في تفسيره : ٨ / ٢٧٣٦) .

(٧) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٣٤٧ .

(٨) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ٦٠ .

✓ **وأُجيب عنه بأوجه منها :**

✓ **الأوَّل** : ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ و خاضعة ههنا واحد ، قاله **عيسى بن عمر** [١] ، وذهب إليه الفرَّاء والمُبَرَّد ، وقاله الزجاج [٢] ، وقال النحاس [٣] : **هذا أحسن الأقوال** ، وقاله جماعة من المفسرين [٤] .

قال **الفراء** : " الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ، فجعلَ الفعلَ أوّلاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال . قال : وهذا كما تقول : خضعت لك ، فتكتفي من قولك : خضعَتْ لك رقبتي " . اهـ [٥] .

وقال **الزجاج** : " وقال ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ وذكر الأعناق ، لأن معنى خُضُوع الأَعْناق هو خُضُوع أصحاب الأَعْناق ، لَمّا لم يكن الخضوع إلاّ لخُضُوع الأَعْناق جاز أن يخبر عن المضاف إليه ، كما قال **جرير** [٦] :

رأت مَرَّ السِّنينَ أَخذْنَ منّي كما أخذَ السِّرارُ من الهلالِ

لَمّا كانت السِّنُون لا تكون إلا بمَرِّ أخبر عن السِّنين ، وإن كان أضافَ إليها المُرُور " .

---

(١) **عيسى بن عمر** هو : عيسى بن عمر الثقفي بالولاء ، أبو سليمان : من أئمة اللغة . وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء ، وأول من هذب النحو ورتبه ، وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه ، وهو من أهل البصرة ، ولم يكن ثقفياً وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم ، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي . وكان صاحب تقعر في كلامه ، مكثراً من استعمال الغريب . له نحو سبعين مصنفاً احترق أكثرها . ت سنة ١٤٩ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٦ / ٢٨٢ ، الكامل في التاريخ : ٥ / ١٨٩ ، بغية الوعاة : ٢ / ٢٣٧ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٣٩ ، المقتضب للمُبَرِّد : ٤ / ١٩٦ ، ١٩٧ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤ / ٨٢ .

(٣) ينظر معانيه : ٥ / ٦٤ .

(٤) منهم : الطبري (١٩ / ٦١) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ١١٦) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٣٤٧) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٩٦) .

(٥) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٣٩ .

(٦) ينظر ديوانه : ٤٤٩ .

وجرير هو : جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، من تميم : أشعر أهل عصره . ولد ومات في اليمامة ، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم – وكان هجاءاً مرّاً – فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل . وكان عفيفاً ، وهو من أغزل الناس شعراً . ت سنة ١١٠ هـ . وقيل : سنة ١١١ هـ ينظر : الأغاني : ٧ / ٥ – ٩ ، وفيات الأعيان : ١ / ٣٢١ – ٣٢٧ ، المنتظم : ٧ / ١٤٤ – ١٤٨ .

اهـ [١] .

وذلك أن خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانقياد ، **والمعنى** : أنها إذا ذلت رقابهم ذلوا ؛ فالإخبار عن **الرقاب إخبار عن أصحابها** [٢] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ... وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ... ﴾ . [سورة طه : ١٠٨] . أي : أهل الأصوات بأصواتهم [٣] .

- ✓ **الثاني** : أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التأنيث بالإضافة لمؤنث ، كقول الأعشى [٤] :

وتَشْرَقُ بالقَوْلِ قَدْ أَذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

فأنَّث (شرقت) لأن الصدر من القناة ؛ وهي مؤنَّثة .

- ✓ **الثالث** : أصل الكلام : فظلوا لها خاضعين ، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله ؛ قاله **الزمخشري** [٥] وغيره .

- ✓ **الرابع** : لما كان الخضوع وهو المتعارف من بني آدم أخرج الأعناق مخرج بني آدم ؛ **فعوملت معاملة العقلاء** ، قاله أبو عبيدة [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ، وحكاه جماعة من المفسرين [٨] .

ونظيره : قوله تعالى : ﴿ ... وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ . [سورة يوسف

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ٨٢ .

(٢) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٣١٤ ، بدائع الفوائد : ٣ / ٥٤٠ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٤ ، خزانة الأدب : ٣ / ١٥٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٩٦ .

(٤) ينظر ديوانه : ٢٠٦ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٠٥ . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٤ / ١٠٤) ، وتفسير البيضاوي (٤ / ٢٣١) ، وتفسير الخازن (٥ / ١١٢) ، وتفسير النيسابوري (٥ / ٢٦٤) ، وتفسير أبي السعود (٦ / ٢٣٤) ، وفتح القدير للشوكاني (٤ / ٩٣ ، ٩٤) .

(٦) ينظر مجازه : ٢ / ٨٣ .

(٧) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٣ .

(٨) في تفاسيرهم ؛ منهم : البيضاوي (٤ / ٢٣١) ، وأبو السعود (٦ / ٢٣٤) ، والشوكاني (٤ / ٩٤) .

الشُّعَرَاء : ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ ... فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ . [سورة فصلت : ١١] . ونحوها من الآيات [١] .

✓ **السادس** : إنما قال ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ **فعبّر بالأعناق عن جميع الأبدان** ، وهذا كلام الفقهاء [٢] ، والعرب تعبّر ببعض الشئ عن كله .

نظيره : قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ... ﴾ . [سورة الحج : ١٠] . ونحوه .

القول الثاني : ليس المراد بالأعناق الجارحة البتَّة .

وفي هذا **قولان متقاربان** :

✍ **الأوَّل** : الأعناق هم **الرؤساء من الناس** ؛ قاله مجاهد ، وقطرب [٣] ، والراغب [٤] وذهب إليه السمر قندي ، والقرطبي [٥] من المفسرين .

قال مجاهد [٦] : أعناقهم كبراؤهم . شُبهوا بالأعناق كما يقال لهم : رؤوس وصدور .

✘ **وضعَّف الطاهر بن عاشور** [٧] هذا القول .

✍ **الثاني** : الأعناق هم **الجماعات من الناس** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٨] ، وأبو زيد [٩] ،

---

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٨٣ .
(٢) ذكر هذا القول الفقهاء عند استدلالهم للأحكام ؛ كأحكام الطلاق . ينظر مثلاً : المبسوط لأبي بكر ، شمس الدين محمد بن أحمد بن سهل السرخسي (ت ٤٨٣ هـــ) : ٦ / ٨٩ ، الهداية شرح بداية المبتدي لعلي بن أبي بكر المرغياني (ت ٥٩٣هـــ) : ١ / ٢٣٢ .
(٣) سيأتي ذكر الأثر عن مجاهد لاحقاً ، ونسبه إلى قطرب الماوردي في النكت (٤ / ١٦٥) .
(٤) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : عنق) : ٣٥٠ .
(٥) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٤٩ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٨٩ . وينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٣٢٤ .
(٦) نسبه إليه النحاس ، والقرطبي ، والشوكاني . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٦٣ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٨٩ ، فتح القدير : ٤ / ٩٤ .
(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٩٧ .
(٨) من مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما ؛ عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٨٩) إلى الطستي .
(٩) نسبه إليه : المُبَرِّد في المقتضب (٤ / ١٩٩) ، والنحاس في معانيه (٥ / ٦٣) ، وابن فارس في معجم =

وحكاه الأخفش [١] ، **وهو قول أهل اللغة** [٢] ، وقاله جماعة [٣] من المفسرين .

من قولهم : أتاني عنقٌ من الناس ؛ أي : جماعة ، ورأيت الناس عنقاً إلى فلان .

فالقولان الأخيران متقاربان ، **إلا أن هذا القائل يطلق (الأعناق) على جماعة الناس مطلقاً ، رؤساء كانوا أو غيرهم .**

قال **النحاس** :

" معروف في اللغة ، يقال : جاءني عنقٌ من الناس ، أي : رؤساؤهم ، وكذلك يقال : جاءني عنقٌ من الناس ، أي : جماعة ، ولهذا يقال : على فلان عتق رقبة ، ولا يقال : عتق عنق لما يقع فيه من الاشتراك " اهـ [٤] .

لكن النحاس رجَّح القول الأوَّل ؛ القائل بأن الأعناق جمع عُنُق ؛ وهي الجارحة المعروفة كما ذكرت سابقاً .

واستدل لهذا القول : بقول القائل [٥] لعلي بن أبي طالب ﷺ :

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتـيـتـا

أنَّ **العـراقَ وأهلَـه** **عُنُقٌ** إليك فَهَيْتَ هَيْتـا

= مقاييس اللغة (٤ / ١٥٩) ، وعبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (٤ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .
وأبو زيد هو : سعيد بن أوس بن ثابت **أبو زيد الأنصاري** : أحد أئمة الأدب واللغة ، كان يرى رأي القدرية ، وهو من ثقات اللغويين . ت سنة ٢١٥ هـ . ينظر : الجرح والتعديل : ٤ / ٤ ، تاريخ بغداد : ٩ / ٧٧ ، التقريب : ٢٣٣ .

(١) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٦٤٤ .

(٢) نسبه إلى أهل اللغة عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (٣ / ١٥٨) . وقال بهذا القول **الخليل** بن أحمد في العين (١ / ١٦٨) ، و**الأزهري** في تهذيب اللغة (١ / ١٦٨) ، و**ابن فارس** في معجم مقاييس اللغة (٤ / ١٥٩) ، و**ابن سيده** في المحكم (١ / ٢٢٢) ، و**حكاه** عن **ابن الأعرابي** : **ابن منظور** في لسان العرب (١٠ / ٢٧٣) ، والزبيدي في تاج العروس (٢٦ / ٢١٠) . جميعهم في (مادة : عنق) .

(٣) نسبه إلى أكثر المفسرين : الأزهري في تهذيب اللغة (١ / ١٦٨) ، وابن منظور في لسان العرب (١٠ / ٢٧٣) كلاهما في (مادة : عنق) . وقد **حكاه** المفسرون و لم أجد أحداً منهم رجَّحه – وذلك في حدود ما اطلعت – .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٦٣ .

(٥) نسبه الماوردي إلى أبي عمرو بن العلاء في النكت والعيون (٣ / ٢٣) .

✖ **وتعقَّبه ابن السرَّاج** فقال :

" والذي عندي في ذلك أن الآية ليست نظيرة الأبيات التي ذكرت ؛ لأن تلك بني فيها اسم مؤنث على فعل مؤنث ، والآية قد جاءت باسم مذكر بعد مؤنث في اللفظ فردَّ ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ إلى أصحاب الأعناق ، ومن ذلك قول ذي الرُّمَّة [١] :

رُوَيْداً كما اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيْهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ " [٢]

✖ وقال **الطاهر بن عاشور** : " وهذا **القول أضعف** من سابقه " [٣] .

✍ **وقد ذكر القولين وصوَّبهما : الفرَّاء** [٤] ، و**الثعلبي** [٥] ؛ إلا أن **الفرَّاء** ذكر بأن القول الأوَّل هو الأَحبُّ إليه .

✍ واحتمل **القاضي عياض** [٦] الأقوال الثلاثة ؛ وأنه قد يراد بالأعناق : الرؤساء والكبراء ؛ ؛ أو المراد هنا الجماعات ، وقد تكون الأعناق أنفسها عبر بها عن أصحابها .

✍ **وذكر جميع الأقوال أو بعضها ولم يرجح** : السمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل [٧] .

الترجيح:

بعد عرض أقوال أهل العلم يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن المراد بالأعناق في قوله**

---

(١) ينظر ديوانه : ١٨٦ .

(٢) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج النحوي : ٣ / ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

وابن السَّرَّاج هو : محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر : أحد أئمة الأدب والعربية ، المعروف بابن السَّرَّاج . من أهل بغداد ، كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً . ويقال : ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله ، مات شاباً ، ت سنة ٣١٦ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٥ / ٣١٩ ، معجم الأدباء : ٥ / ٣٤١ – ٣٤٣ ، تاريخ ابن الوردي لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) : ١ / ٢٤٩ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩ / ٩٧ .

(٤) ينظر معانيه : ٣ / ٢٤١ .

(٥) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٥٧ .

(٦) ينظر : مشارق الأنوار : ٢ / ٩٢ .

(٧) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٣٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٨١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٢٥ ، البحر المحيط : ٧ / ٦ ، الدر المصون : ٥ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٤ ، ٥ .

تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع عُنُق ، وهي الجارحة المعروفة ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه .

لأن : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [1] .

وجميع الأوجه التي أجاب بها أهل العلم عن استشكال جمع ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع مذكر سالم لأنه مختص بالعقلاء ؛ وهي خبر عن ﴿ أَعْنَـٰقُهُمْ ﴾ **جميعها محتملة** ؛ وبعضها أقوى من بعض .

✌ **والأرجح ماله قاله أبو عبيدة وابن جُزيّ بأن ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمعت جمع العقلاء ؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء ..**

وذلك لأن هذا جواب ابن جُزيّ من جنس الاستشكال ؛ فالاستشكال عن جمع ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ جمع سلامة لأنه مختص بالعقلاء ؛ فكان جوابه مقنعاً (لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ . [آية : ١٥] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ ورد مورد تعظيم الله تعالى ، فقال :

((﴿ مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ لفظه جمع ، وورد مورد تعظيم الله تعالى ، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله ؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع ، **والأوَّل أحسن** ...)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾** على ثلاثة أقوال :

✓ **القول الأوَّل : الاستماع على الحقيقة ؛ ولا تمثيل** ؛ ثم اختلفوا على قولين أيضاً :

الأوَّل : ﴿ مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ ورد مورد تعظيم الله تعالى ، قاله **ابن عباس** [٢] ﷺ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

استدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ . [سورة طه :٤٦] . [٥]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٤ .

(٢) ينظر : تنوير المقباس : ٣٠٧ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٤ .

(٤) ومنهم : الطبري (١٩ / ٦٥) ، والسمر قندي (٢ / ٥٥١) ، والثعلبي (٧ / ١٦٠) ، والواحدي (٢ / ٧٨٧) ، والسمعاني (٤ / ٤٠) ، والبغوي (٣ / ٣٨٢) ، وابن الجوزي (٦ / ١١٨) ، والخازن (٥ / ١١٣) ، وابن كثير (٣ / ٣٣٣) ، والبقاعي (٥ / ٣٥٢) ، وابن عادل (١٥ / ١٢) ، والشوكاني (٤ / ٩٥) ، والقاسمي (١٣ / ٧) ، والآلوسي (١٩ / ٦٦) ، وسيد قطب (٥ / ٢٥٩٠) ، وابن عاشور (١٩ / ١٠٩) ، والشنقيطي (٦ / ٨٨) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٣٧) .

(٥) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٥١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٣٣ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٦٦ =

قال **السمر قندي** : " والاستماع سببٌ للسمع فيعبر به عنه " [١] .

الثاني : **الملائكة** هي التي تسمع بأمر الله ، **احتمله ابن عطية** [٢] .

✖ **وتعقَّبه الآلوسي** بقوله : " وهو مما لا ينبغي أن يستمع ، ولابدَّ في الكلام على هذا التقدير من إرادة الاعانة والنصرة ؛ وإلا فبمجرد معية الملائكة عليهم السلام واستماعهم لا يطيب قلب موسى عليه السلام " . اهـ [٣] .

✓ **القول الثاني : الاستماع على التمثيل** ؛ قاله **البيضاوي** ، **وأبو السعود** [٤] .

قالوا : قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ جملة استعارة تمثيلية ؛ " **مثَّل** حالة تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ، ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم ، مبالغة في الوعد بالإعانة ، أو **استعير** الاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والأصوات " قاله أبو السعود [٥] .

✖ **واعتُرض** :

١. إن الاستماع المذكور في تقرير التمثيل ليس هو الواقع في النظم الكريم ؛ بل هو من لوازم حضور الحكم للخصومة .

٢. إن ما ذكروه وإن كان مبنياً على جعل الخطاب لموسى وهرون وفرعون يمكن إجراؤه على جعله لهما – عليهما السَّلام – و لم يتبعهما ، أو لهما فقط أيضاً بأدنى عناية [٦] .

✖ **وتعَّقب القاسمي** قول أبي السعود أيضاً ؛ فقال :

" ولو قيل هو كناية عن ذلك كان أوْلى ؛ **لجواز بقاء المعنى الحقيقي** معها ، وهو هنا كذلك

= أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ٨٨ .

(١) تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٥١ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٢٧ .

(٣) روح المعاني : ١٩ / ٦٧ .

(٤) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٣٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٣٧ .

(٥) تفسير أبو السعود : ٦ / ٢٣٧ . وينظر قبله : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٣٣ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ٦٧ . بتصرف يسير .

فهو تعالى مستمع لهما وحافظ وناصر " . اهـ [١] .

✓ **القول الثالث : الاستماع على المجاز** [٢] ؛ قاله **الزمخشري** [٣] ، وذهب إليه جماعة من المفسرين [٤] .

قالوا :

١. إن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع ، وإطلاق السمع على الله حقيقة لكن

---

(١) تفسير القاسمي : ١٣ / ٧ .

(٢) العلماء بين قائل بالمجاز في القرآن وبين منكره ؛ ورُجّح أنه **لا مجاز في القرآن** ، ومنكرو المجاز يمنعون أنْ تكون اللفظة نقلت من موضوعها الأصلي إلى غيره لمجرد وجود نوع علاقة مقاربة بينهما ؛ ولكنهم في المقابل لا يمنعون إطلاق مثلاً : لفظ (الأسد) على الرجل الشجاع ، ولفظ (الحمار) على الشخص البليد ، فهم يروْنَ أنّ العرب استخدمت هذا اللفظ لهذين المعنيين ابتداء . **وهنا يصبح الخلافُ بين القائلين بالمجاز والمنكرين له لفظيّاً** . لكن عند القول بالمجاز في صفات الله مثلاً ؛ كتأويل اليد بمعنى القدرة ، والوجه بمعنى الذات ، والعين بمعنى الرعاية وغير ذلك ، **فهنا يصبح الخلافُ ليسَ لفظيّاً** ؛ لأن فيه تعطيلاً لصفات الله ، **وأهل السُّنة والجماعة يثبتون هذه الصفات لله ﷻ بما يليق بجلاله** ؛ فللّه يد ، ووجه ، وعين ... إلى غير ذلك من الصفات ؛ لكن يد تليق بجلاله لا تشابه يد المخلوقين ، ووجه يليق بجلاله لا يشابه وجه المخلوقين ، وعين تليق بجلاله لا تشابه عين المخلوقين ﷻ .

وأول من تكلم بالمجاز – بمعناه الاصطلاحي ، الذي هو نقيض الحقيقة – المعتزلة والجهمية ومن تبعهم من أهل الكلام ، اشتهر القول به عنهم بعد المائة الرابعة للهجرة ، وليس من بين من قال به منهم علم من أعلام الإسلام الذين يوثق بهم في فن من فنون الإسلام المختلفة كالتفسير ، أو الحديث ، أو الفقه ، أو علم أصول الفقه ، أو اللغة العربية .

فدل هذا كله : على أن **القول بالمجاز ، إنما هو بدعة اعتزالية محضة** ، وصنعة كلامية صرفة ، اجتهد في نشرها ، والتبشير بها ، وتدعيم أصولها ، ووضع قواعدها ، بعد المائة الرابعة ؛ لتحقيق أغراض مستورة ، تلتقي في نهايتها ، للعمل على زعزعة أصول هذا الدين ، والنيل من ثوابته ، وصرف الناس عن فهم هذه الأصول وتلكم الثوابت الفهم السليم السديد ، مواكبة في ذلك كله لبدعة أخرى ، ظهرت هي الأخرى متزامنة معها ، موافقة لها ، في المصدر والنشأة ، والمنهج والغرض ، ألا وهي : بدعة التأويل .

هذا .. علماً بأنه لو كان في القول بالمجاز والتأويل ، أدنى ذرة خير ، أو أدق شعرة فضل ، لكان صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة أسبق الناس إليه ، باعتبارهم السباقين أبدا إلى كل خير وفضل ، لا أن يكون سباقا إليه أعلاج علم الكلام ، وصيارفة البدع ، ومتنطعوا مذهب الاعتزال . ينظر : مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، (مفاسد القول بالمجاز) للشيخ مصطفى بن عيد الصياصنة : ٤٧ / ٣٢٤ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١٠ .

(٤) منهم : ابن عطية (٤ / ٢٢٧) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١٠٨) ، والقرطبي (١٣ / ٩٣) ، والنسفي (٣ / ١٨١) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٦) ، وأبو حيان (٧ / ٩) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٤٤) .

الاستماع جار مجرى الإصغاء ، والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ، وهذا لابد فيه من جارحة ؛ **وذلك على الله تعالى محال** .

٢. ولا يلزم من الاستماع السماع ، تقول : أسمع إليه ، فما سمع واستمع إليه ، فسمع كما قال تعالى : ﴿ ... ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا ... ﴾ . [سورة الجن : ١] .

٣. يقال : استمع إلى حديثه وسمع حديثه ؛ أي : أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع [(١)] .

قال **الفخر الرازي** :

" فمن مجاز الكلام : يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه ، إذاً أحضر وأستمع ما يجري بينكما ، فأظهركما عليه وأعليكما وأكسر شوكته عنكما " . اهـ [(٢)] .

✓ **وأجيب بما يلي** :

- لعل الحامل لهما على القول بالمجاز نفيهما للصفات الفعلية [(٣)] كما هو **مذهب الأشاعرة** فإن الاستماع من الصفات الفعلية .
- معنى قوله تعالى : ﴿ ... فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ... ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ " أن المسموع والمبصر لم يخف على عيني ولا على سمعي أن أدركه سمعاً وبصراً ؛ لا بالحوادث في الله جل وعز ، ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع ، وإبصار مع حدوث المبصر فقد أدعى على الله ﷻ ما لم يقل ، وإنما على العباد التسليم كما قال ، وأنه عالم سميع بصير ولا يريد ما لم يكن " . قاله **ابن تيمية** [(٤)] نقلاً عن **المحاسبي** .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣١٠ . وينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٦٦ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٠٨ .

(٣) **الصفات الفعلية** : هي التي تتعلق بمشيئته ، فتحْدُث إذا شاء ، كالاستواء على العرش ، والنُّزول إلى سماء الدنيا ، والمجيء يوم القيامة للفصل بين العباد ، والفرح ، والرضا ، والغضب .. عند وجود أسبابها . ينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٦ / ٦٨ .

(٤) المرجع السابق : ٦ / ١٨٣ . وينظر قبله : فهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبي : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
والمحاسبي هو : الحارث بن أسد ، أبو عبد الله البغدادي ، إمام زاهد ورع متصوف مشهور ، صاحب تصانيف عديدة مفيدة ، ت سنة ٢٤٣هـ . ينظر : تاريخ بغداد : ٨ / ٢١١ – ٢١٥ ، حلية الأوَّلياء : ١٠ / ٧٣ – ١١٠ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٢ / ٢٧٥ – ٢٧٨ .

- كما أن قولهم : (الاستماع جار مجرى الإصغاء) قد يفهم منه أن الاستماع تكلُّف ، والله ﷻ سميع بالغ في السمع نهاية هذه الصفة من الجمال والجلال لا يتكلف شيئاً ؛ بل هو ﷻ يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ﷻ ، ويعلم السر وأخفى ، بل حديث المرء في نفسه يعلمه ﷺ دون عناء ودون مشقة ، فلا يفهم من قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ أن هذا بكلفة ومشقة ، بل هو سبحانه كامل في صفاته وكل شيء هيِّن عليه جل وعلا ، وسع سمعه الأصوات ﷻ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الرَّاجح أن المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ استماع الله ﷻ على الحقيقة لا على التمثيل ولا على المجاز ؛ وقد ورد مورد تعظيم الله تعالى ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ولما يلي :

أولاً : إن في الاستماع اعتناءً واهتماماً بالأمر ليست في صيغة (سامعون) [٢] .

فهو ﷻ مستمع لكل ما يقول لهم فرعون ؛ وإنما أراد بذلك تقوية قلبيهما وإخبارهما أنّه يعينهما ويحفظهما [٣] .

ثالثاً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .**
- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : شرح كتاب ثَلاثة الأُصُولْ للشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ : ١٨ / ١٨٩ . بتصرف يسير .

(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٤ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٦٧ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٩ / ١٠٩ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٢٣٧ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٧ / ١٦٠ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ ، ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ . [آية : ٥٧] .

مسألة : في معنى العيون في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى العيون الخلجان الخارجة من النيل ؛ أي التي في مصر ، وكان ثمَّ عيون في ذلك الزمان ، فقال : ((﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ يعني التي بمصر والعيون الخلجان الخارجة من النيل ، وكانت ثمَّ عيون في ذلك الزمان . وقيل : يعني الذهب والفضة ، **وهو بعيد**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى العيون في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : معنى العيون الخلجان الخارجة من النيل ؛ أي التي في مصر [٢] ، روي عن **ابن عمر** رضي الله عنهما [٣] وغيره ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ؛ ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

القول الثاني : المراد بالعيون **عيون الماء** ، ويدخل تحتها الأنهار ، قاله **مقاتل** [٦] ، وذهب إليه **جمهور** [٧] المفسرين [٨] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٦ .

(٢) قاله يوسف بن تغري بردي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١ / ٢٧) .

(٣) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ / ٢٣٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٨٣) .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

(٥) ومنهم : النحاس في معانيه (٥ / ٨٢) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٢٨) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٥٤) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٨٣) ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١٩ / ١٣٢) .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٥٢ .

(٧) نسبه إلى جمهور المفسرين : القرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٠١) .

(٨) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : البغوي (٣ / ٣٨٧) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١١٩) ، والنسفي (٣ / ١٨٧) ، والخازن (٥ / ١١٨) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٩) ، وابن كثير (٣ / ٣٣٧) ، وابن عادل (١٥ / ٣٢) ، والجلالين (٤٨٤) ، والشوكاني (٤ / ١٠١) ، والسعدي (٥٩٢) .

أي : عيون تخرج من الأرض لا يحتاج معها إلى نيل ولا مطر ، قاله **البقاعي** [١] .

القول الثالث : معنى العيون هنا **عيون الذهب والفضة** ؛ قاله **سعيد بن جبير** [٢] .

✖ واستبعده **ابن جُزيّ** [٣] ، وقال **الآلوسي** : " وهو خلاف المتبادر " [٤] .

❖ **ولم يتعرض إلى هذه المسألة** جماعة من المفسرين ؛ منهم : الطبري ، والثعلبي ، والماوردي والواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والقاسمي .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأوَّل والثاني ، وأن معنى العيون هنا في الآية :**

✓ **إما : الخلجان الخارجة من النيل** ؛ أي : التي في مصر ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** .

✓ **وإما عيون الماء** التي تخرج من الأرض لا يحتاج معها إلى نيل ولا مطر ، ويدخل تحتها **الأنهار** ، وهو ما ذهب إليه **جمهور** المفسرين .

واستبعد هنا القول الثالث نهائياً .

✌ **وإن كنت أميل إلى القول بأن معنى العيون هنا : الخلجان الخارجة من النيل وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ لم يلي :

أولاً : لأنه **تفسير بالواقع** ؛ فقد كان ثمَّ عيون في ذلك الزمان لنهر النيل [٥] .

---

(١) ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٣٦٣ .

(٢) نسبه إليه الماوردي في النكت (٥ / ٢٥١) [عند تفسير نظيرها في سورة الدخان : آية ٢٥] ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ١٨) ، والآلوسي في روح العاني (١٩ / ٨٣) . وكلهم عندما نسبوه إلى ابن جبير قالوا : (وقال ابن جبير : عيون الذهب) ؛ إلا ابن جُزيّ قال في التسهيل (٣ / ٨٦) : عيون الذهب والفضة . ولم ينسبه لأحد .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

(٤) روح المعاني : ١٩ / ٨٣ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

ثانياً : قد اشتهرت مصْر بالجنات والبساتين على حافتي نهر النيل والخلجان الخارجة منه ، جاء ذلك في كتُب أخبَارٍ عن مصْرَ ؛ **منها** :

- ما قاله **عبد الله بن عمرو بن العاص** ﷺ [١] : كانت الجنات بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعاً ، **من أسوان إلى رشيد** ، وكان له سبعة خلج ... متصلة لا ينقطع منها شيء من شيء ، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخرها ما يبلغه الماء ؛ فكانت جميع أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا ؛ بما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها .

- ما روي عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** [٢] ﷺ أيضاً أنه قال : **نيل مصر** سيِّد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، وذلل الله له الأنهار ، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده ؛ فأمدته الأنهار بمائها ، **وفجر الله له عيوناً** ، فإذا انتهى إلى ما أراد الله ﷻ أوحى الله تبارك وتعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) نسبه إليه جماعة من المفسرين ؛ منهم : النحاس في معانيه (٥ / ٨٢) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٢) . وذكره و لم ينسبه لعبد الله بن عمرو ﷺ : عبد الله بن عبد الرحمن القرشي المصري (ت ٢٥٧ هـ) في فتوح مصر وأخبارها (١ / ٥٧) وياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ / ٣٣٥) ، وأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ) في نهاية الأرب في فنون الأدب (١ / ٢٤٥) ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١ / ٥٦) .

وأُسْوان هي : - بالضم ثم بالسكون ، وواو وألف ونون - ، وقيل : سوان بغير الهمزة ، وهي مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه ، وهي في الإقليم الثاني ، طولها سبع وخمسون درجة وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . ينظر : معجم البلدان : ١ / ١٩١ .

ورَشِيد هي : - بفتح أوله وكسر ثانيه - بلفظ الرشيد ضد الغَوِي ، بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية . ينظر : معجم البلدان : ١ / ١٩١ .

(٢) نسبه إليه غير واحد من المفسرين ؛ ومنهم : النحاس في معانيه (٥ / ٨١) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٠٣) . ونسبه إليه : عبد الله القرشي المصري في فتوح مصر وأخبارها (١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) ، وياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ / ٣٣٤ ، ٣٣٥) ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١ / ٣٤) .

قوله تعالى : ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ . [آية : 58] .

مسألة : في المراد بالمقام الكريم :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالمقام الكريم مجالس الأمراء والحكام ، فقال : ((﴿ وَمَقَام كَرِيمٍ ﴾ مجالس الأمراء والحكام . وقيل : المنابر . وقيل : المساكن الحسان)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون **المراد بالمقام الكريم** على أقوال [٢] منها :

القول الأوَّل : المقام الكريم هو **مجالس الأمراء والحكام ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة [٤] المفسرين [٥] .

قال **البغوي** :

" قال المفسرون : أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع " [٦] .

القول الثاني : المقام الكريم هو **المنابر** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [٧] ، ومجاهد ، وسعيد بن

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٦ .

(٢) هناك أقوالاً أخرى غير المذكورة في المتن ؛ وهي : قال ابن لهيعة : هو الفيوم . وقيل : الأسرة في الكلل . وقيل : كان يوسف عليه السلام قد كتب على مجلس من مجالسه : (لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله) فسماها الله كريمة بهذا . وقيل : مرابط الخيل لتفرد الزعماء بارتباطها عدة وزينة ؛ فصار مقامها أكرم مترل بهذا ، احتمله الماوردي . ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٨٣ ، النكت والعيون للماوردي : ٤ / ١٧٢ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٨ ، روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٨٣ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٦ .

(٤) نسبه إلى المفسرين البغوي في تفسيره (٣ / ٣٨٧) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٣٢) .

(٥) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الثعلبي (٧ / ١٦٥) ، والواحدي (٢ / ٧٩٠) ، والبغوي (٣ / ٣٨٧) ، والخازن (٥ / ١١٨) ، وقدَّمه ابن عادل (١٥ / ٣٢) ، والجلالين (٤٨٤) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٥٤) .

(٦) تفسير البغوي : ٣ / ٣٨٧ . وينظر : تفسير ابن عادل : ١٥ / ٣٢ .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٢٩٨) إلى ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٨٨) [عند تفسير نظيرها : سورة الدخان : ٢٦] . وينظر : تنوير المقباس : ٣٠٩ .

جبير [١] ، وقدَّمه الماوردي [٢] من المفسرين .

وقيل : كان بها ألف منبر [٣] .

✍ **والقولان الأوَّل والثاني متقاربان** ؛ قاله **القرطبي** [٤] .

القول الثالث : المقام الكريم هو **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** ، قاله قتادة [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه الفرَّاء [٧] ، و**استظهره** القرطبي والشوكاني [٨] ، وذهب إليه جماعة جماعة من المفسرين [٩] .

واستدل له من كلام العرب [١٠] : قول **زهير بن أبي سلمى** :

وفيهمْ مقاماتٌ حسانٌ وجوهها ... وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ [١١]

---

(١) أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جبير في تفسيره (٢٥ / ١٢٣) [عند تفسير نظيرها : (سورة الدخان : ٢٦)] .

(٢) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٧٢ .

(٣) ينظر : فتوح مصر وأخبارها لعبد الله القرشي المصري : ١ / ٥٧ .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠٥ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٧ / ٤١١) إلى عبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيره (٢٥ / ١٢٣) ، وابن المنذر . [عند تفسير نظيرها : سورة الدخان : ٢٦] .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٥٢ .

(٧) ينظر معانيه : ٤ / ١٥٨ .

(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٠٥ ، فتح القدير : ٤ / ١٠١ .

(٩) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : السمر قندي (٢ / ٥٥٥) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٢٧٦) ، والسمعاني (٤ / ٤٨) ، والزمخشري (٣ / ٣٢١) ، وابن الجوزي (٦ / ١٢٥) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١١٩) ، والبيضاوي (٤ / ٢٤٠) ، والنسفي (٣ / ١٨٧) ، والنيسابوري (٥ / ٢٦٩) ، وابن كثير (٣ / ٣٣٧) ، والبقاعي (٥ / ٣٦٣) ، وأبو السعود – عند نظيرها – (٨ / ٦٢) ، والقاسمي (١٣ / ١٩) ، والآلوسي (١٩ / ٨٣) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٥٠) .

(١٠) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٨٣ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٠١ .

(١١) ينظر : ديوان زهير ابن أبي سلمى : ٢٤ .

وزهير بن أبي سلمى هو : زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني ، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية ، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة . قال ابن الاعرابي : كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعرا ، وخاله شاعرا ، وأخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرة . ت سنة ١٣ قبل الهجرة . ينظر : تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) : ١ / ٢٦٢ ، معاهدة التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت ٩٦٣ هـ) : =

❖ ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح بينها جماعة من المفسرين ؛ منهم : الطبري ، والنحاس ، وابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والطاهر بن عاشور [١] . ومن أهل اللغة ؛ منهم : ابن سيده ، وابن منظور [٢] .

الترجيح:

يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأوَّل (وقريباً منه القول الثاني كما ذكر القرطبي) والثالث ؛ فالمراد بالمقام الكريم :**

- **إما : مجالس الأمراء والحكام** التي كانت تحفها الأتباع ؛ ويقرب منها القول بأنه : **المنابر** ، وهو ما قاله **ابن عباس** ﷺ وجماعة من السَّلف ؛ وجماعة من المفسرين .
- وإما : **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** ، وهو ما قاله جماعة من المفسرين أيضاً ، يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : من اللغة :

قال **الراغب** : " والمقام يكون مصدراً ، واسم مكان القيام وزمانه " [٣] .

فإذا كان ﴿ مَقَامٍ ﴾ **مصدر** ؛ كان المراد بها : **قيامهم في تجمعهم** ؛ ويكون المقام الكريم هو **مجالس الأمراء والحكام** .

وإذا كان كلمة ﴿ مَقَامٍ ﴾ على **أصلها** ؛ كان المراد بها : **موضع أو مكان القيام** ؛ ويكون المقام الكريم هو **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" والمقام : أصله محل القيام أو مصدر قَام . والمعنى على الأوَّل : مساكن كريمة ، وعلى

= ١ / ٣٢٧ ، خزانة الأدب : ٢ / ٢٩٣ .

(١) ينظر : تفسير الطبري (عند تفسير نظير الآية) : ٢٥ / ١٢٣ ، معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٨٢ ، ٨٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٣٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٢٨ ، التحرير والتنوير : ١٩ / ١٣٢ .

(٢) ينظر (مادة : قوم) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٥٨٩ ، لسان العرب : ١٢ / ٤٩٨ .

(٣) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : قام) : ٤١٧ .

الثاني : قيامهم في مجتمعهم " . اهـ [١] .

ثانياً : بالقراءات :

استدل بالقراءة المتواترة السبعية : ﴿ وَمَقَامٍ ﴾- بفتح الميم - ، قرأ بها جمهور القراء وهو مكان القيام ، على **معنى القول الأوَّل** .

وقرأ في الشَّاذ [٢] بضمِّ الميم (مُقام) ؛ وهو مكانُ الإِقامة ؛ على **معنى القول الثالث** [٣] .

ثالثاً : على **التفسير بالواقع** ؛ فإن فرعون وملئه ؛ فالله قد أخرجهم من كلِّ ما يملكون ؛ من **مجالس الأمراء والحكام** التي كانت تحفُّها الأتباع ، وكان لهم فيها السيادة والملك ؛ ومن **المنازل الحسنة والمجالس البهيَّة** التي كانوا يتنعمون ويتمتعون فيها بكل ما لذَّ وطاب .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٩ / ١٣٢ .

(٢) هذه قراءة الأعرج ؛ وهي **قراءة بالغة الشذوذ** ؛ لكنها تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١٠٨ ، اتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢١ .

(٣) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٧٤ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٣٢ .

قوله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ . [آية : 149] .

مسألة : في معنى ﴿ فَرِهِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ فَرِهِينَ ﴾ مشتق من الفراهة ؛ وهي النشاط والكيس ، فقال :

((﴿ فَرِهِينَ ﴾ ... وهو مشتق من الفراهة ؛ وهي النشاط والكيس . وقيل : معناه : أقوياء . وقيل : أشرين بطرين)) . اهـ [١] .

الدراسة :

و**النَّحت** لغة : من نحته ينحته – بالكسر – نحتاً ؛ أي : براه وأعدَّه للبناء . والنحاتة : البراية [٢] . وقوله : ﴿ فَرِهِينَ ﴾ فيها قراءتان **متواترتان سبعيتان** :

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع : (فرهين) ، وقرأ **ابن عامر** والكوفيُّون : ﴿ فَرِهِينَ ﴾ بالألف [٣] . وبناء على اختلاف القراءة في قوله ﴿ فَرِهِينَ ﴾ اختلف بعض أهل العلم والمفسرون في **معناها** ؛ وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأوَّل : (فرهين) و ﴿ فَرِهِينَ ﴾ **لغتان بمعنى واحد** ، وهما مشتقان **من الفَرَاهِيَة : وهي النَّشَاطُ والكَيْسُ والحَذَقُ** ، قاله أبو عبيدة [٤] ، وحكاه قطرب [٥] وقاله الرَّاغب [٦] ،

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٩ .

(٢) ينظر (مادة : نحت) في : لسان العرب : ٢ / ٩٨ ، القاموس المحيط : ٢٠٧ .

(٣) الكوفيُّون هم : عاصم وحمزة والكسائي . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤٧٢ ، تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري : ٤٨٨ .
وابن عامر هو : عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي ، أبو عمران : إمام الشاميين في القراءة ، لجلالته في العلم والإتقان جمع له الخليفة عمر بن عبد العزيز بين القضاء والإمامة ومشيخة الإقراء بدمشق ، ت سنة ١١٨هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٧ / ٤٤٩ ، العبر : ١ / ١٤٩ ، الوافي بالوفيات : ١٧ / ١١٩ ، ١٢٠ .

(٤) ينظر مجازه : ٢ / ٨٨ .

(٥) نسبه إليه : النحاس في إعرابه (٣ / ١٨٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ١٢٩) . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .

(٦) ينظر مفرداته (مادة : فره) : ٣٧٩ .

والعكبري [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

واستدل له من اللغة :

فَرُه – ككرم – فَرَاهة وفَرَاهِيةً : حَذَق ، فهو فارِه وفَرِه ، كحاذر وحَذِر ، بيّن الفُروهة . والجمع : فُرَّهٌ وفُرَّهَة وفُرْه .

قال أبو بكر الأنباري [٤] : **والفارِهُ** – بكسر الراء – معناه في كلام العرب : **الحاذق بالشيء بالشيء** وكذا قال ابن سيده ، وابن منظور [٥] وغيرهما .

وفَرِهَ يَفْرَهُ : نَشِطَ ، والفارِهُ والفَرِهُ : النَّشِيْطُ [٦] .

القول الثاني : لكل قراءة معنى ، ذهب إليه **الطبري** [٧] ؛ وجماعة من أهل اللغة [٨] ، وقاله وقاله ابن زنجلة [٩] ، وجماعة من المفسرين [١٠] .

---

(١) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١٦٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٩ .

(٣) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الطبري (١٩ / ١٠١) **وجوَّزه** ، وجوَّزه الثعلبي (٧ / ١٧٦) ، والبغوي (٣ / ٣٨٧) ، والزمخشري (٣ / ٣٣٣) ، وابن عطية (٤ / ٢٤٠) ، والفخر الرازي (٢٤ / ١٣٧) ، والنسفي (٣ / ١٩٤) ، والنيسابوري (٥ / ٢٨١) ، والسمين الحلبي (٥ / ٢٨٣) ، والثعالبي (٤ / ٢٣٤) ، والسعدي (٥٩٦) والطاهر بن عاشور (١٩ / ١٧٦) .

(٤) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢ / ٣٣٠ .

(٥) ينظر (مادة : فره) في : المحكم : ٤ / ٣٠٧ ، لسان العرب : ١٣ / ٥٢٢ . وينظر : المصباح المنير للفيومي : ٢ / ٤٧١ ، التعاريف للمناوي : ٥٤٧ ، كليات الكفوي : ٦٩٨ .

(٦) ينظر (مادة : فره) في : محيط اللغة للصاحب بن عباد : ٣ / ٤٧٧ ، لسان العرب لابن منظور : ١٣ / ٥٢٢ .

(٧) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٠١ .

(٨) منهم : الفراهيدي في العين (مادة : فره) : ٤ / ٤٦ ، والفرَّاء في معانيه (٢ / ٢٤٣) ، والزَّجاج في معانيه (٤ / ٩٦) ، وابن دريد في جمهرة اللغة (مادة : رفه) : ٢ / ٧٨٩) ، والنحاس في معانيه (٥ / ٩٧) ، وحكاه الأزهري عن الفراء في تهذيب اللغة (مادة : فره) : ٦ / ١٥٠ ، والصاحب بن عباد في محيط اللغة (مادة : فره) : ٣ / ٤٧٧) ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : فره) : ١٣ / ٥٢٢ ؛ وحكاه الزبيدي في تاج العروس (مادة : فره) : ٣٦ / ٤٥٤ .

(٩) ينظر : حجة القراءات : ٥١٩ .

(١٠) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٦٣) ، والماوردي (٤ / ١٨٣) ، والسمعاني (٤ / ٦١) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٦ / ١٣٨) وفي تذكرة الأريب في تفسير الغريب (٢ / ٤٣) ، وابن عادل (١٥ / ٦٥) والجلالين (٤٨٩) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٦٩) . وينظر في كتب الغريب : التبيان في تفسير غريب القرآن

✍ فمن قرأ : ﴿ **فَرِهِينَ** ﴾ بالألف فمِنَ : فَرُه - بالضِّمِ - .

ومعناها [١] : **حاذقين** ، مأخوذ من فراهة الصنعة ، وهو قول **ابن عباس** [٢] ﷺ ، وقاله أبو صالح وغيره [٣] .

✍ ومن قرأ : (**فرهين**) فَهُوَ من : فَرِهَ - بالكسر - كَفَرِحَ : أَشِرَ وَبَطِرَ .

ومعناها [٤] : **بطرين أشرين** ، قاله **ابن عباس** [٥] ﷺ أيضاً ، **ورجَّحه النحاس ، والقاسمي ، والآلوسي** [٦] .

قال **النحاس** عن هذا الأخير :

" وهذا أعرفها في اللغة ... فكأن الهاء مبدلة من حاء لأنهما من حروف الحلق " . اهـ [٧] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي - والله أعلم - **أن الراجح القول الثاني ، فلكل قراءة قرئ بها**

للهائم المصري : ٣٢١ .

(١) ذكر الماوردي في معناها (غير هذا المعنى) ثلاثة أوجه أخرى :
الوجه الأوَّل : كيسين .
الوجه الثاني : قادرين ، قاله ابن بحر .
الوجه الثاني : أنه جمع فارِه ، والفاره المرح ، قاله أبو عبيدة . ينظر : النكت والعيون : ٤ / ١٨٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٠٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٠٢) .

(٣) معاوية بن قرة ، ومنصور بن المعتمر ، والضحاك بن مزاحم . ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٠٠ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٨٧ ، تفسير ابن أبي حاتم : ٩ / ٢٨٠٢ .

(٤) ذكر الطبري والماوردي وغيرهما من المفسرين في معناها (غير هذا المعنى) خمسة أوجه أخرى :
أحدها : شرهين ، قاله مجاهد .
الثاني : معجبين ، قاله خصيف .
الثالث : آمنين ، قاله قتادة .
الرابع : فرحين ، حكاه ابن شجرة .
الخامس : متخيرين ، قاله الكلبي . وأخرج ابن جرير عن ابن زيد : أقوياء . ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٠٠ ، ١٠١ ، النكت والعيون : ٤ / ١٨٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٠٣) .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٩٧ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٣٦ ، روح المعاني : ١٩ / ١١٣ .

(٧) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ٩٧ .

﴿ فَـرِهِينَ ﴾ **لها معنى ؛ وهو ما ذهب إليه الطبري ، وجماعة من أهل اللغة ، وجماعة من المفسرين ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

وأن ﴿ فَـرِهِينَ ﴾ بالألف **معناها : حاذقين** ، مأخوذ من فراهة الصنعة .

و (فرهين) **معناها : بطرين أشرين** ، يدل على ذلك إضافة على ما تقدم ما يلي :

أولاً : المعنيان قال بهما **ابن عباس** ﷺ ؛ مما يدل على احتمالهما معاً .

ثانياً : **من اللغة** : قال ابن فارس : " الفاء والراء والهاء كلمة تدل على أشر وحذق ، من ذلك (الفارِهُ) الحاذق بالشيء ، و (الفَرِهُ) الأشر " . اهـ [١] .

ثالثاً : احتمل جماعة من المفسرين القولين : كالبيضاوي ، وابن كثير ، والبقاعي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [٢] .

كما ذكر الواحدي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبو حيان ، والشوكاني [٣] القولين و لم يرجحوا بينهم ؛ دلالة على احتمالهما .

فحقيقة الأمر : أن ثمود قوم صالح عليه السلام **كانوا حاذقين في نحت الجبال بارعين في ذلك ؛ وبنوا بيوتاً وقصوراً لكن بقصد الأشر والبطر ، لا بقصد الإصلاح والشكر لله ؛ فمحل النهى إنما هو قصد الأشر والبطر فى البناء وفى النحت .**

ففي هذه الآية الكريمة وما قبلها يذكر الله ﷻ بالنبي صالح عليه السلام وقومه – وهم ثمود – بما أنعم الله به عليهم ، وكانوا يسكنون بالحِجْر [٤] ، ويخوفهم سلب هذه النعمة كما يخوفهم

---

(١) معجم مقاييس اللغة (مادة : فره) : ٤ / ٤٩٦ .

(٢) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٤٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٤٤ ، نظم الدرر : ٥ / ٣٨١ ، الوسيط : ١٠ / ٢٧٠ .

(٣) ينظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٧٩٤ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٢٩ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٢٣ ، البحر المحيط : ٧ / ٣٤ ، فتح القدير : ٤ / ١١٢ .

(٤) **الحِجْر** هو : " اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام ، قال الإصطخري : الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال ، وبها كانت منازل ثمود ، قال : ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في أضعاف جبال ، وتسمى تلك الجبال الأثالث ، وهي جبال إذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة ، فإذا توسطها = = رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها ، يطوف بكل قطعة منها الطائف ، وحواليها الرمل لا تكاد ، ترتقي كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة " . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٢ / ٢٢١ .

ما بعد المتاع من حساب على ما كان من تصرفهم فيه .

قال تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ [١] .

وإنهم ليعيشون بين هذا المتاع الذي يصوره لهم أخوهم صالح عليه السلام ؛ ولكنهم يعيشون في غفلة عنه لا يفكرون فيمن وهبهم إياه ، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم ؛ وكانوا ينحتونها من الجبال لما طالت أعمارهم وتقدم بناؤهم من المدر .

قال **ابن كثير** :

" قال **ابن عباس** رضي الله عنه وغير واحد يعني : (حاذقين) ، وفي رواية عنه : (شرهين أشرين) ، وهو اختيار مجاهد وجماعة ، ولا منافاة بينهما ؛ فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها ، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ؛ كما هو الشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ، ولذا قال : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [٢] أي : اقبلوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة ؛ من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتعبدوه وتوحدوه وتسبحوه بكرة وأصيلاً " . اهـ [٣] .

رابعاً : كل قراءة بمثابة آية أفادت معنى ؛ يؤيد هذا **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردَّها أو ردَّ معناها ؛ وهي بمنزلة آية مستقلة** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الشعراء : ١٤٦ - ١٤٩ .

(٢) سورة الشعراء : ١٥٠ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٤٤ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٨٩ .

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ . [آية : 169] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ : نجِّني من عقوبة عملهم ، فقال : ((﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : نجِّني من عقوبة عملهم ، أو اعصمني من عملهم ، **والأوَّل أرجح**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

تجيء قصة لوط عليه السلام هنا ، ويبدأ لوط مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح – عليهم السَّلام – من الدعوة إلى الإيمان والطاعة ، ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها في التاريخ :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [2] .

والخطيئة المنكرة التي عرف بها قوم لوط عليه السلام (وقد كانوا يسكنون عدة قرى في وادي الأردن) هي الشذوذ الجنسي بإتيان الذكور ، وترك النساء ؛ وهو انحراف في الفطرة شنيع .

فلما دعاهم لوط عليه السلام إلى ترك هذا الشذوذ ، واستنكر ما هم فيه من ترك ما خلق لهم ربهم من أزواجهم ، والعدوان على الفطرة وتجاوز الحكمة المكنونة فيها هددوه بالإخراج من بينهم ، إذا لم ينته عن دعوتهم إلى سواء الفطرة القويم !

عندئذ لم يبق إلا أن يعالنهم بكراهة ما هم عليه من شذوذ .. ثم يتوجه إلى ربه بالدعاء أن ينجيه من هذا البلاء هو وأهله : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [3] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٨٩ .

(٢) سورة الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٣) سورة الشعراء : ١٦٩ .

✍ واختلف المفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **مِمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : معناه : **نجِّني من عقوبة عملهم** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، **واستظهره** الزمخشري [٢] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٣] .

القول الثاني : معناه : **اعصمني من عملهم** ، قاله **مقاتل** [٤] ، **واحتمله** الزمخشري وأبو حيان [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] . [٧]

قال **البغوي** : " من العمل الخبيث " [٨] .

✖ **واعتُرض** : فما معنى قوله : ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا ... ﴾ [٩] ؟

✓ **وأجيب** :

أن " معناه : أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز ، فإنها كانت غير معصومة منه ، لكونها راضية بهومعينة عليه ومحرشة ، والراضي بالمعصية في حكم العاصي " [١٠] .

وقيل : وهو بالنسبة إلى الأهل دونه عليه السلام ؛ إذ لا يخشى تلبسه بذلك لمكان العصمة .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٨٩ .
(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٣٦ .
(٣) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الطبري (١٩ / ١٠٦) ، وابن الجوزي (٦ / ١٤٠) ، والقرطبي (١٣ / ١٣٣) ، والبيضاوي (٤ / ٢٥١) ، والنسفي (٣ / ١٩٥) ، وأبو حيان (٧ / ٣٥) ، والبقاعي (٥ / ٣٨٥) ، والجلالين (٤٩٠) ، وأبو السعود (٦ / ٢٦١) ، والقاسمي (١٣ / ٣٨) ، **واستظهره** الآلوسي (١٩ / ١١٦) ، والطاهر ابن عاشور (١٩ / ١٨١) .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٦٢ .
(٥) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٣٦ ، البحر المحيط : ٧ / ٣٥ .
(٦) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : السمعاني (٤ ٦٣) ، والبغوي (٣ / ٣٩٦) ، والخازن (٥ / ١٢٥) ، وابن عادل (١٥ / ٦٩) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٧٣) .
(٧) احتمل القولين جماعة من المفسرين ؛ منهم : النيسابوري (٥ / ٢٨٢) ، والخطيب الشربيني (٣ / ٧١) ، والشوكاني (٤ / ١١٤) ، والسعدي (٥٩٦) .
(٨) تفسير البغوي : ٣ / ٣٩٦ .
(٩) سورة الشعراء : ١٧٠ ، ١٧١ .
(١٠) الكشاف : ٣ / ٣٣٦ .

قال أبو **حيان** :

" **ويحتمل** أن يكون دعاء لأهله بالعصمة من أن يقع واحد منهم في مثل فعل قومه ، ودل دعاؤه بالتنجية لأهله على أنهم كانوا مؤمنين ؛ ولما كانت زوجته مندرجة في الأهل ، وكان ظاهر دعائه دخولها في التنجية ، وكانت كافرة استثنيت في قوله : ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا ... ﴾ " . اهـ [١] .

✖ **واعتُرض** :

بأن العذاب كذلك ؛ إذ لا يعذب من لم يجْن .

✓ **وأجيب** :

بأن العذاب قد يصيب الطَّالح والصَّالح ؛ كيف وقد قال سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ... ﴾ [٢] .

واستدل لهذا القول :

بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ... وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [٣] ؛ فقد **يدعو المعصوم بالحفظ عن الوقوع فيما عصم عنه** [٤] .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة** : السمر قندي ، والثعلبي ، و ابن عطية ، والفخر الرازي ، وابن كثير ، والثعالبي .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ : نَجِّني من عقوبة عملهم ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

---

(١) البحر المحيط : ٧ / ٣٥ .

(٢) سورة الأنفال : ٢٥ .

(٣) سورة إبراهيم عليه السلام : ٣٥ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١١٦ . بتصرف يسير .

أولاً : القرينة القرآنية :

فعلى القول بأن المعصوم قد يدعو بالحفظ عن الوقوع فيما عصم عنه ؛ فهو مسلَّم ، إلا أن **الظاهر** أن المراد النجاة مما ينالهم بسبب عملهم من العذاب الدنيوي ، **ويؤيده ظاهر** قوله تعالى : ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ [١] ، **قاله الآلوسي** [٢] .

ثانياً : لا يحسن جعل المعنى : نجّني من أن أعمل عملهم ، لأنه يفوت معه التعريض بعذاب سيحلُّ بهم ؛ **قاله الطاهر بن عاشور** [٣] .

ثالثاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الشعراء : ١٧٠ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١١٦ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ١٨١ .

(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ . [آية : ٢١٩] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ : أنه يراك حين تقوم وحين تسجد ، فقال :

((﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ... والمعنى : أنه يراك حين تقوم وحين تسجد . وقيل : معناه : يرى صلاتك مع المصلين ؛ ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة . وقيل : يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك ؛ لأنه عليه السلام كان يراهم من وراء ظهره)) . اهـ [١] .

الدراسة :

وصف الله تعالى رسوله ﷺ بعلمه بحاله التي بها يستأهل نبوَّته وكرامته على ربه ؛ تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه .

قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [٢] .

والتقلُّب لغة [٣] :

قال **الرَّاغب** : " قلب الشيء تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه ؛ كقلب الثوب وقلب الإنسان ، أي : صرفه عن طريقته . والتقلُّب : **التصرُّف** " [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩١ .

(٢) سورة الشعراء : ٢١٧ - ٢١٩ .

(٣) ينظر (مادة : قلب) في : العين للفراهيدي : ٥ / ١٧١ ، تهذيب اللغة للأزهري : ٩ / ١٤٤ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٥ / ١٧ ، لسان العرب لابن منظور : ١ / ٦٨٥ ؛ تاج العروس للزبيدي : ٤ / ٦٩ .

(٤) مفردات الرَّاغب (مادة : قلب) : ٤١١ .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ** ﴾ على أقوال [١] منها :

✓ **القول الأوَّل** : معناه : **يرى تقلُّبك في صلاتك** حين تقوم وحين تركع ثم تسجد ، قاله **ابن عباس** [٢] ﷺ ، وعكرمة [٣] ، وقتادة [٤] ، وذهب إليه **الطبري** [٥] ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٧] .

واستدل له : بأنه هو **الظاهر** من معنى الآية ؛ قاله **ابن جرير** [٨] .

---

(١) ذكر الطبري في تفسيره (١٩ / ١٢٤ ، ١٢٥) أقوال أخرى ؛ منها : معناه : ويرى تصرفك في الناس ، قاله الحسن ، أو معناه : **تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي أخرجه نبياً** ، والساجدون في قول قائل هذا القول الأنبياء قاله ابن عباس ﷺ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢١٤) : رواه البزار ورجاله ثقات . وضعَّف ابن جرير القول الأوَّل منهما . وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ١٠٣) بعدم صحة القول الثاني لوجود قرينة في الآية ؛ وهي قوله تعالى قبله مقترنًا به : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢١٨] . فإنه لم يقصد به أن يقوم في أصلاب الآباء إجماعًا .

وقد **احتج بالآية علماء الشيعة** على مذهبهم أن **آباء النبي ﷺ لا يكونون كفاراً** . قالوا : أراد تقلب روحه من ساجد إلى ساجد كما في الحديث المعتمد عليه عندهم : « لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » . وناقشهم أهل السُّنة في التأويل المذكور وفي صحة الحديث . قال النيسابوري : " والأصوب عندي أن لا نشتغل بمنع أمثال هذه الدعوى ونسرح إلى بقعة الإمكان على أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول " . وقال ابن عابدين في حاشيته : "وبالجملة – كما قال بعض المحققين – **إنه لا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب ، وليست من المسائل التي يضُر جهلها أو يسأل عنها في القبر أو في الموقف ، فحفظ اللسان عن التكلم فيها إلا بخير أوْلى وأسلم** " . ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي : ١٣ / ٣٢ ، ٢٤ / ١٤٩ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٢٨٨ ، تفسير ابن عادل : ٨ / ٢٣٣ ، حاشية ابن عابدين : ٣ / ١٨٥ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٣) . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٥ .

(٣) أخرجه الثوري في تفسيره (٢٣٠) ، وعبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٧٧) ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣٠) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣١) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٢٥ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩١ .

(٧) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٠) ، والواحدي (٢ / ٧٩٨) ، وجوَّزه البيضاوي (٤ / ٢٥٥) ، والخازن (٥ / ١٢٩) ، وجوَّزه أبو السعود (٦ / ٢٦٨) ، والسعدي (٥٩٩) .

(٨) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٢٥ .

وفي هذا المعنى **كناية عن رعايته** صلوات الله عليه ، والعناية به ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ... ﴾ . [سورة الطور : ٤٨] . (١)

✓ **القول الثاني** : معناه : **يرى تقلبك في المصَّلين** ، قاله **الفرَّاء والزَّجاج** (٢) .

وعُبِّر عن المصَّلين بـــ ﴿ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ لأن السجود حالة مزيد قرب العبد من ربه ﷻ ، وهو أفضل الأركان على ما نص عليه جمعٌ من الأئمة (٣) .

وقال بهذا القول جماعة من المفسرين على وجوه منها :

الوجه الأوَّل : معنى ذلك : **تصرُّفك مع المصلين في الجلوس والقيام والقعود** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما أيضاً ، وقتادة (٤) وغيرهما (٥) ، وذهب إليه **الآلوسي** (٦) ، **واستظهره الشنقيطي** (٧) ، وقاله **أكثر** (٨) المفسرين (٩) .

قالوا : وفي ذلك إشارة إلى **الصلاة مع الجماعة** .

عن **مقاتل** (١٠) : أنه سأل أبا حنيفة – رحمه الله – هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن ؟ فقال : لا يحضرني ، فتلا له هذه الآية .

---

(١) احتمله القاسمي ؛ ينظر : تفسيره : ١٣ / ٤٨ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٠٤ .

(٣) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ١٣٧ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٧٧) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) عن **ابن عباس** رضي الله عنهما ، **وقتادة** ، **وابن زيد** ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) عن **الحسن** .

(٦) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١٣٧ .

(٧) ينظر : أضواء البيان : ٦ / ١٠٣ .

(٨) نسبه إلى الأكثرين ابن الجوزي في زاد المسير (٦ / ١٤٨) ، وإلى أكثر المفسرين الشوكاني في تفسيره (٤ / ١٢٠) .

(٩) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : مقاتل (٢ / ٤٦٦) ، وحكاه ابن أبي زمنين (٣ / ٢٩١) ، وابن الجوزي في تذكرة الأريب في تفسير الغريب (٢ / ٤٤) ، والثعالبي (٤ / ٢٣٨ ، ٢٣٩) ، والجلالين (٤٩٣) ، والشوكاني (٤ / ١٢٠) ، والآلوسي (١٩ / ١٣٧) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٢٠) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٠٤) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٢٨٨) .

(١٠) نسبه إليه غير واحد من المفسرين . ينظر : الكشاف للزَّمخشري : ٣ / ٣٤٦ ، وأبو حيان في البحر المحيط : ٧ / ٤٤ وغيرهما . – ولم أقف على قوله في تفسيره ولا في أي من كتبه في حدود ما اطلعت – .

الوجه الثاني : معناه : **يرى تقلُّب بصرك في المصلين خلفك** ؛ لأنه عليه السلام كان يراهم من وراء ظهره ، قاله مجاهد [١] .

واستدل له :

بما أخرجه الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « هل تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا ، فَوَ اللَّهِ ما يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ ولا رُكُوعُكُمْ إني لَأَرَاكُمْ من وَرَاءِ ظَهْرِي »[٢] . [٣]

✖ وضُعَّف :

١. بأنه وإن كان له وجه فليس هذا هو الظَّاهر من معانيه [٤] .

٢. بأن هذا معنى أجنبي هنا [٥] ، وفي تأويل الآية بعيد [٦] .

٣. هذا **الأثر** عن مجاهد **ضعيف** – كما ذكرنا – ؛ والحديث صحيح لكنه ليس نصاً في تفسير الآية .

الوجه الثالث : معناه : **تقلبه فى تصفح أحوال المجتهدين فى العبادة وتقلب بصرك فيهم** قاله **ابن عباس** [٧] رضي الله عنه أيضاً ، وكذا قال مجاهد [٨] أيضاً ، قاله الزَّمخشري [٩] ، وجماعة من

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٦٦ . وأخرجه الثوري في تفسيره (٢٣٠) ، وأبو بكر ، عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩ هـ) في مسنده : (٩٦٢) (٢ / ٤٢٧) ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٢٩) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ٧٤) ، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (١٨ / ٣٤٧) . قال أبو بكر ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلاَّل (ت ٣١١ هـ) في السُّنة (١ / ١٩٩) : **إسناد هذا الأثر ضعيف** .

(٢) أخرجه البخاري – واللفظ له – في صحيحه في كتاب الصَّلاة ، بَاب عِظَةِ الْإِمَامِ الناس في إِتْمَامِ الصَّلَاةِ وَذِكْرِ الْقِبْلَة (٤٠٨) : ١ / ١٦١ ، وأخرج مسلم بنحوه في صحيحه في كتاب الصَّلاة ، بَاب الْأَمْرِ بِتَحْسِينِ الصَّلَاة وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوعِ فيها (٤٢٤) : ١ / ٣١٩ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٣ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٢٥ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٤٦ .

(٦) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٤٤ .

(٧) نسبه إليه : علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية (١ / ٤٧) . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(٨) نسبه إليه الشوكاني في تفسيره (٤ / ١٢٠) . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(٩) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٤٦ .

من المفسرين [١] .

قالوا : أتبع كونه رحيماً على رسوله بما هو من أسباب الرحمة .

واستدل له :

بما روي أنه عليه السلام لما نسخ قيام فرض الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم ، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن [٢] .

❖ **وقد ذكر جميع أقوال السَّلف أو بعضها ولم يرجح جماعة من المفسرين** ؛ منهم : النحاس ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والخطيب الشربيني [٣] .

❖ **واحتمل الأقوال جميعها أو بعضها** : الفخر الرازي ، وابن عادل ، والقاسمي [٤] .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ : يرى تصرُّفك مع المصلين في الجلوس والقيام والقعود ، وهو ما رجَّحه أكثر المفسرين ، خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه .**

ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [٥] **يراك وحدك ويراك في الجماعة .**

---

(١) في تفاسيرهم ، ومنهم : البيضاوي وقدَّمه (٤ / ٢٥٥) ، والنسفي (٣ / ٢٠١) ، وقدَّمه أبو السعود (٦ / ٢٦٨) . **وصحَّح هذا القول** : علي الحلبي في السيرة الحلبية (١ / ٤٧) .

(٢) أورده في تفسيره غير واحد من المفسرين ؛ منهم : الفخر الرازي (١٣ / ٣٢) ، والبيضاوي (٤ / ٢٥٥) ، والنيسابوري (٥ / ٢٨٨) . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٠٧ ، تفسير الثعلبي : ٧ / ١٨٣ ، ١٨٤ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٧١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٠٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٤٤ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٨٨ ، البحر المحيط : ٧ / ٤٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٣ ، السراج المنير : ٣ / ٨٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٤٩ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٩٥ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٤٨ .

(٥) سورة الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩ .

يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : أنه ﷺ يتقلَّب في المصلّين قائماً ، وساجداً ، وراكعاً [١] ، فهو إمام المصلين يؤمهم ويوجههم ؛ وهو غالب أحوال الرسول ﷺ كما جاء في كتب السِّيرة .

ثانياً : أن " التوصيف بذلك للتذكير بالعناية بالصلاة ؛ ليلاً وجمعاً وفرادى " [٢] .

قال **سيد قطب** :

" ثم يشعر قلب الرسول ﷺ بالأنس والقربى ؛ فربُّه يراه في قيامه وحده للصلاة ، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة ، يراه في وحدته ويراه في جماعة المصلين يتعهدهم وينظمهم ويؤمهم ويتنقل بينهم ، يرى حركاته وسكناته ، ويسمع خطراته ودعواته : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٣] ..

وفي التعبير على هذا النحو إيناس بالرعاية والقرب والملاحظة والعناية . وهكذا كان رسول الله ﷺ يشعر أنه في كنف ربه ، وفي جواره وقربه ، وفي جو هذا الأنس العلوي كان يعيش .. " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٦ / ١٠٣ .
(٢) تفسير القاسمي : ١٣ / ٤٨ .
(٣) سورة الشعراء : ٢٢٠ .
(٤) الظلال : ٥ / ٢٦٢٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ . [آية : ٢٢٤] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك ، فقال : ((وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك . وقيل : أراد شعراء الجاهلية . وقيل : شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ : جمع شاعر ، كجاهل وجهلاء ، وعالم وعلماء . والشعر : نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيحه [٢] . يعني : أن الشعر ليس يكره لذاته وإنما يكره لمتضمناته ؛ وقد كان عند العرب عظيم الموقع [٣] .

و ﴿ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ : جمع غاو وهو الضالّ [٤] ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ يَتَّبِعُهُمُ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ .

(٢) ورد في الحديث : عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « الشعر كلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه » . أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٥ / ٦٨) وقال : **هذا منقطع** .

(٣) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٦٢ . فالشعر فى نفسه ينقسم إلى أقسام ، فقد يبلغ ما لا خير فيه منه إلى قسم الحرام ، وقد يبلغ ما فيه خير منه إلى قسم الواجب ، وقد وردت أحاديث فى ذمه وذم الاستكثار منه ووردت أحاديث أخر فى إباحته وتجويزه ، والكلام فى تحقيق ذلك يطول وهو ليس مجال بحثنا هنا . وسأذكر بعض الأحاديث الواردة في ذلك :
عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ له من أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا » . متفق عليه . وعن كَعْبَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه حين أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الشِّعْرِ ما أَنْزَلَ أتى النبي ﷺ فقال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أَنْزَلَ في الشِّعْرِ ما قد عَلِمْتَ ، وَكَيْفَ تَرَى فيه ؟ فقال النبي ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ » . وفي رواية : « والذي نفسي بيده لكأنما تَنْضَحُونَهُمْ بِالنَّبْلِ فِيمَا تَقُولُونَ لهم مِنَ الشِّعْرِ » . أخرجهما الإمام أحمد وغيره ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديثان صحيحان ، ولهما إسنادان . الحديث الأوَّل إسناده صحيح على شرط البخاري . والحديث الثاني : هو حديث صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف . وكان يقول لحسان رضي الله عنه : « اهْجُهُمْ أو قال هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ » متفق عليه (عن البراء رضي الله عنه) . وفي رواية للنسائي وغيره : « اهج المشركين فإن روح القدس معك » .

(٤) ينظر (مادة : غوى) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٦٩ ، لسان العرب لابن منظور : ١٥ / ١٤٠ ، تاج =

﴿ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ يدلّ على أن اتّباع الشعراء من اتّباع الشيطان ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ وهو استئنافٌ مسوقٌ لإبطال ما قالوه في حق القرآن الكريم ؛ من أنه من قبيل الشعر ، وأن رسول الله ﷺ من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عليه السلام ؛ ولحال أتباعه فإن أتباع محمد ﷺ خيرة قومهم ، و ليس فيهم أحد من الغاوين كذلك ، قال تعالى :

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٦] .

قال **الآلوسي** :

" **والظاهر من السِّياق** أنها نزلت للردِّ على الكفرة الذين قالوا في القرآن ما قالوا " [١] .

❖ واختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى** : ﴿ **ٱلشُّعَرَآءُ** ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : **المراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي ؛ كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك** ، قاله **الزَّجاج** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه غير واحدمن المفسرين [٤] .

القول الثاني : أراد **شعراء الجاهلية** ، قاله **عكرمة** [٥] .

عن **عكرمة** قال : تهاجي شاعران في الجاهلية ؛ فكان مع كل واحد منهما فئة من الناس ، قال الله ﷻ : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ فهم ذينك الشاعران .

القول الثالث : أراد **شعراء كفار قريش** الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم ، قاله **ابن**

= العروس : ٣٩ / ١٩٧ .

(١) روح المعاني : ١٩ / ١٤٧ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٠٤ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٢ .

(٤) منهم : النسفي (٣ / ٢٠٢) وحكى قول الزجاج ، وأبو حيان (٧ / ٤٥) ، والبقاعي (٥ / ٤٠٠) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٣٢) .

عباس ﷺ [١] ، وقاله **أهل** [٢] التفسير [٣] .

قال **الفراء** :

" نزلت فى **ابن الزَبَعْرَى** وأشباهه [٤] ؛ لأنهم كانوا يهجون النبىّ ﷺ والمسلمين " [٥] . وكذا وكذا قال **أهل** التفسير .

وعن **ابن عباس** ﷺ قال : ... ثم استثنى [٦] ؛ فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩ / ٢٨٣٤) . وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣٤) إلى ابن مردويه . ونسبه إليه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ١٥٠) ، والآلوسي في تفسيره (١٩ / ١٤٦) .

(٢) نسبه إلى أهل التفسير : السمعاني في تفسيره (٤ / ٧٢) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤٠٣) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١٢٩) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٩٩) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ٨٢) .

(٣) منهم : الطبري (١٩ / ١٢٧) ، وحكاه السمر قندي (٢ / ٥٧١) ، والثعلبي (٧ / ١٨٥) ، والواحدي (٢ / ٧٩٨) ، والسمعاني (٤ / ٧٢) ونسبه لأهل التفسير ، والبغوي (٣ / ٤٠٣) ، وحكاه الزمخشري (٣ / ٣٤٨) ، وحكاه القرطبي (١٣ / ١٥٢) ، وقدَّمه الخازن (٥ / ١٢٥) ، والنيسابوري (٥ / ٢٨٩) وقدَّمه ابن عادل (١٥ / ٩٩) ، وحكاه أبو السعود (٦ / ٢٧٠) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٠٨ - ٢١٠) .

(٤) ذكر مقاتل في تفسيره (٢ / ٤٦٧) **أسماؤهم** ؛ فقال : " ومنهم : عبد الله بن الزبعري السهمي ، وأبو سفيان بن عبد المطلب ، وهميرة بن أبي وهب المخزومي ، ومشافع بن عبد مناف عمير الجمحي ، وأبو عزة اسمه عمرو بن عبد الله ، كلهم من قريش ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي" . اهـ . وينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٧٢ .
وابن الزِّبعْري ﷺ هو : عبد الله بن الزِّبعْري - بكسر الزاي والموحدة وسكون المهملة بعدها راء مقصورة - بن قيس السهمي القرشي ، أبو سعد : شاعر قريش في الجاهلية . كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة ، فهرب إلى نجران ، فقال فيه " حسان " أبياتاً ، فلما بلغته عاد إلى مكة **فأسلم** واعتذر ، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحُلَّة . ت نحو سنة ١٥ هـ . ينظر : الأغاني : ١٥ / ١٧٤ ، الاستيعاب : ٣ / ٩٠١ - ٩٠٤ ، الإصابة : ٤ / ٨٧ ، ٨٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٤٦ .

(٦) قالوا : **الآية منسوخة** بالاستثناء في شعر المؤمنين ، واعتمدوا على رواية لابن عباس ﷺ فيها التصريح بالقول بالنسخ ؛ قاله ابن حزم ، وابن البارزي ، والكرمي . ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ١٦١ ، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي : ٤٣ ، الناسخ والمنسوخ للكرمي : ٤٩ .
والحق : أن الآية فيها تخصيص بالاستثناء وليس فيها نسخ (**العام المخصوص بالاستثناء**) ؛ وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ ، قال بذلك السيوطي في الإتقان وكذلك الزرقاني في المناهل ، وقبلهما النحاس وابن الجوزي لم يقرا القول بالنسخ ، وأوردا رواية أخرى قالوا هي الصحيحة عن ابن عباس ﷺ (وهي المذكورة في المتن) ولم يرد فيها إلا القول بالاستثناء وذكر النحاس أن هذا الذي تسميه العرب استثناء لا نسخاً ، تقول : جاءني القوم إلاَّ عمراً ، لا يقال هذا نسخ ، والاستثناء عند سيبويه بمنزلة التوكيد لأنك بينت به كما تبين بالتوكيد ، أما ابن الجوزي فتعقب رواية ابن عباس ﷺ التي صرح فيها بالقول بالنسخ بأنها لا يعوَّل عليها ، وإنما هذه الألفاظ من تغيير الرواة ؛ فهم ينقلون بما يظنونه المعنى فيخطئون . ينظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٦٠٩ ، نواسخ =

ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴾ [١] ، يعني حسَّان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ﷺ كانوا يذبُّون عن النبي ﷺ وأصحابه هجاء المشركين [٢] .

قال **ابن كثير** :

" ولا شك أنه استثناء ، ولكن هذه السُّورة مكيَّة [٣] ؛ فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار وغيرهم ؟! " . اهـ [٤] .

✍ **ويظهر : أن القول الثاني والثالث متقاربان ؛ فشعراء الجاهلية هم شعراء كفار قريش** فهم الذين آذوا النبي ﷺ والمسلمين بأشعارهم ؛ ولم أجد مفسراً – في حدود ما اطلعت – فصلهما في قولين مستقلين سوى ابن جُزيّ ؛ بل ذكر غير واحد من المفسرين بأن المراد : شعراء الجاهلية ممن ذم الإسلام وأهله [٥] في قول واحد .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة** : الفخر الرازي ، والبيضاوي ، والآلوسي ، والسعدي ، والشنقيطي ، وذكر الشوكاني الأقوال ولم يرجح [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن المراد بـــ ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾ شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم ، ويدخل في الآية شعراء الأنصار وغيرهم ؛ وكل شاعر مخلِّط يهجو ويمدح شهوة محرمة ويقذف المحصنات ، ويقول الزُّور**

= القرآن لابن الجوزي : ٢٠٤ ، إتقان السيوطي : ٣ / ٤٤ ، ٥٩ ، مناهل العرفان للزرقاني : ٢ / ١٨٣ .

(١) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩ / ٢٨٣٤) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر (٦ / ٣٣٤) إلى ابن مردويه .

(٣) سورة الشعراء مكية ، وقد استثنى غير واحد من المفسرين الأربع الآيات الأخيرة منها ، وقال هي مدنية ، وذكر السيوطي أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل . والله أعلم . ينظر : إتقان السيوطي : ١ / ٤٧ ، ٥١ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٥ .

(٥) ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٤٠٣ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٩٩ .

(٦) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٢١ .

وما لا يسوغ شرعاً ، قال بذلك **ابن عطية** ، **وابن كثير** ، **والثعالبي** ، وحكاه **القاسمي** [١] .

يؤيد هذا القول : **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** [٢] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٥ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٣٩ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٣٨ .

(٢) ينظر : القواعد الحسان للسعدي : ١٠ ، قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٥٩٣ ، قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٥٤٥ .

ســـــورة النمـــل

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾ . [آية : ٣] .

مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن جملة : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ مستأنفة وتمَّت الصلة قبلها ، فقال : ((﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة ؛ فتكون بقية صلة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ؛ أو تكون مستأنفة وتمَّت الصِّلة قبلها ، **ورجَّح الزَّمخشري** هذا)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : الجملة في **محل نصب على الحال** ، قاله الشوكاني [٢] .

القول الثاني : الجملة **معطوفة ؛ من جملة صلة الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾** ، قاله النسفي [٣] .

قال **أبو حيان** :

" ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة ، جاءت الجملة اسمية ، وأكدت المسند إليه فيها بتكراره ، فقيل : ﴿ بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ ، وجاء خبر المبتدأ فعلاً ليدل على الديمومة " . اهـ [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ .
(٢) ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٢٥ .
(٣) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٢٠٣ .
(٤) البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٥١ . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٥ .

القول الثالث : الجملة **مستأنفة وتمَّت الصلة قبلها** ، **رجَّحه الزَّمخشري** [١] ، **والفخر الرَّازي** (**وقال هو الأقرب**) [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه **النيسابوري** (**وقال هو الأوجه**) [٤] ، وجماعة من المفسرين [٥] .

كأنه قيل : وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة .

وتكرار الضمير (هم) لإفادة الحصر والاختصاص عند **الزَّمخشري** [٦] ، وسمَّى هذا الاستئناف اعتراضاً .

واستدل له : " أنه عقد جملة ابتدائية ، وكرّر فيها المبتدأ الذي هو ﴿ **وَهُم** ﴾ حتى صار معناها : وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ، لأنّ خوف العاقبة يحملهم على تحمُّل المشاقِّ " [٧] .

❖ **وقد جوَّز جماعة من المفسرين الوجهين الثاني والثالث** ؛ منهم : البيضاوي ، وأبو حيان وابن عادل ، وأبو السعود [٨] ؛ واحتمل أن تكون جملة : ﴿ **وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ** ﴾ :

- معطوفة على صلة ﴿ **ٱلَّذِينَ** ﴾ .
- أو استئناف إخبار .

✘ **لكنهم لم يسلموا للزمخشري تسميته للاستئناف : جملة اعتراضية .**

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٥٢ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٥٣ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٢ .
(٤) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٢٩٢ .
(٥) ومنهم : النسفي (٣ / ٢٠٣) واحتمله ، وذكر الخازن هذا المعنى في تفسيره (٥ / ١٣٣) ، واحتمله أبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٥١) ، وذكر البقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٠٧ ، ٤٠٨) هذا المعنى أيضاً .
(٦) ينظر : الكشاف للزَّمخشري : ٣ / ٣٥٢ .
(٧) المرجع السابق . وينظر : التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٤ / ١٥٣ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٠٣ .
(٨) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٥٨ ، تفسير أبي حيان : ٧ / ٥١ ، ٥٢ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٢ .

قال أبو حيان : " **و** قوله – أي الزَّمخشري – : (وتكون الجملة اعتراضية) ، هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع إلاَّ بين شيئين متعلق بعضهما ببعض كوقوعها بين صلة موصول ، وبين جزأي إسناد ، وبين شرط وجزائه ، وبين نعت ومنعوت وبين قسم ومقسم عليه ، وهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذكر " . اهـــ [١] .

✗ **كما أنكر ابن المُنَيِّر** [٢] **قبله إفادة نحو هذا التركيب الاختصاص** ؛ وادعى أن تكرار الضمير للتطرية لمكان الفصل بين الضميرين بالجار والمجرور .

✓ **وأجيب بأن** :

١. الزَّمخشري – وهو عالم باللغة والبلاغة – غير مسلَّم عنده كون الجملة الاعتراضية لا تقع إلا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض كالمبتدأ والخبر ؛ بل تقع بين كلامين متصلين معنى ، وهو المهم عند علماء المعاني .

٢. الحق : أن عقد الجملة الابتدائية وتكرار الضمير يفيد الاختصاص ؛ ويفيد التأكيد أيضاً ، قاله **الآلوسي** [٣] .

✗ **وزعم أبو حيان** [٤] أن فيما ذكره الزَّمخشري دسيسة الاعتزال .

✓ وردَّ **الآلوسي** على أبي حيان فقال :

"ولا يخفى أنه ليس في كلامه أكثر من الإشارة إلى أن المؤمن العاصي لم يوقن بالآخرة حق الإيقان ، ولعل جعل ذلك دسيسة مبني على أنه بنى ذلك على مذهبه في أصحاب الكبائر وقوله فيهم (بالمنزلة بين المنزلتين) وأنت تعلم أن القول بما اختاره في الآية لا يتوقف على

---

(١) البحر المحيط : ٧ / ٥١ ، ٥٢ . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٥ .

(٢) ينظر : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنيِّر السكندري (ذيل على الكشاف) : ٣ / ٢٦٣ ، ونسبه القاسمي والآلوسي إليه . ينظر : تفسير القاسمي : ١٣ / ٥٦ ، روح المعاني : ١٩ / ١٥٧ .
وابن المُنَيِّر هو : أحمد بن محمد بن منصور (ابن المُنَيِّر السَّكَنْدَري) : من علماء الاسكندرية وأدبائها ، له تصانيف ، منها : الانتصاف من الكشاف . ت سنة ٦٨٣ هـــ . ينظر : العبر : ٥ / ٣٤٢ ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي (ت ٨٤٢ هـــ) : ٨ / ٢٨٦ ، الديباج المذهب : ١ / ٧١ – ٧٤ .

(٣) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١٥٧ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٢ .

القول المذكور " . اهـ [١] .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة الإعرابية إلا من ذكرت من أهل النحو والتفسير – في حدود ما اطلعت –** .

❖ **ولم يتعرض لذكرها جماعة من أئمة النحو** ؛ منهم : النحاس ، والزَّجَّاج ، ومكي بن أبي طالب ، والعكبري .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الثالث ؛ وأنَّ جملة ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ مستأنفة وتمَّت الصِّلة قبلها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** .

ومال الطاهر بن عاشور لهذا القول حيث قال :

" وجملة : ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ عطف على الصِّلة وليست من الصِّلة ، ولذلك خولف بين أسلوبها وأسلوب الصِّلة فأتي له بجملة اسمية اهتماماً بمضمونها لأنه باعث على فعل الخيرات ، على أن ضمير (هم) الثاني **يجوز أن يعتبر ضمير فصل دالاً على القصر** ، أي ما يوقن بالآخرة إلا هؤلاء " . اهـ [٢] .

يدل على ذلك :

ما في ذلك القول من إبراز المعنى المقصود من الآية ؛ وتناسب ذلك مع ما يليه من الآيات .

قال **البقاعي** :

" ولما كان الإيمان بالبعث هو السبب الأعظم للسعادة وهو محطٌّ للحكمة ، عبر فيه بما يقتضي الاختصاص ، لا للاختصاص بل للدلالة على غاية الرسوخ في الإيمان به ، فقال : ﴿ بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ ﴾ أي المختصون بأنهم ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ أي : يوجدون الإيقان حق الإيجاد

---

(١) روح المعاني : ١٩ / ١٥٧ .
(٢) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢١٩ .

ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الإقدام على الطاعة ، والإحجام عن المعصية .

ولما أفهم التخصيص أن ثمَّ من يكذب بها وكان أمرها مركوزاً في الطباع ، لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل والسماع ، تشوفت نفس السامع على سبيل التعجب إلى حالهم ، فقال مجيباً له مؤكداً تعجيباً ممن ينكر ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ... ﴾ ... " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) نظم الدرر : ٥ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ . [آية : ٥] .

مسألة : في المراد بـــقوله تعالى : ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ عذاب الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر ، فقال : ((﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ يعني في الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر . ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة **والأوَّل أرجح** ؛ لأنه ذكر ﴿ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ بعد ذلك)) . اهـــ [١] .

الدراسة :

المراد بسوء العذاب : شدته وعظمته [٢] ؛ واختلف المفسرون في **المراد بـــقوله تعالى : ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾** هل هو عذاب الدنيا أو الآخرة أو الدارين على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ عذاب الآخرة ، قاله مقاتل [٣] ، وذهب إليه **القرطبي** [٤] .

حيث قال :

" ﴿ فِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ تبيين ؛ وليس بمتعلق بـ (الأخسرين) ؛ فإن من الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة ، وهؤلاء خسروا الآخرة بكفرهم ؛ فهم أخسر كل خاسر " . اهـــ [٥] .

القول الثاني : المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ **عذاب الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر** ، قاله **الطبري** [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ .
(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ٧٧ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٦ / ١٥٤ .
(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٦٩ .
(٤) قال القرطبي : وهو جهنم . ينظر تفسيره : ١٣ / ١٥٥ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٣٢ .
(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٢ .

ووافقه جماعة من المفسرين [١] ، **واستظهره** الطاهر بن عاشور [٢] .

ووجه تخصيصه بعذاب الدنيا : القرينة القرآنية :

قوله تعالى بعده في الآية نفسها : ﴿ ... وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ [٣] .

قال **ابن عطية** :

" ثمَّ توعدهم تعالى بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ فمن ناله شيء في الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة ؛ ومن لم ينله عذاب الدنيا كان سوء عذابه في موته وفيما بعده " . اهـــ [٤] .

القول الثالث : المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ **العذاب في الدنيا والآخرة ، استظهره** أبو حيان ، وابن كثير ، والبقاعي [٥] . [٦]

ويكون قوله تعالى : ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ لبيان أن ما في الآخرة أعظم العذابين بناء على أن (**الأخسرين**) **أفعل تفضيل – وهو الظاهر –** [٧] ، وذلك أن الكافر خسر الدنيا والآخرة ، كما أخبر عنه تعالى ، وهو في الآخرة أكثر خسراناً ، إذ مآله إلى عقاب دائم . وأما في الدنيا فإذا أصابه بلاء ، فقد يزول عنه وينكشف . فكثرة الخسران وزيادته ، إنما ذلك له في الآخرة ، وقد ترتب الأكثرية ، وإن كان المسند إليه واحداً بالنسبة إلى الزمان والمكان ، أو الهيئة ، أو غير ذلك مما يقبل الزيادة [٨] .

---

(١) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الثعلبي (٧ / ١٨٩) ، والواحدي (٢ / ٧٩٩) ، والبغوي (٣ / ٤٠٦) ، والزمخشري (٣ / ٣٥٣) والبيضاوي (٤ / ٢٥٩) ، والنسفي (٣ / ٢٠٣) ، والخازن (٥ / ١٣٣) ، والنيسابوري (٥ / ٢٩٣) ، وابن عادل (١٥ / ١٠٩) ، والجلالين (٤٩٤) ، وأبو السعود (٦ / ٢٧٣) والخطيب الشربيني (٣ / ٨٦) ، وحكاه الشوكاني (٤ / ١٢٦) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٠٢) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٢٢ .

(٣) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٢ ، التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٩ / ٢٢٢ .

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٤٨ . وينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٤٢ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٧ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٠٨ .

(٦) جوَّز القولين الثاني والثالث و لم يرجح : الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٥٤) ، والآلوسي (١٩ / ١٥٨) .

(٧) قاله : أبو حيان في تفسيره (٧ / ٥٢) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٢٩٥) .

(٨) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٥٢ . بتصرف يسير . وينظر : الدر المصون : ٥ / ٢٩٥ .

وقال **جماعة** : أفعل هنا للمبالغة لا للشركة [١] .

قال أبو حيان :

" كأنه يقول : ليس للمؤمن خسران ألبتَّة حتى يشركه فيه الكافر ويزيد عليه " [٢] .

وقد تقدم جواب ذلك ، وهو أن الخسران راجع إلى شيء واحد ، باعتبار اختلاف زمانه ومكانه [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن المراد بـــ ﴿ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ عذاب الدنيا ؛ وهو القتل يوم بدر ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه من المفسرين ،** ويدل على ذلك – إضافة إلى ما تقدَّم – ما يلي :

أولاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [٤] .

ثانياً : سورة النمل مكيَّة [٥] بلا خلاف ، وقد توعدهم ﷻ بسوء العذاب وهو أشده وأعظمه ؛ وكان ذلك يوم بدر .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) حكاه ابن عادل في تفسيره (١٥ / ١٠٩) .
(٢) البحر المحيط : ٧ / ٥٢ .
(٣) ينظر : المرجع السابق ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٥ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٠٩ .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .
(٥) ينظر : البيان في عد آي القرآن للداني : ١٩٩ . وينظر عامة كتب التفسير .

قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ **إِلَّا مَن ظَلَمَ** ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ ﴾ . [آية : ١٠ ، ١١] .

مسألة : في الاختلاف في نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ ومعنى الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء منقطع ، فقال : ((﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء منقطع ؛ تقديره : لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين . وقيل : إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم ، **وهذا بعيد** ...)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بناء على اختلاف أهل العلم والمفسرين في مسألة عصمة الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – من الذنوب أو تجويز الذنوب عليهم **اختلفوا في نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ ومعنى الآية** ؛ لأن من مقتضى الاستثناء المتصل إثباتَ نقيض حكم المستثنى منه للمستثنى ، ونقيضُ انتفاء الخوف حصول الخوف . والموجود بعد أداة الاستثناء أنه مغفور له فلا خلاف عليه . ويُفهم منه أنه لو ظلم و لم يبدل حسناً بعد سوء يخاف عذاب الآخرة ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى أربعة أقوال :

القول الأوَّل : الاستثناء متصل ؛ على القول بتجويز الذنوب عل ى المرسلين ، وذلك بإتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد قبل اصطفائه للرسالة أو ما كان قبل التبليغ ، وروي عن **ابن جريج والحسن** [٢] ، **وقتادة** [٣] ، **والضحاك** [٤] ، **ومقاتل** [٥] ما يقتضي أنه استثناء متصل .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / 93 .

(٢) أخرج أقوالهما ابن جرير . ينظر تفسيره : ١٩ / ١٣٧ . ونسبه إليهما غير واحد من المفسرين .

(٣) نسبه ابن الجوزي والآلوسي إليه . ينظر : زاد المسير : ٦ / ١٥٦ ، روح المعاني : ١٩ / ١٦٥ .

(٤) نسبه أبو حيان إليه . ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٦ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٠ .

ورجَّحه الطبري [١] ، **وحكاه النحاس** [٢] ، وقاله جماعة من المفسرين [٣] .

✍ **وللسَّلف والمفسِّرين فيه عبارات :**

- عن **ابن جريج** قال : لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ؛ فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه .
- عن **الحسن** قال : إني إنما أخفتك لقتلك النفس .
- وعن **الحسن** أيضاً قال : كانت الأنبياء تذنب فتعاقب [٤] .
- وقال **مقاتل** : " ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ نفسه من الرسل ؛ فكان منهم : آدم ، ويونس وسليمان ، وإخوة يوسف ، وموسى بقتله النفس عليهم السَّلام " [٥] .

فالاستثناء على هذا صحيح ، قاله **الثعلبي** [٦] وغيره .

أي : إلا من ظلم نفسه من النبيين والمرسلين فيما فعل من صغيرة قبل النبوة ؛ وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه .

وقال **الفخر الرَّازي** :

" وهو محمول على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل أو الصغيرة ، ويحتمل أن يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات اللطيفة " . اهـ [٧] .

✍ **فإن قال قائل : فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة ؟**

" قيل له : هذه سبيل العلماء بالله ﷻ أن يكونوا خائفين من معاصيه وجلين ، وهم أيضا لا

---

(١) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٣٧ .
(٢) ينظر إعرابه : ٣ / ٢٠٠ .
(٣) منهم : ابن الجوزي (٦ / ١٥٦) وقدَّمه ، ولم يذكر الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٥٨) ولا النيسابوري (٥ / ٢٩٤) غيره .
(٤) أخرج ابن جرير أقوال السلف في الآية . ينظر تفسيره : ١٩ / ١٣٦ .
(٥) تفسير مقاتل : ٢ / ٤٧٠ .
(٦) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ١٩٢ .
(٧) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٥٨ .

يأمنون أن يكون قد بقي من أشراط التوبة شيء لم يأتوا به فهم يخافون من المطالبة به " [١] .

✖ **واستبعد ابن جُزيّ** هذا القول لما يلي :

١. الصَّحيح عصمتهم من الذنوب .

٢. إن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم [٢] .

القول الثاني : الاستثناء متصل من جملة محذوفة ، والتقدير : وإنما يخاف غيرهم إلاَّ من ظلم ؛ قاله **الفرَّاء** [٣] في أحد قوليه .

✖ وردَّه **القتبي** [٤] فقال :

" هذا لا يصحُّ ؛ لأن الإضمار يصح إذا كان في ظاهره دليل ، ولكن معناه : أن الله تعالى لما قال : ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ علم أن موسى كان مستشعراً خيفة من قبل القبطي فقال : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ فإنه يخاف ولكني أغفر له ﴿ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ " . اهـ .

✖ **وردَّهُ النحاس أيضاً** بأن : " الاستثناء من محذوف مُحال ؛ ولو جاز هذا لجاز أن يقال : لا تضرب القوم إلا زيداً ؛ على معنى : وإنما أضرب غيرهم إلاَّ زيداً ، وهذا ضد البيان والمجيء بما لا يعرف معناه " . اهـ [٥] .

✖ **واستبعده مكي بن أبي طالب** [٦] في مشكله .

القول الثالث : الاستثناء منقطع (ليس من الأوَّل) ؛ تقديره : لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين ، ذهب إليه **الفرَّاء والزَّجَّاج ومكِّي** [٧] .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ .
(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / 93 .
(٣) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ .
(٤) نقله السمر قندي عنه . ينظر : تفسيره : ٢ / ٥٧٤ . و لم أقف عليه في ايٍّ من كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ .
(٦) ينظر مشكله : ٢ / ٥٣٢ .
(٧) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١١٠ ، مشكل القرآن لمكي بن

وقاله **العكبري** [١] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، **واستظهره أبو حيان والآلوسي** [٣] ، ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] .

✓ وذلك لأن الرسل – عليهم السلام – معصومون من المعاصي .

وقدَّره **الزَّمخشري** [٦] بـــ (لكن) وهي علامة على أن الاستثناء منقطع [٧] .

قال **ابن كثير** :

" وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سئ ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [٨] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ... ﴾ [٩] . الآية . والآيات في هذا كثيرة جداً " . اهـــ [١٠] .

القول الرابع : لا يوجد استثناء في الآية ؛ و ﴿ إِلَّا ﴾ هاهنا بمعنى (ولا) ؛ يعني : لا

أبي طالب : ٢ / ٥٣٢ . وقال الزَّجَّاج : من المرسلين وغيرهم ، وقال بذلك ابن زمنين . ينظر تفسيره : = = ٣ / ٢٩٥ .

(١) ينظر : إملاء ما منَّ به الرحمن : ٢ / ١٧٢ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٣ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٥٥ ، روح المعاني : ١٩ / ١٦٦ .

(٤) نسبه إلى الجمهور : ابن هشام في مغني اللبيب (١٠١) ، والزَّركشي في البرهان (٤ / ٢٣٨) ، والسيوطي في الإتقان (٢ / ٤٤٣) ، والآلوسي في تفسيره (١٩ / ١٦٥) .

(٥) منهم : النحاس في إعراب القرآن (٣ / ٢٠٠) **وقدَّمه** وذكر قولاً آخر في الآية ، والزَّمخشري (٣ / ٣٥٣) ، **وصحَّحه** القرطبي (١٣ / ١٦٢) ، والبيضاوي (٤ / ٢٦٠) ، **واستظهره وصحَّحه** السمين الحلبي (٥ / ٢٩٨) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٣٥٨) غيره ، ولم يذكر الثعالبي (٤ / ٢٤٤) غير القول بأن هذا استثناء منقطع ونسبه للفرَّاء وجماعة ، **واستظهره وصحَّحه** ابن عادل (١٥ / ١١٨) ، وأبو السعود (٦ / ٢٧٥) ، **وصحَّحه** الخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ٨٩) ، والشوكاني (٤ / ١٢٧) ، وحكى محمَّد سيِّد طنطاوي في تفسيره (١٠ / ٣٠٧) قول ابن كثير والآلوسي .

(٦) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٥٦ .

(٧) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٢٩٨ . وينظر : الصحاح للجوهري (مادة : ألا) : ٥ / ٢٠١٧ ، تاج العروس (مادة : إلا) : ٤٠ / ٣٨٢ .

(٨) سورة طه : ٨٢ .

(٩) سورة النساء : ١١٠ .

(١٠) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥٨ .

يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدَّل حسناً بعد سوء ، يقول : لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون ؛ حكاه **الفرَّاء** [١] عن بعض النحويين و لم يرضه ، وذكره **الأخفش** [٢] **وأبو عبيدة** [٣] ، ونسبه **أبو البركات الأنباري** [٤] إلى الكوفيين . [٥]

واستدل له بالنظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ... ﴾ . [سورة البقرة :150] . يعني : ولا الذين ظلموا .

✖ **وتُعقِّب** : بأن هذا القول ضعيف عند أهل النحو .

قال بذلك **الفرَّاء** ، **والطبري** ، **والنحاس** ، **والسمعاني** ، **وابن عطية** ، **وأبو حيان** [٦] .

قال **الفرَّاء** :

" و لم أجد العربية تحتمل ما قالوا ؛ لأني لا أجيز (قام الناس إلا عبد الله) ؛ وهو قائم ، إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلاَّ من معنى الأسماء التي قبل (إلا) . وقد أراه جائزا أن يقول لي : (عليك ألف سوى ألف آخر) فإن وضعت (إلا) في هذا الموضع صلحت وكانت (إلا) في تأويل ما قالوا ؛ فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون معنى (إلا) كمعنى الواو وليست بها قوله : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ ... ﴾ [٧] هو في المعنى : إلا الذي ﴿ شَآءَ رَبُّكَ ﴾ من الزيادة . فلا تجعل (إلا) بمنزلة الواو ولكن بمنزلة (سوى) ، فإذا

---

(١) ينظر معانيه : ٢ / ٢٤٨ .

(٢) ينظر معانيه : ٢ / ٦٤٨ .

(٣) نسب ابن هشام والسيوطي هذا القول للأخفش والفرَّاء وأبو عبيدة . ينظر : مغني اللبيب : ١٠١ ، الإتقان : ٢ / ٤٤٣ . و لم أقف على قول أبي عبيدة في كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٤) ينظر : الانصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٢٦٦ .

(٥) قال جماعة من المفسرين جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجح ؛ منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٤) ، والسمعاني (٤ / ٨٠) ، والبغوي (٣ / ٤٠٨) ، وابن عطية (٤ / ٢٥١) ، والنسفي (٣ / ٢٠٥) ، والخازن (٥ / ١٣٤ ، ١٣٥) .

(٦) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ ، تفسير الطبري : ١٩ / ١٣٧ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٨٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥١ ، البحر المحيط : ٧ / ٥٥ .

(٧) سورة هود عليه السلام : ١٠٧ .

كانت (سوى) في موضع (إلا) صلحت بمعنى الواو ؛ لأنك تقول : عندي مال كثير سوى هذا ؛ أي : وهذا عندي ، كأنك قلت : عندي مال كثير وهذا ، وهو في (سوى) أنفذ منه في (إلا) لأنك تقول : عندي سوى هذا ، ولا تقول : إلا هذا " . اهـ [١] .

وقال **مكي** : " وهذا أبعد لاختلاط المعاني " [٢] .

الـترجيح :

✓ **أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء [٣] صلوات الله وسلامه عليهم من الكبائر ، ومن الصغائر التي هي رذائل ؛ وفي كل ما يتعلق بالتبليغ ؛ لكنهم :**

اختلفوا في :

الصغائر التي لا يسلم منها أحد قبل اصطفائهم للرسالة أو التي لا تعلق لها بالتبليغ اختلافاً مشهوراً معروفاً في كتب الأصول [٤] .

✓ **والجمهور** : يجوِّزون على الرُّسل الصَّغائر ولكنهم لا يقرُّون عليها [٥] .

بناء على هذا يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين الأوَّل والثالث ؛ فالاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ يحتمل أن يكون :**

✌ **استثناءً متصلاً** ، وذلك بإتيان الرسل للصغائر التي لا يسلم منها أحد قبل اصطفائهم للرسالة ، أو التي لا تعلق لها بالتبليغ ؛ ولا يقرُّون عليها بل يوفَّقون للتوبة منها ؛ وهي

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٤٨ .

(٢) مشكل القرآن : ٢ / ٥٣٢ .

(٣) نقل الإجماع القاضي عياض ، وابن عطية ، وعضد الدين الإيجي ، ونقل السيوطي الإجماع عن السبكي ، والشنقيطي . ينظر : الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١٢٦ – ١٣٢ ، المحرر الوجيز : ١ / ٢١١ ، ٤ / ٢٥١ ، المواقف للإيجي : ٣ / ٤١٥ ، الخصائص الكبرى للسيوطي : ٢ / ٤٤٩ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٥ .

(٤) ينظر : المستصفى للغزالي : ٢٧٤ ، أصول الدين لجمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي (٥٩٣ هـ) : ١٣٧ – ١٣٩ ، المحصول في علم الأصول للفخر الرَّازي : ٣ / ٣٣٩ – ٣٤٤ ، فتاوى ابن تيمية : ١٥ / ١٤٧ ، ١٤٨ إرشاد الفحول للشوكاني : ٦٩ – ٧١ .

(٥) نسب الذهبي وابن تيمية هذا القول إلى الجمهور . ينظر : المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال لمحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : ١٥٥ ، منهاج السُّنة النبوية لابن تيمية : ٢ / ٤٠٠ .

التي يشير إليها قول الحسن وابن جريج وغيرهما .

ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : أن هذا القول هو ما يمليه **المعنى الظاهر للاستثناء** في الآية .

قال **الطبري** : " وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج ؛ لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل " . اهـ [١] .

ثانياً : روي عن الحسن وابن جريج وغيرهما ما يقتضي هذا القول ، وبذلك **يتأيد بالقاعدة الترجيحية التالية** :

- **تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم** [٢] .

✌ **أو يكون استثناءً منقطعاً** ، تقديره : لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ووافقه جمهور المفسرين .**

ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : **أنه الأوفق** بشأن المرسلين المعصومين من الكبائر والصغائر التي هي رذائل ؛ قاله **الآلوسى** [٣] .

ثانياً : أن هذا القول هو قول جمهور المفسرين وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً ؛ كما قال **الآلوسي** [٤] أيضاً .

❖ **وقد جمع بين هذين الاحتمالين جماعة من المفسرين** ؛ منهم : النحاس ، الماوردي ، والزَّمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور [٥] .

---

(١) تفسير الطبري : ١٩ / ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٧١ .
(٣) ينظر : روح المعاني : ١٩ / ١٦٥ .
(٤) ينظر : المرجع السابق : ١٧ / ٢ .
(٥) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٠٠ ، النكت والعيون : ٤ / ١٩٧ ، الكشاف : ٣ / ٣٥٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٠ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٥ ، التحرير والتنوير : ١٩ /٢٣٠ ، ٢٣١ .

قال **الماوردي** : " ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد من غير الم رسلين لأن الأنبياء لا يكون منهم الظلم ، ويكون منهم هذا الاستثناء المنقطع .

الوجه الثاني : أن الاستثناء يرجع إلى المرسلين .

وفيه على هذا وجهان :

أحدهما : فيما كان منهم قبل النبوة كالذي كان من موسى في قتل القبطي ، فأما بعد النبوة فهم معصومون من الكبائر والصغائر جميعاً .

الوجه الثاني : بعد النبوة فإنه معصومون فيها مع وجود الصغائر منهم ، غير أن الله لطف بهم في توفيقهم للتوبة منها ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ يعني توبة بعد سيئة " . اهـ [1] .

وقال **الزَّمخشري** :

" و ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى (لكن) لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل ، كان ذلك مظنة لطروّ الشبهة ، فاستدرك ذلك . والمعنى : ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء ، كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ، ومن موسى بوكزة القبطي ، ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى ، وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها . وسماه ظلماً ، كما قال موسى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ... ﴾ [2] " . اهـ [3] .

وقال **البيضاوي** :

" استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم ؛ وفيهم من

---

(١) النكت والعيون للماوردي : ٤ / ١٩٧ .
(٢) سورة القصص : ١٦ .
(٣) الكشاف : ٣ / ٣٥٦ .

فرطت منه صغيرة ؛ فإنهم وإن فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فإنه لا يخاف أيضاً ، وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي " . اهـ [١] .

وأضاف **أبو السعود** :

" وتسميتها ظلماً لقوله ﷻ - أي : على لسان موسى عليه السلام - : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ... ﴾ [٢] " . اهـ [٣] .

وقال **الطاهر بن عاشور** :

" وقد تحصل من الاحتمالين في معنى الاستثناء أن **الرسل** في حضرة الله - أي حين القيام بواجبات الرسالة - لا يخافون شيئاً من المخلوقات ؛ لأن الله تعالى تكفل لهم السلامة ، ولا يخافون الذنوب لأن الله تكفل لهم العصْمة ، ولا يخافون عقاباً على الذنوب لأنهم لا يقربونها وأن **من عداهم** إن ظلم نفسه ثم بَدَّل حسناً بعد سوء أمِن ممّا يُخاف من عقاب الذنوب لأنه تدارك ظلمه بالتوبة ، وإن ظلم نفسه و لم يتب يخف عقاب الذنب فإن لم يظلم نفسه فلا خوف عليه . فهذه معان دلّ عليها الاستثناء باحتماليه ، وذلك إيجاز " . اهـ [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٠ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٥ .
(٢) سورة القصص : ١٦ .
(٣) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٥ .
(٤) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

قوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى تُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ . [آية : ٢٥] .

مسألة : في معنى ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ هنا في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ هنا في الآية يعم كل خفي ، فقال :

((﴿ تُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ الخبء في اللغة : الخفي . وقيل : معناه هنا : الغيب . وقيل : يخرج النبات من الأرض . **واللفظ يعمُّ كل خفي ...**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الخبء في اللغة [٢] : من خبأت الشيء أخبؤه : أستره .

والخبء مصدر أطلق هنا على اسم المفعول ، أي : المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء كما هو شأن الوصف بالمصدر ؛ والخبء : كل شيء غائب خفي مستور ، وجارية مخبأة ؛ أي : مستترة .

ومناسبة وقوع الصفة بالموصول في قوله : ﴿ ٱلَّذِى تُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ لحالة خبر الهدهد ظاهرة لأن فيها اطلاعاً على أمر خفِي . وإخراج الخبء : إبرازه للناس ، أي : إعطاؤه [٣] .

" والمعنى : أن الله ﷻ يخرج ما في هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له ؛ كما يخرج ما خفى في السموات والأرض " [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٥ .

(٢) ينظر (مادة : خبء) في كل من : مفردات الرَّاغب : ١٤٢ ، النهاية لابن الأثير : ٢ / ٣ ، لسان العرب : ١ / ٦٢ ، المصباح المنير للفيومي (مادة : خبأ) : ١ / ١٦٣ ، تاج العروس : ١ / ٢٠٥ . وفي لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عينا فيقولون : الخبع بدل (الخبء) . ينظر : العين للفراهيدي (مادة : خبع) : ١ / ١٢٣ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ١٩ / ٢٥٥ .

(٤) فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣٤ .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ هنا في الآية** على ثلاثة أقوال :

القول الأوَّل : معنى ﴿ ٱلۡخَبۡءُ ﴾ خبء السموات **المطر** ، وخبء الأرض **النبات** ؛ قاله مجاهد [١] ، وزيد بن أسلم [٢] ، وسعيد بن المسيب [٣] ، وقاله مقاتل [٤] ، وذهب إليه ابن قتيبة [٥] ، وقاله الطبري [٦] ، ومال إليه ابن كثير [٧] ، وقاله **أكثر** [٨] المفسرين [٩] .

وقوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ متعلق بـــ ﴿ يُخۡرِجُ ﴾ على أن معنى ﴿ فِي ﴾ معنى (من) ؛ و (من) و (في) يتعاقبان ، يقول العرب : لاستخرجنّ العلم فيكم ، يريد منكم . فتقديره : يخرج الخبء من السموات ؛ وهو قول الفرَّاء وابن جرير [١٠] .

واستدل له :

بأن هذا **المعنى ملائم** لقوله : ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ [١١] .

القول الثاني : معنى ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ هنا **السرَّ والغيب** ، قاله مجاهد [١٢] أيضاً ؛ وعكرمة

---

(١) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧١ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٩) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٣٥٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٣٥٣ .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٤ .

(٥) ينظر غريب الحديث لابن قتيبة : ٢ / ٤٨٤ . وينظر : المعجم الوسيط : ١ / ٢١٣ .

(٦) ينظر تفسيره : ١٩ / ١٥٠ .

(٧) ينظر تفسيره : ٣ / ٣٦٢ .

(٨) نسب هذا القول إلى أكثر المفسرين : الثعلبي في تفسيره (٧ / ٢٠٤) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤١٥) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ١٤٧) .

(٩) منهم : الواحدي (٢ / ٨٠٢) ، والسمعاني (٤ / ٩١) ، والقرطبي (١٣ / ١٨٧) ، ولم يذكر النسفي (٣ / ٢١٠) غيره ، وقدَّمه ابن عادل (١٥ / ١٤٧) ونسبه للمفسرين ، والجلالين (٤٩٧) .

(١٠) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ ، تفسير الطبري : ١٩ / ١٥٠ .

(١١) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١١٠ .

(١٢) أخرجه ابن حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) . وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٢) أيضاً للفريابي ، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر .

وقتادة [١] ، وذهب إليه الفرَّاء والزَّجَّاج [٢] ، **ورجَّحه** النحاس [٣] ، وقاله ابن أبي زمنين والثعلبي [٤] ، وقدَّمه الماوردي [٥] ، **وصحَّحه** ابن سيده ، وابن منظور [٦] .

قال **الفرَّاء** : " **وقوله** : ﴿ تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ مهموز . وهو الغيب ؛ غيب السموات وغيب الأرض " [٧] .

واستدل له بما يلي :

١. القرينة القرآنية :

قوله تعالى بعده في الآية نفسها : ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [٨] .

٢. النظائر القرآنية :

- قوله تعالى في هذه السورة الكريمة : ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة النمل : ٧٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ ... وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ . [سورة يونس عليه السلام : ٦١] . [٩]

القول الثالث : لفظة ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ **تعمُّ كل ما خفي من الأمور** ، وبه فسَّره **ابن عباس** [١٠]

---

(١) قال عكرمة وقتادة : ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ السرّ . أخرجه ابن حاتم عن عكرمة وقتادة في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) . وعزى السيوطي عن عكرمة في الدر (٦ / ٣٥٢) أيضاً لعبد بن حميد، وعن قتادة لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١١٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٢٧ .

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٢٩٩ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٠٤ .

(٥) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٢٠٤ .

(٦) ينظر (مادة : خبأ) في : المحكم والمحيط الأعظم : ٥ / ٢٤٠ ، لسان العرب : ١ / ٦٢ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٢٧ ، أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١١٠ .

(٩) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي : ٦ / ١١٠ .

(١٠) أخرجه ابن حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٦٨) ؛ وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٢) أيضاً لابن المنذر .

ﷺ ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] . [٣]

واستدل له بالقرينة القرآنية نفسها التي استدل بها أصحاب القول الثاني .

قال **السمرقندي** :

" يعني المخبئات ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ مثل المطر والثلج ، ويعني في الأرض ؛ مثل : النبات والأشجار والكنوز والموتى ، ويقال الذي يظهر سر أهل السموات والأرض ويعلنها **فذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾** " . اهـ [٤] .

وقال **البيضاوي** :

" و ﴿ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ ما خفي في غيره ، وإخراجه إظهاره ، وهو يعم إشراق الكواكب ، وإنزال الأمطار ، وإنبات النبات ؛ بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود " . اهـ [٥] .

وبيَّن **البقاعي** سبب اختصاص الخبء في السموات والأرض (ونقله عنه) فقال : **الخطيب الشربيني**

" وخصَّه بقوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لأن ذلك منتهى مشاهدتنا ، فننظر ما

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٥ .

(٢) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٩) ، والبغوي (٣ / ٤١٥) ، والزمخشري (٣ / ٣٦٦) ، وابن عطية (٤ / ٢٥٧) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ١٦٦) ، والبيضاوي (٤ / ٢٦٥) ، والخازن (٥ / ١٤٣) ، والنيسابوري (٥ / ٣٠٢) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢١) ، والثعالبي (٤ / ٢٤٩) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٢) والقاسمي (١٣ / ٦٤) وقال الآلوسي (١٩ / ١٩٢) **هو الأوَّلى** ، والسعدي (٦٠٤) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٥٥) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي في الوسيط (١٠ / ٣١٩) .
وينظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير ، مقدمة باب تفسير سورة النمل ٤ / ١٧٨٨ ، وذكر ابن حجر في الفتح (٨ / ٥٠٤) أنه قول ابن عباس ﷺ واكتفى بتخريج الطبري له . وينظر : إتقان السيوطي : ٢ / ٣٢٥ .
ومن **كتب الغريب** ؛ ينظر : غريب القرآن للسجستاني : ٢١١ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب : ٢ / ٤٨ ، التبيان في تفسير غريب القرآن للهائم المصري : ٣٢٤ . وينظر : كليات الكفوي : ٤٣٨ .

(٣) ذكر الأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح : الشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٣٤) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ١٠٩ ، ١١٠) .

(٤) تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٧٩ .

(٥) تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٥ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٢ .

يتكون فيهما بعد أن لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك من الرعد والبرق وغيرهما ، وما يشرق من الكواكب ويغرب ؛ إلى غير ذلك من الرياح ، والبرد والحر ، الحركة والسكون ، والنطق والسكوت ، وما لا يحصيه إلا الله تعالى ، والمعنى أنه يخرج ما هو في عالم الغيب فيجعله في عالم الشهادة " . اهـ [1] .

والحق : أن القول **الثاني والثالث متقاربان** : فلفظة ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ عمٌّ كل ما خفي من الأمور ، أو كل ما غاب في السموات والأرض .

وأما **القول الأوَّل** فهو فيما يظهر لي من باب **ضرب المثل** على الخبء في السموات والأرض ؛ من المطر والنبات .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أنَّ لفظة ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾ عمٌّ كل ما خفي من الأمور من مطر ونبات وغيره ؛ وما هو أبعد من ذلك مما لا يعلمه ولا يحيط به إلا الله جل وعلا ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، أو ما غاب في السموات والأرض** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : القول بالعموم هو ما فسَّره به **ابن عباس** ﷺ ، وهو حبر هذه الأمَّة وترجمان القرآن ، وأما تفسير **لفظة ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾** بما غاب فهو **قول مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وجماعة من أئمة أهل اللغة** كما بيَّنَّا .

ثانياً : هذا القول بالعموم هو الموافق لعموم اللفظ في الآية ؛ وقد ذهب إلى القول بالعموم جمع من المفسرين كما ذكرت .

ثالثاً : جمع جماعة من المفسرين بين هذين المعنيين ؛ من العموم وما غاب ؛ منهم : **الزَّمخشري (وقال بقوله النيسابوري وأبو حيان)** حيث قال :

---

(١) نظم الدرر : ٥ / ٤٢١ . وينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٢ ، السراج المنير : ٣ / ١٠٠ ، تفسير السعدي : ٦٠٤ ، الظلال : ٥ / ٢٦٣٩ . **وينظر قبلهم** : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٣٦٦ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٣٠٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٦٧ .

" وهو النبات والمطر **وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه** " [١] .

رابعاً : يتأيد هذا القول بالقرينة القرآنية والنظائر القرآنية ؛ وعليه يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه .**
- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [٢] .

✓ **وفي الآية جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم :**

قال **أبو حيان** :

" ولما كان الهدهد قد أوتي من معرفة الماء تحت الأرض ما لم يؤت غيره ، وألهمه الله تعالى ذلك ، كان وصفه ربه تعالى بهذا الوصف الذي هو قوله : ﴿ ٱلَّذِى تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ ﴾ ، إذ كل مختص بوصف من علم أو صناعة ، يظهر عليه مخايل ذلك الوصف في روائه ومنطقه وشمائله ، ولذلك ورد ما عمل عبد عملاً إلا ألقى الله عليه رداء عمله " . اهـ [٣] .

وقال **ابن كثير** :

" وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس ﷺ وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض ودواخلها " . اهـ [٤] .

✍ **مع العلم الحديث :**

وهذا هو ما ذكره علماء اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة من نزول القرآن العظيم عن طائر الهدهد (**Hoopoe**) وعن مميزاته الكثيرة الفريدة التي اختصه الله بها والتي أهلته ليكون رسولاً متميزاً للنبي سليمان عليه السلام في قصته المشهورة عن الملكة بلقيس (ملكة مملكة سبأ [٥])

---

(١) الكشاف : ٣ / ٣٦٦ . وينظر : تفسير غرائب القرآن للنيسابوري : ٥ / ٣٠٢ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٦٧ .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٣١٢ .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٦٧ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٢ .

(٥) **سَبَأ** هي : - بفتح أوله وثانيه وهمز آخره وقصره - أرض باليمن ، مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاءَ مسيرة ثلاثة أيام . ينظر : معجم البلدان للحموي : ٣ / ١٨١ .

والذين كانوا يعبدون الشمس من دون الله ؛ وكيف كان الهدهد إيجابياً في نشر دعوة الله .

جاء في الموسوعة : من ضمن مميزاته [١] : **القابلية العجيبة في طلب الماء والكشف عن تواجده تحت الأرض** . فوصف ربه ﷻ بما ألهمه وعلَّمه . ولو رأيت هدهداً أمامك لوجدته يحفر بمنقاره الأرض ليخرج ما خبَّأه الله في الأرض على ما وصف هو به ربَّه : ﴿ ٱلَّذِى تُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) للمزيد ؛ ينظر : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، الهدهد آية من آيات الخالق بقلم الأستاذ حسن يوسف شهاب الدين ؛ عن كتاب الدكتور خالد العبيدي (هندسة النقل والاتصالات في القرآن والسُّنة) ضمن سلسلة كتب (المدرسة الهندسية في القرآن والسُّنة النبوية) الذي يصدر عن جائزة دبي للقرآن الكريم.

قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ . [آية : ٢٨] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، فقال :

((﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي : تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروي أنه دخل عليها من كوَّة فألقى إليها الكتاب ، وتوارى في الكوَّة . وقيل : إن التقدير : انظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ فهو من المقلوب ، **والأوَّل أحسن**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

" ألهم الله النبي سليمان عليه السلام بحكمته أن يجعل لاتصاله ببلاد اليمن طريقَ المراسلة لإدخال المملكة في حيّز نفوذه ، والانتفاع باجتلاب خيراتها ، وجعلها طريق تجارة مع شرق مملكته فكتب إلى ملكة سبأ كتاباً لتأتيَ إليه ؛ وتدخلَ تحت طاعته وتُصلح ديانة قومها .

واتخذ للمراسلة وسيلة الطير الزاجل من حَمام ونحوه ، فالهدهد من فصيلة الحَمام وهو قابل للتدجين ، فقوله : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا ﴾ يقتضي كلاماً محذوفاً ، وهو أن سليمان عليه السلام فكر في الاتصال بين مملكته وبين مملكة سبأ فأحضر كتاباً وحمَّله الهدهد " [٢] .

﴿ **فَأَلْقِهْ** ﴾ من : أَلْقَى الشيءَ إِلْقَاءً : أي : طَرَحَهُ حيثُ يَلْقاهُ ، أي : تراه ، ثم صارَ في التَّعارفِ اسْماً لكلِّ طرْحٍ ؛ قالَهُ الرَّاغب [٣] .

وهو هنا مستعمل في حقيقته في شأن الهدهد ليصل إلى ملكة سبأ (بلقيس) فيطرح الكتاب

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٥ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٥٧ . بتصرف .

(٣) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : لقي) : ٤٥٣ . وينظر (مادة : لقي) في : لسان العرب : ١٥ / ٢٥٥ ، تاج العروس : ٣٩ / ٤٧٧ .

من منقاره ؛ كما ذكر ذلك غير واحد من السَّلف [١] .

واختلف أهل العلم والمفسرون **في معنى قوله تعالى** : ﴿ **فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : **في الآية تقديم وتأخير** ؛ ومعناه : ألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ **فهو من المقلوب** ، قاله **ابن زيد** [٢] ، وذهب إليه الفرَّاء [٣] ، **وحسَّنه** الزَّجَّاج [٤] .

ويكون معنى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ على هذا القول الانصراف أو الرجوع إلى سليمان عليه السلام قاله **مقاتل** [٥] .

قال **الفرَّاء** :

" **يقول القائل : كيف أمره أن يتولَّى عنهم وَقَدْ قَالَ : ﴿ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ؟**

وذلك فى العربيَّة بيّن ؛ أنه استحثّه فَقَالَ : ﴿ اذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا ﴾ وعجِّل ثم أُخّر ﴿ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ومعناهَا التقديم " اهـ [٦] .

وهذا التقديم والتأخير في الآية : لأن رجوع الهدهد من عندهم والتولي عنهم بعد أن ينظر ما الجواب ؛ قاله **الزَّجَّاج** [٧] ، وذكر أنَّ التقديم والتأخير كثير في الكلام .

✖ **وتعقَّبه أبو حيان وغيره** [٨] **بأنه** : " لا ضرورة تدعو إلى التقديم والتأخير ، بل **الظاهر** أن أن النظر معتقب التولِّي عنهم " [٩] .

---

(١) سأذكر أقوالهم لاحقاً .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) ، ونسبه البغوي في تفسيره (٣ / ٤١٥) .

(٣) ينظر معانيه : ٢ / ٢٥١ .

(٤) ينظر معانيه : ٤ / ١١٧ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٤ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٥١ .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١١٧ .

(٨) **تعقَّبه أيضاً** : **السمين الحلبي** ، **وابن القيم** ، **والزَّركشي** ، **وابن عادل** ، **والآلوسي** . ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣١١ ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيِّم (ت ٧٥١ هـ) : ٢ / ٧١٦ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ٢٩٢ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٥١ ، روح المعاني : ١٩ / ١٩٣ .

(٩) البحر المحيط : ٧ / ٦٨ .

القول الثاني : معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ **تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، ووهب بن منبه [٢] ، وحكاه الزَّجَّاج [٣] ، **ورجَّحه** الطبري [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة المفسرين [٦] . [٧]

عن **قتادة** قال : كانت صاحبة سبأ إذا رقدت غلقت الأبواب ، وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ؛ فلما غلقت الابواب وآوت إلى فراشها جاءها الهدهد ؛ حتى دخل من كوَّة بيتها فقذف الصحيفة على بطنها ... [٨]

وقال **ابن زيد** : وكانت لها كوَّة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس ؛ تطلع فيها فتسجد لها ، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدَّها ، واستبطأت الشمس فقامت تنظر ؛ فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه وطار حتى قامت تنظر الشمس [٩] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٧١) . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٧ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٥٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) . ونسبه إليه ابن عطية وجماعة من المفسرين ؛ ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥٧ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ١١٧ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٥١ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٥ .

(٦) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٧٩) ، وقدَّمه الثعلبي (٧ / ٢٠٥) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٠٦) ، والواحدي (٢ / ٨٠٢) ، والزمخشري (٣ / ٣٦٧) ، **واستظهره** ابن عطية (٤ / ٢٥٧) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ١٦٧) ، ولم يذكر الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٦٦) غيره ، و **استظهره** القرطبي (١٣ / ١٩١) ، ولم يذكر البيضاوي (٤ / ٢٦٥) ولا النسفي (٣ / ٢١٠) غيره ، والخازن (٥ / ١٤٤) ، ولم يذكر النيسابوري (٥ / ٣٠٣) غيره ، وأبو حيان (٧ / ٦٨) ، والسمين الحلبي في الدر (٥ / ٣١١) ، وابن كثير (٣ / ٣٦٢) والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢٢) ، والثعالبي (٤ / ٢٤٩) ، والجلالين (٤٩٧) ، ولم يذكر أبو السعود (٦ / ٢٨٣) غيره ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٠١) ، وقال الشوكاني (٤ / ١٣٤) **وهو الأوَّلى** ، والآلوسي (١٩ / ١٩٣) ، والسعدي (٦٠٤) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٥٧) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢١) .

(٧) ذكر القولين ولم يرجح من المفسرين : النحاس في معانيه (٥ / ١٢٨) ، والسمعاني (٤ / ٩٢) ، والبغوي (٣ / ٤١٥) ، ولم يتعرض القاسمي لهذه المسألة .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٧٠) . وعزاه السيوطي في الدر أيضاً (٦ / ٣٥٣) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) . وذكره الفخر الرَّازي وابن جُزيّ من غير نسبة ، ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٦ ، التسهيل : ٣ / ٩٥ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ تنحَّ إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ؛ وهو ما رجّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جماعة المفسرين** ؛ يدل على ذلك إضافة لما تقدم ، ولما يلي :

أولاً : هذا القول مرويٌّ عن **ابن عباس** ﷺ ، وهو حبر هذه الأمَّة وترجمان القرآن .

ثانياً : القرينة القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي : تأمل وتفكر فيما يرجع بعضهم إلى بعض من القول ، وما يتراجعونه بينهم من الكلام [(١)] ، من قوله تعالى : ﴿ ... يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ... ﴾ [(٢)] . [(٣)]

قال **ابن جرير** : " وهذا القول **أشبه بتأويل الآية** ؛ لأن مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقي إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان " . اهـ [(٤)] .

ثالثاً : أمره بالتولِّي حُسنُ أدب ليتنحَّى حسبما يتأدب به مع الملوك ، **بمعنى** : وكن قريباً حتى ترى مراجعاتهم ؛ قاله **وهب بن منبه** [(٥)] .

رابعاً : " **اتساق رتبة الكلام أظهر** ، أي : ألقه ، ثم تولَّ ، وفي خلال ذلك ﴿ فَٱنظُرْ ﴾ . وإنما أراد أن يكل الأمر إلى علم ما في الكتاب دون أن تكون للرسول ملازمة ولا إلحاح " قاله **ابن عطية** [(٦)] .

---

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣٦ .

(٢) سورة سبأ : ٣١ .

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٣٦٧ ، التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٤ / ١٦٦ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٩١ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٠٣ .

(٤) تفسير الطبري : ١٩ / ١٥١ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٥١) . ونسبه إليه ابن عطية والقرطبي وغيرهما ؛ ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥٧ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ١٩١ . وينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٢ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٣٦ .

(٦) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٥٧ . وينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ١٩١ .

خامساً : يتأيد هذا القول **بالقاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ . [آية : ٣٨] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ الدخول في دين الإسلام ، فقال : ((القائل سليمان ، والملأ : جماعة من الجن والإنس ، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين لأنه وصف له بعظمة ؛ فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا ؛ فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم ، فـ ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ على هذا من الدخول في دين الإسلام . وقيل : إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليظهر لهم قوته ؛ فـ ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ على هذا بمعنى : منقادين)) . اهـ [١] .

الدراسة :

طلب النبي سليمان عليه السلام من الملأ – وهم جماعة من الجن والإنس – أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة سبأ ؛ قبل أن تأتيه وقومها مسلمين .

واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾** على قولين :

القول الأوَّل : معنى ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ **الدخول في دين الإسلام** ، لأن سليمان عليه السلام علم أن بلقيس إن أسلمت يحرم عليه مالها ؛ فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها ، قاله قتادة [٢] ، وابن جريج [٣] ، وذهب إليه مقاتل [٤] ، وقاله الزَّجَّاج [٥] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .
(٢) سيأتي تخريجه لاحقاً .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٠) ، ونسبه إليه ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٠) .
(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٧ .
(٥) ينظر معانيه : ٤ / ١٢٠ .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه **أكثر** [٢] أهل التفسير [٣] .

عن **قتادة** قال : فلما بلغ سليمان أنها جائيةٌ ، وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه ، وكان عرشها من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر ، وكان مستتراً بالديباج والحرير ، وكانت عليه تسعة مغاليق ، فكره أن يأخذه بعد إسلامهم ؛ وقد علم نبي الله أنهم متى ما أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم ، فأحب أن يؤتى من قبل أن يكون ذلك من أمرهم ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [٤] .

ورُوي عن **عطاء الخراساني** ، والسُّدي ، **وزهير بن محمد** [٥] نحو ذلك .

✖ **وتعقَّبه النسفي** بقوله : " وهذا بعيد عند أهل التحقيق " [٦] .

✖ **واستبعده أبو حيان** فقال : " لأن ذلك لا يقع من نبي أوتي ملكاً لم يؤته غيره " [٧] .

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٦ .

(٢) نسبه إلى **أكثر أهل التفسير** : البغوي في تفسيره (٣ / ٤١٩) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٠٣) ، ومحمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ) في حياة الحيوان الكبرى (٢ / ١٦٨) ، وعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت ٨٩٤ هـ) في نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢ / ٣٩٣) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ١٦٣) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٣٨) .

(٣) منهم : الثعلبي (٧ / ٢٠٩) وقدَّمه ، والواحدي (٢ (٨٠٤) ، وقدَّمه البغوي (٣ / ٤١٩) ، والبيضاوي (٤ / ٢٦٨) ، ولم يذكر ابن كثير (٣ / ٣٦٤) غيره ونسبه إلى غير واحد من السلف ، والخطيب الشربيني في السراج المنير (٣ / ١٠٥) ، والشوكاني (٤ / ١٣٨) ، والسعدي (٦٠٥) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٣) ، وعزاه السيوطي في الدر أيضاً (٦ / ٣٥٩) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني ، والسدي ، وزهير بن محمد في تفسيره (٩ / ٢٨٨٤) ، ونسبه إليهم ابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٦٤) .

وعطاء الخراساني هو : عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، أبو عثمان ، وثقه جماعة ، إلا أنه كان رديء الحفظ ، كثير الوهم يخطئ ولا يعلم ، ويرسل عن الصحابة ويدلس ، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به ، ت سنة ١٣٥هـ . ينظر : تهذيب الكمال : ٢٠ / ١٠٦ ١١٦ ، المجروحين : ٢ / ١٣٠ ، ١٣١ ، لسان الميزان : ٧ / ٣٠٥ .

وزهير بن محمَّد هو : زهير بن محمد التميمي المروزي الخَرَقي – بفتحتين – ، أبو المنذر : الحافظ المحدث ، اختلف علماء الحديث في توثيقه وتضعيفه . ت سنة ١٦٢ هـ . ينظر : السِّير : ٨ / ١٨٧ – ١٩٠ ، الوافي بالوفيات : ١٤ / ١٥٣ ،التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة : ١ / ٣٦٠ .

(٦) تفسير النسفي : ٣ / ٢١٣ .

(٧) البحر المحيط : ٧ / ٧٢ .

القول الثاني : معنى ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ **منقادين طائعين مستسلمين** ، قاله ابن عباس [١] رضي الله عنه **ورجَّحه** الطبري [٢] ، وجوَّزه الزَّجَّاج [٣] ، وقاله جماعة من المفسرين [٤] . [٥]

قال **ابن زيد** [٦] : استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله ، وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها .

وقال **الطبري** : " وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا : ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه ؛ أنها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض مغلق مقفل عليها ، فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله إلى وليه من خلقه ، وسلمه إليه ؛ فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته " . اهـ [٧] .

وقال **أبو السعود** :

" وتقييد الإتيان به – أي عرش بلقيس – بقوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير – ووصله – في تفسيره (١٩ / ١٦١) ؛ وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٩) إلى ابن المنذر . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٨ . وذكره البخاري عنه تعليقاً ؛ ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٤ / ٢٧٦) . **فالأثر صحيح عن ابن عباس** رضي الله عنه .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٦١ .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ١٢٠ .

(٤) منهم : ابن أبي زمنين (٣ / ٣٠١) ، وقدّمه الماوردي في النكت والعيون (٤ / ٢١١) ، والسمعاني (٤ / ٩٨) ، والنسفي (٣ / ٢١٣) ، والخازن (٥ / ١٤٨) وقدَّم قول ابن عباس رضي الله عنه ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢٦) ، والثعالبي (٤ / ٢٥١) ، وقدَّم ابن عادل (١٥ / ١٦٣) قول ابن عباس رضي الله عنه ، والجلالين (٤٩٩) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٦) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٤١) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٧٠) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢٥) .

(٥) ذكر جماعة من المفسرين القولين و لم يرجحوا بينهما ؛ منهم : النحاس في معانيه (٥ / ١٣٢) ، والزمخشري (٣ / ٣٧١) ، وابن عطية (٤ / ٢٦٠) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ١٦٩) ، والقرطبي (١٣ / ٢٠٣) ، والنيسابوري (٥ / ٣٠٥) ، وأبو حيان (٧ / ٧٢) ، والآلوسي (١٩ / ٢٠١) . و لم يتعرض القاسمي والشنقيطي لهذه المسألة .

(٦) نسبه إليه : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٠) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٠٣) ، وأبو حيان في تفسيره (٧ / ٧٢) ، والدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢ / ١٦٨) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٢٠١) .

(٧) تفسير الطبري : ١٩ / ١٦١ .

لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة ؛ **وأدل على عظيم قدرة الله تعالى** وصحة نبوته عليه السلام ؛ وليكون اختبارها وإطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها " . اهـ [١] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ الراجح أنَّ معنى ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ منقادين طائعين مستسلمين ؛ خلافاً لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : هذا القول هو **قول ابن عباس** رضي الله عنهما ، وقد صحَّ عنه ، وهو حبر هذه الأمَّة والأعلم بالتنزيل .

ثانياً : " **هو أولى التأويلين** ؛ لأن المرأة لم تأت سليمان عليه السلام إذ أتته مسلمة ؛ وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه ؛ وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة " ؛ قاله **الطبري** [٢] .

ثالثاً : هذا القول **أليق بمنصب النبوَّة** ؛ فيتعين حمل الآية عليه ؛ قاله **الثعالبي** [٣] .

رابعاً : " وفي القصة : أن بلقيس أقبلت في جنودها إلى سليمان عليه السلام طلبا للصلح ودخولاً في طاعته " قاله **السمعاني** [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٦ .
(٢) تفسير الطبري : ١٩ / ١٦١ .
(٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥١ .
(٤) تفسير السمعاني : ٤ / ٩٨ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ... ﴾ . [آية : ٤٠] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : فيمن هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن **﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ هو آصف بن برخيا** ، فقال : ((﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ هو آصف بن برخيا ، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ؛ كان يعلم اسم الله الأعظم . وقيل : هو الخضر . وقيل : هو جبريل . **والأوَّل أشهر** ، وقيل : سليمان ، **وهذا بعيد**)) . اهـ [1] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **من هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾** وهل هو إنسي أم ملك ؟ فيه قولان :

أحدهما : أنه إنسي ، وفيه أقوال منها :

القول الأوَّل : هو **آصف بن برخيا** ، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ؛ كان يعلم اسم الله الأعظم [2] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .

(٢) اختلفوا في الدعاء الذي دعا آصف ، فقال مجاهد ومقاتل : يا ذا الجلال والإكرام . وقال الكلبي : يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة – رضي الله عنها – ، وروي عن الزهري قال : دعاء الذي عنده علمٌ من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها . ينظر تفسير مجاهد : ٢ / ٤٧٢ ، تفسير مقاتل : ٢ / ٤٧٧ ، تفسير الطبري : ١٩ / ١٦٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٢٠ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٠٦ . وأخرجه عن مجاهد ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) .
قال سيد قطب : " ولقد جرى بعض المفسرين وراء قوله : ﴿ عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ فقال بعضهم : إنه التوراة . وقال بعضهم : إنه كان يعرف اسم الله الأعظم . وقال بعضهم غير هذا وذاك . وليس فيما قيل تفسير ولا تعليل مستيقن . والأمر أيسر من هذا كله حين ننظر إليه بمنظار الواقع ، فكم في هذا الكون من أسرار لا نعلمها ، وكم فيه من قوى لا نستخدمها . وكم في النفس البشرية من أسرار كذلك وقوى لا نهتدي إليها . =

قاله **ابن عباس** ﷺ [١] ، ومجاهد [٢] ، وقتادة [٣] وغيرهم ، وقاله مقاتل [٤] ، وذكره الزَّجَّاج [٥] ، وقاله ابن منظور [٦] .

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [٧] ، وهو **القول الأشهر** [٨] ووافقه **أكثر** [٩] المفسرين [١٠] .

عن **ابن عباس** ﷺ قال : « كان آصف كاتب سليمان بن داود عليه السلام ... » [١١] .

= فحيثما أراد الله هدى من يريد إلى أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى فجاءت الخارقة التي لا تقع في مألوف الحياة وجرت بإذن الله وتدبيره وتسخيره ، حيث لا يملك من لم يرد أن يجريها على يديه أن يجريها . وهذا الذي عنده علم من الكتاب ، كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم ، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده ، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي ، ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار" . اهـ . ينظر : الظلال : ٥ / ٢٦٤١ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٥) ، ونسبه إليه ابن كثير (٣ / ٣٦٥) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الدر (٦ / ٣٦٠) . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٨ .

(٢) قال مجاهد : كان عنده الاسم الذي إذا دعي به أجاب ؛ وهو (يا ذا الجلال والإكرام) . ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) ، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم في الدر (٦ / ٣٦٠) .

(٤) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٧٧ .

(٥) ينظر معانيه : ٤ / ١٢١ .

(٦) ينظر : لسان العرب (مادة : أصف) : ٩ / ٦ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٦ .

(٨) قال بذلك : الفخر الرَّازي ، وابن جُزيّ ، والآلوسي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٩ ، التسهيل : ٣ / ٩٦ ، روح المعاني : ١٩ / ٢٠٣ الوسيط : ١٠ / ٣٢٦ .

(٩) نسبه إلى أكثر المفسرين : السمر قندي ، والثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي ، والطاهر بن عاشور . ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٥٨٢ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢١٠ ، تفسير السمعاني : ٤ / ٩٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٢٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٦١ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٠٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢١٤ ، البحر المحيط : ٧ / ٧٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥١ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٦٥ ، السراج المنير : ٣ / 106 ، روح المعاني : ١٩ / ٢٠٣ ، التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٧١ .

(١٠) منهم : السمر قندي (٢ / ٥٨٢) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٣٠٢) ، والواحدي (٢ / ٨٠٤) ، و**صحَّحه** السمعاني (٤ / ٩٩) ، وقدَّمه ابن الجوزي في الزاد (٦ / ١٧٤) ، و**صحَّحه** النسفي (٣ / ٢١٤) ، وقدَّمه الثعالبي (٤ / ٢٥١) ، والجلالين (٤٩٩) ، **وقال** الشوكاني (٤ / ١٣٩) **هو الأوَّلى** .

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم مختصراً في تفسيره (٩ / ٢٨٨٥) . وأخرجه النسائي في السنن الكبرى – بطوله – في كتاب عمل اليوم والليلة ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ (١٠٩٩٤) : ٦ / ٢٨٨ .

القول الثاني : هو الخضر عليه السلام ، قاله **ابن لهيعة** [١] .

قال ابن كثير : " وهو غريب جداً " [٢].

القول الثالث : هو **سليمان** عليه السلام ، قاله **الفخر الرَّازي** ، ومال إليه **النيسابوري** [٣] .

قالوا : والمخاطبة للعفريت لما قال هو : ﴿ أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ... ﴾ [٤] ، كأن سليمان عليه السلام استبطأ ذلك ؛ فقال له على جهة تحقيره : ﴿ أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، وأراد عليه السلام إظهار معجزة ، فتحدَّاهم أولاً ، ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت [٥] .

قال **الفخر الرَّازي** : " **وهذا القول أقرب** " [٦] .

واستدل لذلك بوجوه منها :

١. أن سليمان عليه السلام كان أعرف بالكتاب من غيره ؛ لأنه هو النبي فكان صرف اللفظ إليه أوْلى .

٢. أنّ إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال النبي سليمان عليه السلام في أعين الخلق .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٥) ، ونسبه إليه الخطيب الشربيني في تفسيره (٣ / ١٠٦) .
وابن لهيعة هو : عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان الحضرمي المصري ، أبو عبد الرحمن : قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره . احترقت كتبه سنة ١٧٠ هـ ، وهو ضعيف الحديث قبل أن تحترق كتبه وبعد احتراقها ، وليس ممن يحتج بحديثه . ذكر الذهبي والسيوطي بأن ابن لهيعة وثّقه أحمد وغيره ، وضعَّفه يحيى القطان وغيره . قال الإمام أحمد بن حنبل : ما كان محدث مصر إلاّ ابن لهيعة . وقال الذهبي وغيره : كان ابن لهيعة من الكتاب للحديث والجماعين للعلم والرحالين فيه . ت بالقاهرة سنة ١٧٤ هـ . ينظر : الضعفاء والمتروكين لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٢ / ١٣٦ ، ١٣٧ ، تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٣٧ - ٢٣٩ ، طبقات الحفاظ : ١٠٧ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٦٥ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠٥ .

(٤) سورة النمل : ٣٩ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٦) المرجع السابق .

٣. أنه قال : ﴿ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ فظاهره يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء النبي سليمان عليه السلام .

✖ **وتُعقِّب** :

١. على جميع الأقوال على سليمان عليه السلام فضل من الله تعالى .

٢. لا يصحُّ في سياق الكلام مثل هذا التأويل [١] .

٣. أنه من أغرب الأقوال ، كأن النبي سليمان عليه السلام يقول لنفسه : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ... ﴾ ، أو يكون خاطب بذلك العفريت [٢] .

٤. الأظهر أن القائل أحد اتباعه ، ولا يلزم من ذلك أنه عليه السلام لم يكن قادراً على الإتيان به .

٥. كذلك فان عادة الملوك تكليف أتباعهم بمصالح لهم لا يعجزهم فعلها بأنفسهم ؛ ولا يضر في ذلك كون الغرض مما يتم بالقول ؛ وهو الدعاء ، ولا يحتاج إلى أعمال البدن وأتعابه كما لا يخفى [٣] .

٦. لو كان ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ هو سليمان عليه السلام لأظهره السِّياق باسمه ولما أخفاه ؛ والقصة عنه ، ولا داعي لإخفاء اسمه فيها عند هذا الموقف الباهر [٤] .

✖ **وتعقَّب** هذا القول **أبو السعود** بقوله : " وفيه بُعد لا يخفى " [٥] .

القول الرابع : **أنه عابد** خرج يومئذ من جُزيّرة في البحر ؛ فوجد سليمان فدعا فأتي بالعرش قاله **ابن زيد** [٦] .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٠٥ .
(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٧٣ .
(٣) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ١٩ / ٢٠٤ .
(٤) ينظر : الظلال : ٥ / ٢٦٤١ .
(٥) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٨٧ .
(٦) نسبه ابن الجوزي والقرطبي إليه . ينظر : زاد المسير : ٦ / ١٧٥ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٠٥ .

الثاني : أنه مَلَك ، **قدَّمه الماوردي** (١) ؛ وفيه قولين :

القول الأوَّل : هو **جبريل** عليه السلام .

القول الثاني : هو **ملك من الملائكة أيد الله به سليمان** عليه السلام ، حكاهما الثعلبي (٢) .

الترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ قد أبهم الله اسمه ؛ وهو ما رجَّحه أبو حيان** ، **خلافا لما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه من جمهور المفسرين** ؛ يدل على ذلك :

أولاً : جميع ما ذكر أقوال مضطربة ، وقد أبهم الله اسمه ، فكان ينبغي أن لا يذكر اسمه حتى يخبر به نبي (٣) .

ثانياً : ما قاله ابن جُزيّ وجمهور المفسرين أن اسمه آصف بن برخيا لا دليل عليه (٤) .

ثالثاً : قال بالأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين (٥) ؛ مما يدل على عدم رجحان أي قول من الأقوال .

رابعاً : على المسلم أن يهتم بمعرفة الأحكام الشرعية العملية التي يترتب عليها فعل طاعة أو ترك معصية ، وينبغي أن يعرف المسلم كذلك الأمور الأخرى التي تعينه على ذلك ، ولا مانع من أن يطلع على الأخبار والقصص التي ورد بها حديث يعتمد عليه أو أثر يعول عليه ، وليحذر طالب العلم بهذه الأمور من الأخبار الموضوعة والأحاديث المكذوبة وما أكثرها في

---

(١) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٢١٣ .

(٢) ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٧٣ .

(٤) ينظر : الظلال : ٥ / ٢٦٤١ .

(٥) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (١٩ / ١٦٢ ، ١٦٣) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٣٥) ، والثعلبي (٧ / ٢١٠ ، ٢١١) ، والبغوي (٣ / ٤٢٠) ، والزمخشري (٣ / ٣٧٢) ، وابن عطية (٤ / ٢٦١) ، والقرطبي (١٣ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) والبيضاوي (٤ / ٢٦٨) ، والخازن (٥ / ١٤٨ ، ١٤٩) ، وأبو حيان (٧ / ٧٢ ، ٧٣) ، وابن كثير (٣ / ٣٦٥) ، وابن عادل (١٥ / ١٦٥) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٧) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٠٦) والآلوسي (١٩ / ٢٠٤) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢٦) .

هذا المجال . وإن قصة آصف بن برخيا لم يرد فيها حديث مرفوع إلى النبي ﷺ - في حدود ما اطلعت - وإنما ورد فيها كلامٌ لابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه النسائي في السنن الكبرى - وهو المذكور آنفاً - ؛ وفي سند هذا الحديث **المنهال بن عمرو الأسدي** ، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : صدوق ، وربما وهم [1] . ومن كان هذا حاله ، فإن حديثه قابل للتحسين ، لاسيَّما أن صاحب الصحيح البخاري أخرج له كما أشار إلى ذلك ابن حجر في التقريب برمز (خ) وهذا يبين براءة آصف بن برخيا مما نُسب إليه .

والله تعالى أعلم بالصواب .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المسألة الثانية : في المراد بالطرف في قوله تعالى :﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالطرف في قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ : قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شيء ، فقال : ((الطرف : العين ؛ فالمعنى على هذا : قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شيء . وقيل : الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت)) . اهـ [2] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بالطرف في قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ**

---

(١) ينظر : التقريب : ٥٤٧ .

والمنهال بن عمرو الأسدي هو : المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم ، وثّقه ابن معين وغيره ، وروى له البخاري في صحيحه ، وتركه شعبة لأنه سمع من داره قراءة القرآن بالتطريب . ينظر : لسان الميزان : ٧ / ٤٠٠ ، الكاشف : ٢ / ٢٩٨ ، التقريب : ٥٤٧ .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٦ .

طَرۡفُكَ ﴾ على أقوال [(١)] منها :

القول الأوَّل : الطرف : بمعنى المطروف وهي : العين ؛ أي : من يقع إليه النظر ، وأن المعنى : قبل أن يصل إليك من يقع طرفك عليه في أبعد ما ترى إذا نظرت أمامك ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنه [(٢)] ، وسعيد بن جبير [(٣)] ، وقتادة [(٤)] ، ووهب بن منبه [(٥)] ، والسدي [(٦)] ، ومقاتل [(٧)] ، وذهب إليه الفرَّاء [(٨)] ، والزَّجَّاج [(٩)] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [(١٠)] ، ووافقه ووافقه جماعة من المفسرين [(١١)] .

" ولذلك يقولون : لا أفعل ذلك ما ارتد إليّ طرفي ، أي ما دمت أبصر " [(١٢)] .

القول الثاني : الطرف : تحريك الأجفان إذا نظرت ، أي : بمقدار ما تفتح عَيْنَك ثمَّ تَطْرِف ، وهذا **قول مجاهد** ، وقاله جماعة من المفسرين [(١٣)] . [(١)]

---

(١) ذكر الماوردي في النكت والعيون (٤ / ٢١٣ ، ٢١٤) ستة أقوال يتقارب بعضها بعضه من بعض .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه : مد بصرك . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٧) . وينظر : تنوير المقباس : ٣١٨ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٨) ، ونسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٢٠) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٠) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٦١) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٤) ، ونسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٢٠) ، والآلوسي في تفسيره (١٩ / ٢٠٤) .

(٥) نسبه إليه : ابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٦٥) إليه ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤٢٠) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٧) ، وعزاه إليه السيوطي في الدر (٦ / ٣٦٢) .

(٧) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ / ٤٧٧ .

(٨) ينظر معانيه : ٢ / ٢٥٤ .

(٩) ينظر معانيه : ٤ / ١٢١ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٦ .

(١١) منهم : الطبري (١٩ / ١٦٤) ، والسمر قندي (٢ / ٥٨٣) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٣٠٢) ، وقدَّم الماوردي (٤ / ٢١٣) قول ابن جبير ، والواحدي (٢ / ٨٠٤) ، والبغوي (٣ / ٤٢٠) وقدَّم ابن الجوزي في الزاد (٦ / ١٧٥) قول ابن جبير ، والخازن (٥ / ١٤٩) ، وابن كثير (٣ / ٣٦٥) ، والبقاعي (٥ / ٤٢٧) ، والجلالين (٤٩٩) .

(١٢) نظم الدرر للبقاعي : ٥ / ٤٢٧ .

(١٣) في تفاسيرهم ، منهم : الزمخشري (٣ / ٣٧٢) ، الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٧٠) ، وقال القرطبي (١٣ / ٢٠٦) **وهذا أشبه** والبيضاوي (٤ / ٢٦٨ ، ٢٦٩) ، والنسفي (٣ / ٢١٤) ، والنيسابوري (٥ / ٣٠٦) وأبو حيان (٧ / ٧٣) ، **واستظهره** السمين الحلبي في الدر (٥ / ٣١٥) ، **واستظهره** ابن عادل =

قال مجاهد [٢] : معناه : قبل أن يحتاج إلى التغميض ؛ أي : مدة ما يمكنك أن تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداد .

قال الزَّمخشري :

" وهو تحريكك أجفانك إذا نظرت ، فوضع موضع النظر " . اهـ [٣] .

وقال الفخر الرَّازي :

" فإذا فتحت الجفن فقد يتوهم أن نور العين امتد إلى المرئي ، وإذا أغمضت الجفن فقد يتوهم أن ذلك النور ارتد إلى العين ، فهذا هو المراد من ارتداد الطرف " . اهـ [٤] .

ومعنى الآية : " قال الرجل الذى عنده علم من كتاب الله : يا نبي الله سليمان ؛ أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن تغمض عينك وتفتحها ، وهو كناية عن السرعة الفائقة فى إحضاره " [٥] .

واستدل له من كلام العرب [٦] :

لأنَّ الطَّرْفَ قد وُصِفَ بالإرسال في قوله :

= (١٥ / ١٦٦) ، وأبو السعود (٦ / ٢٨٧) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١٠٦) ، والشوكاني (٤ / ١٣٩) **وقال : هو أولى الأقوال** ، والآلوسي (١٩ / ٢٠٤) ، والطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٧١) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٢٦) .

(١) قال بالأقوال جميعها أو بعضها و لم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : النحاس (٥ / ١٣٥) ، والثعلبي (٧ / ٢١١ ، ٢١٢) ، والسمعاني (٤ / ٩٩) ، وابن عطية (٤ / ٢٦٠) .

(٢) أخرجه بنحوه : ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٦٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٨) ، وذكره بنحوه : الثعلبي في تفسيره (٧ / ٢١١) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤٢٠) ، وابن عطية في تفسيره (٤ /٢٦٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٧٣) ، والسيوطي في الدر (٦ / ٣٦١) ، وعزاه للفريابي ، وابن أبي شيبه وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) الكشاف : ٣ / ٣٧٢ .

(٤) التفسير الكبير : ٢٤ / ١٧٠ . وينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٠٦ .

(٥) الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٣٢٦ .

(٦) أورد الأبيات جماعة من المفسرين عند تفسير الآية من غير نسبة . ينظر : الكشاف للزَّمخشري : ٣ / ٣٧٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ١٦٦ ، السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٠٦ ، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ١٩ / ٢٧١ .

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يوماً أَتْعَبَتْكَ المَناظِـــرُ

رَأيتَ الَّذِي لا كلّه أَنْتَ قَادِر ... عَلَيْه ولاَ عن بعضهِ أَنْتَ صَابِرُ

✖ **وقيل : ارتداد الطرف مجاز هنا** ، وهو من باب مجاز التمثيل ، والمراد سرعة زمن الإتيان به ، كما تقول لصاحبك : افعل كذا في طرفة عين ، وفي لحظة ، وفي ردة طرف تريد به السرعة ، أي : آتيك به في مدة أسرع من مدة العفريت [١] .

✓ **والقول بالحقيقة مقدم على المجاز** .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الظاهر أن ارتداد الطرف حقيقة ، وأنه أقصر في المدة من مدة العفريت ، والرَّاجح أن المراد بالطرف في قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ تحريك الأجفان إذا نظرت ، أي : بمقدار ما تفتح عَيْنَك ثمَّ تَطْرِف وهذا أشبه بارتداد الطرف ، وهو خلاف ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ما يلي :

أولاً : من اللغة : هذا القول قال به أئمة اللغة :

ذكر **ابن فارس** أن للطرف أصلان ؛ فالأوَّل : يدل على حد الشيء وحرفه ؛ والثاني : يدل على حركة في بعض الأعضاء ؛ فأما **الأصل الثاني** فقال : " فهو تحريك الجفون في النظر ؛ هذا هو الأصل ؛ **ثمَّ يسمُّون العين الطرف مجازاً** " . اهـ [٢] .

وقال **الرَّاغب** : " والطرف : تحريك الجفن ، وعبر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن لازمه النظر " [٣] . وقاله **الزَّمخشري** [٤] أيضاً .

---

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٧٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة (مادة : طرف) : ٣ / ٤٧٧ . وينظر قبله : تهذيب اللغة للأزهري (مادة : طرف) : ١٣ / ٢١٨ .

(٣) مفردات الرَّاغب (مادة : طرف) : ٣٠٢ . وينظر : السراج المنير للخطيب الشربيني : ٣ / ١٠٦ .

(٤) ينظر : أساس البلاغة (مادة : طرف) : ٣٨٨ .

وقال **ابن منظور** : " والطرف : طرف العين ، والطرف إطباق الجفن على الجفن " [١] .

ثانياً : معنى النظير القرآني :

قوله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ... ﴾ . [سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٣] .

ونحن نعرف أن الإنسان عندما يستوحش ويذهل ، تبقى عيناه مفتوحتان على وتيرة واحدة كأنّهما عينا ميِّت لا تتحركان .

فبناءً على ذلك فالمراد منه أنّني سأحضر عرش ملكة بلقيس قبل أن يتحرك جفناك .

✓ **المعجزة في إحضار عرش بلقيس :**

قال **الإمام مالك – عن بلقيس** – : كانت باليمن وسليمان بالشام [٢] .

قال **ابن العربي** :

" أراد مالك أن هذه معجزة ؛ لأن قطع المسافة البعيدة بالعرش في المدة القصيرة لا يكون إلا بأحد الوجهين ؛ إما أن تعدم المسافة بين الشام واليمن ، وإما أن يعدم العرش باليمن ويوجد بالشام ، والكل لله سبحانه مقدور عليه هين وهو عندنا غير متعين " . اهـ [٣] .

وقال النيسابوري : " ومن استبعد هذا في قدرة الله فليتأمل في الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهيئة حتى يزول في لحظة أو لمحة " . اهـ [٤] .

وفى ذلك ما فيه من الدلالة على شرف العلم وفضله وشرف حامليه وفضلهم ، وأن هذه الكرامة التى وهبها الله لهذا الرجل ، كانت بسبب ما آتاه سبحانه وتعالى من علم .

---

(١) لسان العرب (مادة : طرف) : ٩ / ٢١٣ .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٨٨٦) .
(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٨٩ .
(٤) تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٠٦ .

و في إحضار عرش بلقيس وجه من وجوه الإعجاز العلمي :

القرآن بحر مليء بالأسرار العلمية ، ولا تزال كثير من آياته تنطوي على أسرار ودقائق علمية لم تظهر حتى يومنا هذا ، ومن ذلك قصة النبي سليمان عليه السلام مع بلقيس وعرشها ....

إن مسألة إحضار عرش ملكة سبأ " بلقيس " بواسطة أحد جنود سليمان عليه السلام ﴿ **ٱلَّذِىَ عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ** ﴾ ، وكيف تمَّ ذلك في طرفة العين ؟ وهل هناك علاقة لسرعة الضوء ؟ مسألة علمية نتوقف عندها قليلاً .....

إن الله تعالى أكرم أنبياءه بمعجزات تفوق ما توصل إليه البشر في القرن الحادي والعشرين . وهذه المعجزة حقيقة لا شك فيها ، ولكن العلم لم يتوصل إلى سر هذه المعجزة ! كذلك هناك الكثير من معجزات الرسل السابقين لا يمكن أن نجد لها تفسيراً لأنها تفوق طاقة البشر ومن ذلك معجزة النبي سليمان عليه السلام ؛ فقد سخَّر الله له الجن والشياطين والعفاريت ؛ فكيف نفسر ذلك علمياً ؟

إن الله سخر لأحد جنود سليمان عليه السلام طاقة الكون له لتقوم بجلب هذا العرش بسرعة هائلة أشبه بسرعة الضوء ! وزمن طرفة العين هو ٠.٠٢٥ ثانية ، وهو زمن ضئيل جداً ، وخلال هذا الزمن تم إحضار العرش : ﴿ **قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ** ﴾ ، واليوم لا نعجب إذا علمنا أن بعض الباحثين يفكرون في تسريع الأجسام حتى تبلغ سرعة الضوء ، واستغلال هذه السرعة في عمليات النقل ولكن لا تزال الأبحاث محدودة في هذا المجال .

لقد حاول بعض الباحثين الربط بين هذه القصة وبين سرعة الضوء ، وقالوا : إن المسافة من فلسطين (مكان سليمان) إلى اليمن (مكان ملكة سبأ) قد قطعها الذي يحمل العرش بسرعة الضوء ، ومع أنني لا أستطيع أن أنكر أي فرضية مادامت تتفق مع العقل والمنطق العلمي ، إلا أنه لا يوجد برهان علمي على ذلك [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، مقال : كيف تم إحضار عرش بلقيس ؟ بتصرف .

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ . [آية : ٤٨ ، ٤٩] .

مسألة : في الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ هل هو فعل ماض أو أمر ؟

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعل أمر ، فقال : ((﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي : حلفوا بالله ، وقيل : إنه فعل ماض ؛ **وذلك ضعيف** ، **والصحيح** : أنه فعل أمر ؛ قاله بعضهم لبعض ، وتعاقدوا عليه)) . اهـ [١] .

الدراسة :

كان في مدينة ثمود (وقريتهم هي **الحِجْر** [٢]) تسعة **رهط** [٣] من قوم صالح عليه السلام وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ قالوا : ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي : **تحالفوا بالله** [٤] لنباغتنَّه بياتًا ، أي : ليلاً فنقتله ونقتل أهله معه . و ﴿ قَالُواْ ﴾ استئناف بيان بعض ما فعل التسعة رهط من

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ٩٧ .

(٢) تقدم الحديث عنها . وقد مرّ النبي ﷺ والمسلمون بديار ثمود في مسيرهم في غزوة تبوك ، ورأوا فيها آباراً نهاهم النبي ﷺ عن الشرب والوضوء منها إلا بئراً واحدة أمرهم بالشرب والوضوء بها ، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا من بِئْرِهَا ولا يَسْتَقُوا منها . فَقَالُوا : قد عَجَنَّا منها وَاسْتَقَيْنَا . فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذلك الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذلك الْمَاءَ » . ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٩ / ٢٨٢ .

(٣) **الرهط** هو : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة ، وبعض يقول من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر وقيل : الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة ، وهو المشهور . ينظر (مادة : رهط) في : النهاية لابن الأثير : ٢ / ٢٨٣ ، لسان العرب : ٧ / ٣٠٥ ، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي : ١٠٩ . وقال الفخر الرَّازي : " والأقرب أن يكون المراد تسعة جمع ؛ إذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد ، ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل ، ويحتمل أنهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفتهم وأحوالهم لا لاختلاف السبب ، فبين تعالى أنهم يفسدون في الأرض ولا يمزجون ذلك الفساد بشيء من الصلاح " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٧٤ . واختلف في أسمائهم ، وجاء فيها تصحيف كثير .

(٤) عن مجاهد قوله : ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ تحالفوا علي هلاكه ، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٠١) . وينظر (مادة : قسم) في : المحكم لابن سيده : ٦ / ٢٤٧ ، لسان العرب : ١٢ / ٤٨١ ، تاج العروس : ٣٣ / ٢٦٩ .

الفساد ؛ أي : قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه السلام ، وكان ذلك على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما [١] بعد أن عقروا الناقة أنذرهم بالعذاب ، وقوله : ﴿ ... تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ... ﴾ [٢] .

وعن محمد بن اسحاق قال : فلما قال لهم صالح ذلك ، قال : التسعة الذين عقروا الناقة : هلُمَّ فلنقتل صالحاً ؛ فان كان صادقاً عجلناه قبلنا ، وان كان كاذباً كنا قد ألحقناه بناقته . فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطؤوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم متشدخين قد رضخوا ، بالحجارة فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ، ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح ، وقالوا لهم : والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم إن العذاب نازل بكم في ثلاث ، فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم غضبا ، وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون انصرفوا عنهم ليلتهم تلك [٣] .

✓ وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ... ﴾ **قراءتان متواتران سبعيتان** كما يلي :

- قرأ الجمهور [٤] : - بالنون ونصب التاء - ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ و ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ﴾ - بالنون ونصب اللام - ؛ وحجَّتهم قوله : ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ .

- وقرأ **حمزة** والكسائي : (قالوا تقاسموا بالله لتُبيتنه) - بالتاء وضم التاء الثانية - (ثم لتقولُن) - بالتاء أيضاً وضمِّ اللام - [٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٧٢) .

(٢) سورة هود عليه السلام : ٦٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨ / ٢٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٠٠) . ونسبه إليه جماعة من المفسرين .

(٤) وهم : ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر الشامي ، وأبو عمرو البصري ، وعاصم .

(٥) ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة :٥٣٠ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢٩ .

و**حمزة** هو : حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الزيات مولاهم ، أبو عمارة الكوفي ، العلامة القارئ ، أحد السبعة المشهورين ، كان إماماً حجَّة قيماً ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية ت سنة ١٥٦ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : ٦ / ٣٨٥ ، السِّير : ٧ / ٩٠ - ٩٢ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ١١١ - ١١٨ .

✖ وقرئ في الشاذِّ : (لَيُبَيِّتَنَّه) بالياء [١] .

واختلف أهل العلم والمفسرون في **الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ هل هو فعل ماض أو أمر** ؛ وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأوَّل : الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعل ماض مفسرا لـ ﴿ قَالُواْ ﴾ ؛ كأنه قيل : ما قالوا ؟ فقال : ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ ، أي تحالفوا بالله ، جوَّزه الطبري [٢] .

واستدل له :

بقواءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (ولا يصلحون تقاسموا) بسقوط ﴿ قَالُواْ ﴾ [٣] .

أو : يكون خبراً على محل الحال بإضمار (قد) ؛ أي : قالوا ذلك متقاسمين ، **أجازه الزَّمخشري ، وابن عطية** [٤] .

وقال بالوجهين : **البيضاوي ، وجوَّزهما الشوكاني** [٥] .

✖ **وضعَّف ابن جُزيّ** [٦] هذا القول .

✖ **واعترض أبو حيان أيضاً على ما أجازه الزَّمخشري فقال :**

" أما قوله – أي قول الزَّمخشري – : (وخبراً) ، فلا يصحُّ ؛ لأن الخبر هو أحد قسمي

---

(١) هذه القراءة قراءة مجاهد ، وابن وثاب ، وطلحة ، والأعمش : بياء الغيبة ، والفعلان مسندان للجمع ؛ وحميد بن قيس : بياء الغيبة في الأوَّل مسنداً للجمع ، أي ليبيتنه ، أي: قوم منا ، وبالنون في الثاني ؛ نسبها الفراء إلى مجاهد في معانيه (٣ / ٢٦٤) ؛ ونسبها غير واحد من المفسرين له ولغيره . ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢١٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٨٠ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٦ / ١٨١ ، ١٨٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٦٤ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ١١١ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢٩ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ١٩ / ١٧٢ .

(٣) أورد هذه القراءة الفرَّاء في معانيه (٣ / ٣ / ٢٦٤) ، وابن جرير في تفسيره (١٩ / ١٧٢) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٣) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢١٦) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٣) . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١١٢ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٢٩ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٧٦ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٦٣ .

(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٧١ ، فتح القدير : ٤ / ١٤٣ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٧ .

الكلام إذ هو منقسم إلى الخبر والإنشاء ، وجميع معانيه إذا حققت راجعة إلى هذين القسمين " . اهـ [١] .

✓ **وتعقَّب السَّمين الحلبي قول أبي حيان ؛ فقال :**

" ولا أدري : عدمُ الصحة مِنْ ماذا ؟ لأنه جَعَلَ الماضي خبراً لاحتمالِهن الصدقَ والكذبَ مقابلاً للأمرِ الذي لا يَحْتَملهما . أمَّا كونُ الكلامِ لا ينقسمُ إلاَّ إلى خبر وإنشاء ، وأنَّ معانيَه إذا حُقِّقَتْ تَرْجِعُ إليهما ، فأيُّ مَدْخلٍ لهذا في الردِّ على أبي القاسم ؟! " . اهـ [٢] .

✖ **ثم قال أبو حيان :**

" والتقييد بالحال ليس إلا من باب نسبة التقييد ، لا من نسبة الكلام التي هي الإسناد ، فإذا أطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير أنها لو لم تكن حالاً لجاز أن تستعمل خبراً ، وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة : هي خبرية ، فهو مجاز ، والمعنى : أنها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبراً ، وهذا شيءٌ فيه غموض " . اهـ [٣] .

✓ **وأجابه السَّمين الحلبي :**

" مُسَلَّمٌ أنَّ الجملةَ ما دامَتْ حالاً أو صلةً لا يُقال لها : خبرية ، يعني أنها تَسْتَقِلُّ بإفادةِ الإسنادِ ؛ لأنها سِيْقَتْ مَسَاقَ القَيْدِ في الحالِ ومَسَاقَ جزءِ كلمةٍ في الصلةِ ، وكان ينبغي أن تُذَكَّرَ أيضاً الجملةُ الواقعةُ صفةً فإن الحكمَ فيها كذلك " . اهـ [٤] .

✖ **ثم قال أبو حيان :**

" ولا يحتاج إلى الإضمار (أي : إضمار قد) ، فقد كثر وقوع الماضي حالاً بغير (قد) كثرة ينبغي القياس عليها " . اهـ [٥] .

---

(١) البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .
(٢) الدر المصون : ٥ / ٣١٩ .
(٣) البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .
(٤) الدر المصون : ٥ / ٣١٩ .
(٥) البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .

✓ **وأجابه السَّمين الحلبي :**

" الزَّمخشري مَشَى مع الجمهورِ ؛ فإنَّ مذهَبهم أنهم لا بُدَّ من (قد) ظاهرةً أو مضمرةً لِتُقَرِّبَه من الحال " . اهـ [١] .

القول الثاني : الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعل أمر محكي بالقول ؛ قاله بعضهم لبعض، وتعاقدوا عليه ؛ أي : احلفوا بالله ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٢] ، **واستظهره** أبو حيان [٣] ووافقه **جمهور** [٤] المفسرين [٥] . [٦]

قال الطبري :

" فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ بالياء والنون ؛ لأن القائل لهم ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ وإن كان هو الآمر فهو فيمن أقسم ؛ كما يقال في الكلام : انهضوا بنا نمض إلى فلان ؛ وانهضوا نمضي إليه " . اهـ [٧] .

قال ابن عطية : " وهذه الألفاظ الدالة على قسم أو حلف تجاوب باللام ، وإن لم يتقدم قسم ظاهر فاللام في ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ جواب ذلك " . اهـ [٨] .

---

(١) الدر المصون : ٥ / ٣١٩ .

(٢) ينظر : التسهيل : ٣ / ٩٧ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٨٠ .

(٤) نسب هذا القول إلى الجمهور : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٦٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٨٠) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٣) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٢١٣) .

(٥) ومنهم : الثعلبي (٧ / ٢١٦) ، والواحدي (٢ / ٨٠٦) ، والسمعاني (٤ / ١٠٥) ، والبغوي (٣ / ٤٢٣) وابن الجوزي في الزاد (٦ / ١٨١) ، والخازن (٥ / ١٥٢) ، والبقاعي في نظم الدرر (٥ / ٤٢٣) ، والجلالين (٥٠٠) ، والشوكاني (٤ / ١٤٣) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩ / ٢١٣) ، **وصوَّبه** الشنقيطي في أضواء البيان (٦ / ١١٩) ، وابن عاشور (١٩ / ٢٨٢) .

(٦) حكى القولين و لم يرجح أو جوّزهما جماعة من المفسرين ؛ منهم : الزمخشري (٣ / ٣٧٦) ، الفخر الرَّازي (٢٤ / ١٧٤) ، وابن عطية (٤ / ٢٦٣ ، ٢٦٤) ، والقرطبي (١٣ / ٢١٦) ، والنسفي (٣ / ٢١٦) ، والنيسابوري (٥ / ٣١٢) ، والسمين الحلبي في الدر (٥ / ٣١٨) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٣) ، وابن عادل (١٥ / ١٧٨) ، وأبو السعود (٦ / ٢٩٠) ، والخطيب الشربيني في السراج (٣ / ١١١) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٣٨) .

(٧) تفسير الطبري : ١٩ / ١٧٢ .

(٨) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٦٣ .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **جواز القولين ؛ فالفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعل أمر محكي بالقول ؛ قاله بعضهم لبعض ، وتعاقدوا عليه ؛ أي : احلفوا بالله ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين . ويكون محل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ جزم على الأمر . ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً ، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً لقالوا كأنه قيل : ما قالوا : فقيل تقاسموا ، ويجوز أن يكون حالاً على إضمار (قد) أي : قالوا ذلك متقاسمين ، وهو ما أجازه الزَّمخشري .**

وقد **تابع الزَّمخشري أبو البقاء** على ذلك ؛ قال **أبو البقاء** :

" قوله تعالى : ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هو **أمرٌ** ؛ أي : أمر بعضهم بذلك بعضاً ، فعلى هذا يجوز في ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ النون بتقدير : قولوا لنُبَيِّتَنَّهُ ، والتاء على خطاب الأمر المأمور ، ولا يجوز الياء .

والثاني : هو **فعل ماض** ، وعلى هذا يجوز الأوجه الثلاثة . يعني بالأوجه : النون والتاء والياء قال : وهو على هذا تفسير لـ ﴿ قَالُواْ ﴾ " . اهـ [1] .

أي : وتقاسموا على كونه ماضياً مفسّراً لـ ﴿ قَالُواْ ﴾ .

وقد سبقهما إلى ذلك **مكي ابن أبي طالب** حيث قال :

" من قرأه بالتاء في الكلمتين فانه جعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ أمراً ، وهو فعل مبني ، وكذلك من قرأه بالنون فيهما ، ومن قرأهما بالياء جعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعلاً ماضياً ؛ لأنه إخبار عن غائب ، والأوَّل إخبار عن مخاطب أو عن مخبر عن نفسه " . اهـ [2] .

✌ **وعلى القراءتين المتواترتين (بالنون وبالتاء) فإن المعنى لا يختلف ؛ سواء أكان الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فعلا ماضياً ؛ أي : الجملة خبرية ؛ أم كان فعل أمر والجملة إنشائية .**

---

(١) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري : ٢ / ١٠١٠ .

(٢) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٣٦ .

وبذلك يظهر أن المعنيين صحيحان ولا اختلاف بينهما ، فكلا الوجهين جائز في الإعراب . ولا داعي لترجيح ابن جُزيّ للقول الثاني وتضعيفه للقول الأوَّل ؛ حيث لا فرق في المعنى .

والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ [١] أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ . [آية : ٨٢] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ : لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين ، فقال : ((ويحتمل قوله : ﴿ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بخروج الدابة ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين ؛ **وهذا أظهر**)) . اهـ [٢] .

الدراسة :

من علامات السَّاعة الكبرى خروج الدَّابة ؛ وهي الدَّابة المشهورة ، التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة ، كما تكاثرت بذلك الأحاديث [٣] ، ولم يأت في وصفها حديث يصحُّ [٤] ، وهي آية من آيات الله ، تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة ، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتكون حجَّةً وبرهاناً للمؤمنين ، وحجَّة على المعاندين .

---

(١) اختلف المفسرون في معنى : ﴿ وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ فقيل : معناه : غضب الله ، أو حق القول عليهم أنهم لا يؤمنون ، أو سخط الله عليهم بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن . وقيل غير ذلك ، ويجمعها البعد عن الدين بدليل آخر الآية .

(٢) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠١ .

(٣) منها : ما أخرجه مسلم وأهل السنن عن حُذَيْفَةَ بن أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قال : « اطَّلَعَ النبي ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فقال : ما تَذَاكَرُونَ ؟ قالوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قال : إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ؛ فذكر الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ » . ينظر : صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، بَاب في الْآيَاتِ التي تَكُونُ قبل السَّاعَةِ (٢٩٠١) : ٤ / ٢٢٢٥ .

(٤) لقد رويت في وصف هذه الدابة ، ووقت خروجها ، ومكانه أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد لا طائل في جلبها ونقدها أوردها غير واحد من المفسرين . قال الفخر الرَّازي : " واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور ، فإن صحَّ الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل وإلا لم يلتفت إليه " . اهـ . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٨٧ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٣٥ وما بعدها ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٩١ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٥٢ .

✓ **وفي معنى قوله تعالى ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ قراءتان ومعنيان :**

قرأ **الجمهور** : ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ وفيه وجهان :

الأظهر [١] : أنه من الكلامِ والحديث ، ويؤيِّده قراءةُ أُبَيٍّ : (تُنَبِّئُهم) ، وقراءةُ يحيى بن سَلام (تُحَدِّثُهم) وهما تفسيران لها .

والثاني : تَجْرَحُهم . ويَدُلُّ عليه : قراءةُ ابن عباس ﷺ وغيره [٢] (تَكْلُمُهم) - بفتحِ التاءِ وسكونِ الكافِ وضمِّ اللامِ - من الكَلْمِ ، وهو الجُرْحُ . وقد قُرِىء (تَجْرَحُهم) [٣] . وفي التفسير : أنها تَسِمُ الكافر .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى ؛ فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ ، وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ ؛ حتى إِنَّ أَهْلَ الْخُوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فيقول : هَاهَا يا مُؤْمِنُ ، وَيُقَالُ : هَاهَا يا كَافِرُ ، وَيَقُولُ هذا : يا كافر ، وهذا : يا مُؤْمِنُ » [٤] .

وسئل ابن عباس ﷺ عن هذه الآية « تَكْلَمهم أو تُكَلِّمُهم ؟ » قال : كل ذلك والله تفعل ؛ تكلم المؤمن وتكلم الكافر أو تجرحه [٥] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **أَنَّ ٱلنَّاسَ** ﴾ **قراءتان متواترتان سبعيتان** وهي :

- قرأ عاصم وحمزة والكسائي : ﴿ **أَنَّ** ﴾ بالفتح .

---

(١) قاله السمعاني في تفسيره (٤ / ١١٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٩١) ، والآلوسي في روح المعاني (٢٠ / ٢٥) .

(٢) وهم : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والجحدري ، وأبي زرعة ، وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : المحتسب لابن جني : ٢ / ١٤٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٢ .

(٣) أوردها أبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٩٢) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٠١) ، وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٢ . ولم أقف عليها في مختصر ابن خالويه ومحتسب ابن جني .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ؛ باب ومن سورة النمل (٣١٨٧) : ٥ / ٣٤٠ . قال أبو عيسى : هذا **حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ** . **وضعَّفه** الألباني .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٢٦) . وذكره غير واحد من المفسرين .

▪ وقرأ الباقون : (إنَّ) بالكسر على الاستئناف [١] .

وبناء على اختلاف القراء في الآية اختلف أهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى** : ﴿ **أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ** ﴾ ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

قال **النحاس** : " في المفتوحة قولان ؛ وكذا المكسورة " [٢] .

أولاً : ﴿ أَنَّ ﴾ المفتوحة ؛ وفيها قولان :

✓ **القول الأوَّل** : القراءة بالنصب ﴿ أَنَّ ﴾ ؛ فعلى حذف الجار ، أي : تُكلِّمُهم بأنَّ ، وعلى هذا يكون حكاية قول الدابة ، ومعناه : تُكلِّمُهم بأن الناس ﴿ كَانُوٓاْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي : **لا يؤمنون** ؛ **أي** : **بخروجها** ؛ **لأن خروجها من الآيات** ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٣] ، ومقاتل [٤] ، وذهب إليه **الطبري** [٥] ، وقاله جماعة من المفسرين [٦] .

.

واستدل له : بقراءة عبد الله رضي الله عنه : (تُكلِّمُهم بأن) وهذا تصديق للفتح [٧] .

قال **مكي** : " ويجوز أن لا تقدر حذف حرف الجر ؛ وتجعل ﴿ أَنَّ ﴾ مفعولاً بها على أن تجعل ﴿ تُكَلِّمُهُمۡ ﴾ بمعنى : تخبرهم " . اهـ [٨] .

---

(١) وهم : ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر الشامي ، وأبو عمرو البصري . ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ٢٧٥ ، حجة القراءات لابن زنجلة : ٥٣٨ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٢٢ .

(٣) نسبه إليه : ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٧١) ، والثعالبي في تفسيره (٤ / ٢٥٩) ، ونسبه المباركفوري إليه أيضاً في تحفة الأحوذي (٩ / ٣٤) .

(٤) قال مقاتل : تكلمهم بالعربية . ينظر تفسيره : ٢ / ٤٨٥ .

(٥) ينظر تفسيره : ١٣ / ٢٣٨ .

(٦) منهم : الزمخشري (٣ / ٣٨٩) ، وابن عطية (٤ / ٢٧١) ، والقرطبي (١٣ / ٢٣٨) ، والبيضاوي (٤ / ٢٧٨) ، والنسفي (٣ / ٢٢٣) ، والثعالبي (٤ / ٢٥٩) .

(٧) أوردها ابن زنجلة في حجة القراءات (٥٣٨) ؛ وأوردها كذلك غير واحد من المفسرين . ينظر مثلاً : تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥٩ .

(٨) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٤٠ .

" ثم هذه الباء تُحتملُ أَنْ تكونَ مُعَدِّيَةً ، وأن تكونَ سببيةً ، وعلى التقديرين : يجوزُ أَنْ يكونَ ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ بمعنَيَيْه من الحديثِ والجَرْح ؛ أي : تُحَدِّثهم بأنَّ الناسَ أو بسببِ أنَّ الناسَ ، أو تجرَحهم بأنَّ الناس ؛ أي : تَسِمُهم بهذا اللفظِ ، أو تَسِمُهم بسبب انتفاءِ الإيمانِ " [١] .

✖ **وتعقِّب** :

قال **ابن كثير** : " وفي هذا القول نظرٌ لا يخفى " [٢] .

وقال **الآلوسي** : " وليس بذاك " [٣] .

✓ **القول الثاني** : أن يكون الكلام (على القراءة بالفتح) من كلام الله تعالى ؛ **احتمله** ابن عطية ، والبيضاوي ، والثعالبي [٤].

ثانياً : (إنَّ) المكسورة ؛ وفيها قولان :

✓ **القول الأوَّل** : الكلام حكاية لقول الله تعالى ؛ وعلى هذا يكون بمعنى الابتداء ، ويتم الكلام عند قوله ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ ثم يقول الله تعالى : (إنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) فالجملة مستأنفة **مسوقة من جهته ﷻ لتعليل إخراجها أو تكليمها** ؛ ولا تكون من كلام الدابة ؛ **جزم به** الكسائي [٥] والفرَّاء [٦] ، **واستظهره** أبو حيان ، والسَّمين الحلبي ، الحلبي ، وابن عادل [٧] ، وقاله الشوكاني [٨] .

✓ **القول الثاني** : أن يكون الكلام **من كلام الدابة** أيضاً كما روي عن ابن عباس ﷺ آنفاً

---

(١) الدر المصون : ٥ / ٣٢٨ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٧٥ .
(٣) روح المعاني : ٢٠ / ٢٤ .
(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٧٨ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٥٩ .
(٥) نسب هذا القول إلى الكسائي : النحاس في إعرابه (٣ / ٢٢٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٥٢) . – ولم أقف عليه في كتبه في حدود ما اطلعت – .
(٦) ينظر معانيه : ٢ / ٢٥٩ .
(٧) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٩١ ، الدر المصون : ٥ / ٣٢٨ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٢ .
(٨) ينظر : فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٥٢ .

على إضمار القول أو إجراء الكلام مجراه ، قاله الأخفش ، وأبو السعود [١] ، **واحتمله** أبو حيان ، والسَّمين الحلبي ، وابن عادل [٢] . [٣]

قال **الأخفش** : " إن كسر (إن) هو على تقدير القول ؛ أي : تقول لهم إن الناس ... الخ فيرجع معنى القراءة الأوَّلى على هذا إلى معنى القراءة الثانية " [٤] .

أي على قول الأخفش وأبي السعود أن القراءتين أفادت معنى واحداً ؛ وهو أن الكلام من كلام الدابة ؛ أي : لا يؤمنون بخروجي لأن خروجي من الآيات .

✖ **ويعكِّر عليه** : قوله : ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ .

✓ **ويُجاب بأنه** : يكون قوله : ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ على حذف مضاف أي : بآيات ربِّنا ، أو لاختصاصها بالله ؛ كما تقول بعض خواص الملك : خيلنا وبلادنا [٥] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أنَّ كلا وجهي الإعراب محتملان بناء على اختلاف القراءتين المتواترتين ؛ قاله مكي ، والعكبري** [٦] **؛ وجماعة من المفسرين** [٧] **ويترتب على ذلك الاختلاف في معنى الآية :**

على قراءة الفتح : فعلى حذف الجار ، أي : تُكلِّمُهم بأنَّ ، وعلى هذا يكون حكاية قول

---

(١) ينظر : تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٠١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ٩١ ، الدر المصون : ٥ / ٣٢٨، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٢ .

(٣) جمع بين المعنين وجوَّز بأن يكون الكلام كلام الدابة ؛ أو من كلام الله تعالى (**على القراءة بالكسر**) جماعة من المفسرين ، منهم : الزمخشري (٣ / ٣٩٠) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ١٨٧) ، والنسفي (٣ / ٢٢٣) ، والآلوسي (٢٠ / ٢٥) .

(٤) نسبه إليه الشوكاني والمباركفوري ؛ ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٥٢ ، تحفة الأحوذي : ٩ / ٣٤ . ولم أقف عليه في كتبه – في حدود ما اطلعت – .

(٥) ينظر : الكشاف للزمخشري : ٣ / ٣٩٠ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ٩١ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٣٢٨ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٢ .

(٦) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٢ / ٥٤٠ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢ / ١٧٥ .

(٧) ذكر القراءتين (واختلاف وجه الإعراب بناء علىكل قراءة ؛ وبعضهم ذكر الاختلاف في معناها) ولم يرجح جماعة من المفسرين ؛ منهم : السمر قندي (٢ / ٥٩٢) ، والسمعاني (٤ / ١١٥) ، والبيضاوي (٤ / ٢٧٨) ، والنيسابوري (٥ / ٣٢١) ، والآلوسي (٢٠ / ٢٥) .

الدابة ، ومعناه : تُكلِّمُهم بأن الناس ﴿ كَانُوٓاْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي : **لا يؤمنون** ؛ أي : **بخروجها ؛ لأن خروجها من الآيات** ، وهو ما روي عن **ابن عباس** ﷺ .

وعلى قراءة الكسر : فالأظهر أن الكلام مستأنف حكاية لقول الله تعالى ؛ والمعنى : **لا يؤمنون بالآخرة وأمور الدين والقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [١] أيضاً ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ؛ ووافقه جماعة من المفسرين** [٢] .

فالدابة تردُّ على من كان يزعم عدم خروجها لأنها من آيات الله ؛ وتخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمَّد والقرآن لا يوقنون ؛ كما أن الله ﷻ يخبرنا في هذه الآية أن الناس كانوا لا يؤمنون بالآخرة وبمحمَّد ﷺ والقرآن .

قال **أبو السعود** :

" تكلمهم بأنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها ؛ أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات " . اهـ [٣] .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" والمعنى : أنها تسجل على الناس وهم المشركون عدم تصديقهم بآيات الله ؛ وهو تسجيل توبيخ وتنديم ؛ لأنهم حينئذ قد وقع القول عليهم فـ ﴿ ... لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ... ﴾ [٤] " . اهـ [٥] .

يدل على ذلك – إضافة إلى ما تقدَّم – ما يلي :

أولاً : روى عن **وهب بن منبه** [٦] : أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٣٢٢ .

(٢) منهم : الواحدي (٢ / ٨١٠) ، والبغوي (٣ / ٤٢٨) ، والخازن (٥ / ١٥٧) ، والبقاعي (٥ / ٤٥٢) والجلالين (٥٠٤) ، والطاهر بن عاشور (٢٠ / ٣٩) .

(٣) تفسير أبي السعود : ٦ / ٣٠١ . وينظر : روح المعاني للآلوسي : ٢٠ / ٢٤ .

(٤) سورة الأنعام : ١٥٨ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٢٤ .

(٦) نسبه إليه : الثعلبي ، والبغوي ، والخازن ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٢٥ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣٠ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٥٧ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٠٤ ، تفسير

والقرآن لا يوقنون .

ثانياً : كل قراءة بمثابة آية أفادت معنى ؛ يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردَّها أو ردَّ معناها ؛ وهي بمنزلة آية مستقلة** [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

أبي السعود : ٦ / ٣٠١ ، روح المعاني : ٢٠ / ٢٤ . **ولم أقف عليه مسنداً** .

(١) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٨٩ .

سـورة القـصص

قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ﴾ . [آية : ٧] .

مسألة : في المراد من الوحي في هذه الآية الكريمة :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الوحي في هذه الآية الكريمة كان كلاماً بواسطة الملك ، فقال :

((﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام أو منام أو كلام بواسطة الملك ، **وهذا أظهر** ؛ لثقتها بما أوحى إليها وامتثالها ما أمرت به)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

اتفق العلماء على أن **أم موسى عليها السلام لم تكن نبيَّة** [(٢)] ، وبناءً عليه فإن الوحي في الآية هنا لا يراد به الوحي الشرعي ، الذي هو وحي الرسالة باتفاق .

فما المراد من الوحي إذاً هنا ؟ هذا ما وقع فيه الخلاف بين علماء التفسير ، وسبب الاختلاف في ذلك يرجع إلى أن لفظ (الوحي) يطلق عند العرب على معانٍ متعددة [(٣)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠١ .

(٢) وقد نقل الإجماع على ذلك عدد من العلماء . ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٧٦ ، التفسير الكبير للرازي : ٢٢ / ٤٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : ٢ / ٣٤٩ ، تفسير القرطبي : ١٣ /٢٥٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٥٩ .
ونقل ابن تيمية رحمه الله في الجواب الصحيح أن هذا الإجماع ذكره غير واحد ، مثل : القاضيين أبي بكر بن الطيب ، وأبي يعلى بن أبي الفراء ، والأستاذ أبي المعالي الجويني وغيرهم ، ثم قال رحمه الله : " ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ... ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١٠٩] . " .

(٣) الوحي في الأصل معناه : الإشارة السريعة ، والإعلام في خفاء ، ويكون الإعلام إما بالإلهام والقذف في الروع ، وإما بالكلام المباشر ، سواءً من الكريم سبحانه من وراء حجاب ، كما كان يكلم موسى عليه السلام ، وإما عن طريق إرسال ملك أو غيرها ، وقد ذكر أهل العلم عدة أوجه وطرق لهذا الإلقاء .
ينظر (مادة : وحى) في : مقاييس اللغة لابن فارس : ٦ / ٩٣ ، والمحكم لابن سيده : ٤ / ٣٦ - ٣٨ ، ومفردات الرَّاغب : ٥١٥ ، والمصباح المنير للفيومي : ٢ / ٦٥١ ، ٦٥٢ ، لسان العرب لابن منظور : ١٥ / ٣٧٩ ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي : ١٧٢٩ ، وكليات الكفوي : ٩٣٦ ، وتاج العروس للزبيدي : ٤٠ / ١٦٩ ، ١٧٠ .

وقد اختلف المفسرون **في المراد من الوحي في الآية** على أقوال [١] :

القول الأوَّل : أنه الضمان من الله ﷻ لها ، أي : أن الله ﷻ ضمن لأم موسى عليه السلام أن يرد إليها ابنها ، **وذلك عن طريق ملك بعثه الله ﷻ لها** ، يخبرها بموعوده حفظ موسى عليه السلام ، روي عن مقاتل [٢] ، وقاله قطرب [٣] ، والزَّجَّاج [٤] ، **واستظهره** أبو حيان [٥] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٦] ، ووافقه الآلوسي [٧] .

واستدل القائلون بهذا القول بعدة أدلة منها [٨] :

١. قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿ ... إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾
٢. قوله تعالى عن أم موسى عليه السلام : ﴿ ... وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ... ﴾ [٩] .

وجه الدلالة من الآيتين :

أن الله ﷻ بيَّن في الآية الأوَّلى تأكيده ﷻ رد موسى عليه السلام لأمِّه ، ثم بين تعالى في الآية الثانية أن أم موسى عليه السلام تيقَّنت بوعد الله ﷻ ، وهذا التيقُّن لا يقع في القلب إلا عن تحقق ما وُعدت به ، وهذا **ما ذكره ابن جُزيّ** [١٠] .

---

(١) ينظر أقوال المفسرين واختلافهم في معنى الوحي في : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٧٦ ، التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٢ / ٤٥ ، ٤٦ ، زاد المسير لابن الجوزي : ٦ / ٢٠١ ، ٢٠٢ ، تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٤٧٩ ، تفسير القرطبي : ١٣ /٢٥٠ ، تفسيرالنسفي : ٣ / ٢٢٧ ، نظم الدرر للبقاعي : ٦ / ٦٥٠ ، روح المعاني للآلوسي : ٢٠ / ٦٨ . وغيرها .

(٢) نسبه إليه ابن الجوزي ، والقرطبي . ينظر : زاد المسير : ٦ / ٢٠٢ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٥٠ . ولم أقف عليه في كتبه .

(٣) ذكره عنه أبو حيان . ينظر: البحر المحيط : ٧ / ١٠٠ .

(٤) قال الزَّجَّاج : " قيل : إن الوحي ههنا : إلقاء الله في قلبها ، وما بعد هذا يدل – والله أعلم – أنه وحي من الله ﷻ على جهة الإعلام للضمان لها ... " . ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ١٠٠ .

(٦) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٢ .

(٧) ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٤٥ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٥٨ ، معاني الزَّجَّاج : ٣ / ١٣٣ ، تفسير أبي حيان : ٧ / ١٠٠ .

(٩) سورة القصص : ١٣ .

(١٠) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠١ .

✖ **فإن قال قائل : كيف يبعث الله لها ملكاً ويخاطبها وهي لم تكن نبيَّة ؟**

✓ **وأجيب** : بأن إرسال ملك لبشر لا يدل لزوماً على كونه نبياً ، وقد ثبت في الصحيح أن الله ﷻ أرسل ملكاً لأبرص وأقرع وأعمى [١] وهم ليسوا بأنبياء .

قال **ابن عطية** : " وأجمع الكلُّ على أنها لم تكن نبيَّة ، وإنما إرسال الملك لها على نحو تكليم الملك للأبرص والأقرع في الحديث المشهور ، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة " . اهـ[٢] .

القول الثاني : أنه **الإلهام** ، أي : أنه قذف في نفسها ، وألهمها ربها سبحانه بذلك . وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ[٣] ، وقتادة [٤] ، والحسن [٥] ، وهو اختيار **كثير** [٦] من المفسرين [٧] .

وذكره والذي قبله **الواحدي** في تفسيره ، فقال :

---

(١) كما في حديث أبي هريرة ﷺ الطويل ، وفيه : أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بنِى إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ الله أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فقال أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ .. » . الحديث . متفق عليه . أخرج البخاري بنحوه في كتاب الأنبياء ، حَدِيثُ أَبْرَصَ وَأَعْمَى وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ : (٣٢٧٧) : ٣ / ١٢٧٦ ، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في مقدمة كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤) : ٤ / ٢٢٧٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧٦ . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٠٠

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم ، وذكره ابن الجوزي في تفسيره . ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٢٠١/٩ ، زاد المسير : ٢٠٢/٦ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٩٣ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٨٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤١) ، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ينظر : الدر لامنثور : ٦ / ٣٩٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤١) .

(٦) عزاه السمعاني إلى أكثر المفسرين . ينظر تفسيره : ٤ / ١٢٢ .

(٧) وممن ذهب إلى هذا القول ورجَّحه ، أو قال به : الطبري في تفسيره (٢٠ / ٢٩) ، والسمرقندي في تفسيره (٣ / ٥٩٨) ، وابن أبي زمنين في تفسيره (٣ / ٣١٧) ، والثعلبي في تفسيره (٧ / ٢٣٣) ، والسمعاني في قواطع الأدلة في الأصول (٢ / ٣٤٩) ، والبغوي في تفسيره (٣ / ٤٣٤) ، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر (٦٢٢) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١٦٢) ، وابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٨١) ، والزَّركشي في البحر المحيط في الأصول (٤ / ٤٠١) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢١٦) ، والشوكاني في تفسيره (٤ / ١٥٩) ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في : تفسير آيات من القرآن الكريم (٢٨٢) ، والسيد محمد صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) في كتابه : حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة (١٧٣) ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٢٠ / ٧٣) .

" قيل : إنه وحي إلهام ، وقيل : وحي إعلام " [١] .

وجوّزهما أيضاً **شيخ الإسلام ابن تيمية** ، فقال بعد ذكر الآيات التي فيها ذكر الوحي قال : " وهؤلاء لم يكونوا أنبياء ، بل ذلك إلهام ، وقد يكون بتوسط الملك " [٢] .

واستدل له :

بأن الوحي إذا أطلق لغير الأنبياء يراد به : الإلهام والقذف في النفس [٣] .

- كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ... ﴾ [٤] .
- وقوله ﷻ : ﴿ ... وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ... ﴾ [٥] .

القول الثالث : أنه **الرؤيا** ، أي : رؤيا رأتها أم موسى عليها السلام في منامها فيها بيان حفظ الله ﷻ لموسى عليه السلام ، حكاه **الماوردي** [٦] ، وجوّزه والذي قبله **البيضاوي وأبو السعود والخطيب الشربيني** [٧] .

✘ **وأُشكل** على هذين القولين المتقدمين بأنه كيف يكون الوحي ههنا إلهاماً أو رؤيا في منام والله ﷻ أخبر أنها تيقنت بموعود الله لها بقوله : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[٨] ؟ فهل الرؤيا والإلهام يفضيان إلى هذا اليقين ؟

✓ **فأجاب القائلون بهذا بجوابين** :

الأوَّل : لعلها عرفت بالاستقراء صدق رؤياها [٩] .

الثاني : قال الطاهر ابن عاشور : " والوحي هنا وحي إلهام يوجد عنده من انشراح الصدر

---

(١) تفسير الواحدي : ٢ / ٨١٣ .
(٢) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : ٥٠٧ .
(٣) وهذا معنى صحيح في اللسان العربي ، وقد تقدم بيانه .
(٤) سورة النحل : ٦٨ .
(٥) سورة الأنعام : ١٢١ .
(٦) ينظر : النكت والعيون : ٤ / ٢٣٥ .
(٧) ينظر : تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٣ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ٣ ، السراج المنير : ٣ / ١٢٩ .
(٨) سورة القصص : ١٣ .
(٩) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٢ / ٤٦ ، تفسير ابن عادل : ١٣ / ٢٣٣ .

ما يحقق عندها أنه خاطر من الواردات الإلهية ، فإن الإلهام الصادق يعرض للصالحين فيوقع في نفوسهم يقيناً ينبعثون به إلى عمل ما ألهموا به ، وقد يكون هذا الوحي برؤيا صادقة رأتها ... " . اهـ [١] .

الترجيح:

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – **أن أقوال أهل العلم المتقدمة كلها محتملة ، صحيحة المعنى ، إلا أن الأقرب للصواب ما ذهب إليه ابن جُزيّ ومن وافقه ؛ من أن المراد من الوحي ههنا : الكلام المباشر ، وذلك بإرسال ملك لها ، ومخاطبتها بوعد الله ﷻ إعادة ابنها إليها** ، ويدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق ؛ وذلك أن الله ﷻ وعد أم موسى عليه السلام برِّد ابنها إليها ، وأم موسى عليه السلام تيقنت بهذا الوعد ، وهذا الوعد المؤكد ، وما تبعه من يقين حقيقي لا يأتيان عن طريق الرؤيا أو الإلهام .

ثانياً : دلالة الأسلوب القرآني يدل على هذا المعنى ، فالله ﷻ يقول : ﴿ ... إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، ثم قوله : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [٢] ، فهذا الأسلوب القرآني الحكيم البديع يدل على وجود متكلم ومخاطَب ، ولا ولا يكون ذلك عن طريق الإلهام أو الرؤيا .

ثالثاً : ما ذكره **ابن عاشور** وغيره غير مسلَّم به ؛ **لأن الرؤيا والإلهام لا يفضيان إلى يقين** ، ولا تثبت بهما الأحكام لغير الأنبياء ، كما ذكر ذلك أهل العلم [٣] ، وقد تم الاتفاق على عدم نبوة أم موسى – كما تقدم بيانه – فلا يقع الإلهام أو الرؤيا إذاً موقع اليقين .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٧٣ .

(٢) سورة القصص : ١٣ .

(٣) ينظر : كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية : ١٧٩ ، ومدارج السالكين لابن القيِّم : ١ / ٥١ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ . [آية : ١٠] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ ذاهلاً لا عقل معها ، فقال : ((﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ أي : ذاهلاً لا عقل معها . وقيل : فارغاً من الصبر . وقيل : فارغاً من كل شيء إلاَّ من همِّ موسى . وقيل : فارغاً من وعد الله : أي نسيت ما أوحى إليها . وقيل : فارغاً من الحزن إذ لم يغرق ، **وهذا بعيد لما بعده** . وقيل : فارغاً من كل شيء إلاَّ من ذكر الله ، وقرئ : (فَزِعاً) – بالزاي – من الفزع)) . اهـ [١] .

الدراسة :

بعد أن أخبرنا الله ﷻ نبأ أم موسى مع ابنها ، وإلقائها إيَّاه في اليم ، يخبرنا سبحانه في هذه الآية عن وضع هذه الأم ، وكيف أصبح فؤادها فارغاً .

والفؤاد : القلب ، ويقال : الفؤاد : عبارة عن باطن القلب ، أو عينه ، أو غشاؤه . وهو مشتق من (فأد) ، الدال على الحمّى وشدة الحرارة ، يقال : فأد الخبز واللحم : شواهما . وسمي القلب فؤاداً لحرارته ولينه [٢] .

✓ وقد اختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾** على أقوال عديدة ، ترجع في مجملها إلى أربعة أقوال :

القول الأوَّل : أن قلبها **فرغ من كل شيء إلاَّ من ذكر موسى** عليه السلام ، وهذا القول مرويٌّ

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٢ .

(٢) ينظر (مادة : فأد) في : معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٤ / ٤٦٩ ، النهاية لابن الأثير : ٣ / ٤٠٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٣ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، القاموس المحيط للفيروز آبادي : ٣٨٩ ، تاج العروس للزبيدي : ٨ / ٤٧٥ – ٤٧٨ .

عن **جماعة من السَّلف** [١] ؛ منهم : ابن عباس ﷺ [٢] ، وابن مسعود ﷺ [٣] ، وقتادة [٤] ، وذهب إليه الفرَّاء [٥] ، و**صحَّحه** النحاس والطبري [٦] ، وقاله **كثير** [٧] من المفسرين [٨] .

واستدل له بالقرينة القرآنية في الآية نفسها :

قوله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [٩] .

✖ وهذا القول **أنكره الكسائي** ، وقال : " ليس المعنى عليه " [١٠] .

القول الثاني : أن فؤادها أصبح **فارغاً من العقل** ، رُوي هذا القول عن الإمام مالك [١١] ،

---

(١) روي أيضاً عن أبي عمران الجوني ، والحسن البصري ، ومجاهد ، وعكرمة مولى ابن عباس ﷺ ، وقتادة ، والضحاك . ينظر : تفسير الصنعاني : ٣ / ٨٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦٠ ، تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٦ ، تفسير ابن أبي حاتم : ٩ / ٢٩٤٦ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٨٢ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(٢) أخرجه مختصراً هكذا ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٣٥ ، ٣٦) ، والحاكم في مستدركه في تفسير سورة القصص (٣٥٢٩) : ٢ / ٤٤١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤٦) ، وبلفظ طويل أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير ، باب قول ﷻ : ﴿ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ﴾ [سورة طه : ٤٠] (١١٣٢٦) : ٦ / ٣٩٦ ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦١٨) : ٥ /١٠ ، ١١ . كلهم من طرق عن سعيد بن جبير عنه به .
وصحح إسناده الهيثمي فقال : " رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير أصبغ بن زيد ، والقاسم بن أبي أيوب ، وهما ثقتان " . ينظر : مجمع الزوائد للهيثمي : ٧ / ٦٦ . وينظر : تنوير المقباس : ٣٢٣ .

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم . ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٩ / ٢٩٤٦ ، الدر المنثور : ٦ / ٣٩٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٤٦) .

(٥) ينظر معانيه : ٢ / 262 .

(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦١ ، تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(٧) نسبه إلى الأكثرين : الثعلبي ، والسمعاني ، والبغوي ، والخطيب الشربيني . ينظر : الكشف والبيان : ٧ / ٢٣٧ ، تفسير السمعاني : ٤ / ١٢٤ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣٧ ، السراج المنير : ٣ / ١٣٢ .

(٨) ومنهم : الطبري ، والسمر قندي ، وابن أبي زمنين ، والثعلبي ، وقدَّمه الماوردي ، والواحدي ، والبغوي ، وقدَّمه ابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير ، والجلالين ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . ينظر : تفسير الطبري : ١٨/١٧٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٥٩٩ ، تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣١٨ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٣٧ ، النكت والعيون : ٤ / ٢٣٨ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٨١٣ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٣٧ ، زاد المسير : ٦ / ٢٠٤ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٥٥ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٦٥ ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية : ٢ / ٤٠١ ، زاد المعاد لابن القيم : ٤ / ٢٦٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٨٢ ، تفسير الجلالين : ٥٠٧ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٠ ، روح المعاني : ٢٠ / ٤٨ ، حسن الأسوة : ١٧٤ ، الوسيط : ١٠ / ٣٨٢ .

(٩) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(١٠) نقله عن الكسائي النحاس في معانيه (٥ / ١٦٠) .

(١١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٧٨) ، وابن العربي في أحكامه (٣ / ٤٩١) ، والقرطبي في جامعه =

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ [١] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٢] .

وبنحوه ما روي عن الكسائي أنه قال في معنى قوله : ﴿ فَرِغًا ﴾ أي: ناسياً ذاهلاً ، كما يقال لمن تُقض حاجته : فرغ ، وللميت : قد فرغ [٣] .

والمعنى : أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش .

واستدل له :

١. أنه نحو قوله تعالى : ﴿ ... وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [٤] . أي : جوْف لا عقول فيها .

ومنه بيت حسَّان بن ثابت ﷺ [٥] :

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

٢. ذلك أن القلوب مراكز العقول . ألا ترى إلى قوله : ﴿ ... فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ... ﴾ [٦] .

٣. يعضده قراءة من قرأ : (فِرْغاً) [٧] - بالفاء المكسورة والراء الساكنة والغين

= (١٣ / ٢٥٥) ، وتأول ابن العربي قول الإمام مالك بأنه يريد : امتلأ قلبها ولهاً .

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٢ .

(٢) ومنهم : الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والقاسمي ، وسيد قطب . ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٠٠ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٢٨ ، البحر المحيط : ٧ / ١٠١ تفسير أبي السعود : ٧ / ٥ ، تفسير القاسمي : ١٣ / ٩٧ ، الظلال : ٥ / ٢٦٨٠ .

(٣) ذكره عنه النحاس في معانيه (٥ / ١٦٠) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٦٠) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٥٥) .

(٤) سورة إبراهيم عليه السلام : ٤٣ .

(٥) ينظر : ديوان حسَّان بن ثابت ﷺ : ٣ .

(٦) سورة الحج : ٤٦ .

(٧) أوردها غير واحد من المفسرين ؛ ونسبها ابن جني لابن عباس ﷺ ، ونسبها ابن عطية لبعض الصحابة ﷺ . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧٨ ، الكشاف للزمخشري : ٣ / ٤٠٠ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٥٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٤ . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١١٣ المحتسب لابن جني : ٢ / ١٤٨ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٤ .

المنقوطة - . ومعناها : ذاهباً هدراً تالفاً من الهم والحزن .

ومنه قول **طليحة الأسدي** [١] :

فَإِنْ يَكُ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسَهُمْ فَلَنْ يَذْهَبُوا فِرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ

يقول **أبو حيان** موضحاً هذا القول : " والمعنى : صار فارغاً من العقل ، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون ، فدهمها أمر عظيم ، مثله لا يثبت معه العقل ، لا سيما عقل امرأة خافت على ولدها ، حتى طرحته في اليم رجاء نجاته من الذبح ، هذا مع الوحي إليها أن الله يرده إليها ويجعله رسولاً ، ومع ذلك طاش عقلها ، وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم ، ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله " اهـ [٢] .

القول الثالث : أن فؤاد أم موسى **أصبح خالياً من الوحي** ، روي عن **ابن زيد** ، وبنحوه قال الحسن البصري [٣] ، وابن إسحاق [٤] ، وقاله الأخفش [٥] .

قال **ابن زيد** [٦] في الآية : فارغاً من الوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في

---

(١) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤ / ٢٧٨) .
وطليحة الأسدي هو : طليحة بن خويلد الأسدي ، من أسد خزيمة : متنبئ ، شجاع ، من الفصحاء ، يقال له : (طليحة الكذاب) كان من أشجع العرب ، يعد بألف فارس - كما يقول النووي - قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد ، سنة ٩ هـ ، وأسلموا ، ولما رجعوا ارتد طليحة ، وادعى النبوة ، في حياة رسول الله ﷺ فوجه إليه ضرار بن الأزور ، فضربه ضرار بسيف يريد قتله ، فنبا السيف ، فشاع بين الناس أن السلاح لا يؤثر فيه . ومات النبي ﷺ فكثر أتباع طليحة : من أسد ، وغطفان ، وطيئ . وكان يقول : إن جبريل يأتيه . وتلا على الناس أسجاعا أمرهم فيها بترك السجود في الصلاة ، وكانت رايته حمراء ، وطمع بامتلاك المدينة ، فهاجمها بعض أشياعه ، فردهم أهلها ، وغزاه أبو بكر ﷺ ، وسيَّر إليه خالد بن الوليد ﷺ ، فلهزم طليحة إلى بزاخة (بأرض نجد) وكان مقامه في سميراء (بين توز والحاجر - في طريق مكة) وقاتله خالد ﷺ ففر إلى الشام ، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان كافة ، ووفد على عمر ﷺ ، فبايعه في المدينة ، وخرج إلى العراق ، فحسن بلاؤه في الفتوح ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ هـ . ينظر : الاستيعاب : ٢ / ٧٧٣ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٢٠٦ - ٢١٠ ، العبر : ١ / ٢٦ .
(٢) البحر المحيط : ٧ / ١٠١ .
(٣) أخرجه ابن جرير بلفظ : أصبح فارغاً من العهد الذي عهدنا إليها ، والوعد الذي وعدناها أن نرُدَّ عليها ابنها فنسيت ذلك كله ، حتى كادت أن تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها . ينظر : تفسير الطبري :٢٠ / ٣٦ .
(٤) أخرج الأثر عنه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٣٦) .
(٥) ينظر معانيه : ٢ / ٦٥٢ .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٣٦) .

البحر ، ولا تخاف ولا تحزن ....

والمعنى : أن قلب أم موسى عليه السلام وفؤادها فرغ من وعد الله تبارك وتعالى ، ووحيه إليها ، فتناست ذلك بسبب الهم والغم الذي أصابها ، وفتر أثره في نفسها [١] .

وتُعقِّب بأنه :

" لو كان عنى بذلك فراغ قلبها من الوحي لم يعقب بقوله ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحي فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه وولوعها به ، ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة .

وإذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها " [٢] .

القول الرابع : أن فؤادها **فرغ من الهمِّ والحزن** ؛ قاله **أبو عبيدة** [٣] ، وقال **الطاهر بن عاشور** : **وهذا أحسن ما فسرت به** ؛ وهو من معنى الثناء عليها لثباتها .

وصف **الطاهر بن عاشور** قلب أم موسى عليه السلام فقال :

" فارغ من الخوف والحزن ؛ فأصبحت واثقة بحسن عاقبته تبعاً لما ألهمها من أن لا تخاف ولا تحزن فيرجع إلى الثناء عليها . **وهذا أسعد** بقوله تعالى بعد : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأن ذلك الربط من توابع ما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن .

فالمعنى : أنها لما ألقته في اليم كما ألهمها الله زال عنها ما كانت تخافه عليه من الظهور عليه عندها وقتله ؛ لأنها لما تمكنت من إلقائه في اليم و لم يشعر بها أحد قد علمت أنه نجا . وهذا المحمل يساعده أيضاً ما شاع من قولهم : فلان خليُّ البال : إذا كان لا همَّ بقلبه " . اهـ [٤]

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٧٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(٣) قال أبو عبيدة في مجازه (٢ / ٩٨) : " فارغاً من الحزن ، لعلمها أنه لم يغرق ، ومنه قولهم : دم فَرِغٌ ، أي : لا قود فيه ، ولا دية فيه " اهـ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٨٠ ، ٨١ .

✖ وهذا القول **تعقَّبه الطبري** وردَّه ، فقال بعد أن نسب هذا القول لبعض أهل المعرفة بكلام العرب :

" وهذا قول لا معنى له ، لخلافه قول جميع أهل التأويل "[١] .

✖ وكذا **غلَّطه النحاس** في معانيه فقال : " غلط قبيح "[٢] ، **واستبعده ابن جُزيّ** لما بعده[٣] . **وقال السَّمين الحلبي وتبعه ابن عادل** : وهو أبعدها[٤] .

ووجه الغلط في قول أبي عبيدة – والله أعلم – : أن الله تعالى قال بعد بيان ذلك : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ فلو كان قلبها فارغاً من الغم والحزن – كما قال أبو عبيدة – لما احتاجت أم موسى إلى أن يربط الله ﷻ على قلبها ويرزقها الصبر ، فيكون آخر الآية غير متناسق مع أولها ، يقول **ابن قتيبة** موضحاً هذا المعنى :

" وهذا – أي تفسير أبي عبيدة – من أعجب التفسير ، كيف يكون كذلك والله يقول : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ ؟ وهل يربط إلا على قلب الجازع المجزوع ؟ والعرب تقول للخائف والجبان : فؤاده هواء ؛ لأنه لا يعي عزماً ولا صبراً ... " . اهـ[٥] .

✍ ووجَّه **الفخر الرَّازي** قول أبي عبيدة بثلاثة توجيهات[٦] .

قال **الزَّركشي** في البرهان : " وقال بعض الأدباء أخطأ أبو عبيدة فى المعنى ؛ لو كان قلبها فارغا من الحزن عليه لما قال : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ لأنها كادت تبدى به .

---

(١) تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

(٢) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦١ . وكذلك القرطبي . ينظر : تفسيره : ١٣ / ٢٥٥ .

(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٢ .

(٤) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣٣٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٢٠ .

(٥) نقله عنه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٣٧) ، وابن الجوزي في الزاد (٦ / ٢٠٥) ، والفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ١٩٦) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢١٩ ، ٢٢٠) . وينظر : برهان الزَّركشي (١ / ٢٩٥) .

(٦) ملخص ما ذكره الفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ١٩٦ ، ١٩٧) : أنه لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعد الله لم تخف عند إظهار اسمه ، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ بالوحي ، فأمنت وزال عن قلبها الحزن ، ويوجه أيضاً بأنها لما سمعت أن امرأة فرعون عطفت على ابنها وتبنته لم تملك نفسها من الفرح ، لولا أن سكن ما بها من شدة الفرح والابتهاج . وللزيادة والإيضاح ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ١٩٦ .

وهذا الباب عظيم الخطر ، ومن هنا تهيَّب كثير من السَّلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذراً أن يزلُّوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماء باللسان فقهاء فى الدين ، وكان الأصمعى – وهو إمام اللغة – لا يفسر شيئاً من غريب القرآن " . اهـ [١] .

القول الخامس : أن فؤاد أم موسى **أصبح فزعاً ، أي : وجلاً خائفاً** ، وهذا القول مرويٌّ عن **ابن عباس** ﷺ من طريق الضحاك [٢] .

وبنحو هذا المعنى ما قاله **مقاتل** بن سليمان : وذلك أنها رأت التابوت يرفعه موج ، ويضعه آخر ، فخشيت عليه الغرق ، فكادت تصيح شفقة عليه [٣] ، وقاله **الرَّاغب** ، **والعكبري** ، ولم يذكر **البقاعي** [٤] غيره .

وهذا القول – إن ثبت عن ابن عباس ﷺ – فهو تأويل للقراءة الشاذة (فزعاً) بالزاي [٥] ، أي : قلقاً خائفاً .

❖ **وذكر جميع الأقوال أو بعضها ولم يرجح** : السمعاني ، وابن العربي ، وابن عطية ، والفخر الرَّازي ، والنيسابوري ، والسَّمين الحلبي ، والثعالبي ، وابن عادل ، والخطيب الشربيني [٦] .

الترجيح:

---

(١) ينظر : برهان الزَّركشي : ١ / ٢٩٥ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٠٥) .

(٣) ينظر : تفسير مقاتل : ٢ /٤٩٠ .

(٤) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : فزع) : ٣٧٧ ، التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١٠١٧ ، نظم الدرر : ٥ / ٤٦٨ .

(٥) قراءة هذه اللفظة بالزاي **قراءة بالغة الشذوذ** ، منسوبة لفضالة بن عبد الله ، والحسن ، وأبي الهذيل ، وابن قُطَيْب أوردها غير واحد من المفسرين عند تفسيرهم للآية ، وهي قراءة تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ١١٣ ، المحتسب لابن جني : ٢ / ١٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٤ ، ٤٣٥ . وينظر : تفسير السمرقندي : ٢ /٦٠٠ ، المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٧٨ ، تاج العروس للزبيدي (مادة : فزع) : ٢١ /٥٠٠ ، ٥٠١ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٦٠ ، تفسير الآلوسي : ٢٠ / ٤٩ .

(٦) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ١٢٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٤٩١ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٧٨ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ١٩٦ ، ١٩٧ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٣٠ ، الدر المصون : ٥ / ٣٣٣ ، تفسير الثعالبي : ٤ / ٢٦٥ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢١٩ ، ٢٢٠ ، السراج المنير : ٣ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

بعد عرض الأقوال يظهر لي – والله أعلم – أن **القول الأوَّل هو الأوَّلى بالصواب ، مع صحة القول الثاني ؛ وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، بمعنى : أن فؤاد أم موسى أصبح فارغاً من العقل ، ناسياً ذاهلاً عن كل شيء ، سوى من ذكر موسى عليه السلام ، وذلك خوفاً عليه لما علمت وقوعه في يد فرعون وجنوده** ، ومما يدل على صحة هذا المعنى ، ما يلي :

أولاً : إمامة القائلين بهما وعلو شأنهم ، ورفعة درجتهم في العلم .

قال **النحاس** : " والذين قالوه أعلم بكتاب الله جل وعز " [١] ، وقد تقدم ذكر بعضهم .

ثانياً : **دلالة السِّياق القرآني** : وذلك أن الله ﷻ قال بعد : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أي : إن كادت لتبدي أمر ابنها [٢] الذي فرغ فؤادها من كل شيء إلا من ذكره .

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « كادت أم موسى أن تقول : واابناه ، وتخرج صائحة على وجهها » [٣] ، فبهذا يستقيم أول الآية وآخرها ، والله أعلم .

ثالثاً : أخبر ﷻ أن أم موسى أصبحت فارغة القلب ، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء ، فهو دال على العموم ، فلا يخصص إلاَّ ما قامت به الحجَّة أن قلبها لم يفرغ منه [٤] ، ، وقد قامت الحجَّة على ذلك كما تقدم بيانه .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٦١ .

(٢) هذا التأويل بإجماع أهل الحجة ؛ كما قال الطبري في تفسيره (٢٠ / ٣٧) .

(٣) ذكر الحديث ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٧٨) ، وابن جُزيّ (٣ / ١٠٢) ، ولم أجد الحديث هكذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وهذا اللفظ جزء من الأثر المتقدم ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٣٧ .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ . [آية : ١٧] .

مسألة: في الاختلاف في معنى الباء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الباء سببية ، فقال : ((الظَّهير : المعين ، والباء سببية ، والمعنى : بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيرا للمجرمين ؛ فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه . وقيل : الباء باء القسم ؛ **وهذا ضعيف** ؛ لأن قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ لا يصلح لجواب القسم . وقيل : جواب القسم محذوف ؛ تقديره : وحق نعمتك لأتوبن ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ . وقيل : الباء للتحليف ؛ أي : اعصمني بحق نعمتك عليَّ ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الظَّهير : المعين والناصر ، يقال : ظاهرته على كذا ، أي : عاونته ، وظاهر بعضهم بعضاً : أعانه ، والتظاهر : التعاون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ... وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ ... ﴾ [٢] . أي : عاونوهم وناصروهم [٣] .

واختلف أهل التفسير في **المراد من قول موسى** عليه السلام : **﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾** هل هو طلب أو خبر ؟ قولان :

القول الأوَّل : أن الآية بمعنى الخبر لا الدعاء ، بمعنى : أن في الآية إخباراً من موسى عليه السلام لربه : يا رب بما أنعمت علي من القوة أعين بها أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك [٤]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٣ .

(٢) سورة الممتحنة : ٩ .

(٣) ينظر (مادة : ظهر) في : المحكم لابن سيده : ٤ / ٢٨٩ ، مفردات الرَّاغب : ٣١٧ ، أساس البلاغة للزَّمخشري : ١ / ٤٠٥ ، لسان العرب لابن منظور : ٤ / ٥٢٥ ، القاموس المحيط للفيروز أبادي : ٥٥٧ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٠٣ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٠١ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٧ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ٧ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٦٤ .

وهو ما قاله ابن جُزيّ [١] ، موافقاً في ذلك عامة المفسرين قديماً وحديثاً [٢] .

❖ إلا أنهم اختلفوا **في معنى الباء من قوله :** ﴿ **بِمَآ** ﴾ هل هي للسبب أو القسم أو التحليف ؟ على ثلاثة أقوال :

✓ **الأوَّل : الباء هنا سببية** ، بمعنى : أن موسى يخبر ربه ﷻ أنه لن يكون ظهيراً للمجرمين بسبب إنعام الله ﷻ عليه ، قاله ابن عطية [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٥] .

وأقوال المفسرين في معنى الآية تدور بين الوعد ، والعهد [٦] ، والاستعطاف [٧] .

✓ **الثاني : الباء هنا باء القسم** ، بمعنى : أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبنّ ، ولن أكون بعد هذا أبداً ظهيراً للمجرمين ؛ احتمله الطبري ، وقاله النسفي والشوكاني [٨] ، وذهب

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٣ .

(٢) ذهب كثير من المفسرين في تفاسيرهم إلى أن الآية خبر لا طلب ، مع الخلاف فيما بينهم في معنى الآية ، ومنهم : الطبري (٢٠ / ٤٧) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٦٧) ، وابن أبي زمنين (٣ / ٣٢٠) ، والسمعاني (٤ / ١٢٨) ، والواحدي (٢ / ٨١٥) ، وابن عطية (٤ / ٢٨١) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ٢٠١) ، والقرطبي (١٣ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) ، والخازن (٥ / ١٦٨) ، وأبو حيان (٧ / ١٠٥) ، والثعالبي (٤ / ٢٦٧) ، وابن عادل (١٥ / ٢٢٩) ، وأبو السعود (٧ / ٧) ، والسعدي (٦١٣) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٨٢) .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٨١ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٣ .

(٥) منهم : البقاعي و لم يذكر وغيره ، وكذلك الخطيب الشربيني ، وجوَّزه ابن عادل والشوكاني ، و لم يذكر غيره الطاهر بن عاشور . ينظر : نظم الدرر : ٥ / ٤٧٣ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٢٩ ، السراج المنير : ٣ / ١٣٧ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٤ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٢ .

(٦) يقول ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٨١) : " ثم قال عليه السلام معاهداً لربه ﷻ : رب بنعمتك عليَّ ، وبسبب إحسانك وغفرانك ، فأنا ملتزم ألا أكون معيناً للمجرمين . **هذا أحسن ما تُؤُوِّل** " اهـ . وبنحو هذا قال : السمرقندي (٢ / ٦٠٢) ، والثعالبي (٤ / ٢٦٧) ، وابن جُزيّ (٣ / ١٠٣) ، وأبو محمد ، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري في شرح قطر الندى وبل الصدى (ت ٧٦١ هـ) (٥٨) ، وابن كثير (٣ / ٣٨٣) ، والسعدي (٦١٣) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٨٢) .

(٧) جوَّزه الزمخشري (٣ / ٤٠٣) حيث قال : " أن يكون استعطافاً ، كأنه قال : رب اعصمني بحق ما أنعمت عليَّ من المغفرة ، فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين " . و **جوَّزه** العكبري أيضاً في التبيان في إعراب القرآن (٢ / ١٠١٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٦٢) ، والبيضاوي في تفسيره (٤ / ٢٨٧) ، وأبو السعود في تفسيره (٧ / ٧) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ١٦٤) .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٤٧ ، تفسير النسفي : ٣ /٢٣٠ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٤ .

وذهب إليه الآلوسي [١] ، **وجوَّزه** طائفة من المفسرين [٢] .

قال **القفال** [٣] : " كأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن يظاهر مجرماً ، والباء للقسم ، أي : بنعمتك علي " . اهـ [٤] .

✗ وهذا القول **ضعَّفه ابن جُزيّ** [٥] ، **وضعَّفه ابن عطية قبله** في تفسيره فقال :

" ويضعِّفه جواب القسم ، فإنه غير متمكن في قوله : ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ﴾ ؛ لأن القسم لا يتلقى بـ (**لن**) ، والفاء تمنع أن تُتزَّل (**لن**) منزلة (لا) أو (ما) ؛ فتأمله " . اهـ [٦] .

.

✓ **الثالث : الباء هنا للتحليف** ، أي : اعصمني بحق نعمتك عليَّ ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ جوَّزه أبو حيان [٧] ، والسَّمين الحلبي [٨] ، وقاله الجلالين [٩] .

القول الثاني : إن **الآية دعاء** ، بمعنى : أن موسى عليه السلام يدعو ربه عز وجل ويطلب منه ألا يكون معيناً وناصراً للمجرمين . وهذا قول **الكسائي** [١٠] ، **والفرَّاء** [١١] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٥٥ .

(٢) منهم : الزمخشري (٣ / ٤٠٣) ، والعكبري في التبيان في إعراب القرآن (٢ / ١٠١٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٦٢) ، والبيضاوي في تفسيره (٤ / ٢٨٧) ، وأبو حيان في تفسيره (٧ / ١٠٥) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٣٣٥) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٢٩) ، وأبو السعود في تفسيره (٧ / ٧) .

(٣) **القفال** هو القفال الكبير : محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي ، أبو بكر ، صاحب التصانيف ، الإمام العلامة الفقيه الأصولي اللغوي المفسر الشاعر ، ت سنة ٣٦٥ هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : السِّير : ١٦ / ٢٨٣ – ٢٨٥ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١ / ١٠٩ ، ١١٠ ، طبقات المفسرين الداوودي : ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) نقله الفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ٢٠١) .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٣ .

(٦) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٨١ .

(٧) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ١٠٥ .

(٨) ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣٣٥ .

(٩) ينظر : تفسير الجلالين : ٥٠٩ .

(١٠) نقله عنه النحاس في معانيه (٥ / ١٦٧) ، والفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ٢٠١) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٢٩) .

(١١) قال الفرَّاء في معانيه (٢ / ٢٦٣) : " قال ابن عباس : لم يستثن فابتلي ، فجعل (**لن**) خبراً لموسى ، وفي قراءة عبد الله : (فلا تجعلني ظهيراً) ، فقد تكون ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ﴾ على هذا المعنى دعاء من موسى : اللهم لن أكون ظهيراً ، فيكون دعاءً " . اهـ .

ويحتج لهذا القول بما يلي :

١. قراءة ابن مسعود ﷺ لهذه الآية : (فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين) [١] .

٢. من **كلام العرب** : قول الأعشى [٢] :

لَنْ تَزَالُوا كَذلكُم ثُمَّ لا زلْ ... تَ لَهُمْ خَالِداً خُلُودَ الجِبَالِ

✖ واعتُرض :

بأن هذا الاستدلال غير صحيح ؛ لأنه ليس في الآية ولا البيت دلالة على أن (لن) تقع موقع (لا) ، وذلك لظهور النفي في الآية من غير تقدير دعاء [٣] .

❖ **وذكر جميع الأقوال أو بعضها ولم يرجح** : الفخر الرَّازي ، والنيسابوري [٤] .

الترجيح:

بعد عرض أقوال أهل العلم يظهر لي – والله أعلم – **أن تكون الآية بمعنى الخبر أوْلى ، وهو ما رجَّحه عامة المفسرين قديما وحديثاً ، وأن الباء سببية ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ؛ بدلالة ما يلي :

أولاً : أن تكون الآية بمعنى الخبر أوْلى وأشبه بسياق الكلام ، قاله **النحاس** [٥] .

وتعجب النحاس من قول الفراء من أن الآية دعاء ، فقال في إعرابه : " وأعجب الأشياء أن الفرَّاء روى أن ابن = = عباس ﷺ قال هذا ؛ ثم حكى عنه قوله " . ينظر : إعراب القرآن للنحاس :٣ / ٢٣٢ .

(١) ذكر هذه القراءة عن ابن مسعود ﷺ : الفراء في معانيه (٣ / ٢٧٤) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٦٧) والطبري في تفسيره (٢٠ / ٤٧) ، **والقراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : مختصر في شواذ القرآن : ١١٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٥ .
وقد استدل **جماعة من اللغويين** بهذه الآية على جواز ورود (**لن**) للدعاء ، فيكون المعنى : فاجعلني لا أكون ، وهذا موافق لقراءة ابن مسعود ﷺ . ينظر (حرف لن) في : القاموس المحيط : ١٥٩٠ ، كليات الكفوي : ٧٩٢ ، تاج العروس : ٣٦ /١٣٠ .

(٢) ينظر : ديوان الأعشى : ١٩٠ .

(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٠٥ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٣٣٥ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٣٠ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٠١ ، ٢٠٢ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٣٣ .

(٥) ينظر : إعراب القرآن : ٣ / ٢٣٢ .

ثانياً : ظاهر الآية يدل على الخبر لا الدعاء ، قاله **الفخر الرَّازي** [١] .

أي : أن موسى عليه السلام قال : إنك لما أنعمت علي بهذا الإنعام بغفران ذنبي ؛ فإني لا أكون معاوناً لأحد من المجرمين بل أكون معاوناً للمسلمين .

ثالثاً : **الباء سببية يدل على ذلك دلالة سياق الآية** :

قال البقاعي : " ولما كان في **سياق التعظيم للنعمة ، كرر حرف السبب تأكيداً للكلام** ، وتعريفاً أن المقرون به مسبب عن الإنعام ، وقرنه بأداة النفي الدالة على التأكيد فقال : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾ أي عشيراً أو خليطاً أو معيناً ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي : القاطعين لما أمر الله به أن يوصل ... " . اهـ [٢] .

رابعاً : ذكر بعض العلماء [٣] أن الدعاء بـ (لن) غير معروف ، وأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم ، بل إلى المخاطب والغائب ، نحو قولهم : يا رب لا عذبت فلاناً ، ونحو : لا عذبَّ الله عمراً .

جعل جمهور من السلف هذه الآية **حجَّة على منع إعانة أهل الجور** في شيء من أمورهم نص عليه عطاء بن أبي رباح وغيره ؛ ولعل وجه الاحتجاج بها أن الله حكاها عن موسى عليه السلام في معرض التنويه به ؛ فاقتضى ذلك أنه من القول الحق [٤] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٤ / ٢٠١ .

(٢) نظم الدرر : ٥ / ٤٧٣ .

(٣) وهم : ابن السَّرَّاج ، والزَّركشي ، وابن هشام . ينظر : الأصول في النحو لأبي بكر ، محمد بن السري بن السراج النحوي (ت ٣١٦ هـ) : ٢ / ١٧١ ، برهان الزَّركشي : ٤ / ٣٨٨ ، وشرح قطر الندى لابن هشام : ٥٨ ومغني اللبيب لابن هشام أيضاً : ٣٧٥ .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٨١ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٣ .

قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ . [آية :٢٠] .

مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يتشاورون ، فقال :

((﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يتشاورون . وقيل : يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطي)) . اهـ [١] .

الدراسة :

اختلف أهل العلم والمفسرون في **المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ على قولين :**

القول الأوَّل : بمعنى : **يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطي** ، قاله **الزَّجَّاج** [٢] ، و**الأزهري** [٣] ، وذهب إليه ابن أبي زمنين ، والبغوي [٤] من المفسرين .

وقال ابن قتيبة [٥] : بمعنى : **يهمُّون** ويعزمون ، وذهب إليه **النحاس** [٦] أيضاً .

واستدل له :

١. النظير القرآني :

قوله تعالى : ﴿ ... وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ... ﴾ [٧] . [٨]

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٤ .
(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٣٨ .
(٣) ينظر : تهذيب اللغة (مادة : أمر) : ١٥ / ٢١١ .
(٤) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين : ٣ / ٣٢١ ، تفسير البغوي : ٣ / ٤٤٠ .
(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢ / ٦٠٣) ، وابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢١١) وغيرهما .
(٦) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٧٠ .
(٧) سورة الطلاق : ٦ .
(٨) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٦٦ ، فتح القدير : ٤ / ١٦٥ .

٢. من اللغة : والائتمار : الهمُّ بالشيء [١] .

القول الثاني : بمعنى : **يتشاورون** ، قاله **أبو عبيدة** [٢] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٣] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٤] .

والمعنى : إن الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى عليه السلام فقال له : يا موسى إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتشاورون في قتلك ويرتئون فيه [٥] .

واستدل له :

١. من اللغة :

الائتمار يطلق في اللغة ويراد به : التشاور والتآمر [٦] .

٢. من كلام العرب : ومن ذلك :

قول الشاعر [٧] :

أحَارُ بنَ عَمْرٍو كأنِّي خَمِرْ ... ويَعْدو عَلَى الْمَرْءِ مَا يأتَــمرْ

---

(١) ينظر : تاج العروس (مادة : أمر) : ١٠ / ٧٧ .
(٢) ينظر مجازه : ٢ / ١٠٠ .
(٣) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٤ .
(٤) ومنهم : البخاري في صحيحه (كتاب التفسير ، باب تفسير سورة القصص ، ٣ / ١٧٨٩) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٤٤) ، والسمعاني (٤ / ١٣٠) ، والزمخشري (٣ / ٤٠٤) ، وابن عطية (٤ / ٢٨٢) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٢١١) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ٢٠٣) ، والقرطبي (١٣ / ٢٦٦) ، والبيضاوي (٤ / ٢٨٨) ، والخازن (٥ / ١٦٨) ، والنيسابوري (٥ / ٣٣٣) ، وأبو حيان (٧ / ١٠٦) ، والسمين الحلبي (٥ / ٣٣٧) ، وابن كثير (٣ / ٣٨٤) ، والبقاعي (٥ / ٤٧٥) ، وابن عادل (١٥ / ٢٣٣) ، والجلالين (٥٠٩) ، وأبو السعود (٧ / ٧) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٣٨) ، والشوكاني (٤ / ١٦٥) والقاسمي (١٢ / ١٠١) ، والآلوسي (٢٠ / ٥٨) ، والسعدي (٦١٤) .
(٥) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٥٢ .
(٦) ينظر (مادة : أمر) : المحيط في اللغة : ١٠ / ٢٨٥ ، مفردات الرَّاغب : ٢٥ ، تاج العروس :١٠ / ٧٦ .
(٧) البيت ذكره أبو عبيدة في مجازه (٢ / ١٠٠) ونسبه إلى رَبيعة بن جُعشم النَّمْريُّ ، وكذا ذكر ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٨٢) . ونسبه الماوردي في النكت (٤ / ٢٤٤) إلى امرئ القيس .
وذكره الأزهري في تهذيبه (١٥ / ٢١١) ونسبه إلى النَّمر بن تَوْلَب .
ويظهر – والله أعلم – أن الصواب ما ذكره أبو عبيدة ؛ لأن المنسوب للنَّمر بن تَوْلَب غير هذا البيت .

وقول النَّمر بن تَوْلَب :

أَرَى الناسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً   وَفي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤتَمرُ [(١)]

أي : يُتشاور ويُرتأى فيها .

✍ **ووجه تسمية التشاور بالائتمار :** أن المتشاورين يأمر بعضهم بعضاً ، فيأتمرون بمشورتهم [(٢)] .

✖ **واعتُرِض :**

ردَّ ابن قتيبة [(٣)] هذا القول ووافقه النحاس حيث قال :

١. " ولو كان كما قال لكان (يتآمرون فيك) أي : يتشاورون فيك ، أي : يستأمر بعضهم بعضا " [(٤)] .

✖ **وتعقَّب ابن عطية** ردَّ ابن قتيبة بقوله :

" وذهب عنه أن (يفتعل) بمعنى (يتفاعل) " [(٥)] .

٢. تعقَّب ابن قتيبة استشهاد أبي عبيدة بالبيتين السابقين فقال :

" واستشهد أبو عبيدة على (يتشاورون فيك) قوله : ويَعْدو عَلَى الْمَرْءِ مَا يأتــمرْ

---

(١) ذكره عنه أبو عبيدة في مجازه (٢ / ١٠٠) ، وابن قتيبة في غريب الحديث (١ / ٦٠٥) ، والطبري في تفسيره (٢٠ / ٥٢) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٨٢) .
والنَّمر بن تَوْلَب هو : النَّمر بن تَوْلَب بن زهير بن أقيش العكلي : شاعر مخضرم . عاش عمراً طويلاً في الجاهلية ، وكان فيها شاعر " الرباب " ولم يمدح أحداً ولا هجا . وكان من ذوي النعمة والوجاهة ، جوادا وهابا لماله . أدرك الاسلام وهو كبير السن ، ووفد على النبي ﷺ فكتب عنه كتابا لقومه ، فيه : " هذا كتاب رسول الله ﷺ لبني زهير بن أقيش : إنكم إن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأديتم خمس ما عنمتم إلى النبي ﷺ فأنتم آمنون بأمان الله ﷻ " . وروى عنه حديثاً . وعاش إلى أن خرف فكان هجيراه : " أقروا الضيف ، أنيخوا الراكب ، انحروا له ! " . ت نحو سنة ١٤ هـــ . ينظر : طبقات بن سعد : ٧ / ٣٩ ، ٤٠ ، الاستيعاب : ٤ / ١٥٣١ - ١٥٣٣ ، أسد الغابة : ٥ / ٣٧٣ - ٣٧٥ .
(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٠٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٨٨ ، تفسير السعود : ٧ / ٧ .
(٣) نقله ابن عطية عنه في المحرر الوجيز (٤ / ٢٨٢) - ولم أقف عليه في كتب ابن قتيبة في حدود ما اطلعت - .
(٤) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٧٠ .
(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٨٢ .

وليس يجوز أن يكون في هذا الموضع (يأتمر) يشاور ؛ لأن المشاورة رشد وخير فكيف يعدو عليه ما شاور فيه ... وأما قول النَّمر بن تَوْلَب ... :

أَرَى الناسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤتَمرُ

فإنه أراد في كل أمر يحدث : تفكر ونظر وارتياء رأي " . اهـ [١] .

٣. دلالة قوله تعالى : ﴿ ... وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ... ﴾ [٢] على هذا المعنى ؛ فإنه ﷻ لم يرد : تشاوروا ، وإنما أراد : هُمُّوا به ، واعتزموا عليه ؛ قال **ابن قتيبة** [٣] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن كلا القولين صحيح ؛ لأن الائتمار في اللغة يطلق على المشاورة وعلى الهمِّ والعزم** [٤] **، وقد جمع بينهما الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والطاهر بن عاشور** [٥] **، وذكر السمر قندي** [٦] **القولين ولم يرجح ، وجوَّز وجوَّز القولين : العز بن عبد السلام ، والنسفي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي** [٧] .

قال **الطاهر بن عاشور** :

" و ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يتشاورون . وضُمِّن معنى (يهمُّون) فعدي بالباء فكأنه قيل : يأتمرون ويهمّون بقتلك " . اهـ [٨] .

---

(١) غريب الحديث لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : ١ / ٦٠٥ .

(٢) سورة الطلاق : ٦ .

(٣) نقله عنه الأزهري ، وابن منظور ، والزبيدي ، ينظر (مادة : أمر) في : تهذيب اللغة : ١٥ / ٢١١ ، لسان العرب : ٤ / ٣٠ ، تاج العروس : ١٠ / ٧٧ . – ولم أقف عليه في كتب ابن قتيبة في حدود ما اطلعت – .

(٤) قال في القاموس (مادة : أمر / ٤٣٩) : " **والائتمار** : المشاورة ، كالمؤامرة والاستئمار والتآمر ، والهمُّ بالشيء " . وينظر (مادة : أمر) في : المحكم : ١٠ / ٢٩٩ ، ولسان العرب : ٤ / ٣٠ ، وتاج العروس : ١٠ / ٦٧ – ٧٨ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٠ / ٥٢ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٤٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ٨١٥ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٦ .

(٦) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٦٠٣ .

(٧) ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٢ / ٤٨٤ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٣١ ، الوسيط : ١٠ / ٣٩٠ .

(٨) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٦ . وينظر قبله : فتح الباري لابن حجر : ٦ / ٤٢٥ .

وإن كان أصل الائتمار والاستئمار المشاورة – كما تقدم – إلاَّ أن قوله : ﴿ يَأْتَمِرُونَ ﴾ فيها معنى الهمِّ [١] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) ينظر : لسان العرب (مادة : أمر) : ٤ / ٣٠ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . [آية : ٢٣] .

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ تَذُودَانِ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن معنى قوله تعالى : ﴿ تَذُودَانِ ﴾ تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس ، فقال : ((﴿ تَذُودَانِ ﴾ أي : تمنعان الناس عن غنمهما . وقيل : تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس ؛ **وهذا أظهر** ...)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الذَّوْد في اللغة : يطلق عل السوق والطّرد ، يقال : ذُدت الإبل أذودها ذوداً ؛ إذا طردتها وجاء في الحديث : « ... ألا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عن حَوْضِي كما يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ ... » [٢] ، أي : ليطردن .

ويطلق الذَّوْد أيضاً على الحبس والدفع ، ومنه قول الشاعر :

أَبيتُ عَلى بَابِ الْقَوافِي كَأَنَما   أَذُودُ بِها سِرباً مِنَ الوَحْشِ نَزّعَا [٣]

أي : أحبس وأمنع [٤] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٤ .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ، بَاب اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ : (٢٤٩) : ١ / ٢١٨ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) هو من شعر سويد بن كراع العكلي ، كما قال الطبري رحمه الله في تفسيره (٢٠ / ٥٥) ، واستشهد به : ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتاب الخصائص : ١ / ٣٢٦ ، وابن سيده في المحكم في (مادة : بوب) : ١٠ / ٥٥٦ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : بوب) : ١ / ٢٢٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٦٣ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٣٤ . وينظر : (مادة : ذود) في : المحكم : ٩ / ٤١٥ ، النهاية لابن الأثير : ٢ / ١٧١ ، لسان العرب : ٣ / ١٦٧ - ١٦٩ ، القاموس المحيط : ٣٥٩ ، تاج العروس : ٨ / ٧٤ .

وبناءً على حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في **معنى قوله تعالى** : **﴿ تَذُودَانِ ﴾** على أقوال [١] :

القول الأوَّل : أنهما كانتا **تحبسان وتمنعان غنمهما عن الماء حتى يفرغ الناس** ؛ قاله **ابن عباس** ﷺ [٢] ، وبنحوه قال سعيد بن جبير [٣] ، وجماعة من السَّلف [٤] ، وذهب إليه مقاتل [٥] ، والنحاس [٦] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٧] ؛ ووافقه جماعة من أهل اللغة والمفسرين [٨] .

واستدل على صحة هذا المعنى باللغة :

قال النحاس : " **وهذا قولٌ بيِّن** ، يقال: ذاد يذودُ إذا حبس ، وذُدت الشيء : حبسته ، ثم يحذف المفعول [٩] ، إما إيهاماً على المخاطب ، وإما استغناء بعلمه " . اهـــ [١] .

---

(١) ذكر جماعة من المفسرين جميع الأقوال أو بعضها و لم يرجحوا ؛ منهم : تفسير السمرقندي (٢ / ٦٠٣) ، والسمعاني (٤ / ١٣١) ، والزمخشري (٣ / ٤٠٥) ، وابن عطية (٤ / ٢٨٣) ، والفخر الرَّازي (٢٤ / ٢٠٤) ، والعز بن عبد السلام (٢ / ٤٨٥) ، والقرطبي (١٣ / ٢٦٨) ، وأبو حيان (٧ / ١٠٨) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٥٥ ، ٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٦٢ ، ٢٩٦٣) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٧٢) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٤٠٤ ، ٤٠٦ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٥٥) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٦٢) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٧٢) .

(٤) منهم : أبو مالك (غزوان بن مالك الكوفي) ، والحسن البصري ، والسدي ، وابن جريج ، وابن إسحاق ، وأبو عمران الجوني . أخرج أقوالهم : الطبري في تفسيره (٢٠ / ٥٥ ، ٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٦٢ ، ٢٩٦٣) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٧٢) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٤٠٤ ، ٤٠٦ .

(٥) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٩٣ .

(٦) ينظر معانيه : ٥ / ١٧٣ .

(٧) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٤ .

(٨) ومنهم : الفرَّاء في معانيه (٣ / ٢٧٤) ، وأبو عبيدة في مجازه (٢ / ١٠١) ، والطبري (٢٠ / ٥٦) ، والسجستاني في غريب القرآن (١٥١) ، والثعلبي (٧ / ٢٤٣) ، والواحدي (٢ / ٨١٦) ، والبغوي (٣ / ٤٤١) ، والبيضاوي (٤ / ٢٨٨) ، والنسفي (٣ / ٢٣٢) ، والخازن (٥ / ١٦٩) ، والنيسابوري (٥ / ٣٣٧) ، وابن كثير (٣ / ٣٨٤) ، والبقاعي (٥ / ٤٧٦) ، والثعالبي (٤ / ٢٦٨) ، وابن عادل (١٥ / ٢٣٥) ، والمحلي في تفسير الجلالين (٥١٠) ، وأبو السعود (٧ / ٨) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٣٩) ، والشوكاني (٤ / ١٦٥ ، ١٦٦) ، والقاسمي (١٣ / ١٠١) ، والآلوسي (٢٠ / ٥٩) ، والقنوجي في حسن الأسوة (١٧٦) ، والسعدي (٦١٤) ، وسيد قطب (٥ / ٢٦٨٦) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٣٩٣) .

(٩) وهو : الغنم ، أي : تحبسان غنمهما ، أو تمنعان ، أو تكفان غنمهما . ينظر : دلائل الإعجاز للإمام عبد =

وأشار بعض العلماء إلى علة ذلك الحبس ، فقال الرَّازي : " واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه :

أحدها : قال الزَّجَّاج [٢] : لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي .

وثانيها : كانتا تكرهان المزاحمة على الماء .

وثالثها : لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم .

ورابعها : لئلا تختلطا بالرجال " [٣] .

القول الثاني : أنهما **كانتا تذودان الناس** ، أي : تطردانهم وتبعدانهم عن غنمهما ؛ قاله قتادة [٤] ، وبنحوه قال الكلبي [٥] . [٦]

واستدل قتادة بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (وَدُونَهُمُ امْرَأَتَانِ حَابِسَتَانِ) [٧] . قال : حابستين شاءهما ، تذودان الناس عن شائهما [٨] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أن معنى قوله تعالى : ﴿ تَذُودَانِ ﴾ تحبسان وتمنعان غنمهما عن الماء حتى يفرغ الناس** ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه جمهور المفسرين** ، يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم ما يلي :

= القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : ١٣٢ .

(١) معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٧٢ .

(٢) ينظر معانيه : ٤ / ١٣٩ .

(٣) التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٠٤ . وينظر قبله : تفسير السمرقندي : ٢ / ٦٠٣ ، والكشاف : ٣ / ٤٠٥ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٥٦) ، ونسبه إليه النحاس ، والماوردي ، وابن عطية ، ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥ / ١٧٣ ، النكت والعيون : ٤ / ٢٤٥ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٨٣ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ /٩٠) ، وابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٥٦) .

(٦) جوَّز السمين الحلبي القولين . ينظر : الدر المصون : ٥ / ٣٣٨ .

(٧) هذه القراءة المنسوبة لابن مسعود ﷺ قراءة على التفسير ، وهي من القراءات البالغة الشذوذ ، أوردها : الفراء في معانيه (٣ / ٢٧٤) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٧١) . وينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٥ .

(٨) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٥٦ .

أولاً : دلالة السِّياق القرآني : وبيان ذلك : أن الله ﷻ بعد أن ذكر قصة المرأتين ، وأنهما لا تستطيعان السقي قال ﷻ في الآية نفسها : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ فلو كانتا تذودان الناس عن غنمهما ، لم تخبرا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء (١) .

ثانياً : حقيقة الذود : طرد الأنعام عن الماء ، ولذلك سموا القطيع من الإبل (الذود) فلا يقال : ذدت الناس ، إلا مجازاً مرسلاً (٢) .

قال **ابن قتيبة** : أي : تكفان غنمهما ، فحذف الغنم اختصاراً (٣) .

وقال **الآلوسي** : " وفي جميع هذه الأقوال - أي أقوال جماعة السَّلف - تصريح بأن المذود كان غنماً ، والظاهر هذا عن توقيف " (٤) .

ثالثاً : حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ، ومن **المقرر عند العلماء** أنه :

- **يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة** (٥) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) يقول الطبري رحمه الله في جامعه (٢٠ / ٥٦) موضحاً هذا المعنى : " وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لدلالة قوله : ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ على أن ذلك كذلك ، وذلك أنهما إنما شَكَتَا أنهما لا تسقيان حتى يصدر الرعاء ، إذ سألهما موسى عن ذودهما غنمهما ، ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس كان لا شكَّ أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها بالناس ، لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء ".
وبهذا الدليل أيضاً استدل النحاس في معانيه (٥ / ١٧٣) ، والثعلبي في تفسيره (٧ / ٢٤٣) ، وابن جُزيّ في تفسيره (٣ / ١٠٤) ، والسيد القنوجي في حسن الأسوة (١٧٦) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠ / ٩٩ . وينظر قبله : التبيان في غريب القرآن للهائم المصري :٣٢٧ .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٦ / ٢١٢) . وينظر : دلائل الإعجاز : ١٣٢ ، برهان الزَّركشي : ٣ / ١٦٤ ، إتقان السيوطي : ٣ / ١٥٦ . - ولم أقف عليه في كتب ابن قتيبة في حدود ما اطلعت - .

(٤) روح المعاني : ٢٠ / ٥٩ .

(٥) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ٢ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ . [آية : ٤٨] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى : في عود الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ لكفار قريش ، فقال : ((والضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ لكفار قريش ، وقيل : لآبائهم . وقيل : لليهود ، **والأوَّل أظهر وأصحُّ** ...)) . اهـ (١) .

الدراسة :

طُلب من الرسول ﷺ أن يأتي بمثل ما أوتي موسى ﵇ من العصا ، واليد البيضاء ، والجراد والطوفان وغيرها من المعجزات الباهرة التي أيد الله فيها نبيَّه موسى ﵇ ؛ وكذلك إنزال القرآن عليه جملة واحدة كالتوراة ، فقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ ﴾ ؛ واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **عود الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾** ؛ على أقوال (٢) منها :

القول الأوَّل : الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ **لكفار قريش** ، قاله **ابن عباس** ﵄ (٣) ، والزَّجَّاج (٤) ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** (٥) ، ووافقه جماعة من المفسرين (٦) .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٧ .

(٢) ذكر الفخر الرَّازي في تفسيره (٢٤ / ٢٣٢ ، ٢٣٣) ستة أقوال ؛ المذكورة أهمها .

(٣) ينظر : تنوير المقباس : ٣٢٨ .

(٤) ينظر معانيه : ٤ / ١٤٧ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٧ .

(٦) في تفاسيرهم ، ومنهم : السمر قندي (٢ / ٦١١) ، والثعلبي (٧ / ٢٥٣) ، والواحدي (٢ / ٨٢١) ، والسمعاني (٤ / ١٤٥) ، والبغوي (٣ / ٤٤٨) ، **واستظهره** الفخر الرَّازي (٢٤ / ٢٢٣) ، والقرطبي =

واستدل له بما يلي :

١. " كفار قريش ومكة كانوا منكرين لجميع النبوات ؛ ثم إنهم لما طلبوا من الرسول ﷺ معجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ بل بما أوتي جميع الأنبياء من قبل ، فعلمنا أنه لا غرض لكم في هذا الاقتراح إلا التعنت " [١] .

٢. لأن كفار قريش هم المقصودون بالردِّ عليهم [٢] .

٣. لأن " اليهود لا يصفون موسى بالسحر ؛ إنما يصفه بذلك كفار قريش وأمثالهم ؛ إلاَّ أن يراد من أنكر نبوة موسى كفرعون وقومه ؛ فإنهم وصفوا موسى وهارون بالسحر ، ولكنهم ليسوا من اليهود " [٣] .

✘ **وتعقَّبه الطاهر بن عاشور** فقال :

" **يشكل عليه** أن الذين كفروا بما أوتي موسى هو قوم فرعون دون مشركي العرب .

فقال بعض المفسرين : **هذا من إلزام المماثل بفعل مثيله** ؛ لأن الإشراك يجمع الفريقين فتكون أصول تفكيرهم واحدة ويتحد بهتانهم ، فإن القبط أقدم منهم في دين الشرك فهم أصولهم فيه والفرع يتبع أصله ويقول بقوله ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [٤] ، أي : متماثلون في سبب الكفر والطغيان فلا يحتاج بعضهم إلى وصية بعض بأصول الكفر . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ

= (١٣ / ٢٩٣) ، والخازن (٥ / ١٧٦) ، **واستظهره** النيسابوري (٥ / ٣٥٠) ، وأبو السعود (٧ / ١٧) ، وقال الشوكاني : **والأوَّل أولى** (٤ / ١٧٧) ، والآلوسي (٢٠ / ٩٢) ، والسعدي (٦١٨) ، والطاهر بن عاشور (٢٠ / ١٣٧) ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (١٠ / ٤١٦) .

(١) التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٢٣ . وينظر : تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥٠ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٦٨ .

(٢) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٧ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ١٧ ، الوسيط لمحمَّد سيِّد طنطاوي : ١٠ / ٤١٦ .

(٣) فتح القدير الشوكاني : ٤ / ١٧٧ .

(٤) سورة الذاريات : ٥٢ ، ٥٣ .

بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (١) ، ثم قال : ﴿ ... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ... ﴾ (٢) ، أي : بنصر الله إياهم ؛ إذ نصر المماثلين في كونهم غير مشركين ؛ إذ كان الروم يومئذ على دين المسيح " . اهـــ (٣) .

القول الثاني : الضمير في ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ **لآباء العرب** الذين كفروا بما أوتي موسى من التوراة ، قاله **الحسن** (٤) ، وقاله سيد قطب (٥) من المفسرين .

قال **الحسن** : قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام ؛ فمعناه على هذا : أو لم يكفر آباؤهم بأن قالوا في موسى وهرون ساحران (٦) .

القول الثالث : الضمير في ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ **للكفرة في زمان موسى** عليه السلام ، قاله الزَّمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي (٧) ، وأبو حيان (٨) ، **وجوَّزه** الآلوسي (٩) ، (٩) ، وقاله القاسمي (١٠) .

واستدل له بدلالة السِّياق القرآني :

قال **الآلوسي** : " **وجُوِّز** أن يكون ضمير ﴿ يَكْفُرُواْ ﴾ وكذا ضمير ﴿ قَالُواْ ﴾ في الموضعين راجع إلى جنس الكفرة **المعلوم من السِّياق** ، والمراد بهم الكفرة الذين كانوا في

---

(١) سورة الروم : ٢ ، ٣ .

(٢) سورة الروم : ٤ ، ٥ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٠ / ١٣٧ .

(٤) نسبه إليه : الفخر الرَّازي ، وأبو حيان . ينظر : التفسير الكبير :٢٤ / ٢٢٣ ، البحر المحيط : ٧ / ١١٨ .

(٥) قال سيد قطب : " ولقد كان في الجزيرة يهود ، وكان معهم التوراة ، فلم يؤمن لهم العرب ، و لم يصدقوا بما بين أيديهم من التوراة . ولقد علموا أن صفة محمَّد ﷺ مكتوبة في التوراة ، واستفتوا بعض أهل الكتاب فيما جاءهم به فأفتوهم بما يفيد أنه الحق ، وأنه مطابقٌ لما بين أيديهم من الكتاب ؛ فلم يذعنوا لهذا كله " . اهـــ . ينظر : الظلال : ٥ / ٢٦٩٩ .

(٦) نسبه إليه : الزمخشري والفخر الرَّازي . ينظر : الكشاف :٣ / ٤٢٤ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٢٣ .

(٧) قال الزمخشري – وتبعه البيضاوي والنسفي – : ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾ يعني آباء جنسهم ، ومن مذهبهم مذهبهم ، وعنادهم عنادهم ، وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام . ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٢٤ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٩٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٤٠ .

(٨) و لم يذكر غير قول الحسن والزَّمخشري . ينظر : البحر المحيط :٧ / ١١٨ .

(٩) ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٩٢ .

(١٠) و لم يذكر غير قول الزَّمخشري . ينظر : تفسير القاسمي :١٣ / ١١٠ .

عهد موسى عليه السلام " . اهـ [١] .

القول الرابع : الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ **لليهود** ، قاله **مجاهد** [٢] ، **وقتادة** [٣] ، وجماعة من المفسرين [٤] .

وذلك : أن **اليهود أمروا قريشاً** أن يسألوا محمداً أن يؤتى مثل ما أُوتِيَ مُوسَى عليه السلام ؛ فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ هؤلاء اليهود ﴿ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ بجميع تلك الآيات الباهرة ؟

❖ ذكر **ابن عادل** [٥] الأقوال كلها و لم يرجح بينها ؛ **وجمع الخطيب الشربيني** بين الأقوال الثلاثة ؛ فقال : " أي : العرب ، ومن بلغته الدعوة من بني إسرائيل ، ومن كان مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى عليه السلام " . اهـ [٦] .

الترجيح :

يظهر لي - والله أعلم - **أن الراجح أن الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾ لكفار قريش** ، **فضمائر الجمع في الآية راجعة إلى أهل مكة الموجودين عند البعثة** ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه** ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم وما يلي :

أولاً : دلالة السباق واللحاق :

ضمير ﴿ يَكۡفُرُواْ ﴾ عائد إلى القوم من قوله تعالى : ﴿ ... لِتُنذِرَ قَوۡمًا ... ﴾ [٧] ؛ لتتناسق

---

(١) روح المعاني : ٢٠ / ٩٢ .
(٢) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٨٧ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٨٣) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٢٠) إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٨٤) .
(٣) نسبه الفخر الرَّازي إليه . ينظر : التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٢٣ .
(٤) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الطبري (٢٠ / ٨٣) ، و لم يذكر النحاس في معانيه (٥ / ١٨٣) غير قول مجاهد ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٥٦) ، و لم يذكر ابن عطية غيره (٤ / ٢٩٠) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٢٢٧) ، وابن كثير و لم يذكر غير قول مجاهد أيضاً (٣ / ٣٩٣) ، و لم يذكر الثعالبي غيره (٤ / ٢٧٤) .
(٥) ينظر : تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٦) السراج المنير : ٣ / ١٥٤ .
(٧) سورة القصص : ٤٦ .

لتتناسق الضمائر من قوله : ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم ... ﴾ [(١)] وما بعده من الضمائر أمثاله .

وهو الذي يلتئم مع قوله تعالى بعده : ﴿ ... وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ... ﴾ [(٢)] . [(٣)]

ثانياً : يتأيد هذا القول بدلالة السِّياق ، وعليه يتأيد **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** .
- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها** [(٤)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡

المسألة الثانية : في الاختلاف في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ :

ترجيح ابن جُزَيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن قوله تعالى : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بقوله : ﴿ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ ، فقال : ((﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ هذا رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى : أنهم كفروا بما أوتي موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به ، و ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ على هذا يتعلق بقوله : ﴿ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ ، ويحتمل أن يتعلق بقوله ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ ﴾ إن كانت الآية في بني إسرائيل ، **والأوَّل أحسن**)) . اهـ [(٥)] .

---

(١) سورة القصص : ٤٧ .
(٢) سورة القصص : ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) التحرير والتنوير : ٢٠ / ١٣٧ ، ١٣٨ . بتصرف .
(٤) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٢ / ٦١٣ .
(٥) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٧ . **ملاحظة** : هذه المسألة جاءت في تفسير ابن جُزيّ حسب نسق الكتاب قبل المسألة السابقة ؛ ولكني آثرت تأخيرها عنها لأنها مترتبة عليها .

الدراسة :

بناء على اختلاف السلف و أهل العلم والمفسرين في **عود الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾** اختلفوا **في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾** ، وحاصل اختلافهم يرجع إلى قولين :

القول الأوَّل : الضمير يعود لكفار قريش ، وعلى هذا يتعلق قوله : **﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ بقوله : ﴿ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ ، وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [١] .

✖ **وتعقبه الآلوسي** بقوله :

" وتعلقه بـــ **﴿ أُوتِيَ ﴾** لا يظهر له وجه لائح ؛ إذ هو تقييد بلا فائدة ؛ لأنه معلوم أن ما أوتي موسى عليه السلام من قبل محمد ﷺ أو من قبل هؤلاء الكفرة ؛ نعم أمر الرد عليه على حاله أي : ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى عليه السلام كما كفروا بهذا الحق " . اهـــ [٢] .

القول الثاني : الآية في بني إسرائيل ، والضمير لليهود ، و **﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ على هذا يتعلق بقوله : ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ ، رجَّحه الآلوسي** [٣] .

❖ **وجوَّز الوجهين جماعةٌ من المفسرين** ؛ ومنهم : الزَّمخشري ، وأبو حيان ، والسَّمين الحلبي ، وابن عادل [٤] .

❖ **ولم يتعرض لهذه المسألة الإعرابية أحدٌ سوى هؤلاء المفسرين المذكورين – في حدود ما اطلعت – . ولم أجد في كتب الإعراب المشهورة كإعراب النحاس ، والزَّجَّاج ، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ذكراً لهذه المسألة .**

---

(١) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٧ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٩١ .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٢٤ ، البحر المحيط : ٧ / ١١٨ ، الدر المصون : ٥ / ٣٤٧ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٦٨ .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح أن قوله :** ﴿ **مِن قَبْلُ** ﴾ **يتعلق بقوله :** ﴿ **أُوتِيَ مُوسَىٰٓ** ﴾ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** .

قال **الزّمخشري** :

" ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ ﴾ يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم ، وعنادهم عنادهم ، وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام ....

فإن قلت : بم علقت قوله ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في هذا التفسير ؟

قلت : بـ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ ﴾ ، ولي أن أعلقه بـ ﴿ أُوتِيَ ﴾ ، **فينقلب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد ﷺ وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة** " . اهـ [1] .

✌ وهذا المعنى هو **المعنى الراجح** في الآية كما بيَّنا في المسألة السابقة ؛ وترجَّح أن الضمير يعود لكفار قريش ؛ **وعليه يترجَّح** أن يتعلق قوله : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يتعلق بقوله : ﴿ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) الكشاف : ٣ / ٤٢٤ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ ﴾ . [آية : ٥١] .

مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ لكفار قريش ، فقال : ((﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ الضمير لكفار قريش ، وقيل : لليهود ، **والأوَّل أظهر** ...)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

أكد سبحانه وتعالى قطع أعذار وحجج الكافرين بقوله : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ . **وأصل التَّوصيل** : من وصل الحبال بعضها ببعض [(٢)] ، ومنه قول الشاعر :

فَقُلْ لِبَنِي مَرْوَانَ ما بَالُ ذِمَّتِي ... بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ لاَ يَزَالُ يُوصَّلُ [(٣)]

والقول هنا : القرآن [(٤)] ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ :

قال **مجاهد** : **فصَّلنا** لهم القول . وقال **السدي** : **بيَّنا** لهم القول .

وقال **قتادة** : يقول تعالى : أخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع ؟

وقال **ابن زيد** في قوله : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ﴾ الخبر خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة ، وشهدوها في الدنيا بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهها [(٥)] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٨ .

(٢) ينظر (مادة : وصل) في : أساس البلاغة للزمخشري : ٦٧٨ ، تاج العروس : ٣١ / ٧٩ .

(٣) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢ / ١٠٨) ونسبه للأخطل . وأورده جماعة من المفسرين عند تفسير الآية . ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٨٧ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٩٦ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١١٩ ، ١٢٠ ، الدر المصون للسمين الحلبي : ٥ / ٣٤٨ ، تفسير ابن عادل : ١٥ / ٢٧٠ ، فتح القدير للشوكاني : ٤ / ١٧٨ ، روح المعاني للآلوسي : ٢٠ / ٩٤ .

(٤) ينظر : التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٨ ، برهان الزَّركشي (في أسماء القرآن) : ١ / ٢٧٥ .

(٥) أخرج أقوال السلف ؛ مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٨٨) ، و ابن أبي حاتم =

وهذه الأقوال معناها : توصيل المعاني فيه بها إليهم . وقالت فرقة : التوصيل بالنسبة إلى الألفاظ ، أي وصلنا لهم قولاً معجزاً دالاً على نبوَّتك [١] .

والتوصيل تكثير الوصل وتكريره .

ومعنى الآية : قال **الجمهور** [٢] :

يعنى أن القرآن آتاهم متتابعاً متواصلاً ، وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ليذكروا فيفلحوا ؛ أو نزل عليهم نزولاً متصلاً بعضه في أثر بعض [٣] .

وهذه الآية ردٌّ على قول مشركي مكة : هلا أوتي محمد كتابه دفعة واحدة [٤] .

✓ واختلف السَّلف وأهل العلم والمفسرون في **عود الضمير في قوله تعالى** : ﴿ **وَصَّلْنَا** ﴾ على قولين :

القول الأوَّل : الضمير **لكفار قريش** ، قاله **ابن عباس** ﷺ [٥] ، **ومجاهد** [٦] وغيره ، ومقاتل [٧] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٨] ، ووافقه **أكثر** [٩] أهل التفسير [١٠] .

= في تفسيره (٩ / ٢٩٨٨) . وينظر : الدر المنثور : ٦ / ٤٢٢ .

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٩١ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٧ / ١٢٠ .

(٢) نسبه ابن عطية إلى الجمهور . ينظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٢٩١ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣ / ٤٢٥ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٩٧ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٤٠ .

(٤) ينظر : تفسير الفخر الرَّازي : ٢٤ / ٢٢٤ ، تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٥٠ .

(٥) نسبه ابن عادل إليه . ينظر تفسيره : ١٥ / ٢٧١ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٤٨٧ . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٨٨) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٢٢) إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٨٨) . ونسبه إليه أكثر المفسرين .

(٧) ينظر تفسيره : ٢ / ٥٠٠ .

(٨) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٨ .

(٩) نسب ابن الجوزي هذا القول إلى الأكثرين . ينظر : زاد المسير : ٦ / ٢٢٨ .

(١٠) منهم : النحاس في معانيه (٥ / ١٨٥) ونسبه لمجاهد ، والسمر قندي (٢ / ٦١٢) ، والبغوي (٣ / ٤٤٩) وابن عطية (٤ / ٢٩١) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٢٢٨) ، والقرطبي (١٣ / ٢٩٦) ، والخازن (٥ / ١٧٧) والنيسابوري (٥ / ٣٥٠ ، ٣٥١) ، وأبو حيان (٧ / ١١٩) ، والثعالبي (٤ / ٢٧٦) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٥٦) وذكر قول مقاتل ، والشوكاني (٤ / ١٧٨) ، والآلوسي (٢٠ / ٩٤) ، والسعدي (٦١٨) ، والطاهر بن عاشور (٢٠ / ١٤٢) . وينظر : عمدة القاري للعيني : ١٩ / ١٠٧ .

القول الثاني : الضمير **لليهود** ، قاله **رفاعة القرظي** [١] .

عن رفاعة القرظي ﷺ قال : نزلت : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ... ﴾ في عشرة رهط : أنا أحدهم [٢] .

ذكر **الطبري** [٣] القولين و لم يرجح بينهما ، **واستظهر ابن كثير** [٤] القول الأوَّل ثم استدرك استدرك كلامه بما جاء عن رفاعة القرظي .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الراجح هو القول الأوَّل** ؛ **فالضمير لكفار قريش** ؛ **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ، ووافقه الأكثرون** ، يدل على ذلك :

أولاً : إن الكلام من أوَّله مع كفار قريش [٥] ؛ **كما سيأتي** .

ثانياً : **لم يتعرض لهذه المسألة بالذكر جماعة من المفسرين** ؛ منهم : الواحدي ، والسمعاني ، والزَّمخشري ، والفخر الرَّازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن عادل ، وأبو السعود ، والقاسمي ؛ و لم يذكروا قول رفاعة القرظي ؛ **مما يدل على أن الضمير عائد إلى كفار قريش** اعتماداً منهم على ظاهر سياق الآيات ؛ لأن سياق الآيات قبلها هو عن كفار قريش وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٢٢) إلى ابن أبي شيبة ، وابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٨٨) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٨٨) ، وأبو القاسم البغوي في معجمه ، والباوردي وابن قانع الثلاثة في معاجم الصحابة ، والطبراني (في المعجم الكبير (٤٥٦٣ ، ٤٥٦٤) : ٥ / ٥٣) ، وابن مردويه **بسند جيد** . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٨٨) : " رواه الطبراني بإسنادين أحدهما متصل ورجاله ثقات وهو هذا ، والآخر منقطع الإسناد " .

ورفاعة القرظي هو : رِفَاعَةُ بن سِمْوَال . وقيل : رفاعة بن رفاعة القرظي . من بني قريظة ، وهو خال صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أم المؤمنين ، زوج النبي ﷺ ، فإن أمها برة بنت سموال ، وهو الذي طلق امرأته تَمِيمة بنت وهب ثلاثاً على عهد رسول الله ﷺ ، فتزوجها عبد الرحمن بن الزَّبِير ، وطلقها قبل أن يدخل بها ، وحديثه ذلك ثابت في الموطأ وغيره . ينظر : الاستيعاب : ٢ / ٥٠٠ ، أسد الغابة : ٢ / ٢٧١ ، ٢٧٢ ، الوافي بالوفيات : ١٤ / ٩١ .

(٢) ينظر : لباب النقول للسيوطي : ١٦٥ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري : ٢٠ / ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٤ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٨ .

صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١] .

ثالثاً : هذا قول الأكثرين ، وللأكثر حكم الكل شرعاً وعرفاً ؛ كما قال **الآلوسي** [٢] .

رابعاً : يؤيد هذا القول **القواعد الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده قرائن في السِّياق مرجح على ما خالفه** .
- **توحيد مرجع الضمائر في السِّياق الواحد أولى من تفريقها** [٣] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) سورة القصص : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ١٧ / ٢ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٢٩٩ ، ٢ / ٦١٣ .

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ . [آية : ٦١] .

مسألة : في المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ في الآية الكريمة :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ المؤمنين ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ الكافرين ، فقال : ((والمراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ المؤمنين ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ الكافرين ، وقيل : سيدنا محمدا ﷺ وأبو جهل . وقيل : حمزة وأبو جهل **والعموم أحسن لفظاً**)) . اهـ [١] .

الدراسة :

الآية إيضاح لما قبلها من التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله في الآخرة ، والوعد الحسن هو الجنَّة ، ومعنى ﴿ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ أي : من المحضرين في العذاب .

واختلف المفسرون في **المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ في الآية الكريمة** على أقوال منها :

القول الأوَّل : المراد بمن ﴿ وَعَدْنَٰهُ ﴾ **المؤمنين** ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَٰهُ ﴾ **الكافرين** ، والمعنى عام قاله قتادة [٢] ، والزَّجَّاج [٣] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٤] ، **واستظهره** أبو حيان وابن كثير [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١٠٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٩٧) ، ونسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٣٤) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٩٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩) .

(٣) ينظر معانيه : ٤ / ١٥٠ .

(٤) ينظر : التسهيل : ٣ / ١٠٩ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٧ / ١٢٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٧ .

(٦) في تفاسيرهم ؛ منهم : الطبري (٢٠ / ٩٧) ، والنحاس في معانيه (٥ / ١٩١) ، وابن عطية (٤ / ٢٩٤) ، ونقل القرطبي تصحيح القشيري له (١٣ / ٣٠٣) ، ولم يذكر الثعالبي غيره (٤ / ٢٧٨) ، والجلالين (٥١٦) ، والشوكاني (٤ / ١٨١) ، والسعدي (٦٢٢) ، ولم يذكر الطاهر ابن عاشور غيره (٢٠ / ١٥٥) .

القول الثاني : المراد بمن ﴿ وَعَدْنَـٰهُ ﴾ **الرسول ﷺ** ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَـٰهُ ﴾ **أبو جهل** ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [١] ، ومجاهد [٢] ، وقاله الواحدي [٣] من المفسرين .

القول الثالث : المراد بمن ﴿ وَعَدْنَـٰهُ ﴾ **حمزة رضي الله عنه** ، وبمن ﴿ مَّتَّعْنَـٰهُ ﴾ **أبو جهل** ، قاله مجاهد أيضاً [٤] ، ومحمد بن كعب القرظي [٥] ، والسدي [٦] .

الترجيح:

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **أن الرَّاجح أنها نزلت في المؤمن والكافر على التعميم ؛ نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافية والغنى وله في الآخرة النار ، وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله وله في الآخرة الجنة .**

وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ ومن وافقه ، يدل على ذلك إضافة لما تقدم ؛ ولما يلي :

أولاً : دلالة السِّياق القرآني :

قال **ابن عطية** : " نزولها عام بين الاتساق بما قبله من توبيخ قريش " [٧] .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ . [سورة القصص : ٦٠] .

ثانياً : النظير القرآني :

- وهذا كقوله تعالى إخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات

---

(١) ينظر : تنوير المقباس : ٣٢٩ .

(٢) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٥١) ، وابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٩٤) ، وابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٣٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ٩٧) .

(٣) ينظر تفسيره : ٢ / ٨٢٣ .

(٤) نسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (٦ / ٢٣٤) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى ابن جرير من وجه آخر في تفسيره (٢٠ / ٩٧) .

(٥) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٣ / ٤٥١) ، والقرطبي في تفسيره (١٣ / ٣٠٣) .

(٦) نسبه إليه السمعاني في تفسيره (٤ / ١٥١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣١) إلى ابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩) .

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٢٩٤ .

وذاك في الدركات فقال : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ . [سورة الصافات : ٥٧] .

- وقال تعالى : ﴿ ... وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ . [سورة الصافات : ١٥٨] .[(١)]

ثالثاً : ذكر الأقوال أو بعضها ولم يرجحوا بينها جماعة من المفسرين ؛ ومنهم : السمرقندي ، والثعلبي ، والسمعاني ، والزَّمخشري ، والنسفي ، والخازن ، والنيسابوري ، والخطيب الشربيني ، والآلوسي [(٢)] .

ولم يتعرض فيمن نزلت الآية جماعة أيضاً منهم : الفخر الرَّازي ، والبيضاوي ، وابن عادل وأبو السعود ، والقاسمي ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي . **مما يدل على أن لفظ الآية عام** .

رابعاً : يؤيده **القاعدة الترجيحية** التالية :

- **القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك** [(٣)] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٣ / ٣٠٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٧ .

(٢) ينظر : تفسير السمر قندي : ٢ / ٦١٥ ، الكشف والبيان : ٧ / ٢٥٧ ، تفسير السمعاني : ٤ / ١٥١ ، الكشاف : ٣ / ٤٢٩ ، تفسير النسفي : ٣ / ٢٤٣ ، تفسير الخازن : ٥ / ١٧٩ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٥٤ ، السراج المنير : ٣ / ١٦٢ ، روح المعاني : ٢٠ / ٩٩ .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح للحربي : ١ / ٣١٢ .

قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ . [آية : ٧٦] .

مسألة : المراد بالمفاتح في الآية :

ترجيح ابن جُزيّ رحمه الله :

رجّح ابن جُزيّ أن المراد بالمفاتح في الآية المفاتح هي التي يفتح بها ، فقال :

((﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾ المفاتح هي التي يفتح بها ، وقيل : هي الخزائن ، **والأوّل أظهر**)) . اهـ [(١)] .

الدراسة :

النَّوء في اللغة : هو النهوض بثقل ، يقال : ناء ينوء نوءاً : إذا نهض في تثاقل ، ومنه ناء البعير بحمله : إذا نهض ، وهو من الأضداد .

يقال : ناء به الحمل : إذا نهض به مثقلاً ، وناء به الحمل إذا أثقله [(٢)] .

والعصبة : الجماعة من الرجال [(٣)] .

وفي هذه الآية يبين الله ﷻ ما أنعم به على قارون من كنوز هائلة ، وصفها سبحانه بقوله : ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾ .

---

(١) التسهيل لابن جُزيّ : ٣ / ١١١ .

(٢) ينظر (مادة : ناء) في : العين للفراهيدي (٨ / ٣٩١) ، إصلاح المنطق لابن السكّيت (١٤٨) ، معجم مقاييس اللغة (٥ / ٣٦٦) ، المحكم لابن سيده (مادة : نوأ) (١٠ / ٥٣٤) ، لسان العرب (١ / ١٧٤) ، القاموس المحيط (٦٩) ، تاج العروس (١ / ٤٧١ ، ٤٧٢) .

(٣) على خلاف بين السلف في عددهم (من الثلاثة إلى السبعين) . ينظر : تفسير ابن أبي حاتم (٩ / ٣٠٠٩) ، تفسير السمرقندي (٢ / ٦١٩) ، تفسير البغوي (٣ / ٤٥٤) ، تفسير ابن عطية (٤ / ٢٩٩) ، التسهيل لابن جُزيّ (٣ / ١١١) ، الدر المنثور (٦ / ٤٣٨) .

وقد اختلف السَّلف والمفسرون في **المراد بالمفاتح في الآية** على قولين :

القول الأوَّل : المراد المفاتح هي التي يفتح بها ، روي عن خيثمة [١] ، ومجاهد [٢] ، وقتادة [٣] ، وذهب إليه **أبو عبيدة** [٤] ، **وهو ما رجَّحه ابن جُزيّ** [٥] ، ووافقه جماعة من المفسرين [٦] .

قال **السعدي** :

" حتى إن مفاتح خزائن أمواله تثقل الجماعة القوية عن حملها ، هذه المفاتيح ، فما ظنُّك بالخزائن ؟ " . اهـ [٧] .

واستدل له :

١. **من اللغة** : و (المَفَاتِحُ) هنا جمع (مِفْتَح) - بكسر الميم - وهو الذي يفتح به

---

(١) قال خيثمة : كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلاً ، كل مفتاح منها باب كنز معلوم مثل الأصبع من جلود . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ١٠٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣٧) إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر . قال **ابن عطية** (٤ / ٢٩٨) : " وروي غير هذا مما يقرب منه ذلك كله ضعيف ، والنظر يشهد بفساد هذا ، ومن كان الذي يميز بعضها عن بعض ، وما الداعي إلى هذا وفي الممكن أن ترجع كلها إلى ما يحصى ويقدر وعلى حصره بسهولة ... والذي يشبه إنما هو أن تكون المفاتيح من الحديد ونحوه " . اهـ . وقال **أبو حيان** في البحر (٧ / ١٢٦) : " ذكروا من كثرة مفاتحه ما هو كذب ؛ أو يقارب الكذب ؛ فلم أكتبه " . اهـ .

(٢) قال مجاهد : كانت المفاتح من جلود الإبل . أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٩٣) ، وابن جرير في تفسيره (٢٠ / ١٠٧) ، وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٤٣٧) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٣٠٠٧) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣ / ٩٣) .

(٤) ينظر مجازه : ٢ / ١١٠ .

(٥) ينظر : التسهيل : ٣ / ١١١ .

(٦) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : الطبري (٢٠ / ١٠٧) ، والواحدي (٢ / ٨٢٥) ، والبغوي (٣ / ٤٥٤) ، والزمخشري (٣ / ٤٣٤) ، وابن عطية (٤ / ٢٩٨) ، وقدَّمه ابن الجوزي (٦ / ٢٤٠) ، والفخر الرَّازي (٢٥ / ١٣) ، والقرطبي (١٣ / ٣١١) ، والبيضاوي (٤ / ٣٠٣) ، والخازن (٥ / ١٨١) ، وابن كثير (٣ / ٤٠٠) ، والبقاعي (٥ / ٥١٧) ، والثعالبي (٤ / ٢٨٢) ، وابن عادل (١٥ / ٢٨٨) ، وأبو السعود (٧ / ٢٤) ، والخطيب الشربيني (٣ / ١٦٧) ، والشوكاني (٤ / ١٨٦) ، والقاسمي (١٣ / ١٢٦) ، والآلوسي (٢٠ / ١١٠) ، والسعدي (٦٢٣) ، وسيد قطب (٥ / ٢٧١١) ، والطاهر بن عاشور (٢٠ / ١٧٦) .

(٧) تفسير السعدي : ٦٢٣ .

الأبواب .

قال **الأزهري** : " ويقال للذي يُفْتَح به المِغْلاَق (مِفْتَح) - بكسر الميم - و (مِفتاح) ، وجمْعُهما مَفَاتح ومفَاتيح ، وهذا قول النحويين " . اهـ [١] .

وقال **الرَّاغب** [٢] بنحوه .

٢. **القراءة الشاذة** : (ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة) [٣] .

✘ " ومن الناس من **طعن في هذا القول** من وجهين :

الأوَّل : أن مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ، ولو أنا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكفاها أعداد قليلة من المفاتيح ، فأي حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح ؟! .

الثاني : أن الكنوز هي الأموال المدخرة في الأرض ، فلا يجوز أن يكون لها مفاتيح .

✓ **والجواب** :

✍ **عن الأوَّل** :

أن المال إذا كان من جنس العروض ، لا من جنس النقد جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد ، وأيضاً فهذا الذي يقال إن تلك المفاتيح بلغت ستين حملاً ، ليس مذكوراً في القرآن فلا تقبل هذه الرواية ، وتفسير القرآن أن تلك المفاتيح كانت كثيرة ، وكان كل واحد منها معيناً لشيء آخر ، فكان يثقل على العصبة ضبطها ومعرفتها بسبب كثرتها ، وعلى هذا الوجه يزول الاستبعاد .

✍ **وعن الثاني** :

أن ظاهر الكتر وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع

---

(١) تهذيب اللغة (مادة : فتح) : ٤ / ٢٥٨ .

(٢) ينظر : مفردات الرَّاغب (مادة : فتح) : ٣٧١ .

(٣) وهي قراءة الأعمش ؛ أوردها ابن عطية في تفسيره (٤ / ٢٩٨) وأبو حيان في تفسيره (٧ / ١٢٦) ، والآلوسي في تفسيره (٢٠ / ١١٠) . وهي **قراءة بالغة الشذوذ** تحمل على التفسير . ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبناء : ٤٣٨ .

التي عليها أغلاق " [١] .

القول الثاني : المراد بالمفاتح في الآية الخزائن ، قاله **ابن عباس** رضي الله عنهما [٢] ، وأبو صالح [٣] ، وفي معناه قول الضحاك [٤] ، **وأبو رزين** ، والسدي [٥] ، ومقاتل [٦] ، وذهب إليه **الفرَّاء والزَّجَّاج** [٧] .

وقاله العكبري [٨] ، وصوَّبه **النسفي** [٩] ، وقاله **أكثر** [١٠] المفسرين [١١] .

عن أبي رَزِين قال : ﴿ مَفَاتِحَهُۥ ﴾ : خزَائنه ؛ أنْ كان كَافِياً مفتاحٌ واحدٌ خَزَائنَ الكوفة ، إنما مَفاتِحُه المالُ [١٢] .

وقياس واحدها : مَفْتَحِ – بالفتح – .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرَّازي : ٢٥ / ١٤ . وينظر : تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٦١ .

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما : كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء . **نسبه إليه** : الفخر الرَّازي في تفسيره (٢٥ / ١٤) ، والخازن في تفسيره (٥ / ١٨١) ، وابن عادل في تفسيره (١٥ / ٢٩٠) ، والآلوسي في تفسيره (٢٠ / ١١١) . قال **الآلوسي** في تفسيره (٢٠ / ١١١) : " ومما لا مبالغة فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من المفاتح الخزائن ، وكانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء ، وكانت أربعمائة ألف ؛ يحمل كل رجل عشرة آلاف وعليه فأمثال قارون في الناس أكثر من خزائنه ، ولعل الآية تشير إلى أن ما أوتيه فوق ذلك ، ولا أظن الأمر كما روي عن خيثمة " . اهـ .

(٣) قال أبو صالح : كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلاً . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ١٠٧) .

(٤) قال الضحاك : مفاتحه أوعيته . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠ / ١٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٣٠٠٧) .

(٥) أخرجه عن أبي رزين والسدي ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٣٠٠٧) .
وأبو رزين هو : مسعود بن مالك الأسدي مولاهم ، أبو رزين الكوفي ، إمام فاضل ثقة ، ومختلف في صحبته ، ت سنة ٨٥ هـ . ينظر : تاريخ البخاري : ٧ / ٤٢٣ ، تهذيب الكمال : ٢٧ / ٤٧٧ – ٤٧٩ ، الإصابة : ٧ / ١٥٠ .

(٦) ينظر تفسيره : ٢ / ٥٠٥ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للفرَّاء : ٢ / ٢٦٨ ، معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٥٥ .

(٨) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١ / ٥٠٢ .

(٩) قال النسفي : والأصوب أنها المقاليد ؛ أي الخزائن . ينظر تفسيره :٣ / ٢٤٦ .

(١٠) نسب الواحدي هذا القول إلى أكثر المفسرين ؛ ونقله الشوكاني عن الواحدي . ينظر : فتح القدير : ٤ / ١٨٦ .

(١١) في تفاسيرهم ؛ ومنهم : السمر قندي (٢ / ٦١٩) ، وقدَّمه الماوردي (٤ / ٢٦٦) ، واحتمله ابن عطية (٤ / ٢٩٨) ، واحتمله الثعالبي (٤ / ٢٨٢) .

(١٢) رواه الأزهري في تهذيب اللغة (٤ / ٢٥٨) .

قال الزَّجَّاج : " والأشبه في ما جاء في التفسير أن مفاتحه خزائنهُ " [١] .

واستدل له :

١. **النظير القرآني** : قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ... ﴾ [٢] .

٢. **من اللغة** : المَفَاتِحُ جمع مَفْتَحِ ؛ قاله الجمهور [٣] ، وهي الخزائن ، لأن المَفْتَحِ في كلام العرب : الخزانة [٤] .

ويكون جمع المِفْتَاحِ الذي يُفْتَح به المِغْلاَقُ (مَفاتيحُ) ، وجمع المَفْتَحِ : الخزانةِ (المَفَاتِحُ) [٥] .

✘ **واعتُرض :**

بأن هذا النظير القرآني قد اختلف فيه أيضاً في معنى (مفاتح) ، وقد قرأ في الشاذ : (وَعِندَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ) [٦] .

✓ **وأجيب :**

بأن ما يؤيد أن معنى مفاتح في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ... ﴾ خزائن : تفسير السدي فيما رواه الطبري قال : " مفاتح الغيب خزائن الغيب " [٧] .

الـترجيح :

بناء على ما سبق يظهر لي – والله أعلم – **احتمال القولين ؛ وأن المراد بـــ ﴿ مَفَاتِحَهُۥ ﴾ في الآية مفاتيح خزائنه ؛ أو الخزائن نفسها ؛ فكلاهما سواءً مفاتيح خزائن مال قاون أو**

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج : ٤ / ١٥٥ .
(٢) سورة الأنعام : ٥٩ .
(٣) نسب أبو حيان هذا القول للجمهور . ينظر : البحر المحيط : ٦ / ٤٣٤ .
(٤) ينظر (مادة : فتح) في : جمهرة اللغة لابن دريد : ١ / ٣٨٦ ، لسان العرب : ٢ / ٥٣٩ ، تاج العروس : ٧ / ٧ .
(٥) نُسب هذا القول للّيث . ينظر (مادة : فتح) في : لسان العرب : ٢ / ٥٤٠ ، تاج العروس : ٧ / ٧ .
(٦) قرأ بها ابن السميفع ، نسبها له ابن حجر وغيره . ينظر : فتح الباري لابن حجر : ٨ / ٢٩١ .
(٧) ينظر : تفسير الطبري : ٧ / ٢١٢ .

خزائنه نفسها كانت تنوء بالعصبة أولي القوة من كثرتها وثقلها ؛ قال بذلك جماعة من المفسرين ولم يرجحوا بينهما ؛ ومنهم : السمعاني ، والنيسابوري ، وأبو حيان ، ومحمَّد سيِّد طنطاوي [(١)] .

ويدل على ذلك ما يلي :

أولاً : كلا القولين قاله جماعة من السلف ، ومن أهل العلم ، ومن المفسرين .

ثانياً : كلا القولين له وجه في اللغة ويؤيده قراءة ؛ وإن كانت شاذة كلتاهما إلا أنهما تحملان على التفسير .

ثالثاً : يتأيد هذا القول **بالقواعد الترجيحية** التالية :

- **إذا احتمل اللفظ معانٍي عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها** [(٢)] .

✓ **وفي معنى الآية وقفات** :

١. الباء في ﴿ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾ وجهان :

الأوَّل : أنها للتعدية كالهمزة ، ولا قلب في الكلام ، والمعنى : لتنئ المفاتح العصبة الأقوياء والمعنى : مَا إن مفاتحه لتُنِيء العُصْبة الأقوياء ، أى : تميلهم من ثقلها ، لما انفتحت التاء دخلت الباء ؛ و قلت : تنوء بهم وتُنِيء بهم ، قاله **كثير** من السَّلف [(٣)] ، وهو قول **الفرَّاء** [(٤)] وغيره ، وهو ظاهر التنزيل .

والثاني : إن في الكلام قلباً ، والأصل : لتنوء العصبة بالمفاتح ؛ أي : لتنهض بها ، كقولهم : عرضتُ الناقة على الحوض ، قاله **أبو عبيدة** [(٥)] .

---

(١) ينظر : تفسير السمعاني : ٤ / ١٥٥ ، تفسير غرائب القرآن : ٥ / ٣٦١ ، البحر المحيط : ٧ / ١٢٦ ، الوسيط : ١٠ / ٤٣٦ .

(٢) ينظر : قواعد التفسير للسبت : ٢ / ٨٠٧ .

(٣) عزاه الشوكاني في تفسيره (٤ / ١٨٦) إلى كثير من السلف .

(٤) ينظر معانيه : ٢ / ٢٦٨ .

(٥) ينظر مجازه : ٢ / ١١٠ ، ١١١ .

٢. قال **الزَّركشي** :

" وفيه – أي في الآية – تذكير بالمناسبة ؛ يتوجه به من مفاتح كنوز مال الدنيا المحسوس إلى مفاتح كنوز العلم الذى ينوء بالعصبة أولى القوة فى يقينهم إلى ما عند الله فى الدار الآخرة " . اهـ [1] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

وبعد : فهذا آخر ما توصلت إليه من مسائل ؛ كان لابن جُزيّ الكلبي فيها ترجيح واضح ، سائلةً المولى ﷻ أن أكون قد وفقت في عرضها ومناقشتها .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،،،،،

(١) برهان الزَّركشي : ١ / ٣٨٣ .

الخاتمة

الحمد لله وليُّ النِّعمة ومانحها ؛ ومرسل الرَّحمة وفاتحها ، والصلاة والسَّلام على نبي الهدى والرَّحمة ، شفيع الأمَّة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلِّم ..

أما بعد : ففي نهاية المطاف ؛ وقد ظللت أياماً طويلة أترقب هذا اليوم الذي يكلل الله فيه مسعاي ويسدد خطاي لإنجاز هذا البحث المتواضع في جمع ترجيحات جهبذ من جهابذة العلم ؛ ألا وهو العلاَّمة الفذِّ محمَّد بن جُزيّ الكلبيّ في تفسيره النَّفيس (التسهيل لعلوم التنزيل) من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص ؛ أسأل الله القبول وأن يجعله خالصاً لوجهه تعالى ، وعلماً نافعاً لي في حياتي وبعد مماتي .

وفي خاتمة هذا الموضوع أسجل **بعض النتائج** التي ظهرت لي أثناء هذا البحث ، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية :

١. إن ابن جُزيّ رحمه الله يعتبر علماً من أعلام التفسير ، وإماماً من أئمتهم المبرزين ، وذلك من خلال إتقانه لاختلاف المفسرين وآرائهم ، وإبراز ذلك بطريقة فريدة ، ومنهجية مميزة .
٢. ظهر لي من خلال البحث أن ابن جُزيّ رحمه الله تعالى يعتقد معتقد أهل السنة والجماعة في الغالب ، بل ويدافع عن بعض القضايا التي خالف فيها بعض الطوائف .
٣. تَقَدُّم ابن جُزيّ رحمه الله وتميزه في شتى الفنون والعلوم ، فقد كان إماماً في اللغة نحواً وصرفاً وإعراباً ، ملماً بأقوال أهل العلم من السلف في تأويل القرآن الكريم وبيان معانيه .
٤. لم يكتب لتفسير ابن جُزيّ رحمه الله الظهور إلا في هذا القرن تقريباً ، أي بعد سبعمائة سنة تقريباً ، و لم أذكر اسمه عند أحد من عامة الناس إلا جهله ، نسأل الله أن يحيي ذكرنا بالخير ولو بعد حين .
٥. إن تفسير ابن جُزيّ رحمه الله تفسير مُختصر فيه تحليل لفظي ، وهو تفسير متين ، وهو أطول من الجلالين بحجم البيضاوي ، وهو نافع لطالب العلم ؛ لكنهُ لا يسلم من شيءٍ من التحريف والتَّصحيف ، وذلك راجع إلى النُّسخ التِّي اعتُمِد عليها في الطَّبع .
٦. إن كتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جُزيّ على صغر حجمه يعتبر كنزاً ثميناً جمع من الفوائد والنكات العلمية ما تكلُّ عنه الكتب الكبيرة ؛ فهو عصارة لأقوال المفسرين ،

وفيه من فنون العلم ما تقر به أعين القارئين والمطالعين ، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن والتمكن من المعارف المختلفة .

٧. إن تفسير ابن جُزيّ رحمه الله تفسير مهمٌّ نفيس ، فلم يعتمد فيه على النقل فقط ، بل تراه يُبدي رأيه وترجيحه لبعض الأقوال .

٨. مقدمة (التسهيل) لا بن جُزيّ رحمه الله ، مقدمة لها قيمة تأصيلية وخصوصاً في علم أصول التفسير وعلوم القرآن للمبتدئ ، كُتبت فيها دراسات جامعية وبحوث أكاديمية .

٩. من خلال مقدمة (التسهيل) تظهر براعة ابن جُزيّ رحمه الله في استخدام صيغ الترجيح فيستخدم عند كل ترجيح الصيغة المناسبة التي تبين مرتبة الترجيح عنده .

١٠. يعتبر ابن جُزيّ رحمه الله من العلماء الذين قرَّروا القواعد المعتبرة في الترجيح لدى علماء التفسير ، ومن ثم استخدام هذه القواعد في ترجيحاته .

١١. حفل تفسير : (التسهيل) بالعديد من القضايا والمسائل الترجيحية في مختلف العلوم كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة .. ونحوها . وقد وُفِّق عليه رحمة الله عليه للصواب في كثير من ترجيحاته ، وجانبه الصواب في بعضها ، كما ظهر ذلك في ثنايا البحث .

١٢. الاختصار الشديد الواضح في تفسير ابن جُزيّ رحمه الله يعتبر ميزة ؛ ويعتبر مأخذ أحياناً ، فهو ميزة تميَّز بها ابن جُزيّ حيث لا يتأتى لأي أحد أن يختصر من غير أن يخل بأطراف المسألة ؛ أما ابن جُزيّ فقد أحكم هذا ؛ وإن كان لا ينصُّ على مستنده في الترجيح في الغالب ، ويعتبر مأخذ من حيث أنه قد يرجح قولاً ولا يذكر غيره ويظن القارئ أن لا قول غير الذي ذكره ؛ وعند الرجوع لتفسير الآية عند غيره من المفسرين نجد أقوالاً وتفصيلات كثيرة للمسألة .

١٣. إن عرض أقوال العلماء ومناقشتها ، والمقارنة بينها ؛ بالنظر في أدلة كل قول ، ومدى قوته ورجحانه على غيره ، ينمي في الباحث ملكة مناقشة الآراء المختلفة ، وسبر أغوارها ، ويزيد من سعة أفق طالب العلم ، وتقبل الرأي الآخر بلا تعصب أو اتباع هوى .

١٤. إن تتبع أقوال المفسرين عند تفسير آية لهو **عملٌ ممتعٌ** ؛ فيه تتبع للأقوال ومعرفة دليل كل فريق ؛ كلٌّ يجتهد في معرفة مراد الله في الآية بقدر طاقته البشرية ؛ ومرادهم واحد هو الاهتداء بهدي كتاب الله العظيم ؛ وهذا العمل لابد فيه من بذل الجهد والوقت ،

والجلد والصبر ، والاستعانة بعد الله ﷻ بالأسباب المعينة على فهم المسألة ؛ وهو يسيرٌ لمن يسَّره الله عليه .

توصيات البحث :

لمـــَّا كان القرآن **منهج حياة** ؛ اعتنى بتدبره وفهمه وتفسيره السَّلف والخلف ليقوِّم حياتهم وينير دربهم ؛ كان من الواجب علينا اليوم أن نكمل المشوار ، فالقرآن كتاب الله القائم إلى قيام الساعة ؛ صالحٌ لكل زمان ومكان ، فأُوصي بمشروع كبير – بعد دراسة المسائل في القرآن كلِّه – بأمور وهي :

أولاً : جمع القول الراجح مختصراً في جميع سور القرآن الخاصة بمفسِّر معين ؛ كتفسير التسهيل لابن جُزيّ مثلاً ، أو البحر المحيط لأبي حيان في مجلد واحد .

ثانياً : من ثمَّ جمع ترجيحات جميع المفسرين ممن كتبت فيهم رسائل جامعية في مجلد واحد فقد يرجح مفسرٌ لقول في مسألة لا يتطرق إليها مفسرٌ آخر .

ثالثاً : بعد جمع ترجيحات ما تيسَّر من المفسرين نأتي **لمرحلة الاهتداء بالآيات** ، واستخراج القيم الذي تضمنها كتاب الله بصورة سهلة يسهل تطبيقها ، وتوعية شباب الجيل اليوم ، وتعريفهم بكتاب ربهم خاصة بعد رواج مغريات الحياة التي أشغلتهم عن مدارسة كتاب الله .

إن جمع الترجيحات لمفسِّرٍ عاش في القرن السَّادس أو القرن السَّابع الهجريّ لهو عمل قيِّم ومهمّ ؛ لكنه يحتاج إلى إتمام ؛ فدورنا نحن الآن النظر في الآيات **حسب واقع الحال اليوم** ، تفسيرٌ يناسب القرن الواحد والعشرين ؛ فديننا دينٌ لا يتصف بالجمود ؛ وخيرُ مفسرٍ للقرآن أحداث الزمن ، مع الاحتفاظ بالمعنى الأساس وهو التفسير بالمأثور ؛ ومن ثمَّ الانطلاق منه **ليواكب حاجة المسلم في هذا القرن** .

اللهم تقبل منا ووفقنا لكل عمل صالح يُرضيك ، أسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة دينه وأن يعزَّني بالإسلام ويعزَّ الإسلام بي .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، واعف عنا وتجاوز إنك أنت الغفور الرحيم ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،،،،

الفهارس

① فهرس الآيات القرآنية الكريمة

② فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

③ فهرس الآثار عن الصحابة ﷺ والتابعين

④ فهرس الأعلام

⑤ فهرس الغريب والمصطلحات العلمية

⑥ فهرس الأماكن والبلدان

⑦ فهرس الشواهد الشعرية

⑧ فهرس المصادر والمراجع

⑨ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية الكريمة [1]

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الرعد		
﴿ الٓمٓرٰ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾	١	١٠٦
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ... ﴾	٢	١١٢
﴿ ... وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ... ﴾	٣	١١٧
﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ ... ﴾	٦	١٢٢
﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ ... ﴾	١٠	١٣١
﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾	١١	١٣٦
﴿ ... وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ ... ﴾	١٣	١٤٨ ١٥٣
﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ... ﴾	٢٢	١٦٠
﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ ... ﴾	25	١٦٥
﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ... ﴾	٣٠	١٧٠
﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ... ﴾	31	١٧٤
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥ ... ﴾	٣٦	١٧٧
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا ... ﴾	٤١	١٨٧
سورة إبراهيم عليه السلام		
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾	٥	١٩٥
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ ... ﴾	٧	٢٠١

(١) أكتفي في هذا الفهرس العام ببيان مواضع آيات المسائل التي درست في هذه الرسالة فقط ، وذلك لكثرة الآيات التي وردت في ثنايا البحث ، حيث زادت عن الألف آية .

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ... ﴾	١٠	٢٠٤
﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ... ﴾	12	٢٠٦ ٢٠٩
﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ ... ﴾	١٦	٢١٢
﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ... ﴾	21	٢١٧ ٢٢٠
﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ... ﴾	٢٢	٢٢٥
﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾	٢٣	٢٢٩
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ... ﴾	٢٤	٢٣١
﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ... ﴾	٢٦	٢٣٥
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	٤١	٢٣٨
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ... ﴾	٤٢	٢٤٢
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ... ﴾	48	٢٤٦
سورة الحجر		
﴿ الٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ ... ﴾	١	٢٥٢
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ ... ﴾	2	٢٥٥
﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ... ﴾	٨	٢٦٠
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ... ﴾	١٤ ١٥	٢٦٤
﴿ ... وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾	19	٢٦٧
﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ... ﴾	٢٠	٢٧٠
﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ... ﴾	٢١	٢٧٥
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ ... ﴾	٢٤	٢٧٩
﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن ... ﴾	٢٧	٢٨٣
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ... ﴾	٣٩	٢٨٦
﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ ... ﴾	٧٩	٢٩٠
﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ... ﴾	82	٢٩٤

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ... ﴾	87	٢٩٧
		٣٠٤
﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ ... ﴾	٩١	٣٠٧
﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ... ﴾	95	٣١٢
سورة النحل		
﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ ... ﴾	٢	٣١٧
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ ... ﴾	4	٣٢٢
﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ ... ﴾	16	٣٢٨
﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ... ﴾	٢١	٣٣٣
﴿ ... وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ... ﴾	٥٢	٣٣٨
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾	٦١	٣٤٢
﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ... ﴾	٦٧	٣٤٧
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ... ﴾	70	٣٥٣
﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ ... ﴾	٧١	٣٥٩
﴿ ... وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ... ﴾	٧٢	٣٦٤
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ... ﴾	٧٦	٣٧٠
﴿ ... إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ... ﴾	١١٠ ١١١	٣٧٥
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ ... ﴾	١١٢	٣٧٨
﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾	١٢٢	٣٨٥
سورة الإسراء		
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ... ﴾	١	٣٩٠
﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ... ﴾	١١	٣٩٥
﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ... ﴾	20	٤٠٠
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ... ﴾	٢٦	٤٠٤

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ... ﴾	37	٤٠٩
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾	٤٤	٤١٣
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ... ﴾	٤٥	٤٢٢
﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ... ﴾	٥٢	٤٢٧
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ... ﴾	٧٨	٤٣١
﴿ ... وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾	٨٠	٤٣٥
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ... ﴾	٨٥	٤٣٩
		٤٤٥
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ ... ﴾	101	٤٤٩
﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ... ﴾	١٠٧	٤٥٣
﴿ ... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾	110	٤٥٦
سـورة الكـهـف		
﴿ ... وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾	١	٤٦١
﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ... ﴾	٢	٤٦٤
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ... ﴾	٩	٤٦٨
﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت ... ﴾	١٧	٤٧٢
﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ... ﴾	٢٠	٤٧٦
﴿ ... وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾	٢٤	٤٧٩
﴿ ... مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ... ﴾	28	٤٨٦
﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ... ﴾	34	٤٩٢
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ... ﴾	٤٦	٤٩٩
﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ... ﴾	٥٨	٥٠٦
﴿ ... وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾	٦٣	٥٠٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ... وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا	82	٥١٣
... ﴾		٥١٨
﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ... ﴾	٩٩	٥٢١
﴿ ... نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾	١٠٣	٥٢٦
سورة مريم - عليها السّلام -		
﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ ... ﴾	٢	٥٣٢
﴿ ... ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾	7	٥٣٦
﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ... ﴾	١١	٥٤١
﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾	17	٥٤٣
﴿ ... إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾	١٨	٥٤٩
﴿ ... قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾	24	٥٥٣
﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ... ﴾	36	٥٥٨
﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ... ﴾	47	٥٦٢
﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾	57	٥٦٩
﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	٥٧٣
		٥٧٧
﴿ ... هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾	٧٤	٥٨٠
﴿ ... إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾	٨٧	٥٨٤
سورة طه		
﴿ ... فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾	٧	٥٨٩
﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ... ﴾	١٢	٥٩٤
﴿ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	14	٥٩٨
﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ... ﴾	١٥	٦٠٢
﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ... ﴾	16	٦١١
		٦١٣
﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ... ﴾	١٧	٦١٥
﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ... ﴾	٥٠	٦١٨
﴿ ...لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾	58	٦٢٢
﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ... ﴾	72	٦٢٦
﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ... ﴾	80	٦٢٩

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ... وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ... ﴾	97	٦٣٢
﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	١١٠	٦٣٥
﴿ ... وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾	113	٦٣٨
﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ... ﴾	114	٦٤١
﴿ ... فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾	١١٧	٦٤٥
﴿ ... لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾	١٢٩	٦٤٩
سـورة الأنبياء		
﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ ... ﴾	١	٦٥٣
﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ... ﴾	٣	٦٥٦
﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ... ﴾	١١	٦٦٢
﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾	١٧	٦٦٥ ٦٦٩
﴿ ... كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣	٦٧٢
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن ... ﴾	٣٤	٦٧٧
﴿ ... وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾	36	٦٨٠
﴿ ... إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	٥٨	٦٨٣
﴿ ... يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾	60	٦٨٦
﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴾	٧٤	٦٨٩
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ... ﴾	٨٧	٦٩٢ ٦٩٨
﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ... ﴾	١٠٤	٧٠٤
﴿ ... أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾	١٠٥	٧١١
سـورة الحـج		
﴿ ... إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾	1	٧١٨
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... ﴾	٢	٧٢٥
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ... ﴾	٦	٧٢٨
﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾	١٥	٧٣١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾	٢٧	٧٣٧
﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ... ﴾	٤٠	٧٤١
﴿ ... وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٤٧	٧٤٥
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ... ﴾	٥٢	٧٥٠
﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ... ﴾	58	٧٦٤
﴿ ... إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	٧٠	٧٦٧
﴿ ... هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ... ﴾	78	٧٧٠
سورة المؤمنون		
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾	١٠	٧٧٥
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾	٣١	٧٨٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ... ﴾	51	٧٨٤
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ... بَل أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ... ﴾	٧١	٧٩١ ٧٩٦
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ... ﴾	٧٧	٨٠٠
﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾	96	٨٠٥
﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾	98	٨١١
﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾	112	٨١٥
سورة النور		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ... ﴾	11	٨١٩
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ... ﴾	22	٨٢٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ ... ﴾	27	٨٣٠
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ... ﴾	٣٠	٨٣٦
﴿ ... وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ	٣٣	٨٤٥

طرف الآية	رقمها	الصفحة
تَحَصُّنًا ... ﴾		
﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ	35	٨٥٠
كَمِشْكَوٰةٍ ... ﴾		٨٥٤
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ... ﴾	36	٨٦٢
﴿ ... تَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾	37	٨٦٦
﴿ ... أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ... ﴾	61	٨٧٠
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٨٧٥
﴿ ... كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾	١٦	٨٨٠
﴿ ... فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ... ﴾	١٧	٨٨٥
﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ... ﴾	21	٨٩٢
﴿ ... خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾	٢٤	٨٩٨
﴿ ... يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾	٣٠	٩٠٤
﴿ ... وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾	49	٩١٢
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ ... ﴾	50	٩١٦
﴿ ... إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾	٥٧	٩٢٣
﴿ ... ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	٥٩	٩٢٩
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ... ﴾	٧٢	٩٣٦
سورة الشعراء		
﴿ ... ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾	٤	٩٤٥
﴿ ... إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾	١٥	٩٥٣
﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٥٧	٩٥٨
﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	٥٨	٩٦١
﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴾	١٤٩	٩٦٥
﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	١٦٩	٩٧٠
﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾	٢١٩	٩٧٤
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾	224	٩٨٠
سورة النمل		
﴿ ... وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	3	٩٨٥
﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ... ﴾	٥	٩٩٠

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ... ﴾	١١	٩٩٣
﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	٢٥	١٠٠٢
﴿ ... فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾	28	١٠٠٩
﴿ ... يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾	٣٨	١٠١٤
﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... ﴾	40	١٠١٨ ١٠٢٣
﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ... ﴾	49	١٠٢٩
﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ ... ﴾	82	١٠٣٦
سـورة القـصص		
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ﴾	7	١٠٤٣
﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ... ﴾	١٠	١٠٤٨
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ... ﴾	١٧	١٠٥٦
﴿ ... قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ... ﴾	٢٠	١٠٦١
﴿ ... وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ... ﴾	٢٣	١٠٦٦
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ... ﴾	٤٨	١٠٧٠ ١٠٧٤
﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ... ﴾	٥١	١٠٧٧
﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾	٦١	١٠٨١
﴿ ... وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ... ﴾	76	١٠٨٤

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	١٦٢
« اَتَيْتُه هَرْوَلة »	أبو هريرة ﷺ	٣٩٢
« أَحَبُّ الْكَلَام إلى اللَّهِ أَرْبَعٌ ... »	سمرة بن جندب ﷺ	٥٠٠
« احفظ عَوْرَتَكَ إلا من زَوْجَتِكَ أو ... »	بَهْزُ بن حَكِيم عن أبيه عن جَدِّهِ	٨٤٣
« إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ الله تَحْتَ ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	٣٦٠
« إذا أَرَادَ الله بقَوْم عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٣٤٥
« إذا تمنى أحدكم فليكثر ... »	عائشة رضى الله عنها	٧٥٣
« إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ الله ﷻ ... »	عن أبي بردة عن أبيه – رضى الله عنهما –	٧٧٧
« اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ... »	أبو سعيد الخدري ﷺ	٥٠٠
« اطَّلَعَ النبي ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ ... »	حُذَيْفَةَ بن أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ	١٠٣٦
« أُعْطِيتُ ثَلاثَ خِصَال : صَلاةً فِي الصُّفُوفِ ... »	أنس بن مالك ﷺ	٥٦٦
« أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ... »	جابر بن عبد الله ﷺ	٨٧٦ ، ٨٧٧
« أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ ... »	واثلة بن الأسقع ﷺ	٣٠٠
« أَعُوذُ بكَ من الْبُخْل ، وَالْكَسَل وَأَرْذَل الْعُمُر ... »	أنس بن مالك ﷺ	٣٥٨
« أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به ... »	عبد الله بن جعفر	٨٦٠
« ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ ... »	عن أبي بكرة عن أبيه رضى الله عنهما	٩٣٧ ، ٩٣٨
« ألا أُنَبِّئُكُمْ ما العضة ؟ ... »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٣١٠
« ألا لَيُذَادَنَّ رجَالٌ عن حَوْضِي ... »	أبو هريرة ﷺ	١٠٦٦
« اللهم إني أَعُوذُ بكَ من الْهَدْم ... »	أبو اليسر ﷺ	٨١٣
« اللهم فَاطِرَ السموات وَالأَرْض ... »	ابن مسعود ﷺ	٥٨٦
« اللهم فَقِّهْهُ في الدِّين وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ »	ابن عباس ﷺ	٩٢
« أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ : السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ »	أبو هريرة ﷺ	٢٩٩
« أن ابن أثال الحنفي لما أتى النبي ﷺ ... »	ابن عباس ﷺ	٨٠١
« أن ابن مسعود ﷺ مرَّ بلهوٍ معرضاً ... »	إبراهيم بن ميسرة ﷺ	٩٣٩
« أن النبي ﷺ بَزَقَ يَوْماً في كَفِّهِ ... »	بُسْر بن جَحَّاش ﷺ	٣٢٦
« إن مَثَل الذي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَعْمَلُ ... »	عقبة بن عامر ﷺ	١٦٢
« إنما كان هذا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا على ... »	ابن مسعود ﷺ	٣٨٠ ، ٨٠٢
« إنَّ السَّريَّ الذي قال اللَّهُ ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٥٥٥
« إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كل شَيْء ... »	جابر ﷺ	٨١٤

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« إنَّ الْكَنْزَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْحٌ ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	٥١٥ ، ٥١٦
« إنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ... »	ثوبان ﷺ	٧١٥
« إنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ ... »	ابن مسعود ﷺ	٤٠١
« إنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ ... »	عبد الله بن عمرو ﷺ	١٩٠
« إنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ »	كعب بن مالك ﷺ	٩٨٠
« أَنَّ النبي ﷺ دخل عليها فَزِعًا يقول : لَا إِلَهَ إلا الله ... »	زَيْنَبَ ابنة جَحْشٍ رضى الله عَنْها	٣٤٥
« أَنَّ النبي ﷺ سَجَدَ بالنَّجْم ... »	ابن عباس ﷺ	٧٥٨
« أَنَّ النبي ﷺ كان يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ ... »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٣١٥ ، ٣١٦
« إنَّ ثَلَاثَةً فِي بنى إسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ ... »	أبو هريرة ﷺ	1045
« أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ ... »	جابر ﷺ	٨٤٥
« أَنَّ رَجُلًا قال : يا رَسُولَ اللَّهِ ، إنَّ لِي قَرَابَةً ... »	أبو هريرة ﷺ	٨٠٩
« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ على حِمَارٍ ... »	أسامة بن زيد ﷺ	٥٦٣
« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يُعَلِّمُهُمْ من الْفَزَعِ ... »	عَمْرِو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ	٨١٣
« أنه بَيْنَمَا مُوسَى عليه السلام فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ ... »	أبي بن كعب ﷺ	١٩٩
« إنِي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ ... »	جابر بن سمرة ﷺ	٤١٩
« اهْجُهُمْ أو قال هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ »	البراء ﷺ	٩٨٠
« أهم الخوارج ؟ قال : لا ... »	سعد بن أبي وقاص ﷺ	١٦٧
« أَيُّهَا الناس ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٨٧ ، ٧٨٨
« بعث النبي ﷺ مرة رجلاً إلى رجلٍ من فراعنة ... »	أنس بن مالك ﷺ	١٥٠
« بنعم الله تبارك وتعالى »	أبي بن كعب ﷺ	١٩٦
« تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ ... »	أبو هريرة ﷺ	١٠٣٧
« جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة ... »	خباب ﷺ	٤٨٧
« خُذُوا جُنَّتَكُمْ ... »	أبو هريرة ﷺ	٥٠٠
« خَطَبَنَا رسول اللَّهِ ﷺ فقال : أَيُّهَا الناس ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٣٨
« خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله على الْعِبَادِ ... »	عبادة بن الصامت ﷺ	٥٨٦
« خَمْسٌ قد مَضَيْنَ : اللِّزَامُ ، وَالرُّومُ ... »	ابن مسعود ﷺ	٦٤٩ ، ٦٥٠
« خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »	عثمان ﷺ	٢
« ذهب وفضة »	أبو الدَّرداء ﷺ	٥١٣ ، ٥١٤
« زَارَ النبي ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى من حَوْلَهُ ... »	أبو هريرة ﷺ	٢٤١
« سأل النبي ﷺ فِي كَمْ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ ؟ ... »	عبد الله بن عمرو ﷺ	٩٠٩ ، ٩١٠
« سَأَلْتُ أبي ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ »	مصعب بن سعد ﷺ	٥٢٨
« سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ ... »	جَرير بن عبد اللَّهِ ﷺ	٨٣٨

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ... ﴾ »	عائشة رضي الله عنها	٢٥٠
« سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي »	أبو هريرة ﷺ	٤٠٢
« سلام على من اتبع الهدى ... »	ابن عباس ﷺ	٥٦٨
« الشعر كلام حسنه كحسن الكلام ... »	هشام بن عروة عن أبيه	٩٨٠
« شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ رسُول الله ﷺ ... »	ابن عباس ﷺ	٩٣٨
« فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا له ... "	عبد الله بن عمر ﷺ	٦٩٩
« فتناول النبي ﷺ سبع حصيات ... »	أبو ذرٍّ ﷺ	٤١٩
« فلما أَنْزَلَ الله هذا في بَرَاءَتِي ... »	عائشة رضى الله عنها	٨٢٨
« قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٧٧
« قال أبو جَهْل : اللهم إن كان هذا هو الْحَقَّ ... »	أنس بن مالك ﷺ	٣٩٧
« قَرَأَ النبي ﷺ (النَّجْمَ) بمَكَّةَ ... »	ابن مسعود ﷺ	٧٥٧ ، ٧٥٨
« قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نصْفَيْن ... »	أبو هريرة ﷺ	٣٠٥
« قلنا : يَارَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا السَّلامُ فَمَا ... »	أبو أيوب الأنصاري ﷺ	٨٣٥
« كان اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرَّةَ ... »	عن ابن عباس ﷺ	٧٠
« كان المسلمون يرغبون في النفير ... »	عائشة رضى الله عنها	٨٧٠
« كان النبي ﷺ يَخْطُبُ إلى جذْع ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٤١٨ ، ٤١٩
« كان رسول اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ من التَّنْزيل شِدَّةً ... »	ابن عباس ﷺ	٦٤٢
« كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت ... »	أبو هريرة ﷺ	٤٦٠
« كان رسول الله ﷺ يذكر الله على ... »	عائشة رضى الله عنها	٤٨٤
« كان على مُوسَى يوم كَلَّمَهُ رَبُّهُ ... »	ابن مسعود ﷺ	٥٩٤
« كانت امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رسول اللَّهِ ﷺ ... »	ابن عباس ﷺ	٢٧٩
« لَا تبدؤوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بالسَّلَام ... »	أبو هريرة ﷺ	٥٦٣
« لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ... »	ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه رضى الله عنهما	٨٣٧ ، ٨٣٨
« لَا تَدْعُوا على أَنْفُسكُمْ ... »	جابر ﷺ	٣٩٦
« لا تفضلوني على يونس بن متى »	–	٧٠١
« لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إلا في حَدٍّ من ... »	أبو بردة ﷺ	٩٣٧
« لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ ... »	ابن عمر ﷺ	٩٨٠
« لعن الله الواشمة ... »	ابن عباس ﷺ	٣١٠
« لَمَّا صَوَّرَ الله آدَمَ في الْجَنَّةِ تَرَكَهُ ... »	أنس بن مالك ﷺ	٢٨٤
« لَمَّا عُرِجَ بى رأيت إدْريسَ ...»	أنس بن مالك ﷺ	٥٧٠
« لَمَّا غَزَا رسول اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ ... »	أبو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ	٤٥٩
« لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ جَاءَتِ امْرَأَةُ أَبى لَهَب ... »	ابن عباس ﷺ	٤٢٢

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« لَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٢٤٣
« لَيَبْلُغَنَّ هذا الأَمْرُ ما بَلَغَ اللَّيْلُ ... »	تميم الداري ﷺ	٧١٦
« ما أَحَدٌ مِنَ الناس إلاَّ وقد أَخْطَأَ ... »	ابن عباس ﷺ	٥٣٨
« ما أَنْزَلَ الله في التَّوْرَاةِ ولا في الْإِنْجيل مِثْلَ ... »	أبي بن كعب ﷺ	٢٩٩
« ما بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَزُكِّيَ ... »	أم سلمة رضى الله عنها	٥١٥
« ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ إلا له مَنْزِلَانِ ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٧٦
« المُتَشَبِّعُ بمَا لم يُعْطَ كَلَابس ثَوْبَيْ زُور »	أسماء رضى الله عنها	٥ ، ٩٣٧
« مَرَّ النبي ﷺ بقَبْرَيْن ... »	ابن عباس ﷺ	٤١٧
« مَرَّ بيَ النبي ﷺ وأنا أُصَلِّي ، فَدَعَانى ... »	أبو سعيد بن المعلى ﷺ	٢٩٨
« مضى اللِّزَامُ ، والبَطْشُ يوم بدر ... »	ابن مسعود ﷺ	٦٤٩ ، ٦٥٠
« من حَلَفَ على يَمِين فَرَأَى غيرها خَيْرًا منها .. »	أبو هريرة ﷺ	٤٨٠
« من قال : لا إِلَهَ إلا اللَّهُ ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٥٨٥
« من نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرَهَا ... »	أنس بن مالك ﷺ	٤٨٣ ، ٥٩٩
« نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بمَكَّةَ ... »	ابن عباس ﷺ	٤٥٧
« النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون »	جابر ﷺ	٨٩٨
« هل تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا ، فَوَ اللَّهِ ما يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ ... »	أبو هريرة ﷺ	٩٧٧
« هل رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ ... »	عائشة رضى الله عنها	٨٦٠
« هُمْ أَهْلُ الْكِتَاب جزؤوه أَجْزَاءً ... »	ابن عباس ﷺ	٣٠٨
« هم في الظلمة دون الجسر .... »	ثوبان ﷺ	٢٥١
« هو الجدي يا ابن عباس ... »	ابن عباس ﷺ	٣٣١
« والله لَيَتِمَّنَّ هذا الْأَمْرُ حتى يَسيرَ الرَّاكِبُ ... »	خباب ﷺ	٧١٥
« وتُمَدَّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيم ... »	عبد الله بن مسعود ﷺ	٢٤٧
« وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ... »	أبو هريرة ﷺ	٦٠٦
« ولاَ يَعْضَه بَعْضُناً بَعْضاً ... »	عبادة ﷺ	٣١٠
« ولا يَقُلْ أحدكم : عَبْدِي أَمَتِي ... »	أبو هريرة ﷺ	٨٤٥
« وَلَقَدْ كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطَّعَام ... »	ابن مسعود ﷺ	٤١٨
« وليس على أهل لا إله إلا الله وحشة ... »	عبد الله بن عمر ﷺ	٤٣٠
« وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فإنه من جُثَا ... »	الحارث الأشعري ﷺ	٧٧٤
« وَمَنْ كان يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِرِ فلا يَجْلِسْ ... »	جابر ﷺ	٩٤١
« وَمَنْ هَمَّ بسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا ... »	ابن عباس ﷺ	١٦٣
« يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ باللَّيْل وَمَلَائِكَةٌ بالنَّهَار ... »	أبو هريرة ﷺ	١٣٧ ، ٦٥٨
« يجئ يوم الْقِيَامَةِ نَاسٌ من الْمُسْلِمِينَ ... »	عن أبي بردة عن أبيه – رضي الله عنهما –	٧٧٧
« يُحْشَرُ الناس يوم الْقِيَامَةِ على أَرْض بَيْضَاءَ ... »	سهل بن سعد ﷺ	٢٤٨

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
« يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قبل أَغْنيَائِهِمْ ... »	أبو هريرة ﷺ	٧٤٦
« يقول الله : يا آدَمُ . فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ... »	أبو سعيد الخدري ﷺ	٧٢٢ ، ٧٢٣

فهرس الآثار عن الصحابة والتابعين

طرف الأثر	القائل	الصفحة
إذا أذنبوا تابوا	ابن كيسان	١٦١
إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده	مسلم بن يسار	٨٨
إذا حرموا أعطوا ، وإذا ظلموا عفوا ...	الحسن البصري	١٦١
إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني ..	إبراهيم النخعى	٥٦٤
إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلِّم عليهم	الحسن البصري	٥٦٥
إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن ..	عكرمة	٨٧٣
إذا هربوا أنابوا ، وإذا رأوا منكرا أمروا بتغييره	من غير نسبة	١٦١
اذكر ربك إذا غضبت	عكرمة	٤٨٣
أراد أن أراضى الكفار يفتحها المسلمون ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٧١٣
استدعاه ليريها القدرة التي هى من عند الله ...	ابن زيد	١٠١٦
أصبح فارغاً من العهد الذي عهدنا إليها ...	الحسن البصري	١٠٥١
أقرأت القرآن قال : نعم ..	على بن الحسين	٤٠٦
ألا وَهَذَا الزُّورُ	سعيد بن المسيب	٩٤٣
إليك نسعى ونَحْفِدُ ..	عمر بن الخطاب ﷺ	٣٦٤
إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن	عمر بن الخطاب ﷺ	٤٣٦
إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده ..	محمد بن المنكدر	٥١٩
أن تصل ذا القرابة وتطعم المسكين ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٠٥
أن توفيهم حقهم إن كان يسيراً ..	الحسن البصري	٤٠٥
إن لهم في ذلك لحقاً سوى الزكاة ..	الحسن البصري	٤٠٥
إن نبى الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الأمر ..	قتادة	٤٣٦
إنما هى ضحوة فيقيل أولياء الله على الأسرَّة ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٩٩
إنَّهَا قَوْلُ الْعَبْدِ : الله أَكْبَرُ ..	سعيد بن المسيب	٥٠٠
أنه بلغه أن رجلين اختلفا في هذه الآية : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ...	يزيد بن زياد	٤٤٧
أول ما خلق الله من آدم عليه السلام رأسه ..	سلمان الفارسي ﷺ	٣٩٧
أي لم تلد العواقر مثله ولدا	ابن عباس رضى الله عنهما	٥٣٩
أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد ..	يزيد الرقاشى	٤١٧
بعث الله محمدا ﷺ نذير من الله لينذر ...	قتادة	٨٧٦
بلى والله ، حتى إن الحبارى لتموت ..	أبو هريرة ﷺ	٣٤٤
بمعرفته وطاعته	قتادة	٤٢٧
تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب	على ﷺ	٢٤٨
تتقلب في الجوف ولا تقدر ...	الضحاك	٨٦٧
تدور كالحرس ملائكة الليل وملائكة النهار	عبد الله بن مسعود ﷺ	١٣٨

طرف الأثر	القائل	الصفحة
تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي أخرجه نبياً	ابن عباس رضى الله عنهما	٩٧٥
تَكْلَمهم أو تُكَلِّمُهم ؟ قال : كل ذلك والله تفعل ...	ابن عباس رضى الله عنهما	١٠٣٧
تهاجى شاعران في الجاهلية ...	عكرمة	٩٨١
... ثم استثنى ؛ فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴾ ..	ابن عباس رضي الله عنهما	٩٨٢ ، ٩٨٣
جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، عليهم نزل الوحي ، وهم أعلم بتأويله	ابن عباس رضي الله عنهما	٩١
جدّا وورعا	قتادة	٦٣٩
جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٥١١
حبَّبه للناس حتى أن أرباب الملل ..	قتادة	٣٨٦
حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي	مجاهد	٤٣٥
حَدَّهُ تسعون عاماً	قتادة	٣٥٥
حَدَّهُ خمسة وسبعون عاماً	على ﷺ	٣٥٤
حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاح ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٥١٨
خرجت مريم إلى جانب المحراب ..	ابن عباس رضي الله عنهما	٥٤٥
	عبد الله بن مسعود ﷺ	
الذكر : القرآن	قتادة	٧٩٦
ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده ..	الحسن البصري	٣٩٦
الذين يشهدون الصلوات المكتوبة	ابن عمر رضى الله عنهما	٤٩٠
الزور كان صنماً بالمدينة يلعبون ...	ابن عباس رضي الله عنهما	٩٤٠
سؤالك إياهم نظرك في القرآن	الحسن البصري	٤٥٠
سأل أبا حنيفة – رحمه الله – هل تجد الصلاة في الجماعة ...	مقاتل	٩٧٦
سألوه إيَّاها في الدنيا ؛ طلبوا ذلك ..	عبد الرحمن بن زيد	٨٨٢
السر الذي تستره من الناس..	مجاهد	٥٩١
السر الكلام الخفي ...	ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعكرمة	٥٩٠
السر أنه يعلم أسرار العباد ..	زيد بن أسلم	٥٩١
السر ما حدثت به نفسك ..	ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل بن سليمان	٥٩٠
السِّجل : الصحيفة	ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ومقاتل	٧٠٤
السكر هى خمور الأعاجم ..	قتادة	٣٤٩
سلوا الذي وعدتكم تنجزوه	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٨٢
الشجرة تسبح ، والأسطوانة لا تسبح	عكرمة	٤١٧

طرف الأثر	القائل	الصفحة
شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه ..	الزهري	٩٤١
عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكتل	قتادة	٥١١
عجب والله ! حوت كان يؤكل منه أدهراً ..	ابن زيد	٥١١
عند معاينة الموت حين يتبين لهم	الضحاك	٢٥٥
العهد : شهادة أن لا إله إلا الله ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٥٨٥
عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ..	وهب بن منبه	٥٦١
الغناء	مجاهد	٩٤١
فارغاً من الوحي الذي أوحى الله إليها ...	ابن زيد	١٠٥١
فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً ..	قتادة	٥١١
الفلك طاحونة مستديرة كهيئة فلكة المغزل	ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد	٦٧٣
الفلك كهيئة حديدة الرحى	مجاهد وابن جريج	٦٧٣
فلما بلغ سليمان أنها جائية ، وكان ...	قتادة	١٠١٥
فلما قال لهم صالح ذلك ، قال : التسعة الذين ..	محمد بن إسحاق	١٠٣٠
في الغرف من الجنة ، وكان حسابهم ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٩٩
قالوا : فيه هجيراً غير الحق ..	إبراهيم النخعى	٩٠٥
قد علمت أن التقى ذو نهية ..	أبو وائل	٥٤٩
قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك ..	قتادة	٣٤٥
قرأ : (معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه ...	ابن عباس رضى الله عنهما	١٣٨
قهرمان	سعيد بن جبير	٨٧٢
قوله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴾ قال : لا أظن إلا أن الخوارج منهم	علي ﷺ	٥٢٧
قوله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴾ هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السواري	علي ﷺ	٥٢٧
قوله : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ : وهو الكذب	قتادة وابن جريج	٩٣٦
قوله : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور ...	أبو العالية وجماعة من السلف	٥٧٤
قوله : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من أمر الآخرة ...	ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وجماعة من السلف	٥٧٥
قوله : ﴿ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ : أي بطاعة الله .	قتادة ومقاتل	٩٢٤
قوله : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ معناه : قبل أن يحتاج إلى التغميض ..	مجاهد	١٠٢٥

طرف الأثر	القائل	الصفحة
	الضحاك	٩٤٠
قوله : ﴿ ٱلزُّورَ ﴾ : يعني الشرك		
قوله : ﴿ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَه ﴾ يعني اليد للبطش ..	الضحاك	٦٢٠
قوله : ﴿ ٱلۡخَبِيثَ ﴾ السرّ	عكرمة وقتادة	١٠٠٤
قوله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ معناه : ويرى تصرفك في الناس	الحسن	٩٧٥
قوله : ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ ﴾ قال : بالقرآن	ابن عباس رضى الله عنهما	٩٢١
قوله : ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ تحالفوا على هلاكه ...	مجاهد	١٠٢٩
كاد الجُعَل أن يعذب في جحره ..	عبد الله بن مسعود ﷺ	٣٤٣
كان أبو أمامة ﷺ إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ..	عن محمد بن زياد الألهاني وشرحبيل بن مسلم	٥٦٥
كان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة في صلاته ...	من غير نسبة	٤٥٧
كان آصف كاتب سليمان بن داود عليه السلام ...	ابن عباس رضى الله عنهما	١٠١٩
كان النبي ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات ..	كعب	٤٢٣
كان روح عيسى بن مريم من تلك الأرواح ..	أبي بن كعب ﷺ	٥٤٦
كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٧٩
كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا	أبو صالح	١٠٨٧
كانت صاحبة سبأ إذا رقدت غلقت الأبواب ...	قتادة	١٠١١
كل الأشياء تسبح لله حياً كان أو ميتاً أو جماداً ..	مجاهد	٤١٩
كل القرآن أعلمه إلا أربعاً : غسلين ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٧١
كل شيء فيه الروح	الضحاك والحسن	٤١٦
الكنز مال مدفون من ذهب وفضة	عكرمة وقتادة	٥١٣
لا أدري ما الرقيم ؛ أكتاب أم بنيان	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٧١
لا تجعلها كلها جهراً	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٥٨
لا تحديد بمدة بل ولو طال ما بين اليمين والثّنيا	ابن عباس رضى الله عنهما	٤٨٠
لا تمش فخراً وكبراً ، فإن ذلك ..	قتادة	٤١٢
لا يحضرون الغناء واللهو	محمد بن الحنفية	٩٤٠
لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم ..	قتادة	٩٤٠
لا يكافئون الشر بالشر ، ولكن يدفعونه بالخير	ابن زيد	١٦١
لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ...	عبد الله بن مسعود ﷺ	٩٠١
لأقحط المطر ؛ فلم تبق دابة ..	السدي	٣٤٥
لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحاً بدأ ..	ابن زيد	٨٧٧
لم يسم أحد يحيى قبله	ابن عباس رضى الله عنهما	٥٣٧
لما أنزلت : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ... ﴾ ..	أبو سعيد الخدري ﷺ	٤٠٦
لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة ..	ابن عباس رضى الله عنهما	265
لو كان السَّري المراد به النهر لكان يكون ..	ابن زيد	٥٥٦

طرف الأثر	القائل	الصفحة
ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك	مجاهد	٩٣١
ما صنع الناس ؟ – وهي صادرة من الحج من مكة – ...	حفصة رضي الله عنها	٣٨٣
ما كان ذهباً ولا فضة ؛ ولكن كان صحف علم	ابن عباس رضي الله عنهما	٥١٤
ما كان في القُرآن من (ثُمُر) – بالضمِّ – فهو مال..	مجاهد	٤٩٤
ما من عام أمطر من عام ، ولكن الله يصرفه ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٢٧٦
ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يقسمه ..	عبد الله بن مسعود ﷺ	٢٧٦
ما من عبد إلا له ملك موكَّل	مجاهد	١٣٨
ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحم ، ويشفع	ابن عباس رضى الله عنهما	٢٥٦
المسَاجدُ بُيُوتُ اللَّهِ في الأَرْض ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٦٣
المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٢٨٠
المستقدمين آدم عليه السلام ومن مضى من ذريته ...	ابن عباس رضي الله عنهما عكرمة	٢٨٠
المستقدمين أول الخلق ..	الشعبي	٢٨١
المستقدمين في الطاعة والبدار إلى الإيمان والخيرات ..	قتادة	٢٨٠
المستقدمين من بني آدم من مات منكم ..	مقاتل	٢٨١
المستقدمين من قتل في الجهاد ..	محمد بن كعب القرظى	٢٨١
المستقدمين من مضى من الأمم ..	مجاهد	٢٨٠
المستهزئون : الوليد بن المغيرة والأسود بن ...	ابن عباس رضى الله عنهما	٣١٣
معنى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ على هذا القول الانصراف أو ...	مقاتل	١٠١٠
مفاتحه أوعيته	الضحاك	١٠٨٧
مكانا مستويا يتبين الناس سواء فيه ...	ابن زيد	٦٢٤
مكتوب في الإنجيل : ابن آدم اذكرني ..	وهب بن منبه	٤٨٣
ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه	ابن عباس رضي الله عنهما	١٣٨
من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٣٥٧
موت علمائها وفقهائها	ابن عباس رضى الله عنهما	١٩٠
موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ..	مجاهد	٥١١
نزلت بمكة ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	عطاء	٤٤٦
نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ	قتادة	١٥١
نزلت في عثمان بن عفان ﷺ هو الذي يأمر بالعدل ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٣٧٢
نزلت هذه الآية في أهل نجران حين قالوا ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٣٦٢
هذا الذي فضل في المال والولد لا يشرك ..	قتادة	٣٦٠
هذا في الصلاة ..	الضحاك والسدي	٤٨٣
هذا مثل الآلهة الباطلة	مجاهد	٣٦١

طرف الأثر	القائل	الصفحة
هم الخوارج ..	سعد بن أبي وقاص ﷺ	١٦٥
هم كفار قريش ودّوا ذلك في يوم بدر	ابن مسعود	٢٥٥
هو أعياد المشركين	ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة	٩٤٠
هو الشعانين	محمد بن سيرين	٩٤٠
هى الأكنة على قلوبهم	قتادة وابن زيد	٤٢٤
هي المجالس السوء والخنا	عمرو بن قيس	٩٤١
الواصب الدائم	ابن عباس رضي الله عنهما	٣٣٩ ٣٤٠
وإضافتها إلى الساعة على هذا لكونها من إمارتها	علقمة والشعبي	٧١٩
والمعقبات من الله هي الملائكة	ابن عباس رضى الله عنهما	١٣٨
وإنّ من شيء جماد وحيّ إلا يسبح بحمده ..	إبراهيم النخعى	٤١٩
وعده ربه ليترعنَّ ملك فارس وعز فارس ..	الحسن البصري	٤٣٥
وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع ...	ابن زيد	١٠١١
وكذلك النضر يستعجل بالدعاء على نفسه ..	مقاتل	٣٩٧
وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته ..	ابن عباس رضى الله عنهما	٨٧٢
يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام ؟..	عبد الله بن مسعود ﷺ	٥٦٤
يا كعب خوفنا ..	أبي بن كعب ﷺ	٣٧٥
يا محمد والناس أجمعون	ابن جريج	٤٤٦
يدعو على ماله فيلعن ماله وولده ..	قتادة	٣٩٦
يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم ..	أبو هريرة ﷺ	٧٧٧
يعني : شهادة الزُّور	على بن أبي طلحة	٩٤٤
يعني : كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً	ابن عباس رضى الله عنهما	٥١١

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
	(أ)	
١	إبراهيم بن ميسرة الطائفي	٩٣٩
٢	إبراهيم بن يزيد النخعي	٢٥٦
٣	ابن أثال الحنفي : ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي ، أبو أمامة	٨٠٢
٤	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني	١٩٩
٥	ابن الأثير : مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني ، أبو السعادات الجزري	٢٨٦
٦	إربد بن قيس بن جزء بن خالد الأصبغ	١٤٩
٧	ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم	٨٧٥
٨	إسماعيل بن محمد أمين البغدادي	٢٥
٩	ابن الأعرابي : محمد بن زياد الأعرابي	١٥٨
١٠	امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي	٦٦٦
١١	أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفى	٣٤٠
١٢	الأنباري : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أبو البركات	٢٧٣
١٣	ابن الأنباري : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر	١٤٣
	(ب ، ت ، ث)	
١٤	ابن البارزي : هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهني ، أبو القاسم الشافعى	٨٠٨
١٥	بُسْر بن جَحَّاش (أو جحاش) القرشى	٣٢٥
١٦	ابن بطال : علي بن خلف بن عبد الملك ، أبو الحسن (ابن اللجام)	٣١٤
١٧	ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم الحراني	٥
	(ج ، ح ، خ)	
١ ٨	جعفر بن محمد الباقر بن علي الهاشمي ، أبو عبد الله ، المعروف بجعفر الصادق	٥١٩

م	اسم العلم	الصفحة
١٩	ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز الأموي مولاهم	١٣٩
٢٠	جرير بن عطية التميمى الشاعر	٩٤٧
٢١	ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد العمري ، أبو الخير الدمشقى	٣٩
٢٢	ابن جني : عثمان بن جني الموصلى ، أبو الفتح	٦٠٣
٢٣	ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، أبو الفرج البكري	١٢٣
٢٤	ابن حجر : أحمد بن على ، أبو الفضل	٢٥
٢٥	ابن حزم : على بن أحمد الأندلسى ، أبو محمد الظاهري	٤٠
٢٦	الحسن بن أبي الحسن البصري	١١٤
٢٧	الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، أبو على	٩٠٩
٢٨	الحسين بن الفضل بن عمير البجلى	٨٤٧
٢٩	حَفْصُ بن أبي جَبَلَة الفَزَاريّ	٧٨٥
٣٠	حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء ، أبو عمر	٥٩
٣١	حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الزيات مولاهم ، أبو عمارة الكوفي	١٠٣٠
٣٢	ابن خالويه : الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله	٧٨٤
٣٣	الخليل بن أحمد الفراهيدي	٣٦٦
	(د ، ذ ، ر ، ز)	
٣٤	ذو الرمَّة ، غيلان بن عقبة العدوي ، أبو الحارث	١٥٧
٣٥	رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، أبو الجحاف ، أو أبو محمد	٣٠٨
٣٦	الرَّبيع بن أنس بن زياد البكري	٢٣٢
٣٧	رفاعة القرظي : رِفَاعَةُ بن سِمْوَال . وقيل : رفاعة بن رفاعة القرظى	١٠٧٩
٣٨	ابن الزِّبعْري ﷺ : عبد الله بن الزِّبعْري بن قيس السهمي القرشىَ ، أبو سعد	٩٨٢
٣٩	زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي ، أبو يحيى	٤٣٢
٤٠	زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني	٩٦٢
٤١	زهير بن محمد التميمى المروزي الخَرَقى ، أبو المنذر	١٠١٥

م	اسم العلم	الصفحة
	(س ، ش)	
٤٢	ابن السَّرَّاج : محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر	٩٥١
٤٣	سعيد بن جبير الأسدي	
٤٤	سعيد بن أبي الحسن بن يسار البصري	٧٠٠
٤٥	سفيان بن سعيد بن مسروق الثّوري	٢٢٥
٤٦	سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي	٥٦٢
٤٧	ابن السِّكّيت : يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف النحوي	١٩٧
٤٨	سيِّد قطب بن إبراهيم	١٨٢
٤٩	ابن سيده : على بن إسماعيل المرسى ، أبو الحسن الأعمى	٣٣٠
	(ص ، ض ، ط ، ظ)	
٥٠	الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٢٢
٥١	طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني	٣٠١
٥٢	طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، أبو عمرو	٨٢٠
٥٣	طليحة بن خويلد الأسدي	١٠٥١
	(ع ، غ)	
٥٤	ابن عادل الحنبلي : سراج الدين عمر بن علي الدمشقي ، أبو حفص	١٢٧
٥٥	ابن عاشور : محمد الطاهر التونسى	١٢٩
٥٦	عاصم بن أبي النجود الكوفي	٥٨
٥٧	عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري	١٤٩
٥٨	ابن عامر : عبد الله بن عامر اليحصبي	٩٦٥
٥٩	ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله النمري	٨٥
٦٠	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ابن زيد)	١٦١
٦١	عبيد بن عمير المكى ، أبو عاصم الليثى	٧١٩
٦٢	العجاج : عبد الله بن رؤبة	٤٦٩
٦٣	ابن العربي : محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري ، أبو بكر الأشبيلى	٨٦
٦٤	عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو عبد الله المدني	٦٩٥
٦٥	عطاء بن أبي رباح القرشى مولاهم المكى	١٨٩
٦٦	عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، أبو عثمان	١٠١٥

م	اسم العلم	الصفحة
٦٧	ابن عطية : عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي ، أبو محمد الأشبيلى	٥٤
٦٨	عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي	٢٣٢
٦٩	عكرمة بن عبد الله ، مولى ابن عباس رضى الله عنهما	١٣٩
٧٠	علقمة الفحل : علقمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس	٩٣٠
٧١	علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي ، أبو شبل الكوفي	٥٦٤
٧٢	على بن الحسين بن على بن أبي طالب الهاشمى	٤٠٦
٧٣	علي بن أبي طلحة : سالم بن المخارق ، الهاشمي مولاهم ، أبو الحسن	٩٣٧
٧٤	عمرو بن شرحبيل ، أبو ميسرة الهمداني	٧٨٦
٧٥	عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى القرشى	٨١٣
٧٦	عمرو بن قيس الـمُلاَئى الكوفي	٩٤١
٧٧	عياض بن موسى اليحصبي المعروف بالقاضى عياض	٦٩٤
٧٨	عيسى بن عمر الثقفى بالولاء ، أبو سليمان	٩٤٧
	(ف ، ق)	
٧٩	ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا	٦٩
٨٠	ابن فرحون : عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكى ، أبو محمد	٣٦
٨١	ابن الفرس : عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي أبو عبد الله	٩٠٨
٨٢	الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب	٧٠٥
٨٣	قتادة بن دعامة السدوسى	١٠٦
٨٤	ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينوري	١٥٥
٨٥	ابن القيِّم (ابن قيِّم الجوزية) : محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله	١٩٨
	(ك ، ل)	
٨٦	ابن كثير : إسماعيل بن كثير القرشى	١٠٧
٨٧	ابن كثير : عبد الله بن كثير المكى	٥٥٩
٨٨	لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي	١٤٩
٨٩	ابن لهيعة : عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان	١٠٢٠

م	اسم العلم	الصفحة
	الحضرمي المصري ، أبو عبد الرحمن	
	(م)	
٩٠	مالك بن أنس الأصبحي	٣٥
٩١	ابن مالك : جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الأندلسي النحوي الجياني	٢٧٢
٩٢	مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم	٦٥
٩٣	محمَّد بن الحنفيَّة : محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم	٩٤١
٩٤	محمد سيِّد طنطاوي	٢١٨
٩٥	محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء ، أبو بكر	٩٤٠
٩٦	محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني	٥١٩
٩٧	محمد بن كعب القرظي ، أبو حمزة المدني	٢٨١
٩٨	محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري	٣٧٨
٩٩	مسروق بن الأجدع الوادعي	٢٣٧
١٠٠	مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيرى النيسابوري ، أبو الحسين	١٩٩
١٠١	مسلم بن يسار	٨٧
١٠٢	مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي	١٦٦
١٠٣	ابن معْصُوم : علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد	٩٢٥
١٠٤	مقاتل بن حيان النبطي	٣٨٦
١٠٥	مقاتل بن سليمان البلخي	١١٢
١٠٦	مكي بن أبي طالب القيسي	٦٥
١٠٧	ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الأفريقي ، أبو الفضل	٢٨٦
١٠٨	ابن المُنَيِّر: أحمد بن محمد بن منصور (ابن المُنَيِّر السَّكَنْدَري)	٩٨٧
١٠٩	المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم	١٠٢٣
١١٠	ميمون بن مهران الرقي	٢٤٥
	(ن ، هـ)	
١١١	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم ، أبو	٢٩

م	اسم العلم	الصفحة
	رويم المدني	
١١٢	النضر بن الحارث	١٠٩
١١٣	ابن الهائم المصري : أحمد بن محمد بن عماد بن علي القرافي ، أبو العباس	٩١٤
١١٤	ابن هشام : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، أبو محمد	٦٢٧
	(و ، ى)	
١١٥	ورش : عثمان بن سعيد بن عدي المصري	٢٩
١١٦	وهب بن منبه اليماني الصنعاني	١٥٣
١١٧	يزيد بن أبان الرقاشي	٤١٧
	(الألقاب)	
١١٨	الأخطل : غياث بن غوث التغلبي	٣٤٨
١١٩	الأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة	٢١٣
١٢٠	الأخفش الصغير : علي بن سليمان بن الفضل ، أبو المحاسن النحوي	٦٠٨
١٢١	الأزهري : محمد بن أحمد بن الأزهر ، أبو منصور	١٩٣
١٢٢	الأصم : حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن	٢٣٣
١٢٣	الأعشى : ميمون بن قيس الوائلى	١٥٧
١٢٤	الأعلم : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي أبو الحجاج الإشبيلي المعروف بالأعلم	٦٨٧
١٢٥	الآلوسى : محمود بن عبد الله الحسيني ، أبو الفضل	١٢٦
١٢٦	الأوزاعى : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو	٥٦٥
١٢٧	البخاري : محمد بن إسماعيل الجعفى	١٦٦
١٢٨	البغوي : الحسين بن مسعود الفرّاء	٢٧١
١٢٩	البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر ، أبو الحسن الخرباوي البقاعى	١٢٦
١٣٠	البيضاوي : عبد الله بن عمر الشيرازي ، أبو سعيد	٢٣٦
١٣١	التنبكتي : أحمد بابا بن أحمد بن أحمد التكروري ، أبو العباس	٢٦
١٣٢	الثّعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، أبو زيد المالكى	١٨٩

م	اسم العلم	الصفحة
١٣٣	ثعلب النحوي : أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم ، أبو العباس	٢١٥
١٣٤	الثَّعلبي : أحمد بن محمد النيسابوري	٢٧١
١٣٥	الجصَّاص : أحمد بن على الرازي ، أبو بكر الحنفى	٤٨٣
١٣٦	الجمل : سليمان بن عمر بن منصور العجيلى الأزهري	٥١
١٣٧	الحاكم : محمد بن عبد الله بن حمدويه الطهماني ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري	٩١
١٣٨	الخازن : على بن محمد الصوفي	٥٠٣
١٣٩	الخطيب الشِّربيني : محمد بن أحمد الشِّربيني	٢٥٦
١٤٠	الرَّاغب : الحسين بن محمد بن المفضَّل ، أبو القاسم	١٨٨
١٤١	الزَّجاج : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق السقطى	١٠٧
١٤٢	الزَّركشي : محمد بن عبد الله بن بهادر ، أبو عبد الله المصري	٨٧
١٤٣	الزَّمخشَري : محمود بن عمر الجار الله	٥٤
١٤٤	السُّبكي : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر	٢٦
١٤٥	السجستاني : محمد بن عزيز ، أبو بكر ، المعروف بالعزيزي	٩١٤
١٤٦	السُّدي : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، أبو محمد الكوفي	١٥٤
١٤٧	السعدي : عبد الرحمن بن ناصر	٣٠٠
١٤٨	سلطان العلماء : العز عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقى	٧٥
١٤٩	السمرقندي : نصر بن محمد بن أحمد ، أبو الليث ، الملقب بإمام الهدى	٤١٤
١٥٠	السمعاني : منصور بن محمد التميمى المروزي ، أبو المظفر	٢٧
١٥١	السمين الحلبى : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم	١٥٦
١٥٢	السهيلى : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى	٦٥
١٥٣	سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر	٢٧٢
١٥٤	السيوطى : عبد الرحمن بن أبي بكر ، أبو الفضل	٢٥
١٥٥	الشافعى : محمد بن إدريس المطلبي القرشى	٩٦

م	اسم العلم	الصفحة
١٥٦	الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني	٨٤
١٥٧	الشهاب الخفاجي : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري	٥٠٣
١٥٨	الشوكاني : محمد بن علي بن محمد	٤٥٢
١٥٩	الطبري : محمد بن جرير بن يزيد الآملي ، أبو جعفر	٥٤
١٦٠	الطحاوي : أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي ، أبو جعفر	٤٩٠
١٦١	العكبري : عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء	١٤٤
١٦٢	الفخر الرَّازي : محمد بن عمر التميمى	٦٦
١٦٣	الفرّاء : يحيى بن زياد الديلمى	١٢٠
١٦٤	الفرزدق : همّام بن غالب التميمى	١٩٠
١٦٥	الفَسَوي : يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي أبو يوسف	٥٤٥
١٦٦	القاسمى : محمد جمال الدين الحلاق	٢١١
١٦٧	القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري	٥٤
١٦٨	قُطْرُب : محمد بن المستنير ، أبو على	٣٥٤
١٦٩	القفال الكبير : محمد بن على الشاشى الشافعى ، أبو بكر	١٠٥٨
١٧٠	الكرمي : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد المقدسي الحنبلى	٨٠٨
١٧١	الكسائى : على بن حمزة بن فيروز	٣٠٩
١٧٢	الكلبي : محمد بن السائب بن بشر ، أبو النضر الكوفي	٦٢٤
١٧٣	الماوردي : على بن محمد القاضى	٧٥
١٧٤	المبرد : محمد بن يزيد الثمالي ، أبو العباس الأزدي	٣٩٢
١٧٥	المتولي : عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري ، أبو سعد ، المعروف بالمتولي	٥٦٨
١٧٦	المُتَنَبي : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب	٨٨٣
١٧٧	المحاسبي : الحارث بن أسد ، أبو عبد الله البغدادي	٩٥٦
١٧٨	المحلى : جلال الدين محمد بن أحمد المصري	١٥٠
١٧٩	المقري : أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى ، أبو العباس التلمساني	٢٥
١٨٠	المقري : هبة الله بن سلامة المقري ، أبو القاسم الضرير	٨٠٧
١٨١	المُناوي : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على	٥٦٧

م	اسم العلم	الصفحة
	الحدادي القاهري ، زين العابدين	
١٨٢	المهدوي : أحمد بن عمار المهدوي ، أبو العباس	٦٩٥
١٨٣	النابغة الذبياني : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة	١٩٧
١٨٤	النحاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر	١١٤
١٨٥	النسفى : عبد الله بن أحمد بن محمود ، أبو البركات	١٢٧
١٨٦	النقاش : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر	٦٥
١٨٧	النَّمر بن تَوْلَب بن زهير بن أقيش العكلى	١٠٦٣
١٨٨	النيسابوري : الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري نظام الدين	١٢٧
١٨٩	النووي : محيي الدين يحيى بن شرف الحازمى الشافعى	٥٦٧
١٩٠	الواحدي : على بن أحمد ، أبو الحسن	١٢٦
١٩١	الوادي آشى : محمد بن جابر ، أبو عبد الله	٢٥
	(الكنى)	
١٩٢	أبو أمامة الباهلي : صدي بن عجلان	٥٦٥
١٩٣	أبو الحجَّاج المزِّي : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، جمال الدين ابن الزكى أبي محمد القضاعى الكلبي المزي	٧٠٨
١٩٤	أبو حنيفة : النعمان بن ثابت التيمي مولاهم	٩٠٩
١٩٥	أبو حيّان : محمد بن يوسف الغرناطى الأندلسى	١٣٢
١٩٦	أبو خراش : خويلد بن مرة	٩٢٤
١٩٧	أبو داود : سليمان بن الأشعث	٧٠٨
١٩٨	ابن أبي ذئب : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، أبو الحارث	٣١٥
١٩٩	أبو رزين : مسعود بن مالك الأسدي مولاهم الكوفي	١٠٨٧
٢٠٠	ابن أبي زمنين : محمد بن عبد الله المُرّي	١٧٨
٢٠١	أبو زيد الأنصاري : سعيد بن أوس الخزرجى الأنصاري	٩٥٠
٢٠٢	أبو السُّعود : محمد بن محمد العمادي	٢٥٣
٢٠٣	أبو سعيد بن المعلّى : الحارث بن نفيع المعلى	٢٩٨
٢٠٤	أبو سليمان الدمشقي : عبد الرحمن بن أحمد العنسي الدارانى	٦١٦

م	اسم العلم	الصفحة
٢٠٥	أبو صالح : باذام ، وقيل : باذان ، مولى أم هانئ	٦٠٥
٢٠٦	أبو الضحى : مسلم بن صبيح الضراب المصري	٣٦٥
٢٠٧	أبو العالية : رفيع بن مهران الرياحي	١٦٦
٢٠٨	أبو عبيد : القاسم بن سلام البغدادي	٣٠١
٢٠٩	أبو عبيدة : معمر بن المثنى البصري	١٥٤
٢١٠	أبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسَوي	٤٩٥
٢١١	أبو عمرو البصري : زبّان بن العلاء المازني	٤٩٣
٢١٢	أبو مسلم الأصفهاني : محمد بن بحر الأصفهاني	٥٤٥
٢١٣	أبو وائل : شقيق بن سلمة الأسدي	٥٥٠
٢١٤	أبو اليسر : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الأنصاري السلمي	٨١٣

فهرس الغريب والمصطلحات العلمية

الكلمة	الصفحة
الائتمار	١٠٦٢- ١٠٦٤
الأبكم	٣٧٠
الأجْر	٩٢٣
أرذل	٣٥٤
الاستئناس	٨٣١
إشعار	٧٧
أغفلنا قلبه	٤٨٦
الإغواء والغي	٢٨٦
الإمام	٢٩٠
برز	٢١٧
التبديل	٢٤٦
التتميم	٩٣٣ ، ٩٣٤
الترجيح	٦٩ ، ٧٠
تزَّاور	٤٧٢
التسبيح	٤١٤
تصريف السيول والخيول	٩٢٠
التَّصريف في الرِّياح	٩٣٤
تضلَّع	٣٠

التَّضمين	٩٢٠
تقرضهم	٤٧٢
التقلُّب	٩٧٤
التوكل	٢٠٩
الثُّمر	٤٩٦
الثُّنيا	٤٨٠
ثَمَر	٤٩٣ ، ٤٩٤
الثناء الحسن	٣٨٥
الجُعل	٣٤٣
الـــجهر	٤٥٦
الحرج	٨٧١
الحفد	٣٦٤
الخبء	١٠٠٢
الخرق	٤٠٩ – ٤١١
الخزائن	٢٧٥
الخصيم	٣٢٣
الخضوع	٩٤٥
الخفت	٤٥٦
الخنا	٩٤١
الخوان	٤١٧
الـــدابة	٣٤٣
دلالة فحوى الخطاب	٨٤٤
دلوك الشمس	٧٨ ، ٤٣٢
الذود	١٠٦٦

الرِءْيا	٥٨١
الرَّجاء	٨٩٥
الرَّجم	٤٧٨
الرَّقيم	٤٦٩
الرَّهط	١٠٢٩
الريَّا	٥٨٢
الزُّور	٩٣٧
الزلزلة	٧١٨
زوج	١٢٠
السَّارب بالنهار	١٣١
سريًّا	٥٥٣ – ٥٥٧
السِّجل	٧٠٥
السُّري	٣٩١
السَّكر	٣٤٧
الـــسَّميّ	٥٣٦
سلى الجزور	٣١٥
السِّياق	٨
تصريف الآيات	٩٢٠
الصواعق	١٤٨
الطَّاق	٥٠٦
طرف الشيء	١٨٨
الطَّرف	١٠٢٦

الطُّومار	٧٠٤
الطيّ	٧٠٩
الظَّهير	١٠٥٦
الظلم	٢٤٣
العُصبة	٨١٩ ، ١٠٨٤
عضين	٣٠٨ – ٣١٢
العلهز	٨٠١
العهد	٥٨٧
العوج	٤٦١
الغاوون	٩٨٠
غض البصر	٨٣٧
غضارة عيش	٥٨٣
الفؤاد	١٠٤٨
فاره	٩٦٦– ٩٦٨
فألْقِهْ	١٠٠٩
القارعة	174 ، ٣٨١
القاعدة	٧
القُحّ	٢٧
القراءات المتواترة	٨
قواعد الترجيح	٨
القيلولة	٨٩٨
القيِّم	٤٦٥
الكفر	٢٠١
كفرت	٢٢٨

الكَلّ	٣٧٠
الكتر	٥١٤
لا يشهدون الزُّور	٩٣٨
اللِّقاء	٨٩٢
اللَّهو	٦٦٥
المثاني	٣٠٦
المِحال	١٥٥ ، ١٥٧
المستخفي بالليل	١٣١
المشكاة	٨٥١
مضْطَلِعٌ	٣٦
المعقِّبات	١٣٦
المفاتح	٨٧١ ، ١٠٨٥ ١٠٨٨
المقنأة	٤٧٢
الميزان	٢٦٨
النسيان	٤٨٤
النَّظم	٨
النَّحت	٩٦٥
النَّسخ	٧٢
النَّشب	٣٨
النُّـــور	٨٥٠
النهب	٤٠
النُوب	٨٩٤
الهَجْر ، الهُجْر	٩٠٥

الوئيد	٣٢٦
واصباً	٣٣٨
الوجوه والنظائر	٣٢٠
الوحي	١٠٤٣
وراء	٢١٢ – ٢١٥
يدرؤون	١٦٠
يموج	٥٢١
يوم	١٩٥

فهرس الأماكن والبلدان

المكان أو البلد	الصفحة
أُسوان	٩٦٠
جيان	٢٨
الحجْر	٩٦٨
حروراء	١٦٥
حَضُور	٦٦٣
الدار البيضاء	٦٠
رَشيد	٩٦٠
ســـبأ	١٠٠٧
طريف	٤٧
غرناطة	٢٨
فدك	٥٦٤
مراكش	٦٠
مكناس	٦٠
نِيْنَوَى	٦٩٢
ولبه	٢٨

فهرس الشواهد الشعرية

البيت	القائل	الصفحة
حرف الألف		
ما الفخرُ إلاّ لأهلِ العلمِ إنّهمُ على الهدى لمن استهدى أدلاّءُ وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يحسنُه والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ ففزْ بعلمٍ تعشْ حياً به أبداً الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ	علي بن أبي طالب ﷺ	١
أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ	حسَّان ﷺ	١٠٥٠
حرف الباء		
أنا الشمس في جو العلوم منيرةٌ ولكن عيبي أن مطلعي الغرب ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكري النهب	ابن حزم الظاهري	٤٠
أَرومُ امتداحَ المصطَفى فيردُّني قُصوري عن إدْراكِ تِلكُ المناقبِ وَمَنْ لي بحَصْرِ البَحْرِ والبَحرُ زَاخِرٌ ومن لي بإحصاء الحصَى والكواكبِ وَلَوْ أنَّ كُلَّ العَالمِينَ تَألَّفُوا على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجبِ فَأمْسَكْتُ عنْه هَيبةً وَتأَدُّباً وخَوْفاً وإعظاماً لأرفع جانبِ ورُبَّ سُكُوتٍ كان فيه بلاغةٌ ورُبَّ كَلامٍ فيه عَتْبٌ لعاتبِ	ابن جُزيّ	٤٧
أيا من كففت النفس عنه تعففا وفي النفس من شوقي إليه لهيب ألا إنما صبري كصبر وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب	ابن جُزيّ	٤٨
كليني لهمٍ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكب	النابغة الذبياني	١٩٧
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب	النابغة الذبياني	٢١٢
لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَليلَ بَقاؤُهُ يَوْماً بِذمِّ الدَّهْرِ أجْمعَ وَاصِبَا	أبو الأسود الدؤلي	٣٤٠
من يُساجلْني يساجلْ ماجداً يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْد الكَرَبْ	الفضل بن العباس بن عتبة	٧٠٥
فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا	جرير بن عطية	٨٣٧
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي كَلاَمٌ عَنْدَهَا وَخِطَابُ	المتنبِّي	٨٨٣

البيت		القائل	الصفحة
أترجو أمَّة قتلت حسينا	شفاعة جَدِّه يوم الحســاب	لا يدرى من قائله	٨٩٥
ولا عَيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سُيُوفَهُمْ	بِهنّ فلولٌ منْ قراع الكتائب	النابغة الذبياني	٩٢٧
فإنْ تَسْأَلُوني بِالنِّسَاءِ فَإِنَّني	خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيــبُ	علقمة بن عَبَدة	٩٣٠
حــرف الــتــاء			
وَلَيْسَ عِنْدِي لازما إذْ قَــدْ أَتَى	فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا	ابن مالك	٢٧٢
ولَيْلَةٍ ذَاتِ ندى سَرَيْتُ	ولَمْ يَلتْنِي عَنْ سُرَاها لَيْتُ	رؤبة بن العجاج	٣٩١
قليل الألايا حافظ ليمينه	وإن بدرت منه الألية برت	لم أهتد لقائله	٨٢٥
أبلغ أمير المؤمنين أخا أن العراق وأهــلــه	الــعراق إذا أتــيــتا عنق إليك فهيت هيتا	أبو عمرو بن العلاء	٩٥٠ ، ٩٥١
حــرف الــدال			
مَهْلاً فداءً لك الأقوامُ كلُّهمُ	وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِنْ وَلَدِ	النابغة الذبياني	٤٩٤
سرتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ	تجُبي الشَّمالُ عليهِ جامِدَ البَرَدِ	النابغة الذبياني	٤٩١
وليسَ بها إلا الرَّقيمُ مُجاوِراً	وصِيدَهُمُ ، والقومُ بالكهفِ هُمَّدُ	أمية بن أبي الصلت	٤٦٩
فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ	وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لا تَقْعُدِ	نسبه الأكثرون إلى امرئ القيس ووقفت عليه في ديوان عمرو بن معدي يكرب	٦٠٤
تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمُتْ فَقلْ للذِي يبغِي خلافَ الذِي مَضَى	فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحــدِ تهيــأ لأخرى مثلِــها فكأن قدِ	الإمام الشافعي	٦٧٩
وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً	عَلَى الْحُرِّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ	طرفة بن العبد	٨٢٠
تَأَلَّى ابنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرُدَّنِي	إلى نسْوةٍ كأنَّهنَّ مَفائِدُ	أوس بن حارثة	٨٢٥
كأنّ رَحْلِيْ وقد زال النهارُ بنا	يومَ الجليلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ	النابغة الذبياني	٨٣١
لا تَرْتَجِي حِينَ تُلاقِي الذَّائِدَا	أَسْبَعَةً لاقَتْ معاً أَو واحِدَا	الليث	٨٩٤
جَزَى اللّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ	لا يعرف من قائله	٩٠٠
أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِها	كَعْبُ بنُ مامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادِ	الأسود بن يَعْفُر	٩٠٣

البيت	القائل	الصفحة
حـــرف الـــراء		
قَصْدي المؤمل في جَهْري وإسْرَاري ومَطْلَبي من إلهَي الواحدُ البَاري شهـــادةٌ في سَبيل الله خَالصـــةٌ تَمْحُو ذُنُوبي وتُنْجِيني مِنَ النَّارِ إنَّ المعَاصِـــي رجْسٌ لا يطهِّرُها إلا الصَّوَارِم في أيْمَان كفـَّارِ	ابن جُزيّ	٤٩
قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد وأدخلوا فيه آيا ليست تنحصر فهـــاك تحرير آي لا مزيـــد لـــها عشرين حررها الحـــذاق والكبر	جلال الدين السيوطي	٦٤
فلو أنّ نفسي طاوعتني لأَصْبَحَتْ لها حَفَدٌ مما يُعَـــدُّ كثيـــرُ ولَكنَّهَـــا نَفـْـسٌ عليَّ أبيَّـــةٌ عَيُوفٌ لأصْهَار اللِّئام قَذُورُ	لم أقف على قائله	٣٦٥
بِئْسَ الصُّحَاةُ وبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُم إذَا جَرَى فِيهِمُ المُزَّاءُ والسَّكَرُ	الأخطل	٣٤٨
وَإنَّ أبَانَا كَانَ حَلَّ ببَلْدَةٍ سِوَى بَيْنَ قَيْس قَيْس عَيْلاَنَ والفِزَرْ	أنشده أبو عبيدة	٦٢٤
ولا عائداً ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تُقدِّر يقع ولك الشكر	أبو صخر الهمداني	٧٠٠
تَمَنَّى كِتَابَ الله أَوَّلَ لَيْلِهِ وآخِرَهُ لاَقَى حِمَامَ المَقَادِرِ	حسَّان ﷺ	751
فالسابق انصبه بفعل أضمرا حتماً موافقٍ لما قد أظهرا	ابن مالك	٦٩٠
كأنَّ عيْنَيه مشْكَاتَان في جَحَرِ قيضَا اقْتيَاضاً بأطْرَاف المَناقير	لم أهتد لقائله	٨٥٢
كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنْ النَّـظَرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ كَمْ نَظْرَةً فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتْكَ السِّهَامِ بلا قَوْسٍ وَلا وَتَـرِ وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا عَيْـنٍ يُقَلِّبُـهَا فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ يَسُرُّ نَاظِرَهُ مَا ضَـرَّ خَاطِـرَهُ لا مَرْحَبًا بسُرُور عَـادَ بالضَّرَرِ	لم أهتد لقائله	٨٣٦
وَكُنْتَ إذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً لِقَلْبكَ يوماً أَتْعَبَتْكَ المَناظِـرُ رَأيتَ الَّذِي لا كلّه أَنْتَ قَادِر عَلَيْه ولاَ عن بعضهِ أَنْتَ صَابِرُ	لم أهتد لقائله	١٠٢٥
أحَارُ بنَ عَمْرٍو كأَنِّي خَمِرْ ويَغْدو عَلَى الْمَرْءِ مَا يأتَـــمرْ	اختلف في قائله	١٠٦٢
أَرَى الناسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤتَمرُ	النمر بن تولب	١٠٦٣ ١٠٦٤
حـــرف الـــسين		
سَرِيعٍ إلى الهَيْجَاءِ شَاكٍ سلاحُهُ فَما إنْ يَكادُ قِرْنُه يَتَنَفَّسُ	زيد الخيل	٦٠٩

حـــرف الـضـاد

البيت	القائل	الصفحة
كادَتْ وكِدْتُ وتلك خيرُ إرادةٍ لو عادَ من لَهْوِ الصَبابَةِ ما مَضى	الأخفش	٦٠٧
حـــرف الـعـيـن		
أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع	لبيد بن ربيعة	٢١٤
واسْأَلْ بنا وبكُم إذا وَرَدَتْ مِنىً أَطْرافُ كُلِّ قبيلَةِ مَنْ يَمْنَعُ	الفرزدق	١٩٠
فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنَّع	غيلان بن سلمة	٤٢٨
أَبيتُ عَلى بَابِ الْقَوافي كَأَنَمَا أَذُودُ بِها سِرباً مِنَ الوَحْشِ نَزّعَا	سويد بن كراع العكلى	١٠٦٦
حـــرف الـفـــاء		
الأرض تحيا إذا ما عاش عالمـها متى يمت عالم منها يمت طرف	أحمد بن غزال	١٩٣
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف		
حَلَفتْ لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت لنا أن لا تفى	لم أهتد لقائله	٧٩٠
حـــرف الـلام		
فَرْعُ نَبْعٍ يَهَشُّ في غُصُنِ الْمَجْ دِ غَزيرُ النّدَى شَدِيدُ الْمِحَال	الأعشى	١٥٧
وَلَبْس بَيْنَ أَقْوَام فَكُلّ أعدَّ لهُ السِّفارةَ والمحالا	ذو الرَّمة	١٥٧
لَيْلَةَ العُرْقُوب حَتَّى غَامَرَتْ جَعْفَرٌ يُدْعَى وَرَهْطُ ابْنِ شَكَلْ	لبيد بن ربيعة	١٩٧
ولَهُ الدِّين وَاصباً ولهُ الملكُ وحَمدٌ لهُ عَلَى كُلِّ حَال	أمية بن أبي الصلت	٣٤٠
وَعَوْدُ خَافِض لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِير خَفْض لاَزمَا قَدْ جُعِـلاَ	ابن مالك	٢٧٢
ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ رجالاً وخيلاً غير ميل ولا عُزْل	لم أهتد لقائله	٤٧٤
وله فى كل شيء خلقهُ وكذاك الله ما شاء فعل	لم أهتد لقائله	٦٢٠
يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخيلِ أَهْلِي فَكُلُّهُمُ يَعْذِل	أحيحة بن الجلاح	٦٥٩
يَلُومُونَنِي فِي الحُبِّ قَوْمي جَهَالةً وَمَا كَانَ طَبْعاً فهَوْل لَيس يَحُولُ	لسان الدين ابن الخطيب	٦٥٩
أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّنِي كَبرتُ وَأَلاَّ يُحْسنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي	امرؤ القيس	٦٦٦
تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَة تَمَنِّى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رسْل	لم أهتد لقائله	٧٥٢
وما المرءُ ما دامَتْ حُشاشةُ نَفسِهْ بمُدْرِكِ أَطْرافِ الخُطوب ولا آل	امرؤ القيس	٨٢٧
إذا لسعته النحل لم يَرْجُ لَسْعَهَا وَحَالفَهَا فى بيتِ نُوب عَوَامِل	أبو ذؤيب الهذلي	٨٩٤
رأت مَرَّ السِّنينَ أَخذْنَ منّى كما أخذَ السِّرارُ من الهلالِ	جرير بن عطية	٩٤٧
وفيهمْ مقاماتٌ ، حسانٌ وجوهها وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ	زهير بن أبي	٩٦٢

البيت	القائل	الصفحة
فَقُلْ لِبَني مَرْوَانَ ما بَالُ ذِمَّتِي بحَبْلٍ ضَعيفٍ لاَ يَزَالُ يُوصَّلُ	سلمى الأخطل	١٠٧٧
لَنْ تَزَالُوا كَذلكُم ثُمَّ لا زلْ تَ لَهُمْ خَالِداً خُلُودَ الجِبَال	الأعشى	١٠٥٩

حـــرف الـمـيـــم

إلى الْمَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمام وليْثِ الكَتِيبَةِ في المُزدحَم	لم أهتد لقائله	٣٠٢
تَلْقَى السَّريَّ من الرّجال بنفسه وابنُ السَّريِّ إذا سَرَا أَسرَاهُمَا	لم أهتد لقائله	٥٥٧
ولا عيبَ فيهم غير أنَّ نزيلَهم يُخَيَّرُ فيما عندَهم ويُحكَّمُ	ابن معصوم	٩٢٥
هلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابْنَةَ مالِكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمي	عنترة بن شداد	٩٣٠
ونشْرَقُ بالقوْلِ قَدْ أَذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّم	الأعشى	٩٤٨
رُوَيْداً كما اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ عَالِيْهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ	ذو الرّمة	٩٥١

حـــرف الـنـون

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي حسنها قلب الحزين غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عرضـــي وديني	ابن جُزيّ	٤٨
وأيام لنا غُرٍّ طِوالٍ عصينا الملْك فيها أن نَدِينا	عمرو بن كلثوم	١٩٦
تَعَشَّ فإنْ عَاهَدْتَنِي لا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئبُ يَصْطَحِبَانِ	لم أهتد لقائله	١٣٣ ، ١٣٤
فَقُلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سيلقى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا	الفرزدق	٦٧٩
بُورِكَ الميِّتُ الغريبُ كما بُو رِكَ نَضْحُ الرُّمّانِ والزَّيْتونُ	أبو طالب بن عبد المطلب	٨٥٩

حرف الـهـــاء

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مخاصم ميزانه	لم أهتد لقائله	٢٦٨
أعوذ بربي من النافثات في عقد العاضه المعضه	لم أهتد لقائله	٣١١
هممتُ ولم أفعَلْ وكدتُ وليتني تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه	ضابىء البراجمى	٦٠٨
فتوسَّطا عرضَ السَّريَّ وصدَّعا مسجورةً متجاوراً قُلاَّمُهَا	لبيد بن ربيعة	٥٥٥
وإنك لا تعطي امرءاً فوقَ حقه ولا تَملك الشِقَّ الذي الغيث ناصرهُ	الفقعسي	٧٣٤
ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه	صالح بن عبد القدوس	٥٣١
وكن في مَكانٍ إذَا ما سَقَطْتَ تَقُومُ وَرِجْلَاكَ في عافِيَهْ	ابن وكيع التنيسى	٥٧٠

حـــرف الـيـــاء

البيت	القائل	الصفحة
إذا أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرى فدَعهْ وواكِل حالَه والليالِيـا يجئن على ما كان من صالِـحٍ به وإن كان فيما لا يرى الناس آليا	اختلف في قائله	١١٥
جو بنو مروانَ سَمْعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا	الفرزدق	٢١٤
وجَاءُونَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَيْنَا فأجْلَى اليَومُ والسَّكرانُ صَاحِي	أنشده ابن الأعرابي	٣٤٧

أنصاف الأبيات

وليس دينُ الله بالمُعَضَّى	رؤبة بن العجاج	٣٠٩
جعلت أعراض الكرام سكراً	أنشده أبو عبيدة	٣٤٨
وقاتم الأعْماق خاوي المُخترَقْ	رؤبة بن العجاج	٤١١
ومستقرِّي المُصْحف الرقيم	رؤبة بن العجاج	٤٦٩
..... فَخَرَّ صَريعاً لليَدَيْن وللْفَم	ربيعة بن مكدم	٧٠٦
فَقُلْتُ يَمِين اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً	امرؤ القيس	٨٢٦
..... بل كان قلبُك في جناحَيْ طائرِ	عمران بن حطان	٨٦٩

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الرسائل الجامعية :

١ / **ابن جُزيّ ومنهجه في التفسير** (دراسة مُسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جُزيّ ، وتوضيح مُفصَّل لمنهجه في تفسيره : التسهيل لعلوم التنزيل) : أعدها الباحث / علي محمد **الزُّبيري** رحمه الله ، وهي رسالة أعدها الباحث لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلية القرآن الكريم ، قسم التفسير ، نوقشت في ١٤٠٣ هـ ، هذه الرسالة مطبوعة (ط ١) في مجلدين ، عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م دار القلم .

٢ / **تحقيق ودراسة كتاب** : (**التسهيل لعلوم التنزيل**) للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي الدكتور/ محمد بن سيدي محمد **بن مولاي** ، أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا ، عام ١٤٢٧ هـ .

٣ / **تخريج الأحاديث والآثار في كتاب** : (**التسهيل لعلوم التنزيل**) للدكتور / سامي بن مساعد **الجهني** ، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، عام ١٤١٨ هـ .

٤ / **الطَّعن في القرآن الكريم و الردُّ على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري** ، رسالة لنيل درجة الدكتورا ه مقدمة من الطالب : عبد المحسن بن زبن بن متعب **المطيري** ، المعيد بكلية الشريعة / جامعة الكويت ، إشراف : الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحيم .

٥ / **قواعد الترجيح عند ابن جُزيّ في تفسيره – دراسة تطبيقية –** ، أعدَّها الباحث : **عبد الله حمد الجمعان** ، رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود ، إشراف : الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن إبراهيم المطرودي ، نوقشت في عام ١٤٢١ هـ .

٦ / **قواعد الترجيح عند المفسرين** (دراسة نظرية تطبيقية) للشيخ **حسين بن علي بن حسين الحربي** (رئيس قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين في جازان) ، رسالة

ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود ، دار القاسم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ج ٢ ، راجعه وقدم له : الشيخ مناع خليل القطان .

٧ / **قواعد التفسير** (جمعاً ودراسة) للدكتور/ خالد بن عثمان **السَّبت** ، دار ابن عفان ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، ج ٢ .

٨ / **قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور** في تفسيره التحرير والتنوير للدكتورة / **عبير بن عبد الله النعيم** ، رسالة دكتوراه ، بجامعة الملك سعود ، عام ١٤٢٨ هـ / ١٤٢٩ هـ .

ثالثاً : المصادر والمراجع المطبوعة :

(أ)

١ / **أبجد العلوم** (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم) للسيد محمد صديق بن حسن **القنوجي** البخاري (ت ١٣٠٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٩٧٨م ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الجبار زكار .

٢ / **إبراز المعاني من حرز الأماني** في القراءات السبع لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم **أبي شامة** الدمشقي (ت ٦٦٥هـ) ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط . د ج ٢ ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض .

٣ / **الإبهاج في شرح المنهاج** على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي لتقي الدين علي بن عبد الكافي **السُّبكي** ، أبو الحسن (ت ٧٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ج ٣ ، تحقيق : جماعة من العلماء .

٤ / **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** لأحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، الشهير **بالبناء** (ت ١١١٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق : أنس مهرة .

٥ / **الإتقان في علوم القرآن** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، تحقيق : سعيد المندوب ، ج ٤ .

٦ / **إجابة السائل شرح بغية الآمل** لمحمد بن إسماعيل **الأمير الصنعاني** (ت ١١٨٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، تحقيق : القاضي حسين بن أحمد السياغي ، والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل .

٧ / **الأحاديث الطوال** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م ، ج ١ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٨ / **الأحاديث المختارة** (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما) محمد بن عبد الواحد الحنبلي **ضياء الدين المقدسي** ، أبو عبد الله (ت ٦٤٣ هـ) ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .

٩ / **الإحاطة في أخبار غرناطة لِلسان الدين ابن الخطيب** ، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م ، ط ١ ، ج ٤ ، تحقيق : د. يوسف علي طويل .

١٠ / **أحكام أهل الذمة** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ،

دار ابن حزم بيروت ، رمادى للنشر ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ج ٣ ، تحقيق : يوسف أحمد البكري ، و شاكر توفيق العاروري .

١١ / **الإحكام في أصول الأحكام** لعلي **بن حزم** الأندلسي الظاهري ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٨ .

١٢ / **الإحكام في أصول الأحكام** لعلي بن محمد **الآمدي** ، أبو الحسن (ت ٦٣١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . سيد الجميلي .

١٣ / **أحكام القرآن** لمحمد بن عبد الله ، المعروف **بابن العربي** المالكي ، أبو بكر (ت ٥٤٣ هـ) ، دار الفكر ، لبنان ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

١٤ / **أحكام القرآن** لأحمد بن علي الرازي **الجصاص** ، أبو بكر (ت ٣٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

١٥ / **أحكام القرآن** لمحمد بن إدريس **الشَّافعي** ، أبو عبد الله (ت ٢٠٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٠ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق .

١٦ / **إحياء علوم الدين** لمحمد بن محمد **الغزالي** ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

١٧ / **الآداب الشرعية** والمنح المرعية لمحمد **بن مفلح** المقدسي ، أبو عبد الله (ت ٧٦٣هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٣ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعمر القيام .

١٨ / **آداب النفوس** للحارث بن أسد **المحاسبي** ، أبو عبد الله (ت ٢٤٠هـ) ، دار الجيل ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

١٩ / **أدب الكاتب** لعبد الله بن مسلم **بن قتيبة** الدينوري السكوفي ، المروزي ، أبو محمد (ت ٢٧٦هـ) ، مكتبة السعادة ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٦٣ م ، ج ١ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

٢٠ / **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول** لمحمد بن علي بن محمد **الشوكاني** (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، تحقيق : محمد سعيد البدري أبو مصعب .

٢١ / **الإرشاد في معرفة علماء الحديث** للخليل بن عبد الله بن أحمد **الخليلي القزويني** ، أبو يعلى (ت ٤٤٦ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . محمد سعيد عمر إدريس .

٢٢ / **أساس البلاغة** لمحمود بن عمر **الزَّمخشري** ، أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ١ .

٢٣ / **أسباب النزول** لعلي بن أحمد **الواحدي** ، أبو الحسن (ت ٤٦٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق ودراسة : كمال بسيوني زغلول .

٢٤ / **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ليوسف بن عبد الله بن محمد **بن عبد البرِّ** النمري ، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ج ٤ ، اسم المحقق : علي محمد البجاوي .

٢٥ / **أسد الغابة في معرفة الصحابة** لعز الدين **بن الأثير** علي بن محمد الجزري ، أبو الحسن (ت ٦٣٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ج ٧ ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي .

٢٦ / **أسرار البلاغة** لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد **الجرجاني** ، أبو بكر (ت ٤٧١ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٧ / **أسرار العربية** لعبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد **الأنباري** النحوي ، أبو البركات (ت ٥٧٧هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . فخر صالح قدارة .

٢٨ / **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة** لأحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** ، أبو بكر (ت٤٦٣ هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة / مصر ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، ج ٨ ، تحقيق : د . عز الدين علي السيد .

٢٩ / **الإشارة إلى الايجاز** في بعض أنواع المجاز في القرآن الكريم **للعز بن عبد السَّلام** (ت ٦٦٠ هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ج ١ .

٣٠ / **الإصابة في تمييز الصحابة** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، ط ١ ، ج ٨ ، اسم المحقق : علي محمد البجاوي .

٣١ / **إصلاح المنطق** ليعقوب بن إسحاق **بن السِّكِّيت** ، أبو يوسف (ت ٢٤٤ هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ، ج ١ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون .

٣٢ / **أصول الدين** لجمال الدين أحمد بن محمد **الغزنوي** الحنفي (ت ٥٩٣ هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ١ ، تحقيق : الدكتور عمر وفيق الداعوق .

٣٣ / **الأصول في النحو** لمحمد بن السري **بن السراج النحوي** ، أبو بكر (ت ٣١٦ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٣ ، تحقيق : د . عبد الحسين الفتلي .

٣٤ / **الاعتصام** لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ، أبو إسحاق (ت ٧٩٠ هـ) ، دار المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط . د ، ج ٢ .

٣٥ / **اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل** (ذيل طبقات الحنابلة) لمحمد **بن أبي يعلى** ، أبو الحسين (ت ٥٢١ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٣٦ / **إعجاز القرآن** للقاضي محمد بن الطيب **الباقلاني** ، أبو بكر (ت ٤٠٣ هـ) ، دار المعارف ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٩٧م ، ج ١ ، تحقيق : السيد أحمد صقر .

٣٧ / **إعراب القرآن** لأحمد بن محمد بن إسماعيل **النحاس** ، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) ، مكتبة عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة النهضة العربية ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ج ٥ ، تحقيق : د . زهير بن غازي زاهد .

٣٨ / **الأعلام** ، خير الدين بن محمود بن علي **الزِّركلي** ، أبو الغيث (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ط ٧ ، ج ٨ .

٣٩ / **إعلام الموقعين عن رب العالمين** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ج ٤ ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد .

٤٠ / **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٤١ / **الأغاني** لعلي بن الحسين الأموي ، **أبو الفرج الأصبهاني** (ت ٣٥٦ هـ) ، دار الفكر بيروت ، ط . د ، ج ٢٤ ، تحقيق : علي مهنا ، وسمير جابر .

٤٢ / **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٦٩ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٤٣ / **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء** لسليمان بن موسى **الكلاعي** الأندلسي ، أبو الربيع (ت ٦٣٤هـ) ، عالم الكتب ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي .

٤٤ / **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لأدورد فنديك** ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ١٨٩٦م ج ١ .

٤٥ / **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى** لعلي بن هبة الله بن أبي نصر **ابن ماكولا** (ت ٤٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، ج ٧ .

٤٦ / **الأم** لأبي عبد الله محمد بن إدريس **الشافعي** (ت ٢٠٤ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ ، ج ٨ .

٤٧ / **الأمالي وهي المعروفة بـ (الأمالي الخميسية)** للمرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسني **الشجري الجرجاني** (ت ٤٩٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد حسن اسماعيل .

٤٨ / **الأمثال من الكتاب والسنة** لمحمد بن علي **الحكيم الترمذي** ، أبو عبد الله (ت ٣٢٠ هـ) ، دار ابن زيدون / دار أسامة ، بيروت ، دمشق ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : د . السيد الجميلي .

٤٩ / **إملاء ما من به الرحمن** من وجوه الإعراب والقراءات لعبد الله بن الحسين بن عبد الله **العكبري** ، أبو البقاء (ت ٦١٦هـ) ، المكتبة العلمية ، باكستان / لاهور ، ج ٢ ، تحقيق : إبراهيم عطوه عوض .

٥٠ / **الأنساب** لعبد الكريم بن محمد **السمعاني** ، أبو سعيد (٥٦٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ط ١ ، ١٩٩٨م ، ج ٥ ، تحقيق : عبد الله بن عمر البارودي .

٥١ / **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** لمحمد بن الطيب **الباقلاني** ، أبو بكر (ت ٤٠٣ هـ) ، عالم الكتب ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ج ١ ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر .

٥٢ / **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** لعبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد **الأنباري** النحوي ، أبو البركات (ت ٥٧٧هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٥٣ / **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** لعبد الله بن يوسف **ابن هشام** الأنصاري ، أبو محمد (ت ٧٦١ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ٤ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،.

٥٤ / **الإيضاح في علوم البلاغة** لمحمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، أبو عبد الله ، المعروف **بالخطيب القزويني** (ت ٧٣٩ هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق : الشيخ بهيج غزاوي .

٥٥ / **إيضاح المكنون** في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا بن محمد أمين **البغدادي** (ت ١٣٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م ، ط . د ، ج ٤ .

٥٦ / **الإيمان** لمحمد بن إسحاق **ابن منده** ، أبو عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(ب)

٥٧ / **البحر الزخار (مسند البزار)** لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، أبو بكر (ت ٢٩٢ هـ) ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ج ٩ ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله .

٥٨ / **البحر المحيط في أصول الفقه** لمحمد بن بهادر **الزَّركشي** (ت ٧٩٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٤ ، تحقيق : د . محمد محمد تامر .

٥٩ / **بدائع الفوائد** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ج ٤ ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد الج .

٦٠ / **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** لمحمد بن أحمد بن محمد **بن رشد** القرطبي ، أبو الوليد (ت ٥٩٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٦١ / **البداية والنهاية** لإسماعيل **بن كثير** الدمشقي ، أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ١٤ ، تحقيق : د . أحمد أبو ملحم وجماعة .

٦٢ / **البدر الطالع** بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي **الشوكاني** (ت ١٢٥٠هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٦٣ / **البدر المنير** في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لسراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، أبو حفص ، المعروف **بابن الملقن** (ت ٨٠٤ هـ) دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض / السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ج ٩ ، تحقيق : مصطفى أبو الغيط وجماعة .

٦٤ / **برنامج الوادي آشي** لمحمد بن جابر **الوادي آشي** (ت ٧٤٩ هـ) ، دار المغرب الاسلامي ، أثينا ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ج ١ ، تحقيق : محمد محفوظ .

٦٥ / **البرهان في علوم القرآن** لبدر الدين محمد بن بهادر **الزَّركشي** (ت ٧٩٤هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩١هـ ، ج ٤ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦٦ / **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث** ، للحافظ نور الدين علي بن سليمان **الهيثمي** (ت ٢٨٢ هـ) ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حسين أحمد صالح الباكري .

٦٧ / **بغية الطلب في تاريخ حلب** لكمال الدين عمر بن أحمد **بن أبي جرادة** (ت ٦٦٠ هـ) ، دار الفكر ، ط . د ، ج ١٠ ، تحقيق : د. سهيل زكار .

٦٨ / **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** لجلال الدين **عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط . د ، سنة ١٤١٩هـ ، ج ٢ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦٩ / **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة** لمجد الدين محمد بن يعقوب **الفيروز آبادي** (ت ٨١٧ هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد المصري .

٧٠ / **البيان في عدّ آي القرآن** لعثمان بن سعيد الأموي **الداني** ، أبو عمرو (ت ٤٤٤هـ) مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ١ ، تحقيق : غانم قدوري الحمد .

(ت)

٧١ / **تاج التراجم** لزين الدين قاسم **بن قطلوبغا السودوني** ، أبو الفداء (ت ٨٧٩ هـ) ، دار القلم ، دمشق / سوريا ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف .

٧٢ / **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد بن محمد الحسيني ، المشهور **بالمرتضى الزبيدي** (ت ١٢٠٥ هـ) ، دار الهداية للنشر والتوزيع ، ط . د ، ج ٤٠ ، تحقيق جماعة من المحققين .

٧٣ / **تاريخ ابن خلدون** (المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٤م ، ج ٥ .

٧٤ / **تاريخ الإسلام** ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ٥٢ ، تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري .

٧٥ / **تاريخ بغداد** لأحمد بن علي **الخطيب البغدادي** ، أبو بكر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ، ج ١٤ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

٧٦ / **تاريخ عجائب الآثار** في التراجم والأخبار لعبد الرحمن بن حسن **الجبرتي** (ت ١٢٣٧ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط . د ، ج ٣ .

٧٧ / **تاريخ قضاة الأندلس** (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) علي بن عبد الله بن الحسن **النباهي** المالقي الأندلسي ، أبو الحسن (ت ٧٩٣ هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت/ لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ، ط ٥ ، ج ١ ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة .

٧٨ / **التاريخ الكبير** لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم **البخاري** الجعفي ، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٨ ، اسم المحقق : السَّيد هاشم الندوي .

٧٩ / **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الأماثل** لعلي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، أبو القاسم المعروف **بابن عساكر** (ت ٥٧١ هـ) ، دار

الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٩٩٥ م ، ج ٧٠ ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري .

٨٠ / **تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر** لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله **العيدروسي** (ت ١٠٣٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١ .

٨١ / **تاريخ ابن الوردي** لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٢ .

٨٢ / **تاريخ اليعقوبي** لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٨٣ / **تأويل مختلف الحديث** لعبد الله بن مسلم **بن قتيبة** ، أبو محمد الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٢ م ، ج ١ ، تحقيق : محمد زهري النجار .

٨٤ / **التبيان في آداب حملة القرآن** ليحيى بن شرف الدين **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ، ج ١ .

٨٥ / **التبيان في إعراب القرآن** لعبد الله بن الحسين **العكبري** ، أبو البقاء (ت ٦١٦ هـ) عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

٨٦ / **التبيان في تفسير غريب القرآن** لأحمد بن محمد القرافي ، المعروف **بابن الهائم المصري** ، (ت ٨١٥ هـ) ، دار الصحابة ، طنطا ، مصر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي .

٨٧ / **تحبير التيسير في القراءات العشر** لمحمد بن محمد الدمشقي ، أبو الخير ، الشهير **بابن الجزري** (٨٣٨ هـ) ، دار الفرقان ، الأردن / عمان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ج ١ ، تحقيق : د . أحمد محمد مفلح القضاة .

٨٨ / **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه** لعلاء الدين علي بن سليمان **المرداوي الحنبلي** أبو الحسن (ت ٨٨٥ هـ) ، مكتبة الرشد ، السعودية / الرياض ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، ج ٨ ، تحقيق : د . عبد الرحمن الجبرين ، د . عوض القرني ، د . أحمد السراح .

٨٩ / **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** لمحمد بن عبدالرحمن **المباركفوري** ، أبو العلا (ت ١٣٥٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١٠ .

٩٠ / **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف** لجمال الدين ابن الزكي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف **الحافظ المزّي** ، أبو الحجاج (ت ٧٤٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، والدار القيّمة ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ، ج ١٣ ، المحقق : عبد الصمد شرف الدين .

٩١ / **التحفة اللطيفة** في تاريخ المدينة الشريفة لشمس الدين **السخاوي** (ت ٩٠٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ج ٢ .

٩٢ / **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري الهاشمي** ، مكتبة العبيكان الرياض / المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، مجلدين ، ج ٤ ، دراسة وتحقيق : محمود عبد الرحمن قدح .

٩٣ / **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** لعبد الله بن يوسف **الزيلعي** ، أبو محمد (ت ٧٦٢ هـ) ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ج ٤ ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد .

٩٤ / **تذكرة الأريب في تفسير الغريب** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، ط . د ، ج ٢ .

٩٥ / **تذكرة الحفاظ** لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ج ٤ .

٩٦ / **التعارض والترجيح** بين الأدلة الشرعية لعبد اللطيف عبد الله **البرزنجي** ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣ م .

٩٧ / **التعارض والترجيح** عند الأصوليين وأثرهما فى الفقه الإسلامى لمحمد إبراهيم **الحفناوى** ، دار الوفاء ، المنصورة / مصر ، ١٩٨٥ .

٩٨ / **التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح** لسليمان بن خلف بن سعد **الباجي** ، أبو الوليد (ت ٤٧٤ هـ) ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٣ ، تحقيق : د. أبو لبابة حسين .

٩٩ / **التعريفات** لعلي بن محمد بن علي الشريف **الجرجاني** (ت ٨١٦ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ج ١ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .

١٠٠ / **تغليق التعليق على صحيح البخاري** لأحمد بن علي بن محمد **بن حجر** العسقلاني ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي .

١٠١ / **تفسير آيات من القرآن الكريم** للشيخ المجدد **محمد بن عبد الوهاب** التميمي النجدي (ت ١٢٠٦ هـ) ، مطابع الرياض ، الرياض ، ط ١ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد بلتاجي .

١٠٢ / **تفسير ابن أبي حاتم** (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين) للحافظ عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي ، (ت ٣٢٧ هـ) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط . د ، ج ١٠ ، تحقيق : أسعد محمد الطيب .

١٠٣ / **تفسير ابن أبي زمنين** (تفسير القرآن العزيز) لمحمد بن عبدالله بن أبي زمنين المري ، أبو عبد الله (ت ٣٩٩ هـ) ، الفاروق الحديثة ، مصر/ القاهرة ، ط ١ ،

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ٥ ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكتر .

١٠٤ / **تفسير ابن جزي** (التسهيل لعلوم التنزيل) لمحمد بن أحمد **بن جُزيّ الكلبي** (ت ٧٤١ هـ) ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ٤ .

١٠٥ / **تفسير ابن جزي** (التسهيل لعلوم التنزيل) لمحمد بن أحمد **بن جُزيّ الكلبي** (ت ٧٤١ هـ) ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م ، ط ١ ، ج ٢ .

١٠٦ / **تفسير ابن الجوزي** (زاد المسير في علم التفسير) لعبد الرحمن ابن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط ٣ ، ج ٩ .

١٠٧ / **تفسير ابن عادل** (اللباب في علوم الكتاب) لعمر بن علي الحنبلي ، أبو حفص (ت بعد ٨٨٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ج ٢٠ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض .

١٠٨ / **تفسير ابن عاشور** (التحرير والتنوير من التفسير) للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م ، ط . د ، ج ٣٠ .

١٠٩ / **تفسير ابن عرفة** لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، أبو عبد الله (ت ٨٢٧ هـ) ، مركز البحوث بالكلية الزيتونية ، تونس ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حسن المناعي .

١١٠ / **تفسير ابن عطية** (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، أبو محمد (ت ٥٤٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م ، ط ١ ، ج ٥ ، اسم المحقق : عبد السلام عبد الشافي محمد .

١١١ / **تفسير ابن كثير** (تفسير القرآن العظيم) للحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي ، أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠١هـ ، ج ٤ .

١١٢ / **تفسير الآلوسي** (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ل شهاب الدين السيد محمود البغدادي الآلوسي (الكبير) البغدادي ، أبو الفضل (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط . د ، ج ٣٠ .

١١٣ / **تفسير أبي حيان** (البحر المحيط) لمحمد بن يوسف بن حيان ، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج ٨ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض وجماعة .

١١٤ / **تفسير أبي السعود** (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لمحمد بن محمد العمادي ، أبو السعود (٩٥١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٩ .

١١٥ / **تفسير البغوي** (معالم التنزيل) للحسين بن مسعود البغوي ، أبو محمد (ت ٥١٦ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك .

١١٦ / **تفسير البيضاوي** (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للقاضي عبد الله بن محمد الشيرازي البيضاوي ، أبو سعيد ، أو أبو الخير (ت ٦٨٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٥ .

١١٧ / **تفسير الثعالبي** (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ج ٥ ، تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح أبو سنّة .

١١٨ / **تفسير الثعلبي** (الكشف والبيان) لأحمد بن محمد الثعلبي ، أبو إسحاق (ت ٤٢٧ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، ج ١٠ ، تحقيق : أبو محمد ابن عاشور ، ومراجعة : نظير الساعدي .

١١٩ / **تفسير الثوري** لسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله (ت ١٦١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ج ١ .

١٢٠ / **تفسير الجلالين** لجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤ هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ج ١ .

١٢١ / **تفسير الخازن** (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، المعروف بالخازن (ت ٧٢٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت / لبنان ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ط . د ، ج ٧ .

١٢٢ / **تفسير الخطيب الشربيني** (**السراج المنير** في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الخبير) لمحمَّد بن أحمد الخطيب الشِّربيني المصري (ت ٩٧٧ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م ، ج ٤ ، خرَّج آياته وأحاديثه وعلَّق حواشيه : إبراهيم شمس الدين.

١٢٣ / **تفسير الزمخشري** (الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

١٢٤ / **تفسير الزمخشري** (الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، وبذيله :

الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد بن محمد بن منصور المعروف **بابن المنيِّر السَّكَنْدَري** (ت ٦٨٣ هـ) ، **والكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط . د ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، مجلدين ، ج ٤ ، ضبط وتوثيق : أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي .

١٢٥ / **تفسير السعدي** (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠م (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : ابن عثيمين .

١٢٦ / **تفسير السمرقندي** (بحر العلوم) نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ، أبو الليث (ت ٣٦٧ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٣ ، اسم المحقق : د . محمود مطرجي .

١٢٧ / **تفسير السمعاني** (تفسير القرآن) لمنصور بن بحر بن عبد الجبار السمعاني ، أبو المظفر (ت ٤٨٩ هـ) ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، ج ٦ ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس غنيم .

١٢٨ / **تفسير السمين الحلبي** (**الدر المصون** في علوم الكتاب المكنون) لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، أبو العباس (ت ٧٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م ، ج ٦ ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود وجماعة .

١٢٩ / **تفسير السيوطي** (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، أبو الفضل (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٩٩٣م ، ج ٨ .

١٣٠ / **تفسير الشنقيطي** (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٩ ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .

١٣١ / **تفسير الشوكاني** (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٥ .

١٣٢ / **تفسير الصنعاني** (تفسير القرآن) لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، أبو بكر (ت ٢١١ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ج ٣ ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد .

١٣٣ / **تفسير الطبري** (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمَّد بن جرير **الطَّبري** ، أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٣٠ .

١٣٤ / **تفسير العز** (تفسير القرآن) لسلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (وهو اختصار النكت للماوردي) (ت ٦٦٠ هـ) ، دار ابن حزم ،

بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ج ٣ ، تحقيق وتعليق : د . عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهيبي .

١٣٥ / **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان** لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي **النيسابوري** (ت ٧٢٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ج ٦ ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران .

١٣٦ / **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم** لمحمد بن أبي نصر **الحميدي** (ت ٤٨٨ هـ) ، مكتبة السنة ، القاهرة / مصر ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ج ١ تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز .

١٣٧ / **تفسير الفخر الرازي** (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م ، ج ٣٢ .

١٣٨ / **تفسير القاسمي** (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت / لبنان ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ١٠ مجلدات ، ج ١٧ .

١٣٩ / **تفسير القرطبي** (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد القرطبي ، أبو عبد الله (ت ٦٧١ هـ) ، دار الشعب ، القاهرة ، ط . د ، ج ٢٠ .

١٤٠ / **تفسير القشيري** (لطائف الإشارات) لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري ، أبو القاسم الشافعي (ت ٤٦٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م ، ج ٣ ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن .

١٤١ / **التفسير القيِّم** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط . د ، ج ١.

١٤٢ / **تفسير مجاهد** بن جبر المخزومي ، أبو الحجاج (ت ١٠٤ هـ) ، المنشورات العلمية بيروت ، ط . د ، ج ٢ ، اسم المحقق : عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي .

١٤٣ / **تفسير مقاتل** لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، أبو الحسن (ت ١٥٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ، ج ٣ ، تحقيق : أحمد فريد .

١٤٤ / **تفسير النسفي** (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لعبد الله بن أحمد النسفي ، أبو البركات (ت ٧١٠ هـ) ، ط . د ، ج ٤ .

١٤٥ / **تفسير الواحدي** (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لعلي بن أحمد الواحدي ، أبو الحسن (٤٨٦ هـ) ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، ج ٢ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

١٤٦ / **التفسير والمفسِّرون** للدكتور محمد حسين **الذهبي** (ت ١٣٩٨ هـ) ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ج ٣ ، قام بضبط نصوصه وخرَّج آياته وأحاديثه : أحمد الزعبي .

١٤٧ / **التفسير الوسيط** للقرآن الكريم للدكتور **محمَّد سيِّد طنطاوي** ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط . د ، ج ١٥ .

١٤٨ / **تقريب التهذيب** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الرشيد ، سوريا ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج ١ ، تحقيق : محمد عوّامة .

١٤٩ / **التكملة لكتاب الصلة** محمد بن عبد الله **القضاعي** ، أبو عبد الله (ت ٦٥٨ هـ) ، دار الفكر للطباعة ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٤ ، تحقيق : عبد السلام الهراس .

١٥٠ / **تلخيص الحبير** في أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن علي **بن حجر** ، أبو الفضل العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، المدينة المنورة ، ط . د ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ج ٤ ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني .

١٥١ / **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول** لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي ، أبو محمد (ت ٧٧٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد حسن هيتو .

١٥٢ / **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد** ليوسف بن عبد الله النمري ، أبو عمر ، الشهير **بابن عبد البرِّ** (ت ٤٦٣ هـ) ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، ط . د ، ١٣٨٧هـ ، ج ٢٤ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد ابن عبد الكبير البكري .

١٥٣ / **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة** لعلي بن محمد **الكناني** ، أبو الحسن (ت ٩٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، ج ٢ تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله محمد الصديق الغماري .

١٥٤ / **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** لمحمد بن يعقوب **الفيروز آبادي** ، أبو طاهر (ت ٨١٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ج ١ .

١٥٥ / **تهذيب الأسماء واللغات** لمحي الدين بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، ج ٣ ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .

١٥٦ / **تهذيب التهذيب** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ج ١٢ .

١٥٧ / **تهذيب اللغة** لمحمد بن أحمد **الأزهري** ، أبو منصور (٣٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ج ١٥ ، تحقيق : محمد عوض مرعب .

١٥٨ / **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** يوسف بن الزكي عبد الرحمن **المزّي** ، أبو الحجَّاج (ت ٧٤٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ج ٣٥ ، تحقيق : د . بشار عواد معروف .

١٥٩ / **توجيه النظر إلى أصول الأثر** لطاهر بن صالح بن أحمد **السموني الجزائري** (ت ١٣٣٨هـ) ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ج ٢ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

١٦٠ / **توحيد الألوهية لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ ، ج ١ ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد النجدي .

١٦١ / **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم** لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد **القيسي الدمشقي** (ت ٨٤٢هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج ٩ ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي .

١٦٢ / **التوقيف على مهمات التعاريف** لمحمَّد بن عبد الرءوف **المناوي** (ت ١٠٣١ هـ) ، دار الفكر المعاصر ببيروت ، ودار الفكر بدمشق ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية .

١٦٣ / **التيسير في القراءات السبع** لعثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد **الداني** ، أبو عمرو (ت ٤٤٤ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ١ ، تحقيق : أوتو تريزل .

(ث)

١٦٤ / **الثقات** لمحمد **بن حبان** بن أحمد التميمي البستي ، أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ج ٩ ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد .

(ج ، ح ، خ)

١٦٥ / **جامع الأحاديث** (**الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير**) لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، ط . د ، ج ٢١ .

١٦٦ / **جامع بيان العلم وفضله** ليوسف بن عبد الله **بن عبد البرِّ** النمري ، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٨هـ ، ج ٢ .

١٦٧ / **جامع الرسائل لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مصر ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم .

١٦٨ / **جامع العلوم والحكم** في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن **بن شهاب الدين البغدادي** ، أبو الفرج (ت ٧٩٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ١ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس .

١٦٩ / **الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم** لمحمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (ت ٣٢٧ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٢٧١ هـ / ١٩٥٢ م ، ج ٩ .

١٧٠ / **الجمل في النحو** لخليل بن أحمد **الفراهيدي** (ت ١٧٥ هـ) ، ط ٥ ، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . فخر الدين قباوة .

١٧١ / **جمهرة أشعار العرب** لمحمد بن أبي الخطاب **القرشي** ، أبو زيد (ت ١٧٠ هـ) ، دار الأرقم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : عمر فاروق الطباع .

١٧٢ / **جمهرة أنساب العرب** لعلي بن أحمد بن سعيد **بن حزم** الأندلسي ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ج ٢ .

١٧٣ / **جمهرة اللغة** لمحمد بن الحسن **بن دريد** (ت ٣٢١ هـ) ط ١ ، ج ٣ ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي .

١٧٤ / **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن عبد السلام **ابن تيمية** ، أبو العباس الحراني (ت ٧٢٨هـ) ، مطبعة المدني ، مصر ، ط . د ، ج ٦ تحقيق : علي سيد صبح المدني .

١٧٥ / **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** (**الداء والدواء**) لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

١٧٦ / **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** لعبد القادر محمد بن نصر الله القرشي ، أبو محمد المعروف **بابن أبي الوفاء الحنفي** (ت ٧٧٥ هـ) ، نشر : مير محمد كتب خانة ، كراتشي ، ط . د ، ج ٢ .

١٧٧ / **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

١٧٨ / **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م ، ج ١٤ .

١٧٩ / **حاشية رد المختار على الدر المختار** شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة (**المعروفة بحاشية ابن عابدين**) لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت ١٢٥٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٨ .

١٨٠ / **حاشية الشِّهاب** المسمَّاة (عناية القاضي وكفاية الرَّاضيْ) للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر **الخفاجي** (ت سنة ١٠٦٩ هـ) على تفسير البيضاوي للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م ، ج ٩ ، ضبطه وخرَّج آياته وأحاديثه : الشيخ عبد الرزاق المهدي .

١٨١ / **حاشية الصبان** على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لمحمد بن علي الصبان (ت سنة ١٢٠٦ هـ) ، ومعه شرح الشواهد للعيني ، ج ٤ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط . د ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

١٨٢ / **الحاوي للفتاوي** في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن .

١٨٣ / **حجة القراءات** لعبد الرحمن بن محمد **ابن زنجلة** ، أبو زرعة (ت ٤٠٣ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٤هـ ، ط . د ، ج ١ ، اسم المحقق : سعيد الأفغاني .

١٨٤ / **الحجة في القراءات السبع** للحسين بن أحمد ، الشهير **بابن خالويه** ، أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ) ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . عبد العال سالم مكرم .

١٨٥ / **حروف المعاني** لعبد الرحمن بن إسحاق **الزَّجَّاجي** ، أبو القاسم (ت ٣٤٠هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، تحقيق : علي توفيق الحمد .

١٨٦ / **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة** لمحمد صديق حسن خان **الفتوحي** (ت ١٣٠٧هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ج ١ تحقيق : د . مصطفى الخن ، ومحي الدين ستو .

١٨٧ / **حلية الأولياء** وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله **الأصفهاني** ، أبو نعيم (ت ٤٣٠ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ، ج ١٠ .

١٨٨ / **حياة الحيوان الكبرى** لكمال الدين محمد بن موسى بن عيسى **الدميري** (ت ٨٠٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م ج ٢ ، تحقيق : أحمد حسن بسج .

١٨٩ / **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، ج ١١ ، تحقيق : محمد نبيل طريقي ، وأميل بديع اليعقوب .

١٩٠ / **الخصائص** لعثمان **بن جني** ، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط . د ، ج ٣ ، تحقيق : محمد علي النجار .

١٩١ / **الخصائص الكبرى** لجلال الدين عبد الرحمن أبي بكر **السيوطي** ، أبو الفضل (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٢ .

١٩٢ / **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** لتقي الدين محمد أمين بن فضل الله **المحبي** الحنفي (ت ١١١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

١٩٣ / **خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي** لسراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، أبو حفص ، المعروف **بابن الملقن** (ت ٨٠٤ هـ) مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي .

(د ، ذ)

١٩٤ / **الدعاء** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ج ١ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

١٩٥ / **درء تعارض العقل والنقل** أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول **لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم **بن تيمية** ، أبو العباس الحراني (ت ٧٢٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن .

١٩٦ / **دراسات في علوم القرآن الكريم** للأستاذ الدكتور/ **فهد** بن عبد الرحمن بن سليمان **الرومي** (أستاذ الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض) ط ١٤ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١٩٧ / **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني** ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، نشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ط٢ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، ج ٦ ، أشرف على الطبع : محمد بن عبد المعيد خان .

١٩٨ / **دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب** للشيخ محمد الأمين الجكني **الشنقيطي** (ت ١٣٩٣ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ١ .

١٩٩ / **دلائل الإعجاز** لعبدُ القاهِر بنُ عبد الرَحمنِ بنِ محمّدٍ **الجُرجانيُّ** (ت ٤٧١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . التنجي .

٢٠٠ / **دلائل النبوة** لأحمد بن عبد الله **الأصبهاني** ، أبو نعيم (ت ٤٣٠ هـ) ، دار طيبة الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد محمد الحداد .

٢٠١ / **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** لأحمد بن الحسين **البيهقي** ، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ) مؤسسة البراق ، ط . د ، ج ٧ .

٢٠٢ / **الديباج المذهب** في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد **بن فرحون** اليعمري المالكي (ت ٧٩٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٣ / **ديوان الأخطل** لغياث بن غوث بن الصلت التغلبي الأخطل ، أبو مالك (ت ٩٠ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٤ / **ديوان الأعشى** ليهون بن قيس بن جندل الوائلي ، أبو بصير المعروف بأعشى قيس (ت ٧ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٥ / **ديوان الإمام الشَّافعي** لمحمَّد بن إدريس الشَّافعي ، أبو عبد الله (ت ٢٠٤ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٦ / **ديوان جرير** لجرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي (ت سنة ١١٠ هـ أو : سنة ١١١ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٧ / **ديوان حسَّان بن ثابت** ﷺ ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٨ / **ديوان ذو الرّمَّة** ، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، أبو الحارث (ت ١١٧ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٠٩ / **ديوان زهير بن أبي سلمى** ربيعة بن رياح المزني (ت سنة ١٣ قبل الهجرة) ، ط . د ج ١ .

٢١٠ / **ديوان علقمة الفحل** لعلقمة بن بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس ، معروف بعلقمة الفحل ، (ت نحو ٢٠ قبل الهجرة) ط . د ، ج ١ .

٢١١ / **ديوان طرفة بن العبد** لطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، أبو عمرو (ت سنة ٦٠ قبل الهجرة) ، ط . د ، ج ١ .

٢١٢ / **ديوان لبيد بن ربيعة العامري** ، دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ج ١ .

٢١٣ / **ديوان لسان الدين ابن الخطيب** ، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) ط . د ، ج ١ .

٢١٤ / **ديوان ابن معصوم المدني** لعلي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني ، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشهير بابن مَعْصُوم (ت سنة ١١١٩ هـ أو ١١١٧ هـ) ط . د ، ج ١ .

٢١٥ / **ديوان النابغة الذبياني** ، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة (ت نحو ١٨ قبل الهجرة) ، ط . د ، ج ١ .

٢١٦ / **الذخيرة** في محاسن أهل الجُزيّرة لأبي الحسن علي **بن بسام الشنتريني** (ت ٥٤٢هـ) دار الثقافة ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ٨ ، تحقيق : إحسان عباس .

(ر)

٢١٧ / **الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .

٢١٨ / **الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل الشيباني** ، أبو عبد الله (ت ٢٤١ هـ) المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط . د ، ١٣٩٣ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد حسن راشد .

٢١٩ / **الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٢٢٠ / **الرسالة** للإمام محمد بن إدريس **الشَّافعي** (ت ٢٠٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م ، ج ١ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .

٢٢١ / **رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب** لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي **السُّبكي** ، أبو نصر (ت ٧٧١ هـ) ، عالم الكتب ، لبنان / بيروت ، ط ١ ١٩٩٩م / ١٤١٩هـ ، ج ٤ ، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود .

٢٢٢ / **الرُّوح** في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسُّنة لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ج ١ .

٢٢٣ / **الروض الأنف** لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي **السهيلي** المالكي النحوي ، أبو القاسم (ت ٥٨١ هـ) ، ط . د ، ج ٤ .

٢٢٤ / **روضة الناظر** وجنة المناظر لعبد الله بن أحمد **بن قدامة المقدسي** ، أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢ ، ج ١ تحقيق : د . عبد العزيز عبد الرحمن السعيد .

٢٢٥ / **روضة الطالبين وعمدة المفتين** لمحيي الدين يحيى بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١٢ .

٢٢٦ / **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦ هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٠م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد عبد الله عنان .

٢٢٧ / **زاد المعاد في هدي خير العباد** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ١٤ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٥ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط .

٢٢٨ / **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي** لمحمد بن أحمد الأزهري ، أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، ج ١ ، تحقيق : د. محمد جبر الألفي .

٢٢٩ / **الزاهر في معاني كلمات الناس** لمحمد بن القاسم **الأنباري** ، أبو بكر (ت ٣٢٨ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن .

٢٣٠ / **زهر الآداب وثمر الألباب** لإبراهيم بن علي **الحصري القيرواني** ، أبو إسحاق (ت ٤٥٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧م ، ج ٢ ، تحقيق : أ . د . يوسف على طويل .

(س)

٢٣١ / **سبل الهدى والرشاد** في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف **الصالحي الشامي** (ت ٩٤٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ، ج ١٢ ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض .

٢٣٢ / **السبعة في القراءات** أحمد بن موسى البغدادي ، أبو بكر الشهير **بابن مجاهد** (ت ٣٢٤ هـ) ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : شوقي ضيف .

٢٣٣ / **سرُّ صناعة الإعراب** لعثمان **ابن جني** ، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ) ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٢ ، تحقيق : د . حسن هنداوي .

٢٣٤ / **سنن ابن ماجه** لمحمد بن يزيد القزويني ، أبو عبد الله (ت ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٣٥ / **سنن أبي داود** لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٣٦ / **سنن الترمذي** (الجامع الصحيح) لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٥ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

٢٣٧ / **سنن سعيد بن منصور (٢)** لسعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) ، دار العصيمي الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد .

٢٣٨ / **السنن الكبرى** لأحمد بن الحسين **البيهقي** ، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ) ، مكتبة الباز مكة المكرمة ، ط . د ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ١٠ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

٢٣٩ / **السنن الكبرى** لأحمد بن شعيب النسائي ، أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ج ٦ ، تحقيق : د . عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن .

٢٤٠ / **السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات لمحمد عبد السلام خضر الشقيري** دار الفكر ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد خليل هراس .

٢٤١ / **السنة** لأحمد بن محمد بن هارون بن يزيد **الخلاَّل** ، أبو بكر (ت ٣١١ هـ) ، دار الراية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ج ٣ ، تحقيق : د . عطية الزهراني .

٢٤٢ / **سير أعلام النبلاء** لمحمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٠هـ ، ج ٢٣ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وجماعة .

٢٤٣ / **سيرة ابن إسحاق** (المبتدأ والمبعث والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ) ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف ، ط . د ، ج ٣ ، تحقيق : محمد حميد الله .

٢٤٤ / **السيرة النبوية** لعبد الملك **ابن هشام** المعافري ، أبو محمد (ت ٢١٣ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، ج ٦ ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد .

٢٤٥ / **السيرة الحلبية** في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين **الحلبي** (ت ١٠٤٤ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٠هـ ، ج ٣ .

(ش)

٢٤٦ / **شبهات الرافضة حول الصحابة ﷺ وردها** لعلي بن نايف **الشحود** ، ط . د ، ج ٢ .

٢٤٧ / **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** للقاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٦٩هـ) ، دار الفكر ، سوريا ، ط . د ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٤ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٤٨ / **شرح ديوان الحماسة** لأبي تمام لحيى بن علي بن محمد الشيباني **التبريزي** (ت ٧٤١ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٢٤٩ / **شرح السنة** للحافظ الحسين بن مسعود **البغوي** (ت ٥١٦ هـ) ، المكتب الإسلامي دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ١٥ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط محمد زهير الشاويش .

٢٥٠ / **شرح سنن ابن ماجه** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٢٥١ / **شرح صحيح البخاري** لعلي بن خلف بن عبد الملك **بن بطال** البكري القرطبي ، أبو الحسن (ت ٤٤٩هـ) مكتبة الرشد ، السعودية / الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، ج ١٠ ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم .

٢٥٢ / **شرح العقيدة الطحاوية** لصدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي، المعروف **بابن أبي العز الحنفي** (ت ٧٩٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩١ هـ ، ج ١ .

٢٥٣ / **شرح العقيدة الطحاوية** لمحمد ناصر الدين **الألباني** (ت ١٤٢٠ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ ، ج ١ .

٢٥٤ / **شرح العمدة في الفقه** لأحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . سعود صالح العطيشان .

٢٥٥ / **شرح قطر الندى** وبل الصدى عبد الله جمال الدين **بن هشام** الأنصاري ، أبو محمد (ت ٧٦١ هـ) ، القاهرة ، ط ١١ ، ١٣٨٣ هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٥٦ / **شرح القواعد الفقهية** لأحمد بن محمد **الزرقا** (ت ١٣٥٧ هـ) ، دار القلم ، دمشق ط ٢ ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ج ١ ، صحَّحه وعلَّق عليه : مصطفى أحمد الزرقا .

٢٥٧ / **شرح كتاب ثَلاثة الأُصُولْ** للشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ **صالح** بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم **آل الشيخ** ، ط . د ، ج ٢٢ .

٢٥٨ / **شرح الكوكب المنير** المسمَّى (مختصر التحرير) أو (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه) لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف **بابن النجار** (ت ٩٧٢ هـ) جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، ١٤١٣ هـ ، ط ٢ ، تحقيق : د . محمد الزحيلي ، د . نزيه حماد ، ج ٤ .

٢٥٩ / **شرح مشكل الآثار** لأحمد بن محمد بن سلامة **الطحاوي** ، أبو جعفر (ت ٣٢١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ج ١٥ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

٢٦٠ / **شرح المقاصد في علم الكلام** لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ، ط ١ ، ١٤٠١هـ ، ج ٢ .

٢٦١ / **شرح (مقدمة في أصول التفسير)** لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بن صالح **العثيمين** ، مدار الوطن للنشر ، الرياض ، ط . د ، ١٤٢٦ هـ ، ج ١ .

٢٦٢ / **شرح (مقدمة في أصول التفسير)** لشيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور محمد بن عمر ابن سالم **بازمول** ، مجموعة محاضرات ، فرغ الأشرطة وضبط الآيات والأحاديث وخرجها : بعض طلبة العلم ، ١٤٢٣ هـ - ١٤٢٤هـ .

٢٦٣ / **شرح (مقدمة في أصول التفسير)** لشيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور مساعد بن سليمان **الطيار** ، الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بالرياض ، دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ ، ج ١ .

٢٦٤ / **شرح منتهى الإرادات** المسمَّى : (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى) لمنصور بن يونس ابن إدريس **البهوتي** (ت ١٠٥١ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٦ م ، ج ٣ .

٢٦٥ / **شرح نخبة الفكر** في مصطلحات أهل الأثر لأبي الحسن على بن سلطان محمد القاري الهروي المعروف " **بملا على القاري** " (ت ١٠١٤هـ) ، دار الأرقم ، لبنان / بيروت ، ط . د ، ج ١ ، قدم له : الشيخ عبد الفتح أبو غدة ، حققه وعلق عليه : محمد نزار تميم ، وهيثم نزار تميم .

٢٦٦ / **شرح نهج البلاغة** لعز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد **بن أبي الحديد المدائني** ، أبو حامد (ت ٦٥٥ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ج ٢٠ ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري .

٢٦٧ / **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لعبد الحي بن أحمد العكري ، الشهير **بابن العماد الحنبلي** (ت ١٠٨٩ هـ) ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، ج ٨ ، تحقيق : عبد القادر ومحمود الأرناؤوط ،.

٢٦٨ / **شعب الإيمان** لأحمد بن الحسين **البيهقي** ، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ج ٧ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .

٢٦٩ / **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض** بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، مجلد واحد ، ج ٢ ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول المصري .

٢٧٠ / **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٨ هـ ج ١ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .

٢٧١ / **الشقائق النعمانية** في علماء الدولة العثمانية **لطاشكبري زادة** (ت ٩٦٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . د ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ج ١ .

(ص)

٢٧٢ / **الصارم المنكي في الرد على السبكي** لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة **المقدسي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٤ هـ) مكتبة التوعية الإسلامية ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : إسماعيل بن محمد الأنصاري .

٢٧٣ / **صبح الأعشى** في كتابة الإنشا **للقلقشندي** ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ) ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط . د ، ١٩٨١ م ، ج ١٤ ، تحقيق : عبد القادر زكار .

٢٧٤ / **الصِّحاح** لإسماعيل بن حماد **الجوهري** الفارابي ، أبو نصر (ت ٣٩٨ هـ) بحواشي عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري محمد ابن أبي الوحش ، أبو محمد (ت ٥٨٢ هـ) ، وكتاب الوشاح للتادلي ؛ عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي ، أبو زيد (ت نحو ١٢٠٠ هـ) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ٤ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ج ٥ ، اعتنى بها : مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي .

٢٧٥ / **صحيح ابن حبان** (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان بن عبد الله علاء الدين الفارسي ، المنعوت **بالأمير** : ت ٧٣٩ هـ) للحافظ أبي حاتم محمد **بن حبان** التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج ١٦ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

٢٧٦ / **صحيح البخاري** (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، واليمامة ببيروت ط٣ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ٦ .

٢٧٧ / **صحيح مسلم** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م ج ٤ .

٢٧٨ / **صحيح مسلم بشرح النووي** لمحيي الدين يحيى بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ج ١٨ .

٢٧٩ / **صفة جزيرة الأندلس** منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد الله بن عبد المنعم **الحميري** ، أبو عبد الله (ت بعد ٨٦٦ هـ) ، ط. د ، ج ١ .

٢٨٠ / **صفة الصفوة** لعبد الرحمن بن علي بن محمد **ابن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٤ ، تحقيق : محمود فاخوري ، د . محمد رواس قلعه جي .

٢٨١ / **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم**

(ت ٧٥١ هـ) ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ٤ ، تحقيق : د . علي بن محمد الدخيل الله .

(ض)

٢٨٢ / **الضعفاء الكبير** لمحمد بن عمرو **العقيلي** ، أبو جعفر (ت ٣٢٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ج ٤ ، تحقيق : د . عبد المعطي أمين قلعجي .

٢٨٣ / **الضعفاء والمتروكين** لعبد الرحمن بن علي بن محمد **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الله القاضي .

٢٨٤ / **الضوء اللامع** لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن **السخاوي** (ت ٩٠٢ هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط . د ، ج ١٢ .

(ط ، ظ)

٢٨٥ / **طبقات الحفاظ** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، ج ١ .

٢٨٦ / **طبقات الحنابلة** لمحمد بن بحر الفرَّاء ، المعروف **بابن أبي يعلى** ، أبو الحسين (ت ٥٢١ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٢٨٧ / **طبقات الشافعية** لأبي بكر بن أحمد **بن قاضي شهبة** (ت ٨٥١ هـ) ، عالم الكتب بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان .

٢٨٨ / **طبقات الشافعية الكبرى** لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي **السُّبكي** أبو نصر (ت ٧٧١ هـ) ، دار هجر للطباعة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ ، ج ١٠ ، تحقيق : د . محمود محمد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمد الحلو .

٢٨٩ / **طبقات فحول الشعراء** (طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين) لمحمد بن سلاّم **الجمحي** (ت ٢٣١ هـ) ، دار المدني ، جدة ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمود محمد شاكر .

٢٩٠ / **طبقات الفقهاء** لإبراهيم بن علي **الشيرازي** ، أبو إسحاق (٤٧٦ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : خليل الميس .

٢٩١ / **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها** لعبد الله بن محمد **بن حبان الأصبهاني** ، أبو محمد (ت ٣٦٩ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٤ ، تحقيق : د . عبد الغفور عبد الحق البلوشي .

٢٩٢ / **طبقات المفسرين** لجلال الدين **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، ج ١ ، تحقيق : علي محمد عمر .

٢٩٣ / **طبقات المفسرين** لمحمد بن علي بن أحمد **الداوودي** (ت ٩٤٥ هـ) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ط ١ ، ج ١ ، تحقيق : سليمان ابن صالح الخزي .

٢٩٤ / **الطبقات الكبرى** لمحمد **بن سعد** بن منيع البصري الزهري ، أبو عبد الله (ت ٢٣٠ هـ) دار صادر ، بيروت ، ط . د ، ج ٨ .

٢٩٥ / **طرح التثريب في شرح التقريب** لزين الدين عبد الرحيم بن الحسيني **العراقي** ، أبو الفضل (ت ٨٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ج ٨ ، تحقيق : عبد القادر محمد علي .

٢٩٦ / **ظلال الجنة في تخريج السنة** لابن أبي عاصم (أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني ت ٢٨٧ هـ) لمحمد ناصر الدين **الألباني** ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م ، ج ٢ .

(ع)

٢٩٧ / **العبر في خبر من غبر** لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ، ج ٥ ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد .

٢٩٨ / **عدة الصابرين** وذخيرة الشاكرين لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : زكريا علي يوسف .

٢٩٩ / **العظمة** لعبد الله بن محمد بن حيّان ، الشهير **أبي الشيخ الأصبهاني** ، أبو محمد (ت ٣٦٩ هـ) ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ٥ ، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري .

٣٠٠ / **العقد الفريد** لأحمد بن محمد **بن عبد ربه** الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ج ٦ .

٣٠١ / **علوم القرآن من خلال مقدِّمات التفاسير** للدكتور **محمد صفاء شيخ إبراهيم حقِّي** أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٣٠٢ / **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** لبدر الدين محمود بن أحمد **العيني** (ت ٨٥٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط . د ، ج ٢٥ .

٣٠٣ / **عون المعبود شرح سنن أبي داود** لمحمد شمس الحق **العظيم آبادي** ، أبو الطيب (ت ١٣٢٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م ، ج ١٤ .

٣٠٤ / **العين** للخليل بن أحمد **الفراهيدي** (ت ١٧٥ هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، ط . د ، ج ٨ ، تحقيق : د . مهدي المخزومي ، د . إبراهيم السامرائي .

٣٠٥ / **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** لموفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف **بابن أصيبعة** ، أبو العباس (ت ٦٦٨هـ) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : الدكتور نزار رضا .

(غ)

٣٠٦ / **غاية النهاية في طبقات القراء** لأبي الخير محمد بن محمد **بن الجزري** الشيباني (ت ٨٣٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م ، ج ٢ عنى بنشره : ج برجستراسر .

٣٠٧ / **غريب الحديث** لإبراهيم بن إسحاق **الحربي** ، أبو إسحاق (ت ٢٨٥ هـ) ، طبع جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط ١ ١٤٠٥هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . سليمان بن إبراهيم محمد العايد .

٣٠٨ / **غريب الحديث** لأحمد بن محمد بن إبراهيم **الخطابي** البستي ، أبو سليمان (ت ٣٨٨ هـ) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط . د ، ١٤٠٢ هـ ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي .

٣٠٩ / **غريب الحديث** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . عبد المعطي أمين القلعجي .

٣١٠ / **غريب الحديث** لعبد الله بن مسلم **بن قتيبة** الدينوري ، أبو محمد (ت ٢٧٦ هـ) مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . عبد الله الجبوري .

٣١١ / **غريب الحديث** للقاسم بن سلام الهروي ، **أبو عبيد** (ت ٢٢٤ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، ج ٤ ، تحقيق : د . محمد عبد المعيد خان .

٣١٢ / **غريب القرآن** لمحمد بن عزيز **السجستاني** العزيزي ، أبو بكر (ت ٣٣٠ هـ) ، دار ابن قتيبة ، ط . د ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران .

(ف)

٣١٣ / **الفائق في غريب الحديث** لجار الله محمود بن عمر **الزَّمخشري** (ت ٥٣٨ هـ) ، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ ، ج ٤ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

٣١٤ / **الفتاوى الحديثية** لشهاب الدين أحمد **ابن حجر الهيتمي** المكي (ت ٩٧٣هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٣١٥ / **فتح الباري** شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١٣ ، تحقيق : محب الدين الخطيب .

٣١٦ / **فتح الباري** في شرح صحيح البخاري لزين الدين عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير **بابن رجب** ، أبو الفرج (ت ٧٩٥ هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية / الدمام ، ط ٢ ، ١٤٢٢هـ ، ج ٦ ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد .

٣١٧ / **فتح المعين بشرح قرة العين** لزين الدين بن عبد العزيز **الملیباري** (ت ٩٢٨ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

٣١٨ / **فتوح مصر وأخبارها** لعبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم **بن أعين القرشي المصري** أبو القاسم (ت ٢٥٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ج ١ ، تحقيق : محمد الحجيري .

٣١٩ / **الفرق بين المعاني** لحسن بن عبد الله بن سهل **العسكري** ، أبو هلال (ت بعد ٣٩٥ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٣٢٠ / **الفَرْق بين الفِرَق** وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر بن طاهر بن محمد **البغدادي الأسفرائيني** (ت ٤٢٩ هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م ، ج ١ .

٣٢١ / **الفردوس بمأثور الخطاب** لأبي شجاع ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه **الديلمي** الهمذاني الملقب إلكيا (ت ٥٠٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، ج ٥ ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول .

٣٢٢ / **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لعلي بن أحمد بن سعيد **بن حزم الظاهري** ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط . د ، ج ٥ .

٣٢٣ / **فصول في أصول التفسير** للدكتور/ مساعد بن سليمان **الطيار** ، دار ابن الجوزي بالسعودية ، ط ٣ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م ، ج ١ .

٣٢٤ / **فضائل القرآن** للقاسم بن سلام ، أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، تحقيق : وهبي سليمان غاوجي .

٣٢٥ / **فهرس الفهارس** والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات لعبد الحي بن عبد الكبير **الكتاني** (ت ١٣٨٣ هـ) ، دار العربي الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج ٣ ، تحقيق : د. إحسان عباس .

٣٢٦ / **الفهرست** لمحمد بن إسحاق بن محمد البغدادي ، أبو الفرج ، الشهير **بابن النديم** (ت ٣٨٥ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ج ١ ، اعتنى بها وعلق عليها : الشيخ إبراهيم رمضان .

٣٢٧ / **فهرسة ابن خير الاشبيلي** لمحمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي ، أبو بكر (ت ٥٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ج ١ ، تحقيق : محمد فؤاد منصور .

٣٢٨ / **فهم القرآن ومعانيه** للحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ، أبو عبد الله (ت ٢٤٣ هـ) ، دار الكندي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ ، ج ١ ، تحقيق : حسين القوتلي .

٣٢٩ / **فوات الوفيات** لصلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد **الكتبي** الداراني (ت ٧٦٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله – عادل أحمد عبد الموجود .

٣٣٠ / **في ظلال القرآن** لسيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ) ، دار الشروق ، بيروت / لبنان ، ط ٩ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ج ٦ .

٣٣١ / **فيض القدير شرح الجامع الصغير** لمحمد بن عبد الرؤوف **المناوي** (ت ١٠٣١ هـ) المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ١ ، ١٣٥٦هـ ، ج ٦ .

(ق)

٣٣٢ / **القاموس المحيط** لمجدد الدين محمد بن يعقوب **الفيروز آبادي** (ت ٨١٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٣٣٣ / **القواعد الحسان** لتفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر **السعدي** (ت ١٣٧٦ هـ) دار البصيرة ، الاسكندرية / مصر ، ط . د ، ج ١ .

٣٣٤ / **القوانين الفقهية** في تلخيص مذهب المالكية **لابن جُزيّ** الكلبيّ (ت ٧٤١ هـ) ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، ج ١ ، تحقيق : عبد الكريم الفضيلي .

٣٣٥ / **قوت القلوب** في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لمحمد بن علي ابن عطية الحارثي المشهور **بأبي طالب المكي** (ت ٣٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م ، ج ٢ ، تحقيق : د . عاصم إبراهيم الكيالي .

(ك)

٣٣٦ / **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة** لمحمد بن أحمد **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ج ٢ ، تحقيق : محمد عوامة .

٣٣٧ / **الكافي في فقه الإمام المبجل** أحمد بن حنبل لعبد الله **بن قدامة المقدسي** ، أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ .

٣٣٨ / **الكامل في التاريخ** لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الحسن الشهير **بابن الأثير** (ت ٦٣٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد الله القاضي .

٣٣٩ / **الكامل في ضعفاء الرجال** لعبد الله **بن عدي** بن عبد الله الجرجاني ، أبو أحمد (ت ٣٦٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٧ ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي .

٣٤٠ / **الكامل في اللغة والأدب** لمحمد بن يزيد ، أبو العباس ، الشهير **بالمبرّد** النحوي ، (ت ٢٨٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط ٤ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ج ٤ ، تحقيق : د. محمد أحمد الدَّالي .

٣٤١ / **الكتاب** لعمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب **بسيبويه** ، أبو البشر (ت ١٨٠هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ج ٤ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

٣٤٢ / **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ تحقيق : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي ، ج ١٧ .

٣٤٣ / **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الفقه لشيخ الإسلام** أحمد عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي ، ج ٣٥ .

٣٤٤ / **الكتيبة الكامنة** في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشهير **بلسان الدين ابن الخطيب** (ت ٧٧٦ هـ) ، دار الثقافة ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٣م ، ج ١ ، تحقيق : د . إحسان عباس .

٣٤٥ / **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** لإسماعيل بن محمد **العجلوني** (ت ١١٦٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ١٤٠٥هـ ، ج ٢ ، تحقيق : أحمد القلاش .

٣٤٦ / **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ، الشهير بالملا كاتب الجلبي ، والمعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ .

٣٤٧ / **الكليات** (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) أيوب بن موسى الحسيني **الكفوي** ، أبو البقاء (ت ١٠٩٤ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ ، ج ١ تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري .

٣٤٨ / **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** لعلاء الدين علي المتقي **بن حسام الدين الهندي** (ت ٩٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ج ١٦ ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي .

(ل)

٣٤٩ / **اللآلي في شرح أمالي القالي** لعبد الله بن عبد العزيز بن محمد **البكري** (ت ٤٩٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج ٣ ، تحقيق : عبد العزيز الميمني .

٣٥٠ / **لباب النقول** في أسباب النزول لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد **السيوطي** ، أبو الفضل (ت ٩١١ هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ .

٣٥١ / **لسان العرب** لمحمد بن مكرم **ابن منظور** الأفريقي ، أبو الفضل (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ج ١٥.

٣٥٢ / **لسان الميزان** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ج ٧ ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية – الهند .

٣٥٣ / **اللغات في القرآن الكريم** لعبد الله بن الحسين **بن حسنون** ، أبو أحمد السامري (ت ٣٨٦ هـ) ، ط . د ، ج ١ .

٣٥٤ / **اللمع في أصول الفقه** لإبراهيم بن علي **الشيرازي** ، أبو إسحاق (ت ٤٧٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ١ .

(م)

٣٥٥ / **ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان** لمحمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ج ١ ، تحقيق : زهير الشاويش .

٣٥٦ / **مباحث في علوم القرآن** للشيخ مناع خليل **القطان** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ١ .

٣٥٧ / **مباحث في علوم القرآن** للدكتور صبحي **الصَّالح** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٤ ، ١٩٨٢ م ، ج ١ .

٣٥٨ / **المبسوط** لشمس الدين محمد بن أحمد بن سهل **السَّرخسي** ، أبو بكر (ت ٤٨٣ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ٣٠ .

٣٥٩ / **مجاز القرآن** لمعمر بن المثنى ، **أبو عبيدة** (ت ٢١٠ هـ) ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين .

٣٦٠ / **المجالسة وجواهر العلم** لأحمد بن مروان بن محمد **الدينوري** القاضي المالكي ، أبو بكر (ت ٣٣٣هـ) ، دار ابن حزم ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ .

٣٦١ / **المجروحين** من المحدثين والضعفاء والمتروكين لمحمد **بن حبان** بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) ، دار الوعي ، حلب ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، ج ٣ تحقيق : محمود إبراهيم زايد .

٣٦٢ / **المجلى في شرح القواعد المثلى** ، **كاملة** بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام **الكواري** ، باحثة شرعية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر (وهذا الكتاب أول شرح لمتن القواعد المثلى للشيخ العثيمين رحمه الله) دار ابن حزم ، ط ١ ج ١ .

٣٦٣ / **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** لعلي بن أبي بكر **الهيثمي** (ت ٨٠٧ هـ) ، بتحرير الحافظين : العراقي وابن حجر العسقلاني ، دار الريان ، القاهرة ، ودار الكتاب العربي بيروت ، ط . د ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ج ١٠ .

٣٦٤ / **المجموع** لمحي الدين بن شرف **النووي** ، أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٩٩٧م ، ج ٩ .

٣٦٥ / **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** للحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم ، الشهير **بالرَّاغب الأصفهاني** (ت ٥٠٢ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ج ٢ ، تحقيق : عمر الطباع .

٣٦٦ / **المحتسب** في تبيين وجوه شواذ القراءات ، والإيضاح عنها لعثمان **بن جني** ، أبو الفتح (ت ٣٩٢ هـ) ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط . د ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ٢ ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، و د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، و د . عبد الحليم النجار ، إعداد وتقديم : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٣٦٧ / **المحصول في أصول الفقه** للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري ، المعروف **بابن العربي** المالكي (ت ٥٤٣ هـ) ، دار البيارق ، عمان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : حسن علي البدري ، وسعيد فودة .

٣٦٨ / **المحصول في علم الأصول** لمحمد بن عمر بن الحسن الشهير **بالفخر الرازي** (ت ٦٠٦ هـ) ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، ج ٦ ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني .

٣٦٩ / **المحكم في نقط المصاحف** لعثمان بن سعيد **الداني** ، أبو عمرو (ت ٤٤٤هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، تحقيق الدكتورة : عزة حسن .

٣٧٠ / **المحكم والمحيط الأعظم** لعلي بن إسماعيل **ابن سيده** ، أبو الحسن (ت ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ١٠ ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي .

٣٧١ / **المحيط في اللغة للصاحب الكافي الكفاة إسماعيل ابن عباد** بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، أبو القاسم (ت ٣٨٥هـ) ، عالم الكتب ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ١٠ ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين .

٣٧٢ / **مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع** للحسين بن أحمد **ابن خالويه** ، أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ) ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، ط . د ، ج ١ .

٣٧٣ / **المخصَّص** لعلي بن إسماعيل **بن سيده** النحوي اللغوي الأندلسي ، أبو الحسن (ت ٤٥٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ج ٥ ، تحقيق : خليل إبراهم جفال .

٣٧٤ / **مدارج السالكين** بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ج ٣ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٣٧٥ / **مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة** للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار **الشنقيطي** ، دار القلم ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تقديم : الشيخ عطية محمد سالم .

٣٧٦ / **مرقاة المفاتيح** شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد **القاري** (ت ١٠١٤هـ) دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج ١١ ، تحقيق : جمال عيتاني .

٣٧٧ / **مرهم العلل** المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة لعبد الله بن أسعد **اليافعي** (ت ٧٦٨هـ) ، دار الجيل ، لبنان / بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ، تحقيق : محمود محمد محمود حسن نصار .

٣٧٨ / **مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب** لمحمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) ، مطابع الرياض ، الرياض ، ط ١ ، تحقيق : عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب .

٣٧٩ / **المستدرك على الصحيحين** لمحمد بن عبد الله **الحاكم** النيسابوري ، أبو عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ج ٤ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

٣٨٠ / **المستصفى من علم الأصول** لأبي حامد محمد بن محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ، ج ١ ، تحقيق : محمد بن عبد السلام ابن عبد الشافي .

٣٨١ / **المستقصى في أمثال العرب** لجار الله محمود بن عمر **الزَّمخشري** ، أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ج ٢ .

٣٨٢ / **مسند الإمام أحمد بن حنبل** الشيباني ، أبو عبد الله (ت ٢٤١ هـ) ، مؤسسة قرطبة مصر ، ط . د ، ج ٦ .

٣٨٣ / **مسند ابن الجعد** لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي ، أبو الحسن (ت ٢٣٠ هـ) ، مؤسسة نادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ١ ، تحقيق : عامر أحمد حيدر .

٣٨٤ / **المسند لعبد الله بن الزبير الحميدي** ، أبو بكر (ت ٢١٩ هـ) ، دار الكتب العلمية مكتبة المتنبي ، بيروت ، القاهرة ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٣٨٥ / **مسند أبي يعلى** لأحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧ هـ) دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م ، ج ١٣ تحقيق : حسين سليم أسد .

٣٨٦ / **المسوّدة في أصول الفقه** لشيخ الإسلام ابن تيمية وأبيه وجده ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٣٨٧ / **مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض** بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، أبو الفضل (ت ٥٤٤ هـ) ، المكتبة العتيقة ودار التراث ، ط . د ، ج ٢ .

٣٨٨ / **مشاهير علماء الأمصار** لمحمد بن حبان بن أحمد ، أبو حاتم التميمي (ت ٣٥٤ هـ) دار الكتب العلمية ببيروت ، ط . د ، ١٩٥٩م ، ج ١ ، تحقيق : م. فلايشهمر .

٣٨٩ / **مُشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي** ، أبو محمد (ت ٤٣٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن .

٣٩٠ / **مُشكِل إعراب القرآن** للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد **الخراط** ، ط . د ، ج ١ ، مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

٣٩١ / **مشكل الحديث وبيانه** لمحمد بن الحسن **بن فورك** الأصبهاني ، أبو بكر (ت ٤٠٦ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ج ١ ، تحقيق : موسى محمد علي .

٣٩٢ / **مصباح الزجاجة** في زوائد ابن ماجه لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل **الكناني** (ت ٨٤٠ هـ) ، دار العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٤ ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي .

٣٩٣ / **المصباح المنير** في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ، أبو العباس (ت ٧٧٠ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٣٩٤ / **المصنف** لعبد الرزاق بن همام **الصنعاني** ، أبو بكر (ت ٢١١ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ١١ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٣٩٥ / **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي الرحيباني** (ت ١٢٤٣هـ) ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط . د ، ١٩٦١م ، ج ٦ .

٣٩٦ / **معارج القبول** بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ بن أحمد **حكمي** (ت ١٣٧٧ هـ) ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م ، ج ٣ ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر .

٣٩٧ / **المعارف** لعبد الله **ابن قتيبة** الدينوري ، أبو محمد (ت ٢٧٦ هـ) ، دار المعارف القاهرة ، ط ٤ ، ج ١ ، تحقيق : د . ثروت عكاشة .

٣٩٨ / **معاني القرآن** لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي ، المعروف **بالأخفش الأوسط** (ت سنة ٢١٥ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ج ٢ ، دراسة وتحقيق : الدكتور عبد الأمير محمد أمين الوَرد .

٣٩٩ / **معاني القرآن** ليحيى بن زياد **الفرَّاء** ، أبو زكريا (ت ٢٠٧ هـ) ، اعتنى به : فاتن محمد خليل اللّبون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م ، ج ٣ .

٤٠٠ / **معاني القرآن الكريم** لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي **النحَّاس** ، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ ، ط ١ ، ج ٦ ، اسم المحقق : محمد علي الصابوني .

٤٠١ / **معاني القرآن وإعرابه** لإبراهيم بن السري **الزَّجَّاج** (ت ٣١١ هـ) ، عالم الكتب بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٥ ، تحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي .

٤٠٢ / **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** لعبد الرحيم بن أحمد **العباسي** (ت ٩٦٣ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط . د ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م ، ج ٢ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٤٠٣ / **معجم الأدباء** (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لياقوت بن عبد الله الرومي **الحموي** ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ،ج ٥ .

٤٠٤ / **المعجم الأوسط** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، دار الحرمين ، القاهرة ، ط . د ، ١٤١٥هـ ، ج ٩ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .

٤٠٥ / **معجم البلدان** لياقوت بن عبد الله **الحموي** ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ج ٥ ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي .

٤٠٦ / **معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول** للمبارك بن محمد الجزري (**ابن الأثير المحدث**) ، أبو السعادات (ت ٦٠٦ هـ) ، ط . د ، ج ١١ .

٤٠٧ / **المعجم الكبير** لسليمان بن أحمد **الطبراني** ، أبو القاسم (ت ٣٦٠ هـ) ، مكتبة الزهراء الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ج ٢٥ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٤٠٨ / **معجم المؤلفين** لعمر رضا **كحالة** (ت ١٤٠٧ هـ) ، ط . د ، ج ١٣ .

٤٠٩ / **معجم المحدثين** لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد الحبيب الهيلة .

٤١٠ / **معجم مقاليد العلوم** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** ، أبو الفضل (ت ٩١١هـ) ، مكتبة الآداب ، القاهرة / مصر ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م ج ١ ، تحقيق : أ . د . محمد إبراهيم عبادة .

٤١١ / **المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار** دار الدعوة ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : مجمع اللغة العربية .

٤١٢ / **معرفة الثقات** من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (نزيل طرابلس الغرب) (**ثقات العجلي**) (ت ٢٦١هـ) ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط ١ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي .

٤١٣ / **معرفة الصحابة** لأحمد بن عبد الله ، **أبو نعيم الأصبهاني** (ت ٤٣٠ هـ) ، ط . د ج ٦ .

٤١٤ / **معرفة علوم الحديث** لمحمد بن عبد الله **الحاكم** النيسابوري ، أبو عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج ١ تحقيق : السيد معظم حسين .

٤١٥ / **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** لمحمد **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ٢ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وجماعة .

٤١٦ / **المعرفة والتاريخ** ليعقوب بن سفيان **الفسوي** ، أبو يوسف (ت ٢٧٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ج ٣ ، تحقيق : خليل المنصور .

٤١٧ / **المغرب في ترتيب المعرب** لناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على برهان الدين الخوارزمي **المطرزى** (ت ٦١٠ هـ) ط . د ، ج ٢ .

٤١٨ / **المغني عن حمل الأسفار** لزين الدين عبد الرحيم بن الحسيني **العراقي** ، أبو الفضل (ت ٨٠٦ هـ) ، مكتبة طبرية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٢ ، تحقيق : أشرف عبد المقصود .

٤١٩ / **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد **ابن هشام** الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٦ ، ١٩٨٥م ، ج ١ ، تحقيق : د . مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله .

٤٢٠ / **المغني** في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لعبد الله بن أحمد **بن قدامة المقدسي** ، أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١٠ .

٤٢١ / **مفتاح دار السعادة** ومنشور ولاية العلم والإرادة لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن القيِّم** (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ج ٢ .

٤٢٢ / **مفحمات الإقران في مبهمات القرآن** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ج ١ ، تحقيق : إياد خالد الطباع .

٤٢٣ / **المفردات في غريب القرآن** للحسن بن محمد **الرَّاغب** الأصفهاني ، أبو القاسم (ت ٥٠٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٤٢٤ / **المفسرون بين التأويل والإثبات** لمحمد بن عبد الرحمن **المغراوي** ، ج ٤ ، مؤسسة الرسالة ، دار القرآن ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٤٢٥ / **مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس **بن زكريا** ، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ج ٦ ، تحقيق : عبد السلام هارون .

٤٢٦ / **المقتضب** لمحمد بن يزيد **المُبَرِّد** ، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة .

٤٢٧ / **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد** لبرهان الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن مفلح الحنبلي (ت ٨٨٤ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ج ٣ ، تحقيق : د . عبد الرحمن بن سليمان العثيمين .

٤٢٨ / **المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لزكريا بن محمد الأنصاري** (ت ٩٢٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ ، تحقيق : شريف أبو العلاء العذوي .

٤٢٩ / **الملل والنحل** لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد **الشهرستاني** (ت ٥٤٨ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٤٣٠ / **مناهل العرفان في علوم القرآن** لمحمد بن عبد العظيم **الزرقاني** (ت ١٣٦٧ هـ) ، دار الفكر ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ج ٢ .

٤٣١ / **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٥٨هـ ، ج ١٨ .

٤٣٢ / **المنتقى من منهاج الاعتدال** في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال لمحمد بن عثمان **الذهبي** ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، ط . د ، ج ١ ، تحقيق : محب الدين الخطيب .

٤٣٣ / **منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل لمحمد عليش** (ت ١٢٩٩ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ج ٩ .

٤٣٤ / **منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مؤسسة قرطبة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٨ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

٤٣٥ / **الموافقات في أصول الفقه** لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، الشهير **بالشاطبي** (ت ٧٩٠ هـ) ، دار المعرفة بيروت ، ط . د ، ج ٤ ، تحقيق : عبد الله دراز .

٤٣٦ / **المواقف** لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد **الإيجي** (ت ٧٥٦هـ) ، دار الجيل ، لبنان / بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ط ١ ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة .

٤٣٧ / **موطأ الإمام مالك** لمالك بن أنس ، أبو عبد الله الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، ط . د ، ج ٢ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٤٣٨ / **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** لشمس الدين محمد بن أحمد **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ هـ ، ج ٨ ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود .

(**ن**)

٤٣٩ / **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه** لهبة الله بن عبد الرحيم **ابن البارزي** الجهني ، أبو القاسم (ت ٧٣٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن ،.

٤٤٠ / **الناسخ والمنسوخ** لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي **النحاس** ، أبو جعفر (ت ٣٣٩ هـ) ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . محمد عبد السلام محمد .

٤٤١ / **الناسخ والمنسوخ** (قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن) لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي (ت ١٠٣٣ هـ) ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ط . د ١٤٠٠هـ ، ج ١ ، تحقيق : سامي عطا حسن .

٤٤٢ / **الناسخ والمنسوخ** لهبة الله بن سلامة بن نصر **المقري** (ت ٤١٠ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ١ ، تحقيق : زهير الشاويش ، ومحمد كنعان .

٤٤٣ / **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم** لعلي بن أحمد **بن حزم** الظاهري ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . عبد الغفار سليمان البنداري .

٤٤٤ / **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى لقتادة بن دعامة السدوسي** (ت ١١٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ج ١ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن .

٤٤٥ / **النبوات لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم **بن تيمية** الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط . د ، ١٣٨٦هـ ، ج ١ .

٤٤٦ / **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** لأبي المحاسن جمال الدين يوسف **بن تغري بردي** الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) ، المؤسسة المصرية العامة ، نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ، ط . د ، ج ١٦ .

٤٤٧ / **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** لجمال الدين عبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** (ت ٥٩٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ج ١ ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

٤٤٨ / **نزهة الألباب في الألقاب** لأحمد بن علي بن محمد ، أبو الفضل ، المشهور **بابن حجر** العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد العزيز محمد بن صالح السديري .

٤٤٩ / **نزهة المجالس ومنتخب النفائس** لعبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان **الصفوري** (ت ٨٩٤ هـ) ، دار المحبة ، دار آية ، بيروت ، دمشق ، ط . د ، ٢٠٠١ م / ٢٠٠٢ م ، ج ٢ ، تحقيق : عبد الرحيم مارديني .

٤٥٠ / **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق** لمحمد ناصر الدين **الألباني** (ت ١٤٢٠ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ج ١ .

٤٥١ / **نظم الدرر** في تناسب الآيات والسور ل برهان الدين إبراهيم بن عمر **البقاعي** ، أبو الحسن (ت ٨٨٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٨ ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .

٤٥٢ / **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لأبي العباس أحمد بن محمد **المقري** التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ، ط . د ، ج ٧ ، تحقيق : د . إحسان عباس .

٤٥٣ / **نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، المعروف **بابن قيِّم الجوزية** أو **ابن**

القيِّم (ت ٧٥١ هـ) ، دار القادري ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ١ ، تحقيق : حسن السماعي سويدان .

٤٥٤ / **النكت على كتاب ابن الصلاح** لأحمد بن علي **بن حجر** العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، ط . د ، ج ٢ .

٤٥٥ / **النكت والعيون** (تفسير الماوردي) علي بن محمد بن حبيب **الماوردي** البصري ، أبو الحسن (ت ٤٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط . د ، ج ٦ ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

٤٥٦ / **نهاية الأرب في فنون الأدب** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب **النويري** (ت ٧٣٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ج ٣٣ ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة .

٤٥٧ / **النهاية في غريب الحديث والأثر** لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير **بابن الأثير** (ت ٦٠٦ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٥ ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي .

٤٥٨ / **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** لمحمد بن أحمد الرملي ، الشهير **بالشافعي الصغير** (ت ١٠٠٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ج ٨ .

٤٥٩ / **نواسخ القرآن** لعبد الرحمن بن علي **بن الجوزي** ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١ .

٤٦٠ / **نيل الأوطار** من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد **الشوكاني** (ت ١٢٥٥ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط . د ، ١٩٧٣ م ، ج ٩ .

(هـ)

٤٦١ / **الهداية شرح بداية المبتدي** لعلي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني **المرغياني** ، أبو الحسن (ت ٥٩٣ هـ) ، المكتبة الإسلامية ، ط . د ، ج ٤ .

٤٦٢ / الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (**رجال صحيح البخاري**) لأحمد بن محمد بن الحسين البخاري **الكلاباذي** ، أبو نصر (ت ٣٩٨ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، تحقيق : عبد الله الليثي .

٤٦٣ / **هدية العارفين** (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون) لإسماعيل باشا **البغدادي** (ت ١٣٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ٦ .

٤٦٤ / **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، ط . د ، ج ٣ ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي .

٤٦٥ / **الوافي بالوفيات** لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله **الصَّفدي** (٧٦٤ هـ) ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط . د ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٢٩ ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى .

٤٦٦ / **الوفيات** لأحمد بن حسن **بن الخطيب** القسطنطيني الجزائري ، أبو العباس (ت ٨٠٩ هـ) ، دار الإقامة الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨م ، ج ١ ، تحقيق : عادل نويهض .

٤٦٧ / **وفيات الأعيان** وأبناء أنباء الزمان لأحمد بن محمد الشهير **بابن خلكان** ، أبو العباس (ت ٦٨١ هـ) ، دار الثقافة ، بيروت ، ط . د ، ١٩٦٨م ، ج ٧ ، تحقيق : إحسان عباس .

(**ي**)

٤٦٨ / **ياقوتة الصراط** في تفسير غريب القرآن لمحمد بن عبد الواحد البغداي الزاهد المعروف **بغلام ثعلب** ، أبو عمر (ت ٣٤٥هـ) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية / المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ١ ، تحقيق : حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني .

٤٦٩ / **يتيمة الدهر** في محاسن أهل العصر لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل **الثعالبي** ، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ج ٥ ، تحقيق : د. مفيد محمد قمحية .

مجلات ومقالات :

٤٧٠ / **مجلة الإعجاز العلمية** ، مجلة فصلية تصدر عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، رابطة العالم الإسلامي ، العدد الرابع ، **مقال : التفكر في خلق الله** ، ألفاظ كونية عن : معجم المصطلحات الفنية (ملحق بموسوعة بهجة المعرفة – الكون –) **للشيخ إسماعيل القريشي** .

٤٧١ / **مجلة البحوث الإسلامية** ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، مقال : **مفاسد القول بالمجاز** للشيخ مصطفى بن عيد **الصياصنة** .

٤٧٢ / **مجلة البحوث الإسلامية** ، مقال بعنوان : **أسباب حصول الفتن وسبيل النجاة منها** ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد **آل الشيخ** .

٤٧٣ / **مجلة المجمع العلمي العراقي** . المجلد (٢٤) . بحث للدكتور **سليم النعيمي** بعنوان : **نقد الكتب** .

٤٧٤ / **مجلة جامعة أم القرى** ، منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة كما عرضه القرآن الكريم **للدكتور منظور بن محمد بن محمد رمضان** ؛ أستاذ مساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بمكة .

٤٧٥ / مقال : **إنقاص الأرض من أطرافها** للدكتور **زغلول النجار** ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة .

٤٧٦ / مقال **للدكتور زغلول النجار** عن قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .... ﴾ . [سورة الرعد : ٢] . نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ / ٩ / ٢٠٠١ م . موقع : WWW.EAGAZ.COM.

٤٧٧ / مقال : **دراسات في اللغة والنحو** ، للدكتور **عدنان محمد** .

٤٧٨ / مقال : **الزوجية في الكائنات الحية للدكتور ميسرة** نصوح السعدي ، **والدكتور توفيق** التميمي . موقع : WWW.ISLAMSET.COM

٤٧٩ / مقال : **ظواهر لغوية من لهجة طيئ القديمة** ، للدكتور **رمضان عبد التواب** ، خبير بلجنة اللهجات .

٤٨٠ / مقال : **القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم** .

٤٨١ / مقال : **الشيخوخة إلى أين ؟** ، موقع : إسلام أون لاين .

٤٨٢ / **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة** ، الهدهد آية من آيات الخالق بقلم الأستاذ حسن يوسف شهاب الدين ؛ عن كتاب الدكتور خالد العبيدي (**هندسة النقل والاتصالات في القرآن والسُّنة**) .

٤٨٣ / موقع : أعلام وشخصيات مصرية .

٤٨٤ / موقع د . زغلول النجار ، كتاب : (رسائل من الماء) .

٤٨٥ / موقع : ST-TAKLA.ORG/PUB_OLDTEST/ARABIC-OLD-TESTAMENT-BOOKS/- ، الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح الأول .

٤٨٦ / **موقع عبد الدائم الكحيل** للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة ، مقال : **كيف تم إحضار عرش بلقيس ؟**

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدِّمة	١
أسباب اختيار الموضوع	٣
حدود البحث	٦
مصطلحات البحث	٧
خطة البحث	٨
منهج البحث	١١
مفتاح الرموز والمختصرات المستخدمة في البحث	١٥
الدراسات السابقة	١٦
شكر وتقدير وعرفان	١٨
القسم الأول : التعريف بابن جُزيّ ، وكتابه : (التسهيل) ، ومنهجه في الترجيح	٢١
الباب الأول : التعريف بابن جُزيّ بإيجاز	٢٢
الفصل الأول : حياة ابن جُزيّ الشخصية بإيجاز	٢٣
المبحث الأول : اسمه ونسبه ، وكنيته وشهرته	٢٤
المبحث الثاني : مولده ، ونشأته	٢٩
المبحث الثالث : معتقده ومذهبه	٣١
الفصل الثاني : حياة ابن جُزيّ العلمية بإيجاز	٣٧
المبحث الأول : نشأته ومكانته العلمية	٣٨
المبحث الثاني : أشهر شيوخه وتلاميذه	٤١

المبحث الثالث : آثاره مصنفاته ، وفاته	٤٥
الباب الثاني : التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جُزيّ في الترجيح	٤٩
الفصل الأول : التعريف بكتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل)	٥٠
المبحث الأول : القيمة العلمية للكتاب	٥٣
المبحث الثاني : نسخ الكتاب وطبعاته	٥٦
المبحث الثالث : منهج المصنف في كتابه	٦١
الفصل الثاني : منهج ابن جُزيّ في الترجيح	٦٧
المبحث الأول : تعريف الترجيح وبيان موجباته عند ابن جُزيّ	٦٩
المبحث الثاني : مصطلحات الترجيح وأساليبه في تفسير ابن جُزيّ	٧٤
المبحث الثالث : وجوه الترجيح عند ابن جُزيّ	٨٢
القسم الثاني : عرض المسائل ومناقشتها	١٠٥
سورة الرعد	١٠٦
مسألة : المراد بالكتاب في قوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾	١٠٦
مسألة: في المراد من قوله تعالى : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾	١١٢
مسألة: في المراد من قوله تعالى : ﴿ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾	١١٧
مسألة : في المراد بمغفرة الله للناس على ظلمهم	١٢٢
مسألة: في المراد بـــ ﴿ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ و ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾	١٣١
مسألة: في ضمير ﴿ لَهُۥ ﴾ علام يعود ، وفي المراد بـــ ﴿ مُعَقِّبَـٰتٌ ﴾	١٣٦
مسألة: هل حفظ الملائكة للعبد بأمر الله أو من عذاب الله ؟	١٤٢
مسألة: فيمن نزل قوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾	١٤٨

مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾	١٥٣
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ... ﴾	١٦٠
مسألة: من هم المعنيون بالصفات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ... ﴾	١٦٥
مسألة: فيمن نزل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾	١٧٠
مسألة: في فاعل ﴿ تَحُلُّ ﴾	١٧٤
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾	١٧٧
مسألة: في المراد بالأحزاب	١٨٣
مسألة: في المراد بالأرض هنا وكيف يكون نقصها ؟	١٨٧
سورة إبراهيم عليه السلام	١٩٥
مسألة : في المراد بأيام الله	١٩٥
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾	٢٠١
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾	٢٠٤
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾	٢٠٦
مسألة: لم كرَّر الأمر بالتوكل في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾	٢٠٩
مسألة : في معنى الوراء في قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾	٢١٢
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ﴾	٢١٧
مسألة : في معنى ﴿ مِن ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ ... فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ... ﴾	٢٢٠

مسألة: في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾	٢٢٥
مسألة: في متعلق قوله تعالى : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾	229
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾	٢٣١
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾	235
مسألة: متى دعا إبراهيم عليه السلام لأبويه الكافرين بالمغفرة ؟	٢٣٨
مسألة: لمن الوعيد في الآية ؟	٢٤٢
مسألة: في كيفية تبديل الأرض والسموات	٢٤٦
سورة الحجـــر	٢٥٢
مسألة : في المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٢٥٢
مسألة : في الوقت الذي يود فيه الكفار لو كانوا مسلمين	٢٥٥
مسألة : في معنى الحق هنا في قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾	٢٦٠
مسألة: في عود الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا ...﴾	٢٦٤
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مَّوۡزُونٖ ﴾	٢٦٧
مسألة: علام عطفت ﴿ مَن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَ مَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ ؟	٢٧٠
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ...	٢٧٥
مسألة: في المراد بالمستقدمين والمستأخرين	٢٧٩
مسألة: في المراد بالجان في الآية	٢٨٣
مسألة: في معنى الباء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾	٢٨٦
مسألة: في عود الضمير في ﴿ إِنَّهُمَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾	٢٩٠

وما يترتب عليه من معنى (الإمام)	
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ءَامِّينَ ﴾	٢٩٤
مسألة: في المراد بـــ ﴿ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾	٢٩٧
مسألة: اشتقاق لفظ ﴿ ٱلْمَثَانِي ﴾	٣٠٤
مسألة : في معنى ﴿ عِضِين ﴾	٣٠٧
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾	٣١٣
سورة النحل	٣١٨
مسألة : في المراد بـــ ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾	٣١٨
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾	٣٢٣
مسألة : المراد بالنجم هنا في الآية	٣٢٩
مسألة : مرجع الضمير في ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ و ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾	٣٣٣
مسألة : في معنى : ﴿ وَاصِبًا ﴾	٣٣٨
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾	٣٤٢
مسألة : اختلاف أهل العلم في هذه الآية بين الإحكام والنسخ	٣٤٧
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾	٣٥٣
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾	٣٥٩
مسألة : في المراد بـــ : ﴿ وَحَفَدَةً ﴾	٣٦٤
مسألة : فيمن أريد بالمثل في الآية	٣٧٠
مسألة : في متعلق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾	٣٧٥
مسألة : المراد بالقرية المذكورة في الآية	٣٧٨

مسألة : المراد بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾	٣٨٥
سورة الإســـراء	٣٩٠
مسألة : هل الفعل ﴿ أَسْرَى ﴾ فعل متعدي أو غير متعدٍّ	٣٩٠
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ في الموضعين في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾	٣٩٥
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾	٤٠٠
مسألة: لمن الخطاب في الآية	٤٠٤
مسألة: في معنى قوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾	٤٠٩
مسألة: اختلاف أهل العلم في التسبيح	٤١٣
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾	٤٢٢
مسألة: في معنى ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾.....	٤٢٧
مسألة: في أوجه إعراب قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾	٤٣١
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾	٤٣٥
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ هنا في الآية.....	٤٣٩
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾	٤٤٥
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٤٤٩
مسألة : في من هم المعنيين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾	453
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾	٤٥٦
سورة الكهــف	461

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾	461
مسألة : في معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾	٤٦٤
مسألة : في المراد بـــ ﴿ٱلرَّقِيمِ﴾	٤٦٨
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾	٤٧٢
مسألة : في معنى ﴿ يَرۡجُمُوكُمۡ ﴾	٤٧٦
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ... وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ... ﴾	٤٧٩
مسألة : في من المراد بقوله تعالى : ﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾	٤٨٦
مسألة : في المراد بالثُمُر – بضم الثاء والميم –	٤٩٢
مسألة : في المراد بالباقيات الصالحات	٤٩٩
مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم ﴾.....	٥٠٦
مسألة : في إعراب ﴿ عَجَبًا ﴾	508
مسألة : في المراد بالكنز المذكور في الآية	٥١٣
مسألة : في المراد بالأب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾	٥١٨
مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ بَعۡضَهُمۡ ﴾	٥٢١
مسألة : فيمن أريد بالآية	٥٢٦
سورة مـــريم - عليها السَّلام -	٥٣٢
مسألة : الموقع الإعرابي لـ ﴿ عَبۡدَهُۥ ﴾	532
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴾	٥٣٦

مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾	٥٤١
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾	٥٤٣
مسألة: في معنى ﴿ تَقِيًّا ﴾	549
مسألة: في المراد بـــ ﴿ سَرِيًّا ﴾	٥٥٣
مسألة: من المتكلم في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾	٥٥٨
مسألة: معنى تسليم إبراهيم عليه السلام على أبيه (حكم ابتداء الكافر بالسلام المشروع)	٥٦٢
مسألة: في المراد بقوله تعالى عن إدريس عليه السلام : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾	٥٦٩
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾	٥٧٣
مسألة: في معنى النسيان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	577
مسألة: في أصل ﴿ وَرِءْيًا ﴾	٥٨٠
مسألة: في المراد بـــ ﴿ عَهْدًا ﴾	٥٨٤
سورة طـــه	٥٨٩
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ و ﴿ وَأَخْفَى ﴾	٥٨٩
مسألة : في سبب أمر الله النبي موسى عليه السلام بخلع نعليه	٥٩٤
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	٥٩٨
مسألة : في ذكر الاختلاف في معنى : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أهو من الخفاء أم من	٦٠٢

الظهور	
مسألة : عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾	٦١١
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾	٦١٣
مسألة : سبب سؤال الله ﷻ لموسى عليه السلام عن ما في يمينه	٦١٥
مسألة : في معنى وإعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾	٦١٨
مسألة : في معنى ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾	٦٢٢
مسألة : في نوع الواو في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَطَرَنَا ﴾	٦٢٦
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ ... ﴾	٦٢٩
مسألة : في معنى ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾	٦٣٢
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾	٦٣٥
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوۡ تُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرًا ﴾	638
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ ... وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ﴾.....	641
مسألة : في سبب اختصاص آدم عليه السلام بقوله : ﴿ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾	٦٤٥
مسألة : المراد بالأجل المسمَّى في الآية	٦٤٩
سورة الأنبياء	٦٥٣
مسألة : في المراد بالناس.....	٦٥٣
مسألة: في إعراب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	٦٥٦
مسألة: في تعيين القرية المذكورة في الآية	٦٦٢

مسألة: في معنى ﴿ لَهْوًا ﴾ في الآية	٦٦٥
مسألة: في نوع ﴿ إن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	٦٦٩
مسألة: في صفة الفلك وكيفيته في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ..	٦٧٢
مسألة: في سبب قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾	٦٧٧
مسألة: في إعراب ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾	680
مسألة: في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	٦٨٣
مسألة: في إعراب ﴿ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾	٦٨٦
مسألة: بم انتصب ﴿ وَلُوطًا ﴾	٦٨٩
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾	٦٩٢
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾	٦٩٨
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ٱلسِّجِلِّ ﴾	٧٠٤
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ هنا في الآية.....	٧١١
سورة الحـــج	٧١٨
مسألة : في الاختلاف في وقت الزلزلة المذكورة في الآية	٧١٨
مسألة : في عود الضمير في ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾	٧٢٥
مسألة: في نوع الباء في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾	٧٢٨
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا	٧٣١

وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾	
مسألة : لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ... ﴾	٧٣٧
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾	٧٤١
مسألة: في معنى التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٧٤٥
مسألة: في الاختلاف في معنى ﴿ تَمَنَّىٰ ﴾ و ﴿ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ في هذه الآية	٧٥٠
مسألة: في الاختلاف في كيفية إلقاء الشيطان	٧٥٥
مسألة : في المراد بقوله تعالى : ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾.....	٧٦٤
مسألة : لمن تكون الإشارة بـــ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	٧٦٧
مسألة : في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾	٧٧٠
سورة المؤمنون	٧٧٥
مسألة : في المراد بـــ ﴿ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾	٧٧٥
مسألة: في المراد بـــ ﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾	٧٨٠
مسألة: لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ... ﴾	٧٨٤
مسألة: في المراد بـــ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾	٧٩١
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾	٧٩٦

مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾	800
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾	٨٠٥
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ أَن يَحْضُرُونِ ﴾	٨١١
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٨١٥
سورة النـــور	٨١٩
مسألة: في الموقع الإعرابي لـــ ﴿ عُصْبَةٌ ﴾	٨١٩
مسألة : في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ يَأْتَلِ ﴾	٨٢٣
مسألة: في أصل ﴿ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾.....	٨٣٠
مسألة: في معنى ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ والمراد من الآية	٨٣٦
منافع غض البصر	٨٤٠
مسألة: المراد بحفظ الفروج	٨٤١
مسألة : في رجوع الشرط في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾	٨٤٥
مسألة : في المراد بالمشكاة	٨٥١
مسألة : في عود الضمير في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾	٨٥٤
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ ﴾	٨٦٢
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾	٨٦٦
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾	٨٧٠
سورة الفرقـــان	٨٧٥
مسألة :في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	٨٧٥

مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا مَّسْئُولاً ﴾	٨٨٠
مسألة: فيمن المخاطب بقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾	٨٨٥
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾	٨٩٢
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾	٨٩٨
مسألة: في معنى ﴿ مَهْجُورًا ﴾	٩٠٤
مسألة : في قوله : ﴿ أَنَاسِىَّ ﴾ هل هي جمع إِنْسِيّ ، أو جمع إنسان	٩١٢
مسألة : في عود الضمير في قوله : ﴿ وَلَقَد صَرَّفْنَـٰهُ ﴾	916
مسألة: في الاختلاف في معنى قوله : ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ ونوع الاستثناء فيها	٩٢٣
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	929
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾	٩٣٦
سورة الشعـــراء	٩٤٥
مسألة: في المراد بالأعناق في الآية	٩٤٥
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾	٩٥٣
مسألة : في معنى العيون في الآية	٩٥٨
مسألة: في المراد بالمقام الكريم	961
مسألة: في معنى ﴿ فَـٰرِهِينَ ﴾	٩٦٥
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	٩٧٠
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾	٩٧٤
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ﴾	٩٨٠

سورة النمـــل	٩٨٥
مسألة : في الموقع الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	٩٨٥
مسألة: في المراد بـــقوله تعالى : ﴿ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾	٩٩٠
مسألة: في الاختلاف في نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ ومعنى الآية	٩٩٣
مسألة : في معنى ﴿ ٱلْخَبْءَ ﴾	1002
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾	١٠٠٩
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾	1014
مسألة: فيمن هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ...	١٠١٨
مسألة: في المراد بالطرف في قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ..	1023
مسألة: في الفعل ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ هل هو فعل ماض أو أمر ؟	1029
مسألة: في معنى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾	١٠٣٦
سورة القصـــص	١٠٤٣
مسألة: في المراد من الوحي	١٠٤٣
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾	١٠٤٨
مسألة: في الاختلاف في معنى الباء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٠٥٦
مسألة: في المراد بقوله تعالى : ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾	١٠٦١
مسألة : في معنى قوله تعالى : ﴿ تَذُودَانِ ﴾	١٠٦٦

مسألة : في عود الضمير في ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ ﴾ وفي ﴿ قَالُواْ ﴾	١٠٧٠
مسألة : في الاختلاف في متعلق قوله تعالى : ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾	١٠٧٤
مسألة: في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ ﴾	١٠٧٧
مسألة : في المراد بمن ﴿ وَعَدۡنَٰهُ ﴾ ، وبمن ﴿ مَّتَّعۡنَٰهُ ﴾	1081
مسألة : المراد بالمفاتح في الآية	1084
الخاتمـــــــــــــــة	١٠٩١
الفهارس	١٠٩٤
فهرس الآيات القرآنية الكريمة المدروسة	١٠٩٥
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	١١٠٤
فهرس الآثار عن الصحابة ﷺ والتابعين	١١٠٩
فهرس الأعلام	١١١٥
فهرس الغريب والمصطلحات العلمية	١١٢٥
فهرس الأماكن والبلدان	١١٣١
فهرس الشواهد الشعرية	١١٣٢
فهرس المصادر والمراجع	١١٣٨
فهرس الموضوعات	١١٨٣

تمت

بحمد الله